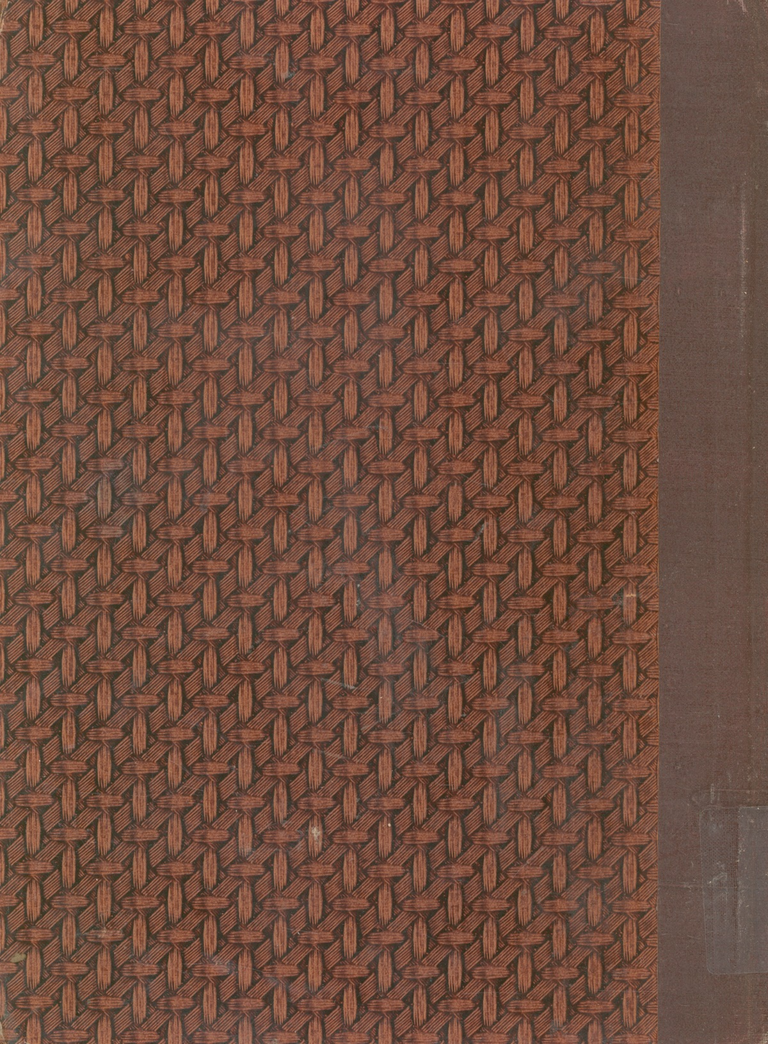


بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام

مكية عن ابن عباس غير ست آيات وما قدروا الله حق قدره إلى آخر ثلاث آيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر ثلاث آيات فإنهن نزلن بالمدينة وفي رواية أخرى عنه غير ثلاث آيات قل تعالوا اتل إلى آخر الثلاث وباقي السورة كلها نزلت بمكة وروي عن ابي بن كعب وعكرمة وقتادة انها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك قد ملأوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي (ص) سبحان الله العظيم وخر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم واكثرها حجاج على المشركين وعلى من كذب بالبعث والنشور

عدد آيها

هي مائة وخمس وستون آية كوفي ست بصري شامي سبع حجازي ※ خلافها ※ اربع آيات وجعل الظلمات والنور حجازي لست عليكم بوكيل كوفي كن فيكون والى صراط مستقيم غير الكوفي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي (ص) قال أنزلت علي الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه أولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من الأنعام يوما وليلة ، جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبي (ص) قال من قرأ ثلاث آيات من اول سورة الأنعام الى قوله ويعلم ماتكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فإذا أراد الله أن يوسوس أو يرمي في قلبه شيئا ضربه بها إلى آخر الخبر وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال إن سورة الانعام نزلت جملة واحدة وشيعها سبعون الف ملك فعظموها وبجلوها فإن اسم الله فيها في سبعين موضعا ولو يعلم الناس ما في قراءتها من الفضل ما تركوها ثم قال عليه السلام من كانت له الى الله حاجة يريد قضاءها فليصل اربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام وليقل في صلاته إذا فرغ من القراءة ياكريم ياكريم ياكريم ياعظيم ياعظيم ياعظيم يااعظم من كل عظيم ياسميع الدعاء يامن لا تغيره الليالي والأيام صل على محمد وآل محمد وارحم ضعفي وفقري وفاقتي ومسكنتي يامن رحم الشيخ يعقوب حين رد عليه يوسف قرة عينه يامن رحم ايوب بعد طول بلائه يامن رحم محمدا ومن اليتم آواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيتها وامكنه منهم يامغيث يامغيث يامغيث تقول ذلك مرارا فوالذي نفسي بيده لو دعوت الله بها ثم سألت الله جميع حوائجك لأعطاك وروى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) قال نزلت الأنعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قرأها سبحوا له إلى يوم القيامة وروى ابو صالح عن ابن عباس قال من قرأ سورة الأنعام في كل ليلة كان من الآمنين يوم القيامة ولم ير النار بعينه ابدا

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة المائدة بآية على كل شيء قدير افتتح سورة الأنعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السماوات والأرض وغيره فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (٢) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ آيتان عراقي شامي وثلاث آيات حجازي

﴿ اللغة ﴾

العدل خلاف الجور وعدلت به غيره أي سويته به وعدلت عنه اي اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل أي قومته فاستقام والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد فأجل الإنسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التأخير واصله التأخير يقال اجله تأجيلا وعجله تعجيلا والآجل نقيض العاجل والامتراء الشدة واصله من مرأت الناقة إذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماراه يماريه مراء ومماراة إذا استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبهة المشكلة من غير حل

﴿ المعنى ﴾

بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بأنه المستحق لجميع المحامد لأن اصول النعم وفروعها منه تعالى ولأن له الصفات العلى فقال (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض) يعني اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل إنه في لفظ الخبر ومعناه الأمر اي احمدوا الله وإنما جاء على صيغة الخبر وإن كان فيه معنى الامر لأنه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الأمرين وقد ذكرنا من معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه كفاية (وجعل الظلمات والنور) يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة من المفسرين وقيل الجنة والنار عن قتادة وإنما قدم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السماوات قبل الأرض ثم عجب سبحانه ممن جعل له شريكا مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال (ثم الذين كفروا) أي جحدوا الحق (بربهم يعدلون) أي يسوون به غيره بأن جعلوا له اندادا مأخوذ من قولهم ما اعدل بفلان احدا أي لانظير له عندي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو أنه سبحانه انكر على الكفار العدل به وعجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم انتم تمترون والوجه في التعجيب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بأن اصول النعم منه وأنه هو الخالق والرازق عبدوا غيره ونقضوا مااعترفوا به وأيضا فإنهم عبدوا مالا ينفع ولايضر من الحجارة والموات (هو الذي خلقكم من طين) يعني به آدم والمعنى انشأ اباكم واخترعه من طين وأنتم من ذريته فلما كان آدم أصلنا ونحن من نسله جاز أن يقول لنا خلقكم من طين (ثم قضى اجلا) اي كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الأمر وبمعنى الخلق وبمعنى الإتمام والإكمال (وأجل مسمى عنده) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه يعني بالأجلين اجل الحياة إلى الموت واجل الموت الى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد ابن المسيب وقتادة والضحاك واختاره الزجاج وروى ايضا عطاء عن ابن عباس قال قضى اجلا من مولده الى

بماته وأجل مسمى عنده من الممات الى البعث لا يعلم ميقاته احد سواه فإذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في أجل الحياة ونقص من اجل الممات الى المبعث واذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من اجل الحياة وزاد في اجل المبعث قال وذلك قوله ومايعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ❊ وثانيها ❊ انه الأجل الذي يحيا به اهل الدنيا إلى أن يموتوا وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لأنه اجل دائم ممدود لا آخر له وإنما قال مسمى عنده لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد ❊ وثالثها ❊ ان اجلا يعني به اجل من مضى من الخلق وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقين عن ابي مسلم ❊ ورابعها ❊ ان قوله قضى اجلا عني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل موت الإنسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ويرسل الاخرى إلى اجل مسمى والاصل في الأجل هوالوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة وأجل الموت والقتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت او القتل وما يعلم الله تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمى اجلا حقيقة ويجوز ان يسمى ذلك مجازا وما جاء في الأخبار من ان صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وان الله تعالى زاد في اجل قوم يونس وما اشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله (ثم انتم تمترون) خطاب للكفار الذين شكوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بأنه سبحانه خلقهم ونقلهم من حال إلى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرون بأنه لا محيص منه ثم بعد هذا يشكون ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشك في انه يصح منه اعادتهم وبعثهم

قوله تعالى (٣) وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (آية)

❊ الإعراب ❊

هو الاشبه ان يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الامر الله يعلم في السماوات وفي الارض سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السماوات وفي الارض في موضع النصب بيعلم وسركم مفعوله ايضا ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور منصوب الموضع بالمصدر وان جعلنا الظرف متعلقا باسم الله جاز في قياس قول من قال إن اصل الله الآلاه فيكون المعنى هو المعبود في السماوات وفي الارض يعلم وتقديره الامر المعبود في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة اسماء الاعلام فلا يجوز ان يتعلق الظرف به إلا ان يقدر فيه ضربا من معنى الفعل ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السماوات وفي الأرض اسم الله على ما قلناه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر

❊ المعنى ❊

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم) فيه وجوه على ماذكرناه في الاعراب فعلى التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السماوات وفي الارض سركم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلق لأن الخلق إما ان يكونوا ملائكة فهم في السماء او بشرا او جنا فهم في الارض فهو سبحانه عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه منها شيء ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون اي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني

يكون معناه ان المعبود في السماوات وفي الأرض او المتفرد بالتدبير في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فلا تخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جعلت اسم الله علما على هذا التقدير ثم علقت به قوله في السماوات او في الأرض لم يجز وان علقته بمحذوف يكون خبر الله او حالا عنه اوهم بأن يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال ابو بكر السراج ان الله وان كان اسما علما ففيه معنى الثناء والتعظيم الذي يقرب بهما من الفعل فيجوز ان يوصل لذلك بالمحل وتأويله وهو المعظم او نحو ذا في السماوات وفي الارض ثم قال يعلم سركم وجهركم ومثل ذلك قوله سبحانه وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله قال الزجاج فلو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز الا أن يكون في الكلام دليل على ان زيدا يدبر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد والخليفة في الشرق والغرب او قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج يكون في متعلقه بما دل عليه اسم الله ويكون هو الله مبتدأ او خبرا والمعنى وهو المتفرد بالالٓهية في السماوات وفي الارض لا إله فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه وان جعلت في السماوات خبرا بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السماوات وفي الارض يعني انه في كل مكان فلا يكون إلى مكان اقرب منه إلى مكان ثم اخبر سبحانه عن هذا المعنى مبينا لذلك مؤكدا له بقوله يعلم سركم وجهركم اي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم (ويعلم ما تكسبون) والمعنى يعلم نياتكم وأحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذي ذكرته في معاني هذه الآية التي استنبطتها من وجوه الاعراب مما لم اسبق اليه وهو في استقامة فصوله ومطابقة اصول الدين كما تراه لا غبار عليه وفيه دلالة على فساد قول من يقول بأن الله تعالى في مكان دون مكان تعالى عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سركم وجهركم دلالة على انه عالم لنفسه لأن من كان عالما بعلم لا يصح ذلك منه

قوله تعالى (٤) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ آيتان

﴿ الاعراب ﴾

من الأولى مزيدة وهي التي تقع في النفي لاستغراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن الكفار المذكورين في اول الآية فقال (وما تأتيهم من آية) اي لا تأتيهم حجة (من آيات ربهم) أي من حججه وبيناته كانشقاق القمر وآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات (إلا كانوا عنها معرضين) لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) اي بالحق الذي اتاهم به محمد (ص) من القرآن وسائر امور الدين (فسوف يأتيهم انباء) اي أخبار (ما كانوا به يستهزئون) والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الآخرة وقيل معناه سيعلمون ما يؤول اليه استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء ايهام التفخيم في معنى التحقير

قوله تعالى (٦) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ

وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ آية

﴿ اللغة ﴾

القرن اهل كل عصر مأخوذ من اقرانهم في العصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون سنة قال والذي يقع عندي ان القرن اهل كل مدة كان فيها نبي او كان فيها طبقة من اهل العلم قلّت السنون او كثرت والدليل عليه قول النبي (ص) خير كم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاء ما به يصح الفعل كائنا ما كان من آلة وغيرها والاقدار اعطاء القدرة خاصة ومفعال من اسماء المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا دارًا وهذا كقولهم امرأة مذكار إذا كانت كثيرة الولادة للذكور وكذلك مئناث في الإناث واصل المدرار من در اللبن إذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ودرت السماء إذا امطرت والدر اللبن ويقال لله دره اي عمله وفي الذم لا درّ دره أي لا كثر خيره

﴿ الاعراب ﴾

كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطل عمل يرى في اللفظ وقد عمل في معناه وانتقل من الخبر الى الخطاب في قوله مالم نمكن لكم اتساعا في الكلام وقد قال مكناهم في الأرض وانما لم يقل مالم نمكنكم لأن العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له

﴿ المعنى ﴾

ثم حذرهم سبحانه ما نزل بالأمم قبلهم فقال (ألم يروا) أي ألم يعلم هؤلاء الكفار (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) أي من أمة وكل طبقة مقترنين في وقت قرن (مكناهم في الأرض مالم نمكن لكم) معناه جعلناهم ملوكا وأغنياء كأنه سبحانه اخبر النبي عنهم في صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطكم والمعنى وسعنا عليهم في كثرة العبيد والأموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانتم تسمعون أخبارهم وترون ديارهم وآثارهم (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) قال ابن عباس يريد به الغيث والبركة والسماء معناه المطر هنا (وجعلنا الانهار) أي ماء الأنهار (تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيئا لما طغوا واجترأوا علينا (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) اي خلقنا من بعد هلاكهم جماعة اخرى وفي هذه الآية دلالة على وجوب التفكر والتدبر واحتجاج على منكري البعث بأن من اهلك من قبلهم وأنشأ قوما آخرين قادر على ان يفني العالم وينشئ عالما آخر ويعيد الخلق بعد الافناء

قوله تعالى (٧) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ آية

﴿ النزول ﴾

نزلت في نضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله عن الكلبي

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن عنادهم فقال (ولو نزلنا عليك) يا محمد (كتابا في قرطاس) اي كتابة في صحيفة وأراد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء الى الأرض عن ابن عباس (فلمسوه بأيديهم) فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم عن قتادة وغيره قالوا اللمس باليد ابلغ في الاحساس من المعاينة ولذلك قال فلمسوه بايديهم دون ان يقول فعاينوه (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) اخبر سبحانه انهم يدفعون الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة على ما يقوله اهل العدل في اللطف لأنه تعالى بيّن انه انما لم يفعل ماسألوه حيث علم انهم لا يؤمنون عنده

قوله تعالى (٨) لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٩) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (١٠) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ثلاث آيات

اللغة

قال الزجاج قضي في اللغة على ضروب كلها يرجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة عند قوله اذا قضى امراً فإنما يقول له كن فيكون يقال لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس من ادراك الشيء بما هو كالستر له واصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لانه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لباسا ولبسا والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا بفتح الياء

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا (لولا) اي هلا (انزل عليه) اي على محمد (ملك) نشاهده فنصدقه ثم اخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال (ولو انزلنا ملكا) على ما اقترحوه لما آمنوا به واقتضت الحكمة استئصالهم وان لا ينظرهم ولا يمهلهم وذلك معنى قوله (لقضي الامر ثم لا ينظرون) اي لأهلكوا بعذاب الاستئصال عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه لو انزلنا ملكا في صورته لقامت الساعة أووجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال تعالى (ولو جعلناه ملكا) أي لو جعلنا الرسول ملكا أو الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك (لجعلناه رجلا) لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن اعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الإنس وكان جبرائيل يأتي النبي (ص) في صورة دحية الكلبي وكذلك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وإتيانهم ابراهيم ولوطا في صورة الضيفان من الآدميين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفتهم في أمر النبي فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكا فراووه الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم اي فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه

لا يزيدهم بيانا بل يكون الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو انزلنا ملكا لما عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فيبقون في اللبس الذي كانوا فيه فاضاف اللبس الى نفسه لأنه يقع عند انزاله الملائكة ثم قال سبحانه على سبيل التسلية لنبيه من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به (ولقد استهزئ برسل من قبلك) يقول لقد استهزأت الأمم الماضية برسلها كما استهزأ بك قومك فلست بأول رسول استهزئ به ولا هم اول امة استهزأت برسولها (فحاق بالذين سخروا منهم) اي فحل بالساخرين منهم (ما كانوا به يستهزؤن) من وعيد انبيائهم بعاجل العقاب في الدنيا وقيل معنى حاق بهم احاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج اي احاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف اذا جعلت ما في قوله ما كانوا به يستهزؤن عبارة عن القرآن والشريعة وان جعلت ما عبارة عن العذاب الذي كان يوعدهم به النبي ان لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي كانوا يسخرون من وقوعه

قوله تعالى (١١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٢) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٣) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاث آيات)

الاعراب

قال الأخفش الذين خسروا انفسهم بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لأن ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا انفسهم وغيرهم قال واللام في ليجمعنكم لام قسم فجائز أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسراً لها لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بأنه يمهلهم الى يوم القيامة ليتوبوا

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (سيروا في الارض) أي سافروا فيها (ثم انظروا) والنظر طلب الادراك بالبصر وبالفكر وبالاستدلال ومعناه هنا فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم (كيف كان عاقبة المكذبين) المستهزئين وانما امرهم بذلك لأن ديار المكذبين من الامم السالفة كانت باقية واخبارهم في الخسف والهلاك كانت شائعة فإذا سار هؤلاء في الارض وسمعوا اخبارهم وعاينوا آثارهم دعاهم ذلك الى الإيمان وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال قل يا محمد لهؤلاء الكفار (لمن ما في السماوات والأرض) الله الذي خلقها ام الاصنام فإن اجابوك فقالوا لله والا (فقل) انت (لله) اي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له (كتب على نفسه الرحمة) اي اوجب على نفسه الإنعام على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل اوجب على نفسه الرحمة بانظاره عباده وامهاله اياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن معاصيهم وقيل اوجب على نفسه الرحمة لأمة محمد بأن لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الأمم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيامة

عن الكلبي (ليجمعنكم الى يوم القيامة) اي ليؤخرن جمعكم الى يوم القيامة فيكون تفسيراً للرحمة على ماذكرناه ان المراد به امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور ويقول ليجمعنكم الى اليوم الذي انكرتموه كما تقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء اي ضممت بينهم في الجمع يريد يجمع آخركم الى اولكم قرنا بعد قرن (الى يوم القيامة) وهو الذي (لا ريب فيه) وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين (الذين خسروا انفسهم) الى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به عن الاخفش ويسأل عن هذا فيقال كيف يحذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الالزام وايضا فانه تعالى انما ذكر ذلك عقيب الدليل ويقال كيف نفى الريب مطلقا فقال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضا فإن الدلائل تزيل الشك والريب فإن نعم الدنيا تعم المحسن والمسيء فلا بد من دار يتميز فيه المحسن من المسيء وايضا فقد صح ان التكليف تعريض للثواب واذا لم يمكن ايصال الثواب في الدنيا لأن من شأنه ان يكون صافيا من الشوائب فلا يكون مقترنا بالتكليف لأن التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فإن التمكين من الظلم من غير انتصاف في العاجل وانزال الامراض من غير استحقاق ولا ايفاء عوض في العاجل توجب قضية العقل في ذلك ان يكون دار اخرى توفى فيها الاعواض وينتصف من المظلوم للظالم (الذين خسروا انفسهم) اي اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد (فهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عقبه بذكر ما فيهما فقال (وله ما سكن) اي وله كل متمكن ساكن (في الليل والنهار) خلقا وملكا وملكا وانما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السماوات والارض فيما قبل لأن الاول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكأنه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الآية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اي يحله وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لانه اعم واكثر ولأن عاقبة التحرك السكون ولأن النعمة في السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتقديره وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء وتحذف الآخر لأن المذكور ينبه على المحذوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمراد الحر والبرد ومتى قيل لماذا ذكر السكون والحركة من بين سائر المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لأن كل جسم لا ينفك من الحوادث التي هي الحركة والسكون فإذاً لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز ولما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفته فقال (وهو السميع العليم) والسميع هو الذي على صفة يصح لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا آفة به ولذلك يوصف به فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوه التدابير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وانما جعل الليل والنهار في هذه الآية كالمسكن لما اشتملا عليه لأنه ليس يخرج منهما شيء فجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت ان المنتأى عنك واسع

فجعل الليل مدركا له اذ كان مشتملا عليه

قوله تعالى (١٤) قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فاطِرِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٥) قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (آيتان)

القراءة

روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يطعم بفتح الياء ومعناه ولا يأكل

اللغة

الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احتكم إلي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأت حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا السماء انفطرت اي انشقت قال الزجاج فإن قال قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل انهما يرجعان الى شيء واحد لأن معنى فطرهما خلقهما خلقاً قاطعاً

الاعراب

غير نصب لأنه مفعول اتخذ وليا مفعول ثان وقوله إن عصيت ربي فيه وجهان احدهما انه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فعلى هذا لا موضع له من الاعراب والآخر انه في موضع نصب على الحال فكأنه قيل اني اخاف عاصياً ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفا على الوجهين جميعا

النزول

قيل ان اهل مكة قالوا لرسول الله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا انه لا يحملك على ذلك الا الفقر فإنا نجمع لك من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الآية

المعنى

(قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم (اغير الله اتخذ وليا) اي مالكا ومولى وولي الشيء مالكه الذي هو اولى به من غيره والمعنى لا اتخذ غير الله وليا الا ان اخراجه على لفظ الاستفهام ابلغ من سائر الفاظ النفي (فاطر السموات والارض) اي خالقهما ومنشئهما من غير احتذاء على مثال (وهو يطعم ولا يطعم) اي يرزق ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه أحد وقيل انما ذكر الإطعام لأن حاجة العباد اليه اشد ولأن نفيه عن الله ادل على نفي شبهه بالمخلوقين لأن الحاجة الى الطعام لا تجوز الا على الاجسام واحتج سبحانه بهذا على الكفار لأن من خلق السماوات والارض وانشأ ما فيهما واحكم تدبيرهما واطعم من فيهما وهم فقراء اليه معلوم انه الذي ليس كمثله شيء وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد غيره (قل) يا محمد (اني امرت) اي امرني ربي (أن اكون اول من اسلم) اي استسلم لأمر الله ورضي بحكمه وقيل معناه امرت ان اكون اول من أخلص العبادة من اهل هذا الزمان عن الكلبي وقيل اول من اسلم من امتي وآمن بعد الفترة عن الحسن وانما كان اول لأنه خص بالوحي وقيل معناه ان اكون أول من خضع وآمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين اي بأنك لا ترى ممن سألك ان تريه نفسك وقول السحرة انا نطمع

ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بأن هذا ليس بسحر وانه الحق اي اول المؤمنين من السحرة (ولا تكونن من المشركين) المعنى امرت بالامرين جميعا اي امرت بالايمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار امرت بدلا من ذلك لأنه حين قال امرت اخبر انه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن معطوف على ما قبله في المعنى (قل) يا محمد (اني اخاف) قيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف (ان عصيت ربي) بترك امره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليا (عذاب يوم عظيم) يعني يوم القيامة ومعنى العظيم هنا انه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم

قوله تعالى (١٦) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ آية

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء وكسر الراء الباقون يصرف بضم الياء وفتح الراء

الحجة

قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العائد الى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العائد الى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك في قراءة ابي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لأن من جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير إنما يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو أهذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى اي بعثهم واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف هنا الى موصول ولا الى من التي للجزاء وإنما يرجع الى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لأن هذا فعل واحد قد تكرر وعدي الأول منهما الى المفعول فعلم بتعدية الأول ان الثاني بمنزلته وأما قراءة من قرأ يصرف فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذكر العائد الى المبتدأ الذي هو من في القراءتين جميعا الضمير الذي في عنه ومما يقوي قراءة من قرأ يصرف بفتح الياء ان ما بعده من قوله فقد رحمه مسند الى ضمير إسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الإسناد الى هذا الضمير ومما يقوي ذلك ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه في أنه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حسن حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة

المعنى

(من يصرف) العذاب (عنه يومئذ فقد رحمه) الله يريد من غفر له فإنه يثيبه الله لا محالة وذكر سبحانه الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط (وذلك الفوز) اي الظفر بالبغية (المبين) الظاهر المبين ويحتمل ان يكون معنى الآية انه لا يصرف العذاب عن أحد الا برحمة الله كما روي ان النبي (ص) قال والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق رأسه وطول بها صوته رواه الحسن في تفسيره

قوله تعالى (١٧) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٨) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ آيتان

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه لا يملك النفع والضر الا هو فقال (وان يمسسك الله بضر) اي ان يمسك بفقر او مرض او مكروه (فلا كاشف له الا هو) اي لا مزيل ولا مفرج له عنك الا هو ولا يملك كشفه سواه مما يعبده المشركون (وان يمسسك بخير) اي وان يصيبك بغنى او سعة في الرزق او صحة في البدن او شيء من محاب الدنيا (فهو على كل شيء) من الخير والضر (قدير) ولا يقدر احد على دفع ما يريده لعباده من مكروه او محبوب فإن قيل ان المس من صفات الاجسام فكيف قال ان يمسسك الله قلنا الباء للتعدية والمراد ان امسك الله ضراً اي جعل الضر يمسك فالفعل للضر وان كان في الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكاره كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به (وهو القاهر) ومعناه القادر على ان يقهر غيره (فوق عباده) معنى فوق ههنا قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك منه احد ومثله قوله تعالى يد الله فوق ايديهم يريد انه اقوى منهم (وهو الحكيم الخبير) معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والخبير العالم بالشيء وتأويله انه العالم بما يصح ان يخبر به والخبر علمك بالشيء تقول لي به خبر اي علم واصله من الخبر لانه طريق من طرق العلم فاذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صح وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهرا الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه فيما لم يزل به

قوله تعالى (۱۹) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (۲۰) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ آيتان

— الاعراب —

شهادة نصب على التمييز ومن بلغ في محل نصب بالانذار والعائد الى الموصول محذوف وائنكم كتب بالياء لأن الهمزة التي قبلها همزة تخفيف بأن تجعل بين بين فإذا كانت مكسورة تجعل بين الهمزة والياء فكتبت بالياء الذين آتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا انفسهم رفع بكونه نعتا للذين الاولى ويجوز ان يكون رفعا بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره

﴿ النزول ﴾

قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله (ص) فقالوا اما وجد الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك فيما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله تعالى هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (اي شيء اكبر) اي اعظم (شهادة) واصدق حتى آتيكم به وادلكم بذلك على اني صادق وقيل معناه اي شيء اكبر شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ وعليكم بالتكذيب عن الجبائي وقيل

معناه اي شيء اعظم حجة واصدق شهادة عن ابن عباس فإن قالوا الله والا فقل لهم (الله شهيد بيني وبينكم) يشهد لي بالرسالة والنبوة وقيل معناه يشهد لي بتبليغ الرسالة اليكم وتكذيبكم اياي (وأوحي إلي هذا القرآن) اي انزل إلي حجة او شهادة على صدقي (لانذركم به) اي لأخوفكم به من عذاب الله تعالى (ومن بلغ) اي ولا خوف به من بلغه القرآن الى يوم القيامة وروى الحسن في تفسيره عن النبي (ص) انه قال من بلغه أني ادعو الى ان لا إله الا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً و سمع منه وقال مجاهد حيث ما يأتي القرآن فهو داعٍ ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير العياشي قال ابو جعفر وابو عبد الله (ع) من بلغ معناه من بلغ ان يكون إماما من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما انذر به رسول الله (ص) وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفاً على الضمير في أنذر وفي الآية دلالة على ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئا لأن قوله قل أي شيء أكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشيء إنه ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فالله سبحانه شيء لا كالأشياء بمعنى انه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والأعراض والاشتراك في الإسم لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على انه خاتم الأنبياء ومبعوث الى الناس كافة ثم قال سبحانه موبخاً لهم قل يا محمد لهم(أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى) هذا إستفهام معناه الجحد والإنكار وتقديره كيف تشهدون ان مع الله آلهة اخرى بعد وضوح الأدلة وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وإنما قال أخرى ولم يقل اخر لأن الآلهة جمع والجمع موءنث فهو كقوله ولله الأسماء الحسنى وقوله فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ثم قال سبحانه لنبيه (قل) انت يا محمد (لا أشهد) بمثل ذلك وان شهدتم بإثبات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين لدعوى المدعي ثم قال (قل) يا محمد لمن شهد ان معه آلهة اخرى(إنما هو إله واحد وأنني بريء مما تشركون) به وبعبادته من الأوثان وغيرها ولهذا قال أهل العلم يستحب لمن أسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى الإسلام ثم ذكر سبحانه ان الكفار بين جاهل ومعاند فقال (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وهذ مفسر في سورة البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يوءمنون) مفسر في هذه السورة فإن حملته على أنه صفة للذين الأولى فالمعني به أهل الكتاب وان حملته على الابتداء فإنه يتناول جميع الكفار وقال ابو حمزة الثمالي لما قدم النبي (ص) المدينة قال عمر لعبد الله ابن سلام أن الله تعالى أنزل على نبيه (ص) ان أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام نعرف نبي الله بالنعت الذي نعته الله إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه اذا رآه بين الغلمان وايم الله الذي يحلف به ابن سلام لأنا بمحمد أشد معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا فاشهد انه هو فأما ابني فإني لا ادري ما أحدثت أمه فقال قد وفقت وصدقت وأصبت

قوله تعالى (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ آيتان

﴿ القراءة ﴾

ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي سبأ وقرئ في سائر القرآن بالنون وقرأ حفص هنا وفي يونس بالنون وفي سائر القرآن بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء وفي سائر القرآن بالنون وقرأ الباقون بالنون في جميع القرآن

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء رده الى الله في قوله على الله كذبا ومن قرأ بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون

﴿ الاعراب ﴾

يوم نحشرهم العامل فيه محذوف على معنى واذكر يوم نحشرهم وقيل إنه معطوف على محذوف كأنه قيل لا يفلح الظالمون أبدا ويوم نحشرهم والعائد الى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون انهم شركاء او تزعمونهم شركاء فحذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام وحالة السؤال عليه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالإشراك فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) معناه ومن أكفر ممن اختلق على الله كذبا فأشرك به الآلهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد أي لا أحد أظلم منه لأن جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه او كذب بآياته اي بالقرآن او بمحمد ومعجزاته (انه لا يفلح الظالمون) اي لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم ههنا هو الكافر بنبوة محمد (ص) المكذب بآياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية على نبوته (ويوم نحشرهم جميعا) عنى بهم من تقدم ذكرهم من الكفار لأنه سبحانه يحشرهم يوم القيامة من قبورهم الى موضع الحساب (ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) اختلف في وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين اذا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سئلتم فقولوا انا موحدون فلما جمعهم الله قال لهم اين شركاؤكم ليعلموا ان الله يعرف انهم أشركوا به في دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيامة أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم توبيخا لهم وتبكيتا على ما كانوا يدعونه عن اكثر المفسرين وإنما أضاف الشركاء اليهم لأنهم اتخذوها لأنفسهم ومعنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر وعلى اثبات المعاد وحشر جميع الخلق

قوله تعالى (٢٣) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٤) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عاصم وابن عامر وحفص ثم لم تكن بالتاء ايضا فتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف والله ربنا بالنصب وقرأ الباقون بالجر

﴿ الحجة ﴾

من قرأ تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فإنه أنث ان قالوا لما كان القول الفتنة في المعنى كما قال فله عشر أمثالها

فأنث الامثال لما كانت في المعنى الحسنات ومما جاء في الشعر قول لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عودت اقدامها

فأنث الاقدام لما كانت العادة في المعنى قال الزجاج ويجوز ان يكون تاويل إلاان قالوا الا مقالتهم ومن قرأ لم تكن بالتاء فتنتهم رفعا اثبت علامة التأنيث في الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة يكون قوله الاان قالوا في موضع نصب بكونه خبركان ومن قرأ لم يكن بالياء فتنتهم نصبا فعلى ان قوله ان قالوا اسم كان والاولى والاقوى ان يكون فتنتهم نصبا وان قالوا الاسم لأن ان اذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر فكما ان المضمر اذا كان مع المظهر كان ان يكون المضمر الاسم احسن فكذلك ان اذا كانت مع اسم غيرها كانت ان يكون الاسم اولى واما من قرأ والله ربنا فانه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد ومثل ذلك رأيت زيدا صاحبنا وقوله ما كنا مشركين جواب للقسم ومن قرأ ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالنداء بين الصلة والموصول لكثرة النداء في الكلام وذلك مثل قول الشاعر

ذاك الذي وابيك يعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل

ويجوز ان يكون نصبه على المدح بمعنى اعني ربنا واذكر ربنا

اللغة

قال الازهري جماع الفتنة في كلام العرب الامتحان مأخوذ من قولك فتنت الذهب والفضة اذا اذبتهما بالنار واحرقتهما وقد فتن الرجل بالمرأة وافتتن وقد فتنته المرأة وافتنته قال الشاعر

لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت عقيلا فامسى قد قلا كل مسلم

الإعراب

العامل في كيف قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل فيه انظر لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله

المعنى

ثم بين سبحانه جواب القوم عند توجه التوبيخ اليهم فقال (ثم لم تكن فتنتهم) اختلف في معنى الفتنة هنا على وجوه احدها ان معناها ثم لم يكن جوابهم لانهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار الا هذا القول وثانيها ان المراد لم يكن معذرتهم (الا ان قالوا) عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وهذا راجع الى معنى الجواب (ايضا) وثالثها ما قاله الزجاج ان تأويله حسن لطيف لا يعرفه الا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك والله عز وجل ذكر في هذه الاقاصيص التي جرت من امر المشركين وانهم مفتتنون بشركهم ثم اعلم انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرأوا منه وانتفوا منه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا يحب غاويا فإذا وقع في هلكة تبرأ منه فتقول له ما كانت محبتك فلانا الا ان افتتنت منه فالفتنة هاهنا بمعنى الشرك والافتتان بالاوثان ويؤيد ذلك ما رواه عطا عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التأويل يرجع الى حذف المضاف لأن المعنى لم يكن عاقبة فتنتهم الا البراءة منها بقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) ويسأل فيقال كيف يجوز ان يكذبوا في الآخرة ويحلفوا على الكذب والدار ليست بدار تكليف وكل الناس ملجؤون فيها الى ترك القبيح لمشاهدة الحقائق وزوال عوارض الشبه والشكوك ولمعرفتهم بالله سبحانه ضرورة والجواب ان معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان

المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الآخرة فعلى هذا يكون قولهم وحلفهم يقعان على وجه الصدق وقيل ايضا انهم انما يحلفون على ذلك لزوال عقولهم بما يلحقهم من الدهشة من اهوال القيامة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون ويجوز ان ينسوا اشراكهم في الدنيا بما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الاهوال (انظر) المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء انظر يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) وهذا وان كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجيب منهم ومعناه انظر الى اخباري عن افترائهم كيف هو فإنه لا يمكن النظر الى ما يوجد في الآخرة وانما كذبهم الله سبحانه في قولهم وان كانوا صادقين عند انفسهم لأن الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به علم المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذبا في الحقيقة جاز ان يقال كذبوا على انفسهم وقيل معناه انظر كيف كذبوا على انفسهم في دار الدنيا لا انهم كذبوا في الآخرة لأنهم كانوا مشركين على الحقيقة وان اعتقدوا انهم على الحق عن الجبائي (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اي ضلت منهم اوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله غدا فذهبت عنهم في الآخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل انه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى انها تضل عن عابديها يوم القيامة ولا تغني عنهم شيئا واختلف اهل العدل في ان اهل الآخرة هل يجوز ان يقع منهم الكذب فالأصح انه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش والحيرة في القيامة فإذا استقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فحينئذ لا يجوز ان يقع منهم القبيح والكذب ويكون جميعهم ملجئين الى ترك القبيح وبه قال ابو بكر بن الاخشيد واصحابه وقال بعضهم انه يجوز وقوعه منهم على جميع الاحوال

قوله تعالى (٢٥) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آية

❋ اللغة ❋

الأكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره مثل عنان وأعنة قال الليث كل شيء وقى شيئا فهو كنانه وكنه والفعل منه كننت وأكننت والكنة امرأة الابن او الأخ لأنها في كنه واستكن الرجل من الحر واكتن استتر والوقر الثقل في الأذن والوقر بكسر الواو الحمل قال ابو زيد وقرت أذنه توقر وقرا وقال الكسائي وقرت أذنه فهي موقورة قال الشاعر

وكلام سيء قد وقرت أذني منه وما بي من صمم

واساطير واحدتها اسطورة واسطارة مأخوذ من سطر الكتاب وهو سطر وسطر فمن قال سطر جمعه اسطارا ومن قال سطر فجمعه في القليل اسطر والكثير سطور وقال رؤبة

اني واسطار سطرن سطرا لقائل يا نصر نصراً نصرا

وجمع اسطار أساطير قال الزجاج وتأويل السطر في اللغة ان تجعل شيئا ممتدا مؤلفا وقال الاخفش اساطير جمع لا واحد له نحو أبابيل ومذاكير وقال بعضهم واحد الأبابيل إبيل بالتشديد وكسر الألف والجدال الخصومة سمي بذلك لشدته وقيل انه مشتق من الجدالة وهي الأرض لأن احدهما يلقي صاحبه على الارض

❋ الإعراب ❋

ان يفقهوه موضعه نصب على انه مفعول له المعنى لكراهة ان يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها الى ان قاله الزجاج يريد انه حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجادلونك في

موضع نصب على الحال

النزول

قيل ان نفرا من مشركي مكة منهم النضر بن الحارث وابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وغيرهم جلسوا الى رسول الله (ص) وهو يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية فأنزل الله هذه الآية

المعنى

ثم وصف الله سبحانه حالهم عند استماع القرآن فقال (ومنهم) اي ومن الكفار الذين تقدم ذكرهم (من يستمع اليك) يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعني قريشا (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) قد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضي ابو عاصم العامري أصح الأقوال فيه ما روي ان النبي (ص) كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن به فكان المشركون اذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم او يجعل في قلوبهم أكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجة وتنقطع به المعذرة وبعد ما علم الله سبحانه انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فشبه القاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم وبوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء وهذا معنى قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وهو قول ابي علي الجبائي ويحتمل ذلك وجها آخر وهو انه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم انهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من ان يفهموا ما يسمعونه ويحتمل ايضا ان يكون سمى الكفر الذي في قلوبهم كنا تشبيها ومجازا واعراضهم عن تفهم القرآن وقرا توسعا لأن مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم كما لا يحصلان مع الكن والوقر ونسب ذلك الى نفسه لأنه الذي شبه أحدهما بالآخر كما يقول احدنا لغيره اذا اثنى على انسان وذكر مناقبه جعلته فاضلا وبالضد إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول جعلته فاسقا وكما يقال جعل القاضي فلانا عدلا و كل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والإبانة عن حاله كما قال الشاعر

جعلتني باخلا كلا ورب منى ... اني لأسمح كفا منك في اللزب

ومعناه سميتني باخلا (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يريد وان يروا كل عبرة لم يصدقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه وان يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو اجرى معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لأن من لا يمكنه ان يسمع ويفقه لا يجوز ان يوصف بذلك وكان لا يصح ان يصفهم بأنهم كذبوا بآياته وغفلوا عنها وهم ممنوعون عن ذلك والذي يزيل الإشكال انه تعالى قال في وصف بعض الكفار واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها الآية ولو كان في أذنيه وقر مانع عن السماع مزيل للقدرة لكان لا معنى لقوله كأن في أذنيه وقرا ولكان لا يستحق المذمة لأنه لم يعط آلة السمع فكيف يذم على ترك السمع (حتى إذا جاؤك يجادلونك) يعني انهم اذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مجيء مخاصمين مجادلين رادين عليك قولك ولم يجيئوا مجيء من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوة نبيه (يقول الذين كفروا ان هذا) اي ما هذا القرآن (الا أساطير الأولين) اي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها عن الضحاك وقيل معنى الأساطير الترهات والبسابس مثل حديث رستم واسفنديار وغيره مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم ان جدالهم هذا القول منهم هو مثل قولهم أتأكلون ما تقتلونه بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى

قوله تعالى (٢٦) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ آية

﴿ اللغة ﴾

النأي البعد يقال نأيت عنه أنأى نأيا ومنه اخذ النوئ وهو الحاجز حول البيت لئلا يدخله الماء

﴿ المعنى ﴾

ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وهم ينهون عنه وينئون عنه) اي ينهون الناس عن اتباع النبي (ص) ويتباعدون عنه فرارا منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والسدي وقيل معناه ينهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقع في قلوبهم صحته ويتباعدونهم عن استماعه عن قتادة ومجاهد واختاره الجبائي وقيل عنى به أبا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمنعون الناس عن أذى النبي (ص) ولا يتبعونه عن عطا ومقاتل وهذا لا يصح لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها وما تأخر عنها معطوف عليها وكلها في ذم الكفار المعاندين للنبي (ص) هذا وقد ثبت اجماع أهل البيت (ع) على إيمان ابي طالب واجماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي (ص) بالتمسك بهما بقوله ان تمسكتم بهما لن تضلوا ويدل على ذلك ايضا ما رواه ابن عمران أبا بكر جاء بأبيه ابي قحافه يوم الفتح الى رسول الله (ص) فأسلم فقال (ص) الا تركت الشيخ فأتيه وكان اعمى فقال ابو بكر أردت ان يأجره الله تعالى والذي بعثك بالحق لأنا كنت بإسلام ابي طالب أشد فرحا مني بإسلام ابي التمس بذلك قرة عينك فقال (ص) صدقت وروى الطبري بإسناده ان رؤساء قريش لما رأوا ذب ابي طالب عن النبي (ص) اجتمعوا عليه وقالوا جئناك بفتى قريش جمالا وجودا وشهامة عمارة بن الوليد تدفعه اليك وتدفع الينا ابن أخيك الذي فرق جماعتنا وسفه احلامنا فنقتله فقال ابو طالب ما انصفتموني تعطونني ابنكم فأغذوه واعطيكم ابني فتقتلونه بل فليأت كل امرئ منكم بولده فأقتله وقال

منعنا الرسول رسول المليك ... ببيض تلالا كلمع البروق

أذود واحمي رسول المليك ... حماية حام عليه شفيق

وأقواله واشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبيا كموسى خط في اول الكتب

أليس أبونا هاشم شد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالحرب

وقوله من قصيدة

وقالوا لأحمد انت امرؤ ... يخلوف اللسان ضعيف السبب

الا ان احمد قد جاءهم ... بحق ولم يأتهم بالكذب

وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي (ص)

وقد كان في امر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحق معرب

وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا ... على سخط من قومنا غير معتب

وقوله في قصيدة يحض أخاه حمزة على اتباع النبي والصبر في طاعته

صبراً ابا يعلى على دين احمد ... وكن مظهرا للدين وفقت صابرا

فقد سرني إذ قلت أنك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا

وقوله من قصيدة

أقيم على نصر النبي محمد اقاتل عنه بالقنا والقنابل

وقوله يحض النجاشي على نصر النبي

تعلم مليك الحبش أن محمدا وزير لموسى والمسيح بن مريم

أتى بهدى مثل الذي أتيا به وكل بأمر الله يهدي ويعصم

وإنكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لاحديث المرجم

فلا تجعلوا لله ندا واسلموا وان طريق الحق ليس بمظلم

وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة

اوصي بنصر النبي الخير مشهده علياً ابني وشيخ القوم عباسا

وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفرا أن يذودوا دونه الناسا

كونوا فدى لكم أمي وما ولدت في نصر احمد دون الناس اترسا

في أمثال هذه الأبيات مما هو موجود في قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على ان أبا طالب لم ينأ عن النبي (ص) قط بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعني بقوله وينأون عنه (وان يهلكون الا انفسهم) معناه ما يهلكون بنهيهم عن قبوله وبعدهم عنه الا انفسهم (وما يشعرون) اي وما يعلمون إهلاكهم اياها بذلك

قوله تعالى (٢٧) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٨) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ آيتان

القراءة

قرأ ولا نكذب ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرأ ابن عامر ونكون بالنصب وقرأ الباقون بالرفع فيهن

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على نرد فيكون قوله ولا نكذب ونكون داخلا في التمني دخول نرد فيه فعلى هذا تمنى الرد وان لا نكذب والكون من المؤمنين ويحتمل الرفع وجها آخر وهو ان تقطعه من الأول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لانكذب ونكون وقال سيبويه هو على قولك فإنا لا نكذب كما يقول القائل دعني ولا اعود اي فاني ممن لا يعود فإنما يسألك الترك وقد اوجب على نفسه ان لا يعود ترك او لم يترك ولم يرد ان يسألك ان تجمع له الترك وان لا يعود وحجة من نصب فقال ولا نكذب ونكون انه ادخل ذلك في التمني غير موجب لأن التمني غير موجب فهو كالاستفهام والأمر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا دخلت عليها الفاء او الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الأول كأنه في التمثيل ياليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا تكذب

ونصب ونكون فإن الفعل الذي هو لا نكذب يحتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون داخلا في التمني فيكون في المعنى كالنصب ﴿ والآخر ﴾ أن يخبر على البتات ان لا نكذب ردأو لم يرد ومن نصبها جميعا جعلهما داخلين في التمني

﴿ اللغة ﴾

يقال وقفت الدابة وقوفا ووقف غيره يقفه وقفا وحكي عن ابي عمرو انه اجاز ما اوقفك هاهنا مع اخباره انه لم يسمعه من العرب وبدا يبدو بدوا اذا ظهر وفلان ذو بدوات اذا بداله الرأي بعد الرأي وبدالي في هذا الأمر بداء والبداء لا يجوز على الله سبحانه لأنه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال

﴿ الاعراب ﴾

ولو ترى جوابه محذوف وتقديره لرأيت امرا هائلا ونحوه قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يريد لكان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الأمر وتفخيمه ومثله قول امرئ القيس

وجدتك لو شيء اتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

وتقديره لو اتانا رسول غيرك لما جئنا ويسأل فيقال لم جاز ولو ترى اذ وقفوا واذ هي للماضي والجواب ان الخبر لصحته وصدق المخبر به صار بمنزلة ما وقع

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيامة من الحسرة وتمني الرجعة فقال (ولو ترى) يا محمد او يا ايها السامع (اذ وقفوا على النار) فهذا يحتمل ثلاثة اوجه جائز ان يكون المعنى عاينوا النار وجائز ان يكونوا عليها وهي تحتهم قال الزجاج والأجود أن يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان يريد قد فهمته وتبينته وهذا وإن كان بلفظ المضي فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لأن كل ما هو كائن يوما ما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان وانشد في مثله

ستندم اذ يأتي عليك رعيلنا ... بأرعن جرار كثير صواهله

فوضع اذ موضع اذا وقد يوضع ايضا اذا موضع اذ كما قال الشاعر

وندمان يزيد الكأس طيبا ... سقيت اذا تعرضت النجوم

(فقالوا) اي فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا (يا ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا) اي بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده (ونكون من المؤمنين) يعني من جملة المؤمنين بآيات الله (بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل) اختلف فيه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فاظهره الله وشهدت به جوارحهم عن ابي روق ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه عنهم من امر البعث والنشور لأن المتصل بهذا قوله وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا الآية عن الزجاج وهو قول الحسن ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد و كل هذه الاقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتكت استارهم (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) اي لو ردوا الى الدنيا والى حال التكليف كما طلبوه لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب (وانهم لكاذبون) ويسأل على هذا فيقال ان التمني كيف يصح فيه الكذب وانما يقع الكذب في الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف الكذب الى غير الأمر الذي تمنوه وقال

ان معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الإصابة واعتقاد الحق او يكون المعنى انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بأنهم متى ردوا آمنوا وان كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل على غير الكذب الحقيقي بأن يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبك املك لمن تمنى أما لم يدرك وقال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ... بني شاب قرناها تصر وتحلب

وقال آخر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم

والمراد ما ذكرناه من الخيبة في الأمل والتمني فإن قيل كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه ﴿ احدها ﴾ انا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون جميع احكام الآخرة وانما نقول انهم يعرفون الله معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتمني للخلاص والدعاء للفرج فيجوز ان يقع منهم ذلك عن البلخي ﴿ وثانيها ﴾ أن التمني قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التمني على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله وتقضي وقته ﴿ وثالثها ﴾ انه لا مانع من ان يقع منهم التمني للرد ولأن يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا وهذا انما يساق في قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فإنا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فيكونون قد اخبروا بما علم الله انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وذكر ان ابا عمرو بن العلا استدل على قراءته بالرفع في الجميع بأن قوله وانهم لكاذبون فيه دلالة على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم ولم يتمنوه لأن التمني لا يقع فيه الكذب

قوله تعالى (٢٩) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (آيتان)

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال (وقالوا ان هي) اي ماهي (الا حياتنا الدنيا) عنوا بذلك انه لا حياة لنا في الآخرة وانما هي هذه التي حيينا بها في الدنيا (وما نحن بمبعوثين) اي لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال (ولو ترى) يا محمد (اذ وقفوا على ربهم) ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار الا وجها واحدا وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفته على كلام فلان اي عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار والثواب الذي يفعله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المعنى حبسوا على ربهم ينتظر بهم ما يأمرهم به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لما في ذلك من الفصاحة والإفصاح بالمعنى والتنبيه على عظم الأمر (قال) اي يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضي لأنه لتحققه كأنه واقع وقيل معناه تقول الملائكة لهم بأمر الله تعالى (اليس هذا بالحق) كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث قالوا اي فيقول هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين له (بلى) هو حق (وربنا) قسم ذكروه واكدوا اعترافهم به (قال) الله تعالى او الملك بأمره (فذوقوا العذاب

بما كنتم تكفرون) اي بكفركم وانما قال ذوقوا لأنهم في كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المذوق في شدة الاحساس من غير ان يصيروا الى حال من يشم بالطعام في نقصان الإدراك

قوله تعالى (٣١) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣٢) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ آيتان

القراءة

قرأ ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الإضافة والباقون بلامين ورفع الآخرة وقرأ اهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل افلا تعقلون بالتاء ههنا وفي الاعراف ويوسف و يس ووافقهم حفص الا في يس وحماد ويحيى عن ابي بكر في يوسف وقرأ الباقون جميع ذلك بالياء

الحجة

من قرأ وللدار الآخرة فلأن الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله وللآخرة خير لك من الأولى وان الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن اضاف دارا الى الآخرة لم يجعل الآخرة صفة للدار فإن الشيء لا يضاف الى نفسه لكنها جعلها صفة للساعة فكأنه قال ولدار الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال ابو علي انما حسن اضافة الدار الى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لأن الآخرة قد صارت كالأبطح والأبرق الا ترى انه قد جاء وللآخرة خير لك من الأولى فاستعملت استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الاسماء ومثل الآخرة في انها استعملت استعمال الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قوله «في سعي دنيا طال ما قد مدت» واما وجه القراءة بالياء في افلا يعقلون فهو أنه قد تقدم ذكر الغيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء انه يصلح ان تكون خطابا متوجها اليهم ويصلح ان يكون المراد الغيب والمخاطبون فيغلب الخطاب

اللغة

كل شيء اتى فجاءة فقد بغت يقال بغته الامر يبغته بغتة قال الشاعر

ولكنهم باتوا ولم اخش بغتة واقطع شيء حين يفجاك البغت

والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير واصله التقديم والإفراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في العجز والتقصير والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كأنه يعتصم الملك به ومثله قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي ويزرون يفعلون من وزر يزر وزراً اذا أثم وقيل وزر فهو موزور اذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة قتيل لهن ارجعن موزورات غير مأجورات والعامة تقول مأزورات والعقل والنهى والحجى متقاربة المعنى فالعقل الإمساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها عن الحسن قال الاصمعي وبالدهناء خبراء يقال له معقلة قال وتراها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن والنهي لا يخلو أن يكون مصدراً كالهدي او جمعا كالظلم وهو في معنى ثبات وحبس ومنه النهي والتنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستنقع فيه لتسفله ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسيح على وجه الأرض والحجى اصله من

الحجو وهو احتباس وتمكث قال «فهن يعكفن به اذا حجا» وحجيت بالشيء وتحجيت به يهمز ولا يهمز اي تمسكت عن الأزهري قال ابو علي فكأن الحجى مصدر كالشبع ومن هذا الباب الحجيا للغز لتمكث الذي يلقى عليه حتى يستخرجه

الاعراب

يقال مامعنى الغاية في قوله حتى اذا جاءتهم الساعة وما عامل الاعراب فيها والجواب ان معناها منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيامة والعامل فيها كذبوا اي كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فندموا حيث لا ينفعهم الندامة ويقال مامعنى دعاء الحسرة وهي مما لا يعقل والجواب ان العرب اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن امر عظيم تقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله ياحسرة على العباد وقوله ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ويلتى أألد وهذا ابلغ من ان تقول انا اتحسر على التفريط قاله الزجاج وقال سيبويه انك اذ قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر وتعال يا عجب فإنه من ازمانك وتأويل يا حسرتاه انتبهوا على اننا قد حسرنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبيها على عظم شأنها وقيل انها بمنزلة الاستغاثة فكأنه قيل يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك كما يقال يا للعجب وقوله ساء ما يزرون تقديره بئس الشيء شيء يزرونه وقد ذكرنا عمل نعم وبئس فيما مضى

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) يعني بلقاء ما وعد الله به من الثواب والعقاب وجعل لقائهم لذلك لقاء له تعالى مجازا عن ابن عباس والحسن وقيل المراد بلقاء جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله اي لقي جزاء عمله ونظيره الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ماوعدوه (حتى اذا جاءتهم الساعة) اي القيامة (بغتة) اي فجأة من غير ان علموا وقتها (قالوا) عند معاينة ذلك اليوم واهواله وتباين احوال اهل الثواب والعقاب (يا حسرتنا على مافرطنا فيها) اي على ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم اعمال الآخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود الى الساعة عن الحسن والمعنى على مافرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها وقيل ان الهاء يعود الى الجنة أي في طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه الأعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي (ص) في هذه الآية قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون ياحسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء يعود الى الصفقة لأنه لما ذكر الخسران دل على الصفقة ويجوز ان يكون الهاء يعود الى معنى ما في قوله مافرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها فعلى هذا الوجه يكون ما موصولة بمعنى الذي وعلى الوجوه المتقدمة يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تفريطنا (وهم يحملون اوزارهم) اي اثقال ذنوبهم (على ظهورهم) وقال ابن عباس يريد آثامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة واطيبه ريحا فيقول انا عملك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبح شيء صورة واخبثه ريحا فيقول انا عملك السيء طال ما ركبتني في الدنيا فانا اركبك اليوم وذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج هذا مثل جائز ان يكون جعل ماينالهم من العذاب بمنزلة اثقل مايحمل لأن الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال ايضا كما تقول ثقل علي خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة

اشتدت علي فعلى هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا تزايلهم والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر باولكم آخركم (الا ساء ما يزرون) إي بئس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم السيئة اذ كان ذلك عذابا ونكالا ثم رد عليهم قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا وبين سبحانه ان ما يتمتع به من الدنيا يزول ويبيد فقال (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) اي باطل وغرور اذالم يجعل ذلك طريقا الى الآخرة وانما عنى بالحياة الدنيا اعمال الدنيا لأن نفس الدنيا لا توصف باللعب وما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف به ايضا لأن اللعب ما لا يعقب نفعا واللهو ما يصرف من الجد الى الهزل وهذا انما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب واللهو ان الحياة تنقضي وتفنى ولا تبقى فتكون لذة فانية عن قريب كاللعب واللهو (وللدار الآخرة) ومافيها من انواع النعيم والجنان (خير للذين يتقون) معاصي الله لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها (افلا تعقلون) ان ذلك كما وصف لهم فيزهدوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا ما يؤديهم الى ذلك من الاعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرموا من متاع الدنيا وتقريع للاغنياء اذا ركنوا الى حطامها ولم يعملوا لغيرها

قوله تعالى (٣٣) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٤) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ آيتان

القراءة

قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاي والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الزاي وقرأ نافع والكسائي والاعشى عن أبي بكر لا يكذبونك خفيف وهو قراءة علي (ع) والمروي عن جعفر الصادق (ع) والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد

الحجة

قال ابو علي قال سيبويه قالوا حزن الرجل وحزنته وزعم الخليل إنك حيث تقول حزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا كما انك حيث قلت أدخلته أردت جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا ولم ترد بفعلته هنا تعدي قوله حزن ولو أردت ذلك لقلت احزنته وحجة نافع إنه أراد ان يعدي حزن فنقله بالهمزة والاستعمال في حزنته أكثر منه في أحزنته فإلى كثرة الإستعمال ذهب عامة القراء وأما قوله يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنيته وفسقته نسبته الى الزنا والفسق وقد جاء في هذا المعنى أفعلته قالوا اسقيته أي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة

وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني احجاره وملاعبه

فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا ويجوز ان يكون لا يكذبونك أي لا يصادفونك كاذبا كما تقول أحمدته اذا أصبته محمودا ويدل على الوجه الأول قول الكميت

وطائفة قد أكفرتني بحبكم وطائفة قالت مسيئ ومذنب

اي نسبتني الى الكفر قال احمد بن يحيى كان الكسائي يحكي عن العرب أكذبت الرجل اذا اخبرت أنه جاء بكذب وكذبته اذا اخبرت أنه كذاب

﴿ المعنى ﴾

ثم سلى سبحانه نبيه (ص) على تكذيبهم إياه بعد إقامة الحجة عليهم فقال (قد نعلم) نحن يا محمد (انه ليحزنك الذي يقولون) اي ما يقولون إنك شاعر او مجنون واشباه ذلك (فإنهم لا يكذبونك) دخلت الفاء في انهم لأن الكلام الأول يقتضيه كأنه قيل اذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم انهم لا يكذبونك واختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بأفواههم التكذيب عنادا وهو قول اكثر المفسرين عن ابي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد أنهم يعلمون انك رسول الله ولكن يجحدون بعد المعرفة ويشهد لهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله (ص) لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لأعلم انه صادق ولكنا متى كنا تبعا لعبد مناف فانزل الله هذه الآية وقال السدي التقى اخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له يا ابا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي (ع) إنه كان يقرء لا يكذبونك ويقول ان المراد بها إنهم لا يأتون بحق هو أحق من حقك ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد لا يصادفونك كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما أجبناكم اي ما أصبناكم جبناء قال الاعشى

اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

أراد صادف منها خلف الوعد وقال ذو الرمة

تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس افتق ثم زالا

اي وجد فتقا من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن أفعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وأفعلت هو الأصل فيه ثم يشدد تأكيدا مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظمت الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد لا ينسبونك الى الكذب فيما أتيت به لأنك كنت عندهم أمينا صدوقا وإنما يدفعون ما أتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ويقوي هذا الوجه قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وماروي ان ابا جهل قال للنبي (ص) ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نتهم الذي جئت به ونكذبه ﴿ وخامسها ﴾ ان المراد انهم لا يكذبونك بل يكذبونني فإن تكذيبك راجع الي ولست مختصا به لأنك رسول الله فمن رد عليك فقد رد علي ومن كذبك فقد كذبني وذلك تسلية منه سبحانه للنبي (ص) وقوله (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) اي بالقرآن والمعجزات يجحدون بغير حجة سفها وجهلا وعنادا ودخلت الباء في بآيات الله والجحد يتعدى بغير الجار والمجرور لأن معناه هنا التكذيب اي يكذبون بآيات الله وقال

ابو علي الباء تتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين برد آيات الله او إنكار آيات الله يجحدون ما عرفوه من صدقك وأمانتك ومثله قوله سبحانه وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اي ظلموا بردها اوالكفر بها ثم زاد سبحانهُ في تسلية نبيهِ (ص) بقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) اي صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب والأذى في اداء الرسالة (حتى أتاهم) جاءهم (نصرنا) اياهم على المكذبين وهذا أمر منه سبحانه لنبيهِ (ص) بالصبر على كفار قومهِ الى ان يأتيه النصر كما صبرت الأنبياء (ولا مبدل لكلمات الله) معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على إخلاف وعده وان ما أخبر الله بهِ ان يفعل بالكفار فلا بد من كونهِ لا محالة وما وعدك به من نصره فلا بد من حصوله لأنه لا يجوز الكذب في اخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي وعكرمة يعني بكلمات الله الآيات التي وعد فيها نصر الانبياء نحو قوله كتب الله لأغلبن انا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) اي خبرهم في القرآن كيف انجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الاخفش من هاهنا صلة مزيدة كما تقول اصابنا من مطر اي مطر وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لأن من لا تزاد في الايجاب وإنما تزاد في النفي ومن هنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر يدل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبأ المرسلين نبأ فيكون المعنى إنه أخبره عليه وآله السلام ببعض اخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك

قوله تعالى (٣٥) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٦) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٧) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

اللغة

النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان آخر وأصله الخروج ومنه المنافق لخروجه من الإيمان الى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسلم الدرج وهو مأخوذ من السلامة قال الزجاج لأنه الذي يسلمك الى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جائبة خبر اي تجوب البلاد والفرق بين يستجيب ويجيب ان يستجيب فيه قبول لما دعي اليه وليس كذلك يجيب لأنه يجوز ان يجيب بالمخالفة كما ان السائل يقول أتوافق في هذا المذهب أم تخالف فيقول المجيب أخالف عن علي بن عيسى وقيل إن أجاب واستجاب بمعنى

الإعراب

جواب ان محذوف وتقديره ان استطعت ذلك فافعل قال الفراء وإنما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب الا ترى أنك تقول للرجل ان استطعت ان تتصدق ان رأيت ان تقوم معنا فتترك الجواب للمعرفة به فإذا قلت ان تقم تصب خيرا فلا بد من الجواب لأن معناه لا يعرف اذا طرح الجواب.

المعنى

ثم بين سبحانه ان هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطبا لنبيه (ص) (وان كان كبر) اي عظم واشتد (عليك إعراضهم) وانصرافهم عن الايمان وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك (فإن استطعت) اي قدرت وتهيأ لك (ان تبتغي) اي تطلب وتتخذ (نفقا في الأرض) اي سربا ومسكنا في جوف الأرض (او سلما) اي مصعدا (في السماء) ودرجا (فتأتيهم بآية) اي حجة تلجئهم الى الايمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فتأتيهم بآية أفضل مما آتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لآية أفضل وأظهر من ذلك (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بالالجاء وإنما أخبر عز اسمه عن كمال قدرته وانه لو شاء لألجأهم الى الايمان ولم يفعل ذلك لأنه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الآية انه سبحانه لا يشاء منهم ان يؤمنوا مختارين او لا يشاء ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين وإنما نفى المشيئة لما يلجئهم الى الايمان ليتبين ان الكفار لم يغلبوه بكفرهم فإنه لو أراد ان يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد ان يكون إيمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف (فلا تكونن من الجاهلين) قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل ان هذا نفي للجهل عنه اي لا تكن جاهلا بعد ان أتاك العلم بأحوالهم وانهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم وإعراضهم عن الايمان وغلظ الخطاب تبعيدا وزجرا عن هذه الحال ثم بين سبحانه الوجه الذي لأجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الايمان فقال (إنما يستجيب الذين يسمعون) ومعناه إنما يستجيب الى الايمان بالله وما انزل اليك من يسمع كلامك ويصغي اليك والى ما تقرأه عليه من القرآن ويتفكر في آياتك فإن من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وقال الآخر «أصم عما ساءه سميع» (والموتى يبعثهم الله) يريد ان الذين لا يصغون اليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقرءه عليهم وتبينه لهم من الآيات والحجج بمنزلة الموتى فكما أيست ان تسمع الموتى كلامك الى ان يبعثهم الله فكذلك فآيس من هؤلاء ان يستجيبوا لك وتقديره انما يستجيب المؤمن السامع للحق فأما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب الى ان يبعثه الله يوم القيامة فيلجئه الى الايمان وقيل معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فأما من كان قلبه ميتا فلا ثم وصف الموتى بأنه يبعثهم ويحكم فيهم (ثم اليه) اي الى حكمه (يرجعون) وقيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون الى موقف الحساب ثم عاد سبحانه الى حكاية أقوال الكفار فقال عاطفا على ما تقدم (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) هذا اخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا من معارضته فيما أتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال سبحانه في موضع آخر اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب وقال ههنا (قل) يا محمد (إن الله قادر على ان ينزل آية) اي آية تجمعهم على هدى عن الزجاج وقيل آية كما يسألونها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما في انزالها من وجوب الاستئصال لهم اذا لم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن أكثرهم لا يعلمون ان فيما أنزلنا من الآيات مقنعا وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الآية فقالوا انها تدل على ان الله تعالى لم ينزل على محمد آية اذ لو نزلها لذكرها عند

سؤال المشركين إياها فيقال لهم قد بينا أنهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يؤتوها لأن المصلحة منعت عن إيتائها وقد انزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن وآيتهم من المعجزات الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها او في بعضها حق النظر لعرفوا صدقه وصحة نبوته وقد بين في آية أخرى انه لو أنزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وفي موضع آخر وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء ويسقط ما اعترضوا به

قوله تعالى (٣٨) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٩) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آيتان

اللغة

الدابة كل ما يدب من الحيوان وأصله الصفة من دب يدب دبيبا اذا مشى مشيا فيه تقارب خطو والدبوب والديبوب النمام وفي الحديث لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع فالديبوب النمام لأنه يدب بالنميمة والقلاع الواشي بالرجل ليقتلعه قال الازهري تصغير الدابة دويبة الباء مخففة وفيها اشمام الكسر وفي الحديث ايتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب أراد الأدب فأظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دب يدب دبيبا والجناح إحدى ناحيتي الطير اللتين يتمكن بهما من الطيران في الهواء وأصله الميل الى ناحية

الاعراب

من مزيدة وتأويله وما دابة ويجوز في غير القرآن ولا طائر بالرفع عطفا على موضع من دابة وقوله من شيء من زائدة ايضا وتفيد التعميم اي ما فرطنا شيئا ما وصم وبكم كلاهما خبر الذين كقولهم هذا حلو حامض ودخول الواو لا يمنع من ذلك فإنه بمنزلة قولك صم بكم

المعنى

لما بين سبحانه انه قادر على ان ينزل آية عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال (وما من دابة في الأرض) اي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض (ولا طائر يطير بجناحيه) جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لأنها لا تخلو إما ان تكون مما يطير بجناحيه او يدب ومما يسأل عنه ان يقال لم قال يطير بجناحيه وقد علم ان الطير لا يطير الا بالجناح فالجواب ان هذا انما جاء للتوكيد ورفع اللبس لأن القائل قد يقول طر في حاجتي اي اسرع فيها وقال الشاعر

قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

وانشد سيبويه

فطرت بمنصلي في يعملات دوامي الأيد يخبطن السريحا

وقيل انما قال بجناحيه لأن السمك تطير في الماء ولا اجنحة لها وانما خرج السمك عن الطائر لأنه من دواب البحر وإنما اراد سبحانه ما في الأرض وما في الجو (الا أمم) اي اصناف مصنفة تعرف

بأسمائها يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد (امثالكم) قيل انه يريد اشباهكم في ابداع الله اياها وخلقه لها ودلالتها على ان لها صانعا وقيل إنما مثلت الأمم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدبر يدبرهم في اغذيتهم وأكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مراشدهم الى ما لا يحصى كثرة من احوالهم ومصالحهم وانهم يموتون ويحشرون ويبين بهذه الآية انه لا يجوز للعباد ان يتعدوا في ظلم شيء منها فإن الله خالقها والمنتصف لها (ما فرطنا في الكتاب من شيء) اي ما تركنا وقيل معناه ما قصرنا واختلف في معنى الكتاب على اقوال ❊ احدها ❊ إنه يريد بالكتاب القرآن لأنه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه من أمور الدين والدنيا إما مجملا وإما مفصلا والمجمل قد بينه على لسان نبيه (ص) وأمرنا باتباعه في قوله ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا مثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ويروى عن عبد الله بن مسعود انه قال مالي لا العن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقرأت المرأة التي سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم أتته وقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان مما أتانا رسول الله ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول أكثر المفسرين وهذا القول اختيار البلخي ❊ وثانيها ❊ ان المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو من عند الله عز وجل المشتمل على ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه آجال الحيوان وارزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى بالإحصاء والاستقصاء عن الحسن ❊ وثالثها ❊ ان المراد بالكتاب الأجل اي ما تركنا شيئا الا وقد أوجبنا له أجلا ثم يحشرون جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه بعيد (ثم الى ربهم يحشرون) معناه يحشرون الى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد فيعوض الله تعالى ما يستحق العوض منها وينتصف لبعضها من بعض وفيما رووه عن ابي هريرة انه قال يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وعن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله (ص) اذ نطحت عنزان فقال النبي (ص) أتدرون فيما انتطحا فقالوا لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وعلى هذا فإنما جعلت أمثالنا في الحشر والاقتصاص واختاره الزجاج فقال يعني امثالكم في انهم يبعثون ويؤيده قوله واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث لا يملك النفع والضر الا الله سبحانه اذ لم يمكن منه كما مكن في الدنيا واستدلت جماعة من أهل التناسخ بهذه الآية على ان البهائم والطيور مكلفة لقوله أمم امثالكم وهذا باطل لأنا قد بينا انها من أي وجه تكون امثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب ان تكون امثالنا في كونها على مثل صورنا وهيآتنا وخلقتنا وأخلاقنا وكيف يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل (والذين كذبوا بآياتنا) اي بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبينات (صم وبكم) قد بينا معناها في سورة البقرة (في الظلمات) اي في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون الى شيء من منافع الدين وقيل أراد صم وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقابا لهم على كفرهم لأنه ذكرهم عند ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي (من يشأ الله يضلله) هذا مجمل قد بينه في قوله وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين والذين اهتدوا زادهم هدى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام والمعنى من يشأ الله يخذله بأن يمنعه ألطافه وفوائده وذلك اذا واتر عليه

الأدلة واوضح له الحجج فاعرض عنها ولم ينعم النظر فيها ويجوز ان يريد من يشأ الله اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) اي ومن يشأ ان يرحمه ويهديه الى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون الى الجنة

قوله تعالى (٤٠) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤١) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ آيتان

القراءة

قرأ أهل المدينة أرأيتكم وأرأيتم وأرأيت واشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القرآن وقرأ الكسائي وحده أرأيتكم وأريت وأرايتم كل القرآن بترك الهمزة وقرأ الباقون بالهمز في الجميع كل القرآن

الحجة

قال ابو علي من حقق الهمزة فوجه قراءته بين لأنه فعلت من الرؤية فالهمزة عين الفعل ومن قرأ بالف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة فإنه يجعل الهمزة بين بين اي بين الألف والهمزة وأما الكسائي فإنه حذف الهمزة حذفا الا ترى ان التخفيف القياسي فيها ان تجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا ويلمه وكما أنشد احمد بن يحيى (ان لم أقاتل فالبسوني برقعا) وكقول ابي الاسود « يابا المغيرة رب أمر معضل » ومما جاء على ذلك قول الآخر

اريت ان جئت به املودا مرجلا ويلبس البرودا

ومما يقوي ذلك قول الشاعر

ومن رأى مثل معدان بن ليلى اذا ما النسع طال على المطيه

الاعراب

ارأيتكم الكاف فيه للخطاب مجردا ومعنى الاسم مخلوع عنه لأنه لو كان اسما لوجب ان يكون الاسم الذي بعده في قوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي وارأيتك زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى لأن رأيت يتعدى الى مفعولين يكون الأول منهما هو الثاني في المعنى وقد علمنا انه ليس الكاف في المعنى واذا لم يكن اسما كان حرفا للخطاب مجرداً من معنى الاسمية كالكاف في ذلك وهنالك وكالتاء في انت واذا ثبت انه للخطاب فالتاء في ارأيت لا يجوز ان يكون للخطاب لأنه لا يجوز ان يلحق الكلمة علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك افردت التاء في جميع الأحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الاحوال على لفظ واحد لأن ما يلحق الكاف من معنى الخطاب بين الفاعلين فيخصص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التأنيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء وما يلحق الكاف فكان يؤدي الى ما لا نظير له فرفض وهذا من كلام ابي علي الفارسي وجواب ان من قوله ان أتيكم عذاب الله الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول ان أتاك زيد أتكرمه وموضع ان وجوابه نصب لأنه في موضع مفعولي رأيت وقوله ان كنتم صادقين جوابه

محذوف يدل عليه قوله أرأيتكم لانه في معنى اخبروا فكأنه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه بمحاجة الكفار فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (ارأيتكم ان أتيكم عذاب الله) في الدنيا كما نزل بالأمم قبلكم مثل عاد وثمود (اوأتتكم الساعة) اي القيامة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد والمعنى اوأتتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لأن قبل البعث يموت الخلق كلهم (اغير الله تدعون) اي أتدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الاوثان التي تعلمون انها لا تقدر ان تنفع انفسها ولا غيرها او تدعون الله الذي هو خالقكم وما لكم لكشف ذلك عنكم (ان كنتم صادقين) في ان هذه الأوثان آلهة لكم احتج سبحانه عليهم بما لا يدفعونه لانهم كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال (بل إياه تدعون) وبل استدراك وإيجاب بعد نفي اعلمهم الله تعالى انهم اذا لحقتهم الشدائد في البحار والبراري والقفار يتضرعون اليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) اي يكشف الضر الذي من اجله دعوتم ان شاء ان يكشفه (وتنسون ماتشركون) اي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لأنه ليس عندهم ضرر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العائد الى الموصول محذوفا للعلم على تقدير ما تشركون به وقيل معناه إنكم في تركهم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لأنه قال تعرضون عنه اعراض الناسي اي لليأس في النجاة من مثله ويجوز ان يكون مامع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم

قوله تعالى (٤٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٣) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٥) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (اربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه ابن عامر الا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فإنه خففها ووافقها يعقوب في القمر وقرأ الباقون في جميع ذلك بالتخفيف الا مواضع قد اختلفوا فيها سنذكرها ان شاء الله اذا بلغنا الى مواضعها

﴿ الحجة ﴾

من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك

﴿ اللغة ﴾

البأساء البأس والخوف والضراء من الضر وقد يكون البأساء من البؤس والتضرع التذلل يقال ضرع فلان لفلان اذا بخع له وسأله ان يعطيه والمبلس الشديد الحسرة وقال الفراء المبلس المنقطع الحجة قال روبة

وحضرت يوم الخميس الأخماس وفي الوجوه صفرة وابلاس

دابر القوم الذي يدبرهم ويدبرهم لغتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على اعقابهم وأنشد

آل المهلب جز الله دابرهم اضحوا رمادا فلا أصل ولا طرف

وقال الاصمعي الدابر الأصل يقال قطع الله دابره اي اصله وانشد

فدى لكما رجلي ورحلي وناقتي غداة الكلاب اذ تُجز الدوابر

اي يقتل القوم فتذهب اصولهم فلا يبقى لهم أثر وقال غيره دابر الامر آخره وروي عن عبد الله انه قال من الناس من لا يأتي الصلاة الا دبريا بضم الدال يعني في آخر الوقت كذا يقوله اصحاب الحديث قال ابو زيد الصواب دبريا بفتح الدال والباء

الاعراب

لولا للتحضيض ولا يدخل الا على الفعل ومعناه هلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تأويل الكلام الأول فإن في قوله هلا تضرعوا دلالة على انهم لم يتضرعوا وقوله بغتة مصدر وقع موقع الحال اي أخذناهم مباغتين

المعنى

اعلم الله سبحانه نبيه حال الامم الماضية في مخالفة رسله وبين ان حال هؤلاء إذا سلكوا طريق المخالفة كحالهم في نزول العذاب بهم فقال (ولقد ارسلنا) وهاهنا محذوف وتقديره رسلا (إلى امم من قبلك) فخالفوهم (فأخذناهم) وحسن الحذف للإيجاز به والاختصار من غير اخلال لدلالة مفهوم الكلام عليه (بالبأساء والضراء) يريد به الفقر والبؤس والاسقام والاوجاع عن ابن عباس والحسن (لعلهم يتضرعون) ومعناه لكي يتضرعوا وقال الزجاج لعل ترج وهذا الترجي للعباد المعنى فأخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع كما قال في قصة فرعون لعله يتذكر او يخشى قال سيبويه المعنى اذهبا انتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من وراء ذلك اخبر الله تعالى انه ارسل الرسل إلى أقوام بلغوا من القسوة إلى ان أخذوا بالشدة في انفسهم وأموالهم ليخضعوا ويذلوا لأمر الله فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا كالتسلية للنبي (ص) (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه فهلا تضرعوا إذ جاءهم بأسنا (ولكن قست قلوبهم) فأقاموا على كفرهم فلم تنجع فيهم العظة (وزين لهم الشيطان) بالوسوسة والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة (ما كانوا يعملون) يعني اعمالهم وفي هذا حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافرين الايمان لأنه سبحانه بين انه إنما فعل ذلك بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر بخلاف ما قالته المجبرة من انه تعالى هو المزين لهم ذلك (فلما نسوا ما ذكروا به) اي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وتأويله تركوا العمل بذلك وقيل تركوا ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) اي كل نعمة وبركة من السماء والأرض عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل والمعنى انه تعالى امتحنهم بالشدائد لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا بذلك في نعيم الآخرة وإنما فعل ذلك بهم وإن كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الإكرام والإنعام ليدعوهم ذلك إلى الطاعة فإن الدعاء إلى الطاعة يكون تارة بالعنف وتارة باللطف أو لتشديد العقوبة عليهم بالنقل من النعيم إلى العذاب الأليم (حتى إذا فرحوا بما اوتوا) من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا

السرور بما اعطوه ولم يروه نعمة من الله تعالى حتى يشكروه (اخذناهم) اي احللنا بهم العقوبة (بغتة) اي مفاجأة من حيث لا يشعرون (فإذا هم مبلسون) أي آيسون من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل اذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعو الحجة والمعاني متقاربة والمرادبقوله ابواب كل شئ التكثير والتفخيم دون التعميم وهو مثل قوله واوتيت من كل شئ والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة وآتيناهم خيرا كثيرا وروي عن النبي (ص) انه قال إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج منه ثم تلا هذه الآية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال يا ابن آدم إذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل (والحمد لله رب العالمين) على اهلاك اعدائه واعلاء كلمة رسله حمد الله تعالى نفسه بأن استأصل شأفتهم وقطع دابرهم لأنه سبحانه ارسل اليهم وانظرهم بعد كفرهم وأخذهم بالبأساء والضراء واختبرهم بالمحنة والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبالغ في الانذار والامهال والانظار فهو المحمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله تعالى على كفايته اياهم شر الظالمين ودلالة على ان هلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود النقري عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن الورع فقال الورع هو الذي يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء وإذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه وإذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب أن يعصى الله ومن أحب أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله وأن الله حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

قوله تعالى (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٧) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (٤٨) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٩) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ أربع آيات

اللغة

صدف عن الشئ صدوفا إذا مال عنه والصدف والصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان (ص) إذا مر بصدف مائل اسرع المشي

الاعراب

من إله مبتدأ وخبر وغير صفة إله وهذه الجملة في موضع مفعولي أرأيتم ومن استفهام علق الفعل الذي هو أرأيتم فلم يعمل في مفعوليه لفظا وقوله أن أخذ الله سمعكم جوابه محذوف وتقديره فمن يأتيكم به إلا انه أغنى عنه قوله من إله غير الله يأتيكم به الذي هو مفعول أرأيتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لأضربنه إن ذهب أو مكث فإن قولك إن ذهب أو مكث وقع موقع ذاهبا أو ماكثا وتقديره مقدرا ذهابه أو مكثه ويدل على انه في موضع الحال مشابهته في المفرد أنه لا يستقل بنفسه كما

لا تستقل الجمل وإن كان جملة في المعنى فإنه بدخول حرف الشرط قد صار بمنزلة المفرد في الحاجة إلى ما يستند اليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة اتصاله بما قبله حاجته إلى ما قبله كما احتاج ما وقع موقعه إلى ما قبله وليس شيء من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت انه في موضع منصوب هو حال فإن قيل إن الجزاء مقدر والشرط المذكور في اللفظ مع الجزاء كلام مستقل وإنما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزاء غير مقدر قيل الجزاء وإن كان مقدرا لا حكم له لأنه لا يجوز إظهاره وانما هو شيء يثبت من جهة التقدير فضعف أمره ولو جاز اظهاره لكان في موضع الحال وهذا مأخوذ من كلام أبي علي الفارسي ذكره في القصريات مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه ولم يسبق اليه وقوله يأتيكم به في موضع رفع بأنه صفة إله

﴿ المعنى ﴾

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج عليهم فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أي ذهب بها فصرتم صما عميا (وختم على قلوبكم) أي طبع عليها وقيل ذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفهمون شيئا وإنما خص هذه الأشياء بالذكر لأن بها تتم النعمة دينا ودنيا (من إله غير الله يأتيكم به) قال الزجاج هذه الهاء تعود إلى معنى الفعل المعنى من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم قال ويجوز أن يكون عائدا الى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلا في القصة معه اذ كان معطوفا عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين يعبدون أن يجعلوا لكم أسماعا وأبصارا وقلوبا تعقلون بها وتفهمون أي إن أخذها الله منكم فمن يردها عليكم بين سبحانه بهذا أنه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب أن لا تعبدوا سواه (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبين لهم في القرآن الآيات عن الكلبي وقيل تصريف الآيات توجيهها في الجهات التي يظهرها أتم الإظهار ومرة في جهة النعمة ومرة في جهة الشدة وقيل تصريف الآيات احداثها دالة على وجوه كما أن الآية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبي (ص) وصدقه (ثم هم) أي الكفار (يصدفون) أي يعرضون عن تأمل الآيات والفكر فيها وقيل اعراضهم عنها كفرهم بها وإنما قال انظر لأنه تعالى عجب اولا من تتابع نعمه عليهم وضروب دلائله من تصريف الآيات واسباب الاعتبار ثم عجب ثانيا من اعراضهم عنها ثم زاد تعالى في الحجاج فقال (قل أرأيتكم) اي اعلمتكم (ان أتاكم عذاب الله) اي عذبكم الله بعد اعذاره عليكم وارساله الرسل (بغتة) اي مفاجأة (او جهرة) اي علانية وإنما قابل البغتة بالجهرة لأن البغتة تتضمن معنى الخفية لانه يأتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغتة ان يأتيهم ليلا والجهرة ان يأتيهم نهارا عن الحسن (هل يهلك) اي لا يهلك بهذا العذاب (إلا القوم الظالمون) اي الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون في الأرض وقيل انهم كانوا يستدعون العذاب فبين انه اذا نزل لا يهلك به الا الكافرون فإن هلك فيه مؤمن اوطفل فإنما يهلك محنة ويعوضه الله على ذلك اعواضا كثيرة يصغر ذلك في جنبها والمراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثم بين سبحانه انه لا يبعث الرسل اربابا يقدرون على كل شيء يسألون عنه من الآيات وانما يرسلهم لما يعلمه من المصالح فقال (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) ثم ذكر ثواب من صدقهم في باقي الآية وعقاب من كذبهم في الآية الثانية فقال (فمن آمن) اي صدق الرسل (واصلح) اي عمل صالحا في الدنيا (فلا خوف عليهم) في الآخرة (ولا هم يحزنون) كما يحزن اهل النار وقيل لا يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا (والذين كذبوا بآياتنا) اي أدلتنا وحججنا وقيل بمحمد (ص) ومعجزاته (يمسهم العذاب) يصيبهم العذاب يوم القيامة (بما كانوا يفسقون) أي

بفسقهم وخروجهم عن الايمان

قوله تعالى (٥٠) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ آية

اللغة

الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لاتناله الأيدي ومنه خزن اللحم يخزن خزنا اذا تغير لأنه يخبأ حتى ينتن

المعنى

ثم امر النبي (ص) ان يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه اني لا ادعي الربوبية وانما ادعي النبوة فقال (قل) يا محمد (لا أقول لكم) ايها الناس (عندي خزائن الله) يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراته عن الجبائي وقيل ارزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعا في المال (ولا اعلم الغيب) الذي يختص الله بعلمه وانما اعلم قدر ما يعلمني الله تعالى من امر البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل عاقبة ما تصيرون اليه عن ابن عباس (ولا أقول لكم اني ملك) لأني انسان تعرفون نسبي يريد لا اقدر على ما يقدر عليه الملك وقد استدل بهذا على ان الملائكة أفضل من الانبياء وهذا بعيد لأن الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له ههنا وانما المراد لاأقول لكم انيملك فأشاهد من امر الله وغيبه عن العباد ماتشاهده الملائكة (ان اتبع الامايوحى الي) يريد ما اخبركم الا بما أنزله الله الي عن ابن عباس وقال الزجاج اي ما انبأتكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحي من الله عز وجل ثم امره سبحانه فقال (قل) يا محمد لهم (هل يستوي الاعمى والبصير) اي هل يستوي العارف بالله سبحانه العالم بدينه والجاهل به وبدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله وبنبيه وهذا قول الحسن واختاره الجبائي وفي تفسير اهل البيت هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب عن البيان وعمي عن الحق عن البلخي (أفلاتتفكرون) فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الاقرار بالتوحيد ونفي التشبيه وهذا استفهام يراد به الإخبار يعني انهما لايستويان

قوله تعالى (٥١) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ آية

الإعراب

الهاء في به يعود الى ما من قوله ما يوحى الي وليس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من يخافون كأنه قيل متخلين من ولي وشفيع

المعنى

ثم امر سبحانه بعد تقديم البينات بالانذار فقال (وانذر) اي عظ وخوف (به) اي بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالله عن الضحاك (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من شدة الاهوال عن ابن عباس والحسن وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون ان يحشروا علما بأنه سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون بيعلمون قال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو ينذر جميع الخلق لأن الذين يخافون الحشر الحجة عليهم اوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق (ع) انذر بالقرآن من يرجون الوصول الى ربهم ترغبهم فيما عنده فإن القرآن شافع

مشفع لهم (ليس لهم من دونه) أي غير الله (ولي ولا شفيع) عن الضحاك وقال الزجاج إن اليهود والنصارى ذكرت انها ابناء الله واحباوه فأعلم الله عز اسمه أن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في أهل الكفر والمفسرون على أن الآية في المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على أن شفاعة الأنبياء وغيرهم للمؤمنين إنما تكون بإذن الله لقوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه فذلك راجع إلى الله تعالى (لعلهم يتقون) كي يخافوا في الدنيا وينتهوا عما نهيتم عنه عن ابن عباس

قوله تعالى (٥٢) وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٣) وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ آيتان

القراءة

قرأ ابن عامر بالغدوة والعشي في كل القرآن بواو والباقون بالغداة بالألف

الحجة

قال ابو علي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام فأما غدوة فمعرفة لم تتنكر وهو علم صيغ له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا ام حبين اسما لدابة معروفة قال وزعم يونس عن ابي عمرو وهو القياس انك إذا قلت لقيته يوما من الأيام غدوة او بكرة وأنت تريد المعرفة لم تنون وهذا يقوي قراءة من قرأ بالغداة والعشي ووجه قراءة ابن عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز أن تقول اتيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلهما بمنزلة ضحوة ومن حجته أن بعض اسماء الزمان جاء معرفة بغير الف ولام نحو ما حكاه ابو زيد من قولهم لقيته فينة غير مصروف والفينة بعد الفينة فألحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك انه يقدر فيه التنكير والشياع كما يقدر فيه ذلك إذا ثني وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم اثنين مباركا وأتيتك يوم اثنين مباركا فجاء معرفة بلا الف ولام كما جاء بالألف واللام ومن ثم انتصب الحال ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبل اما أن يكون جعل عرسا نكرة و إن كان علما واما أن يكون اخبر عنه بخبرين

الإعراب

فتطردهم جواب النفي في قوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فتكون نصب لانه جواب للنهي وهو قوله ولا تطرد أي لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره في مواضع

النزول

روى الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال مر الملأ من قريش على رسول الله (ص) وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهولاء من قومك افنحن نكون تبعا لهم اهولاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فانزل الله تعالى ولا تطرد الى آخره وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وذووهم من المولفة قلوبهم فوجدوا النبي (ص) قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المومنين فحقروهم وقالوا يا رسول الله لو نحيت هولاء عنك حتى نخلو بك فإن وفود العرب تأتيك فنستحي ان يرونا مع

هؤلاء الاعبد ثم اذا انصرفنا فإن شئت فأعدهم الى مجلسك فأجابهم النبي (ص) الى ذلك فقالا له اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعا بصحيفة واحضر عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبرائيل (ع) بقوله ولا تطرد الذين يدعون الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فنحى رسول الله (ص) الصحيفة واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فإذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية قال فكان رسول الله (ص) يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات

المعنى

ثم نهى سبحانه رسوله عليه وآله السلام عن إجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يريد يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة يعني صلاة الصبح والعصر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل ان المراد بالدعاء ههنا الذكر اي يذكرون ربهم طرفي النهار عن ابراهيم وروي عنه ايضا ان هذا في الصلاة الخمس (يريدون وجهه) يعني يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله لا يعدلون بالله شيئا عن عطا قال الزجاج شهد الله لهم بصدق النيات وانهم مخلصون في ذلك له أي يقصدون الطريق الذي امرهم بقصده فكأنه ذهب في معنى الوجه إلى الجهة والطريق (ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) يريد ما عليك من حساب المشركين شيء ولا عليهم من حسابك شيء إنما الله الذي يثيب اولياءه ويعذب اعداءه عن ابن عباس في رواية عطا واكثر المفسرين يردون الضمير إلى الذين يدعون ربهم وهو الأشبه وذكروا فيه وجهين (احدهما) ما عليك من عملهم ومن حساب عملهم من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله تعالى في قصة نوح إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وهذا لأن المشركين ازدروهم لفقرهم وحاجتهم إلى الأعمال الدينية وهمّ برفع المشركين عليهم في المجلس فقيل له ما عليك من حسابهم من شيء أي لا يلزمك عار بعملهم (فتطردهم) ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء تأكيدا لمطابقة الكلام وإن كان مستغنى عنه بالأول والوجه (الثاني) ما عليك من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم أي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وإنما يرزقك وإياهم الله الرازق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم (فتكون من الظالمين) لهم بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس قال ابن الانباري عظم الأمر في هذا على النبي صلى الله عليه وآله وخوف الدخول في جملة الظالمين لأنه كان قد همّ بتقديم الرؤساء وأولي الأموال على الضعفاء مقدرا انه يستجر بإسلامهم إسلام قومهم ومن لفّ لفهم وكان (ص) لم يقصد في ذلك إلا قصد الخير ولم ينو به ازدراء بالفقراء فأعلمه الله ان ذلك غير جائز ثم اخبر الله سبحانه انه يمتحن الفقراء بالأغنياء والأغنياء بالفقراء فقال (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير والشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله حمي انفا ان يسلم ويقول سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم وإنما قال سبحانه فتنا وهو لا يحتاج إلى الاختبار لأنه عاملهم معاملة المختبر (ليقولوا) هذه لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فآل امرهم إلى هذه العاقبة (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) والاستفهام معناه الإنكار كأنهم انكروا ان يكونوا سبقوهم بفضيلة او خصوا بمنة وقال ابو علي الجبائي المعنى في فتنا شددنا التكليف على اشراف العرب بأن امرناهم بالإيمان وبتقديمهم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اياهم في الإيمان وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك سماه الله فتنة وقوله ليقولوا اي فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام لا على وجه الانكار أهؤلاء منّ الله عليهم بالإيمان إذ رأوا النبي يقدم هؤلاء عليهم وليرضوا بذلك من فعل

رسول الله ولم يجعل هذه الفتنة والشدة في التكليف ليقولوا ذلك على وجه الانكار لأن انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضاه ولأنه لو أراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) هذا استفهام تقرير اي انه كذلك كقول جرير

ألستم خير من ركب المطايا   وانذى العالمين بطون راح

وهذا دليل واضح على ان فقراء المؤمنين وضعفاءهم اولى بالتقريب والتقديم والتعظيم من اغنيائهم ولقد قال امير المؤمنين علي (ع) من اتى غنيا فتواضع لغنائه ذهب ثلثا دينه

قوله تعالى (٥٤) وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية

القراءة

قرأ اهل المدينة انه من عمل بالفتح فإنه بالكسر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب انه فأنه بفتح الألف فيهما وقرأ الباقون انه فإنه بالكسر فيهما

الحجة

قال ابو علي من كسر فقال انه من عمل جعله تفسيراً للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد وأما كسر فإنه غفور رحيم فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثم حمل قوله فينتقم الله منه على إرادة المبتدأ بعد الفاء وحذفه واما من فتح ان في قوله أنه فانه جعل ان الاولى بدلا من الرحمة كأنه قال كتب ربكم على نفسه انه من عمل وأما فتحها بعد الفاء فعلى انه اضمر له خبرا وتقديره فله انه غفور رحيم اي فله غفرانه او اضمر مبتدأ يكون انه خبرا له اي فأمره انه غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قول من فتح ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم تقديره فله ان له نار جهنم إلا ان اضماره هنا احسن لأن ذكره قد جرى في قوله ان له وان شئت قدرت فأمره أن له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدأ المضمر وأما قراءة كتب ربكم انه فإنه فالقول فيها انه ابدل من الرحمة ثم استأنف ما بعد الفاء

اللغة

قال المبرد السلام في اللغة اربعة اشياء مصدر سلمت سلاماً وجمع سلامة واسم من اسماء الله عزوجل وشجر في قوله «إلا سلام وحرمل» ومعنى السلام الذي هو مصدر أنه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات والسلام اسم الله تأويله ذو السلام أي الذي يملك السلام الذي هو التخلص من المكروه واما السلام الشجر فهو شجر قوي سمي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحجارة سمي بذلك لسلامتها من الرخاوة والصلح يسمى السلام والسلم لأن معناه السلامة من الشر والسلم الدلو التي لها عروة واحدة لأنها اسلم الدلاء من الآفات

النزول

اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم وكان النبي اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من أمرني ان ابدأهم بالسلام عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطا وقيل ان جماعة أتوا رسول الله (ص) فقالوا إنا أصبنا ذنوبا كثيرة فسكت عنهم رسول (ص) فنزلت الآية عن انس بن مالك وقيل نزلت في التائبين وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه نبيه بتعظيم المؤمنين فقال (واذا جاءك) يامحمد (الذين يؤمنون) اي يصدقون (بآياتنا) اي بحججنا و براهيننا (فقل سلام عليكم) ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ انه امر نبيه (ص) ان يسلم عليهم من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه (ص) عن الحسن ﴿ وثانيها ﴾ ان الله تعالى امر نبيه (ص) ان يسلم عليهم تكرمة لهم عن الجبائي ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه اقبل عذرهم واعترافهم وبشرهم بالسلامة مما اعتذروا منه عن ابن عباس (كتب ربكم) اي اوجب ربكم (على نفسه الرحمة) ايجابا مؤكدا عن الزجاج قال انما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤخر انما يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا في اول السورة (انه من عمل منكم سوء بجهالة) قال الزجاج يحتمل الجهالة ههنا وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه اي لم يعرف ان فيه مكروها والآخر انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه آثر العاجل فجعل جاهلا بأنه آثر النفع القليل عن الراحة الكثيرة والعافية الدائمة وهذا اقوى ومثله قوله سبحانه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية وقد ذكرنا مافيه هناك (ثم تاب من بعده واصلح) اي رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل واصلح عمله (فإنه غفور رحيم)

قوله تعالى (٥٥) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير حفص وليستبين بالياء سبيل بالرفع وقرأ زيد عن يعقوب وليستبين بالياء سبيل بالنصب وقرأ الباقون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لتستبين بالتاء سبيل رفعا جعل السبيل فاعلا وانثه كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيبويه استبان الشيء واستبنته ومن قرأ ولتستبين بالتاء سبيل نصبا ففي الفعل ضمير المخاطب وسبيل مفعوله وهو على قولك استبنت الشيء ومن قرأ بالياء سبيل رفعا فالفعل مسند الى السبيل الا انه ذكر كما في قوله سبحانه يتخذوه سبيلا والمعنى وليستبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين فحذف لأن ذكر احدى السبيلين يدل على الآخر ومثله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرأ بالياء ونصب اللام فتقديره وليستبين السائل سبيل المجرمين

﴿ الاعراب ﴾

كذلك الكاف في موضع نصب بأنه مفعول نفصل وذلك مجرور الموضع بإضافة الكاف اليه ويسأل ما المشبه وما المشبه به في قوله وكذلك وفيه جوابان ﴿ احدها ﴾ التفصيل الذي تقدم في صفة المهتدين وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل في صفة غيرهم من كل مخالف للحق ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الآيات لكم نفصله لغيركم

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على الآيات التي احتج بها على مشركي مكة وغيرهم فقال (وكذلك) اي كما قدمناه من الدلالات على التوحيد والنبوة والقضاء (نفصل الآيات) وهي الحجج والدلالات اي نميزها ونبينها ونشرحها على صحة قولكم وبطلان ما يقوله هؤلاء الكفار (ولتستبين سبيل المجرمين) بالرفع اي ليظهر طريق من عاند بعد البيان اذا ذهب عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد التفهم لذلك من المؤمنين ليجانبوها ويسلكوا غيرها وبالنصب ليعرف السامع أو السائل أو لتعرف انت يا محمد سبيلهم وسبيلهم يريد به ما هم عليه من الكفر

والعناد والاقدام على المعاصي والجرائم المؤدية الى النار وقيل ان المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الاذلال واللعن والبراءة منهم والأمر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في ولتستبين للعطف على مضمر محذوف والتقدير لتفهموا ولتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين وجاز الحذف لأن فيما ابقى دليلا على ما القي

قوله تعالى (٥٦) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ آية

﴿ القراءة ﴾

روى في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها

﴿ الحجة ﴾

وهما لغتان ضللت تضل وضللت تضل قال ابو عبيدة واللغة الغالبة الفتح

﴿ الاعراب ﴾

معنى من في قوله من دون الله اضافة الدعاء إلى دون بمعنى ابتداء الغاية ومعنى إذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها

﴿ المعنى ﴾

ثم امر الله سبحانه نبيه بأن يظهر البراءة مما يعبدونه فقال (قل) يامحمد (إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام التي تعبدونها وتدعونها آلهة (قل) يامحمد (لا اتبع اهواءكم) في عبادتها اي إنما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع اهواءكم في طرد المؤمنين (قد ضللت إذا) اي ان انا فعلت ذلك عن ابن عباس (وما انا من المهتدين) الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما انا من المهتدين النبيين الذين سلكوا طريق الهدى

قوله تعالى (٥٧) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٨) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بالصاد والباقون يقضي الحق

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ يقضي قوله والله يقضي بالحق وحكي عن ابي عمرو انه استدل بقوله وهو خير الفاصلين في ان الفصل في الحكم ليس في القصص وحجة من قرأ يقص قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول ايضا في نحو قوله انه لقول فصل واما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره يقضي القضاء الحق اويقص القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود اوصنع السوابغ تبع

﴿ اللغة ﴾

البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال طلب الشيء

في غير وقته والحكم فصل الأمر على التمام

الاعراب

يقال لم قال كذبتم به والبينة مؤنثة قيل لأن البينة بمعنى البيان فالهاء كناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذبتم قد مضمر معه لأنه في موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضي الا ومعه قد إما مظهرة او مضمرة

المعنى

لما أمر النبي (ص) بأن يتبرأ مما يعبدونه عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجة من ذلك وبينة وانه لا بينة لهم فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (اني على بينة من ربي) اي على امر بين لا متبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البينة النبوة اي على نبوة من جهة ربي وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن عن الجبائي وقيل على يقين من ربي عن ابن عباس (وكذبتم به) اي بما أتيتكم به من البيان يعني القرآن (ما عندي) اي ليس عندي (ما تستعجلون به) قيل معناه الذي تطلبونه من العذاب كانوا يقولون يا محمد أتنا بالذي تعدنا وهذا كقوله ويستعجلونك بالعذاب عن ابن عباس والحسن وقيل هي الآيات التي اقترحوها عليه استعجلوه بها فاعلم الله تعالى ان ذلك عنده فقال (ان الحكم الا لله) يريد ان ذلك عند ربي وعن ابن عباس يعني ليس الحكم في الفصل بين الحق والباطل وفي انزال الآيات الا لله (يقص الحق) اي يفصل الحق من الباطل ويقص الحق اي يقوله ويخبر به (وهو خير الفاصلين) لأنه لا يظلم في قضاياه ولا يجور عن الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم ان الظلم والقبائح بقضائه لأن من المعلوم ان ذلك كله ليس بحق (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (لو ان عندي) اي برأيي وإرادتي (ما تستعجلون به) من انزال العذاب بكم (لقضي الامر بيني وبينكم) اي لفرغ من الامر بأن اهلككم فاستريح منكم غير ان الامر فيه الى الله تعالى (والله اعلم بالظالمين) وبوقت عذابهم وما يصلحهم وفي هذا دلالة على انه سبحانه انما يؤخر العقوبة لضرب من المصلحة اما لأن يؤمنوا او لغير ذلك من المصالح فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة

قوله تعالى (٥٩) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦٠) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ آيتان

اللغة

المفاتح جمع مفتح فالمفتح بالكسر المفتاح الذي يفتح به والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهو مفتح قال الفراء في قوله ان مفاتحه لتنوء بالعصبة يعني خزائنه والتوفي قبض الشيء على التمام يقال توفيت الشيء واستوفيته بمعنى والجرح العمل بالجارحة والاجتراح الاكتساب

الإعراب

ولا حبة تقديره ولا تسقط من حبة ثابتة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس وقوله الا في كتاب مبين الجار والمجرور في موضع الرفع لأنه خبر الابتداء تقديره الا هو في كتاب مبين ولابد من هذا التقدير لأنه لو لم يكن محمولا على هذا لوجب ان لا يعلمها في كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك في كتاب مبين والاستثناء منقطع

المعنى

لما ذكر سبحانه انه اعلم بالظالمين بين عقيبه انه لا يخفى عليه شيءٌ من الغيب ويعلم اسرار العالمين فقال (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) معناه وعنده خزائن الغيب الذي فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها احد الا هو او من اعلمه به وعلمه اياه وقيل معناه وعنده مقدورات الغيب يفتح بها على من يشاء من عباده بإعلامه به وتعليمه اياه وتيسيره السبيل اليه ونصبه الأدلة له ويغلق عمن يشاء بأن لا ينصب الأدلة له وقال الزجاج يريد عنده الوصلة الى علم الغيب وكل ما لا يعلم اذا استعلم يقال فيه افتح علي وقال ابن عمر مفاتح الغيب خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الآية وقال ابن عباس معناه وعنده خزائن الغيب من الارزاق والاعمار وتأويل الآية ان الله تعالى عالم بكل شيءٌ من مبتدآت الامور وعواقبها فهو يعجل ما تعجيله اصوب واصلح ويؤخر ما تأخيره أصوب وأصلح وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء لانه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر احد ان يفتح باب العلم به للعباد الا الله (ويعلم ما في البر والبحر) من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) قال الزجاج المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فليس تأويله الا وانا اعرفه في حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما سقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهراً لبطن عند سقوطها (ولا حبة في ظلمات الارض) معناه وما تسقط من حبة في باطن الارض الا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الارض لأنه لا تدرك كما لا يدرك ما حصل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة في اسفل الارضين السبع او تحت حجر او شيءٌ (ولا رطب ولا يابس) قد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب ولا يابس لأن الاجسام كلها لا تخلو من احد هذين وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع ولا مفترق لأن الاجسام لا تخلو من أن تكون مجتمعة او متفرقة وقيل يريد ما ينبت وما لا ينبت عن ابن عباس وعنه ايضاً ان الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الحي واليابس الميت وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الارض الارحام والرطب ما يحيا واليابس ما يغيض (الا في كتاب) معناه وهو مكتوب في كتاب (مبين) اي في اللوح المحفوظ ولم يكتبها في اللوح المحفوظ ليحفظها ويدرسها فإنه كان عالماً بها قبل ان كتبها ولكن ليعارض الملائكة الحوادث على ممر الأيام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقة للمكتوب فيه فيزدادون علماً ويقيناً بصفات الله تعالى وايضاً فإن المكلف اذا علم ان اعماله مكتوبة في اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة قويت دواعيه الى الافعال الحسنة وترك القبائح وقال الحسن هذا توكيد في الزجر عن المعاصي والحث على البر لأن هذه الاشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب اذا كانت محصاة عنده محفوظة فالاعمال التي فيها الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان قوله في كتاب مبين معناه انه محفوظ غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول القائل لغيره ما تصنعه عندي مسطور مكتوب وانما يريد بذلك انه حافظ له يريد مكافأته عليه وانشد « ان لسلمى عندنا ديوانا » عن البلخي قال الجرجاني صاحب النظم تم الكلام عند قوله ولا يابس ثم استأنف خبراً آخر بقوله الا في كتاب مبين يعني وهو في كتاب مبين ايضاً لأنك لو جعلت قوله الا في كتاب مبين متصلاً بالكلام الأول لفسد المعنى ولما نبه سبحانه بهذه الآية على انه عالم لذاته من حيث انه لو كان عالماً بعلم لوجب احد ثلاثة اشياء كلها فاسدة اما ان يكون له علوم غير متناهية واما أن يكون معلوماته متناهية أو يتعلق علم

واحد بمعلومات غير متناهية وكلها باطل بالدليل نبه في الآية التي تليها على انه قادر لذاته من حيث انه قادر على الاحياء والإماتة فقال (وهو الذي يتوفاكم بالليل) اي يقبض ارواحكم عن التصرف عن ابن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية عن الزجاج والجبائي (ويعلم ما جرحتم بالنهار) اي ما كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرته وكثرتكم وفيه اشارة الى رحمته حيث يعلم مخالفتهم اياه ثم لا يعاجلهم بعقوبة ولا يمنعهم فضله ورحمته (ثم يبعثكم فيه) اي ينبهكم من نومكم في النهار عن الزجاج والجبائي جعل انتباههم من النوم بعثا (ليقضى أجل مسمى) معناه لتستوفوا آجالكم وترتيب الآية وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم في النهار على علم بما تجترحون بالنهار ليقضي اجل مسمى فاللام تتصل بقوله ثم يبعثكم فيه الا انه قدم ما من أجله بعثنا بالنهار لأنه اهم والعناية به اشد عن علي بن عيسى ومعنى القضاء فصل الأمر على تمام ومعنى قضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفي هذا حجة على النشأة الثانية لأن منزلتها بعد الاولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في أن من قدر على احدها فهو قادر على الآخر (ثم اليه مرجعكم) يريد اذا تمت المدة المضروبة لكل نفس نقله الى الدار الآخرة ومعنى اليه الى حكمه وجزائه والى موضع ليس لاحد سواه فيه امر (ثم ينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) اي بما غفلتم عنه من اعمالكم وفي هذه الآية دلالة على البعث والإعادة نبه الله سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة فإن كلا منها لا يقدر عليه غيره تعالى فأما ما يصح اعادته من الأشياء فالصحيح من مذهب أهل العدل فيه ان يكون الشيء من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وأن يكون مما يبقى وأن لا يكون مما يتولد عن سبب

قوله تعالى (٦١) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦٢) ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ (آيتان)

القراءة

قرأ حمزة وحده توفاه والباقون بالتاء وقرأ الاعرج يفرطون في الشواذ

الحجة

حجة من قرأ بالتاء قوله فقد كذبت رسل وقالت رسلهم وحجة حمزة انه فعل متقدم مسند الى مؤنث غير حقيقي وإنما التأنيث للجمع فهو مثل وقال نسوة وان كانت الكتابة في المصحف بالياء فليس ذلك بخلاف لأن الألف الممالة قد كتبت بياء وقراءة الاعرج من افرط في الأمر اذا زاد فيه وقراءة العامة من فرط في الامر اذا قصر فيه فهو بمعنى لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفي من تحضره منيته وذاك بمعنى لا يزيدون على ذلك ولا يتوفون الا من أمروا بتوفيه ونظيره قوله وكل شيء عنده بمقدار

المعنى

ثم زاد سبحانه في بيان كمال قدرته فقال (وهو القاهر فوق عباده) معناه والله المقتدر المستعلي على عباده الذي هو فوقهم لا بمعنى انه في مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لأن ذلك من صفة الاجسام والله تعالى

منزه عن ذلك ومثله في اللغة أمر فلان فوق أمر فلان اي هو اعلى أمراً وأنفذ حكما ومثله قوله يد الله فوق أيديهم فالمراد به انه اقوى وأقدر منهم وانه القاهر لهم ويقال هو فوقه في العلم اي اعلم منه وفوقه في الجود اي اجود فعبر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها (ويرسل عليكم حفظة) عطف على صلة الألف واللام في القاهر وتقديره وهو الذي يقهر عباده ويرسل عليكم حفظة اي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم ويكتبونها وفي هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي اذا علموا ان عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته) اي تقبض روحه (رسلنا) يعني اعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن وقتادة قالوا وانما يقبضون الارواح بأمره ولذلك أضاف التوفي اليه في قوله قل يتوفاكم ملك الموت وقال الزجاج يريد بالرسل هؤلاء الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفظ في الحياة والتوفية عند مجيئ الممات وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجملة (وهم لا يفرطون) اي لا يضيعون عن ابن عباس والسدي وقيل لا يغفلون ولا يتوانون عن الزجاج قال ومعنى التفريط تقدمة العجز فالمعنى أنهم لا يعجزون ثم بين سبحانه ان هؤلاء الذين تتوفاهم رسله يرجعون اليه فقال (ثم ردوا الى الله) اي الى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه الا هو (مولاهم الحق) قد مر معناه عند قوله أنت مولانا والحق اسم من اسماء الله تعالى واختلف في معناه فقيل المعنى ان أمره كله حق لا يشوبه باطل وجد لا يجاوره هزل فيكون مصدرا وصف به نحو قولهم رجل عدل وفي قول زهير

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم ... هم بيننا فهم رضا وهم عدل

وقيل ان الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمعنى مغيث وقيل ان معناه الثابت الباقي الذي لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد أن افعاله وأقواله حق (ألا له الحكم) اي القضاء فيهم يوم القيامة لا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم في الدنيا غيره بتمليكه إياه (وهو اسرع الحاسبين) اي اذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه في سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروي عن أمير المؤمنين علي (ع) انه سئل كيف يحاسب الله الخلق ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه وروي انه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل على انه لا يشغله محاسبة أحد عن محاسبة غيره ويدل على أنه سبحانه يتكلم بلا لسان ولهوات ليصح ان يحاسب الجميع في وقت واحد

قوله تعالى (٦٣) قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٤) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء هنا وفي الأعراف والباقون خفية بالضم وقرأ قل من ينجيكم خفيفة يعقوب وسهل وقرأ الباقون ينجيكم وقرأ اهل الكوفة لئن انجانا من هذه بالألف الا ان عاصما قرأ بالتفخيم والباقون بالإمالة وقرأ غيرهم من القراء لئن انجيتنا وقرأ أهل الكوفة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر قل الله ينجيكم بالتشديد والباقون ينجيكم بالتخفيف

الحجة

أما خفية فإن ابا عبيدة قال خفية أي تخفون في انفسكم وحكى غيره خفية وخفية لغتان وأما خيفة ففعلة من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسرة قال

فلا تقعدنَّ على زخة ... وتضمر في القلب وجدا وخيفا

وهو جمع خيفة وأما قوله ينجيكم فإنهم قالوا نجا زيد فإذا نقل الفعل حسن نقله بالهمزة كما حسن نقله بالتضعيف وفي التنزيل فأنجاه الله من النار فأنجيناه والذين آمنوا وفيه ونجينا الذين آمنوا فاستوى القراءتان في الحسن فأما من قرأ أنجانا فإنه حمله على الغيبة لأن ما قبله تدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما للغيبة ومن قرأ لئن أنجيتنا فإنه واجه بالخطاب ولم يراع من المشاكلة ما راعاه الكوفيون

الإعراب

تدعونه في موضع نصب على الحال تقديره قل من ينجيكم داعين وقائلين لئن انجيتنا تضرعا نصب بأنه حال ايضا من تدعونه وكذلك خفية والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين الحاجة اليه او معلنين ومسرين

المعنى

ثم عاد سبحانه الى حجاج الكفار فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (من ينجيكم) اي يخلصكم ويسلمكم (من ظلمات البر والبحر) اي من شدائدهما واهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل وانشد

بني اسد هل تعلمون بلاءنا ... اذا كان يوم ذو كواكب اشهب

وقال آخر

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي ... اذا كان يوماً ذا كواكب اشنعا

وقال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة التيه والحيرة في البر والبحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع (تدعونه) اي تدعون الله عند معاينة هذه الاهوال (تضرعا وخفية) اي علانية وسرا عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تدعونه مخلصين متضرعين تضرعا بالسنتكم وخفية في انفسكم وهذا اظهر (لئن انجيتنا) اي في اي شدة وقعتم قلتم لئن انجيتنا (من هذه لنكونن من الشاكرين) لإنعامك علينا وهذا يدل على ان السنة في الدعاء التضرع والإخفاء وقد روي عن النبي (ص) انه قال خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي ومر بقوم رفعوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون أصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا (قل) يا محمد (الله ينجيكم) اي ينعم عليكم بالنجاة والفرج ويخلصكم منها اي من هذه الظلمات (ومن كل كرب) اي ويخلصكم الله من كل غم (ثم انتم تشركون) بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم ما لا يقدر على الإنجاء من كل كرب وان خف

قوله تعالى (٦٥) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (آية)

اللغة

لبست عليهم الامر البسه اذا لم أبينه وخلطت بعضه ببعض ولبست الثوب البسه واللبس اختلاط الامر واختلاط الكلام ولابست الامر خالطته والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشيعت فلان اتبعته والتشيع هو الاتباع

على وجه التدين والولاء للمتبوع والشيعة صارت في العرف اسما لمتبعي أمير المؤمنين علي (ع) على سبيل الاعتقاد لإمامته بعد النبي (ص) بلا فصل من الإمامية والزيدية وغيرهم ولا يقع اطلاق هذه اللفظة على غيرهم من المتبعين سواء كان متبوعهم محقا او مبطلا الا ان يسقط عنه لام التعريف ويضاف بلفظ من للتبعيض فيقال هؤلاء شيعة بني العباس او شيعة بني فلان

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التي حاج به الكافرين ونبه على الاعذار والانذار فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (هو القادر على ان يبعث) اي يرسل (عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم) قيل فيه وجوه أحدها ان عذابا من فوقكم عنى به الصيحة والحجارة والطوفان والريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط او من تحت ارجلكم عنى به الخسف كما فعل بقارون عن سعيد ابن جبير ومجاهد وثانيها ان المراد بقوله من فوقكم اي من قبل كباركم او من تحت ارجلكم من سفلتكم عن الضحاك وثالثها ان من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم العبيد السوء ومن لا خير فيه عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (او يلبسكم شيعا) اي يخلطكم فرقا مختلفي الاهواء لا تكونون شيعة واحدة وقيل هو ان يكلهم الى انفسهم فلا يلطف لهم اللطف الذي يؤمنون عنده ويخليهم من الطافه بذنوبهم السالفة وقيل عنى به يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبية وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (ويذيق بعضكم بأس بعض) اي قتال بعض وحرب بعض ومعناه يقتل بعضكم بعضا حتى يفني بعضكم بعضا كما قال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وقيل هو سوء الجوار عن ابي عبد الله (ع) وقال الحسن التهديد بانزال العذاب والخسف يتناول الكفار وقوله او يلبسكم شيعا يتناول أهل الصلاة وقال قال رسول الله (ص) سألت ربي ان لا يظهر على أمتي اهل دين غيرهم فأعطاني وسألته ان لا يهلكهم جوعا فأعطاني وسألته ان لا يجمعهم على ضلالة فأعطاني وسألته ان لا يلبسهم شيعا فمنعني وفي تفسير الكلبي انه لما نزلت هذه الآية قام النبي (ص) فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام وصلى فأحسن صلاته ثم سأل الله سبحانه ان لا يبعث على أمته عذابا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فنزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد ان الله تعالى سمع مقالتك وإنه قد أجارهم من خصلتين ولم يجرهم من خصلتين أجارهم من ان يبعث عليهم عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم ولم يجرهم من الخصلتين الآخريين فقال (ص) يا جبرائيل ما بقاء أمتي مع قتل بعضهم بعضا فقام وعاد الى الدعاء فنزل ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الآيتين فقال لا بد من فتنة تبتلي بها الأمة بعد نبيها ليتبين الصادق من الكاذب لأن الوحي انقطع وبقي السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيامة وفي الخبر انه صلى الله عليه وآله قال اذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها الى يوم القيامة وقال ابي بن كعب سيكون في هذه الأمة بين يدي الساعة خسف وقذف ومسخ ثم أكد سبحانه الاحتجاج عليهم بقوله (انظر كيف نصرف الآيات) اي انظر يا محمد كيف نردد الآيات ونظهرها مرة بعد أخرى بوجوه ادلتها حتى تزول الشبه (لعلهم يفقهون) اي لكي يعلموا الحق فيتبعوه والباطل فيجتنبوه واذا كان البعث في الآية محمولا على التسليط فالمراد به التمكين ورفع الحيلولة دون ان يفعل سبحانه ذلك او يأمر به تعالى الله عن ذلك وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه قادر على ما المعلوم انه لا يفعله

قوله تعالى (٦٦) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٧) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ آيتان كوفي وآية واحدة عند غيرهم

المعنى

لما ذكر سبحانه تصريف الآيات قال عقيب ذلك (وكذب به) اي بما تصرف من الآيات عن الجبائي والبلخي وقال الازهري الهاء يعود الى القرآن وهو قول الحسن وجماعة (قومك) يعني قريشا والعرب (وهو الحق) اي القرآن او تصريف الآيات حق بمعنى انه يدل على الحق او ان ما فيه حق ثم بين سبحانه ان عاقبة تكذيبهم يعود عليهم فقال (قل) يا محمد (لست عليكم بوكيل) اي لم اؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات الله وان احفظكم من ذلك واحول بينكم وبينه لأن الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه عن الجبائي وقيل معناه لست بحافظ لاعمالكم لأجازيكم بها إنما انا منذر والله سبحانه هو المجازي عن الحسن وقيل معناه لم اؤمر بحربكم ولا اخذكم بالايمان كما يأخذ الموكل بالشيء الذي يلزم بلوغ آخره عن الزجاج (لكل نبأ مستقر) اي لكل خبر من اخبار الله ورسوله حقيقة كائنة إما في الدنيا و إما في الآخرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لكل خبر قرار على غاية ينتهي اليها ويظهر عندها قال السدي استقر يوم بدر ما كان يعدهم من العقاب وسمي الوقت مستقرا لانه ظرف للفعل الواقع فيه وقيل معناه لكل عمل مستقر عند الله حتى يجازي به يوم القيامة عن الحسن (وسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد لهم اما بعذاب الآخرة واما بالحرب واخذهم بالايمان شاؤا أو أبوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى (٦٨) وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ (٦٩) وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده ينسينك بالتشديد والباقون ينسينك بالتخفيف

الحجة

حجة من خفف قوله وما انسانيه إلا الشيطان وحجة ابن عامر انه يجوز نقل الفعل بتضعيف العين كما يجوز نقله بالهمزة كما يقال عزمته واعزمته

الاعراب

ذكرى يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى ولكن ذكروهم ذكرى ويجوز ان يكون في موضع رفع على احد وجهين إما أن يكون على معنى ولكن الذي تأمرونهم به ذكرى فيكون خبر المبتدأ واما ان يكون عليكم ذكرى اي عليكم ان تذكروهم كما قال إن عليك إلا البلاغ وعلى هذا فيكون ذكرى مبتدأ

النزول

قال ابو جعفر (ع) لما نزلت فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نصنع إن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فأنزل الله سبحانه وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء امرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا

المعنى

ثم امر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقرآن فقال (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) خاطب النبي (ص) اي إذا رأيت هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكذبون بآياتنا وديننا

عن الحسن وسعيد بن جبير والخوض التخليط في المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبيين (فاعرض عنهم) اي فاتركهم ولا تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) اي يدخلوا في حديث غير الاستهزاء بالقرآن و إنما امره(ص) بالاعراض عنهم لان من حاج من هذه حاله فقد وضع الشيء غير موضعه وحط من قدر البيان والحجاج (واما ينسينك الشيطان) المعنى وان انساك الشيطان نهينا اياك عن الجلوس معهم ويسأل على هذا فيقال كيف اضاف النسيان إلى الشيطان وهو فعل الله تعالى والجواب إنما اضافه إلى الشيطان لانه تعالى اجرى العادة بفعل النسيان عند الاعراض عن الفكر وتراكم الخواطر الردية والوساوس الفاسدة من الشيطان فجاز اضافة النسيان اليه لما حصل عند فعله كما ان من القى غيره في البرد حتى مات فإنه يضاف الموت اليه لانه عرضه لذلك وكان كالسبب فيه (فلا تقعد بعد الذكرى) اي بعد ذكرك نهينا وما يجب عليك من الاعراض عن الجبائي وقيل معناه بعد ان تذكرهم بدعائك اياهم الى الدين عن ابي مسلم فكأنه قال اعرض في حال اليأس وذكر في حال الطمع (مع القوم الظالمين) يعني في مجالس الكفار والفساق الذين يظهرون التكذيب بالقرآن والآيات والاستهزاء بذلك وبه قال سعيد بن جبير والسدي واختاره البلخي وقال كان ذلك في اول الإسلام وكان يختص النبي(ص) ورخص للمؤمنين في ذلك ثم لما عز الإسلام وكثر المسلمون نهوا عن مجالستهم ونسخت هذه الآية بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الانبياء والأئمة وأن النسيان لا يجوز على الانبياء وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لأن الإمامية إنما تجوز التقية على الإمام فيما تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلف مزاح العلة في تكليفه ذلك فاما ما لا يعرف إلا لقول الإمام من الاحكام ولا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقية فيه وهذا كما إذا تقدم من النبي بيان في شيء من الاشياء الشرعية فإنه يجوز منه ان لا يبين في حال اخرى لأمته ذلك الشيء إذا اقتضته المصلحة الا ترى إلى ما روي ان عمر بن الخطاب سأله عن الكلالة فقال يكفيك آية السيف واما النسيان والسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يؤدونه عن الله تعالى فاما ماسواه فقد جوزوا عليهم ان ينسوه او يسهوا عنه ما لم يؤد ذلك إلى اخلال بالعقل وكيف لا يكون كذلك وقد جوزوا عليهم النوم والاغماء وهما من قبل السهو فهذا ظن منه فاسد وان بعض الظن اثم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) اي ليس على المؤمنين الذين اتقوا معاصي الله سبحانه من حساب الكفرة شيء بحضورهم مجلس الخوض (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) اي لهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم على خطاياهم لكي يتقي المشركون إذا رأوا أعراض هؤلاء المؤمنين عنهم وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك عن اكثر المفسرين وقيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه ولا تبعة ولكنه اعلمهم انهم محاسبون وحكم بذلك عليهم لكي يعلموا ان الله يحاسبهم فيتقوا عن البلخي فالهاء والميم على الوجه الاول يعود إلى الكفار وفي الثاني إلى المؤمنين

قوله تعالى (٧٠) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (آية)

اللغة

يقال ابسلته بجريرته اي اسلمته بها والمستبسل المستسلم الذي يعلم انه لا يقدر على التخلص قال الشاعر

وابسالي بني بغير جرم ... بعوناه ولا بدم تراق

اي اسلامي اياهم والبعو الجناية قال الاخفش تبسل اي تجازى وقيل تبسل اي ترهن والمعاني متقاربة وهذا بسل عليك أي حرام عليك وجائز أن يكون اسد باسل من هذا اي انه لا يقدر عليه وجائز أن يكون من الأول بمعنى ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه ويقال اعطِ الراقي بسلته اي اجرته وتأويله انه عمل في الشيء الذي قد استبسل صاحبه معه والعدل الفداء وأصله المثل والحميم الماء الحار احم حتى انتهى غليانه ومنه الحمام

الإعراب

أن تبسل في موضع نصب بأنه مفعول له وهو من باب حذف المضاف تقديره كراهية أن تبسل وقوله ليس لها من دون الله صفة لنفس والتقدير نفس عادمة وليا وشفيعا يكسبها اولئك الذين ابسلوا مبتدأ وخبر وقوله لهم شراب من حميم يجوز أن يكون خبرا ثانيا لاولئك ويجوز أن يكون كلاما مستأنفا

المعنى

ثم عاد تعالى إلى وصف من تقدم ذكرهم من الكفار فقال (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) اي دعهم واعرض عنهم و إنما أراد به اعراض انكار لأنه قال بعد ذلك وذكر يريد دع ملاطفتهم ومجالستهم ولا تدع مذاكرتهم ودعوتهم ونظيره في سورة النساء فأعرض عنهم وعظهم (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني به اغتروا بحياتهم (وذكر به) أي عظ بالقرآن وقيل بيوم الدين وقيل بالحساب (أن تبسل نفس بما كسبت) أي لكي لا تسلم نفس للهلكة بما كسبت أي بما عملت عن الحسن ومجاهد والسدي واختاره الجبائي والفراء وقيل ان معنى تبسل تهلك عن ابن عباس وقيل تحبس عن قتادة وقيل تؤخذ عن ابن زيد وقيل تسلم إلى خزنة جهنم عن عطية العوفي وقيل تجازى عن الأخفش (ليس لها من دون الله ولي) أي ناصر ينجيها من العذاب (ولا شفيع) يشفع لها (وأن تعدل كل عدل) وإن تفد كل فداء (لا يؤخذ منها) وقيل معناه وان تقسط كل قسط في ذلك اليوم لا يقبل منها لأن التوبة هناك غير مقبولة وإنما تقبل في الدنيا (اولئك الذين ابسلوا) اي اهلكوا وقيل اسلموا للهلكة فلا خلاص لهم وقيل ارتهنوا وقيل جوزوا (بما كسبوا) اي بكسبهم وعملهم (لهم شراب من حميم) أي ماء مغلي حار (وعذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) اي بكفرهم يريد جزاء على كفرهم واختلف في الآية فقيل هي منسوخة بآية السيف عن قتادة وقيل ليست بمنسوخة و إنما هي تهديد ووعيد عن مجاهد وغيره وفيها دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستهزاء بالقرآن وبآيات الله وتحذير عن سلوك طريقتهم وقال الفراء ما من امة إلا ولهم عيد يلعبون فيه ويلهون إلا امة محمد(ص) فإن اعيادهم صلاة ودعاء وعبادة

قوله تعالى (٧١) قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (آية)

القراءة

قرأ حمزة وحده استهويه بالف ممالة والباقون استهوته بالتاء المعجمة من فوق

الحجة

قال ابو علي كلا المذهبين حسن قال الشاعر

وكنا ورثناه على عهد تبع ... طويلا سواريه شديدا دعائمه

اللغة

استهواه من قولهم هوى من حالق إذا تردى منه ويشبه به الذي زل عن الطريق المستقيم كما ان قوله زل إنما هو في المكان قال (قام على منزعة زلخ فزل) ثم يشبه به المخطئ في طريقته في مثل قوله فأزلهما الشيطان فكذلك هوى وأهواه غيره فيقال أهويته واستهويته بمعنى كما يقال ازله الشيطان واستزله بمعنى وكذلك استجابه بمعنى أجابه « قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب » والحيران المتردد في امر لا يهتدي إلى المخرج منه والفعل منه حار يحار حيرة ورجل حائر وحيران وقوم حيارى

الاعراب

كالذي استهوته في موضع نصب صفة لمصدر محذوف تقديره اندعو من دون الله دعاء مثل دعاء الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وحيران نصب على الحال من مفعول استهوته له اصحاب وصف لحيران ويدعونه صفة لاصحاب اي اصحاب داعون له إلى الهدى قائلون له إئتنا وهاهنا منتهى الكلام وقوله امرنا لنسلم تقول العرب امرتك لتفعل وأمرتك أن تفعل وأمرتك بأن تفعل فمن قال امرتك بأن تفعل فالباء للإلصاق والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل ومن قال امرتك ان تفعل حذف الجر ومن قال امرتك لتفعل المعنى امرتك للفعل وقال الزجاج التقدير امرنا كي نسلم قال الشاعر

اريد لأنسي ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

اي كي أنسى

المعنى

ثم امر سبحانه نبيه (ص) والمؤمنين بخطاب الكفار فقال (قل) يامحمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون إلى عبادة الأصنام او قل ايها الانسان أو أيها السامع (اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا) ان عبدناه (ولا يضرنا) إن تركنا عبادته (ونرد على اعقابنا) هذا مثل يقولون لكل خائب لم يظفر بحاجته رد على عقبيه ونكص على عقبيه وتقديره انرجع القهقرى في مشيتنا والمعنى انرجع عن ديننا الذي هو خير الأديان (بعد إذ هدانا الله له كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) لا يهتدي إلى طريق وقيل معناه استغوته الغيلان في المهامه عن ابن عباس وقيل معناه دعته الشياطين إلى اتباع الهوى وقيل اهلكته وقيل ذهبت به عن نفطويه وقيل أضلته عن أبي مسلم (له اصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) أي إلى الطريق الواضح يقولون له إئتنا ولايقبل منهم ولا يصير اليهم لانه قد تحير لاستيلاء الشيطان عليه يهوى ولا يهتدي ثم امره الله سبحانه فقال (قل) لهؤلاء الكفار (إن هدى الله هو الهدى) اي دلالة الله لنا على توحيده وامر دينه هو الهدى الذي يؤدي المستدل به إلى الصلاح والرشاد في دينه وهو الذي يجب ان نعمل عليه ونستدل به فلا نترك ذلك إلى ما تدعون اليه (وامرنا لنسلم رب العالمين) معناه وأمرنا ان نسلم وقيل معناه ان نسلم امورنا ونفوضها إلى الله ونتوكل عليه فيها

قوله تعالى (٧٢) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ آيتان كوفي ثلاث آيات في الباقين عدوا كن فيكون آية

الاعراب

يحتمل أول الآية وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون التقدير امرنا لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة ﴿والثاني﴾

أن يكون محمولا على المعنى لأن معناه امرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة وموضع ان نصب لأن الباء لما سقطت افضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السماوات والارض ويحتمل ان يكون فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول به وهو قوله ينفخ في الصور وهذا كما يقولون اكل طعامك عبد الله والتقدير أكله عبد الله قال الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومه ومختبط مما تطيح الطوائح

كأنه قيل من يبكيه قال يبكيه ضارع والأول اجود

المعنى

(وأن أقيموا الصلاة) هذا موصول بما قبله أي وقيل لنا اقيموا الصلاة (واتقوه) أي واتقوا رب العالمين أي تجنبوا معاصيه فتتقوا عقابه (وهو الذي اليه تحشرون) اي تجمعون اليه يوم القيامة فيجازي كل عامل منكم بعمله (وهو الذي خلق السماوات والارض بالحق) فيه قولان احدهما ان معناه خلقهما للحق لا للباطل عن الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه خلقهما حقا وصوابا لا باطلا وخطأ كما قال وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا وادخلت الباء والألف واللام كما ادخلت في نظائرها يقولون فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول حقا لا ان الحق معنى غير القول بل تقديره ان خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو موصوف بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لا ان هناك حقا سوى خلقهما خلقهما به والقول الآخر ما قاله قوم ان معناه خلق السماوات والأرض بكلامه الحق وهو قوله إئتيا طوعا أو كرها فالحق صفة قوله وكلامه والاول هو الصحيح (ويوم يقول كن فيكون) ذكر في نصب يوم وجوه احدها ان يكون عطفا على الهاء في قوله واتقوه اي واتقوا يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا والثاني أن يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لأن بعده وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر عطفا على ذلك قال الزجاج وهو الأجود الثالث أن يكون معطوفا على السماوات والمعنى وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون فإن قيل إن يوم القيامة لم يأت بعد فجوابه ان ما انبأ الله بكونه فحقيقة واقع لا محالة وأما قوله كن فيكون فقد قيل فيه انه خطاب للصور والمعنى يوم يقول للصور كن فيكون وما ذكر من الصور يدل عليه وقيل ان قوله كن فيكون فيه اضمار جميع ما يخلق في ذلك الوقت المعنى ويوم يقول للشيء كن فيكون وهذا إنما ذكر ليدل على سرعة امر البعث والساعة فكأنه يقول ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون أي لا يتعذر عليه ذلك ولا يتأخر عن وقت إرادته وقيل معناه ويوم يقول كن فيكون (قوله الحق) أي يأمر فيقع امره اي ما وعدوا به من الثواب وحذروا به من العقاب والحق من صفة قوله وقوله فاعل يكون كما تقول قد قلت فكان قولك وليس المعنى انك قلت فكان الكلام إنما المعنى إنه كان ما دل عليه القول وأما على القول المتقدم فيكون قوله مبتدأ والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن فيكون في سورة البقرة مستقصى (وله الملك يوم ينفخ في الصور) قيل في نصب يوم هنا وجوه احدها ان يكون متعلقا بله الملك وتقديره ان الملك قد وجب له في ذلك اليوم الذي فيه ينفخ في الصور فقد خص ذلك اليوم بأن الملك له فيه كما خصه في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والوجه فيه انه لا يبقى ملك من ملكه الله في الدنيا او يغلب عليه بل يتفرد سبحانه بالملك والثاني ان يكون يوم ينفخ في الصور مبنيا عن قوله يوم يقول كن فيكون والثالث ان يكون منصوبا بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور والوجه في اختصاصه بذلك اليوم وإن كان قوله حقا في كل وقت ما بيناه في الوجه الأول وهو مثل قوله والأمر يومئذ لله ولاشك أن الأمر في كل وقت لله تعالى والمراد أن ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في اوامره لأنها محتومة ليس

فيها التخيير ولا يقدر أحد على معصيته وأما الصور فقيل فيه انه قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام نفختين فتفنى الخلائق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة الثانية فتكون النفخة الأولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء الآخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما ان السور جمع سورة وعلى هذا فيكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور ويؤيد القول الأول ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي «ص» انه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبينه واصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يارسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور قال الشاعر

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور

(عالم الغيب والشهادة) اي يعلم مالا يشاهده الخلق وما يشاهدونه وما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شيء من ذلك (وهو الحكيم) في افعاله (الخبير) العالم بعباده وأفعالهم

قوله تعالى (٧٤) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٥) وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (آيتان)

القراءة

القراءة الظاهرة آزر بالفتح وقرأ يعقوب الحضرمي آزر بضم الراء وهو قراءة الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك

الحجة

من قرأ بالفتح جعل آزر في موضع جر بدلا من ابيه او عطف بيان ومن قرأ بالضم جعله منادى مفردا وتقديره يا آزر

اللغة

الاصنام جمع صنم والصنم ما كان صورة والوثن ما كان غير مصور والآلهة جمع إله مثل أزار وأزرة والمبين هو البين الظاهر والملكوت بمنزلة الملك غير أن هذا اللفظ ابلغ لأن الواو والتاء تزادان للمبالغة ومثله الرغبوت والرهبوت ووزنه فعلوت وفي المثل رهبوت خير من رحموت اي لأن ترهب خير من ان ترحم

الاعراب

العامل في إذ محذوف وتقديره واذكر إذ قال وقيل انه يتصل بقوله بعد إذ هدانا الله اي وبعد إذ قال ابراهيم والكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى كما ارينا ابراهيم قبح ما كان عليه ابوه وقومه من المذهب كذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض للاعتبار وقيل شبه رؤية ابراهيم برؤية محمد «ص» والمعنى كما اريناك يا محمد ارينا ابراهيم وقوله وليكون عطف على محذوف وتقديره نريه الملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين وقيل انه جملة مستأنفة أي وليكون من الموقنين اريناه فاللام يتعلق بأريناه المحذوف وقيل إن الواو زائدة ومعناه ليكون وهذا بعيد

المعنى

(وإذ قال ابراهيم) اى واذكر اذ قال (لأبيه آزر) فيه أقوال (احدها) انه اسم ابي ابراهيم عن الحسن والسدي والضحاك (وثانيها) ان اسم ابي ابراهيم تارخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف أن اسم ابي ابراهيم تارخ والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم في لغتهم كأنه قال وإذ قال ابراهيم لأبيه يا مخطئ فإذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجائز أن يكون وصفا له كأنه قال لأبيه المخطئ وقيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد قال الزجاج فإذا كان كذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كأنه قال وإذ قال ابراهيم لأبيه أتتخذ آزر وجعل اصناما بدلا من آزر واشباهه فقال بعد أن قال أتتخذ آزر إلها

آتتخذ اصناما آلهة وهذا الذي قاله الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا ان آزر كان جد ابراهيم لامه او كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي إلى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلك وروي عن النبي «ص» انه قال لم يزل ينقلني الله من اصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى إنما المشركون نجس ولهم في ذلك ادلة ليس هنا موضع ذكرها وقوله (اتتخذ اصناما آلهة) استفهام المراد به الانكار اي لا تفعل ذلك (إني اراك وقومك في ضلال) عن الصواب (مبين) ظاهر وفي الآية حث للنبي على محاجة قومه الذين دعوه إلى عبادة الاصنام والاقتداء بأبيه ابراهيم فيه وتسلية له بذلك (وكذلك نري ابراهيم) أي مثل ما وصفناه من قصة ابراهيم وقوله لابيه ما قال نريه (ملكوت السماوات والارض) اي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله تعالى وقيل معناه كما اريناك يا محمد اريناه آثار قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من البحار والمياه والزياح ليستدل بها وهــذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل يعني بالملكوت آيات السماوات والأرض عن مجاهد وقيل أن ملكوت السماوات والأرض ملكهما بالنبطية عن مجاهد ايضا وقيل أن ملكوت السماوات والارض ما نشاهده من الحوادث الدالة على ان الله سبحانه مالك لهما والله المالك لهما ولكل شيء بنفسه لا يملكه سواه فأجرى الملكوت على المملوك الذي هو في السماوات والأرض مجازا عن ابي علي الجبائي وقال ابو جعفر (ع) كشط الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السماوات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لما رأى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض رأى رجلا يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله تعالى يا ابراهيم إن دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فإني لو شئت ان اميتهم بدعائك ما خلقتهم إني خلقت خلقي على ثلاثة اصناف صنف يعبدني لا يشرك بي شيئا فأثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني (وليكون من الموقنين) اي من المتيقنين بأن الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له

النظم

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما عاب دينهم وذم آلهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين انه دين ابراهيم وللناس إلف بدين الآباء لاسيما إذا كان الأب ذا قدر وقيل انها تتصل بقوله اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا إلى قوله بعد إذ هدانا الله ثم قال وبعد ان قال ابراهيم كذا وكذا عن ابي مسلم

قوله تعالى (٧٦) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الضَّالِّينَ (٧٨) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٩) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (أربع آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو وورش من طريق البخاري رأى كوكبا بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان وقرأ ابن

عامر وحمزة والكسائي وخلف ويحيى عن ابي بكر رأى بكسر الراء والهمزة وقرأ الباقون بفتح الراء والهمزة

﴿ الحجة ﴾

ذكر ابو علي الوجه في قراءة من لم يمل وقراءة من أمال واورد في ذلك كلاما كثيرا تركناذكره خوف الإطالة

﴿ اللغة ﴾

يقال جن عليه الليل وجنه الليل واجنه الليل اذا أظلم حتى يستر بظلمته ويقال لكل ماستر قد جن وأجن ومنه اشتقاق الجن لأنهم استجنوا عن أعين الناس وقال الهذلي

وماء وردت قبيل الكرى ... وقد جنه السدف الأدهم

ويقال اجننت الميت وجننته اذا واريته في اللحد وأفل يأفل أفولا اذا غاب قال ذو الرمة

مصابيح ليست باللواتي يقودها ... نجوم ولا بالآفلات الدوالك

والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس اذا طلعت ويسمى ثلاث ليال من اول الشهر الهلال ثم يسمى قمرا الى آخر الشهر وإنما يسمى قمراً لبياضه وحمارا اقمر ابيض والحنيف المائل الى الحق

﴿ الإعراب ﴾

السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة والجواب ان التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون الخبر والمخبر عنه جميعا على التذكير كما كان جميعا على التأنيث في رأى الشمس بازغة وقال ابن فضال المجاشعي قوله رأى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى وقوله هذا ربي من كلام ابراهيم والشمس مؤنثة في كلام العرب وأما في كلام ما سواهم فيجوز ان لا تكون مؤنثة وابراهيم (ع) لم يكن عربيا فحكى الله تعالى كلامه على ما كان في لغته ويقال لم أنث الشمس وذكر القمر والجواب ان تأنيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على حد قولهم نسابة وعلامة وليس القمر كذلك لأنه دونها في الضياء ويقال لم دخلت الألف واللام فيها وهي واحدة ولم تدخل في زيد وعمرو قيل لأن شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج الى التعريف اذا قطعه الى جرم الشمس او الى الشعاع على طريق الجنس او الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الآيات التي أراها الله تعالى ابراهيم (ع) بين سبحانه كيف استدل بها وكيف عرف الحق من جهتها فقال (فلما جن عليه الليل) اي اظلم عليه وستر بظلامه كل ضياء (رأى كوكبا) واختلف في الكوكب الذي رآه فقيل هو الزهرة وقيل هو المشتري (قال هذا ربي فلما أفل) اي غرب (قال لا أحب الآفلين) واختلف في تفسير هذه الآيات على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان ابراهيم (ع) إنما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لأنه (ع) لما أكمل الله عقله وحرك دواعيه على الفكر والتأمل رأى الكوكب فأعظمه وأعجبه نوره وحسنه وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال هذا ربي على سبيل الفكر فلما أفل علم ان الأفول لا يجوز على الإله فاستدل بذلك على انه محدث مخلوق وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس فإنه لما رأى أفولها قطع على حدوثها واستحالة إلهيتها وقال في آخر كلامه يا قوم اني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض الى آخره وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه وهذا اختيار ابي

القاسم البلخي وغيره قال وزمان مهلة النظر هي اكثر من ساعة وأقل من شهر ولا يعلم ما بينهما الا الله تعالى ﴿ وثانيها ﴾ انهُ إنما قال ذلك قبل بلوغه ولما قارب كمال العقل حركتهُ الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما رأى الكوكب ونوره واشراقه وزهوره ظن انهُ ربهُ فلما أفل وانتقل من حال الى حال قال لا أحب الآفلين (فلما رأى القمر بازغا) عند طلوعه ورأى كبره واشراقه وانبساط نوره وضياءه في الدنيا (قال هذا ربي فلما أفل) وصار مثل الكوكب في الأفول والغيبوبة وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك صفة الاله (قال لئن لم يهدني ربي)الى رشدي ولم يوفقني ويلطف بي في إصابة الحق من توحيده (لأكونن من القوم الضالين) بعبادة هذه الحوادث (فلما رأى الشمس بازغة) اي طالعة وقد ملأت الدنيا نورا ورأى عظمها وكبرها (قال هذا ربي هذا اكبر) من الكوكب والقمر(فلما أفلت قال)حينئذ لقومهُ (ياقوم إني بريء مما تشركون) مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم فلما أكمل الله عقله وضبط بفكره النظر في حدوث الأجسام بأن وجدها غير منفكة من المعاني المحدثة وأنه لا بد لها من محدث قال حينئذ لقومه (اني وجهت وجهي) اي نفسي (للذي فطر السماوات والأرض حنيفا) اي مخلصا مائلا عن الشرك الى الإخلاص (وما انا من المشركين) وهذا اختيار ابي علي الجبائي ويسأل عن القول الأول كيف قال (ع) هذا ربي مخبرا وهو غير عالم بما يخبر به والإخبار بما لا يأمن المخبر ان يكون فيه كاذبا قبيح والجواب عنه من وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه لم يقل ذلك مخبرا وإنما قاله فارضا ومقدرا على سبيل التأمل كما يفرض أحدنا اذا نظر في حدوث الاجسام كونها قديمة ليتبين ما يؤدي اليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك مخبرا في الحقيقة ﴿ والآخر ﴾ انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يظن المتفكر في حال فكره ونظره ما لا أصل له ثم يرجع عنه بالأدلة .﴿ سؤال آخر ﴾ كيف تعجب ابراهيم (ع) من رؤية هذه الاشياء تعجب من لم يكن رآها و كيف يجوز أن يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب والجواب انه لا يمتنع ان يكون (ع) ما رأى السماء الا في ذلك الوقت لأنه قد روي ان أمه كانت ولدته في مغارة خوفا من ان يقتله نمرود ومن يكون في المغارة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة ورأى السماء وقد يجوز ايضا ان يكون قد رأى السماء قبل ذلك الا انه لم يفكر في اعلامها لأن الفكر لم يكن واجبا عليه وحين كمل عقله فكر في ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان ابراهيم (ع) لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل كان عالما موقنا ان ربه سبحانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه والتنبيه لهم على ان يكون إلها معبوداً لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون قوله هذا ربي محمولا على احد الوجهين إما على انه كذلك عندكم وفي مذاهبكم كما يقول احدنا للمشبه هذا ربه جسم يتحرك ويسكن وإما على ان يكون قال ذلك مستفهما واسقط حرف الإستفهام للاستغناء عنه وقد كثر مجيء ذلك في كلام العرب قال أوس بن حجر

لعمرك لا ادري وان كنت داريا شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر

وقال الاخطل

كذبتك عينك ام رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

وقال عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد القطر والحصى والتراب

أي اتحبها ؟ وقال آخر

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم

أي أهم هم وروي عن ابن عباس انه قال في قوله فلا اقتحم العقبة معناه أفلا اقتحم فحذف حرف الاستفهام ﴿ورابعها﴾ انه (ع) إنما قال استخداعا للقوم يريهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جار عليه اعراض الحوادث فإنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يعبدون النيران وبعضهم يعبدون الاوثان فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال اين شركائي الذين كنتم تزعمون فأضافه الى نفسه حكاية لقولهم فكأنه قال لهم هذا ربي في قولكم وقيل انه نوى في قلبه الشرط اي ان كان ربكم هذا الحجر كما تزعمون فهذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربي ولم يكن الحجر ربهم ولا الكوكب ربه وفي هذه الآيات دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وانما استدل ابراهيم بالأفول على حدوثها لأن حركتها بالأفول اظهر ومن الشبهة ابعد وإذا جازت عليها الحركة والسكون فلا بد ان تكون مخلوقة محدثة وإذا كانت محدثة فلا بد لها من محدث والمحدث لا بد أن يكون قادرا ليصح منه الاحداث وإذا احدثها على غاية الانتظام والاحكام فلا بد أن يكون عالما وإذا كان قادرا عالما وجب أن يكون حيا موجودا وفيها تنبيه لمشركي العرب وزجرلهم عن عبادة الاصنام وحث لهم على سلوك طريق ابيهم ابراهيم (ع) في النظر والتفكر لأنهم كانوا يعظمون آباءهم فأعلمهم سبحانه ان اتباع الحق من دين ابراهيم الذي يقرون بفضله اوجب عليهم

﴿ القصة ﴾

ذكر اهل التفسير والتاريخ أن ابراهيم (ع) ولد في زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم أن نمرود كان من ولاة كيكاوس وبعضهم قال كان ملكا برأسه وقيل لنمرود انه يولد في بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن وقال آخرون بل وجد ذلك في كتب الانبياء وقال آخرون رأى نمرود كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسأل عنه فعبر بأنه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدي فعند ذلك امر بقتل كل ولد يولد تلك السنة وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء وبأن يتفحص عن احوال النساء فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد فإن كان غلاما قتل وإن كانت جارية خليت حتى حبلت ام ابراهيم فلما دنت ولادة ابراهيم خرجت امه هاربة فذهبت به إلى غار ولفته في خرقة ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه في ابهامه فجعل يمصها فتشخب لبنا وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء الله ان يمكث وقيل كانت تختلف اليه امه فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا عن ابي روق ومحمد بن اسحاق ولما خرج من السرب نظر الى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قال ولما رأى قومه يعبدون الاصنام خالفهم وكان يعيب آلهتهم حتى فشا أمره وجرت المناظرات

قوله تعالى (٨٠) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨١) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان أتحاجوني خفيفة النون والباقون بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي لا نظير في قول من شدد فأما وجه التخفيف فإنه حذفت النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فيتوصل الى إزالته تارة بالحذف نحو علماء بنو فلان وتارة بالابدال نحو لا املاه حتى تفارقا نحو ديوان وقيراط فحذفوا النون الثانية كراهة التضعيف ولا يجوز ان تكون المحذوفة الاولى لأن الاستثقال يقع بالتكرير في الأمر الأعم وفي الاولى ايضا انها دلالة الإعراب وانما حذفت الثانية كما حذفتها في ليتي في نحو قوله «اذ قال ليتي أصادفه ويذهب بعض مالي» وقوله

تراه كالثغام يعل مسكا ... يسوء الفاليات اذا فليني

فالمحذوفة المصاحبة للياء ليسلم سكون لام الفعل وما يجري مجراها او حركتها ولا يجوز ان يكون المحذوفة الاولى لأن الفعل يبقى بلا فاعل كما لا تحذف الاولى في أتحاجوني لأنها للاعراب ويدل على ان المحذوفة الثانية انها حذفت مع الجار ايضا في نحو قوله «قدني من نصر الخبيبين قدي» وقد جاء حذف هذه النون في كلامهم قال الشاعر

ابالموت الذي لابد اني ... ملاق لا اباك تخوفيني

وقال

تذكرونا اذ نقاتلكم ... لا يضر معدما عدمه

﴿ الإعراب ﴾

موضع ان يشاء نصب اي لا أخاف الا مشيئة الله وهذا استثناء منقطع وقيل متصل وتقديره لا أخافهم الا ان يشاء ربي احياءهم واقدارهم وعلما منصوب على التميز

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه محاجة ابراهيم مع قومه فقال (وحاجه قومه) اي خاصموه وجادلوه في الدين وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم (قال) اي ابراهيم لهم (أتحاجوني في الله وقد هدان) اي وفقني لمعرفته ولطف بي في العلم بتوحيده وترك الشرك وأخلاص العبادة له (ولا أخاف ما تشركون به) اي لا أخاف منه ضررا ان كفرت به ولا ارجو نفعا ان عبدته لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ونجم دل أفوله على حدوثه فكيف تحاجوني وتدعونني الى عبادة من لا يخاف ضره ولا يرجى نفعه (الا ان يشاء ربي شيئا) فيه قولان ﴿ احدها ﴾ ان معناه الا ان يغلب الله هذه الاصنام التي تخوفونني بها فيحييها ويقدرها

فتضر وتنفع فيكون ضررها ونفعها اذ ذاك دليلا على حدوثها ايضا وعلى توحيد الله وعلى انه المستحق للعبادة دون غيره وانه لا شريك له في ملكه ثم اثنى على الله سبحانه فقال (وسع ربي كل شيء علما) اي هو عالم بكل شيء ثم امرهم بالتذكر والتدبر فقال (افلا تتذكرون) والثاني قول الحسن معناه لا أخاف الأوثان الا ان يشاء ربي ان يعذبني ببعض ذنوبي او يشاء الاضرار بي ابتداء والأول اجود ثم احتج (ص) عليهم وأكد الحجاج بقوله (وكيف أخاف ما اشركتم) أي كيف تلزمونني ان أخاف ما اشركتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم في انهم لا يضرون ولا ينفعون (ولا تخافون انكم أشركتم بالله) اي ولا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجرؤن عليه بأن اشركتم اي جعلتم له شركاء في ملكه وتعبدونهم من دونه وقيل معناه كيف أخاف شرككم وانا منه بريء والله تعالى لا يعاقبني بفعلكم وأنتم لا تخافون وقد اشركتم به فيكون على هذا ما في قوله ما اشركتم مصدرية (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) اي حجة على صحته وهذا يدل على ان كل من قال قولا او اعتقد مذهباً بغير حجة فهو مبطل (فأي الفريقين أحق بالأمن) أنحن وقد عرفنا الله بادلته ووجهنا العبادة نحوه ام انتم وقد اشركتم بعبادة غيره من الاصنام ولو اطرحتم العصبية والحمية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعا (ان كنتم تعلمون) اي تستعملون عقولكم وعلومكم فتميزون الحق من الباطل والدليل من الشبهة

قوله تعالى (٨٢) ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ آية

اللغة

قال الاصمعي الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر يمدح قوما «هرت الشقاشق ظلامون للجزر» يريد انهم عرقبوها فوضعوا النحر غير موضعه وقال النابغة «والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد» يريد الأرض التي صرف عنها المطر وإنما سماها مظلومة لأنهم يتحوضون فيها حوضاً لم يحكموا صنعه ولم يضعوه في موضعه لكونهم مسافرين

المعنى

لما تقدم قوله سبحانه اي الفريقين أحق بالأمن اي بأن يأمن من العذاب الموحد ام المشرك عقبه ببيان من هو أحق به فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدقوا به وبما اوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد واكثر المفسرين وروي عن ابي بن كعب انه قال ألم تسمع قوله سبحانه ان الشرك لظلم عظيم وهو المروي عن سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وروي عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس وقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه فقال (ص) انه ليس الذي تعنون ألم تستمعوا الى ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة وقال البلخي ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة اذا كان مؤمنا كان آمنا وذلك خلاف القول بالإرجاء وهذا لا يلزم لأنه قول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير آمن وان كان ذلك معلوماً بدليل آخر (أولئك لهم الأمن) من الله بحصول الثواب والأمان من العقاب (وهم مهتدون) اي محكوم لهم بالاهتداء الى الحق والدين وقيل الى الجنة واختلف في هذه الآية فقيل انه من تمام

قول ابراهيم(ع) وروي ذلك عن علي (ع) وقيل ان هذا القول من الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين ابراهيم (ع) وقومه عن محمد بن اسحاق وابن زيد والجبائي

قوله تعالى (٨٣) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٤) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٧) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (خمس آيات)

❋ القراءة ❋

قرأ أهل الكوفة ويعقوب درجات منونا والباقون درجات من نشاء بالإضافة وقرأ اهل الكوفة غير عاصم والليسع بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء ههنا وفي صٓ والباقون واليسع بسكون اللام وفتح الياء

❋ الحجة ❋

من أضاف درجات ذهب الى ان المرفوعة هي الدرجات لمن يشاء ومن نون ذهب الى ان المرفوع صاحب الدرجات ويقوي قراءة من أضاف قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمن فضل على غيره فقد رفعت درجته عليه ويدل على قراءة من نون قوله ورفع بعضهم درجات لأنه في ذكر الرسل فأما قوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فإنه في الرتب وارتفاع الاحوال في الدنيا واتضاعها لأن قبله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وأما من قرأ الليسع باللام فإن هذه اللام زائدة قال ابو علي اعلم ان لام المعرفة يدخل الأسماء على ضربين ❋ احدهما ❋ للتعريف والآخر زيادة زيدت كما تزاد الحروف والتعريف على ضروب منها ان يكون إشارة الى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل اذا اردت به رجلا عرفتماه بعهد كان بينكما ❋ والآخر ❋ ان يكون اشارة الى ما في نفوس الناس من علمهم للجنس فهذا الضرب وان كان معرفة كالأول فهو مخالف له من حيث كان الاول قد علمه حساوهذا لم يعلمه كذلك انما يعلمه معقولا وأما نحو مررت بهذا الرجل فإنما اشير به الى الشاهد الحاضر لا الى غائب معلوم بعهد الا ترى انك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدلك على ذلك قولك في النداء يا أيها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر فأما نحو العباس والحارث والحسن فإنما دخلت الألف واللام فيها على تنزيل انها صفات جارية على موصوفين وهذا يعني الخليل بقوله جعلوه الشيء بعينه فإذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقوها الألف واللام فقالوا حارث وعباس وعلى كلا المذهبين جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق

يقعدهم اعراق حذيم بعدما ... رجا الهتم ادراك العلى والمكارم

وقال

ثلاث مئين للملوك وفى بها ... ردائي وجلت عن وجوه الاهاتم (١)

(١) صدره في الديوان فدى لسيوف من تميم وفى بها

فجعله مرة اسما بمنزلة اضحاة وأضاح ومرة صفة بمنزلة احمر وحمر وجمع الاعشى بين الامرين في قوله

أتاني وعيد الحوص من آل جعفر ... فيا عبد عمرو لو نهيت الاحاوصا

وأما قوله

والتيم الأم من يمشي والأمهم ... ذبن تيم بنو السود المدانيس

فإنه يحتمل أمرين يجوز ان يكون بمنزلة العباس لأن التيم مصدر والمصادر قد اجريت مجرى اسماء الفاعلين فوصف بها كما وصف باسماء الفاعلين وجمع جمعها في نحو نور وانوار وسيل وسوائل وعلى هذا قالوا الفضل في اسم رجل كأنهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص والآخر ان يكون تيمي وتيم كزنجي وزنج فأما الالف واللام في الليسع فلا يخلو ان تكون زائدة او غير زائدة فإن كانت غير زائدة فلا يخلو ان يكون على حد الرجل اذا اردت بـه المعهود او الجنس نحو إن الإنسان لفي خسر او على حد دخولها في العباس فلا يجوز ان يكون على واحد من ذلك فثبت انه زيادة ومما جاءت اللام فيه زائدة ما أنشده احمد بن يحيى

يا ليت ام العمرو كانت صاحبي ... مكان من انشا على الركائب

ومما جاءت الالف واللام فيه زائدة الخمسة العشر درهما حكاه ابو الحسن الاخفش الا ترى انها اسم واحد ولا يجوز ان يعرف اسم واحد بتعريفين كما لا يجوز ان يتعرف بعض الإسم دون بعض وذهب ابو الحسن الى ان اللام في اللات زائدة لأن اللات معرفة فأما العزى فبمنزلة العباس وقياس قول ابي الحسن هنا ان يكون اللام في اليسع ايضا زايدة لانه علم بمثل اللات وليس صفة ومما جاءت اللام فيه زائدة قول الشاعر

وجدنا الوليد ابن اليزيد مباركا ... شديدا باعباء الخلافة كاهله

فأما من قال الليسع فإنه يكون اللام على حد ما في الحرث الا ترى انه على وزن الصفات الا انه وان كان كذلك فليس له مزية على القول الآخر الا ترى انه لم يجيء في الاسماء الاعجمية المنقولة في حال التعريف نحو اسماعيل واسحاق شيء على هذا النحو كما لم يجيء فيها شيء فيـه لام التعريف فإذا كان كذلك كان الليسع بمنزلة اليسع في انه خارج عما عليه الأسماء الأعجمية المختصة المعربة

﴿ الاعراب ﴾

وتلك حجتنا تلك مبتدأ وحجتنا خبره والظاهر ان قوله على قومه من صلة حجتنا اي وتلك حجتنا على قومه واذا جعلت اتيناها من صفة حجتنا كان فصلا بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغي ان يكون متعلقا بمحذوف هذا الظاهر تفسير له كذا نقل عن ابي علي الجبائي

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان الحجج التي ذكرها ابراهيم (ع) لقومه آتاه اياها واعطاها إياه بمعنى أنه هداه لها وانه احتج بها بأمره فقال (وتلك حجتنا) اي أدلتنا (آتيناها) اي اعطيناها (ابراهيم) وأخطرناها بباله وجعلناها حججا (على قومه) من الكفار حتى تمكن من ايرادها عليهم عند الحاجة (نرفع درجات من نشاء)من المؤمنين الذين يصدقون الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم في الإيمان واليقين (ان ربك حكيم عليم) يجعل التفاوت بينهم على ما توجبه حكمته ويقتضيه علمه وقيل معناه نرفع درجات من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة (ووهبنا له) اي لابراهيم (اسحاق) وهو ابنه من سارة (ويعقوب) ابن

اسحاق (كلا هدينا) اي كل الثلاثة فضلنا بالنبوة كما قال سبحانه ووجدك ضالا فهدى اي ذاهبا عن النبوة فهداك اليها وقيل معناه كلا هدينا بنيل الثواب والكرامات عن الجبائي منّ الله سبحانه على ابراهيم بأن رزقه الولد وولد الولد فإن من أفضل النعم على العبد ان يرزقه الله ولداً يدعو له بعد موته فكيف اذا رزق الولد وولد الولد وهما نبيان مرسلان (ونوحا هدينا من قبل) اي من قبل هؤلاء (ومن ذريته) اي من ذرية نوح لأنه أقرب المذكورين اليه ولأن فيمن عددهم من ليس من ذرية ابراهيم وهو لوط والياس وقيل اراد ومن ذرية ابراهيم (داود) وهو داود بن ايشا (وسليمان) ابنه (وأيوب) وهو أيوب بن موص بن رازح بن روم بن عيصا بن اسحاق ابن ابراهيم (ويوسف) بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (وموسى) بن عمران بن يصهر بن ناهث بن لاوي ابن يعقوب (وهارون) أخاه وكان اكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) بنيل الثواب والكرامات وقيل المراد به كما تفضلنا على هؤلاء الانبياء بالنبوة فكذلك نتفضل على المحسنين بنيل الثواب والكرامات (وزكريا) وهو زكريا بن أذن بن بركيا (ويحيى) وهو ابنه (وعيسى) وهو ابن مريم بنت عمران بن ياشهم بن أمون ابن حزقيا (والياس) واختلف فيه فقيل انه ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل هو الياس بن بستر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبي الله عن ابن اسحاق وقيل هو الخضر عن كعب (كل من الصالحين) اي من الأنبياء والمرسلين (واسماعيل) وهو ابن ابراهيم (واليسع) بن اخطوب ابن العجوز (ويونس) بن متى (ولوطا) وهو لوط بن هاران بن أخي ابراهيم وقيل هو ابن اخته (وكلا) اي وكل واحد منهم (فضلنا على العالمين) اي عالمي زمانه ومن قال ان الهاء في قوله ومن ذريته كناية عن ابراهيم قال انه سمى ذريته الى قوله وكذلك نجزي المحسنين ثم عطف قوله وزكريا ويحيى على قوله ونوحا هدينا ولا يمتنع ايضا ان يكون غلب الأكثر الذين هم من نسل ابراهيم على ان الرواية التي جاءت عن ابن مسعود ان الياس ادريس هو جد نوح اذا لم تضعف قول من قال ان الهاء كناية عن نوح فكذلك اذا لم يكن لوط من ذرية ابراهيم لم يضعف قول من قال ان الهاء كناية عن ابراهيم وقال الزجاج يجوز أن يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز ان يكون من ذرية ابراهيم لأن ذكرهما جميعا قد جرى واسماء الأنبياء التي جاءت بعد قوله ونوحا نسق على نوح واذ جعل الله سبحانه عيسى من ذرية ابراهيم (ع) او نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على ان اولاد الحسن والحسين (ع) ذرية رسول الله (ص) على الاطلاق وانهما ابنا رسول (ص) وقد صح في الحديث انه قال لهما عليهما السلام ابناي هذان إمامان قاما او قعدا وقال للحسن (ع) ان ابني هذا سيد وان الصحابة كانت تقول لكل منهما ومن اولادهما يا ابن رسول (ومن آبائهم) يعني ومن آباء هؤلاء الأنبياء (وذرياتهم واخوانهم) جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه هدينا هؤلاء وهدينا بعض آبائهم واخوانهم (واجتبيناهم) اي اصطفيناهم واخترناهم للرسالة وهو مأخوذ من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته (وهديناهم) اي سددناهم وارشدناهم فاهتدوا (الى صراط مستقيم) اي طريق بين لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق

قوله تعالى (٨٨) ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٩) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا

هؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٩٠) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَيهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده اقتده بكسر الهاء مشبعة والباقون اقتده ساكنة الهاء الا ان حمزة والكسائي ويعقوب وخلفا يحذفون الهاء في الوصل ويثبتونها في الوقف والباقون يثبتونها في الوصل والوقف

الحجة

قال ابو علي الوجه الوقوف على الهاء لاجتماع الجمهور على اثباته ولا ينبغي ان يوصل والهاء ثابتة لأن هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في ان الهاء للوقف كما ان همزة الوصل للابتداء بالساكن فكما لا تثبت الهمزة في الوصل كذلك ينبغي ان لا تثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر ان يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التي تلحق الوقف وحسن اضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر

فجال علي وحشية وتخاله ... على ظهره سباً جديدا يمانيا

كأنه قال وتخال خيلا على ظهره سبا فعلى متعلق بمحذوف والتقدير ثابتا على ظهره ومثله قول الشاعر

هذا سراقة للقرآن يدرسه ... والمرء عند الرشا ان يلقها ذيب

فالهاء كناية عن المصدر ودل يدرسه على الدرس ولا يجوز ان يكون ضمير القرآن لأن الفعل قد تعدى اليه باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه والى ضميره

المعنى

ثم بين سبحانه اكرامه لأنبيائه (ع) ثم أمر من بعد بالاقتداء بهم فقال (ذلك) وهو إشارة الى ماتقدم ذكره من التفضيل والاجتباء والهداية والاصطفاء (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) ممن لم يسمهم في هذه الآيات والهداية هنا هي الارشاد الى الثواب دون الهداية التي هي نصب الأدلة الا ترى الى قوله وكذلك نجزي المحسنين وذلك لايليق الا بالثواب الذي يختص المحسنين دون الدلالة التي يشترك بها المؤمن والكافر وقوله (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) يدل ايضا على ذلك ومعناه انهم لو اشركوا لبطلت أعمالهم التي كانوا يوقعونها على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب لتوجيهها الى غير الله تعالى وليس في ذلك دلالة على ان الثواب الذي استحقوه على طاعتهم المتقدمة يحبط اذ ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ذلك على انا قد علمنا بالدليل ان المشرك لا يكون له ثواب اصلا واجتمعت الأمة على ذلك (اولئك) يعني به من تقدم ذكرهم من الأنبياء (الذين آتيناهم) اي اعطيناهم (الكتاب) اراد الكتب ووحد لأنه عنى به الجنس (والحكم) معناه والحكم بين الناس وقيل الحكمة (والنبوة) اي الرسالة (فإن يكفر بها) اي بالكتاب والحكم وبالنبوة (هؤلاء) يعني الكفار الذين جحدوا نبوة النبي (ص) في ذلك الوقت (فقد وكلنا بها) اي بمراعاة أمر النبوة وتعظيمها والأخذ بهدى الأنبياء (قوما ليسوا بها بكافرين) واختلف في المعنيين بذلك فقيل عنى به الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي (ص) قبل وقت مبعثه عن الحسن واختاره الزجاج والطبري والجبائي وقيل عنى به الملائكة عن ابي رجاء العطاردي وقيل عني به من

آمن من أصحاب النبي (ص) في وقت مبعثه وقيل عنى بقوله فإن يكفر بها كفار قريش وبقوله قوماً ليسوا بها بكافرين أهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء وإنما قال وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها قوم تشريفا لهم بالإضافة الى نفسه وقيل معناه فقد الزمناها قوما فقاموا بها وفي هذا ضمان من الله تعالى ان ينصر نبيه (ص) ويحفظ دينه (أولئك الذين هدى الله) اي هداهم الله الى الصبر (فبهداهم اقتده) معناه اقتدبهم في الصبر على أذى قومك واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل معناه أولئك الذين قبلوا هدى الله واهتدوا بلطف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقتهم في التوحيد والادلة وتبليغ الرسالة والإشارة بأولئك الى الأنبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل الى المؤمنين الموكلين بحفظ دين الله لأنه في ذكرهم عن الحسن وقتادة وعلى هذا فلم يتكرر لفظ الهداية وفي القول الأول أعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله فبهداهم اقتده اقتد بصبر إيوب وسخاء ابراهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسر بعض ما يقتدى بهم فيه بقوله (قل) يا محمد (لا أسئلكم عيه أجراً) اي لا أطلب منكم على تبليغ الوحي وأداء الرسالة جعلا كما لم يسأل ذلك الأنبياء قبلي فإن أخذ الأجر عليه ينفر الناس عن القبول (ان هو) اي ما هو (الا ذكرى) اي تذكيرا (للعالمين) بما يلزمهم إتيانه واجتنابه وفي هذه الآية دلالة على انه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إمانبي أو إمام لقوله فقد وكلنا بها قوماليسوا وأسند التوكيد الى نفسه وقد استدل قوم بالآية على ان النبي (ص) وأمته كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم الا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصح لأن الآية قد وردت فيما اتفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق الا بالتوحيد ومكارم الأخلاق فأما الشرائع فإنها تختلف فلا يصح الاقتداء بجميع الأنبياء فيها وتدل الآية على ان نبينا مبعوث الى كافة العالمين وان النبوة مختومة به ولذلك قال ان هو الا ذكرى للعالمين

قوله تعالى (٩١) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمر ويجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون بالياء فيها والباقون بالتاء في الجميع

الحجة

من قرأ بالياء فلأن ما قبله ما قدروا الله على الغيبة ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب من قوله قل من أنزل الكتاب وقوله فيما بعد وعلمتم ما لم تعلموا

الإعراب

حق قدره منصوب على المصدر تبدونها وتخفون كثيرا يجوز ان يكون صفة لقراطيس لأن النكرات توصف بالجمل ويجوز ان يكون حالا من ضمير الكتاب في تجعلونه على ان تجعل القراطيس الكتاب في المعنى لأنه مكتوب فيها وإنما رفع قوله يلعبون لأنه لم يجعله جوابا لقوله ذرهم ولو جعله جوابا لجزمه كما قال سبحانه ذرهم يأكلوا وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرهم لاعبين في خوضهم

النزول

جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي (ص) فقال له النبي (ص) انشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة ان الله سبحانه يبغض الحبر السمين وكان سمينا فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له اصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الآية عن سعيد بن جبير وقيل ان الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه المقالة عن السدي وقيل ان اليهود قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فنزلت الآية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها نزلت في الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن أقر ان الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد

المعنى

لما تقدم ذكر الأنبياء والنبوة عقبه سبحانه بالتهجين لمن انكر النبوة فقال (وما قدروا الله حق قدره) اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمته وماوصفوه بما هو اهل ان يوصف به (اذ قالوا ماانزل الله على بشر من شيء) اي ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان المصلحة والحكمة تقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدل على بعثة كثير منهم ثم أمر سبحانه نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) يعني التوراة وانما احتج بذلك عليهم لأن القائل لذلك من اليهود ومن قال ان المعني بالآية مشركو العرب قال احتج عليهم بالأمر الظاهر ثم بين ان منزلة محمد في ذلك كمنزلة موسى (نورا) اي يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا (وهدى للناس) اي دلالة يهتدون به (تجعلونه قراطيس) اي كتبا وصحفا متفرقة وقال ابو علي الفارسي معناه تجعلونه ذا قراطيس اي تودعونه إياها (تبدونها وتخفون كثيرا) اي تبدون بعضها وتكتمون بعضها وهو ما في الكتب من صفات النبي (ص) والإشارة اليه والبشارة به (وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم) قيل انه خطاب للمسلمين يذكرهم ماأنعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب لليهود اي علمتم التوراة فضيعتموه ولم تنتفعوا بـه وقيل معناه علمتم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن (قل) يا محمد (الله) اي انزل ذلك وهذا كما ان الانسان اذا أراد البيـان والاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقر به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم انه لا جواب له غيره (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) اي دعهم ومايختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل واللعب وليس هذا على إباحة ترك الدعاء والانذار بـل على ضرب من التوعد والتهدد كأنه قال دعهم فسيعلمون عاقبة أمرهم

قوله تعالى (٩٢ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (آيـة)

القراءة

قرأ ابو بكر عن عاصم ليندر بالياء والباقون بالتاء

الحجة

من قرأ بالتاء يؤيد قراءة قوله وانذر به الذين يخافون وإنما انت منذر من يخشاها ومن قرأ بالياء جعل

المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله ولينذروا به وإنما انذركم بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع

ـــ الاعراب ـــ

انزلناه جملة مرفوعة الموضع صفة لكتاب ومبارك ايضا صفة له ايضا

المعنى

لما احتج سبحانه بانزال التوراة على موسى عليه السلام بين ان سبيل القرآن سبيلها فقال (وهذا كتاب) يعني القرآن (انزلناه) من السماء الى الارض لأن جبرائيل (ع) اتى به من السماء (مبارك) وإنما سماه مباركا لأنه ممدوح مستسعد به فكل من تمسك به نال الفوز عن ابي مسلم وقيل ان البركة ثبوت الخير على النماء والزيادة ومنه تبارك الله اي ثبت له ما يستحق بـه التعظيم لم يزل ولا يزال فالقرآن مبارك لأن قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الاولين والآخرين وفيه مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام وقيل البركة الزيادة فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة لأنه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى آخر التكليف (مصدق الذي بين يديه) من الكتب كالتوراة والانجيل وغيرهما عن الحسن وتصديقه للكتب على وجهين ﴿ احدها ﴾ انه يشهد بانها حق ﴿ والثاني ﴾ انه ورد بالصفة التي نطقت بها الكتب المتقدمة (ولتنذر ام القرى ومن حولها) يعني بأم القرى مكة ومن حولها اهل الارض كلهم عن ابن عباس وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر اهل ام القرى وإنما سميت مكة ام القرى لأن الارض دحيت من تحتها فكأن الارض نشأت منها وقيل لأن اول بيت وضع في الدنيا وضع بمكة فكأن القرى تنشأت منها عن السدي وقيل لأن على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها لأنها قبلتهم كما يجب تعظيم الأم عن الزجاج والجبائي (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي بالقرآن ويحتمل ان يكون كناية عن محمد(ص) لدلالة الكلام عليه (وهم على صلاتهم) اي على اوقات صلواتهم (يحافظون) اي يراعونها ليؤدوها فيها ويقوموا بإتمام ركوعها وسجودها وجميع اركانها وفي هذا دلالة على ان المؤمن لا يجوز أن يكون مؤمنا ببعض ما اوجبه الله دون بعض وفيها دلالة على عظم قدر الصلاة ومنزلتها لأنه سبحانه خصها بالذكر من بين سائر الفرائض ونبه على أن من كان مصدقا بالقيامة وبالنبي (ص) لا يخل بها ولا يتركها

قوله تعالى (٩٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ آية

اللغة

اصل الافتراء القطع من فريت الأديم افريه فريا فكان الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والغمرة الغشية وغمرة كل شيء معظمه وغمرات الموت شدائده قال الشاعر

الغمرات ثم ينجلينا ... ثم يذهبن فلا يجينا

واصله الشيء يغمر الاشياء فيغطيها والهون بضم الهاء الهوان قال ذو الاصبع العدواني

اذهب اليك فما أمي براعية ... ترعى المخاض ولا اغضي على الهون

والهون بفتح الهاء الدعة والرفق ومنه يمشون على الارض هونا وقال

هونكما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن أسفا في إثر من ماتا

﴿ الاعراب ﴾

من قال سأنزل في موضع الجر على العطف كأنه قال ومن أظلم ممن قال ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت محذوف اي لرأيت عذابا عظيما

﴿ النزول ﴾

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في مسيلمة حيث ادعى النبوة الى قوله ولم يوح اليه شيء وقوله سأنزل مثل ما أنزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي (ص) فكان اذا قال له اكتب عليما حكيما كتب غفوراً رحيما واذا قال له اكتب غفورا رحيما كتب عليما حكيما وارتد ولحق بمكة وقال إني انزل مثل ما انزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي واليه ذهب الفراء والزجاج والجبائي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقال قوم نزلت في ابن ابي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلمة خاصة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر نبوة النبي (ص) وإنزال الكتاب عليه عقبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه اوادعوا أنهم يأتون بمثل ما أتى به فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) هذا استفهام في معنى الانكار اي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فادعى انه نبي وليس بنبي (اوقال أوحي إلي ولم يوح اليه شيء) اي يدعي الوحي ولا يأتيه ولا يجوز في حكمة الله سبحانه ان يبعث كذابا وهذا وان كان داخلا في الافتراء فإنما أفرد بالذكر تعظيما (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) قال الزجاج هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم لم يفعلوا وبذلوا النفوس والاموال واستعملوا سائر الحيل في إطفاء نور الله وابى الله الا ان يتم نوره وقيل المراد به عبد الله بن سعد بن ابي سرح أملى عليه رسول الله (ص) ذات يوم ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فجرى على لسان ابن ابي سرح فتبارك الله احسن الخالقين فأملاه عليه وقال هكذا انزل فارتد عدو الله وقال لئن كان محمد صادقا فلقد أوحي الي كما أوحي اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال وارتد عن الإسلام وهدر رسول الله (ص) دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد أخذ بيده ورسول الله (ص) في المسجد فقال يارسول الله اعف عنه فسكت رسول الله (ص) ثم أعاد فسكت ثم أعاد فسكت فقال هو لك فلما مر قال رسول الله لأصحابه ألم أقل من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني اليك يا رسول الله ان تشير إلي فاقتله فقال (ص) الأنبياء لا يقتلون بالإشارة ثم اخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت) اي في شدائد الموت عند النزع وقيل في أشد العذاب في النار (والملائكة) الذين يقبضون الارواح وقيل يريد ملائكة العذاب (باسطوا أيديهم) لقبض أرواحهم وقيل يبسطون إليهم أيديهم بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم (أخرجوا أنفسكم) اي يقولون أخرجوا انفسكم من سكرات الموت إن استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادعيتم وقيل أخرجوا انفسكم من اجسادكم عند معاينة الموت إرهاقا لهم وتغليظا عليهم وان كان إخراجها من فعل غيرهم وقيل على التأويل الاول يقولون لهم يوم القيامة أخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استطعتم اي خلصوها منه (اليوم تجزون عذاب الهون) اي عذابا تلقون فيه الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) اي في الدنيا (وكنتم عن آياته تستكبرون) اي تأنفون من اتباع آياته

قوله تعالى (٩٤) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ

بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص بينكم بالنصب والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي استعمل هذا الاسم على ضربين ﴿ أحدهما ﴾ ان يكون اسما متصرفا كالافتراق ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ظرفا والمرفوع في قراءة من قرأ لقد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفا ثم استعمل إسما والدليل على جواز كونه إسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل اسما في هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدل على ان هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفا أنه لا يخلو من ان يكون الذي كان ظرفا اتسع فيه او يكون الذي هو مصدر فلا يجوزان يكون المصدر لأن تقديره يكون لقد تقطع افتراقكم وهذا خلاف المعنى المراد لأن المراد لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتألفون عليه فإن قلت كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل وأصله الافتراق والتباين قيل إنه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم وصداقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرقة فلهذا قد جاء لقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فأما من نصب بينكم ففيه مذهبان ﴿ أحدهما ﴾ أنه أضمر الفاعل في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفعاءكم لأن هذا يدل على التقاطع وذلك المضمر هو الوصل فكأنه قال لقد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيبويه أنهم قالوا إذا كان غدا فأتني وأضمر ما كانوا فيه من رخاء وبلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر انه انتصب على شيء يراه ابو الحسن فإنه يذهب الى ان معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام وكذلك يقول في قوله يوم القيامة يفصل بينكم وقوله وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ودون في موضع رفع عنده وإن كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح

﴿ اللغة ﴾

فرادى جمع فرد وفريد وفرد والعرب تقول فرادى وفراد فلا يصرفونها تشبيها بثلاث ورباع قال الشاعر

ترى النعرات البيض تحت لبانه ... فراد ومثنى اصعقتها صواهله

وقال النابغة

من وحش وجرة موشي أكارعه ... طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

ومثل الفرادى الردافى والقرابى والتخويل الاعطاء وأصله تمليك الخول كما ان التمويل هو تمليك الأموال وخوله الله اعطاه مالا وفلان خولي مال وخال مال وخائل مال إذ كان يصلح المال وهم خول فلان اي أتباعه الواحد خائل والزعم قد يكون حقا وقد يكون باطلا قال الشاعر

يقول هلكنا إن هلكت وإنما ... على الله ارزاق العباد كما زعم

والبين مصدر بان يبين إذا فارق قال الشاعر

بان الخليط برامتين فودعوا ... او كلما ظعنوا لبين تجزع

قال ابو زيد بان الحي بينونة وبينا اذا ظعنوا وتباينوا اي تفرقوا بعد ان كانوا جميعا

﴿ الإعراب ﴾

فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تركتم

النزول

نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة حين قال سوف يشفع لي اللات والعزى عن عكرمة

المعنى

ثم بين سبحانه تمام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال (ولقد جئتمونا) قيل هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده اما عند الموت أو عند البعث وقيل هو من كلام الملائكة يؤدونه عن الله الى الذين يقبضون ارواحهم (فرادى) اي وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم عن الجبائي وقيل واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منهم منفردا من شريكه في الغي وشقيقه عن الزجاج (كما خلقناكم أول مرة) اي كما خلقناكم في بطون أمهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين عن الجبائي وقيل معناه ما روي عن النبي (ص) أنه قال تحشرون حفاة عراة عزلا والعزل هم القلف وروي ان عائشة قالت لرسول الله (ص) حين سمعت ذلك واسوأتاه أينظر بعضهم إلى سوأة بعض من الرجال والنساء فقال (ص) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بدأناكم أول مرة اي يكون بعثكم كخلقكم (وتركتم ما خولناكم) معناه ماملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به من الأموال (وراء ظهوركم) اي خلف ظهوركم في الدنيا والمراد تركتم الاموال وحملتم من الذنوب الاحمال واستمتع غيركم بما خلفتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة (وما نرى معكم شفعاءكم) اي ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم (عند الله يوم القيامة) وهي الاصنام الذين زعمتم انهم فيكم شركاء معناه زعمتم انهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم يريد وما نفعكم عبادة الأوثان التي كنتم تقولون انها فيكم شركاء وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام في كل من عبد غير الله واعتمد غيره يرجو خيره ويخاف ضيره في مخالفة الله تعالى (لقد تقطع بينكم) اي وصلكم وجمعكم ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع الأمر بينكم او تقطع وصلكم بينكم (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) اي ضاع وتلاشي ولا تدرون اين ذهب من جعلتم شفعاءكم من آلهتكم ولم تنفعكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء قد حث الله سبحانه في هذه الآية على اقتناء الطاعات التي بها ينال الفوز وتدرك النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الممات

قوله تعالى (٩٥) إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٦) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (آيتان)

القراءة

قرأ اهل الكوفة وجعل الليل سكنا والباقون وجاعل بالألف والرفع الليل بالجر.

الحجة

وجه قول من قرأ وجاعل الليل ان قبله إسم فاعل وهو فالق الحب وفالق الإصباح ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لأن الاسم بالاسم اشبه من الفعل بالاسم ويقوي ذلك قولهم

للبس عباءة وتقر عيني ... احب إلي من لبس الشفوف

فنصب وتقر ليكون في تقدير اسم باضمار أن فيكون قد عطف اسما على اسم وقوله

ولولا رجال من رزام ومازن ... وآل سبيع او اسوءك علقما

ومن قرأ وجعل فلأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه فعل لموافقته له في المعنى ويدلك على انه بمنزلة فعل أنه نزل منزلته فيما عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسبانا الا ترى انه لما كان المعنى فعل حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فعل لما كان فاعل كفعل ويقوي ذلك قولهم هذا معطي زيد درهما أمس فالدرهم محمول على اعطى لأن اسم الفاعل إذا كان لما مضى لم يعمل عمل الفعل فإذا كان معط بمنزلة اعطى كذلك جعل فالق بمنزلة فلق لأن اسم الفاعل لما مضى فعطف عليه فعل لما كان بمنزلته

❊ اللغة ❊

الفلق الشق يقال فلقه فانفلق والفلق الصبح لأن الظلام ينفلق عنه والفلق المطمئن من الارض كأنه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون له نوى كالبر والشعير والنوى جمع نواة والإصباح والصبح واحد وهو مصدر أصبحنا إصباحا وقد روي عن الحسن انه قرأ فالق الأصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرأ به غيره والسكن الذي يسكن اليه والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان وقيل هو مصدر حسبت الحساب احسبه حسابا وحسبانا وحكي عن بعض العرب على الله حسبان فلان وحسبته اي حسابه والحسبان بكسر الحاء جمع حسبانة وهي وسادة صغيرة والحسبان والمحسبة مصدر حسبت فلانا عاقلا أحسبه واحسبه

❊ الإعراب ❊

النصب في الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكنا وتقديره وجعل الشمس والقمر حسبانا وحسبانا المفعول الثاني منه ولا يجوز وجاعل الليل سكنا لأن اسم الفاعل إذا كان واقعا لم يعمل عمل الفعل وأضيف إلى ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد أمس لا غير

❊ المعنى ❊

ثم عاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين بعجائب الصنع ولطائف التدبير فقال سبحانه (ان الله فالق الحب والنوى) اي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشئها ومبدئها عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما في الحبة والنوى من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى في استوائه عن مجاهد وابي مالك (يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) اي يخرج النبات الغض الطري الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمي الشجر ما دام غضا قائما بأنه حي فإذا يبس او قطع او قلع سموه ميتا وقيل معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وهذا أصح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائي وقيل معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ذلكم الله) اي فاعل ذلك كله الله (فأنى تؤفكون) اي تصرفون عن الحق ويذهب بكم عن هذه الأدلة الظاهرة الى الباطل أفلا تتدبرون فتعلمون انه لا ينبغي ان يجعل لمن انعم عليكم بخلق الحب والنوى واخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك في عبادته (فالق الإصباح) اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن أكثر المفسرين وقيل معناه خالق الصباح عن ابن عباس (وجاعل الليل سكنا) تسكنون فيه وتودعون فيه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين نبه الله سبحانه على عظيم نعمته بأن جعل الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بتعاقبهما على كمال قدرته وحكمته ثم قال (والشمس والقمر حسبانا) اي جعلهما تجريان في افلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما فتقطع الشمس جميع البروج الإثني عشر في ثلاثمائة وخمس وستين يوماً وربع والقمر في ثمانية وعشرين يوما وبني عليهما الليالي والأيام والشهور والاعوام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل في فلك يسبحون عن ابن عباس والسدي

وقتادة ومجاهد أشار سبحانه بذلك إلى ما في حسابهما من مصالح العباد في معاملاتهم وتواريخهم وأوقات عباداتهم وغير ذلك من أمورهم الدينية والدنيوية (ذلك) إشارة إلى ما وصفه سبحانه من فلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا (تقدير العزيز) الذي عز سلطانه فلا يقدر احد على الامتناع منه (العليم) بمصالح خلقه وتدبيرهم

قوله تعالى (٩٧) وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٨) وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف والباقون بفتح القاف

الحجة

قال ابو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار فإذا كان كذلك وجب خبره ان يكون المضمر منكم اي فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر اي مستقر في الارحام ومن فتح فليس على انه مفعول الا ترى أن استقر لا يتعدى وإذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول بـه وإذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر بمعنى القار وإذا كان كذلك جعلت الخبر المضمر لكم والتقدير فمستقر لكم وأما المستودع فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعولين تقول استودعت زيدا الفا وأودعت زيدا الفا فاستودع مثل أودع كما ان استجاب مثل أجاب فالمستودع يجوز ان يكون الإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه ومن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليـه اي فلكم مكان استقرار واستيداع ومن قرأ فمستقر فالمعنى منكم مستقر في الارحام ومنكم مستودع في الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر في انه اسم لغير المكان

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يقارب في المعنى الآية المتقدمة فيما يدل على وحدانيته وعظيم قدرتـه فقال (وهو الذي جعل) اى خلق (لكم) اي لنفعكم (النجوم لتهتدوا بها) اي بضوئها وطلوعها ومواضعها (في ظلمات البر والبحر) لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدى بها في الاسفار وفي البلاد وفي القبلة واوقات الليـل و إلى الطرق في مسالك البراري والبحار وقال البلخي ليس في قوله لتهتدوابها ما يدل على انه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لأمور جليلة عظيمة ومن فكر في صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر في نشوء الحيوان والنبات علم ان الأمر كذلك ولو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا وكبارا واختلافاتها في المسير معنى وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم ان النجوم آل محمد (ع) (قد فصلنا الآيات) اي بينا الحجج والبينات (لقوم يعلمون) اي يتفكرون فيعلمون (وهو الذي أنشأكم) اي ابدعكم وخلقكم (من نفس واحدة) اي من آدم (ع) لأن الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق أمنا حواء من ضلع من أضلاعـه ومنّ علينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب الى التواد والتعاطف والتآلف (فمستقر ومستودع) قد مر ذكرهما في الحجة واختلف في معناهما فقيل مستقر في الرحم إلى ان يولد ومستودع في القبر إلى ان يبعث عن عبد الله بن مسعود وقيل مستقر في بطون الأمهات ومستودع في اصلاب الآباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن

ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد وقيل مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث يموت وحيث يبعث عن ابي العالية وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد

وما المال والأهلون الا ودائع ... ولا بد يوما أن ترد الودائع

وقال سليمان بن زيد العدوي في هذا المعنى

فجع الأحبة بالأحبة قبلنا ... فالناس مفجوع به ومفجع

مستودع او مستقر مدخلا ... فالمستقر يزوره المستودع

(قد فصلنا الآيات) اي بينا الحجج وميزنا الأدلة (لقوم يفقهون) مواقع الحجة ومواقع العبرة وإنما خص الذين يعلمون ويفقهون لأنهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرر قوله قد فصلنا الآيات حثا على النظر وتنبيها على ان كلا مما ذكر آية ودلالة تدل على توحيده وصفاته العلى

قوله تعالى(٩٩) وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (آية)

القراءة

قرأ ابو بكر عن عاصم برواية ابي يوسف الأعشى والبرجمي وجنات بالرفع وهو قراءة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وعبد الله بن مسعود والاعمش ويحيى بن يعمر وقرأ الباقون وجنات على النصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف ثمره بضمتين وكذلك كلوا من ثمره وفي سورة يس ليأكلوا من ثمره وقرأ الباقون ثمره بفتحتين في الجميع

الحجة

من قرأ وجنات فإنه عطفها على قوله خضرا اي فأخرجنا من الماء خضرا وجنات من اعناب ومن قرأ وجنات بالرفع فإنه عطفها على قنوان لفظا و إن لم يكن من جنسها كقول الشاعر (متقلدا سيفا ورمحا) ومن قرأ الى ثمره فالثمر جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر ومن قرأ ثمره بضمتين فيحتمل وجهين احدهما ان يكون على ثمرة وثمر مثل خشبة وخشب وأكمة وأكم قال الشاعر

نحن الفوارس يوم ديسقة المغـ ... ـشو الكماة غوارب الأكم

ونظيره من المعتل قارة وقور وناقة ونوق وساحة وسوح قال الشاعر

وكان سيان الايسرحوا نعما ... او يسرحوه بها واغبرت السوح

والآخر ان يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع

اللغة

خضر بمعنى أخضر يقال اخضر فهو خضر واخضر واعور فهو عور واعور وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة اي غضة ناعمة وذهب دمه خضرا مضرا اي باطلا وأخذ الشيء خضرا مضرا اي مجانا بغير ثمن وقيل غضا طريا وفلان اخضر الجلدة وأخضر المنكب اي ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب

وانا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو الى عقد الكرب
برسول الله وابني بنته وبعباس بن عبد المطلب

وكتيبة خضراء اذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمي الأسود اخضر ويسمى سواد العراق سوادا لكثرة خضرته ومتراكب متفاعل من الركوب وطلع النخل اول ما يبدو من ثمره وقداطلع النخل والقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين اي الكباسة والعذق بفتح العين النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف وضمها اثنان وقنيان بالياء لغة تميم ودانية قريبة المتناول والينع النضج يقال ينع الثمر ينعا وينعا واينع إذا ادرك قال الشاعر

في قباب وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا

وقيل ان الينع جمع يانع مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر

❋ المعنى ❋

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وهو الذي انزل من السماء ماء) يريد من السحاب والعرب تقول كل ما علاك فأظلك فهو سماء (فأخرجنا به نبات كل شيء) والمعنى فأخرجنا بالماء الذي انزلناه من السماء من غذاء الانعام والطير والوحش وأرزاق بني آدم ما يتغذون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون ويزيد بنبات كل شيء ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويحتمل ان يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات ليكون كل شيء هو اصناف النبات كقوله ان هذا لهو الحق اليقين عن الفراء والأول احسن وإنما قال به لأنه سبحانه جعله سببا مؤديا الى النبات لا مولدا له وقد كان يمكنه الانبات بغيره فلا يقال انه فعله بسبب مولد (فأخرجنا منه) اي من الماء وقيل من النبات (خضرا) اي زرعا رطبا اخضر وهو ساق السنبلة (نخرج منه) اي من ذلك الزرع الخضر (حبا متراكبا) قد تركب بعضه على بعض مثل سنبلة الحنطة والسمسم وغير ذلك (ومن النخل) اي ونخرج من النخل (من طلعها قنوان) اي اعذاق الرطب (دانية) اي قريبة المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لأن في الكلام دليلا على البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة فاجتزأ بذكر القرينة عن ذكر السحيقة كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد لأن في الكلام دليلا على انها تقي البرد لأن ما يستر عن الحر يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الارض لكثرة ثمرها وثقل حملها وتقديره ومن النخل من طلعها ما قنوانه دانية وإنما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والأغذية الشريفة التي ليست في اكمام الثمار (وجنات من اعناب) يعني وأخرجنا به ايضا جنات من اعناب اي بساتين من اعناب ومن رفعه فتقديره ونخرج به جنات من أعناب (والزيتون والرمان) اي فأخرجنا به الزيتون والرمان اي شجر الزيتون والرمان وقرن الزيتون والرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله الى آخره قال الشاعر

بورك الميت الغريب كما بو رك نضج الرمان والزيتون

ومعناه ان ورقها يشتمل على العود كله (مشتبها وغير متشابه) اي مشتبها شجره يشبه بعضه بعضا وغير متشابه في الطعم وقيل مشتبها ورقه مختلفا ثمره عن قتادة وقيل مشبها في الخلق مختلفا في الطعم وقيل مشتبها ما كان من جنس واحد وغير متشابه اذا اختلف جنسه عن الجبائي والأولى ان يقال ان جميع ذلك مشتبه من وجوه مختلف من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم (انظروا الى ثمره اذا اثمر) اي انظروا الى خروج الثمار نظر الاعتبار

(وينعه) اي نضجه ومعناه انظروا من ابتداء خروجه اذا أثمر الى انتهائه اذا اينع وادرك كيف تنتقل عليه الاحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر ليستدلوا بذلك على ان له صانعا مدبرا (ان في ذلكم لآيات) أي ان في خلق هذه الثمار والزروع مع اتقان جواهرها اجناسا مختلفة لا يشبه بعضها بعضا لدلالات على ان لها خالقا قصد الى التمييز بينها قبل خلقها على علم بها وانها تكونت بخلقه وتدبيره (لقوم يؤمنون) لأنهم بها يستدلون وبمعرفة مدلولاتها ينتفعون

قوله تعالى (١٠٠) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠١) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرا اهل المدينة وخرقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال احمد بن يحيى خرق واخترق بمعنى وقال ابو الحسن الخفيفة اعجب الي لأنها اكثر والمعنى في القراءتين كذبوا وقد روي في الشواذ عن ابن عباس وحرفوا بالحاء والفاء وهذا شاهد يكذبهم ايضا ومثله يحرفون الكلم عن مواضعه

﴿ اللغة ﴾

البديع بمعنى المبدع والفرق بين الابداع والاختراع ان الإبداع فعل ما لم يسبق الى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له ولذلك يقال البدعة لما خالف السنة لأنه احداث ما لم يسبق اليه ولا يقدر على الاختراع غير الله تعالى لأن حده ما ابتدئ في غير محل القدرة عليه والقادر بقدرة إما ان يفعل مباشرا وهو ما ابتدئ في محل القدرة او متولداً وهو ما يوقع بحسب غيره ولا يقدر على الاختراع اصلا

﴿ الاعراب ﴾

انتصاب الجن من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مفعولا اي جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولا ثانيا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الجن بدلا من شركاء ومفسرا له سبحانه نصب على المصدر كأنه قال تسبيحا له وبديع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع السماوات ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره انّى يكون له ولد وإنما تعدى بديع وهو فعيل لأنه معدول عن مفعل والصفة تعمل عمل ما عدلت منه فإذا لم تكن معدولة لم تتعد نحو طويل وقصير

﴿ المعنى ﴾

ثم رد سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والحجج والبينات فقال (وجعلوا) يعني المشركين (لله شركاء الجن) أخبر الله سبحانه انهم اتخذوا معه آلهة جعلوهم له انداداً كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وأراد بالجن الملائكة وإنما سماهم جنا لاستتارهم عن الأعين وهذا كما قال جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا عن قتادة والسدي وقيل ان قريشا كانوا يقولون ان الله تعالى قد صاهر الجن فحدث

بينها الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن المعروف وقيل أراد بالجن الشياطين لأنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان عن الحسن (وخلقهم) الهاء والميم عائدة اليهم اي جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون ويجوز ان يكون الهاء والميم عائدة على الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له ويجوز ان يكون المعنى وخلق الجن والإنس جميعا وروي ان يحيى بن يعمر قرأ وخلقهم بسكون اللام اي وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويأفكون فيه ويكذبونه كأنه قال جعلوا الجن شركاءه وافعالهم شركاء افعاله اوشركاء له إذا عنى بذلك الأصنام ونحوها وقيل ان المعني بالآية المجوس اذ قالوا يزدان واهرمن وهو الشيطان عندهم فنسبوا خلق المؤذيات والشرور والأشياء الضارة الى اهرمن وجعلوه بذلك شريكا له ومثلهم الثنوية القائلون بالنور والظلمة (وخرقوا له بنين وبنات) اي اختلقوا وموهوا وافتروا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات الى الله فإن المشركين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا عزير ابن الله (بغير علم) اي بغير حجة ويجوز ان يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا وآجلا ويجوز ان يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقة لكن جهلا منهم بالله وبعظمته تعالى (سبحانه) اي تنزيها له عما يقولون (وتعالى عما يصفون) من ادعائهم له شركاء واختراقهم له بنين وبنات اي هو يجل من ان يوصف بما وصفوه به وإنما صار اتخاذ الولد نقصا لأنه لا يخلو من ان يكون ولادة او تبنيا وكلاهما يوجب التشبيه ومن اشبه المحدث كان على صفة نقص (بديع السماوات والأرض) اي مبدعهما ومنشئهما بعلمه ابتداء لا من شيء ولا على مثال سبق وهو المروي عن ابي جعفر (ع) (أنى يكون له ولد) اي كيف يكون له ولد ومن أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) اي زوجة وإنما يكون الولد من النساء فيما يتعارفونه (وخلق كل شيء) في هذا نفي للصاحبة والولد فإن من خلق الأشياء لا يكون شيء من خلقه صاحبة له ولا ولدا ولأن الاشياء كلها مخلوقة له فكيف يتعزز بالولد ويتكثر به (وهو بكل شيء عليم) يعلم الاشياء كلها موجودها ومعدومها لا يخفى عليه خافية ومن قال ان في قوله وخلق كل شيء دلالة على خلق افعال العباد فجوابه ان المفهوم منه انه أراد المخلوقات كما يفهم المأكولات من قول من قال أكلت كل شيء والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب يضاف خلقها اليه سبحانه على انه سبحانه قد نزه نفسه عن إفك العباد وكذبهم فلو كان خلقا له لما تنزه عنه

قوله تعالى (١٠٢) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٣) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (آيتان)

اللغة

الوكيل على الشيء هو الحافظ له الذي يحوطه ويدفع الضرر عنه وإنما وصف سبحانه نفسه بأنه وكيل مع انه مالك الأشياء لأنه لما كانت منافعها لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل اليه الأمور يقال وكلت اليه هذا الأمر اي وليته تدبيره والمؤمن يتوكل على الله اي يفوض أمره اليه والإدراك اللحاق يقال ادرك قتادة الحسن اي لحقه وأدرك الطعام نضج وأدرك الزرع بلغ منتهاه وأدرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وأدركته ببصري لحقته ببصري وتدارك القوم تلاحقوا ولا

يكون الإدراك بمعنى الإحاطة لأن الجدار محيط بالدار وليس بمدرك لها والبصر الحاسة التي تقع بها الرؤية

﴿ الاعراب ﴾

خالق كل شيء خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون صفة ربكم وكان يجوز نصبه على الحال لأنه نكرة اتصل بمعرفة بعد التمام

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة على وحدانيته عقبه بتنبيه عباده على انه الإله المستحق للطاعة والعبادة وتعليمهم الاستدلال بأفعاله عليه فقال (ذلكم) اي ذلك الذي خلق هذه الأشياء ودبر هذه التدابير لكم أيها الناس هو (الله ربكم) اي خالقكم ومالككم ومدبركم وسيدكم (لا إله الا هو خالق كل شيء) اي كل مخلوق من الاجسام والاعراض التي لا يقدر عليها غيره (فاعبدوه) لأنه المستحق للعبادة (وهو على كل شيء وكيل) اي حافظ ومدبر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم (لا تدركه الأبصار) اي لا تراه العيون لأن الادراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه الا الرؤية كما انه اذا قرن بآلة السمع فقيل ادركت بأذني لم يفهم منه الا السماع وكذلك اذا أضيف الى كل واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه كقولهم أدركته بفمي معناه وجدت طعمه وأدركته بأنفي معناه وجدت رائحته (وهو يدرك الأبصار) تقديره لا تدركه ذوو الابصار وهو يدرك ذوي الابصار اي المبصرين ومعناه انه يرى ولا يُرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لأن منها ما يرى ويرى كالأحياء ومنها ما يُرى ولا يرى كالجمادات والاعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالأعراض غير المدركة فالله تعالى خالف جميعها وتفرد بأن يرى ولا يرى وتمدح في الآية بمجموع الأمرين كما تمدح في الآية الأخرى بقوله وهو يطعم ولا يطعم وروى العياشي بالاسناد المتصل ان الفضل بن سهل ذا الرياستين سأل ابا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) فقال اخبرني عما اختلف الناس فيه من الرؤية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهذه الأبصار ليست هي الأعين إنما هي الأبصار التي في القلوب لا يقع عليه الاوهام ولا يدرك كيف هو (وهو اللطيف) قيل في معناه وجوه ﴿ احدها ﴾ انه اللاطف بعباده بسبوغ الإنعام غير انه عدل عن وزن فاعل الى فعيل للمبالغة ﴿ والثاني ﴾ ان معناه لطيف التدبير الا انه حذف لدلالة الكلام عليه — والثالث — ان اللطيف الذي يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده — والرابع — ان اللطيف الذي اذا دعوته لباك وان قصدته آواك وان أحببته أدناك وان أطعته كافاك وان عصيته عافاك وان أعرضت عنه دعاك وان أقبلت اليه هداك ﴿ والخامس ﴾ اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن الجافي — والسادس — اللطيف من يعز المفتخر به ويغني المفتقر اليه — والسابع — اللطيف من يكون عطاؤه خيرة ومنعه ذخيرة (الخبير) العليم بكل شيء من مصالح عباده فيدبرهم عليها وبافعالهم فيجازيهم عليها

قوله تعالى (١٠٤) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٥) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو دارست وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفي قراءة عبد الله وابي درس اي ليقولوا درس محمد وروي عن ابن عباس والحسن درست

﴿ الحجة ﴾

من قرأ دارست فمعناه انك دارست اهل الكتاب وذاكرتهم ويقويه قوله وأعانه عليه قوم آخرون ومن قرأ درست فحجته ان ابن مسعود قرأ درس فأسند الفعل فيه الى النبية كما اسند الى الخطاب ومن قرأ درست فهو من الدروس الذي هو تعفي الأثر اي امحت ويكون اللام في ليقولوا على هذا بمعنى لكراهية ان يقولوا ولأن لا يقولوا انها اخبار قد تقدمت فطال العهد بها وباد من كان يعرفها لأن تلك الأخبار لا تخلو من خال فإذا سلم الكتاب منه لم يكن لطاعن فيه مطعن وأما على القراءتين الأولين فاللام في ليقولوا كالتي في قوله ليكون لهم عدواً وحزنا ولم يلتقطوه لذلك كما لم يصرف الآيات ليقولوا درست ودارست ولكن لما قالوا ذلك أطلق على هذا للاتساع وأما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الآيات ومعناه درستها أنت يا محمد ويجوز ان يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا أساطير الأولين

﴿ اللغة ﴾

البصيرة البينة والدلالة التي يبصر بها الشيء على ما هو به والبصائر جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصيرة الترس والبصيرة الثأر والدية قال الشاعر

جاؤا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأي

اي أخذوا الديات فصارت عارا وبصيرتي على فرسي أطلب بها ثاري وقيل أراد ثقل دمائهم على أكتافهم لم يثأروا بها قال الأزهري البصيرة ما اعتقد في القلب من تحقيق الشيء والشقة تكون على الجنأ والابصار الإدراك بحاسة البصر والدرس أصله استمرار التلاوة ودرس الأثر دروسا اذا امحى لاستمرار الزمان به ودرست الريح الأثر دروسا محته باستمرارها عليه

﴿ الإعراب ﴾

كذلك موضع الكاف نصب منه بكونه صفة للمصدر اي تصريفا مثل ذلك التصريف واللام في وليقولوا معطوف على محذوف تقديره ليجحدوا وليقولوا درست واللام لام العاقبة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه بهذه الآيات قد أزاح العلة للمكلفين فقال (قد جاءكم) أيها الناس (بصائر) بينات ودلالات (من ربكم) تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصف البينة بأنها جاءت تفخيما لشأنها كما يقال جاءت العافية وانصرف المرض وأقبل السعد (فمن ابصر فلنفسه) اي من تبين هذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم فمنفعة ذلك تعود اليه ولنفسه نظر (ومن عمي) فلم ينظر فيها وصدف عنها (فعليها) اي على نفسه وباله وبها أضر وإياها ضر فسمي العلم والتبين إبصارا والجهل عمى مجازا وتوسعا وفي هذا دلالة على ان المكلفين مخيرون في افعالهم غير مجبرين ثم أمر سبحانه نبيه بأن يقول لهم (وما أنا عليكم بحفيظ) اي لست أنا الرقيب على اعمالكم قال الزجاج معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم

والوكيل وهذا قبل الأمر بالقتال فلما أمر النبي (ص) بالقتال صار حفيظا عليهم ومسيطرا على كل من تولى (وكذلك) اي وكما صرفنا الآيات قبل (نصرف هذه الآيات) قال علي بن عيسى والتصريف اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة (وليقولوا درست) ذلك يا محمد اي تعلمته من اليهود قال الزجاج وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة اي ان السبب الذي اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الآيات وكذلك دارست اي دارست اهل الكتابين وقارأتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس (ولنبينه لقوم يعلمون) معناه لنبين الذي هذه الآيات دالة عليه للعلماء الذين يعقلون ما نورده عليهم وإنما خصهم بذلك لأنهم انتفعوا به دون غيرهم

قوله تعالى (١٠٦) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الاتباع ان يتصرف الثاني بتصريف الأول والنبي كان يتصرف في الدين بتصريف الوحي فلذلك كان متبعا وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والإيحاء هو القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى والإعراض أصله الانصراف بالوجه الى جهة العرض ومنه

وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

اي ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض والاعتراض المنع من الشيء الحاجز عنه عرضا ومنه العرض الذي يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث . وحد ايضا بأنه ما يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) باتباع الوحي فقال (اتبع) أيها الرسول (ما أوحي اليك من ربك لا إله الا هو) إنما اعاد سبحانه هذا القول لأن المراد ادعهم الى انه لا إله إلا هو عن الحسن وقيل معناه ما أوحي اليك من انه لا إله الا هو (واعرض عن المشركين) قال ابن عباس نسخته آية القتال وقيل معناه اهجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم ولم يرد به الاعراض عن دعائهم الى الله تعالى وحكمه ثابت (ولو شاء الله ما اشركوا) اي لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهراً واجبارا لاضطرهم الى ذلك الا انه لم يضطرهم اليه بما ينافي أمر التكليف وأمرهم بتركه اختيارا ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه فأتوا به من قبل نفوسهم وفي تفسير اهل البيت (ع) لو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج الى جنة ولا الى نار ولكنه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ماله به عليهم الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب (وما جعلناك عليهم حفيظا) مراقبا لأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) اي ولست بموكل عليهم بذلك وإنما انت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير اليه

قوله تعالى (١٠٨) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آية)

القراءة

قرأ يعقوب عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وابي رجاء وقتادة وقرأ الباقون عدواً بفتح العين وسكون الدال

الحجة

العدو والعدو جميعا الظلم والتعدي للحق ومثلها العدوان والعداء وإنما انتصب عدواً لأنه مصدر في موضع الحال .

اللغة

السب الذكر بالقبيح ومنه الشتم والذم وأصله السبب كأنه يتسبب الى ذكره بالقبيح وسبك الذي يسابك قال

لا تسبنني فلست بسبي إن سبي من الرجال الكريم

وقيل أصل السب القطع

النزول

قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة

المعنى

ثم نهى الله المؤمنين ان يسبوا الاصنام لما في ذلك من المفسدة فقال (لا تسبوا الذين يدعون من دون الله) اي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم الى ان تسبوا ما يعبدونه من دون الله فإن ذلك ليس من الحجاج في شيء (فيسبوا الله عدوا) اي ظلما (بغير علم) وأنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون لأن الدار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وإنما قال من دون الله لأن المعنى يدعونه إلها وفي هذا دلالة على انه لا ينبغي لأحد ان يفعل او يقول ما يؤدي الى معصية غيره وسئل ابو عبد الله (ع) عن قول النبي (ص) ان الشرك أخفى من دبيب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار إله المؤمنين فكأن المؤمنون قد أشركوا من حيث لا يعلمون (كذلك زينا لكل أمة عملهم) قيل في معناه أقوال (احدها) ان المراد كما زينا لكم أعمالكم زينا لكل أمة ممن قبلكم اعمالهم من حسن الدعاء الى الله تعالى وترك السب للاصنام ونهيناهم ان يأتوا من الأفعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجبائي ويسمي ما يجب على الإنسان ان يعمله بأنه عمله كما تقول لولدك او غلامك اعمل عملك اي ما ينبغي لك ان تفعله (وثانيها) ان معناه وكذلك زينا لكل أمة عملهم بميل الطباع اليه ولكن قد عرفناهم الحق مع ذلك ليأتوا الحق ويجتنبوا الباطل (وثالثها) ان المراد زينا عملهم بذكر ثوابه فهو كقوله ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان يريد حبب اليكم الإيمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذم فاعليه على فعله ولم يرد سبحانه بذلك انه زين عمل الكافرين لأن ذلك يقتضي الدعاء اليه والله تعالى مادعا أحدا إلى معصيته لكنه نهى عنها وذم

فاعليها وقد قال سبحانه وزين لهم الشيطان أعمالهم ولا خلاف ان المراد بذلك الكفر والمعاصي وفي ذلك دلالة على ان المراد به في الآية تزيين اعمال الطاعة (ثم الى ربهم مرجعهم) اي مصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) اي بأعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه في هذه الآية عن سب الاصنام لئلا يؤدي ذلك الى سبه فإذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سبباً الى سبه فلأن لا يريد سب نفسه أولى واجدر وايضا اذا لم يرد سب الاصنام اذا كان زيادة في كفر الكافرين فلأن لا يريد كفرهم اخرى فبطل قول المجبرة

قوله تعالى (١٠٩) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١١٠) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (آيتان)

❊ القراءة ❊

قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائي وخلف انها بكسر الألف وقرأ الباقون انها بفتح الألف وقرأ ابن عامر وحمزه لا تؤمنون بالتاء والباقون لا يؤمنون بالياء وفي الشواذ ويذرهم بالياء والجزم قراءة الأعمش

❊ الحجة ❊

قال ابو علي وما يشعركم ما فيه استفهام وفاعل يشعركم ضمير ما ولا يجوز ان يكون نفيا لأن الفعل فيه يبقى بلا فاعل فإن قلت يكون ما نفيا ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصح لأن التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا لا يستقيم لأن الله قد اعلمنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا الآية واذا فسد ان يكون ما للنفي ثبت انها للاستفهام فيكون اسما فيصير في الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريكم إيمانهم اذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال إنهم لا يؤمنون مع مجيئ الآية فمن كسر الهمزة فإنه استأنف على القطع بأنهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعركم منقولا من شعرت الشيئ وشعرت به مثل دريته ودريت به في انه يتعدى مرة بحرف ومرة بلا حرف فإذا عديته بالحرف جاز ان يكون ان في قول من لم يجعلها بمعنى لعل في موضع جر لأن الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز ان يكون في موضع نصب والوجه في هذه القراءة على تأويلين ❊ احدهما ❊ ان يكون بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة

ذريني اطوف في البلاد لأنني ... أرى ما ترين او بخيلا مخلدا

وقال

هل انتم عائجون بنا لأنا ... نرى العرصات او اثر الخيام

وقال عدي بن زيد

أعاذل ما يدريك ان منيتي ... الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد

اي لعل منيتي المعنى وما يشعركم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسره الخليل بقوله ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك وقد جاء في التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب والتأويل الآخر الذي لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان يكون لا في قوله لا يؤمنون زائدة والتقدير

وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه في كونها في تأويل زائدة وفي آخر غير زائدة قول الشاعر

ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله

يريد لا يمنع الجائع الخبز وينشد ابى جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب البخل جعلها زائدة كأنه قال ابى جوده البخل ومن قال لا البخل أضاف لا الى البخل ووجه القراءة بالياء في يؤمنون ان المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وليس كل الكفار بهذه الصفة اي لا يؤمن هؤلاء المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصراف من الغيبة الى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم الغيب المقسمون الذين اخبر عنهم انهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فإنه اسكن المرفوع تخفيفا

اللغة

الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة فقوله جهد ايمانهم اي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لأنه مضاف الى المصدر والمضاف إلى المصدر مصدر فإن الأيمان جمع اليمين واليمين هي القسم والتقدير وأقسموا بالله جهد اقسامهم

النزول

قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله (ص) اي شيء تحبون ان آتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فقال رسول الله (ص) فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله (ص) ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله (ص) يدعو ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبرائيل (ع) فقال له ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله (ص) بل يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي

المعنى

ثم بين سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال (وأقسموا) اي حلفوا (بالله جهد ايمانهم) اي مجدين مجتهدين مظهرين الوفاء به (لئن جاءتهم آية) مما سألوه (ليؤمنن بها قل) يا محمد (إنما الآيات) اي الاعلام والمعجزات (عند الله) والله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم في انزالها لأنزلها (وما يشعركم) الخطاب متوجه الى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه الى المؤمنين عن الفراء وغيره لأنهم ظنوا انهم لو اجيبوا الى الآيات لآمنوا (انها اذا جاءت لا يؤمنون) قد مر معناه (ونقلب أفئدتهم وابصارهم) اخبر سبحانه انه يقلب افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبها قولان احدها انه يقلبها في جهنم على لهب النار وحر الجمر (كما لم يؤمنوا به اول مرة) في الدنيا عن الجبائي قال وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الآخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعني في الآخرة عاملة ناصبة يعني في الدنيا «والآخرة» ان المعنى نقلب أفئدتهم وابصارهم بالحيرة التي تغم وتزعج النفس وقوله (كما لم يؤمنوا به أول مرة) قيل انه متصل بما قبله وتقديره وأقسموا بالله ليؤمنن بالآيات والله تعالى قد قلب

قلوبهم وابصارهم وعلم ان فيها خلاف ما يقولون، يقال، فلان قد قلب هذه المسئلة وقلب هذا الأمر اذا عرف حقيقته ووقف عليه (وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون) كما لم يؤمنوا بما أنزل الله من الآيات أول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لو اعيدوا الى الدنيا ثانية لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس في رواية أخرى وقيل معناه يجازيهم في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي والهاء في به يحتمل ان يكون عائدة على القرآن وما أنزل من الآيات ويحتمل ان تكون عائدة على النبي (ص) (ونذرهم في طغيانهم) اي نخليهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينه وبينهم (يعمهون) يترددون في الحيرة قال الحسين بن علي المغربي قوله ونقلب أفئدتهم وابصارهم حشو بين الجملتين ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الأعين اي نختبر قلوبهم فنجد باطنها بخلاف ظاهرها

قوله تعالى (١١١) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب قبلا بضمتين هاهنا وفي الكهف قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرأ ابو جعفر ههنا بكسر القاف وفي الكهف بالضم وقرأ نافع وابن عامر قبلا بكسر القاف في موضعين وقرأ اهل الكوفة بضم القاف في السورتين

الحجة

قبلا يحتمل ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسر ابو عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى قبل اي مواجهة كما فسره ابو زيد في قوله لقيت فلانا قبلا وقبلا وقبلا ومقابلة وقبيلا كله واحد وهو المواجهة فالمعنى في القراءتين على قوله واحد وان اختلف اللفظان

اللغة

الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم في عنادهم وترددهم في طغيانهم وكفرهم فقال (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) حتى يروهم عيانا يشهدون لنبينا بالرسالة (وكلمهم الموتى) اي واحيينا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا لمحمد بالرسالة (وحشرنا) اي جمعنا (عليهم كل شيء) اي كل آية وقيل كل ما سألوه (قبلا) اي معاينة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وقتادة ومعناه انهم من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان للحق يشكون في المشاهدات التي لا يشك فيها ومثله قوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقبلا اي قبيلا قبيلا يعني جماعة جماعة عن مجاهد هذا اذا حملت قبلا على جمع القبيل الذي هو الصنف وإنما كانت تبهر هذه الآية لأنه ليس في العرف ان يجتمع جميع الأشياء وتنحشر الى موضع وقيل كفلاء عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لأنهم اذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة اليهم وكلام الموتى فأن لا يؤمنوا بالكفالة احذر الا ان يكون المراد حشر كل شيء وفي الأشياء المحشورة ما لا ينطق فإذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقا للعادة (ما

كانوا ليؤمنوا)عند هذه الآيات (الا ان يشاء الله) ان يجبرهم على الايمان عن الحسن وهو المروي عن اهل البيت (ع) والمعنى انهم قط لا يؤمنون مختارين الا ان يكرهوا (ولكن أكثرهم يجهلون) ان الله قادر على ذلك وقيل معناه يجهلون انهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا طوعا وقيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيطلبون ما لا فائدة فيه وفي الآية دلالة على ان الله سبحانه لو علم انه اذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك ولكان ذلك من الواجب في حكمته لأنه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بأنه لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها ايضا دلالة على ان إرادته محدثة لأن الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يعلم الله والا ان يقدر الله لحصول هاتين الصفتين فيما لم يزل ومتى قيل فلم لا يقال انهم لم يؤمنوا لأنه سبحانه يعلم انه لم يشأ فالقول فيه أنه لو كان كذلك لكان وقوع الايمان منهم موقوفا على المشيئة سواء كانت الآيات ام لم تكن وفي هذا ابطال للآيات

قوله تعالى (١١٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٣) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ (آيتان)

القراءة

في الشواذ عن الحسن ولتصغي اليه وليرضوه وليقترفوا بسكون اللام في الجميع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سائرها

الحجة

قال ابو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي وهي معطوفة على الغرور من قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي للغرور ولأن تصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا الا ان إسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال على قوته في القياس لأن هذا الإسكان إنما كثر عنهم في لام الأمر نحو قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا وإنما اسكنت تخفيفا لثقل الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كي بأن لم يسكنوها وكأنهم إنما اختاروا السكون للام الأمر والتحريك للام كي من حيث كانت لام كي نائبة في اكثر الأمر عن ان وهي ايضا في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوفة مع اللام البتة فلما نابت عنها قووها بإقرار حركتها فيها لأن الحرف المتحرك اقوى من الساكن والأقوى اشبه بأن ينوب عن غيره من الأضعف

اللغة

الزخرف المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينه والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث انه (ص) لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحي قيل كانت نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها وقيل أراد بالزخرف الذهب والغرور ما له ظاهر تحبه وفيه باطن مكروه والشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس ووراءه سوء العاقبة وبيع الغرر ما لا يكون على ثقة وصغوت اليه اصغي صغوا وصغوا وصغوا وصغيت أصغي بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر

ترى السفيه به عن كل محكمة زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء

ويقال اصغيت الإناء اذا أملته ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله (ص) يصغي الإناء للهر والأصل فيه الميل الى الشيء لغرض من الأغراض والاقتراف اكتساب الإثم ويقال خرج يقترف لأهله اي يكتسب لهم وقارف فلان هذا الأمر اذا واقعه وعمله وقرف الذنب واقترفه عمله وقرفه بما ادعاه عليه اي رماه بالريبة وقرف القرحة اي قشر منها واقترف كذبا

﴿ الإعراب ﴾

نصب عدوا على احد وجهين اما ان يكون مفعول جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدوا في معنى اعداء واما ان يكون أصله خبرا ويكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الإنس والجن عدوا اي اعداء وقوله غرورا نصب على المصدر ومن معنى الفعل المتقدم لأن معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكأنه قال يغرون غرورا عن الزجاج وقيل انه مفعول له عن ابن جني وقيل نصب على البدل من زخرف عن ابي مسلم

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الأنبياء (ع) مع اعدائهم تسلية لنبيه (ص) فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) اي وكما جعلنا لك شياطين الانس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء وأممهم وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد كما امرناك بعداوة قومك من المشركين فقد امرنا من قبلك بمعاداة اعدائهم من الجن والإنس ومتى امر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الأمير للمبارز من عسكره جعلت فلانا قرنك في المبارزة وإنما يعني بذلك انه امره بمبارزته لأنه اذا امره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرنا له ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه حكمنا بأنهم اعداء واخبرنا بذلك لتعاملوهم معاملة الاعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وفلانا فاسقا اذا حكم بعدالة هذا وفسق ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم العداوة لم نمنعهم عن ذلك كرها ولا جبرا لأن ذلك يزيل التكليف — ورابعها — انه سبحانه إنما أضاف ذلك الى نفسه لأنه سبحانه لما أرسل اليهم الرسل وأمرهم بدعائهم الى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الاصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه (ع) ومثله قوله سبحانه مخبرا عن نوح (ع) فلم يزدهم دعائي إلا فرارا والمراد بشياطين الإنس والجن مردة الكفار من الفريقين عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل ان شياطين الإنس الذين يغرونهم وشياطين الجن الذين هم من ولد ابليس عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان ابليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الإنس وفريقا الى الجن فشياطين الانس والجن اعداء الرسل والمؤمنين فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم لبعض أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثلها فكذلك يوحي بعضهم الى بعض وروي عن ابي جعفر (ع) ايضا انه قال ان الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقي اليه ما يغوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض (يوحي) اي يوسوس ويلقي خفية (بعضهم الى بعض زخرف القول) اي المموه المزين الذي يستحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا أصل (غرورا) اي يغرونهم بذلك غرورا او ليغروهم بذلك (ولو شاء ربك ما

فعلوه) اخبر سبحانه انه لو شاء ان يمنعهم من ذلك جبرا ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لمافعلوه ولكنــه خلى بينهم وبين أفعالهم ابقاء للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل معناه ولو شاء ربك ما فعلوه بأن ينزل عليهم عذابا او آيــة فتظل اعناقهم لها خاضعين (فذرهم وما يفترون) اي دعهم وافتراءهم الكذب فإني أجازيهم وأعاقبهم أمر سبحانه نبيه (ص) بأن يخلي بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنعهم منه بالقهر تهديدا لهم كما قال اعملوا ما شئتم دون ان يكون أمرا واجبا اوندبا (ولتصغى اليه) اي ولتميل الى هذا الوحي بزخرف القول او الى هذا القول المزخرف (أفئدة) اي قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) والعامل في قوله ولتصغى قوله يوحي ولا يجوز ان يكون العامل فيه جعلنا لأن الله سبحانه لا يجوز ان يريد اصغاء القلوب الى الكفر ووحي الشياطين الا أن تجعلها لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل من ارادوا منه الصغو قد صغى الى كلامهم ولم يصح ذلك ايضا في قوله وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون لأنه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفا بعضــه على بعض والمراد بالأفئدة أصحاب الأفئدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة اسند الصغو الى القلب (وليرضوه) اي وليرضوا ما أوحي اليهم من القول المزخرف (وليقترفوا) اي وليكتسبوا من الإثم والمعاصي (ما هم مقترفون) اي مكتسبون في عداوة النبي (ص) والمؤمنين عن ابن عباس والسدي وقال ابو علي الجبائي ان اللام في قوله ولتصغى وما بعده لام الامر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه اعملوا ما شئتم واستفزز من استطعت وهذا غلط فاحش لأنه لو كان كذلك لقال ولتصغ فحذف الألف وقال البلخي اللام في ولتصغى لام العاقبة وما بعده لام الأمر الذي يراد به التهديد وهذا جائز الا أن فيه تعسفا فالأصح ما ذكرناه

قوله تعالى (١١٤) أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (آية)

القراءة

قرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد والباقون بالتخفيف

الحجة

حجة التشديد قوله سبحانه تنزيل الكتاب من الله وما اشبه وحجة التخفيف انا انزلنا اليك وما اشبهه

المعنى

ثم امر الله سبحانه نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم (أفغير الله ابتغي حكما) اي اطلب سوى الله حاكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم أمدح لأن معناه من يستحق ان يتحاكم اليه فهو لا يقضي الا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لأحد ان يعدل عن حكم الله رغبة عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوى الله يساويه في حكمه (وهو الذي) يعني والله الذي (انزل اليكم الكتاب) اي القرآن (مفصلا) فصل فيه جميع ما يحتاج اليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصل بين الحلال والحرام والكفر والإيمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى وينفي ايضا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد (والذين آتيناهم الكتاب) يعني بهم مؤمني اهل الكتاب

والكتاب هو التوراة والانجيل وقيل يعني بهم كبراء الصحابة واصحاب بدر والكتاب هو القرآن عن عطا (يعلمون انه) اي ان القرآن (منزل من ربك بالحق) يعني ببيان الحق اي يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به فترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وأمثاله وغير ذلك جميعه بهذه الصفة وقيل ان معنى بالحق بالبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به (فلا تكونن من الممترين) اي من الشاكين في ذلك والخطاب للنبي (ص) والمراد به الأمة وقيل الخطاب لغيره اي فلا تكن أيها الانسان او ايها السامع وقيل الخطاب له (ص) والمراد به الزيادة في شرح صدره ويقينه وطأنينة قلبه وتسكينه كقوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه عن ابي مسلم

قوله تعالى (١١٥) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

كلمة ربك بالتوحيد عراقي غير ابي عمرو والباقون كلمات ربك

﴿ الحجة ﴾

من قرأ كلمة ربك قال قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيراً قال في كلمته يعنون قصيدته وقال قس في كلمته يعنون خطبته ومن قرأ بالجمع فلأنه لما كان جمعا في المعنى جمعوا

﴿ اللغة ﴾

التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مخبره على وفق ما اخبر به والعدل ضد الجور وقيل ان افعال الله تعالى كلها عدل لأنها كلها على الاستقامة وقيل إنما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده

﴿ الإعراب ﴾

صدقا وعدلا نصب على التميز وقيل انهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقدير ذلك صادقة وعادلة عن ابي علي الفارسي وقد تقدم مثل هذا فيما مضى

— المعنى —

ثم بين سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال (وتمت) اي كملت على وجه لا يمكن احداً الزيادة فيه والنقصان منهُ (كلمة ربك) اي القرآن عن قتادة وغيره وقيل معناه أنزلت شيئا بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في قوله وكلمة الله هي العليا عن ابي مسلم وقيل المراد بها حجة الله على الخلق (صدقا وعدلا) ما كان في القرآن من الأخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيهِ من الامر والنهي والحكم والاباحة والحظر فهو عدل (لا مبدل لكلماتهِ) اي لا مغير لاحكامهِ عن قتادة لأنه وان امكن التغيير والتبديل في اللفظ كما بدل اهل الكتاب التوراة والانجيل فإنهُ لا يعتد بذلك قال وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه وكذلك حقت كلمة ربك اي حكم ربك ويقال عقوبة ربك وقال النبي (ص) في صفة النساء انهن عوان عندكم استحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القرآن محروس عن الزيادة والنقصان فلا مغير لشيء منه وذلك ان الله تعالى ضمن حفظه في قوله وانا له لحافظون ولا يجوز ان يعني بالكلمات الشرائع كما عنى بقوله وصدقت بكلمات ربها لأن الشرائع قد يجوز فيها النسخ والتبديل (وهو

السميع) لأقوالكم (العليم) بضمائركم

قوله تعالى (١١٦) وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (آيتان)

— اللغة —

الفرق بين الأكثر والأعظم ان الأعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالأكثر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم وأعظم ولا يوصف بأكثر وانما يقال اكبر بمعنى أعظم والخرص الكذب يقال خرص يخرص خرصاً وتخرص واخترص واصله القطع قال الشاعر

ترى قصد المران فيهم كأنه تذرع خرصان بأيدي الشواطب

يعني جريدا يقطع طولا ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل يخرص خرصاً اذا احرزه والخرص حبة القرط اذا كانت منفردة والخرص العود لانقطاعه عن نظائره بطيب ريحه ولفظة اعلم اذا لم يذكر معها من فله معنيان ❊ احدهما ❊ اعلم من الكل واجتزئ عن ذكر من كقولهم الله اكبر اي من كل شيء ❊ والثاني ❊ بمعنى فعيل كقول الفرزدق

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز واطول

اي عزيز وطويل

❊ الإعراب ❊

موضع من يضل عن سبيله فيه وجوه ❊ احدها ❊ انه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلا لقوله وهو اعلم بالمهتدين — والثاني — ان موضع من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى ان ربك هو اعلم اي الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى عن الزجاج وفي هذه المسألة خلاف وسيأتي شرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى — والثالث — ان موضعها نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله اعلم فكأنه قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصيغة افعل من كذا لا تتعدى لأنها غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية على الفعل كما عدل ضروب عن ضارب ومتجار عن تاجر عن ابي علي الفارسي زعم قوم ان اعلم ههنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي

فحالفت طيئ من دوننا حلفا والله اعلم ما كنا لهم خذلا

وقالت الخنساء

القوم اعلم أن جفنته تغدو غداة الريح أو تسري

وهذا فاسد لأنه لا يطابق قوله وهو اعلم بالمهتدين ولا يجوز ان يكون من في موضع جر باضافة اعلم اليه لأن افعل لا يضاف الا الى ما هو بعضه وجل ربنا وتقدس عن ان يكون بعض الضالين ولا بعض المضلين

❊ المعنى ❊

لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه في هذه الآية ان من تبع غير الكتاب ضل وأضل فقال (وان تطع)

يا محمد خاطبه(ص)والمرادغيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الأمروموافقةالمطيع المطاع فيمايريده منه اذا كان المريد فوقه والفرق بينها وبين الإجابة ان الإجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة ولا يراعى فيها الرتبة (اكثر من في الأرض) يعني الكفار وأهل الضلالة وانما ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه ان منهم من يؤمن ويدعو الى الحق ويذب عن الدين ولكنهم الأقل والأكثر الضلال (يضلوك عن سبيل الله) اي عن دينه وفي هذا دلالة على انه لا عبرة في دين الله ومعرفة الحق بالقلة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع الأقل وإنما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة (ان يتبعون الا الظن) اي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون اليه الا الظن (وانهم الا يخرصون) اي ما هم الا يكذبون وقيل معناه انهم لا يقولون من علم ولكن عن خرص وتخمين وقال ابن عباس كانوا يدعون النبي (ص) والمؤمنين الى أكل الميتة ويقولون أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ماقتل ربكم فهذا ضلالهم (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله) خاطب سبحانه نبيه (ص) وان عنى به جميع الأمة ويسأل فيقال كيف جاز في صفة القديم سبحانه اعلم مع انه سبحانه لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى بمن يعلمه او بمن لا يعلمه وكلاهما لا يصح فيه افعل والجواب ان المعنى هو اعلم به بمن يعلمه لأنه يعلمه من وجوه لا يخفى على غيره وذلك انه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كائن الى يوم القيامة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الأشياء عليها وليس كذلك غيره لأن غيره لا يعلم جميع الأشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لأن لفظة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بأنه اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم اصلا إلا مجازا (وهو اعلم بالمهتدين) المعنى انه سبحانه اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدي الى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال والإضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى انه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين والاغترار بالكثرة والى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) حيث قال للحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله تعالى (١١٨) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١٢٠) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير حفص فصل لكم بالفتح ما حرم بالضم وقرأ اهل المدينة وحفص ويعقوب وسهل فصل لكم ما حرم كليهما بالفتح وقرأ الباقون فصل لكم ما حرم بالضم فيهما وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ليضلون بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن سبيلك وفي ابراهيم ليضلوا عن سبيله وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي لقمان والزمر في المواضع الستة وقرأ اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرأ الباقون هنا وفي سورة يونس بفتح الياء وفي الاربعة بعد هذين الموضعين بضم الياء

الحجة

حجة من ضم الفاء من فصل والحاء من حرم قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقوله حرم وهو الذي انزل إليكم الكتاب مفصلا فمفصلا يدل على فصل وحجة من قرأ فصل وحرم بفتح

الفاء والحاء. قوله قد فصلنا الآيات وقوله اتل ما حرم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرم هذا وحجة من ضم الياء من يضلون ويضلوا انه يدل على ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب ومن الهدى ابعد الاترى ان كل مضل ضال وليس كل ضال مضلا لأن الضلال قد يكون مقصورا على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرأ بفتح الياء فإنه يريد انهم يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك اي يضلون باتباع اهوائهم

الاعراب

اللغة وذروا الواو للعطف وإنما استعمل منه الأمر والمستقبل ولا يستعمل وذر ولا واذر اشعروا بذلك كراهية الابتداء بالواو حتى لم يزيدوها هناك اصلا مع زيادتهم اخواتها واستغنوا فيها بترك وتارك وهذا كما استعملوا الماضي دون المستقبل واسم الفاعل في عسى والظاهر الكائن على وجه يمكن ادراكه والباطن هو الكائن على وجه يتعذر ادراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع او دفع الضرر وانما يوصف به العبد دون الله تعالى لاستحالة النفع والضرر عليه سبحانه والكواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما تنتفع به وقد بينا ان معنى الاقتراف الاكتساب

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال (فكلوا) ثم اختلف في ذلك فقيل انه لما ذكر المهتدين فكأنه قال ومن الهداية ان تحلوا ما احل الله وتحرموا ما حرم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين اتأكلون ما قتلتم انتم ولا تأكلوا ما قتل ربكم فكأنه قال سبحانه لهم اعرضوا عن جهلكم فكلوا والمراد به الإباحة وان كانت الصيغة صيغة الأمر (مما ذكر اسم الله عليه) يعني ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به او صفة تختصه كقول باسم الرحمن او باسم القديم او باسم القادر لنفسه او العالم لنفسه وما يجري مجراه والاول مجمع على جوازه والظاهر يقتضي جواز غيره لقوله سبحانه قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنى (ان كنتم بآياته مؤمنين) بأن عرفتم الله ورسوله وصحة ما اتاكم به من عند الله فكلوا ما احل دون ما حرم وفي هذه الآية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان ذبائح الكفار لا يجوز اكلها لأنهم لا يسمون الله تعالى عليها ومن سمى منهم لا يعتقد وجوب ذلك حقيقة ولأنه يعتقد ان الذي يسميه هو الذي ابد شرع موسى وعيسى فإذا لا يذكرون الله تعالى حقيقة (وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) قد ذكرنا اعرابه في سورة البقرة عند قوله وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وتقديره اي شيء لكم في ان لا تأكلوا فيكون ما للاستفهام وهو اختيار الزجاج وغيره من البصريين ومعناه ما الذي يمنعكم ان تأكلوا مما ذكر اسم الله عند ذبحه وقيل معناه ليس لكم ان لا تأكلوا فيكون ما للنفي (وقد فصل لكم) اي بين لكم (ما حرم عليكم) قيل هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة والدم الآية واعترض على هذا بأن سورة المائدة نزلت بعد الانعام بمدة فلا يصح ان يقال انه فصل الا ان يحمل على انه بين على لسان الرسول (ص) وبعد ذلك نزل به القرآن وقيل إنه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الآية (الا ما اضطررتم اليه) معناه الا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع اذا تركتم التناول منه فحينئذ يجوز لكم تناوله وان كان مما حرمه الله واختلف في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فعندنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك به الرمق وقال قوم يجوز أن يشبع المضطر منها وان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكل وقال الجبائي في هذه الآية دلالة على ان ما يكره على اكله من هذه الاجناس يجوز اكله لأن المكره يخاف على نفسه مثل المضطر (وان كثيرا ليضلون

باهوائهم) أي باتباع أهوائهم ومن قرأ بالضم اراد انهم يضلون اشياعهم فحذف المفعول به وفي امثاله كثرة وانما جعل النكرة اسم ان لأن الكلام اذا طال احتمل ذلك ودل بعضه على بعض (بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) امر سبحانه بترك الاثم مع قيام الدلالة على كونه إثما ونهي عن ارتكابه سرا وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل اراد بالظاهر افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الاثم هو الزنا والباطن هو اتخاذ الاخدان عن السدي والضحاك وقيل ظاهر الاثم امرأة الأب وباطنه الزنا عن سعيد بن جبير وقيل ان أهل الجاهلية كانت ترى ان الزنا اذا أظهر كان فيه اثم واذا استسر به صاحبه لم يكن إثما ذكره الضحاك والأصح القول الاول لانه يعم الجميع (ان الذين يكسبون الاثم) اي يعملون المعاصي التي فيها الآثام ويرتكبون القبائح (سيجزون) اي سيعاقبون (بما كانوا يقترفون) بما كانوا يكسبون ويرتكبون

قوله تعالى (١٢١) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (آية)

المعنى

ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) يعني عند الذبح من الذبائح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لأنه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم لها (وانه لفسق) يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفي هذا دلالة على تحريم اكل ذبائح الكفار كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سمى منهم ومن لم يسم لأنهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه فاما ذبيحة المسلم اذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقيل لا يحل اكلها سواء ترك التسمية عمدا او نسيانا عن مالك وداود وروي ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجبائي وقيل يحل اكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحل اكلها اذا ترك التسمية ناسيا بعد ان يكون معتقدا لوجوبها ويحرم اكلها اذا تركها متعمدا عن ابي حنيفة واصحابه وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام (وان الشياطين) يعني علماء الكافرين ورؤساءهم المتمردين في كفرهم (ليوحون) اي يومون ويشيرون (الى اوليائهم) الذين اتبعوهم من الكفار (ليجادلوكم) في استحلال الميتة قال الحسن كان مشركو العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تأكلون مما تقتلونه انتم ولا تأكلون مما قتله الله وقتيل الله اولى بالأكل من قتيلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوما من مجوس فارس كتبوا الى مشركي قريش وكانوا اولياءهم في الجاهلية ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوقع ذلك في نفوسهم فذلك ايحاؤهم اليهم وقال ابن عباس معناه وان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون الى اوليائهم من الانس والوحي القاء المعنى الى النفس من وجه خفي وهم يلقون الوسوسة الى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه (وان اطعتموهم) ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال الميتة وغيره (انكم اذا لمشركون) لأن من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن أكلها محرما لها مختارا فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرين وقال عطا انه مختص بذبائح العرب التي كانت تذبحها للاوثان

قوله تعالى (١٢٢) أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٣) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة ويعقوب ومَيتاً بالتشديد والباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو عبيدة الميتة تخفيف ميتة ومعناهما واحد قال ابو الرعلاء (١) الغساني

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الاحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا ... كاسفا باله قليل الرجاء

والمحذوف من الياءين الثانية المنقلبة عن الواو وأعلت بالحذف كما أعلت بالقلب

﴿ اللغة ﴾

الاكابر جمع الاكبر وقد قالوا الاكابرة والاصاغرة كما قالوا الاساورة والاحامرة قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت ... مالي وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين أحبه ... والزعفران وقد أبيت مردعا

واصل المكر القتل ومنه جارية ممكورة اي مفتلة البدن فكأن المكر معناه القتل الى خلاف الرشد

﴿ الاعراب ﴾

او من هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام يراد به التقرير وموضع الكاف في قوله وكذلك جعلنا نصب معطوفة على ماقبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين مجرميها يجوز أن يكون منصوبا على التقديم والتأخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ويجوز ان يكون منصوبا باضافة اكابر اليه

﴿ النزول ﴾

الآية الأولى قيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل آذى رسول الله (ص) فاخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها رأس ابي جهل وآمن عن ابن عباس وقيل انها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وابي جهل عن عكرمة وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل نزلت في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل انها عامة في كل مؤمن وكافر عن الحسن وجماعة وهذا اولى لأنه أعم فائدة فيدخل فيه جميع الاقوال المذكورة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال (او من كان ميتا فأحييناه) اي كافرا فأحييناه بأن هديناه الى الإيمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الكفر بالموت والايمان بالحياة وقيل معناه من كان نطفة فأحييناه كقوله وكنتم أمواتا فأحياكم (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد بالنور العلم والحكمة سمى سبحانه ذلك نورا والجهل ظلمة لأن العلم يهتدى به الى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالنور هنا القرآن عن مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد به الايمان عن ابن عباس (كمن مثله في الظلمات) لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات يعني به الكافر الذى هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر (ليس بخارج منها) لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين انه بلغ في الكفر والحيرة غاية يضرب به المثل فيها و إنما سمى الله تعالى الكافر ميتا لأنه لاينتفع بحياته ولاينتفع غيره بحياته فهو أسوء حالا من الميت اذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولايتضرر غيره به وسمى المؤمن

(١) في لسان العرب عدي بن الرعلاء.

حيا لأن له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سمي الكافر ميتا والمؤمن حيا في عدة مواضع مثل قوله انك لا تسمع الموتى ولينذر من كان حيا وقوله وما يستوي الاحياء ولا الأموات وسمي القرآن والإيمان والعلم نورا لأن الناس يبصرون بذلك ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بسائر الأنوار وسمي الكفر ظلمة لأن الكافر لا يهتدى بهداه ولا يبصر أمر رشده وهذا كما سمي الكافر اعمى في قوله أفمن يعلم إنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقوله وما يستوي الاعمى والبصير (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) وجه التشبيه بالكافر ان معناه زين لهؤلاء الكفر فعملوه مثل مازين لأولئك الايمان فعملوه فشبه حال هؤلاء في التزيين بحال أولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم فرحون وروي عن الحسن انه قال زينه والله لهم الشيطان وانفسهم واستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله زين لا يقتضي مزينا غيرهم لأنه بمنزلة قوله تعالى انى يصرفون وأنى يؤفكون وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولع بكذا ومثله كثير (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر) اي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية أكابر (مجرميها) وجعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئك الا ان أولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لأن في كل واحد منهما الجعل بمعنى الصيرورة الا ان الأول باللطف والثاني بالتمكين من المكر وإنما خص أكابر المجرمين بذلك دون الأصاغر لأنه اليق بالاقتدار على الجميع لأن الأكابر اذا كانوا في قبضة القادر فالأصاغر بذلك اجدر واللام في قوله (ليمكروا فيها) لام العاقبة ويسمى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر

فأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصدة
وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة

(وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون) لأن عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح ان يمكر الإنسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان يخفي ذلك عن غيره وفائدة الآية ان أكابر مجرميها لم يمكروا بالمؤمنين على وجه المغالبة لله اذهم كأنه سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة المغالبة

قوله تعالى (١٢٤) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقون رسالاته على الجمع

الحجة

من وحد فلأن الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدرا ومن جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد أخرى

اللغة

الاجرام الإقدام على القبيح بالانقطاع إليه لأن اصل الجرم القطع فكأنه قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم والجريمة والصغار الذل الذي يصغر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يصغر صغارا وصغرا

﴿ الإعراب ﴾

الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من ان يكون ظرفا متضمنا لحرفه او غير ظرف فإن كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه اعلم لانه يصير المعنى اعلم في هذا الموضع او في هذا الوقت ولا يوصف تعالى بأنه اعلم في مواضع او في اوقات كما يقال زيد اعلم في مكان كذا او اعلم في زمان كذا واذا كان الأمر كذلك لم يجز ان يكون حيث هنا ظرفا وإذا لم يكن ظرفا كان اسما وكان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الاصل الله اعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه اعلم بمن ضل عن سبيله وفي موضع آخر أعلم من يضل عن سبيله فمن يضل معمول فعل مضمردل عليه أعلم ولايجوز ان يكون معمول أعلم لأن المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه إنما تعمل فيها الافعال التي تلغى فتعلق كما تلغى ومثل ذلك في انه لايكون إلامحمولا على فعل قوله ﴿ واضرب منا بالسيوف القوانسا ﴾ فالقوانس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لأن المعاني لا تعمل في المفعول به ومما جعل حيث فيه اسما متمكنا غير ظرف متضمن لمعنى في قول الشاعر

كأن منها حيث تلوي المنطقا حقفا نقا ما لا على حقفي نقا

الا ترى ان حيث هنا في موضع نصب بكأن وحقفانقا مرفوع بأنه خبره وقال القاضي ابو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه ان من العرب من يضيف حيث الى المفرد فيجر ما بعدها وانشد ابن الاعرابي بيتا آخره ﴿ حيث لي العمايم ﴾ وانشد ايضا ابو سعيد وابو علي في اخراج حيث من حد الظرفية بالإضافة اليها الى حد الاسماء المحضة قول الشاعر يصف شيخا يقتل القمل

يهز الهرانع عقده عند الخصى بأذل حيث يكون من يتذلل

ومن ذلك قول الفرزدق

فمحن به عذبا رضابا غروبه رقاق واعلى حيث ركبن اعجف

وقوله صغار عند الله قال الزجاج عند متصلة بسيصيب اي سيصيبهم عند الله صغار وجائز ان يكون عند متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين اجرموا صغار ثابت لهم عند الله ولا يصلح ان يكون من محذوفة من عند انما المحذوف من عند في اذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد في حضرة عمرو وقال ابو علي اذا قلت ان عند معمول اصغار لم تحتج الى تقدير محذوف في الكلام لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فإن قدرت صغارا موصوفا بعند لم يكن عند معمولا لصغار ولكن يكون متعلقا بمحذوف فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه ما يكون في الأصل صفة ثم حذف وأقيم الظرف مقامه للدلالة عليه وهذا كقولك وانت تريد الصفة هذا رجل عندك فالمعنى ثابت عندك او مستقر عندك وكلا الوجهين جائز

﴿ النزول ﴾

نزلت في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لأني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وقيل نزلت في ابي جهل بن هشام قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه عن مقاتل

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال (واذاجاءتهم آية) أي دلالة

معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق نبيه (ص) (قالوا لن نؤمن)اي ان نصدق بها (حتى نؤتى) اي نعطى آية معجزة (مثل ما اوتي) اي اعطي (رسل الله) حسدا منهم للنبي (ص) ثم اخبر سبحانه على وجه الانكار عليهم بقوله (الله اعلم حيث يجعل رسالته) انه اعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته ويتعلق مصالح الخلق ببعثه وانه يعلم من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم باداتها ويحتمل ما يلحقه من المشقة والأذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال (سيصيب) اي سينال (الذين اجرموا) اي انقطعوا الى الكفر واقدموا عليه يعني بهم المشركين من اكابر القرى الذين سبق ذكرهم (صغار عند الله) اي سيصيبهم عند الله ذل وهوان وان كانوا اكابر في الدنيا عن الزجاج ويجوز ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معدلهم عند الله او سيصيبهم ان يصغروا عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) في الدنيا اي جزاء على مكرهم

قوله تعالى (١٢٥) فَمَنْ يُرِدِ ٱللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير ضيقا بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفي الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرأ أهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرأ ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والف بعدها وتخفيف العين والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد

الحجة

الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن فتح الراء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل في قمن ودنف ونحوهما من المصادر التي يوصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل دنف وقمن وقراءة ابن كثير يصعد من الصعود ومن قرأ يصعد اراد يتصعد فادغم ومعنى يتصعد انه يثقل الاسلام عليه فكأنه يتكلف مايثقل عليه شيئا بعد شيء كقولهم يتخفف ويتحرج ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شيء ويصاعد مثل يصعد في المعنى فهو مثل ضاعف وضعف وناعم ونعم وهما من المشقة وصعوبة الشيء ومن ذلك قوله يسلكه عذابا صعدا وقوله سارهقه صعودا اي ساغشيه عذابا صعودا وعقبة صعود اي شاقة ومن ذلك قول عمر بن الخطاب مايصعد في شيء كما يصعد في خطبة النكاح اي ما شق علي شيء مشقتها

اللغة

الحرج والحرج أضيق الضيق قال ابو زيد حرج عليه السحر يحرج حرجا اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وهما بمعنى واحد وحرجت على المرأة الصلاة وحرمت بمعنى واحد وحرج فلان اذا هاب ان يتقدم على الأمر وقاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معاني الهداية والهدى والضلال والاضلال في سورة البقرة وما يجوز اسناده إلى الله تعالى من كلا الأمرين وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بيّن عقبه مايفعله سبحانه بكل من القبيلتين فقال (فمن يرد الله ان يهديه) قد ذكر في تأويل الآية وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه (فمن يرد الله ان يهديه) الى الثواب وطريق الجنة

(يشرح صدره) في الدنيا (للإسلام) بأن يثبت عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب من الخواطر الفاسدة وإنما يفعل ذلك لطفا له ومنا عليه وثوابا على اهتدائه بهدى الله وقبوله اياه ونظيره قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) يعني ومن يرد ان يضله عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقا حرجا عقوبة له على ترك الايمان من غير ان يكون سبحانه ما نعاله عن الإيمان وسالبا اياه القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سببا داعيا له الى الايمان فإن من ضاق صدره بالشئ كان ذلك داعيا له الى تركه والدليل على ان شرح الصدر قد يكون ثوابا قوله سبحانه ألم نشرح لك صدرك الآيات ومعلوم ان وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثوابا على تحمل اعباء الرسالة وكلفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر والدليل على ان الهدى قد يكون الى الثواب قوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومعلوم ان الهداية بعد القتل لا تكون الا الى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة انه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله (ص) عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك من إمارة يعرف بها قال (ص) نعم الإنابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ❊ وثانيها ❊ ان معنى الآية فمن يرد الله ان يثبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاء له على ايمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستدامة كما قلناه في قوله اهدنا الصراط المستقيم (ومن يرد ان يضله) اي يخذله ويخلي بينه وبين ما يريده لاختياره الكفر وتركه الإيمان (يجعل صدره ضيقا حرجا) بأن يمنعه الالطاف التي ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها بإقامته على كفره فإن قيل إنا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو فيه ونراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف في خبره سبحانه قلنا انه سبحانه بين أنه يجعل صدره ضيقا ولم يقل في كل حال ومعلوم من حاله في احوال كثيرة انه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعندما يجازي الله تعالى المؤمن على استعمال الأدلة الموصلة الى الإيمان وهذا القدر هو الذي يقتضيه الظاهر ❊ وثالثها ❊ ان معنى الآية من يرد الله ان يهديه زيادة الهدى التي وعدها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لأن من حقها ان تزيد المؤمن بصيرة ومن يرد ان يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث أخرج هو نفسه من ان يصح عليه يجعل صدره ضيقا حرجا لمكان فقد تلك الزيادة لأنها اذا اقتضت في المؤمن ما قلناه اوجب في الكافر ما يضاده ويكون الفائدة في ذلك الترغيب في الإيمان والزجر عن الكفر وهذا التأويل قريب مما تقدمه وقد روي عن ابن عباس انه قال انما سمى الله قلب الكافر حرجا لأنه لا يصل الخير الى قلبه وفي رواية أخرى لا تصل الحكمة الى قلبه ولا يجوز ان يكون المراد بالإضلال في الآية الدعاء الى الضلال ولا الأمر به ولا الإجبار عليه لإجماع الأمة على ان الله تعالى لا يأمر بالضلال ولا يدعو اليه فكيف يجبر عليه والدعاء اليه اهون من الاجبار عليه وقد ذم الله تعالى فرعون والسامري على اضلالهما عن دين الهدى في قوله وأضل فرعون قومه وما هدى وقوله فأضلهم السامري ولا خلاف في ان اضلالهما اضلال أمر واجبار ودعاء وقد ذمهما الله تعالى عليه مطلقا فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره قوله (كأنما يصعد في السماء) فيه وجوه ❊ احدها ❊ ان معناه كأنه قد كلف ان يصعد الى السماء اذا دعي الى الإسلام من ضيق صدره عنه او كأن قلبه يصعد في السماء نبوا عن الإسلام والحكمة عن الزجاج ❊ وثانيها ❊ ان معنى يصعد كأنه يتكلف مشقة في

ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عقبة عنوت و كؤود عن ابي علي الفارسي قال ولا يكون السماء في هذا القول المظلة للأرض ولكن كما قال سيبويه القيدود الطويل في غير سماء اي في غير ارتفاع صعدا وقريب منه ما روي عن سعيد بن جبير ان معناه كأنه لا يجد مسلكا الا صعدا ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه كأنما ينزع قلبه الى السماء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه (كذلك يجعل الله الرجس) اي العذاب عن ابن زيد وغيره من أهل اللغة وقيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد (على الذين لا يؤمنون) وفي هذا دلالة على صحة التأويل الاول لأنه تعالى بين ان الاضلال المذكور في الآية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه في قوله كذلك يجعل الله الرجس انه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر في قلوب أولئك وان كل ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشي بأسناده عن ابي بصير عن خيثمة قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول ان القلب يتقلب من لدن موضعه الى حنجرته ما لم يصب الحق فإذا أصاب الحق قر ثم قرأ هذه الآية

قوله تعالى (١٢٦) وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٧) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آيتان)

﴿ المعنى ﴾

ثم أشار تعالى الى ما تقدم من البيان فقال (وهذا صراط ربك) اي طريق ربك وهو القرآن عن ابن مسعود والاسلام عن ابن عباس وإنما أضافه الى نفسه لأنه تعالى هو الذي دل عليه وارشد اليه (مستقيما) لا اعوجاج فيه وإنما انتصب على الحال وانما وصف الصراط الذي هو أدلة الحق بالاستقامة مع اختلاف وجوه الأدلة لأنها مع اختلافها تؤدي الى الحق فكأنها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد (قد فصلنا الآيات) اي بيناها وميزناها (لقوم يذكرون) وأصله يتذكرون خص المتذكرين بذلك لأنهم المنتفعون بالحجج كما قال هدى للمتقين (لهم دار السلام) اي للذين تذكروا وتدبروا وعرفوا الحق وتبعوه دار السلامة الدائمة الخالصة من كل آفة وبلية مما يلقاه اهل النار عن الزجاج والجبائي وقيل ان السلام هو الله تعالى وداره الجنة عن الحسن والسدي (عند ربهم) اي هي مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم اليها لا محالة كما يقول الرجل لغيره لك عندي هذا المال اي في ضماني وقيل معناه لهم دار السلام في الآخرة يعطيهم اياها (وهو وليهم) يعني الله يتولى إيصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليهم ناصرهم على اعدائهم وقيل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء (بما كانوا يعملون) المراد جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات فحذف لظهور المعنى فإن من المعلوم ان ما لا يكون طاعة من الأعمال فلا ثواب عليه

قوله تعالى (١٢٨) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٩) وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص وروح ويوم يحشرهم بالياء الباقون بالنون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فلقوله عند ربهم والنون كالياء في المعنى ويقوي النون قوله وحشرناهم ونحشره يوم القيامة اعمى

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم في حال خلود دائم قال ابو علي المثوى عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام معملا فيها الا ترى انه لا يخلو من ان يكون موضعا او مصدرا فلا يجوز ان يكون موضعا لأن اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لأنه لا معنى للفعل فيه واذا لم يكن موضعا ثبت انه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها خالدين اي اهل ان تقيموا او تثووا خالدين فيها فالكاف والميم في المعنى فاعلون وان كان في اللفظ خفض بالاضافة

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ويوم نحشرهم جميعا) اي يجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الانس والجن لأنه يتعقبه حديثهم وقيل يريد الكفار وانتصب اليوم بالقول المضمر لأن المعنى ويوم يحشرهم جميعا يقول (يا معشر الجن) اي ياجماعة الجن (قد استكثرتم من الانس) اي قد استكثرتم ممن أضللتموه من الانس عن الزجاج وهو مأخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الانس واضلالهم (وقال أولياؤهم) اي متبعوهم من الانس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اي انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان استمتاع الجن بالانس ان اتخذهم الانس قادة ورؤساء فاتبعوا اهواءهم واستمتاع الانس بالجن انتفاعهم في الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات ودعوهم اليه من الشهوات ﴿ وثانيها ﴾ ان استمتاع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر وخاف الجن في سلوك طريق قال أعوذ بسيد هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن تجيرهم كما قال الله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا واستمتاع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم كان في ذلك لهم سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم — وثالثها — ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضا عن محمد بن كعب قال البلخي ويحتمل ان يكون الاستمتاع مقصورا على الانس فيكون الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني بالاجل الموت عن الحسن والسدي وقيل البعث والحشر لأن الحشر أجل الجزاء كما ان الموت أجل استدراك ما مضى قال الجبائي وفي هذا دلالة على انه لا أجل الا واحد لأنه لو كان أجلان لكان الرجل اذا اقتطع دون الموت بأن يقتل لم يكن بلغ أجله والآية تتضمن انهم أجمع قالوا بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا وقال علي بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة في الآية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان أجلان — احدهما — ما يقع فيه الموت ﴿ والآخر ﴾ ما يقع فيه الحشر او ما كان يجوز ان يعيش اليه (قال) الله تعالى لهم (النار مثواكم) اي مقامكم والثواء الاقامة

(خالدين فيها) اي دائمين مؤبدين فيها معذبين (الا ما شاء الله) وقيل في معنى هذا الاستثناء أقوال — احدها — ما روي عن ابن عباس انه قال كان وعيد الكفار مبهما غير مقطوع به ثم قطع به لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به — وثانيها — ان الاستثناء انما هو من يوم القيامة لأن قوله ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيامة فقال خالدين فيها مذ يوم يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم عن الزجاج قال وجائز ان يكون المراد الا ما شاء الله ان يعذبهم به من اضعاف العذاب ﴿ وثالثها ﴾ ان الاستثناء راجع الى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلا وان شاء عفا عنهم فضلا ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه الا ما شاء الله ممن آمن منهم عن عطا (ان ربك حكيم عليم) اي محكم لأفعاله عليم بكل شيء وقيل حكيم في عقاب من يختار ان يعاقبه والعفو عمن يختار ان يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه وبمن يستحق العقاب وبمقدار ما يستحقه (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) الكاف للتشبيه اي كذلك المهل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الاعمال توليتنا بعض الظالمين بعضا بأن نجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق عن علي بن عيسى وقيل معناه انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس بعضهم إلى بعض يوم القيامة وتبرأنا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة ونكل الاتباع إلى المتبوعين ونقول للأتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن ابي علي الجبائي قال والغرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيامة ولي يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجري بين الجن والانس من الخصام والجدال في الآخرة قال وكذلك أي وكما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضا نفعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم وقال ابن عباس إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم وإذا سخط على قوم ولى أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصي أي جزاء على أعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومثله ما رواه الكليني عن مالك بن دينار قال قرأت في بعض كتب الحكمة ان الله تعالى يقول إني أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم بعضا نخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه نتابع بعضهم بعضا في النار من الموالاة التي هي المتابعة أي يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة

قوله تعالى (١٣٠) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣١) ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣٢) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر عما تعملون بالتاء والباقون بالياء

﴿ اللغة ﴾

الغفلة عن المعنى والسهو عنه والعزوب عنه نظائر وضد الغفلة اليقظة وضد السهو الذكر وضد العزوب الحضور

﴿ الاعراب ﴾

موضع ذلك يحتمل أن يكون رفعا على تقدير الأمر ذلك ويحتمل ان يكون نصبا على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن ان هذه هي المخففة من الثقيلة وتقديره لأنه لم يكن كما في قول الشاعر

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل

وان المفتوحة لا بد لها من اضمار الهاء لأنه لا معنى لها في الابتداء وإنما هي بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج إلى الهاء لأنها يصح ان تكون حرفا من حروف الابتداء فلا يحتاج إلى اضمار وانما لم يبن كل إذا حذف منه المضاف اليه كما بني قبل وبعد لأن ما حذف منه المضاف اليه مثل قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على التمكن التام فإنه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف إلى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج إلى البناء وليس كذلك كل لأنه متمكن على كل حال فلذلك لم يبن

﴿ المعنى ﴾

ثم بين عز وجل تمام ما يخاطب به الجن والإنس يوم القيامة بأن يقول (يا معشر الجن والإنس) والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على اصناف الطوائف ومنه العشرة لانها تمام العقد (الم يأتكم رسل منكم) هذا احتجاج عليهم بأن بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتأكيدا للحجة عليهم وأما قوله منكم وان كان خطابا لجميعهم والرسل من الانس خاصة فإنه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الآخر كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب وكما يقال أكلت الخبز واللبن وإنما يؤكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول اكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل انه ارسل رسل الى الجن كما ارسل الى الإنس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون الى الانس ثم بعث محمد (ص) الى الإنس والجن وقال ابن عباس انما بعث الرسول من الانس ثم كان يرسل هو الى الجن رسولا من الجن وقال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن (يقصون) اي يتلون ويقرأون (عليكم آياتي) اي حججي ودلائلي وبيناتي (وينذرونكم) اي يخوفونكم (لقاء يومكم هذا) اي لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيامة (قالوا شهدنا على انفسنا) بالكفر والعصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع المعذرة واعترافنا بذلك (وغرتهم الحياة الدنيا) اي تزينت لهم بظاهرها حتى اغتروا بها (وشهدوا على انفسهم) في الآخرة (أنهم كانوا كافرين) في الدنيا اي أقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب (ذلك) حكم الله تعالى (ان لم يكن ربك) اي لأنه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) وهذا يجري مجرى التعليل اي لأجل انه لم يكن الله تعالى ليهلك اهل القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث اليهم رسلا ينبهونهم على حجج الله تعالى ويزجرونهم ويذكرونهم ولا يؤاخذهم بغتة وهذا انما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة دون ان يكون ذلك واجبا لأن ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه انه تعالى لا يهلكهم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير عن الفراء والجبائي ومثله قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وفي هذا دلالة واضحة على انه تعالى منزه عن الظلم

ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه تعالى عنه (ولكل) اي ولكل عامل طاعة او معصية (درجات مما عملوا) اي مراتب في عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط وانما يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج وعن تفاضل اهل النار بالدرك الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليبا لصفة اهل الجنة (وما ربك) يا محمد او ايها السامع (بغافل) اي ساه (عما يعملون) اي لا يشذ شيء من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير للخلق في كل أمورهم

قوله تعالى(١٣٣) وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ (١٣٤) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٥) قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم على التوحيد وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

وجه قراءة مكانتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر في أكثر الأمر مفردة ووجه الجمع انه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال

فأما اذا جلسوا في الندي ... فأحلام عاد وأيد هضم

ومن قرأ من يكون بالياء فلان العاقبة مصدر كالعافية وتأنيثه غير حقيقي فمن أنث فهو كقوله فأخذتهم الصيحة ومن ذكر فكقوله وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الأمرين جائز

اللغة

الإنشاء الإبتداء انشأ الله الخلق اذا خلقهم وابتدأهم ومنه قولهم انشأ فلان قصيدة والنشأ الاحداث من الاولاد قال نصيب

ولو لا ان يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسي النشأ الصغار

وتوعدون من الايعاد ويحتمل ان يكون من الوعد والوعد في الخير والإيعاد في الشر وقال ابو زيد المكانة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء وقد مكن مكانة

الإعراب

الكاف في قوله كما انشأكم في موضع نصب اي مثل ما انشأكم ومن في قوله ويستخلف من بعدكم للبدل كقولهم اعطيتك من دينارك ثوبا اي مكان دينارك وبدله ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء الغاية وما في قوله ان ما توعدون بمعنى الذي ومن في قوله من تكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره أينا تكون له عاقبة الدار وتكون تعليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا بتعلمون

ويكون في معنى الذي

— المعنى —

لما أمر سبحانه بطاعته وحث عليها ورغب فيها بين انه لم يأمر بها لحاجة لأنه يتعالى عن النفع والضر فقال (وربك) اي خالقك وسيدك (الغني) عن اعمال عباده لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم لأن الغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة (ذو الرحمة) اي صاحب النعمة على عباده بين سبحانه انه مع غناه عن عباده ينعم عليهم وان انعامه وان كثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته فقال (ان يشأ يذهبكم) اي يهلككم وتقديره يذهبكم بالاهلاك (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي وينشئ بعد هلاككم خلقا غيركم يكون خلفالكم (كما انشأكم) في الأول (من ذرية قوم آخرين) تقدموكم وهذا خطاب لمن سبق ذكره من الجن والانس ويحتمل ان يكون معناه ويستخلف جنسا آخر اي كما قدر على اخراج الجن من الجن والانس من الانس فهو قادر على ان يخرج قوما آخر لا من الجن ولا من الانس وفي هذه الآية دلالة على أن خلاف المعلوم يجوز ان يكون مقدورا لأنه سبحانه بين انه قادر على ان ينشئ خلقا خلاف الجن والانس ولم يفعل ذلك (ان ما توعدون) من القيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت اهل الجنة في الدرجات وتفاوت اهل النار في الدركات (لآت) لا محالة (وما انتم بمعجزين) بفائتين ويقال بسابقين ويقال بخارجين من ملكه وقدرته والاعجاز ان يأتي الانسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه فعلى هذا يكون المعنى لستم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب (قل) يا محمد لهم (يا قوم اعملوا على مكانتكم) اي على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الأمر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالتكم عن الجبائي اي أقيموا على حالتكم التي انتم عليها فإني مجازيكم (اني عامل) اخبار عن النبي (ص) اي عامل بما أمرني الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى اي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن ابي مسلم والأول الصحيح (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) اي فستعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة في دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم (انه لا يفلح الظالمون) اي لا يظفر الظالمون بمطلوبهم وانما لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكرهم لأنه سبحانه قال في موضع آخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم

قوله تعالى (١٣٦) وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي وهي قراءة يحيى بن ثابت والاعمش وقرأ الباقون بفتح الزاي

﴿ الحجة ﴾

القول فيه انهما لغتان وقيل ان الكسر ايضا لغة ومثله الفتك والفتك والفتك والود والود والود

— اللغة —

الذرء الخلق على وجه الاختراع وأصله الظهور ومنه ملح ذرآني وذراني لظهور بياضه والذراة ظهور الشيب قال ﴿ وقد علتني ذُرأة بادي بدي ﴾ وذرئت لحيته اذا شابت والحرث الزرع والحرث الارض التي تثار للزرع والانعام جمع النعم مأخوذ من نعمة الوطء ولا يقال لذوات الحافر انعام

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه (وجعلوا لله) أي كفار مكة ومن تقدمهم من المشركين والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم (مما ذرأ من الحرث) اي مما خلق من الزرع (والانعام) اي المواشي من الإبل والبقر والغنم (نصيبا) اي حظا وههنا حذف يدل الكلام عليه وهو وجعلوا للأوثان منه نصيبا (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) يعني الأوثان وانما جعلوا الاوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) قيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ انهم كانوا يزرعون لله زرعا وللاصنام زرعا فكان اذا زكا الزرع الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للاصنام جعلوا بعضه للأصنام وصرفوه اليها ويقولون ان الله غني والاصنام احوج وان زكا الزرع الذي جعلوه للاصنام ولم يزك الزرع الذي زرعوه لله لم يجعلوا منه شيئا لله وقالوا هو غني وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للاصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للصنم انفقوه على الصنم عن الزجاج وغيره ﴿ وثانيها ﴾ انه كان اذا اختلط ما جعل للاصنام بما جعل لله تعالى ردوه واذا اختلط ما جعل لله بما جعل للاصنام تركوه وقالوا الله اغنى واذا تخرق الماء من الذي لله في الذي للاصنام لم يسدوه واذا تخرق من الذي للاصنام في الذي لله سدوه وقالوا الله اغنى عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أئمتنا (ع) — وثالثها — انه كان إذا هلك ما جعل للاصنام بدلوه مما جعل لله واذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه مما جعل الاصنام عن الحسن والسدي (ساء ما يحكمون) اي ساء الحكم حكمهم هذا

قوله تعالى (١٣٧) وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (آية)

— القراءة —

قرأ ابن عامر وحده زين بضم الزاي قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر والباقون زين بالفتح قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع

— الحجة —

شركاؤهم في قراءة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون شركاء فاعل المصدر الذي هو قتل اولادهم لأن زين حينئذ يبقى بلا فاعل ولأن الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزينون القتل لهم وأضيف المصدر الذي هو قتل الى المفعولين الذين هم الأولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف ضمير الانسان في قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير وأما قراءة

ابن عامر وكذلك زين فإنه اسند زين الى قتل واعمل المصدر عمل الفعل وأضافه الى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فاسم الله هنا فاعل كما ان الشركاء في الآية فاعلون والمصدر مضاف الى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى قتل شركائهم اولادهم وتقديره ان قتل شركاؤهم اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول بـه والمفعول مفعول المصدر وهذا قبيح في الاستعمال قال ابو علي ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء في الشعر الفصل قال الطرماح

يطفن بجوزي المراتع لم ترع بواديه من قرع القسي الكنائن

وزعموا ان ابا الحسن أنشد «زج القلوص ابي مزاده» فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر سيبويه في هذه الآية قراءة أخرى وهو قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم وهو قراءة ابي عبد الرحمن السلمي فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر غير هذا الظاهر كأنه لما قيل وكذلك زين قيل من زينه فقال زينه شركاؤهم ومثل ذلك قوله

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

كأنه لما قيل ليبك يزيد قيل من يبكيه فقال يبكيه ضارع

اللغة

الارداء الاهلاك وردى يردي ردى اذا هلك وتردي ترديا والمرداة الحجر يتردى من رأس الجبل

— المعنى —

ثم بين سبحانه خصلة أخرى من خصالهم الذميمة فقال (وكذلك) اي وكما جعل أولئك في الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك (زين لكثير من المشركين) اي مشركي العرب (قتل اولادهم شركاؤهم) يعني الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات ووأدهن احياء خيفة العيلة والفقر والعار عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزينين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الأوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم الغواة من الناس وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان النعمان بن المنذر اغار على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فأرادت كل امرأة منهن عشيرتها غير ابنة قيس فإنها أرادت من سباها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وأدها فصار ذلك سنة فيما بينهم (ليردوهم) اي يهلكوهم واللام لام العاقبة لأنهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصدوا ان يردوهم عن ابي علي الجبائي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب (وليلبسوا عليهم دينهم) اي يخلطوا عليهم دينهم ويدخلوا عليهم الشبهات فيه (ولو شاء الله ما فعلوه) معناه ولو شاء ان يمنعهم من ذلك او يضطرهم الى تركه لفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان يكون ذلك منافيا للتكليف (فذرهم وما يفترون) اي اتركهم ودعهم وافتراءهم اي كذبهم على الله تعالى فإنه يجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دعه وما اختاره وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل فعلهم وانهم في اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون

قوله تعالى (١٣٨) وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (آية)

— القراءة —

قرئ في الشواذ حرج روي ذلك عن ابي بن كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار

= الحجة =

الحرج يمكن ان يؤول معناه الى الحجر فإنهما يرجعان في الأصل الى معنى الضيق فإن الحرام سمي حرجا لضيقه والحرج ايضاً الضيق فعلى هذا يكون لغة في حجر مثل جذب وجبذ فهو من المقلوب

﴿ اللغة ﴾

الحجر الحرام والحجر العقل وفلان في حجر القاضي من حجرت حجرا اي في منع القاضي اياه من الحكم في ماله وحجر المرأة وحجرها بالفتح والكسر حضنها

﴿ الاعراب ﴾

افتراء منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكأنه قال يفترون افتراء

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة أخرى من عقائدهم الفاسدة فقال (وقالوا) يعني المشركين (هذه انعام) اي مواش وهي الإبل والبقر والغنم (وحرث) زرع حجر اي حرام عني بذلك الانعام والزرع الذين جعلوهما لآلهتهم واوثانهم (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) اي لا يأكلها الا من نشاء ان نأذن له في أكلها وأعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا لا يحلون ذلك الا لمن قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء (وانعام حرمت ظهورها) يعني الانعام التي حرموا الركوب عليها وهي السائبة والبحيرة والحام عن الحسن ومجاهد وقيل هي الحامي الذي حمى ظهره اذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب ولا يحمل عليه (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) قيل كانت لهم من انعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها عن مجاهد وقيل انهم كانوا لا يحجون عليها عن ابي وائل وقيل هي التي اذا ذكوها أهلوا عليها بأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك (افتراء عليه)اي كذبا على الله تعالى لأنهم كانوا يقولون ان الله أمرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سبحانه (سيجزيهم بما كانوا يفترون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٣٩) وَقالُوا ما في بُطُونِ هٰذِهِ الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْواجِنا وإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفع وقرأ ابن عامر وابو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع وقرأ ابو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب والباقون يكن بالياء ميتة نصب وفي الشواذ قراءة ابن عباس بخلاف وقتادة والاعرج خالصة بالنصب وقراءة سعيد بن جبير خالصا وقراءة ابن عباس بخلاف والزهري والاعمش خالص بالرفع وقراءة ابن عباس وابن مسعود والاعمش بخلاف خالصة مرفوع مضاف

= الحجة =

وجه قراءة الاكثر ان يحمل على ما فيكون تقديره ان يكن ما في بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن تأنيث الميتة تأنيث ذوات الفروج جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاءه موعظة من ربه ويكون كان

تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن أنث الفعل فكقوله سبحانه قد جاءتكم موعظة ووجه قراءة ابي بكر ان ما في بطون الانعام من الانعام فلذلك أنثها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما في بطون الانعام خالصة لنا اي خالص فأنث للمبالغة في الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان اي صفيه والمبالغ في الصفاء والثقة عنده والتاء فيه للمبالغة وليكون ايضا بلفظ المصدر نحو العافية والعاقبة والمصدر الى الجنسية فيكون أعم وأوكد ويدل على ذلك قراءة من قرأ خالص وأما من نصب خالصة وخالصا ففيه وجهان —احدهما— ان يكون حالا من المضمر في الظرف الذي جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذي في الدار قائما زيد فيكون قوله لذكورنا خبر المبتدأ الموصول —والآخر— ان يكون حالا من ما على مذهب ابي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائما في الدار واحتج بقوله سبحانه والأرض جميعا قبضته يوم القيامة

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة أخرى فقال (وقالوا) يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم (مافي بطون هذه الانعام) يعني البان البحائر والسيب عن ابن عباس والشعبي وقتادة وقيل أجنة البحائر والسيب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتاً أكله الرجال والنساء عن مجاهد والسدي وقيل المراد به كليهما (خالصة لذكورنا) لا يشركهم فيها أحد من الإناث من قولهم فلان يخلص العمل لله ومنه اخلاص التوحيد وسمي الذكور من الذكر الذي هو الشرف والذكر أشبه وأذكر من الأنثى (ومحرم على ازواجنا) اي نسائنا (وان يكن ميتة) معناه وان يكن جنين الانعام ميتة (فهم فيه شركاء) أي الذكور والإناث فيه سواء ثم قال سبحانه (سيجزيهم وصفهم) اي سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه عن الزجاج (انه حكيم) فيما يفعل بهم من العقاب آجلا وفي امهالهم عاجلا (عليم) بما يفعلونه لا يخفى عليه شيء منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الآية من وجوه اربعة —احدها— ذبحهم الأنعام بغير اذن الله —وثانيها— أكلهم على ادعاء التذكية افتراء على الله —وثالثها— تحليلهم للذكور وتحريمهم على الإناث تفرقة بين ما لا يفترق إلا بحكم من الله —ورابعها— تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق به

قوله تعالى (١٤٠) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَاءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء والباقون بالتخفيف

الحجة

التشديد للتكثير والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك

الإعراب

قوله سفها وافتراء على الله نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله افتراء عليه

المعنى

ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين قتلوا اولادهم والذين حرموا الحلال فقال (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) خوفا من الفقر وهربا من العار ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الأبد والخسران هلاك رأس

المال (سفها) اي جهلا وتقديره سفهوا بما فعلوه سفها والفرق بين السفه والنزق ان السفه عجلة يدعو اليها الهوى والنزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ (بغير علم) وهذا تأكيد لجهلهم وذهابهم عن الثواب (وحرموا ما رزقهم الله) يعني الأنعام والحرث الذين زعموا انها حجر عن الحسن واعترض علي بن عيسى على هذا فقال الانعام كانت محرمة حتى ورد السمع فما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض يفسد من حيث ان الركوب لايحتاج الى السمع وان احتاج الذبح اليه لأن الركوب مباح اذا قام بمصالحها ولأن أكلها ايضا بعد الذبح مباح (افتراء) اي كذبا (على الله) سبحانه (قد ضلوا) اي ذهبوا عن طريق الحق بافعلوه وحكموا بحكم الشياطين فيما حكموا فيه (وما كانوا مهتدين) الى شيء من الدين والخير والرشاد وفي هذه الآيات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لأنه سبحانه أضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم ونزه نفسه عن ذلك وذمهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الأبد على غير جرم

قوله تعالى (١٤١) وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (آية)

القراءة

قرأ اهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر

الحجة

هما لغتان قال سيبويه جاؤا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وذلك الصرام والجداد والجرام والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان في بعض هذا فكان فيه فعال وفعال

اللغة

الإنشاء احداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالابتداع . والاختراع هو احداث الأفعال في الغير من غير سبب . والخلق هو التقدير والترتيب . والجنات البساتين التي يجنها الشجر من النخل وغيره والروضة الخضراء بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الألوان الحسنة والعرش أصله الرفع ومنه سمي السرير عرشاً لارتفاعه والعرش السقف والملك وعرش الكرم رفع بعض اغصانها على بعض والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة والاسراف مجاوزة الحد وقد يكون بالمجاوزة الى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر :

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم منٌّ ولا سرف

اي ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط

الإعراب

مختلفاً أكله نصب على الحال من انشأ وانما انتصب على الحال وان كان يؤكل بعد ذلك بزمان لأمرين — احدهما — ان المعنى مقدر اختلاف أكله كما في قوله مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدراً الصيد به غداً — والثاني — ان يكون معنى أكله ثمره الذي يصلح ان يؤكل منه

المعنى

لما حكى سبحانه عن المشركين انهم جعلوا بعض الاشياء للاوثان عقب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شيء منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا باذنه فقال (وهو الذي انشأ) اي

خلق وابتدع لا على مثال (جنات) اي بساتين فيها الأشجار المختلفة (معروشات) مرفوعات بالدعائم قيل هو ما عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي وقيل عرشها ان يجعل لها حظائر كالحيطان عن ابي علي قال وأصله الرفع ومنه قوله تعالى خاوية على عروشها يعني على أعاليها وما ارتفع منها ما لم تتدك فتسوى بالارض (وغير معروشات) يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري والجبال من انواع الأشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قائمة على أصولها مستغنية عن التعريش عن ابي مسلم (والنخل والزرع) اي وأنشأ النخل والزرع (مختلفا أكله) اي طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف للنخل والزرع جميعا فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفا في الصورة متفقا في الطعم وبعضها مختلفا في الطعم متفقا في الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى انه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء (والزيتون والرمان) اي وانشأ الزيتون والرمان (متشابها) في الطعم واللون والصورة (وغير متشابه) فيها وانما قرن الزيتون الى الرمان لأنهما متشابهان باكتناز الاوراق في اغصانها (كلوا من ثمره اذا أثمر) المراد به الإباحة وان كان بلفظ الأمر قال الجبائي وجماعة هذا يدل على جواز الأكل من الثمر وان كان فيه حق الفقراء (وآتوا حقه يوم حصاده) هذا امر بإيتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان ❊ احدهما ❊ انه الزكاة العشر او نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس ❊ والثاني ❊ انه ما تيسر مما يعطى المساكين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (ع) وعطا ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروى اصحابنا انه الضغث بعد الضغث والجفنة بعد الجفنة وقال ابراهيم والسدي الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لأن هذه الآية مكية وفرض الزكاة انما انزل بالمدينة ولما روي ان الزكاة نسخ كل صدقة قالوا ولأن الزكاة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن يوم حصاده ظرف لحقه وليس بظرف للإيتاء المأمور به (ولا تسرفوا) اي لا تجاوزوا الحد وفيه أقوال ❊ احدها ❊ أنه خطاب لأرباب الأموال اي لا تسرفوا بأن تتصدقوا بالجميع ولا تبقوا للعيال شيئا كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فإنه صرم خمسين نخلا وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئا في داره لأهله عن ابي العالية وابن جريج ❊ وثانيها ❊ ان معناه ولا تقصروا بأن تمنعوا بعض الواجب والتقصير مسرف عن سعيد بن المسيب ❊ وثالثها ❊ ان المعنى لا تسرفوا في الأكل قبل الحصاد كيلا يؤدي الى بخس حق الفقراء عن ابي مسلم ❊ ورابعها ❊ ان معناه لا تنفقوه في المعصية ولا تضعوه في غير موضعه وفي جميع هذه الأقوال الخطاب لأرباب الأموال ❊ وخامسها ❊ ان الخطاب للأئمة ومعناه لا تأخذوا ما يجحف بأرباب الاموال ولا تأخذوا فوق الحق عن ابن زيد ❊ وسادسها ❊ ان الخطاب للجميع بأن لا يسرف رب المال في الإعطاء ولا الإمام في الأخذ وصرف ذلك الى غير مصارفه وهذا أعم فائدة (انه لا يحب المسرفين) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٤٢) وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٣) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٤) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وابن فليح وابن عامر واهل البصرة المعز بفتح العين والباقون بسكونها

— الحجة —

قال ابو علي من قرأ المعز فإنه جمع ماعز مثل خادم وخدم وحارس وحرس وطالب وطلب وقال ابو الحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المعزى وحكى ابو زيد الأمعوز وقالوا المعيز كالكليب والضئين ومن قرأ المعز فإنه جمع ايضا مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع مستمرا ويرده في التصغير الى الواحد فيقول في تحقير ركب رويكبون وفي تجر تويجرون وسيبويه يراه اسما من اسماء الجموع وانشد ابو عثمان في الاحتجاج لسيبويه «اخشى ركيبا او رجيلا عاديا» فتحقيره له على لفظه يدل على انه اسم للجمع وانشد (وأين ركيب واضعون رحالهم)

— اللغة —

الحمولة الإبل يحمل عليه الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء هي الاحمال وهي الحمول ايضا وانماقيل للصغار فرش لأمرين — احدهما — لاستواء اسنانها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش — والثاني — انه من الفرش وهو الارض المستوية التي يتوطأها الناس والزوج يقع على الواحد الذي يكون معه آخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين خصم وعدل والاشتمال أصله الشمول يقال شملهم الأمر يشملهم وشملهم الأمر يشملهم شمولا اذا عمهم ومنه الشمال لشمولها على ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولطفها ومن ذلك الشمول للخمر لاشتمالها على العقل وقيل لأن لها عصفة كعصفة الشمال

— الاعراب —

حمولة عطف على جنات اي وانشأ من الانعام حمولة واثنين محمول على انشا ايضا اي ثمانية ازواج اثنين من كذا واثنين من كذا فثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا واثنين من كذا واثنين من كذا بدل من ثمانية اوعطف بيان وقوله ءآلذكرين حرم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل وفصل بينهما بالألف ولم تسقط همزة الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لأن ام تدل على الاستفهام وعلى هذا الوجه اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر

فوالله ما ادري وان كنت داريا   شعيث بن سهم او شعيث بن منقر

استفهاما فيكون تقديره أشعيث وما في قوله ام ما اشتملت في موضع نصب بكونه عطفا على الاثنين وانما قال الإثنين مثنى لأنه اراد من الضأن والمعز

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما عده فيما تقدم من عظيم الانعام ببيان نعمته في انشاء الانعام فقال (ومن الانعام) اي وانشأ من الانعام (حمولة وفرشا)قدقيل فيه اقوال — احدها — ان الحمولة كبار الإبل والفرش صغارها عن ابن عباس وابن مسعود بخلاف والحسن بخلاف ومجاهد — وثانيها — ان الحمولة ما يحمل عليه من الإبل والبقر والفرش الغنم عن الحسن في رواية اخرى وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد * وثالثها * أن الحمولة كل ما حمل من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية اخرى فكأنه ذهب إلى انه يدخل في الانعام الحافر على وجه التبع * رابعها * أن معناه ما ينتفعون به في الحمل وما يفترشونه في الذبح فمعنى الافتراش الاضطجاع للذبح عن ابي مسلم قال وهو كقوله فإذا وجبت جنوبها وروي عن الربيع بن انس ايضا ان الفرش ما يفرش للذبح ايضا * وخامسها * ان الفرش ما يفرش من اصوافها

واوبارها ويرجع الصفتان إلى الانعام أي من الانعام ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من اوبارها واصوافها ما يفرش ويبسط عن ابي علي الجبائي (كلوا مما رزقكم الله) اي استحلوا الأكل مما اعطاكم الله ولا تحرموا شيئا منها كما فعله اهل الجاهلية في الحرث والانعام وعلى هذا يكون الامر على ظاهره ويمكن ان يكون أراد نفس الأكل فيكون بمعنى الإباحة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) مضى تفسيره في سورة البقرة ثم فسر تعالى الحمولة والفرش فقال (ثمانية ازواج) وتقديره وانشأ ثمانية ازواج انشأ (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) وإنما اجمل ثم فصل المجمل لأنه اراد ان يقرر على شيء شيء منه ليكون اشد في التوبيخ من ان يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية افراد لأن كل واحد من ذلك يسمى زوجا فالذكر زوج الانثى والانثى زوج الذكر كما قال تعالى امسك عليك زوجك وقيل معناه ثمانية اصناف من الضأن اثنين يعني الذكر والانثى ومن المعز اثنين الذكر والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحد الضان ضائن كقولهم تاجر وتجر والانثى ضائنة وواحد المعز ماعز وقيل ان المراد بالاثنين الأهلي والوحشي من الضأن والمعز والبقر والمراد بالاثنين من الإبل العراب والبخاتي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وإنما خص هذه الثمانية لأنها جميع الانعام التي كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما احل الله تعالى (آلذكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله (ام الانثيين) منهما (ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين) اي ام حرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضأن والانثى من المعز وإنما ذكر الله سبحانه هذا على وجه الاحتجاج عليهم بين به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من ان ما في بطون الانعام حلال للذكور وحرام على الإناث وغير ذلك مما حرموه فإنهم لو قالوا أحرم الذكرين لزمهم أن يكون كل ذكر حراما ولو قالوا أحرم الأنثيين لزمهم أن يكون كل انثى حراما ولو قالوا أحرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضأن والمعز لزمهم تحريم الذكور والإناث فإن ارحام الاناث تشتمل على الذكور والاناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا الجنس صغارا وكبارا وذكورا واناثا ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كانوا يخصون بالتحريم بعضا دون بعض فقد لزمتهم الحجة ثم قال (نبئوني بعلم إن كنتم صادقين) معناه اخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه إن كنتم صادقين في ذلك (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) هذا تفصيل لتمام الازواج الثمانية (قل) يا محمد (آلذكرين حرم) الله منهما (ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين) قد تقدم معناه (أم كنتم شهداء) اي حضورا (إذ وصاكم الله بهذا) أي امركم به وحرمه عليكم حتى تضيفوه اليه وإنما ذكر ذلك لأن طرق العلم اما الدليل الذي يشترك العقلاء في ادراك الحق به او المشاهدة التي يختص بها بعضهم دون بعض فإذا لم يكن واحد من الامرين سقط المذهب والمراد بذلك اعلمتموه بالسمع والكتب المنزلة وانتم لا تقرون بذلك ام شافهكم الله تعالى به فعلمتموه وإذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم اليه (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) أي من اظلم لنفسه ممن كذب على الله واضاف اليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله (ليضل الناس بغير علم) اي يعمل عمل القاصد إلى اضلالهم من اجل دعائه اياهم إلى ما لا يثق بصحته ما لا يأمن من ان يكون فيه هلاكهم وان لم يقصد اضلالهم (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إلى الثواب لأنهم مستحقون العقاب الدائم بكفرهم وضلالهم

قوله تعالى (١٤٥) قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية).

القراءة

قرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة بالنصب وقرأ ابو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة بالرفع والباقون بالياء ونصب ميتة وكلهم خففوا ميتة غير ابي جعفر فإنه شددها

الحجة

قال ابو علي قراءة ابن كثير وحمزة محمولة على المعنى كأنه قال الا ان تكون العين والنفس ميتة ألا ترى أن المحرم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الاشياء وليس قوله إلا أن يكون كقولك جاءني القوم لايكون زيدا وليس زيدا في ان الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التأنيث لأن الفعل إنما يكون عاريا من علامة التأنيث ومن ان يظهر معه الضمير إذا لم يدخل عليه أن فاما إذا دخله ان فعلى حكم سائر الافعال ومن قرأ بالياء ونصب ميتة فإنه جعل فيه ضميرا ما تقدم وهو اقيس ما تقدم ذكره أي إلا ان يكون الموجود ميتة ومن قرأ إلا ان تكون ميتة فألحق علامة التأنيث الفعل كما الحق في قوله قد جاءتكم موعظة وتقديره إلا أن تقع ميتة

— المعنى —

لما قدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال (قل) يامحمد لهؤلاء الكفار (لا اجد فيما اوحي إلي) أي اوحاه الله تعالى إلي شيئاً محرما (على طاعم يطعمه) أي على آكل يأكله (إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا) أي مصبوبا وإنما خص المصبوب بالذكر لأن مايختلط باللحم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو عنه مباح (او لحم خنزير) إنما خص الأشياء الثلاثة هنا بذكر التحريم مع أن غيرها محرم فإنه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية وغيرها لأن جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فأجمل هاهنا وفصل هناك واجود من هذا أن يقال انه سبحانه خص هذه الاشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها وبين تحريم ما عداها في موضع آخر إما بنص القرآن وإما بوحي غير القرآن وأيضا فإن هذه السورة مكية والمائدة مدنية فيجوز أن يكون غير ما في الآية من المحرمات إنما حرم فيما بعد والميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية (فإنه رجس) أي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر منفور عنه والرجس ايضا العذاب والهاء في قوله فإنه عائد إلى ما تقدم ذكره فلذلك ذكره (اوفسقا) عطف على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبة (أهل لغير الله به) أي ذكر عليه اسم الأصنام والأوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسمي ما ذكر عليه اسم الصنم فسقا لخروجه عن امر الله واصل الإهلال رفع الصوت بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة (فمن اضطر) إلى تناول شيء مما ذكرناه (غير باغ ولا عاد) قد سبق معناه في سورة البقرة (فإن ربك غفور رحيم) حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة

قوله تعالى (١٤٦) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٧) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (آيتان)

اللغة

الظفر ظفر الإنسان وغيره ورجل اظفر إذا كان طويل الأظفار كما يقال اشعر لطويل الشعر والحوايا

المباعر قال الزجاج واحدها حاوية وحاوياء وحوية وهي ما يحوى في البطن فاجتمع واستدار .

الإعراب

موضع الحوايا يحتمل أن يكون رفعا عطفا على الظهور وتقديره او ما حملت الحوايا ويحتمل أن يكون نصبا عطفاً على ما في قوله إلا ما حملت فأما قوله او ما اختلط بعظم فإنما هذه معطوفة على ما الاولى ذلك يجوز أن يكون منصوب الموضع بأنه مفعول ثان لجزيناهم التقدير جزيناهم ذلك ببغيهم ولا يجوز ان يرفع بالابتداء لأنه يصير التقدير ذلك جزيناهموه فيكون كقولهم زيد ضربت اي ضربته وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر

— المعنى —

ثم بين سبحانه ما حرمه على اليهود فقال (وعلى الذين هادوا) أي على اليهود في ايام موسى (حرمنا كل ذي ظفر) اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالإبل والنعام والاوز والبط عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هو الابل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) اخبر سبحانه انه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى وغير ذلك ما في اجوافها واستثنى من ذلك فقال (إلا ما حملت ظهورهما) من الشحم وهو اللحم السمين فإنه لم يحرم عليهم (او الحوايا) اي ما حملته الحوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم ايضا والحوايا هي المباعر عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التي عليها الشحوم عن الجبائي (او ما اختلط بعظم) ذلك ايضا مستثنى من جملة ما حرم وهو شحم الجنب والألية لأنه على العصعص عن ابن جريج والسدي وقيل الالية لم تدخل في هذا لانها لم تستثن عن الجبائي فكأنه لم يعتد بعظم العصعص قال الزجاج إنما دخلت او ها هنا على طريق الإباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى أن كل هؤلاء اهل ان يعصى فاعص هذا او اعص هذا واو بليغة في هذا المعنى لانك إذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فجائز أن يكون نهيتني عن طاعتهما في حال معا فإن اطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك وإذا قلت لا تطع زيداً أو عمراً او خالداً فالمعنى أن هؤلاء كلهم اهل ان لا يطاع فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن او ابن سيرين او الشعبي (ذلك جزيناهم ببغيهم) المعنى حرمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الانبياء واخذهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل فهذا بغيهم وهو كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقيل ببغيهم ظلمهم على انفسهم في ارتكابهم المحظورات وقيل إن ملوك بني اسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم من اكل لحوم الطير والشحوم فحرم الله ذلك ببغيهم على فقرائهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره ويسأل فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة وتعريض للثواب وجوابه انه إنما سمي جزاء وعقابا لأن عظيم ما فعلوه من المعاصي اقتضى تحريم ذلك وتغيير المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك (وإنا لصادقون) أي في الإخبار عن التحريم وعن بغيهم وفي كل شيء وفي ان ذلك التحريم عقوبة لأوائلهم ومصلحة لمن بعدهم إلى وقت النسخ (فإن كذبوك) يا محمد فيما تقول (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل يمهلكم (ولا يرد بأسه) اي لا يدفع عذابه إذا جاء وقته (عن القوم المجرمين) اي المكذبين

قوله تعالى (١٤٨) سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ

لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٩) قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٥٠) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللهَ حَرَّمَ هٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

(ثلاث آيات)

اللغة

هلم قال الزجاج انها هاء ضمت اليها لم وجعلتا كالكلمة الواحدة فاكثر اللغات ان يقال هلم للواحد والاثنين والجماعة بذلك جاء القرآن نحو قوله هلم الينا ومعنى هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم ومن العرب من يثني ويجمع ويؤنث فيقول للمذكر هلم وللاثنين هلما وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمي وللنسوة هلممن وفتحت لأنها مدغمة كما فتحت رد يا هذا في الأمر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد بالضم كما يجوز في رد الفتح والضم والكسر لأنها لا تتصرف قال ابو علي هي في اللغة الاولى بمنزلة رويد وصه ومه ونحو ذلك من الاسماء التي سميت بها الافعال وفي الأخرى بمنزلة رد في ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر في رد واما هاء اللاحق بها فهي التي للتنبيه لحقت اولا لأن لفظ الأمر قد يحتاج الى استعطاف المأمور به واستدعاء إقباله على الأمر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنبيه في الايا اسجدوا الا ترى انه امر كما أن هذا امر وقد دخل في جمل أخر نحوها انتم هؤلاء فكما دخل في هذه المواضع كذلك لحقت في لم الا انه كثر الاستعمال معها فغير بالحذف لكثرة الاستعمال كاشياء تغير لذلك نحو لم ابل ولم أدر وما اشبه ذلك مما يغير للكثرة

المعنى

لما تقدم الرد على المشركين لاعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقالتهم الفاسدة فقال (سيقول الذين اشركوا) اي سيحتج هؤلاء المشركين في اقامتهم على شركهم وفي تحريمهم ما احل الله تعالى بأن يقولوا (لو شاء الله ما اشركنا) اي لو شاء الله ان لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم (ولاآباؤنا) واراد منا خلاف ذلك لما اشركنا ولا آباؤنا (ولا حرمنا من شيء) اي شيئاً من ذلك ثم كذبهم الله تعالى في ذلك بقوله (كذلك) اي مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء في انه منكر (كذب الذين من قبلهم) وانما قال كذب بالتشديد لأنهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله لهم ان الله سبحانه امركم بتوحيده وترك الاشراك به وترك التحريم لهذه الانعام فكانوا بقولهم ان الله تعالى اراد منا ذلك وشاءه ولو اراد غيره ما فعلناه مكذبين للرسول عليه السلام كما كذب من تقدمهم انبياءهم فيما اتوا به من قبل الله تعالى (حتى ذاقوا بأسنا) اى حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى اصابوا العذاب المعجل ودل بذلك على ان لهم عذابا مدخرا عند الله تعالى لأن الذوق اول ادراك الشيء (قل) يامحمد لهم جوابا عما قالوه من ان الشرك بمشيئة الله تعالى (هل عندكم من علم) اي حجة تؤدي الى علم وقيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه (فتخرجوه لنا) اي فتخرجوا ذلك العلم او تلك الحجة لنا بين سبحانه بهذا انه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يضيفونه الى الله تعالى وان ما قالوه باطل ثم اكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم في مقالتهم بقوله (ان تتبعون الا الظن) اي ماتتبعون فيما تقولونه الا الظن والتخمين (وان أنتم إلا تخرصون) اي إلا تكذبون في هذه المقالة على الله تعالى وفي هذه دلالة واضحة على ان الله سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه هذا مع قيام الادلة العقلية التي لا يدخلها التأويل على انه سبحانه يتعالى عن ارادة القبيح وجميع صفات النقص علوا كبيراً (قل) يامحمد اذا عجز هؤلاء عن اقامة حجة على ما قالوه (فلله الحجة البالغة) والحجة البينة الصحيحة المصححة للاحكام

وهي التي تقصد الى الحكم بشهادته مأخوذة من أحج اذا قصدوا لبالغة هي التي تبلغ قطع عذر المحجوج بأن تزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها واستدلــ بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لأنه لا يحتج الا بالحق وبما يؤدي الى العلم (فلو شاء لهداكم اجمعين) اي لو شاء لألجأكم الى الإيمان وهداكم جميعا اليه بفعل الإلجاء الا انه لم يفعل ذلك وان كان فعله حسنا لأن الإلجاء ينافي التكليف وهذه المشيئة بخلاف المشيئة المذكورة في الآية الاولى لأن الله تعالى اثبت هذه ونفى تلك وذلك لا يستقيم الا على الوجه الذي ذكرناه فالاولى مشيئة الاختيار والثانية مشيئة الإلجاء وقيل ان المراد انه لو شاء لهداكم الى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الأمر على ما قاله اهل الجبر من ان الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ماشاء الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لأن الطاعة هي امتثال الأمر المراد ولا يكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراد منهم الكفر فأي حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق الموصل الى صحة مذاهبهم مسد غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفته فهو فاسد لا محالة فقال (قل) يا محمد لهم (هلم شهدائكم) اي احضروا وهاتوا شهداءكم (الذين يشهدون) بصحة ما تدعونه من (ان الله حرم هذا) اي هذا الذي ذكر مما حرمه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث والانعام وغيرها (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) معناه فإن لم يجدوا شاهدا يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا لأنفسهم فلا تشهد انت معهم وانما نهاه عن الشهادة معهم لأن شهادتهم تكون شهادة بالباطل فإن قيل كيف دعاهم الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب انه امرهم أن يأتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فإذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لأنفسهم فلا ينبغي ان تقبل شهادتهم اوتشهد معهم لأنها ترجع الى دعوى مجردة بعيدة من الصواب وقيل انه سبحانه اراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن احد غير العرب يشهد على ذلك لأنه كان للعرب شرائع شرعوها لأنفسهم (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) الخطاب للنبي (ص) والمراد امته اي لا تعتقد مذهب من اعتقد مذهبه هوى ويمكن ان يتخذ الإنسان المذهب هوى من وجوه منها ان يهوى من سبق اليه فيقلده فيه ومنها ان يدخل عليه شبهة فيخيله بصورة الصحيح مع ان في عقله ما يمنع منها ومنها ان يقطع النظر دون غاية المشقة التي تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد ومنها ان يكون نشأ على شيء والفه واعتاده فيصعب عليه مفارقته وكل ذلك مثميز مما استحسنه بعقله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة إنما ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لأن منه ما يكون مع الاقرار بالآخرة كحال اهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الاوثان (وهم بربهم يعدلون) اي يجعلون له عدلا وهو المثل وفي الآية دلالة على فساد التقليد لأنه سبحانه طالب الكفار على صحة مذهبهم وجعل عجزهم عن الإتيان بها دلالة على بطلان قولهم وايضا فإنه سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى

قوله تعالى (١٥١) قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (آية)

— اللغة —

تعالوا مشتق من العلو على تقدير ان الداعي في المكان العالي وان كانا في مستو من الارض كما يقال للانسان

ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والمتلو مثل المقروء والتلاوة غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكي فالمتلو والمحكي هو الكلام الاول والتلاوة والحكاية هي الثاني منه على طريق الإعادة والإملاق الإفلاس من المال والزاد ومنه الملق والتملق لأنه اجتهاد في تقرب المفلس للطمع في العطية والفواحش جمع فاحشة وهو القبيح العظيم القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لأنه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش

الاعراب

ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى اتل الذي حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجائز ان يكون في موضع نصب بحرم لأن التلاوة بمنزلة القول فكأنه قال اقول اي شيء حرم ربكم عليكم اهذا ام هذا فجائز ان يكون الذي تلاه عليهم قوله الا ان يكون ميتة او دماً مسفوحا ويكون الا تشركوا به منصوبة بمعنى طرح اللام اي أبين لكم الحرام لأن لا تشركوا لأنهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان يكون ان لاتشركوا به شيئاً محمولا على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم الا تشركوا اي اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشركوا به شيئاً لأن قوله وبالوالدين احسانا محمول على معنى اوصيكم بالوالدين احسانا هذا كله قول الزجاج وتشركوا يجوز ان يكون منصوبا بأن ويكون لا للنفي ويجوز ان يكون مجزوما بلا على النهي واذا كان منصوبا فيكون قوله ولا تقتلوا اولادكم عطفاً بالنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله قل اني امرت أن أكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وقال جامع العلوم البصير الاصفهاني يجوز ان تقف على عليكم ثم تبتدئ بأن لا تشركوا اي هو ان لا تشركوا اي هو الا شراك اي المحرم الاشراك ولا زيادة ويجوز ان يكون ما استفهاما فيقف على قوله ربكم ثم يبتدئ فيقول عليكم الا تشركوا اي عليكم ترك الاشراك وهذا وقف بيان وتمام قوله قل تعالوا عند قوله بلقاء ربهم يؤمنون لأن قوله وان هذا صراطي فيمن فتح معطوف على قوله ما حرم اي اتل هذا وهذا ومن كسر فالتقدير وقل ان هذا صراطي وكذلك ثم اتينا اي وقل ثم اتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول

المعنى

لما حكى سبحانه عنهم تحريمهم ما حرموه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (تعالوا) اي اقبلوا وادنوا (اتل) اي اقرأ (ما حرم ربكم عليكم) اي منعكم عنه بالنهي ثم بدأ بالتوحيد فقال (ان لا تشركوا به شيئاً) اي امركم ان لا تشركوا ولا فرق بين ان تقول لا تشركوا به شيئا وبين ان تقول حرم ربكم عليكم ان تشركوا به شيئا اذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله من المعاني في الاعراب وقد قيل ايضا ان الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لاتشركوا كقوله سبحانه عليكم انفسكم (وبالوالدين احسانا) أي واوصى بالوالدين احسانا ويدل على ذلك ان في حرم كذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه في الرتبة امر بالاحسان اليهما بعد الأمر بعبادة الله تعالى (ولاتقتلوا اولادكم من املاق) اي خوفا من الفقر عن ابن عباس وغيره (نحن نرزقكم واياهم) اي فإن رزقكم ورزقهم جميعاً علينا (ولا تقربوا الفواحش) اي المعاصي والقبائح كلها (ما ظهر منها وما بطن) اي ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنا في السر بأسا ويمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه في الحالتين عن ابن عباس والضحاك والسدي وقريب منه ما روي عن ابي جعفر (ع) ان ما ظهر هو الزنا وما بطن هو المخالة وقيل ان ما ظهر افعال الجوارح وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصي كلها وهذا اعم فائدة (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) اعاد ذكر القتل وان كان داخلا في الفواحش تفخيما لشأنه وتعظيما لأمره والنفس المحرم

قتلها هي قس المسلم والمعاهد دون الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرم قتلها ثلاثة اشياء القود والزنا بعد احصان والكفر بعد إيمان (ذلكم) خطاب لجميع الخلق اي ماذكر في هذه الآية (وصاكم به) اي امركم به (لعلكم تعقلون) اي لكي تعقلوا ما امركم الله تعالى به فتحللوا ما حلله لكم وتحرموا ما حرمه عليكم ودل قوله سبحانه وصاكم به على ان الوصية مضمرة في اول الآية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ان لا تشركوا به شيئاً دلالة على ان التكليف قد يتعلق بأن لا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى انه يستحق الثواب والعقاب على ان لا يفعل وهو الصحيح من المذهب

قوله تعالى (١٥٢) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٣) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ أهل الكوفة الا ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرأ أهل الكوفة غير عاصم وان هذا بكسر الهمزة والباقون بفتحها وكلهم شدد النون الا ابن عامر ويعقوب فإنهما قرآ إن بالتخفيف وكلهم سكن الياء من صراطي الا ابن عامر فإنه فتحها وقرأ ابن عامر وابن كثير سراطي بالسين وقرأ حمزة بين الصاد والزاي

الحجة

القراءتان في تذكرون متقاربتان والاصل تتذكرون فمن خفف حذف التاء الاولى ومن شدد ادغم التاء الثانية في الذال واما من فتح وان هذا فإنه حملها على فاتبعوه على قياس قول سيبويه في قوله تعالى لإيلاف قريش وقوله وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فيكون على تقدير ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن خفف فقال وان هذا فإن الخفيفة في قوله يتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة والحديث وعلى هذه الشريطة يخفف وليست المفتوحة كالمكسورة اذا خففت وعلى هذا قول الاعشى

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفي وينتعل

والفاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر إن عاطفة جملة على جملة وعلى قول من فتح ان زائدة

[اللغة]

الاشد واحدها شد مثل الأشر في جمع شر والاضر في جمع ضر والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما ان شد النهار هو ارتفاعه قال عنترة

عهدي به شد النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالعظلم

وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين الأشد واحد فيكون مثل الآنك قال سيبويه الذكر والذكر بمعنى وذكر فعل يتعدى الى مفعول واحد فإذا ضاعفت العين يعدي الى مفعولين كما في قوله

يذكرنيك حنين العجول ونوح الحمامة تدعو هديلا

ويقول ذكره فتذكر فتفعل مطاوع فعل كما أن تفاعل مطاوع فاعل

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلو عليهم فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) والمراد بالقرب التصرف فيه وإنما خص مال اليتيم بالذكر لأنه لايستطيع الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله اشد ويد الرغبة اليه أمد فاكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وان كان ذلك واجبا في مال كل احد (الا بالتي هي احسن) أي بالخصلة او الطريقة الحسنى ولذلك انث وقد قيل في معناه اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه الا بتثمير ماله بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدي ﴿وثانيها﴾ بأن يأخذ القيم عليه بالأكل بالمعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي ﴿وثالثها﴾ بأن يحفظ عليه حتى يكبر (حتى يبلغ اشده) اختلف في معناه فقيل انه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل هو ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلاثين سنة ثم نسخها قوله حتى اذا بلغوا النكاح الآية وقال ابو حنيفة اذا بلغ خمسا وعشرين سنة دفع المال اليه وقبل ذلك يمنع منه اذا لم يؤنس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا اقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم اشده مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن ولكن تقديره ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الأبد حتى يبلغ اشده فادفعوا اليه بدليل قوله ولاتأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا (واوفوا) اي أتموا (الكيل والميزان بالقسط) اي بالعدل والوفاء من غير بخس (لا نكلف نفسا الا وسعها) اي الا ما يسعها ولا يضيق عنه ومعناه هنا انه لما كان التعديل في الوزن والكيل على التحديد من أقل القليل يتعذر بين سبحانه انه لا يلزم في ذلك الا الاجتهاد في التحرز من النقصان (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذاقربى) اي فقولوا الحق وان كان على ذي قرابة لكم وإنما خص القول بالعدل دون الفعل لأن من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل ويكون ذلك من أكد الدواعي اليه وقيل معناه اذا شهدتم او حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم وان كان المقول عليه او المشهود له او عليه قرابتك وهذا من الأوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الأقارير والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وبعهد الله اوفوا) قيل في معنى عهد الله قولان ﴿احدهما﴾ ان كل ما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد اليهم بايجابه عليهم وبتقديم القول فيه والدلالة عليه ﴿والآخر﴾ ان المراد به النذور والعهود في غير معصية الله تعالى والمراد أوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك (ذلكم) اي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب الا بالحق وايفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحري الحق فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد (وصاكم) الله سبحانه (به لعلكم تذكرون) اي لكي تتذكروه وتأخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه (وان هذا صراطي مستقيما) اي ولأن هذا صراطي مستقيما ومن خفف فتقديره ولأنه هذا صراطي مستقيما ومن كسر ان فإنه استأنف قال ابن عباس يريد ان هذا ديني دين الحنيفية اقوم الاديان واحسنها وقيل يريد ان ما ذكر في هذه الآيات من الواجب والمحرم صراطي لأن امتثال ذلك على ما أمر به يؤدي الى الثواب والجنة فهو طريق اليها والى النعيم فيها مستقيما اي قيما لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على الحال (فاتبعوه) اي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا حرامه (ولا تتبعوا السبل) اي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن ابن عباس (فتفرق) واصله فتتفرق (بكم عن سبيله) اي فتشتت وتميل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) اي لكي تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم

كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذا لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات

قوله تعالى (١٥٤) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٥) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (آيتان)

القراءة

في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع

الحجة

قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لأنه حذف المبتدأ العائد الى الذي لأن تقديره على الذي هو احسن وإنما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو مررت بالذي ضربت اي ضربته ومن المفعول بدله وطال الإسم بصلته فحذف الهاء لذلك وليس المبتدأ بنيف ولافضلة فيحذف تخفيفا لاسيما وهو عائد الموصول وعلى ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قائل لك شيئا وسوءاً اي بالذي هو قائل لك وقال — لم ارمثل الفتيان في غبر الأيام ينسون ما عواقبها — اي ينسون الذي هو عواقبها ويجوز ان يكون ينسون معلقة كما علقوا نقيضتها التي هي يعلمون فيكون ما استفهاما وعواقبها خبر ما كقولك قد علمت من أبوك وعلى الوجه الأول حمله اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بأنه مفعول له وكذلك تفصيلا وما بعده والمعنى آتيناه لهذه العلة اي للتمام والتفصيل انزلناه في موضع رفع بأنه صفة كتاب

— المعنى —

(ثم آتينا موسى الكتاب) قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى قبل القرآن ثم يقتضي التراخي وجوه (احدها) ان فيه حذفا وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا (وثانيها) ان تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون عطفا على معنى التلاوة و المعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج (وثالثها) انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى الكتاب والذي يؤيده قول الشاعر

ولقد ساد ثم ساد ابوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده

(ورابعها) انه يتصل بقوله في قصة ابراهيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب فعد سبحانه نعمته عليه بما جعل في ذريته من الأنبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما أتى موسى من الكتاب والنبوة وهو ايضا من ذريته عن ابي مسلم واستحسنه المغربي (تماما على الذي احسن) قيل فيه وجوه (احدها) تماما على احسان موسى فكأنه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء (وثانيها) تماما على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماما على الذي احسنوا فكأنه قال تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم والنون قد تحذف من الذين كما في البيت

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم ياام خالد

ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من أحسن (وثالثها) ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن ابن زيد (ورابعها) ان معناه تماما لكرامته في الجنة على احسانه في الدنيا عن الحسن

وقتادة وقال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة ﴿وخامسها﴾ ان معناه تماما على الذي احسن الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي ﴿وسادسها﴾ ما قاله ابو مسلم انه يتصل بقصة ابراهيم فيكون المعنى تماما للنعمة على ابراهيم ولجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ولفظة على تقتضي المضاعفة عليه ولو قال تماما ولم يأت بقوله على الذي احسن لدل على نقصانه قبل تكميله (وتفصيلا لكل شيء) اي وبيانا لكل ما يحتاج اليه الخلق (وهدى) اي ودلالة على الحق والدين يهتدي بها الى التوحيد والعدل والشرائع (ورحمة) اي نعمة على سائر المكلفين لما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والأحكام (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون)معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفخيما لشأنه مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد سواه شيئا (وهذا كتاب) يعني القرآن وصفه بهذا الوصف لبيان انه مما ينبغي ان يكتب لأنه اجل الحكم (انزلناه) يعني أنزله جبرائيل الى محمد (ص) فأضاف النزول الى نفسه توسعا (مبارك) وهو من يأتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه وأصله الثبوت ومنه براكاء القتال في قوله

وما ينجي من الغمرات إلا براكاء القتال او الفرار

ومنه تبارك الله اي تعالى بصفة اثبات لا أول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى (فاتبعوه) أي اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه (واتقوا) معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه (لعلكم ترحمون) اي لكي ترحموا وانما قال واتقوا لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين ﴿احدهما﴾ انه اتقوا على رجاء الرحمة لأنكم لا تدرون بما توافون في الآخرة ﴿والثاني﴾ اتقوا لترحموا اي ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب

قوله تعالى (١٥٦) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٧) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (آيتان)

﴿الإعراب﴾

قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا يجيزون اضمار لا فلا يقولون جئت ان اكرمك اي لأن لا اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان اكرمك على اضمار محبة ان اكرمك او كراهة ان اكرمك ويكون الحال ينبئ عن الضمير واو تقولوا نصب تقولوا بأنه معطوف على ان تقولوا اي او كراهة ان تقولوا واقول ارادأنه مفعول له على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه واذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير ان فلأن يجوز مع ان اجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب باتقوا اي اتقوا يا اهل مكة ان تقولوا ولو انا فتحت ان بعد لو مع انه لا يقع فيه المصدر لأن الفعل مقدر بعد او فكأنه قيل لو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا الا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر قال

لو غيركم علق الزبير بحبله ادى الجوار الى بني العوام

﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه انه انما انزل القرآن قطعا للمعذرة وازاحة للعلة فقال (ان تقولوا) اي كراهة ان تقولوا يا اهل

مكة أو لئلا تقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اي جماعتين وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وانما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور امرهما اي انزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حجتكم (وان كنا عن دراستهم لغافلين) والمعنى انا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لأنهم كانوا اهله دوننا ولو أريد منا ما أريد منهم لأنزل الكتاب علينا كما انزل عليهم (او تقولوا) يا أهل مكة لو أنا انزل علينا الكتاب (لكنا اهدى منهم) في المبادرة الى قبوله والتمسك به لأنا اجود اذهانا واثبت معرفة منهم فإن العرب كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاء الحدس وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشيء اهدى اليه من عارف آخر بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبأن يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الآخر ثم قال تعالى (فقد جاءكم بينة من ربكم) اي حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن (وهدى) يهتدي به الخلق الى النعيم المقيم والثواب العظيم (ورحمة) اي نعمة لمن اتبعه وعمل به (فمن اظلم) لنفسه (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) اي اعرض عنها غير مستدل بها ولا مفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) اي شدة العذاب وهو ما أعده الله للكفار نعوذ بالله منه (بما كانوا يصدفون) اي جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن ومن أتى به وهو محمد (ص) وفي هذا دلالة على ان انزال القرآن لطف للمكلفين وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة واذا كان في منع اللطف عذر وحجة للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فإن قيل فهل للذين ماتوا من قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذر أولئك كان مقطوعا بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهؤلاء ايضا لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لأنزل عليهم مثل ما أنزل على هؤلاء واذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم

قوله تعالى (١٥٨) هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (آية)

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وخلف يأتيهم بالياء ههنا وفي النحل وقرأ الباقون تأتيهم بالتاء وقد مضى الكلام في امثال ذلك

المعنى

ثم توعدهم سبحانه فقال (هل ينظرون) معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم وقال ابو علي الجبائي معناه هل تنتظر انت يا محمد واصحابك الا هذا وهم وان انتظروا غيره فذلك لا يعتد به من حيث ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شأنها فهو مثل قوله ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم اذا تكلم بما لا يعتد به (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لإنزال العذاب والخسف بهم وقيل لعذاب القبر (او يأتي ربك) فيه اقوال (احدها) او يأتي أمر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله ان الذين يؤذون الله اي اولياء الله وقال ابن عباس يأتي أمر ربك فيهم بالقتل (وثانيها) او يأتي ربك بجلائل آياته فيكون حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وهو قيام الدليل في العقل على ان

الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف عليه الحال ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى او يأتي إهلاك ربك إياهم بعذاب عاجل او آجل او بالقيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا وقد أتاهم فلان اي قد أوقع بهم عن الزجاج (او يأتي بعض آيات ربك) وذلك نحو خروج الدابة او طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن النبي (ص) انه قال بادروا بالأعمال ستًا طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم اي موته وأمر العامة يعني القيامة (يوم يأتي بعض آيات ربك) التي تضطرهم الى المعرفة ويزول التكليف عندها (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) لأنه ينسد باب التوبة بظهور آيات القيامة ويضطر الله تعالى كل أحد الى معرفته ومعرفة المحسنات والمقبحات ضرورة ويعرفه انه ان حاول القبيح او ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجأ الى فعل الحسن وترك القبيح (او كسبت في إيمانها خيرا) عطف على قوله آمنت وقيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه انما قال ذلك على جهة التغليب لأن الأكثر انما ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب في إيمانه خيراً ﴿ وثانيها ﴾ انه لا ينفع احدا فعل الايمان ولا فعل خير فيه في تلك الحال لأنها حال زوال التكليف وإنما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه لا ينفعه إيمانه حينئذ وان كسب في إيمانه خيرا اي طاعة وبرا لأن الإيمان واكتساب الخير انما ينفعان من قبل ﴿ وثالثها ﴾ انه الإبهام في احد الامرين فالمعنى انه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس اذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم او ضمت إلى إيمانها افعال الخير فإنها اذا آمنت قبلُ نفعها إيمانها وكذلك اذا ضمت الى الإيمان طاعة نفعتها ايضا يريد انه لا ينفع حينئذ إيمان من آمن من الكفار ولا طاعة من أطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه إيمانه بانفراده وكذلك من أطاع من المؤمنين نفعته طاعته ايضا وهذا اقوى الأقوال واوضحها (قل انتظروا) اتيان الملائكة ووقوع هذه الآيات (فإنا منتظرون) بكم وقوعها وفي هذه الآية حث على المسارعة الى الإيمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها ايضا حجة على من يقول ان الإيمان اسم لأداء الواجبات والطاعات فإنه سبحانه قد صرح فيها بأن اكتساب الخيرات غير الإيمان المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات وهي الطاعات في الإيمان على فعل الإيمان فكأنه قال لا ينفع نفسا لم تؤمن قبل ذلك اليوم إيمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفسا لم تكن كاسبة خيرا في إيمانها قبل ذلك كسبها الخيرات ذلك اليوم وقد عكس الحاكم ابو سعيد في تفسيره الامر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجئة لانه يدل على أن الإيمان بمجرده لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت شعري كيف تدل الآية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه لخصمه عليه وهل هذا إلا عدول عن سنن العدل والانصاف

قوله تعالى (١٥٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي هاهنا وفي الروم فارقوا بالالف وهو المروي عن علي عليه السلام والباقون فرقوا بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ فرقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول إلى معنى فرقوا الا ترى انهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه

﴿ اللغة ﴾

الشيع الفرق التي يمالئ بعضهم بعضا على امر واحد مع اختلافهم في غيره وقيل إن اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا ظهر وشيعت النار إذا القيت عليها الحطب فكأنك تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلام واشاعكم السلام اي تبعكم السلام قال

ألا يا نخـلة من ذات عرق   برود الظل شاعكم السلام

ويقول آتيك غدا او شيعه اي او اليوم الذي تتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا قال الكميت

ومالي إلا آل احمـد شيعـة   ومالي إلا مشعب الحق مشعب

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما قدمه من الوعيد فقال (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) اختلف في المعنيين بهذه الآية على اقوال ﴿ احدها ﴾ انهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحسن ونسختها آية السيف ﴿ وثانيها ﴾ انهم اليهود والنصارى لانهم يكفر بعضهم بعضا عن قتادة ﴿ وثالثها ﴾ انهم اهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه الامة رواه ابو هريرة وعائشة مرفوعا وهو المروي عن الباقر عليه السلام جعلوا دين الله اديانا لإكفار بعضهم بعضا وصاروا احزابا وفرقا (لست منهم في شيء) هذا خطاب للنبي (ص) واعلام له انه ليس منهم في شيء وانه على المباعدة التامة من ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لانهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان افترقوا في غيره فليس منهم في شيء لأنه بريء من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالطتهم في شيء و إنما هو نهى النبي من مقاربتهم وامر له بمباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسختها آية القتال عن الكلبي والحسن (إنما امرهم إلى الله) في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم في الانظار والاستئصال إلى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله (ثم ينبئهم) اي يخبرهم ويجازيهم (بما كانوا يفعلون) يوم القيامة فيظهر المحق من المبطل

قوله تعالى (١٦٠) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب عشر منون امثالها برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقون عشر مضاف امثالها مجرور

﴿ الحجة ﴾

من قرأ عشر امثالها فالمعنى له عشر حسنات امثالها فيكون امثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشر ومن قرأ عشر امثالها فيكون امثالها صفة لعشر هذا قول الزجاج وحذف الموصوف وإقامة الصفـة مقامه ضعيف عند المحققين واكثر ما يأتي ذلك في الشعر والاولى ان يكون امثالها غير صفة في قوله عشر امثالها بل يكون محمولا على المعنى فأنث الامثال لما كان في معنى الحسنات وحكي عن ابي عمرو انه سمع اعرابيا يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها قال فقلت له اتقول جاءته كتابي قال نعم أليس بصحيفة

﴿ اللغة ﴾

الحسنة اسم للأعلى في الحسن ودخول الهاء للمبالغة قال علي بن عيسى دخول الهاء يدل على انها طاعـة اما واجب او ندب وليس كل حسن كذلك لأن في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من

ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المأمور بها لانها لام العهد والله سبحانه لا يأمر بالمباح

المعنى

لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقبه بذكر الوعد وتضعيف الجزاء في الطاعات فقال (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اي من جاء بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من الثواب (ومن جاء بالسيئة) اي بالخصلة الواحدة من خصال الشر (فلا يجزى إلا مثلها) وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل إنعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب المؤمن منا منه عليه وتفضلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى هذا فإن اصل احسن الحسنات التوحيد وأسوأ السيئات الكفر (وهم لا يظلمون) بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي وعدها الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا ام لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثوابا و إنما يكون الثواب منها الواحدة والتسع الزائدة يكون تفضلا ويؤيده قوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعيم واللذة لا في عظيم المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة واللذة وان يميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والإجلال اللذين لولاهما لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوزان يساوي الثواب والتفضل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك ثوابا قال الزجاج ان المجازاة من الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فإذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة وقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا في ذلك ان المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما يقول الانسان لأجيره لك من الأجر مثل ما عملت اي مثل ما تستحقه بعملك وقد وردت الرواية عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال حدثني الصادق المصدق ان الله تعالى قال الحسنة عشر اوازيد والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره

قوله تعالى (١٦١) قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦٢) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٣) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (ثلاث آيات كوفي واربع عند غيرهم)

القراءة

قرأ ابن عامر واهل الكوفة قيما مكسورة القاف خفيفة الياء والباقون قيما مفتوحة القاف مشددة الياء وقرأ اهل المدينة محياي ساكنة الياء ومماتي بفتحها والباقون محياي بفتح الياء ومماتي ساكنة الياء

الحجة

من قرأ قيما فالقيم هو المستقيم فيكون وصفا للدين كما ان التقدير في قوله دين القيمة دين الملة القيمة لأن الملة هي مثل الدين ومن قرأ قيما فإنه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حول وعوض وكان القياس ولكنه شذ كما شذ نحو ثيرة في جمع ثور وجياد في جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج انما اعتل قيم لأنه من قام فلما اعتل قام اعتل قيم لأنه جرى عليه واما حول فإنه جار على غير فعل واما إسكان

الياء في محياي فإنه شاذ عن القياس والاستعمال فإن الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد واذا كان ما قبلها متحركا نحو ومماتي فالفتح جائز والاسكان جائز قال ابو علي والوجه في محياي بسكون الياء مع شذوذه ما حكي عن بعض البغداديين انه سمع التقت حلقتا البطان بإسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما جوزه يونس في قوله اضربان زيدا واضربنان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال علي بن عيسى ولو وصله على نية الوقف جاز كما جاز فبهداهم اقتده فإنما تزاد هذه الهاء في الوقف كما تسكن تلك الياء في الوقف

اللغة

الملة الشريعة مأخوذة من الإملاء كأنه ما يأتي به الشرع ويورده الرسول من الشرائع المتجددة فيمله على أمته ليكتب او يحفظ فأما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما إختلاف والشرائع تختلف ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة ولا يقال ملتي ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك ومنه النسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النسائك قال الزجاج فالنسك كل ما تقرب به الى الله تعالى الا ان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذابح إنما يراد به انه يؤدي المناسك اي يؤدي ما افترض عليه مما يتقرب به الى الله

الاعراب

دينا قال ابو علي يحتمل نصبه ثلاثة اضرب ﴿احدها﴾ انه لما قال هداني ربي الى صراط مستقيم استغنى بجري ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط المستقيم وان شئت نصبته على اعرفوا لأن هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا دينا قيما وان شئت حملته على الاتباع كأنه قال اتبعوا دينا قيما والزموه كما قال اتبعوا ما أنزل اليكم قال الزجاج ملة ابراهيم بدل من دينا قيما وحنيفا منصوب على الحال من ابراهيم والمعنى هداني وعرفني ملة ابراهيم في حال حنيفية

المعنى

ثم امر الله نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعا (انني هداني) اي دلني وارشدني (ربي الى صراط مستقيم) وقيل اراد لطف لي ربي في الاهتداء ووفقني لذلك وقد بينا معنى الصراط المستقيم في سورة الحمد (دينا قيما) اي مستقيما على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما لا ينسخ (ملة ابراهيم) انما وصف دين النبي بأنه ملة ابراهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابراهيم في نفوسها ونفوس كل اهل الاديان لانتساب العرب اليه واتفاقهم على انه كان على الحق (حنيفا) اي مخلصا في العبادة لله عن الحسن وقيل مائلا الى الإسلام ميلا لازما لا رجوع معه من قولهم رجل احنف اذا كان مائل المقدم من خلقة عن الزجاج وقيل مستقيما وانما جاء احنف على التفاؤل عن الجبائي (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم كان يدعو الى عبادة الله وينهى عن عبادة الاصنام (قل ان صلاتي) قد فسرنا معنى الصلاة فيما تقدم (ونسكي) اي ذبيحتي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاج وانما ضم الصلاة الى أصل الواجبات من التوحيد والعدل لأن فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة القرآن الذي يدعو الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله تعالى والتسبيح الذي هو التنزيه له (ومحياي ومماتي) اي حياتي وموتي (لله رب العالمين) وانما جمع بين صلاته وحياته واحدهما من فعله والآخر من فعل الله لأنهما جميعا بتدبير الله وقيل معناه صلاتي ونسكي له عبادة وحياتي ومماتي له ملكا وقدرة عن القاضي وقيل ان عبادتي له لأنها بهدايته ولطفه ومحياي ومماتي له لأنه بتدبيره وخلقه وقيل معنى قوله ومحياي ومماتي لله ان الأعمال الصالحة التي تتعلق بالحياة في فنون الطاعات وما يتعلق بالممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه

على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حياته لشهوته ومماته لورثته (لا شريك له) اي لا ثاني له في الالهية وقيل لا شريك له في العبادة وفي الاحياء والاماتة (وبذلك أمرت) اي وبهذا أمرني ربي (وانا أول المسلمين) من هذه الأمة فإن ابراهيم كان أول المسلمين ومن بعده تابع له في الإسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان فضل الإسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام اذ كان صلى الله عليه وآله أول من سارع اليه ولأنه انما أمر بذلك ليتأسى به ويقتدى بفعله

قوله تعالى (١٦٤) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٥) وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (آيتان)

اللغة

الرب اذا اطلق أفاد المالك بتصريف الشيء بأتم التصريف واذا أضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه بأتم تصريف العباد وأصله التربية وهي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الأعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وزر يزر وزرا ووزر يوزر فهو موزور وأصله من الوزر الذي هو الملجأ فحال الموزور كحال الملتجىء الى غير ملجأ ومنه الوزير لأن الملك يلتجىء اليه في الأمور وقيل ان أصله الثقل ومنه قوله ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن وخلف فلان فلانا يخلفه فهو خليفته اذا جاء بعده

الإعراب

في نصب درجات ثلاثة اقوال — احدها — ان يقع موقع المصدر فكأنه قال رفعة بعد رفعة — والثاني — انه الى درجات فحذفت الى كما حذفته في قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت — والثالث ان يكون مفعولا من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوبا وكسوته ثوبا

المعنى

لما أمر سبحانه نبيه (ص) ببيان الاخلاص في الدين عقبه بأمره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانكار (اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء) وتقديره ايجوز ان اطلب غير الله ربا واطلب الفوز بعبادته وهو مربوب مثلي وأترك عبادة من خلقني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس بمربوب ام هذا قبيح في العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الأوثان (ولا تكسب كل نفس الا عليها) أي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية إلا عليها فعليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك لأنه ليس بعذر لي في اكتساب الإثم اكتساب غيري له لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى أي لا يحمل احد ذنب غيره ومعناه ولا يجازى احد بذنب غيره وقال الزجاج معناه لا تؤخذ نفس غير آثمة بإثم أخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي (ص) اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطأ فأنزل الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى يعذب الطفل بكفر ابيه (ثم الى ربكم مرجعكم) أي مآلكم ومصيركم (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسيء (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) اخبر سبحانه

انه الذي جعل الخلق خلائف الأرض ومعناه ان أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون إلا من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك أمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله جعلهم الله تعالى خلفاء لسائر الأمم ونصرهم على سائر الخلق (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الرزق عن السدي وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة وهذا أولى لأن الأول يدخل فيه ووجه الحكمة في ذلك مع انه سبحانه خلقهم ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات والصارفة عن المقبحات لأن كل من كان غنيا في ماله شريفا في نسبه ربما دعاه ذلك الى طاعة من يملكه رغبة في امتثاله ومن كان على ضد ذلك ربما دعاه الى طاعته رهبة من امثاله ورجاء أن ينقله عن هذه الحال الى حال جليلة يغتبط عليها (ليبلوكم فيما آتاكم) أي ليختبركم فيما اعطاكم أي يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة في العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الغني الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى الغني فيصبر ويفكر العاقل في الأدلة فيعلم ويعمل بما يعلم (ان ربك سريع العقاب) إنما وصف نفسه بذلك مع ان عقابه في الآخرة من حيث ان كل ما هو آت قريب فهو إذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب لمن استحقه في دار الدنيا فيكون تحذيراً لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك في الدنيا (وانه لغفور رحيم) قابل سبحانه بين العقاب والغفران ولم يقابل بالثواب لأن ذلك أدعى الى الإقلاع عما يوجب العقاب لأنه لو ذكر الثواب لجاز أن يتوهم انه لمن لم يكن منه عصيان وقيل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد على نعمه تعليما وختمها بالمغفرة والرحمة ليحمد على ذلك

(سورة الاعراف)

هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله واسئلهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فإنها نزلت بالمدينة عدد آيها مائتان وست آيات حجازي كوفي وخمس بصري شامي

❊ اختلافها ❊

خمس آيات المص وبدأكم تعودون كوفي مخلصين له الدين بصري شامي ضعفا من النار والحسنى على بني اسرائيل حجازي

❊ فضلها ❊

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين ابليس ستراً وكان آدم شفيعا له يوم القيامة وروى العياشي بإسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله(ع) قال من قرأ سورة الاعراف في كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإن قرأها في كل يوم جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيامة قال ابو عبد الله(ع) اما ان فيها آيا محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربه

❊ تفسيرها ❊

لما ختم الله سبحانه سورة الأنعام بالرحمة افتتح هذه السورة بأنه أنزل كتابا فيه معالم الدين والحكمة فقال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله تعالى (١) آلمص (٢) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (ثلاث آيات كوفي وآيتان في الباقين)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر يتذكرون بياء وتاء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر تذكرون خفيفة الذال وقرأ الباقون تذكرون بتشديد الذال والكاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ تذكرون مشددة أراد تتذكرون فأدغم التاء في الذال وإدغامها فيها حسن لأن التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور أزيد صوتا واقوى من المهموس فحسن ادغام الأنقص في الأزيد ولا يسوغ ادغام الأزيد في الأنقص وما في قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي منه بمنزلة المصدر والمعنى قليلا تذكركم ولا ذكر في الصلة يعود اليها كما لا يكون في صلة ان ذكر ومن قرأ تذكرون فإنه حذف التاء التي أدغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلاثة احرف متقاربة ويقوي ذلك قولهم اسطاع يسطيع فحذفوا أحد الثلاثة المتقاربة ومن قرأ يتذكرون بياء وتاء فوجهه انه مخاطبة النبي (ص) أي قليلا ما يتذكر هؤلاء

﴿ اللغة ﴾

قد تقدم ذكر الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة وذكرنا الأقوال في معانيها واعرابها فلا معنى لإعادتها وبينا ان حروف الهجاء توصل على نية الوقف فرقا بينها وبين ما يوصل للمعاني فعلى هذا متى سميت رجلا بالمص وجبت الحكاية وإن سميته بصاد او قاف لم يجب ذلك لأن صاد وقاف لها نظير في الأسماء المفردة مثل باب ونار وليس كذلك المص لأنه بمنزلة الجملة إذ ليس له نظير في المفرد وإنما عد الكوفيون المص آية ولم يعدوا صاد لأن المص بمنزلة الجملة مع ان آخره على ثلاثة احرف بمنزلة المردف فلما اجتمع هذان السببان وكل واحد منها يقتضي عده عدوه ولم يعدوا المر لأن آخره لا يشبه المردف ولم يعدوا صاد لأنه بمنزلة اسم مفرد وكذلك قاف ونون ومن قال ان هذه الحروف في أوائل السور اسماء للسور فعلى قوله إنما سميت بها ولم تسم بالاسماء المنقولة لأنها تتضمن معاني أخر مضافة الى التسمية وهو انها فاتحة لما هو منها وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها ولأنه يأتي من التأليف بعدها ما هو معجز مع انه تأليف كتأليفها فهذه المعاني من اسرارها والذكرى مصدر ذكر يذكر تذكيرا فهي اسم للتذكير وفيه مبالغة ومثله الرجعى

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج اجمع النحويون على ان قوله كتاب أنزل اليك مرفوع بغير هذه الحروف فالمعنى هذا كتاب أنزل اليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص حروف كتاب يلزمه اضمار شيئين فيكون المعنى المص بعض حروف كتاب أنزل اليك فيكون قد اضمر المضاف وما أضيف اليه وهذا ليس بجائز فإن قال قائل قد يقول ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا وإنما ذكرت اربعة فمن أين جاز ذلك قيل قد صار

اسم هذه الحروف كلها ا ب ت ث كما انك تقول الحمد سبع آيات فالحمد اسم لجملة السورة وليس اسم الكتاب آلم ولا اسم القرآن طسم وهذا فرق بين قال والذي اخترناه في تفسير المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافصل فيكون يرتفع بعض هذه الحروف ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك حرج دخول الفاء فيه يحتمل وجهين * احدهما * ان تكون عاطفة جملة على جملة وتقديره هذا كتاب أنزلناه اليك فلا يكن بعد إنزاله في صدرك حرج والآخر ان يكون جوابا وتقديره إذا كان أنزل اليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى اذا وذكرى قال الزجاج يصلح أن يكون في موضع نصب ورفع وخفض فالنصب على قوله أنزل اليك لتنذر به ولتذكر به ذكرى لأن في الانذار معنى التذكير وهذا كما يقال جئتك للإحسان وشوقا اليك فيكون مفعولا له واما الرفع فعلى تقدير وهو ذكرى وأما الخفض فعلى معنى لتنذر فإن معنى لتنذر لأن تنذر فيكون تقديره للإنذار والذكرى قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل كما لا يجوز مررت به وزيد

* المعنى *

(آلمص) مضى تفسيره وما قيل فيه (كتاب أنزل اليك) أي هذا الذي أوحيته اليك كتاب انزل اليك اي انزله الملائكة اليك بامر الله تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) ذكر في معناه اقوال * احدها * ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيقن صدرك لتشعب الفكر خوفا من ان لا تقوم بتبليغ ما انزل اليك حق القيام فليس عليك اكثر من الانذار * وثانيها * ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي فمعناه فلا يكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه فإنما انزل اليك لتنذر به * وثالثها * ان معناه فلا يضيقن صدرك من قومك ان يكذبوك ويجبهوك بالسوء فيما انزل اليك كما قال سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا عن الفراء وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما انزل القرآن إلى رسول الله (ص) قال إني اخشى ان يكذبني الناس ويثلغوا رأسي فيتركوه كالخبزة فأزال الله الخوف عنه بهذه الآية وقوله (لتنذر به) اي بالقرآن قال الفراء والزجاج واكثر العلماء انه على التقديم والتأخير وتقديره كتاب انزل اليك لتنذر به (وذكرى للمؤمنين) فلا يكن في صدرك حرج منه وقال آخرون هو متصل بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه (لتنذر به) اي كن على انشراح صدر بالانذار ومعناه التخوف بوعده ووعيده وامثاله وامره ونهيه وليذكروا بما فيه وإنما خص المؤمنين لأنهم المنتفعون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) ويحتمل ان يكون المراد قل لهم يامحمد اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم لأنه قال قبل لتنذر به والاتباع تصرف الثاني بتصرف الأول وتدبره بتدبيره فالأول إمام والثاني مؤتم ووجوب الاتباع فيما انزل الله تعالى يدخل فيه الواجب والندب والمباح لأنه يجب ان يعتقد في كل منها ما امر الله سبحانه به كما يجب ان يعتقد في الحرام وجوب اجتنابه (ولا تتبعوا من دونه اولياء) اي ولا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم في معصية الله لأن من لا يتبع القرآن صار متبعا لغير الله من الشيطان والأوثان فأمر سبحانه باتباع القرآن ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا ان اتباع القرآن اتباع له سبحانه (قليلا ما تذكرون) اي قليلا يامعشر المشركين تذكركم واتعاظكم وهذا استبطاء في التذكر وخرج مخرج الخبر والمراد به الامر فمعناه تذكروا كثيرا

ما يلزمكم من امر دينكم وما اوجبه الله عليكم ومعني التذكر ان يأخذ في الذكر شيئاً بعد شيءٍ مثل التفقه والتعلم

قوله تعالى (٤) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٥) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (آيتان)

— الاعراب —

كم لفظة موضوعة للتكثير ورب للتقليل وإنما كان كذلك لأن رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب من النفي وكم يدخل في الخبر بمعنى التكثير فأما في الاستفهام فلا لأن الاستفهام موكول إلى بيان المجيب وإنما دخلها التكثير لأن استبهام العدد عن ان يظهر او يضبط إنما يكون لكثرته في غالب الأمور كم مبهمة قال الفرزدق

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

فدل بكم على كثرة العمات والخالات وموضع كم في الآية رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها ولو جعلتها في موضع نصب جاز كما تقول في قوله سبحانه انا كل شيءٍ خلقناه بقدر والاول اجود وقيل في دخول الفاء في قوله فجاءها بأسنا بياتا مع ان الفاء للتعقيب اقوال * احدها * اهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا * والثاني * اهلكناها بإرسال ملائكة العذاب اليها فجاءها بأسنا * والثالث * انه مثل زرتني فاكرمتني فإن نفس الإكرام هي الزيارة قال علي بن عيسى وليس هذا مثل ذلك لأن هذا إنما جاز لأنه قصد الزيارة ثم الإكرام بها * والرابع * اهلكناها فصح انه جاءها بأسنا وقال الفراء ان الفاء ها هنا بمعنى الواو ورد عليه علي بن عيسى بأنه نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز وقوله او هم قائلون قال الفراء واو الحال مقدرة فيه وتقديره او هم قائلون وإنما حذفت استخفافا قال الزجاج وهذا لا يحتاج إلى ضمير الواو ولو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج إلى واو لأن الذكر قد عاد إلي الاول ومعنى بياتا اي ليلا يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة والمصدر في الاصل بات بيتا وانما سمي البيت بيتا لانه يصلح للمبيت فمعنى او هم قائلون اي او جاءهم بأسنا نهارا في وقت القائلة فأو دخلت هاهنا على جهة تصرف الشيءِ ووقوعه وامامرة كذا فهي في الخبر هاهنا بمنزلة او في الإباحة إذا قلت جالس الحسن اوابن سيرين أي كل واحد منهما اهل أن يجالس وأو هاهنا احسن من الواو لأن الواو يتضمن اجتماع الشيئين لو قلت ضربت القوم قياما وقعودا لاوجبت الواو إنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين ولو قلت ضربتهم قياما او ضربتهم قعودا ولم تكن شاكا فإنما المعنى انك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة على هذه الحال وأقول أن الاولى أن يكون بياتا مصدرا وضع موضع الحال فيكون بمعنى بائتين او قائلين فيكون حالا عن الهاء والميم في جاءهم وموضع ان قالوا الاختيار أن يكون رفعا وأن يكون دعواهم في موضع نصب كقوله وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ويجوز أن يكون في موضع نصب ويكون الدعوى في موضع رفع إلا أن الدعوى إذا كانت في موضع رفع فالاكثر في اللفظ فما كانت دعواهم كذا لأن الدعوة مؤنثة وهي اسم لما تدعيه وتصلح أن تكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين وانشد (ولت ودعواها كثيرا صخبه) اي دعاؤها

— المعنى —

لما تقدم الامر منه سبحانه للمكلفين باتباع القرآن والتحذير من مخالفته والتذكير عقب ذلك بتذكيرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذيرهم ان ينزل بهم ما نزل بأولئك فقال (وكم من قرية) أي من أهل قرية فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (اهلكناها) بعذاب الاستئصال (فجاءها بأسنا) اي عذابنا (بياتا) بالليل (او هم قائلون) اي في وقت القيلولة وهي نصف النهار واصله الراحة ومنه الإقالة في البيع لانه الاراحة منه بالإعفاء من عقده والأخذ بالشدة في وقت الراحة اعظم في العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا) أي لم يكن دعاء هؤلاء الذين اهلكناهم عقوبة لهم على معاصيهم وكفرهم في الوقت الذي جاءهم شدة عذابنا (إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) يعني اعترافهم بذلك على نفوسهم واقرارهم به وهذا القول كان منهم عند معاينة البأس والتيقن بأنه ينزل بهم ويجوز أن يكونوا قالوه حين لابسهم طرف منه ولم يهلكوا بعد وفي هذا دلالة على ان الاعتراف والتوبة عند معاينة البأس لا ينفع

قوله تعالى (٦) فَلَنَسْأَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٨) وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (أربع آيات)

﴿ اللغة ﴾

السؤال طلب الجواب بأدائه في الكلام كما ان الاستخبار طلب الخبر بأدائه في الكلام والقصص ما يتلو بعضه بعضا ومنه المقص لأن قطعه يتلو بعضه بعضا ومنه القصة من الشعر والقصة من الكتاب ومنه القصاص لانه يتلو الجناية في الاستحقاق ومنه المقاصة في الحق لأنه يسقط ماله قصاصا بما عليه والوزن في اللغة هو مقابلة احد الشيئين بالآخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيها به فمنها وزن الشعر بالعروض ومنها قولهم فلان يزن كلامه وزنا قال الاخطل

وإذا وضعت اباك في ميزانهم   رجحوا وشال ابوك في الميزان

والحق وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدرا على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في العدل قال الله سبحانه ذلك بأن الله هو الحق فجرى على طريق الوصف والثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلا ونقيضه الخفة وهي الاعتماد اللازم علوا

﴿ الإعراب ﴾

الفاء في قوله فلنسألن عاطفة جملة على جملة وإنما دخلت الفاء وهي موجبة التعقيب مع تراخي ما بين الأول والثاني وذلك يليق بثم لتقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما امر الساعة إلا كلمح البصر او هو اقرب وقال او لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وإذا ظرف المفاجأة بينهما بعد يومئذ يجوز فيه الإعراب والبناء لأن اضافته الى مبني اضافة غير محضة تقربه من الاسماء المركبة واضافته الى الجملة تقربه من الاضافة الحقيقية ونون اذ لانه قد قطع عن الاضافة اذ من شأن التنوين ان يعاقب الإضافة

﴿ المعنى ﴾

ولما أنذرهم سبحانه بالعذاب في الدنيا عقبه بالانذار بعذاب الآخرة فقال (فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين) اقسم الله سبحانه انه يسأل المكلفين الذين ارسل اليهم رسله واقسم ايضا انه يسأل المرسلين الذين بعثهم فيسأل هؤلاء عن الابلاغ ويسأل أولئك عن الامتثال وهو تعالى وإن كان عالما بما كان منهم فإنما أخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتأهب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال وقيل انه يسأل الأمم عن الإجابة ويسأل الرسل ماذا عملت أممهم فيما جاؤا بـه وقيل ان الأمم يسألون سؤال توبيخ والأنبياء يسألون سؤال شهادة على الحق عن الحسن واما فائدة السؤال فاشياء منها أن يعلم الخلائق انه سبحانه ارسل الرسل وأزاح العلة وانه لا يظلم احداً ومنها ان يعلموا ان الكفار استحقوا العذاب بأفعالهم ومنها ان يزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم الكفار بما يظهر من افعالهم القبيحة ومنها ان ذلك لطف للمكلفين إذا أخبروا به ومما يسأل على هذا أن يقال كيف يجمع بين قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم فوربك لنسئلنهم اجمعين والجواب عنه من وجوه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه نفى ان يسألهم سؤال استرشاد واستعلام وإنما يسألهم سؤال تبكيت وتقريع ولذلك قال عقيبه يعرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قولك أين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كمن يقول ألم أحسن اليك فكفرت نعمتي ومنه قوله ألم اعهد اليكم يا بني آدم ألم تكن آياتي تتلى عليكم وكقول الشاعر (أطربا وانت قنسري) أي كبير السن وهذا توبيخ منه لنفسه أي كيف اطرب مع الكبر والشيب وقد يكون السؤال للتقرير كقول الشاعر

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أي أنتم كذلك وفي ضده قوله «وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر» أي لا يصلح واما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لهم ولكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم «وثانيها» انهم إنما يسألون يوم القيامة كما قال وقفوهم انهم مسؤولون ثم تنقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار فلا تنافي بين الخبرين بل هو اثبات للسؤال في وقت ونفي له في وقت آخر ﴿ وثالثها ﴾ ان في القيامة مواقف ففي بعضها يسأل وفي بعضها لا يسأل فلا تضاد بين الآيات وأما الجمع بين قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله واقبل بعضهم علي بعض يتساءلون فهو ان الأول معناه لا يسأل بعضهم بعضا سؤال استخبار عن الحال التي جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والثاني معناه يسأل بعضهم بعضا سؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع آخر يتلاومون وكقوله أنحن صددناكم عن الهدى الآية ومثل ذلك كثير في القرآن ثم بين سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسألهم سؤال استعلام بقوله (فلنقصن عليهم) أي لنخبرنهم بجميع افعالهم ليعلموا أن اعمالهم كانت محفوظة وليعلم كل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه وليظهر لأهل الموقف احوالهم (بعلم) قيل معناه نقص عليهم اعمالهم بأنا عالمون بها وقيل معناه بمعلوم كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلومه وقال ابن عباس معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (وما كنا غائبين) عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن

الأمم فيما أجابوا وذكر ذلك موكدا لعلمه بأحوالهم والمعنى انه لا يخفى عليه شيء (والوزن يومئذ الحق) ذكر فيه اقوال « احدها » ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على احد عن مجاهد والضحاك وهو قول البلخي « وثانيها » ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به اعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي ثم اختلفوا في كيفية الوزن لأن الأعمال اعراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها فقيل توزن صحائف الأعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل يظهر علامات الحسنات وعلامات السيئات في الكفتين فيراها الناس عن الجبائي وقيل يظهر للحسنات صورة حسنة والسيئات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل توزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة « وثالثها » ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ومن أتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر عن ابي مسلم وأحسن الأقوال القول الأول وبعده الثاني وإنما قلنا ذلك لأنه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان موزون وافعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا يكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث قال مالك بن اسماء الفزاري

وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

أي يعرض في الكلام ولا يصرح به وقيل انه من اللحن الذي هو سرعة الفهم والفطنة وعلى هذا فيكون معنى الوزن انه قام في النفس مساويا لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك واما حسن القول الثاني فلمراعاة الخبر الوارد فيه والجري على ظاهره (فمن ثقلت موازينه) إنما جمع الموازين لأنه يجوز ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات يوم القيامة ميزان ويجوز أن يكون كل ميزان صنفا من اصناف اعماله ويؤيد هذا ما جاء في الخبر أن الصلاة ميزان فمن وفى استوفى (فأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بثواب الله (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بأن استحقوا عذاب الأبد « بما كانوا بآياتنا يظلمون) أي بجحودهم بما جاء به محمد(ص) من آياتنا وحججنا والخسران ذهاب رأس المال ومن اعظم رأس المال النفس فإذا أهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه

قوله تعالى(١٠) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ (١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (آيتان)

« القراءة »

قرأ كل القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معائش ممدودا مهموزا

« الحجة »

قال ابو علي معايش جمع معيشة واعتل معيشة لأنه على وزن يعيش وزيادته زيادة تختص الاسم دون

الفعل فلم يحتج إلى الفصل بين الاسم والفعل كما احتيج اليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو الهمزة في اخاف وهو اخوف منك وموافقة الاسم لبناء الفعل توجب في الاسم الاعتلال الا ترى انهم اعلوا بابا ونابا ويوم راح لما كان على وزن الفعل وصححوا نحو حول وغيبة ولومة لما لم تكن على مثال الفعل فمعيشه موافقة للفعل في البناء الا ترى انه مثل يعيش في الزنة وتكسيرها يزيل مشابهته في البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد في الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ولأن التكسير معنى لا يكون في الفعل إنما يختص به الاسم وإذا كانوا قد صححوا نحو الجولان والهيمان مع قيام بناء الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التي يختص بها الاسم فتصحيح قولهم معايش الذي قد زال مشابهة الفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب العدل عن اعلاله ومن أعل فهمز فمجازه على وجه اللفظ وهو ان معيشة على وزن مصيبة فتوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصائب ومثل ذلك ما يحمل على الغلط قولهم في جمع مسيل امسلة فتوهموه فعيلة وإنما هو مفعلة وذكر المحققون ان الهمزة في هذه الياء إنما تكون إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وإنما يهمز الياء الزائدة لانه لا حظ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فأوجبوا فيها الهمزة وإذا جمعت مقاما قلت مقاوم وانشدوا

وإني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها

❊ اللغة ❊

التمكين اعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة فقد يحتاج إلى آلة وإلى دلالة وإلى سبب ويحتاج إلى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجعل إيجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحركا لأنك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء اعم من حدوثه لأنه قد يكون بحدوث غيره مما يتغير به والمعيشة مايكون وصلة إلى مافيه الحياة من جهة المطعم والمشرب والملبس والخلق احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من الصور والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود اصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الأرض

❊ الإعراب ❊

قليلا نصب بتشكرون وتقديره تشكرون قليلا وما زائدة ويجوز ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلا شكركم

❊ المعنى ❊

ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الأرض وما خلق فيها من الارزاق مضافة إلى نعمه السابقة عليهم بإنزال الكتب وارسال الرسل فقال (ولقد مكناكم في الارض) اي مكناكم من التصرف فيها وملكناكموها وجعلناها لكم قرارا (وجعلنا لكم فيها معايش) اي ماتعيشون به من انواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب والاقدار عليها بالعلم والقدرة والآلات (قليلا ما تشكرون) اي ثم انتم مع هذه النعم التي انعمناها عليكم لتشكروا قد قل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) قال الأخفش ثم هاهنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطأ لا يجيزه الخليل

وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه إنما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لاغير وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق اولا فالمراد أنابدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم (ع) من التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بعد الفراغ من خلق آدم فثم إنما هو لما بعد وهذا مروي عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم يعنون اسلافهم وفي التنزيل وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقد قيل في ذلك اقوال أخر منها ان معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدي ومنها ان الترتيب وقع في الأخبار فكأنه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم انا نخبركم إنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل انا راجل ثم انا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى والقاضي ابو سعيد السيرافي وغيرهما وعلى هذا فقد قيل إن المعنى خلقناكم في اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الاعضاء عن يمان وقول الشاعر

سئلت ربيعة من خيرها أبا ثم أما

فقالت له فمعناه لنجيب اولا عن الاب ثم الام وقوله (فسجدوا إلا ابليس لم يكن من الساجدين) قد مضى الكلام فيه في سورة البقرة

قوله تعالى (١٢) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٣) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (آيتان)

اللغة

الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صغر يصغر صغرا وصغارا فهو صاغر إذا رضي بالضيم ومن الصغر ضد الكبر صغر يصغر قال ابن السكيت يقال فلان صغرة ولد ابيه اي اصغرهم

الاعراب

ما في قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى اي شيء منعك ولا ملغى في قوله الا تسجد المعنى ما منعك ان تسجد ومثله قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لأن يعلم وقال الشاعر

أبى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لايمنع الجود قائله

قالوا معناه ابى جوده البخل وقال ابو عمرو بن العلاء الرواية ابى جوده لا البخل بالجر والمعنى ابى جوده لا التي تبخل الإنسان قال الزجاج وروي فيه وجها آخر حسنا وهو أن يكون لا غير لغو ويكون البخل منصوبا بدلا من لا والمعنى ابى جوده لا التي هي البخل فكأنه قال ابى جوده البخل وقد قيل إنما دخل لا في قوله الا تسجد لأن معناه ما دعاك إلى ان لا تسجد او ما احوجك الى ان لا تسجد

— المعنى —

ثم حكى سبحانه خطابه لإبليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله (قال) اي قال الله تعالى (ما منعك ان لا تسجد) اي ما دعاك الى ان لا تسجد وما اضطرك اليه اوما منعك أن تسجد (إذ امرتك) بالسجود

لآدم (قال) ابليس (انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وهذا الجواب غير مطابق لأنه كان يجب ان يقول منعني كذا لأن قوله انا خير منه جواب لمن يقول ايكما خير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى ان يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لانه افاد انه صالح في الحال مع انه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس اول من قاس ابليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بابليس وقال ابن سيرين اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار إذا كانت اشرف من الطين لم يجز ان يسجد الأشرف للأدون وهذا خطأ لأن ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل ايضا ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معايشهم ومنها يخرج انواع ارزاقهم والخيرية إنما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لأن الثواب لايكون الا للمكلف المأمور دون الجماد (قال) اي قال الله سبحانه لابليس (فاهبط) اي انزل وانحدر (منها) اي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبعي امر الله سبحانه وحافظي حدوده إلى الدرجة الدنية التي هي درجة العاصين المضيعين امر الله (فمايكون لك ان تتكبر) عن امر الله (فيها) اي في الجنة او في السماء فإنها ليست بموضع المتكبرين وإنما موضعهم النار كما قال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (فاخرج) من المكان الذي انت فيه او المنزلة التي انت عليها (انك من الصاغرين) اي من الأذلاء بالمعصية في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه اوبالعذاب في الآخرة لأن المعذب ذليل وهذا الكلام إنما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائي وقيل ان ابليس رأى معجزة تدله على ان ذلك كلام الله وقوله سبحانه فما يكون لك أن تتكبر فيها لا يدل على انه يجوز التكبر في غير الجنة فإن التكبر لا يجوز على حال لانه اظهار كبر النفس على جميع الاشياء وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح إلا أن ابليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فاخرج منها قسرا ومن تكبر خارج الجنة منع من ذلك بالامر والنهي

قوله تعالى(١٤) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٥) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٦) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٧) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (أربع آيات)

— اللغة —

الانظار والامهال والتأخير والتأجيل نظائر وبينها فروق وضد الامهال الاعجال والبعث الاطلاق في الأمر والانبعاث الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر

الاعراب

لأقعدن جواب القسم والقسم محذوف لأن غرضه بالكلام التأكيد وهو ضد قوله ص والقرآن ذي الذكر فإنه حذف الجواب هناك وبقي القسم لأن الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن قال الشاعر

لدن بهز الكف يعسل متنه　　فيه كما عسل الطريق الثعلب

وقال آخر

كأني اذ اسعى لأظفر طائرا　　مع النجم في جو السماء يصوب

اي لأظفر على طائر

— المعنى —

(قال) يعني ابليس (انظرني) اي امهلني وأخرني في الأجل ولا تمتني (الى يوم يبعثون) اي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه أنظرني في الجزاء الى يوم القيامة فكأنه خاف ان يعاجله الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله الى يوم يبعثون ولم يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان الله تعالى لا يبقي أحداً حيا الى يوم القيامة قال الكلبي أراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الأولى مع من يموت فأجيب بالإنظار الى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو اربعون سنة وأما الوجه في مسألة ابليس الإنظار مع علمه بأنه مطرود ملعون فعلمه بأنه سبحانه يظاهر الى عباده بالنعم ويعمهم بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسألة والطمع في الإجابة (قال) اي قال الله سبحانه لإبليس (انك من المنظرين) اي من المؤخرين (قال) ابليس لما لعنه الله وطرده ثم سأله الانظار فأجابه الله تعالى الى شيء منه (فبما اغويتني) اي فبالذي اغويتني قيل في معناه أقوال ❊ احدها ❊ ان معناه بما خيبتني من رحمتك وجنتك كما قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره　　ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

اي من يخب ❊ وثانيها ❊ ان المراد امتحنتني بالسجود لآدم فغويت عنده فلذلك قال اغويتني كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم ❊ وثالثها ❊ ان معناه حكمت بغوايتي كما يقال أضللتني اي حكمت بضلالتي عن ابن عباس وابن زيد — ورابعها — ان معناه اهلكتني بلعنك اياي كما قال الشاعر

معطفة الاثناء ليس فصيلها　　برازئها درا ولا ميت غوى

اي ولا ميت هلاكا بالقعود عن شرب اللبن ومنه قوله فسوف يلقون غيا اي هلاكا وقالوا غوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات والمصدر غوى مقصور — وخامسها — ان يكون الكلام على ظاهره من الغواية ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى يغوي الخلق بأن يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر (لأقعدن) اي لأجلسن (لهم) اي لأولاد آدم (صراطك المستقيم) اي على طريقك المستوي وهو طريق الحق لأصدنهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى طريق الباطل كيدا لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الإيمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فبما اغويتني مساويا لقوله فبما أصلحتني يفسد بأن صفة الآلة اذا وقع بها الكفر خلاف صفتها اذا وقع بها الايمان وان كانت الآلة واحدة كما ان السيف واحد ويصلح لأن يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح أن يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك ان تكون الصفتان واحدة من أجل انه واحد فلا يمتنع ان يكون متى استعملت آلة الإيمان في الضلال والكفر تسمى اغواء وان استعمل في الإيمان سميت هداية وان كان ما يصح به الإيمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلال (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) قيل في ذلك أقوال = احدها = ان المعنى من قبل دنياهم

وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج وتلخيصه اني ازين لهم الدنيا وأخوفهم بالفقر وأقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها وأحبب اليهم السيئات وأحثهم عليها قال ابن عباس وإنما لم يقل ومن فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت ارجلهم لأن الاتيان منه موحش = وثانيها = ان معنى من بين ايديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد = وثالثها = ما روي عن ابي جعفر (ع) ثم قال لآتينهم من بين ايديهم معناه أهون عليهم أمر الآخرة ومن خلفهم آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وإنما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لأن في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة (ولا تجد اكثرهم شاكرين) هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد أكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون قد قال ذلك من أحد وجهين إما من جهة الملائكة بإخبار الله تعالى اياهم وإما عن ظن منه كما قال سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فإنه لما استزل آدم ظن ان ذريته ايضا سيجيبونه لكونهم أضعف منه والقول الأول اختيار الجبائي والثاني عن الحسن وأبي مسلم

قوله تعالى (١٨) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٩) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٢٠) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢١) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (اربع آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة الزهري مذوما على تخفيف الهمزة وقرأ ابو جعفر وشيبة سواتها بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرأ ابن محيص عن هذي الشجرة

الحجة

الوجه في تخفيف السوآت انه يحذف الهمزة ويلقي حركتها على الواو فيقال السوة ومنهم من يقول السوة وهو اردأ اللغتين وأما هذي الشجرة فانه الأصل في الكلمة وإنما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي وأما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه فزائدة لحقت بعد الهاء تشبيها لها بهاء الاضمار في نحو مررت بهي

اللغة

الذام والذيم اشد العيب يقال ذامه يذامه ذاما فهو مذؤوم وذامه يذيم ذيما وذاما فهو مذيم قال الشاعر

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي اذيمها

وفي رواية الومها والدحر الدفع على وجه الهوان والإذلال دحره يدحره دحرا ودحورا والوسوسة الدعاء الى أمر بصوت خفي كالهينمة والخشخشة قال رؤبة

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا وقد أوّن تأوين العقق

وقال الأعشى

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

والابداء الاظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصح ان يدرك وضده الاخفاء وكل شيء ازيل عنه الساتر فقدابدي والمواراة جعل الشيء وراءمايستره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لأن الثانية مدة ولولا ذلك لوجب همز الواو المضمومة والسوأة الفرج لانه يسوء صاحبه اظهاره واصل القسم من القسمة قال أعشى بني ثعلبة

رضيعي لبان ثدي أم تقاسما بأسحم داج عوض لا نتفرق

والمقاسمة لا تكون الا بين اثنين والقسم كان من ابليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللص وطارقت النعل وعافاه الله وقيل إن في جميع ذلك معنى المقابلة فالمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة المرض بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحته انصحه وهو اخلاص الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله

﴿ الإعراب ﴾

لمن تبعك منهم لأملأن اللام الأولى لام الابتداء والثانية لام القسم ومن للشرط وهو في موضع رفع بالإبتداء ولا يجوز ان يكون هنا بمعنى الذي لأنها لاتقلب الماضي الى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لأن جواب القسم اولى بالذكر من حيث انه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء أحق بالذكر من جواب القسم كقولك ان تاتني والله اكرمك ويجوز ان تقول والله لمن جاءك اضربه بمعنى لأاضربه ولم يجز بمعنى لأضربنه كما يجوز والله أضرب زيداً بمعنى لااضرب ولا يجوز بمعنى لا ضربن لأن الإيجاب لا بد فيه من نون التأكيد مع اللام وانما قال منكم على التغليب للخطاب على الغيبة والمعنى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم كما قاله في موضع آخر وقوله الا ان تكونا تقديره الإكراهة ان تكونا ملكين فحذف المضاف فهو في موضع نصب بأنه مفعول له وقيل ان تقديره لأن لا تكونا ملكين فحذف لا والأول الصحيح وقوله اني لكما لمن الناصحين تقديره اني لكما ناصح ثم فسر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما متعلقا بالناصحين لأن ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول ومثله قوله وانا على ذلكم من الشاهدين تقديره وانا على ذلكم شاهد وبينه بقوله من الشاهدين

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما فعله بإبليس من الإهانة والاذلال وما أتاه آدم من الاكرام والاجلال بقوله (قال اخرج منها) اي من الجنة أو من السماء أو من المنزلة الرفيعة (مذؤوما) أي مذموماً عن ابن زيد وقيل معيبا عن المبرد وقيل مهانا لعينا عن ابن عباس وقتادة (مدحورا) أي مطرودا عن مجاهد والسدي (لمن تبعك منهم) أي من بني آدم معناه من اطاعك واقتدي بك من بني آدم (لأملأن جهنم منكم) أي منك ومن ذريتك وكفار بني آدم (أجمعين) وإنما جمعهم في الخطاب لأنه لا يكون في جهنم إلا ابليس وحزبه من الشياطين وكفار الإنس وضلالهم الذين انقادوا له وتركوا امر الله لاتباعه (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) هذا امر بالسكنى دون السكون وإنما لم يقل وزوجتك لأن الإضافة اليه قد اغنت عن ذكره وأبانت عن معناه فكان الحذف احسن لما فيه من الإيجاز من غير اخلال بالمعنى (فكلا من حيث شئتما) أباح سبحانه لهما أن يأكلا من حيث

شآءا وأين شآءا وما شآءا (ولاتقربا هذه الشجرة) بالأكل (فتكونا من الظالمين) أي من الباخسين نفوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة (فوسوس لهما) أي لآدم وحواء (الشيطان) الفرق بين وسوس اليه ووسوس له أن معنى وسوس اليه انه القى إلى قلبه المعنى بصوت خفي ومعنى وسوس له انه أوهمه النصيحة له في ذلك (ليبدي لهما) أي ليظهر لهما (ما ووري) أي ستر (عنهما من سوآتهما) أي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب أن يكون ابليس علم أن من أكل من هذه الشجرة بدت عورته وأن من بدت عورته لا يترك في الجنة فاحتال في اخراجهما منها بالوسوسة (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) أي عن أكل هذه الشجرة (إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) والمعنى انه أوهمهما انهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتهما إلى صورة الملك وأن الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تبيد حياتهما إذا أكلا منها وروي عن يحيى بن ابي كثير انه قرأ ملكين بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يدل على الملكين واحسبه قد قرأ به ويحتمل أن يكون المراد بقوله إلا أن تكونا ملكين انه اوهمهما ان المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا إلا أن تكون فلانا وإنما يريد أن المنهي إنما هو فلان دونك وهذا المعنى اوكد في الشبهة واللبس عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه (وقاسمهما) أي وحلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما عن قتادة (إني لكما لمن الناصحين) أي المخلصين النصيحة في دعائكما إلى التناول من هذه الشجرة ولذلك تأكدت الشبهة عندهما إذ ظنا أن أحداً لا يقدر على اليمين بالله تعالى إلا صادقا فدعاهما ذلك إلى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله إلا أن تكونا ملكين على أن الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا لأن ابليس رغبهما بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا ولا يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله وأجاب عنه المرتضى بأن قال ما انكرتم أن تكون الآية محمولة على الوجه الثاني الذي ذكرناه دون أن يكون معناها أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وإذا كانت الآية محتملة لما ذكروه ايضا فما برفع هذه الشبهة أن يقال ما انكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وخلقتهم لما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة على ان الملائكة افضل منها فإن الثواب إنما يستحق على الطاعات دون الصور والهيئات ولا يمتنع ان يكونا رغبا في صور الملائكة وهيآتها ولا يكون ذلك رغبة في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا في أن يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في الثواب ولا الفضل

قوله تعالى (٢٢) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٣) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٤) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٥) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (أربع آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء هاهنا وفي الروم والزخرف والجاثية لا يخرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل هاهنا وابن ذكوان هاهنا وفي الزخرف وقرأ الباقون جميع ذلك بضم التاء والياء

— الحجة —

من قرأ بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا انتم تخرجون بفتح التاء وقوله إلى ربهم ينسلون يؤيده ايضا وقوله كما بدأكم تعودون ومن قرأ بالضم فحجته قوله ايعدكم انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى

— اللغة —

دلاهما قيل اصله من تدلية الدلو وهو ان ترسلها في البئر والغروز اظهار النصح مع ابطان الغش واصل الغر طي الثوب يقال اطوه على غره اي على كسر طيه فالغرور بمنزلته لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وابتدأ يفعل واخذ يفعل والخصف اصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف المثقب الذي يخصف به النعل ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله لكنه خاصف النعل في الحجرة يعني عليا (ع) والإخصاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة والبعض هو احد قسمي العدة فاحد قسمي العشرة بعضها واحد قسمي الإثنين كذلك ولا بعض للواحد لأنه لا ينقسم قال علي بن عيسى العدو هو النائي بنصرته في وقت الحاجة إلى معونته والولي هو الداني بنصرته في وقت الحاجة اليها والمستقر هو موضع الاستقرار وهو ايضا الاستقرار بعينه لان المصدر يجيء على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل للاستلذاذ والحين الوقت قصيرا كان او طويلا إلا انه استعمل هنا على طول الوقت وليس بأصل فيه

❋ المعنى ❋

(فدلاهما بغرور) اي اوقعهما في المكروه بأن غرهما بيمينه وقيل معناه دلاهما من الجنة إلى الأرض وقيل معناه خذلهما وخلاهما من قولهم تدلى من الجبل او السطح إذا نزل إلى جهة السفل عن ابي عبيدة اي حطهما عن درجتهما بغروره (فلما ذاقا الشجرة) اي ابتدءا بالاكل ونالا منها شيئا يسيرا ولذلك اتى بلفظة ذاقا عبارة عن انهما تناولا شيئا قليلا من ثمرة الشجرة على خوف شديد لأن الذوق ابتداء الاكل والشرب ليعرف الطعم وفي هذا دلالة على ان ذوق الشيء المحرم يوجب الذم فكيف استيفاؤه وقضاء الوطر منه (بدت لهما سوآتهما) اي ظهرت لهما عوراتهما ظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال الكلبي فلما اكلا منها تهافت لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما سوأة صاحبه فاستحيا (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اي اخذا يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب عن قتادة وهذا إنما كان لأن المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما إلى الأرض لا على وجه العقوبة فإن الانبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة (وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة) اي عن تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف الخطاب (وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) ظاهر المعنى (قالا) اي قال آدم وحوا عاتبهما الله سبحانه ووبخهما على ارتكاب المنهي عنه (ربنا ظلمنا انفسنا) ومعناه بخسناها الثواب بترك المندوب اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب إلى انهما فعلا صغيرة فإنه يحمل الظلم على تنقيص الثواب إذا كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات فأما من قال ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان تنقص من ثواب فاعلها شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية فائدة ولا خلاف أن حوا وآدم لم يستحقا العقاب و إنما قالا ذلك لأن من جل في الدين قدمه كثر على يسير الزلل ندمه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالنزول إلى الأرض ومفارقة العيش الرغد (و إن لم تغفر لنا) معناه و إن لم تستر علينا لأن المغفرة هي الستر على ما تقدم بيانه (وترحمنا) أي ولم تتفضل علينا بنعمتك التي يتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك (لنكونن من الخاسرين) أي من جملة من خسر ولم يربح والإنسان يصح أن يظلم نفسه بأن

يدخل عليها ضررا غير مستحق فلا يدفع عنها ضررا اعظم منه ولا يجتلب به منفعة توفي عليه ولا يصح أن يكون معاقبا لنفسه (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) قد مر تفسيره في سورة البقرة قال الله تعالى (فيها تحيون) أي في الأرض تعيشون (وفيها تموتون ومنها تخرجون) عند البعث يوم القيامة قال الجبائي في الآية دلالة على أن الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض التي حيوا فيها بعد موتهم وانه يفنيها بعد أن يخرج العباد منها في يوم الحشر و إذا أراد افناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون إلى أرض اخرى يقال لها الساهرة وتفنى هذه كما قال فإذا هم بالساهرة

قوله تعالى (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٧) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ ٱلْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٨) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَٱللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب والباقون بالرفع

الحجة

قال ابو علي أما النصب فلأنه حمل على انزل أي انزلنا عليكم لباسا ولباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدأ وخبره خير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس من الاول واستأنف به فجعله مبتدأ وذلك صفة او بدل او عطف بيان ومن قال إن ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لانه يجوز أن يكون على احد ما ذكرنا وخير خبر اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه إذا اخذ به واقرب له إلى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش الذي يتجمل به واضيف اللباس إلى التقوى كما اضيف في قوله فأذاقها الله لباس الجوع إلى الجوع والخوف

اللغة

اللباس كل ما يصلح للبس من ثوب او غيره من نحو الدرع وما يغشى به البيت من نطع أو كسوة واصله المصدر تقول لبسه يلبسه لبسا ولباسا ولبسا بكسر اللام قال الشاعر

فلما كشفن اللبس عنه مسحنه ... بأطراف طفل زان غيلا موشما

والغيل الساعد الريان الممتلئ والريش والاثاث متاع البيت من فراش او دثار وقيل الريش ما فيه الجمال ومنه ريش الطائر وقيل انه المصدر من راشه يريشه ريشا وانشد سيبويه

ريشي منكم وهو اي معكم ... وإن كانت زيارتكم لماما

قال الزجاج الريش كل ما يستر الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان أي صار له ما يعيش به وتقول العرب اعطيته رجلا بريشه اي بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته وقلب فاتن اي مفتون قال الشاعر

رخيم الكلام قطيع القيام ... امسى فؤادي بها فاتنا

القبيل الجماعة من قبائل شتى فإذا كانوا من اب وام واحد فهم قبيلة

المعنى

لما ذكر سبحانه نعمته على بني آدم في تبوئه الدار والمستقر عقبه بذكر النعمة في الملابس والستر فقال (يابني آدم) وهو خطاب عام لجميع اهل الازمنة من المكلفين كما يوصي الإنسان ولده وولد ولده بتقوى الله ويجوز خطاب المعدوم إذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف (قد انزلنا عليكم لباساً) قيل انه انزل ذلك مع آدم وحواء حين امرا بالانهباط عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه انه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لأن البركات ينسب إلى انها تأتي من السماء كقوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى انزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد انزله عليه ليس ان هناك علوا وسفلا ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي إلى فلان ورفعت قضيتي إلى الأمير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد عن ابي علي الفارسي (يواري سوآتكم) أي يستر عوراتكم (وريشاً) اي أثاثا مما تحتاجون اليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا عن الأخفش وقيل خيرا وكل ما قاله المفسرون فإنه يدخل فيه إلا ان كلا منهم خص بعض الخير بالذكر (ولباس التقوى) هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسبكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع إذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب الدرع والمغفر والآلات التي يتقى بها من العدو عن زيد بن علي بن الحسين (ع) وابي مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقي الله فيواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الإيمان عن قتادة والسدي ولا مانع من حمل ذلك على الجميع (ذلك خير) اي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس (ذلك من آيات الله) أي ذلك الذي خلقه الله وانزله من حجج الله التي تدل على توحيده (لعلهم يذكرون) معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا إلى طاعته وينتهوا عن معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال (يابني آدم لا يفتننكم الشيطان) أي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بأن يدعوكم إلى المعاصي التي تميل اليها النفوس وإنما صح أن ينهي الإنسان بصيغة النهي للشيطان لأنه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه (كما أخرج ابويكم من الجنة) نسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وإن كان خروجهما بأمر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بأنه يذبح ابناءهم وإنما امر بذلك وتحقيق الذم فيها راجع إلى فعل المذموم ولكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله في عظم الفاحشة (ينزع عنهما) عند وسوسته ودعائه لهما (لباسهما) من ثياب الجنة وقيل كان لباسهما الظفر عن ابن عباس اي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسهما نورا عن وهب بن منبه (ليريهما سوآتهما) عوراتهما (انه) يعني الشيطان (يراكم هو وقبيله) اي نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين (من حيث لا ترونهم) قال ابن عباس إن الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وإنما قال ذلك لانا إذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغي أن نكون على حذر فيما نجده في انفسنا من الوساوس خيفة أن يكون ذلك من الشيطان وإنما لا يراهم البشر لأن اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج رؤيتها إلى فضل شعاع وقال ابو الهذيل وابو بكر بن الاخشيد يجوز أن يمكنهم الله تعالى فيتكشفوا فيراهم حينئذ من يحضرهم واليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم ممكنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهو الأقوى

عندي وقال الجبائي لا يجوز أن يرى الشياطين والجن لأن الله عزاسمه قال لاترونهم وانما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بأن يكشف الله اجسادهم على الانبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة في زمن الانبياء (إنا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) أي حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي حكموا بذلك حكما باطلا وإنما خص الذين لا يؤمنون تنبيها على انهم مع اجتهادهم لا يتمكنون من خيار المؤمنين المتيقظين منهم وإنما يتمكنون من الكفرة والجهال والفسقة الاغفال (وإذا فعلوا فاحشة) كنى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم فكان يطوف الرجال والنساء عراة يقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وهم الحمس قال الفراء كانوا يعملون شيئا من سيور مقطعة يشدونهم على حقويهم يسمى حوفا وإن عمل من صوف يسمى رهطاوكانت تضع المرأة على قبلها النسعة فتقول

اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله

يعني الفرج لان ذلك يستر سترا تاما وفي الآية حذف تقديره وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها (قالوا وجدنا عليها اباءنا) قيل ومن أين اخذها آباؤكم قالوا (الله امرنا بها) اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم إذا فعلوا مايعظم قبحه اعتذروا لنفوسهم إنا وجدنا آباءنا يفعلونها وان آباءهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بأن قال (إن الله لا يأمر بالفحشاء) ثم انكر عليهم من وجه آخر فقال (اتقولون على الله ما لا تعلمون) لأنهم إن قالوا لنقضوا مذهبهم وإن قالوا نعم افتضحوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه

قوله تعالى (٢٩) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٣٠) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (آيتان) تمام الآية الأولى تعودون عند الكوفي ومخلصين له الدين عند البصري

❋ اللغة ❋

اصل القسط العدل فإذا كان على جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين، وإذا كان الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه خالصا دون غيره والبداء فعل الشيء أول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل اول خصلة منه بدء كبدء الصلاة وبدء القراءة وبدأ وابدأ لغتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ افتعال من الأخذ بمعنى اعداد الشيء لأمر من الأمور والحسبان بمعنى الظن وهو ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتبخيت وبالتجويز يتميز من العلم لأن مع العلم القطع

❋ الإعراب ❋

وأقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتننكم الشيطان فتقديره احذروا الشيطان وأقيموا وجوهكم عن ابي مسلم وقيل ان تقديره أمر ربي بالقسط وقل أقيموا وقوله كما بدأكم قال ابو علي الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه ويعود خلقكم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين وفريقا حق عليهم الضلالة نصبه ليعطف فعلا على فعل وتقديره وفريقا أضل فأضمر أضل لأنه

قد فسره ما بعده فاغني عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما وقال الفراء فريقا منصوب على الحال من تعودون وفريقا الثاني عطف عليه واو رفع على تقدير احدهما كذا والآخر كذا لجاز كما قال قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة

— المعنى —

لما بين سبحانه انه لا يأمر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبائح والسيئات عقبه ببيان ما يأمر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال (قل) يا محمد (أمر ربي بالقسط) اي بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدي واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل بلا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن ابي مسلم (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد في الصلاة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه أقيموا وجوهكم الى الجهة التي أمركم الله بالتوجه اليها في صلاتكم وهي الكعبة والمراد بالمسجد اوقات السجود وهي اوقات الصلاة عن الجبائي وغيره ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد اذا ادركتم الصلاة في مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع الى مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة أمر بالجماعة لها ندبا عند الاكثرين وحتما عند الاقلين ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه اخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به وثنا ولا غيره عن الربيع (وادعوه مخلصين له الدين) وهذا امر بالدعاء والتضرع اليه سبحانه على وجه الاخلاص اي ارغبوا اليه في الدعاء بعد إخلاصكم له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الدين (كما بدأكم تعودون) قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه — احدها — ان معناه وادعوه مخلصين فإنكم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بدأكم في الخلق الأول فإنه يبعثكم فتعودون اليه في الخلق الثاني — وثانيها — انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تعودون اي فليس بعثكم بأشد من أبتدائكم عن الزجاج قال وانما ذكره على وجه الحجاج عليهم لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث — وثالثها — انه كلام مستأنف اي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن ابي مسلم قال قتادة بدأكم من التراب واليه تعودون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بدأكم لا تملكون شيئا كذلك تبعثون يوم القيامة ويروى عن النبي (ص) انه قال تحشرون يوم القيامة عراة حفاة غبرا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تبعثون على ما متم عليه المؤمن على ايمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر (فريقا) اي جماعة (هدى) اي حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى او لطف لهم بما اهتدوا عنده او هداهم إلى طريق الثواب كما تكرر بيانه في مواضع (وفريقا حق) اي وجب (عليهم الضلالة) اذ لم يقبلوا الهدى او حق عليهم الخذلان لأنه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم او حق عليهم العذاب والهلاك بكفرهم ويؤيدها القول الأخير انه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث ثم قال (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) بين سبحانه انه لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وإنما اتخذوهم اولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم اليه (ويحسبون انهم مهتدون) ومعناه وهم مع ذلك يظنون انهم في ذلك على هداية وحق

قوله تعالى (٣١) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣٢) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب

الحجة

قال ابو علي من رفعه جعله خبر المبتدأ الذي هو هي ويكون للذين آمنوا تبيينا للخلوص ولا شيء فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض امكن أن يكون للذين آمنوا خبرا وخالصة خبر آخر ومن نصب خالصة كان حالا مما في قوله للذين آمنوا الا ترى ان فيه ذكرا يعود الى المبتدأ الذي هو هي فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل في الحال ما في اللام من معنى الفعل وحجة من رفع ان المعنى هي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيامة لهم وانتصاب خالصة على حال اشبه بقوله ان المتقين في جنات وعيون آخذين ونحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجري مجراه اذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل في قولك في الحياة الدنيا في تأويل الحال كأنك تقول هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابو علي قوله في الحياة الدنيا يحتمل ثلاثة اضرب ﴿ احدها ﴾ ان يكون قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا خالصة على ان يكون خبر هي قوله للذين آمنوا ويكون في الحياة الدنيا ظرفا والعامل فيه الظرف الذي هو قوله للذين آمنوا والتقدير هي في الحياة الدنيا للمؤمنين مقدار خلوصها يوم القيامة ففي هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام الجارة لأنه ظرف للذين آمنوا والظروف وان كان العامل فيها المعاني فإن تقديمها عليها جائز وان لم يجز ذلك في الاحوال ويحتمل ان يكون قوله في الحياة الدنيا متصلا بالصلة التي هي آمنو وهي العاملة فيه والمعنى هي للذين آمنوا في حياتهم اي للذين آمنوا لم يكفروا فيها خالصة فموضع في على هذا نصب بآمنوا ويجوز ان يكون في الحياة الدنيا في موضع حال وصاحب الحال هو هي والعامل في الحال معنى الفعل وهو قوله للذين آمنوا والمعنى قل هي لهم مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ولا يجوز في هذا الوجه ولا في الوجه الذي قبله تقدير تقديم في الحياة على قوله للذين آمنوا اما في الوجه الأول فلأن قوله في الحياة صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول وأما في الوجه الآخر فلأنه في موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها اذا كان العامل فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحاق واما قراءة من قرأ خالصة بالنصب جعله منصوبا على الحال على ان العامل في قوله في الحياة الدنيا على تأويل الحال الى آخر كلامه فينبغي ان تعلم ان من نصب خالصة في قراءة جاز ان يكون في الحياة الدنيا ظرفا للذين آمنوا والعامل فيه معنى الفعل وجاز ان يكون متعلقا بآمنوا وظرفا له وجاز ان يكون في موضع الحال كما ذكر فالوجهان الأولان لا يحتاج معهما الى تقدير شيء حتى تعلقه بما قبله اما اذا كان ظرفا للام الجارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما تقول لك ثوب كل يوم واذا كان من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فأما اذا جعلته حالا فإنه ينبغي ان تقدر فعلا او اسم فاعل يكون في موضع الحال ويكون في الحياة متعلقا به ولا يوهمنك قول ابي اسحاق الذي ذكرناه انه يلزم ان يقدر قوله في الحياة الدنيا في تقدير الحال لا غير اذا جعلت خالصة منصوبا على الحال فإن الوجهين الآخرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سائغ جائز

— المعنى —

لما تقدم ذكر ما انعم الله سبحانه على عباده من اللباس والرزق أمرهم في أثرها بتناول الزينة والتستر و الاقتصاد في المآكل والمشرب فقال (يا بني آدم) وهو خطاب لسائر المكلفين (خذوا زينتكم عند كل مسجد) اي خذوا ثيابكم التي تتزينون بها للصلاة في الجمعات والاعياد عن ابي جعفر الباقر (ع) وقيل عند كل صلاة روى العياشي باسناده ان الحسن بن علي عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة لبس اجود ثيابه فقيل له يابن رسول الله لم تلبس

اجود ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي وهو يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فأحب ان البس اجود ثيابي وقيل معناه خذوا ما تسترون بـه عوراتكم وانما قال ذلك لأنهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فأمرنا بلبس الثياب في الصلاة والطواف عن جماعة من المفسرين وقيل ان اخذ الزينة هو التمشط عند كل صلاة روي ذلك عن الصادق (ع) (وكلوا واشربوا) صورته صورة الأمر والمراد الاباحة وهو عام في جميع المباحات (ولا تسرفوا) اي لا تجاوزوا الحلال الى الحرام قال مجاهد لو انفقت مثل احد في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله لكان اسرافا وقيل معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء في زيادة المقدار وقد حكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبينا (ص) الطب في قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا وقيل معناه ولا تأكلوا محرما ولا باطلا على وجه لا يحل وأكل الحرام وان قل اسراف ومجاوزة للحد وما أستقبحه العقلاء وعاد بالضرر عليكم فهو ايضا اسراف لا يحل كمن يطبخ القدر بماء الورد ويطرح فيها المسك وكمن لا يملك الا دينارا فاشترى به طيبا فتطيب به وترك عياله محتاجين (انـه لا يحب المسرفين) اي يبغضهم لأنه سبحانه قد ذمهم به ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يبغضكم لم يكن ذما ولا مدحا ولما حث الله سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد وندب اليه الأكل والشرب ونهي عـن الاسراف وكان قوم من العرب يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرمون السمون والالبان في الاحرام وكانوا يحرمون السوائب والبحائر انكر عز اسمه ذلك عليهم فقال (قل) يا محمد (من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) اي من حرم الثياب التي تتزين بها الناس مما اخرجها الله من الأرض لعباده والطيبات من الرزق قيل هي المستلذات من الرزق وقيل هي المحللات والأول اظهر لخلوصها يوم القيامة للمؤمنين (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) قال ابن عباس يعني ان المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا فأكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جياد ثيابهم ونكحوا من صالح نسائهم ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء قال الفراء مجازة هي للذين آمنوا مشركة في الدنيا وهي خالصة لهم في الآخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا غير خالصـة من الهموم والاحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيامة من ذلك عن الجبائي (كذلك نفصل الآيات) اي كما نميز لكم الآيات وندلكم بها على منافعكم وصلاح دينكم كذلك نفصل الآيات (لقوم يعلمون) وفي هذه الآيـة دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة وأكل الأطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشي بأسناده عن الحسين بن زيد عن عمه عمر بن علي عن ابيه زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام انه كان يشتري كساء الخز بخمسين دينـارا فإذا صاف تصدق به ولا يرى بذلك باسا ويقول قل من حرم زينة الله الآية وباسناده عن يوسف بن ابراهيم قال دخلت على ابي عبد الله (ع) وعليه جبة خز وطيلسان خز فنظر الي فقلت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيه فقال وما بأس بالخز قلت فسداه ابريسم قال لا بأس به فقد أصيب الحسين (ع) وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين (ع) الى الخوارج لبس أفضل ثيابه وتطيب بأطيب طيبه وركب افضل مراكبه فخرج اليهم فوافقهم قالوا يا ابن عباس بينا أنت خير الناس اذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه الآية قل من حرم زينة الله الى آخرها فالبس وتجمل فإن الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفي الآية دلالة ايضا على ان الاشياء على الاباحة لقوله من حرم فالسمع ورد مؤكداً لما في العقل

قوله تعالى (٣٣) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٤) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (آيتان)

اللغة

التحريم هو المنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل بالبيان على جواز تناوله وأصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا فهو محروم واحرم بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمات الجنايات والمحرم القرابة التي لا يحل تزوجها وحريم الدار ما كان من حقوقها والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبائح وهي الكبائر والبغي الاستطالة على الناس وحده طلب الترأس بالقهر من غير حق واصله الطلب وينبغي كذا اي هو اولى ان يطلب والسلطان والبرهان والبيان والفرقان نظائر وحدودها تختلف فالبيان اظهار المعنى للنفس كإظهار نقيضه والبرهان اظهار صحة المعنى وافساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال والأمة الجماعة التي يعمها معنى وأصلها من أمه يؤمه اذا قصده فالأمة الجماعة التي على مقصد واحد والأجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لأن بين العقد الأول الذي يضرب لنفس الأجل وبين الوقت الآخر مهلا مثل أجل الدين وأجل الرزق وأجل الوعد وأجل العمر

المعنى

ثم بين سبحانه المحرمات فقال (قل) يا محمد (إنما حرم ربي الفواحش) اي جميع القبائح والكبائر عن الجبائي وابي مسلم (ما ظهر منها وما بطن) اي ما علن منها وما خفي وقد ذكرنا ما قيل فيه في سورة الانعام ومعناه لم يحرم ربي الا الفواحش لما قد بينا قبل ان لفظة إنما محققة لما ذكرنا فيه لما لم يذكر فذكر القبائح على الاجمال ثم فصل للبيان فقال (والإثم والبغي) فكأنه قال حرم ربي الفواحش التي منها الإثم ومنها البغي ومنها الاشراك بالله وقيل ان الفواحش هي الزنا وهو الذي بطن منها والتعري في الطواف وهو الذي ظهر منها عن مجاهد وقيل هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل والإثم قيل هو الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الإثم ما دون الحد عن الفراء وقيل الإثم الخمر عن الحسن وانشد الاخفش

شربت الإثم حتى ضل عقلي   كذاك الإثم يذهب بالعقول

وقال آخر

نهانا رسول الله ان نقرب الخنا   وان نشرب الإثم الذي يوجب الوزرا

والبغي الظلم والفساد وقوله (بغير الحق) تأكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغي من كونه ظلما اذا كان بسبب جائز في الشرع كالقصاص (وان تشركوا بالله) اي وحرم الشرك بالله (ما لم ينزل به سلطانا) اي لم يقم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) اي وحرم القول على الله بغير علم ثم بين تعالى ما فيه تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأخير عذاب الكفار فقال (ولكل امة اجل) اي لكل جماعة واهل عصر وقت لاستئصالهم عن الحسن

ولم يقل لكل احد لأن ذكر الأمة يقتضي تقارب اعمار أهل العصر ووجه آخر وهو انه يقتضي اهلاكهم في الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم بإتيان الرسل وقال الجبائي المراد بالأجل هنا اجل العمر الذي هو مدة الحياة وهذا اقوى لأنه يعم جميع الأمم (فإذا جاء اجلهم لا يستأخرون) اي لا يتأخرون (ساعة) عن ذلك الوقت (ولا يستقدمون) اي لا يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقيل معناه لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت للأياس عنه ولا يطلبون التقدم عليه ومعنى جاء اجلهم قرب اجلهم كما يقال جاء الصيف اذا قارب وقته

قوله تعالى (٣٥) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آيتان)

﴿ الاعراب ﴾

اما اصله ان الجزاء دخلت عليه ما ولدخولها دخلت النون الثقيلة في يأتينكم ولو قال ان يأتينكم لم يجز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة وبيناه وقال سيبويه ان حتى واما والا لا يجوز فيهن الإمالة لأن هذه الألفات الزمت الفتح لأنها اواخر حروف جاءت لمعنى ففصل بينها وبين اواخر الاسماء التي فيها الالف نحو حبلى وهدى الا ان حتى كتبت بالياء لأنها على اربعة احرف فاشبهت سكرى واما التي للتخيير شبهت بأن التي ضمت اليها ما فكتبت بالالف والا كتبت بالالف لأنها لو كتبت بالياء لاشبهت الى

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر النعم الدنيوية عقبه بذكر النعم الدينية فقال (يا بني آدم) هو خطاب يعم جميع المكلفين من بني آدم من جاءه الرسول منهم ومن جاز ان يأتيه الرسول معطوف على ما تقدم (اما يأتينكم) اي ان يأتكم (رسل منكم) اي من جنسكم (يقصون عليكم آياتي) اي يعرضونها عليكم ويخبرونكم بها (فمن اتقى) انكار الرسل والآيات (واصلح) عمله وقيل فمن اتقى المعاصي واجتنبها والتقوى اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم واصلح (فلا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا) اي حججنا (واستكبروا عنها) اي عن قبولها (اولئك اصحاب النار) الملازمون لها (هم فيها خالدون) باقون فيها على وجه الدوام والتأبيد

قوله تعالى (٣٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النيل وصول النفع الى العبد اذا اطلق فإن قيد وقع على الضرر لأن اصله الوصول الى الشيء من نلت انال نيلا قال امرؤ القيس

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا

واذا سكر والتوفي قبض الشيء بتمامه يقال توفيته واستوفيته

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) اي لا احد اظلم منه صورته صورة الاستفهام والمراد به الاخبار وإنما جاء بلفظ الاستفهام ليكون ابلغ (او كذب بآياته) الدالة على توحيده ونبوة رسله (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اي من العذاب الا انه كنى عن العذاب بالكتاب لأن الكتاب ورد به كقوله لقد حقت كلمة العذاب على الكافرين عن الحسن وابي صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية (حتى اذا جاءتهم رسلنا) يعني الملائكة اي حتى اذا استوفوا ارزاقهم وجاءهم ملك الموت مع اعوانه (يتوفونهم) اي يقبضون ارواحهم وقيل معناه حتى اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار يوم القيامة عن الحسن (قالوا) يعني الملائكة (اين ما كنتم تدعون من دون الله) من الاوثان والاصنام والمراد بهذا السؤال توبيخهم اي هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب (قالوا) يعني قال الكفار (ضلوا عنا) اي ذهبوا عنا وافتقدناهم فلا يقدرون على الدفع عنا وبطلت عبادتنا اياهم (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) اي اقروا على نفوسهم بالكفر

قوله تعالى (٣٨) قَالَ ٱدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ٱدَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٩) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ ابو بكر لا يعلمون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

وجه القراءة بالياء انه حمل الكلام على كل لأنه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحمل على اللفظ دون المعنى

اللغة

الخلو انتفاء الشيء عن مكانه يقال خلا عن البيت وكذلك خلت بمعنى مضت لأنها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجن جنس من الحيوان مستترون عن اعين الناس لرقتهم يغلب عليهم التمرد في افعالهم كما يغلب على الملك افعال الخير والضعف المثل الزائد على مثله فاذا قال القائل اضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما آخر لا دينارا وكذلك اذا قال اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما اربعة وحكي ان المضعف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان اكثر من ذلك وادار كوا اصله تدار كوا

فادغمت التاء في الدال واجتلب الف الوصل ليمكن النطق بالساكن الذي بعده ومعناه تلاحقوا

❊ المعنى ❊

(قال ادخلوا) هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيامة وامره لهم بالدخول ويجوز ان يكون اخبارا عن جعله اياهم في جملة اولئك من غير ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد انه جعلهم كذلك (في امم قد خلت) اي في جملة اقوام وجماعات قد مضت (من قبلكم من الجن والانس) على الكفر (في النار) وقيل ان في بمعنى مع اي ادخلوا مع امم كافرة (كلما دخلت امة) من هذه الامم النار (لعنت اختها) يعني التي سبقتها الى النار وهي اختها في الدين لا في النسب يريد انهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلعن الاتباع القادة والرؤساء اذا حصلوا في العذاب بعد ما كانوا يتوادون في الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن ابي مسلم (حتى اذا اداركوا) اي تلاحقوا واجتمعوا (فيها) اي في النار (جميعا) اي كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا فيها (قالت اخراهم لاولاهم) اي قالت اخراهم دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة والرؤساء (ربنا هؤلاء اضلونا) اي شرعوا لنا ان نتخذ من دونك إلها عن ابن عباس وقيل معناه دعونا الى الضلال وحملونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلام يعني ائمة الجور (فآتهم عذابا ضعفا من النار) اي فاعطهم عذابا مضاعفا قال ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد باحد الضعفين عذابهم على الكفر وبالآخر عذابهم على الاغواء (قال) الله تعالى (لكل ضعف) اي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعا (ولكن لا تعلمون) ايها المضلون والمضلون ما لكل فريق منكم من العذاب (وقالت اولاهم لاخراهم) اي قال المتبوعون للتابعين (فما كان لكم علينا من فضل) اي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الامة السابقة للامة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل اي من تخفيف من العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم

قوله تعالى (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ (آيتان)

❊ القراءة ❊

قرأ حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرأ ابو عمرو بالتاء والتخفيف وقرأ الباقون بالتاء والتشديد وروي في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن جبير حتى يلج الجمل بالضم والتشديد عن سعيد بن جبير في رواية اخرى وعبد الكريم وحنظلة الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضا الجمل بضم الجيم وسكون الميم والجمل بضمتين وعن ابن السماك الجمل بفتح الجيم وسكون الميم

— الحجة —

حجة من قرأ لا تفتح بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحجة من خفف قوله ففتحنا

ابواب السماء واما الجمل بالضم والتشديد والجمل بالتخفيف وكلاهما الحبل الغليظة من القنب وقيل هو حبل السفينة وقيل الحبال المجموعة واما الجمل فيجوز ان يكون جمع جمل فيكون مثل اسد واسد ووثن ووثن وكذلك المضموم ايضا كأسد ووثن قال ابن جني واما الجمل فيبعد ان يكون مخففا من جمل لخفة الفتحة وان كان قد جاء عنهم قوله

وما كل مبتاع ولو سلف صفقة   يراجع ما قد فاته برداد

اللغة

السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم القاتل لأنه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم وسم وجمعه سموم وقال الفرزدق

فنفست عن سميه حتى تنفسا   وقلت له لا تخش شيئا ورائيا

يريد بسميه ثقبي انفه ويجمع السم القاتل سماما والخياط والمخيط الابرة كالحاف والملحف والقناع والمقنع والازار والمئزر والقرام والمقرم ذكره الفراء وجهنم اسم من اسماء النار واشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ وقيل اخذ من قولهم بئر جهنام اي بعيد قعرها والمهاد الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي وقد مهدت له هذا الأمر اي وطأته له والغواشي جمع غاشية وهو كل مايغشاك اي يسترك ومنه غاشية السرج وفلان يغشى فلانا اي يأتيه ويلابسه

الإعراب

قال ابو علي للنحويين في نحو غواشي وجوابي قولان احدهما مذهب سيبويه والخليل وهو ان الياء حذفت حذفا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انتقص الاسم عن الزنة التي كان التنوين يعاقبها ولا يجتمع معها فدخلها وانما حذف هنا الياء لالتقاء الساكنين كما يحذف حرف اللين في الوقف في نحو والليل اذا يسر وذلك ما كنا نبغ وقد حذف في الوصل ايضا وكان الذي حسن ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لأنها قد صارت عوضا منها بدلالة تعاقبها وانها تحذف في الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجا عن الأبنية الاول وبابنا لزم الحذف والقول الآخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال ينظر يونس النحوي وابو زيد والكسائي الى جواري وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقوه في المعتل وما كان يلحقه التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون هو القول الاول

المعنى

ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) اي تكبروا عن قبولها (لا تفتح لهم ابواب السماء) اي لا تفتح ابواب السماء لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لأعمالهم ولدعائهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس في رواية اخرى وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال اما المؤمنون فترفع اعمالهم وارواحهم الى السماء فتفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء عن الجبائي

(ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة ابداً وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كأنه استجهل من سأله عن الجمل وهذا كما تقول العرب في التبعيد للشيء لا افعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارظان قال الشاعر

اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب

وقال آخر

فرجي الخير وانتظري ايابي اذا ما القارظ العنزي آبا

وتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد له وتحقيق لليأس من وجوده (وكذلك نجزي المجرمين) اي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين المكذبين بآيات الله تعالى (لهم) اي لهؤلاء (من جهنم مهاد) اي فراش ومضجع (ومن فوقهم غواش) مثل قوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل المراد به لحف والمعنى ان النار محيطة بهم من اعلاهم واسفلهم (وكذلك نجزي الظالمين) قال ابن عباس يريد الذين اشركوا به واتخذوا من دونه إلٰها

قوله تعالى (٤٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٣) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك في مصاحف اهل الشام والباقون مع الواو وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اورثموها مدغمة وكذلك في الزخرف وقرأ الباقون اورثتموها غير مدغمة

الحجة

قال ابو علي وجه الاستغناء عن حرف العطف ان الجملة ملتبسة بما قبلها فاغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدم ذكر امثاله ومن ترك الادغام في اورثتموها فلتباين المخرجين وكأن الحرفين في حكم الانفصال وان كانا من كلمة واحدة الا ترى انهم لم يدغموا ولو شاء الله ما اقتتلوا وان كانا مثلين لما لم يكونا لازمين الا ترى ان تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك اورث قد يقع بعد الثاء منها غير الثاء فلا يجب الادغام ووجه الادغام ان الثاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الادغام لذلك

اللغة

الغل الحقد الذي ينغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه الغل الذي يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيهما والصدر ما يصدر من جهته التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس صدر والجريان انحدار المائع فالماء يجري والدم يجري وكل ما يصح ان يجري فهو مائع والنهر الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان

— الاعراب —

لانكلف نفسا الا وسعها جملة في موضع رفع بأنه خبر الذين آمنوا وحذف العائد الى المبتدأ فكأنه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه ويجوز ان يكون اعتراضا ما بين المبتدأ والخبر ويكون الخبر الجملة التي هي او لئك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب وان تلكم الجنة يجوز ان يكون ان بمعنى اي لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنئة بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة والتقدير بأنه تلكم الجنة قال الشاعر

اكاشره واعلم ان كلانا   على ما ساء صاحبه حريص

— المعنى —

لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النيران اتبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان فقال (والذين آمنوا) اي صدقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها (وعملوا الصالحات) اي ما اوجبه الله عليهم او ندبهم اليه (لا نكلف نفسا الا وسعها) التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة اي لا نلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لأن الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين اذا جعلته خبراً لان معناه لا نكلف احدا منهم من الطاعات الا ما يقدر عليه واذا كان اعتراضا بين الكلامين فكأنه لما وعد المؤمنين بالجنان والكافرين بالنيران بين انه لا يكلف احدا منهم الا ما في وسعه وان من استحق النار فمن نفسه اتي (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) مقيمون (ونزعنا ما في صدورهم من غل) اي واخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان رآه ارفع درجة منه (تجري من تحتهم الانهار) قيل انه في موضع الحال اي يجري ماء الانهار من تحت ابنيتهم واشجارهم في حال نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو استئناف (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) اي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بأن دلنا عليه وعرضنا له بتكليفه ايانا وقيل معناه هدانا لثبوت الايمان في قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة (وما كنا لنهتدي) لما يصيرنا الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم (لولا ان هدانا الله) هذا اعتراف من اهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنته عليهم في دخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ بذلك لأنه لا تكليف هناك (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) وهذا اقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حق لا شبهة في صحته (ونودوا) اي وينا ديهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه لهم (ان تلكم الجنة) اي هذه الجنة وانما قال تلكم لأنهم وعدوا بها في الدنيا فكأنه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فيقال لهم قبل ان يدخلوها اشارة اليها تلكم الجنة أورثتموها اي اعطيتموها إرثا وصارت اليكم كما يصير الميراث لأهله وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم كما كان أعده للكفار لو آمنوا وروي عن النبي (ص) انه قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها (بما كنتم تعملون) اي توحدون الله وتقومون بفرائضه

قوله تعالى (٤٤) وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قال الكسائي وحده نعم بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح وقرأ اهل المدينة والبصرة ان مخففة لعنة الله بالرفع والباقون ان مشددة لعنة الله بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال الاخفش نعم ونعم لغتان فالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة باقي العرب وان التي تقع بعد العلم إنما هي المشددة والمخففة عنها وأذن مؤذن معناه اعلم معلم ان لعنة الله ومن خفف ان فعلى إرادة اضمار القصة والحديث وتقديره انه لعنة الله ومثله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين التقدير انه ولا تخفف ان هذه الا واضمار القصة والحديث يراد معها والمكسورة اذا خففت لا يكون كذلك والفصل بينهما ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضي صلتها فصارت لاقتضائها الصلة أشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك

﴿ الإعراب واللغة ﴾

قال سيبويه نعم عدة وتصديق فإذا استفهمت اجبت بنعم قال ابو علي والذي يريده بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه يجتمع التصديق مع العدة الا ترى انه اذا قال اتعطيني فقلت نعم كان عدة ولا تصديق في هذا واذا قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدقته ولا عدة في هذا فليس هذا القول من سيبويه كقوله في اذا انها جواب وجزاء لأن اذا يكون جوابا في الموضع الذي يكون فيه جزاء وقوله اذا استفهمت اجبت بنعم يريد اذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو كان مكان الايجاب النفي لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا تقول في جواب الموجب بلى قال ألست بربكم قالوا بلى والذين يصدقون في موضع جر بأنه صفة للظالمين وعوجا يجوز ان يكون منصوبا بأنه مفعول به بمعنى يبغون لها العوج ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجع القهقرى اي رجع هذا الضرب من الرجوع وكذلك عدا البشكي واشتمل الصما والعوج بالكسر يكون في الطريق وفي الدين وبالفتح يكون في الخلقة تقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه ما يجري بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم في الدارين فقال (ونادى) اي وسينادي (اصحاب الجنة اصحاب النار) اي اهل الجنة اهل النار وانما ذكره بلفظ الماضي لتحقيق المعنى جعل ما سيكون كأنه قد كان لأنه كائن لا محالة وذلك ابلغ في الردع (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من الثواب في كتبه وعلى ألسنة رسله (حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العقاب (حقا) وانما أضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لأن الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يوعدوا بالجنة

وانما سألوهم هـذا السؤال لأن الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشماتة يريد به سرور اهل الجنة وحسرة اهل النار (قالوا نعم) اي قال أهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقاً وصدقاً (فأذن موذن بينهم) اي نادى منادٍ بينهم اسمع الفريقين (ان لعنة الله على الظالمين) اي غضب الله وسخطه وأليم عقابـه على الكافرين لأنه وصف الظالمين بقوله (الذين يصدون عن سبيل الله) اي يعرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه على أنه يؤدي الى الجنـة وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله اي دينه والحق الذي دعا اليه (ويبغونها عوجا) قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله ويعظمون مالم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التي يلتبسون بها ويوهمون انه يقدح فيها وهي معوجة عن الحق بتناقضها (وهم بالآخرة) اي بالدار الآخرة يعني القيامة والبعث والجزاء (كافرون) جاحدون وقيل في المؤذن أنه مالك خازن النار وروي عن ابي الحسن الرضا (ع) انه قال المؤذن أمير المؤمنين علي (ع) ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره قـال حدثني ابي عن محمد بن فضيل عن الرضا (ع) ورواه الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام انـه قال انا ذلك المؤذن وباسناده عن ابي صالح عن ابن عباس ان لعلي (ع) في كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله فـأذن مؤذن بينهم فهو المؤذن بينهم يقول الا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي

قوله تعـالى (٤٦) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٧) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ (آيتان)

❊ اللغة ❊

الحجاب الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للضرير محجوب وحاجب الأمير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة أخذ من عرف الفرس ومنه عرف الديك وكل مرتفع من الأرض عرف لأنـه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشاخ

وظلت بأعراف تعالى كأنها ... رماح تجاها وجهة الرمح راكز

وقال آخر

كل كناز لحمها نياف ... كالعلم الموفي على الاعراف

يعني نشوزا من الأرض والسيما العلامة وهو فعلى من سام ابله يسومها اذا ارسلها في المرعى معلمة وهي السائمة وقيل ان وزنه عفلى من وسمت فقلبت كما قالوا له جاه في الناس وأصله وجه وكما قالوا إضمحل وامضحل وأرض خامة اي وخيمة وفيه ثلاث لغات سيما وسيماء بالقصر والمد وسيمياء على زنة كبرياء قال الشاعر « له سيمياء ما يشق على البصر » والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان يقول هو تلقاءك نحو هو حذاءك والابصار جمع بصر وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر ويقال له بصر بالاشياء اي علم بها وهو بصير بالأمور اي عالم

المعنى

ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزاء فقال (وبينهما حجاب) اي بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ستر وهو الاعراف والاعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي وفي التنزيل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائي وقيل الاعراف الصراط عن الحسن بن الفضل (وعلى الاعراف رجال) اختلف في المراد بالرجال هنا على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكر ان بكر بن عبد الله المزني قال للحسن بلغني انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب الحسن يده على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف اهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري لعل بعضهم معنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالإسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعا او يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الآخرة عن ابي مجلز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال ابو جعفر الباقر (ع) هم آل محمد عليهم السلام لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه وقال ابو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سيق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه أنظروا الى اخوانكم المحسنين قد سيقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم أخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله إياها بشفاعة النبي والإمام وينظر هؤلاء المذنبون الى أهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الأنبياء والخلفاء اهل النار مقرعين لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم يعني أهؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده مارواه عمر بن شيبة وغيره ان عليا (ع) قسيم النار والجنة ورواه ايضا باسناده عن النبي (ص) انه قال يا علي كأني بك يوم القيامة وبيدك عصا عوسج تسوق قوما الى الجنة وآخرين الى النار وروى ابو القاسم الحسكاني باسناده رفعه الى الأصبغ بن نباته قال كنت جالسا عند علي (ع) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار وقوله (يعرفون كلا بسيماهم) يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون أهل الجنة بسيماء المطيعين وأهل النار بسيماء العصاة (ونادوا اصحاب الجنة) يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة (ان سلام عليكم) وهذا تسليم وتهنئة وسرور بما وهب الله لهم (لم يدخلوها) اي لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة (وهم يطمعون)

ان يـدخلوها وقيل ان الطمع ههنا طمع يقين مثل قول ابراهيم والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي الجبائي (وإذا صرفت ابصارهم) يعني ابصار الذين على الاعراف (تلقاء اصحاب النار) الى جهنم فنظروا اليهم وانما قال صرفت ابصارهم لأن نظرهم نظر عـداوة فلا ينظرون اليهم الا إذا صرفت وجوههم اليهم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) اي لا تجمعنا واياهم في النار وروي ان في قراءة عبد الله ابن مسعود وسالم واذا قلبت ابصـارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عائذاً بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

قوله تعالى (٤٨) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (آيتان)

[اللغة]

النداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظير دعا الا ان الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن بإشارة تنبئ عن معنى تعال ولا يكون النداء الا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الأمن وهو الثقة بانتفاء المكروه

الاعراب

هؤلاء مبتدأ وخبره الذين اقسمتم والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتدأ محذوف التقدير أهؤلاء هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهذا داخل في صلة الذين لأن الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين احدها ان المبهم لا يوصف الا بالجنس والآخر انه يبقى المبتدأ بلا خبر

المعنى

ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لأصحاب النار فقال (ونادى) اي وسينادي (اصحاب الاعراف رجالا) من اصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم) اي بصفاتهم يدعونهم بأساميهم وكناهم ويسمون رؤساء المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا (قالوا ما اغنى عنكم جمعكم) الاموال والعدد في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) اي واستكباركم عن عبادة الله وعن قبول الحق وقد كنا نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلم تقبلوا منا فأين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيـل معناه ما نفعكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد لأنبياء الله في الدنيـا عن الجبائي (اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة) اي حلفتم انهم لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) اي لا خائفين ولا محزونين على اكمل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تقريع الذين زروا على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت أقوال المفسرين في القائل لهذا القول فقال الأكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيـل هو كلام الله تعالى وقيل كلام

الملائكة والصحيح ما ذكرناه لأنه المروي عن الصادق (ع)

قوله تعالى (٥٠) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ (٥١) ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (آيتان)

اللغة

الإفاضة إجراء المائع من علو ومنه قولهم أفاضوا في الحديث اي أخذوا فيه من أوله لأنه بمنزلة اعلاه وأفاضوا من عرفات الى المزدلفة صاروا اليها واللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن ان يطلب به واللعب طلب المرح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء

الإعراب

قال ان أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه وان كان التقدير أفيضوا احد هذين لأنه جاء على قولهم جالس الحسن اوابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعا وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعا بالابتداء فيكون اخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم

المعنى

ثم ذكر سبحانه كلام اهل النار وما اظهروه من الافتقار بدلا مما كانوا عليه من الاستكبار فقال (ونادى) اى وسينادي (اصحاب النار) وهم المخلدون في النار وفي عذابها (اصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء) اى صبوا علينا من الماء نسكن به العطش او ندفع به حر النار (او مما رزقكم الله) اى اعطاكم الله من الطعام عن السدي وابن زيد (قالوا) يعني اهل الجنة جوابا لهم (ان الله حرمهما على الكافرين) ويسأل فيقال كيف يتنادى اهل الجنة واهل النار واهل الجنة في السماء على ما جاءت بـه الرواية واهل النار في الأرض وبينهما ابعد الغايات من البعد وأجيب عن ذلك بأنـه يجوز ان يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من السماع ويجوز ان يقوي الله اصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض (الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا) اي اعدوا دينهم الذي أمرهم الله تعالى به للهو واللعب دون التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به والتجنب من محظوراته لعبا ولهوا فحرموا ما شاؤا واستحلوا ما شاؤا بشهواتهم (وغرتهم الحياة الدنيا) أي اغتروا بها وبطول البقاء فيها فكأن الدنيا غرتهم (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) اى نتركهم في العذاب كما تركوا التأهب والعمل للقاء هذا اليوم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه نعاملهم معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن الجبائي (وما كانوا بآياتنا يجحدون) ما في الموضعين بمعنى المصدر وتقديره كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا واختلف في هذه الآية فقيل ان الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن اهل الجنة وتم كلام اهل الجنة عند قوله حرمهما على الكافرين وقيل انه من كلام اهل الجنـة الى قوله الحياة الدنيا ثم

استأنف تعالى الكلام بقوله فاليوم ننساهم

قوله تعالى (٥٢) وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٣) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (آيتان)

— اللغة —

الكتاب صحيفة فيها حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر ينظرون اي ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالتوقع له وأصله الاقبال على الشيء بوجه من الوجوه والتأويل ما يؤول اليه حال الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال ابو علي الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم ليس بمعنى وإنما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري واليه ذهب المرتضى

✻ الاعراب ✻

هدى ورحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا له وقال ابو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرئ بالرفع على الاستئناف او بالجر على البدل لجاز الا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب لأنه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاء فشفاعة او نرد بالرفع على تقدير او هل نرد فنعمل اي هل يكون لنا رد فلنعمل اي فعمل منا غير ما كنا عملناه

✻ المعنى ✻

لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه انه قد أتاهم الكتاب والحجة فقال (ولقد جئناهم بكتاب) وهو القرآن (فصلناه) بيناه وفسرناه (على علم) اي ونحن عالمون به ولما كانت لفظة عالم مأخوذة من العلم جاز ان يذكر العلم ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة الموجود كذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) اي دلالة ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لأنهم المنتفعون به (هل ينظرون الا تأويله) اي هل ينتظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول مغبة أمورهم اليه عن الحسن وقتادة ومجاهد والسدي وإنما أضاف اليهم مجازا لأنهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وإنما كان ينتظر بهم المؤمنون لإيمانهم بذلك واعترافهم به وقيل ان تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي (يوم يأتي تأويله) اي يوم يأتي عاقبة ما وعدوا به (يقول الذين نسوه من قبل) اي يقول الذين تركوا العمل به ترك الناس له واعرضوا عنه عن مجاهد والزجاج (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اعترفوا بأن ما جاءت به الرسل كان حقا والحق ما شهد بصحته العقل (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) تمنوا ان يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في ازالة العقاب (او نرد) أي او هل نرد الى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل) من الشرك والمعصية (قد خسروا انفسهم) اى اهلكوها بالعذاب (وضل عنهم ما كانوا يفترون) على الاصنام بقولهم انها آلهة وانها تشفع لنا

قوله تعالى (٥٤) إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱللَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ (آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير حفص ويعقوب يغشي بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف. وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب

الحجة

قال ابو علي غشي فعل متعد الى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة او بتضعيف العين تعدى الى مفعولين وقد جاء التنزيل بالأمرين قال فغشاها ما غشى فما في موضع نصب بأنه المفعول الثاني وقال فأغشيناهم فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فأغشيناهم العمى او فقد الرؤية عنهم فإذا جاء التنزيل بالأمرين فكلا الفريقين قرأ بما جاء في التنزيل وقوله يغشي الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليل النهار ولم يقل يغشي النهار الليل كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم انه حمله على خلق كما قال واسجدوا لله الذي خلقهن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم ما في السماوات والأرض ومما في السماء الشمس والقمر فإذا أخبر بتسخيرهما حسن الإخبار عنهما به كما انك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب

اللغة

قد بينا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله ثم استوى إلى السماء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والحثيث السير السريع بالسوق واصل البركة الثبات ومنه براكاء القتال

الإعراب

قوله حثيثا يجوز ان يكون حالاً من الفاعل أو المفعول أو منهما جميعا ومثله قوله فأتت به قومها تحمله فان تحمله كذلك ومثله قول الشاعر

متى ما تلقني فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا

المعنى

لما ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقدوراته ومصنوعاته ودلهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال مخاطبا لجميع الخلق (إن ربكم الله) اي ان سيدكم ومالككم ومنشئكم ومحدثكم هو الله (الذي خلق السماوات) اي انشأ اعيانها وابدعها لا من شيء ولا على مثال ثم امسكها بلا عماد يدعمها (والأرض) أي وأنشأ الأرض اوجدها كذلك (في ستة أيام) اي في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ولا شبهة انه سبحانه يقدر على خلق أمثال ذلك في لحظة ولكنه خلقها في هذه المدة لمصلحة ورتبها على أيام

الأسبوع فابتدأ بالأحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمي الجمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب ادل على كون فاعله عالما مدبراً يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته وقيل انه سبحانه علم خلقه التثبت والرفق في الأمور عن سعيد بن جبير (ثم استوى على العرش) أي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد خلق السماوات والأرض فظهر ذلك للملائكة وإنما أخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه إذا انتظمت أمور مملكته وإذا اختل امر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير أبداً قال الشاعر

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم ... واودت كما اودت اياد وحمير

وقال

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقيل معناه ثم استوى عليه بأن رفعه عن الجبائي وقيل معناه ثم قصد إلى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضي قال دل بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء والأرض وروي عن مالك ابن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن ابي حنيفة انه قال امرّوه كما جاء اي لا تفسروه (يغشى) اي يلبس (الليل النهار) يعني يأتي بأحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل ويغشى النهار الليل لأن الكلام يدل عليه وقد ذكر في موضع آخر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (يطلبه حثيثا) أي يتلوه فيدركه سريعاً وهذا توسع يريد أن يأتي في أثره كما يأتي الشيء في أثر الشيء طالباً له (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي مذللات جاريات في مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرأ مسخرات بالنصب فإنه منصوب على الحال (ألا له الخلق والأمر) إنما فصل بين الخلق والأمر لأن فائدتهما مختلفة لأنه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالأمر ان له ان يأمر في خلقه بما أحب ويفعل بهم ما شاء (تبارك الله) أي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة اي البركة في ذكر اسمه (رب العالمين) أي خالقهم ومالكهم وسيدهم

قوله تعالى (٥٥) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٦) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (آيتان)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون بضمها وهما لغتان

اللغة

التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التخشع ومنه التطلب لأمر من الأمور واصل التضرع الميل في الجهات ذلا من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعا إذا مال باصبعه يمينا وشمالا ذلا وخوفا ومنه ضرع الشاة لأن اللبن يميل اليه ومنه المضارعة للمشابهة لأنها تميل إلى شبه والضريع نبت لا يسمن لأنه يميل مع كل داء

والخفية خلاف العلانية والهمزة في الاخفاء منقلبة عن الياء كما أن الهمزة في الغناء منقلبة عن الياء بدلالة الغنية وقالوا اخفيت الشيء إذا اظهرته قال الشاعر

يخفي التراب باظلاف ثمانية في أربع مسهن الأرض تحليل

ويمكن ان يكون أخفيت الشيء أي أزلت اظهاره واذا أزلت اظهاره فقد كتمته كما ان اشكيته بمعنى أزلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرهبة والطمع توقع المحبوب وضده اليأس وهو القطع بانتفاء المحبوب

الاعراب

تضرعا وخفية مصدران وضعا موضع الحال أي ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفا وطمعا في موضع الحال أيضا أي خائفين عقابه وطامعين في رحمته قال الفراء إنما ذكر قريب ولم يؤنث ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لأن كل ما قرب في مكان او نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي وقال الاخفش جائز أن يكون أراد بالرحمة هنا النظر فلذلك ذكره في مثله قول الشاعر

يا ايها الراكب المزجي مطيته سائل بني اسد ما هذه الصوت

اي ما هذه الصيحة وقول الآخر

إن السماحة والمروءة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح

المعنى

ثم أمره سبحانه بعد ذكر دلائل توحيده بدعائه على وجه الخشوع كافة عبيده فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أي تخشعا وسرا عن الحسن قال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ثم قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن ومايشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الكثيرة في بيته وعنده الزور فلا يشعرون به ولقد تداركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون ان يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون المجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان في غزاة فأشرفوا على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم فقال(ص) يا ايها الناس اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون الأصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا انه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر أي ادعوه علانية وسرا عن ابي مسلم ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره (انه لا يحب المعتدين) في الدعاء قيل هو ان يطلب منازل الأنبياء فيجاوز الحد في الدعاء عن ابي مجاز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحب المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات والدعوات (ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها) ومعناه النهي عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الأرض بعد ان اصلحها الله بالكتب والرسل عن السدي والحسن والضحاك والكلبي وقيل بعد ان أمر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع اوامر الله تعالى فيها وروي عنه أيضا انه قال لاتفسدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وروى ميسر عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال ان الارض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيه(ص) (وادعوه خوفا وطمعا) خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه وقيل خوفا من الرد وطمعا في الاجابة وقيل خوفا من عدله وطمعا في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفا من النيران وطمعا في الجنان عن عطا (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

معناه ان انعام الله قريب إلى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله اي ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش ويؤيده قوله فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين من خلصت افعاله من الإساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصلة إلى من فعل الاحسان وليس فيه انه لا يصل إلى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف على الدلالة

قوله تعالى (٥٧) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٨) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ ابن كثير الريح واحدة ونشرا مضمومة النون والشين وقرأ أهل المدينة والبصرة الرياح جمع نشرا بضم النون والشين حيث كان وقرأ أهل الكوفة غير عاصم الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرأ ابن عامر الرياح نشراً بضم النون وسكون الشين وقرأ عاصم الرياح بشرا بالباء ساكنة الشين وقرأ ابو جعفر إلا نكدا بفتح الكاف والباقون بالكسر

— الحجة —

قال ابو علي اعلم ان الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسر فأما في الجمع القليل فصحت لأنه لا شيء فيه يوجب الاعلال ألا ترى ان الفتحة لا توجب إعلال هذه الواو في نحو قوم وقول فأما في الجمع الكثير فرياح انقلبت ياء للكسرة التي قبلها و إذا كانت انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فان تنقلب في رياح اجدر لوقوع الألف بعدها والألف تشبه الياء والياء إذا تأخرت عن الواو اوجب فيه الإعلال وكذلك الألف لتشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد به الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاة والبعير وان الإنسان لفي خسر ثم قال إلا الذين آمنوا وكذلك من قرأ الريح نشرا فأفرد ووصفه بالجمع فانه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال الشاعر

فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم

ومن نصب حمله على المعنى لأن المفرد يراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير وقول من جمع الريح إذا وصفها بالجمع الذي هو نشرا احسن لأن الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ واما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول إذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلأن عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا والرحمة كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ويرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فأهلكوا بريح صرصر عاتية ريح فيها عذاب اليم قال ابو عبيدة نشرا متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا إذا بعثها وانشر الله الريح مثل احياها فنشرت هي اي حييت والدليل على ان انشار الريح احياؤها قول المرار الفقعسي

وهبت له الريح الجنوب واحييت له ريدة يحيي المياه نسيمها

والريدة والريدانة الريح قال «اودت به ريدانة صرصر» ومن قرأ نشرا يحتمل ضربين يجوز ان يكون جمع

ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فإذا جعلته جمع نشور احتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون النشور بمعنى المنشر كما ان الركوب بمعنى المركوب فكأن المعنى ريح او رياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشرا جمع ناشر كشاهد وشهد ونازل ونزل وقاتل وقتل قال الاعشى « انا لأمثالكم يا قومنا قتل » وقول ابن عامر نشرا يحتمل الوجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون على فعول وفاعل وخفف العين كما خفف في كتب ورسل ويكون جمع فاعل كنزل ونازل وعايط وعيط واما من قرأ نشرا فانه يحتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المصدر حالا من الريح فإذا جعلته حالا منها احتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون النشر الذي هو خلاف الطي كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تأويل ابي عبيدة ان تكون متفرقة في وجوهها ﴿ والآخر ﴾ ان يكون النشر الذي هو الحياة في نحو قوله « يا عجبا للميت الناشر » فإذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول أتانا ركضا اي راكضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشارا اي محياة فحذف الزوايد من المصدر كما قال عمرك الله وكما قال « وان يهلك فذلك كان قدري » اي تقديري ﴿ والضرب الآخر ﴾ ان يكون نشرا ينتصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لأنه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على يرسل تنشر الرياح نشرا او تنشر نشرا من قوله « كما تنشر بعد الطية الكتب » ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقرأ عاصم بشرا جمع بشير وبشر من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشيرا على بشر ككتاب وكتب والوجه في قراءة ابي جعفر نكدا انه لغة في نكد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان آخران نكدا ونكدا إلا انه لم يثبت بهما رواية

— اللغة —

الإقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بحمله استقلالا واقله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبته فانسحب والسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الأرض التي تجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد للاعراب ونحوهم من الاكراد والنكد العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد ونكد وقد نكد إذا سئل فبخل قال الشاعر

واعط ما اعطيته طيبا لا خير في المنكود والناكد

— المعنى —

لما اخبر الله سبحانه في الآية المتقدمة بأنه خلق السماوات والأرض وما فيهما من البدائع عطف على ذلك بقوله (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) تعداد النعمة على بريته اي يطلقها ويجريها منتشرة في الأرض او محيية للأرض او مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر (حتى إذا أقلت) أي حملت وقيل رفعت (سحابا ثقالا) بالماء (سقناه لبلد ميت) أي إلى بلد ميت وموت البلد تعفي مزارعه ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير إلى لفظ السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى إذا اتصل السحاب انزل المطر (فانزلنا به الماء) يجوز أن يكون الضمير في به راجعاً إلى البلد أي فانزلنا بالبلد الماء ويجوز أن يكون راجعاً إلى السحاب أي فانزلنا بالسحاب الماء (فاخرجنا به) أي بهذا الماء المنزل او بهذا البلد (من كل الثمرات) يحتمل أن يكون من للتبعيض ويحتمل أن يكون لتبيين الجنس (كذلك نخرج الموتى) أي كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بأن نحييها بعد موتها (لعلكم تذكرون) أي لكي تتذكروا وتتفكروا وتعتبروا بأن من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع بريح يرسلها فإنه

يقدر على احياء الاموات بأن يعيدها إلى ما كانت عليه ويخلق فيها الحياة والقدرة واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على أن كثيرا من الاشياء يكون بالطبع قال لأن الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء ثم قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وإنما ينكر قول من يقول بقدم الطبائع وأن الجمادات فاعلة فأما من قال أن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأشياء غير انه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائط وتارة يفعلها بوسائط فلا كراهة في ذلك كما تقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول اكثر اهل العدل وقالوا ان الله سبحانه اجرى العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الأرض التي يأتيها المطر فقال (والبلد الطيب) معناه والأرض الطيب ترابه (يخرج نباته) أي زروعه خروجا حسنا ناميا زاكيا من غير كد ولا عناء (بإذن ربه) بأمر الله تعالى وإنما قال بإذن ربه ليكون ادل على العظمة ونفوذ الإرادة من غير تعب ولا نصب (والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) أي والأرض السبخة التي خبث ترابها لا يخرج ريعها إلا شيئا قليلا لا ينتفع به عن السدي ومعناه الا عسرا ممتنعا من الخروج ولو اراد سبحانه ان يخرج من الأرض النكدة اكثر مما يخرج من الارض الطيبة لامكنه إلا انه اجرى العادة بإخراجه من الأرض الطيبة ليكون ذلك باعثا للانسان على طلب الخير من مظانه ودلالة له على وجوب الاجتهاد في الطاعات فإذا حمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذي لا يدوم وربما لا يحصل فأن يبتغي النعيم الدائم الذي لا يفنى ولا يبيد بالاعمال الصالحة اولى (كذلك نصرف الآيات) اي الدلالات المختلفة (لقوم يشكرون) معناه كما بينا هذا المثل نبين الدلالات للشاكرين وقيل كما صرفنا الآيات لكم بالاتيان بآية بعد آية وحجة بعد اخرى نصرفها لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم سبيل أهل الضلال وامره اياهم تجنب ذلك والعدول عنه وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد إلا أن منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها ومنها سبخة لا تنبت شيئا فإن انبتت فما لا منفعة فيه وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها اللين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لان قلبه للذكره

قوله تعالى (٥٩) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٦٠) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦١) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٢) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٣) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٤) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (ست آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر والكسائي من إله غيره بخفض الراء حيث وقع والباقون بالرفع وقرأ ابو عمرو وحده ابلغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها

الحجة

قال ابو علي وجه قراءة من جر انه جعل غيرا صفة لإله على اللفظ وجعل لكم مستقرا او جعله غير مستقر واضمر الخبر والخبر ما لكم في الوجود او في العالم او نحو ذلك لا بد من هذا الاضمار إذا لم نجعل لكم مستقرا

لأن الصفة والموصوف لا يستقل بهما كلام وحجة من رفع قوله ما من إله إلا الله فكما ان قوله إلا الله بدل من قوله من إله كذلك قوله غيره يكون بدلا من قوله من إله وغيره يكون بمنزلة الاسم الذي بعد إلا وهذا الذي ذكرنا اولى ان يحمل عليه من ان يجعل غير صفة لإله على الموضع فإن قلت ما تنكر أن يكون إلا الله صفة لقوله من إله على الموضع كما كان قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله صفة لآلهة قيل إن إلا بكونها استثناء اعرف واكثر من كونها صفة وإنما جعلت صفة على التشبيه بغير فإذا كان الاستثناء اولى حملناه هل من خالق غير الله على الاستثناء من النفي في المعنى لأن قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق غير الله ولا بد من اضمار الخبر كأنه ما من خالق للعالم غير الله ويؤكد ذلك لا إله إلا الله فهذا استثناء من منفي مثل لا احد في الدار إلا زيد فأما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فعلى ان جعلا غير صفة للخالق وأضمرا الخبر كما تقدم والباقون جعلوه استثناء بدلا من المنفي وهو الأولى عندنا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله وما من إله إلا الله وما ابلغكم فالقول فيه أن بلغ يتعدى إلى مفعول في نحو بلغني الخبر فإذا نقلته تعدى إلى مفعولين والنقل يكون بالهمزة وبتضعيف العين وكلا الأمرين جاء به التنزيل قال سبحانه يا أيها الرسول بلغ الى قوله فما بلغت رسالته وقال فإن تولوا فقد ابلغتكم وليعلم أن قد ابلغوا

اللغة

الملأ الجماعة من الرجال خاصة ومثله القوم والنفر والرهط عن الفراء وسموا بذلك لأنهم يملأون المحافل والقوم الجمع الذي يقوم بالأمر سموا بالمصدر والابلاغ ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهو ايصال المعنى الى النفس بأحسن صورة من اللفظ والبليغ الذي ينشئ البلاغة لا الذي يأتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الإبلاغ والاداء ان الاداء ايصال الشيء على الوجه الذي يجب فيه ومنه فلان ادى الدين أداء وفلان حسن الاداء لما يسمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره والنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة والفلك السفن يقع على الواحد وعلى الجمع واصله الدور ومشتق من قولهم فلك ثدي الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفلك

الإعراب

ياقوم حذفت ياء الإضافة لقوة النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلما جاز أن يحذف في غير النداء للاجتزاء بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع سببين فيها لكني اصله لكنني حذفت النون لاجتماع النونات ويجوز الإتمام في غير القرآن لأنه الاصل وكذلك اني وكأني فاما ليتني فلا يجوز فيه إلا اثبات النون لانه لم يعرض فيه علة الحذف وأما لعلي فيجوز فيه الوجهان لأن اللام قريبة من النون رسول من رب العالمين من هنا لابتداء الغاية أي هو ابتدائي بالرسالة وكل مبتدأ بفعل فذلك الفعل منه واصل من أن يكون لابتداء الغاية

المعنى

لما بين الله سبحانه الادلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب رسله تسلية لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وتثبيتا له على احتمال الاذى من قومه وتحذيرا لهم عن الاقتداء بأولئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتدأ بقصة نوح فقال (لقد ارسلنا نوحا الى قومه) اللام للقسم وقد تأكيد للكلام وتقديره حقا اقول انا حملنا نوحا الرسالة الى قومه وتحميل الرسالة تكليفه القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بتقبلها اياها وقيامه باعبائها من التعظيم والاجلال مالا يستحق بغيره وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس (ع) وهو اول نبي بعد ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذي مات فيه آدم (ع) قبل موت آدم في الالف الاولى وبعث في الألف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وكان في تلك الالف ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه إلا فرارا وكان يضربه

قومه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ثم شكاهم إلى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي اكثر من ذلك أيضا (فقال ياقوم اعبدوا الله مـا لكم من إله غيره) اخبر سبحانه انه امرهم بعبادة الله وحده لانه لا إله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم اوعدهم عـلى مخالفته فقال (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) إنما قال أخاف ولم يقطع لانه جوز أن يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال (قال الملأ من قومه) أي الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الأشراف والرؤساء الذين يملأون الصدور هيبة وجمالا عن ابي مسلم (إنا لنراك في ضلال مبين) قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم أي إنا لنعلمك في ذهاب من الحق بين ظاهر لدعائك إيانا إلى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصر اي نراك بابصارنا على هـذه الحال وقيل انه من الرأي الذي هو غالب الظن فكأنه قال إنا لنظنك (قال يا قوم ليس بي ضلالة)هذا اخبار عما اجابهم به نوح (ع) اي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقال به ضلالة لأن معناه عرض به ذاك كما يقال به جنة ولا يجوز أن يقول به معرفة لانها ليست مما يعرض لصاحبها ولكن يصح أن يقال به جوع وبه عطش (ولكني رسول من رب العالمين) الذي يملك كل شيء (ابلغكم رسالات ربي) أي اؤدي اليكم ما حملني ربي من الرسالات (وانصح لكم) في تبليغ الرسالة على وجهها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان (وأعلم من الله) أي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته (ما لا تعلمون)وقيل اعلم من دين الله وقيل اعلم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل إنما قال ذلك لأن قوم نوح لم يسمعوا قط ان الله سبحانه عذب قوما وقد سمعت الامم بعدهم هلاك من قبلهم الا ترى أن هودا قال جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقال شعيب مثل ما اصاب قوم نوح (اوعجبتم) هذه همزة استفهام دخلت على واو العطف عـلى جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستأنف من وجه متصل من وجه (ان جاءكم ذكر) اي لأن جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة (من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب إن لم تؤمنوا وقيل أن على هنا بمعنى مع اي مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشأه ليعلمكم بموضع المخافـة و إنما انكر عليهم التعجب لانه ليس في ارساله اليهم ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم موضع تعجب و إنما العجب مـن اهمال امرهم كيف ووجوب الرسالة إذا كان للخلق فيها مصلحة امر قد اقتضته الحكمة ودل عليه العقل (ولتتقوا) أي ولتتقوا الشرك والمعاصي (ولعلكم ترحمون) اي ولكي ترحموا وقال الحسن ولتتقوه رجاء ان يرحمكم (فكذبوه) اي فكذبوا نوحا فيما دعاهم اليه (فانجيناه والذين معه في الفلك) أي فخلصناه والذين كانوا معه في السفينة وهم المؤمنون من عذاب الغرق (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي واهلكنا الذين كذبوا بدلائلنا بالماء (إنهم كانوا قوما عمين) عن الحق اي ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم إذا كان اعمى القلب ورجل اعمى في البصر قال زهير « ولكنني عن علم ما في غد عمي »

﴿ قصة نوح (ع) ﴾

قد ذكرنا نسبه وكان من قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده في كتاب النبوة مرفوعا إلى ابي عبد الله (ع) قال لما بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله بن آدم من نوح تصديق مـا في ايديهم من العلم وعرفوا أن العلم الذي في ايديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدقوه وسلموا له فاما ولد قابيل فإنهم كذبوه وقالوا إن الجن كانوا قبلنا فبعث الله اليهم ملكا فلو أراد أن يبعث الينا لبعث الينا ملكا من الملائكة حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر وفي حديث وهب بن منبه ان نوحا (ع) كان اول نبي نبأه الله عز وجل بعد ادريس وكان إلى الادمة ما هو دقيق الوجه في رأسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا جسيما دعا قومه إلى الله حتى انقرضت ثلاثة قرون منهم كل قرن ثلثمائـة سنة يدعوهم سرا

وجهرا فلا يزدادون إلا طغيانا ولا يأتي منهم قرن إلا كان اعتى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقيمه على رأس نوح فيقول يابني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثورون إلى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامعه دما وحتى لا يعقل شيئا مما يصنع به فيحمل فيرمى به في بيت او على باب داره مغشيا عليه فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فعندها اقبل إلى الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الأرض إلى آخر السورة فاعقم الله تعالى اصلاب الرجال وارحام النساء ولبثوا اربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت اموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم إنه كان غفارا الآيات فاعذر اليهم وانذر فلم يزدادوا إلا كفرا فلما يئس منهم اقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية يعنون آلهتهم حتى غرقهم الله وآلهتهم التي كانوا يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الاصنام سموا اصنامهم باسماء اصنام قوم نوح فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعوق واهل دومة الجندل صنما سموه ودا واتخذت حمير صنما سمته نسرا وهذيل صنما سموه سواعا فلم يزالوا يعبدونها حتى جاء الإسلام وسنذكر قصة السفينة والغرق في سورة هود إن شاء الله تعالى وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه عن علي بن احمد بن موسى قال حدثنا محمد بن ابي عبد الله الكوفي قال حدثنا سهل بن زياد الادمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال سمعت علي بن محمد (ع) يقول عاش نوح (ع) الفين وخمسمائة سنة وكان يوما في السفينة نائما فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث وزجرهما سام ونهاهم عن الضحك وكان كلما غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح فرآهم يضحكون فقال ما هذا فأخبره سام بما كان فرفع نوح يده إلى السماء يدعو فقال اللهم غيّر ماء صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبيهما فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقلاب ويأجوج ومأجوج والصين من يافث وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح لحام ويافث جعل الله ذريتكما خولا لذرية سام إلى يوم القيامة لانه برّ بي وعققتماني فلا زالت سمة عقوقكما لي في ذريتكما ظاهرة وسمة البر بي في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ذكر يافث في هذا الخبر غريب لم اروه إلا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وحده وأنه ضحك لما انكشفت عورة ابيه وان ساما ويافث كانا في ناحية فبلغهما ما صنع فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان والقيا عليه الثوب وهو نائم فلما استيقظ اوحي الله عز وجل اليه الذي صنع حام فلعن حاما ودعا عليه وروى ابراهيم بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال عاش نوح الفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين قبل أن يبعث والف سنة إلا خمسين عاما وهو في قومه يدعوهم ومأتي عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار واسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فرد عليه نوح وقال له ما جاء بك ياملك الموت فقال جئتك لأقبض روحك فقال له تدعني اتحول من الشمس إلى الظل فقال له نعم قال فتحول نوح ثم قال له ياملك الموت كأن ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما امرت به قال فقبض روحه (ع)

قوله تعالى (٦٥) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٦) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(٦٧) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (٦٨) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٩) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ ٱللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٠) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (٧١) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ ٱللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ (٧٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ (ثماني آيات)

﴿ اللغة ﴾

السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه إذا كان خفيفا قال مؤرج السفاهة الجنون بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب أن العجب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يعجب منها وليس كذلك العجب بفتح العين والجيم لانه قد يكون حسنا وفي المثل لا خير فيمن لا يتعجب من العجب وارذل منه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة وهو الكائن بدل غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجائز أن يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآلاء النعم وفي واحدها اربع لغات إلى مثل معي وإلى مثل قفا وألى مثل رمي وإلى مثل حسي قال الاعشى

ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى

وروي ألى ايضا وقيل انه اراد بقوله إلا إلاً بالتشديد فخففه وهو العهد والقرابة والوقوع والسقوط والنزول نظائر والرجس العذاب وقيل الرجس الرجز قلبت الزاي سينا كما قلبت السين تاء في قول الشاعر

الا لحى الله بني السعلات عمر بن يربوع شرار النات

اي الناس «ليسوا باعفاف ولا اكيات» يريد اكياس

﴿ الاعراب ﴾

انتصب اخاهم هودا بقوله ارسلنا في اول الكلام لأن تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وارسلنا إلى عاد اخاهم هودا وصرف هود لخفته كما صرفت جمل لخفتها ياقوم موضع قومي نصب لانه نداء مضاف ولو وصفته لم يجز في صفته إلا النصب قوله ولكني رسول استدرك بلكن لأن فيه معنى ما دعاني إلى امركم السفه ولكن دعاني اليه اني رسول

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود فقال (وإلى عاد) وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح (أخاهم) يعني في النسب لا في الدين (هودا) وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح (ع) عن محمد بن اسحاق وقيل هو هود بن عبد الله بن رباح بن جلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح

عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وإنما قال أخاهم لانه ابلغ في الحجة عليهم لإذا اختار للرسالة اليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا اليه اسكن وبه آنس وعنه افهم (قال) هود (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) قد مر تفسيره (افلا تتقون) استفهام يراد به التقرير (قال الملأ الذين كفروا من قومه قد مر تفسيره (إنا لنراك) ياهود (في سفاهة) اي جهالة ومعناه نراك سفيها إلا انه قال في سفاهة على جهة المبالغة أي نراك منغمسا في سفاهة (وإنا لنظنك من الكاذبين) اي كذبوه ظانين لامتيقنين عن الحسن والزجاج وقيل إن المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

ومعناه ايقنوا (قال) هود (يا قوم ليس بي سفاهة) أي لم يحملني على هذا الاخبار السفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) هذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفي ما اضيف اليه عن النفس (ابلغكم رسالات ربي) اي نبوات ربي إنما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لأن الرسالة متضمنة لاشياء كثيرة من الامر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فأتى بلفظ يدل عليها وإذا قال رسالة ربي بلفظ الواحد اتى بلفظة مشتملة على هذه الاشياء بطريق الاجمال (وأنا لكم ناصح) فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده (أمين) اي ثقة مأمون في تأدية الرسالة فلا اكذب ولا اغير عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأمونا فيكم فكيف تكذبونني عن الكلبي (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) أي لا عجب في أن جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان (على رجل منكم) في النسب نشأ بينكم وقيل إن معناه كيف تتعجبون من بعثة رجل منكم ولا تتعجبون من عبادة حجر (لينذركم) ليخوفكم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) معناه واذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكم سكان الأرض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالعصيان (وزادكم في الخلق بسطة) أي طولا وقوة عن ابن عباس وجماعة قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وقيل كان اقصرهم اثني عشر ذراعا وقال ابو جعفر الباقر «ع» كانوا كأنهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيديه فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزاد في خلقكم بسطة فكانوا اطول من غيرهم بمقدار أن يمد الإنسان يده فوق رأسه باسطا (فاذكروا آلاء الله) أي نعم الله (لعلكم تفلحون) أي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة (قالوا اجئتنا) ياهود (لنعبد الله وحده ونذر) عبادة (ما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في انك رسول الله الينا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الاصنام (قال) هود لقومه جوابا عما قالوه (قد وقع عليكم) أي وجب عليكم وحل بكم لا محالة فهو كالواقع (من ربكم رجس) أي عذاب (وغضب) والغضب من الله ارادة العذاب بمستحقيه ومثله السخط (اتجادلونني) اي اتناظرونني وتخاصمونني (في اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أي في اصنام صنعتموها أنتم وآباؤكم واخترعتم لها اسماء سميتموها آلهة وما فيها من معنى الإلهية شيء وقيل معناه تسميتهم لبعضها انه يسقيهم المطر ولآخر انه يأتيهم بالرزق ولآخر انه يشفي المرضى ولآخر انه يصحبهم في السفر (ما نزل الله بها من سلطان) أي حجة وبرهان وبينة وعليكم البينة بما ادعيتم وسميتم وليس علي أن آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعلي أن آتيكم بسلطان مبين إن الله تعالى هو المعبود

ولا معبود سواه واني رسوله (فانتظروا) عذاب الله فإنه نازل بكم (إني معكم من المنتظرين) لنزوله بكم عن الحسن والجبائي والمفسرين (فأنجيناه والذين معه برحمة منا) أي فخلصنا هودا والذين كانوا آمنوا معه من العذاب باخراجنا اياهم من بينهم قبل انزال العذاب بهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) اي واستأصلنا الذين كذبوا بحججنا بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية (وما كانوا مؤمنين) بالله ورسوله وإنما قال ذلك ليبين انه كان المعلوم من حالهم انه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استؤصلوا فلا عقب لهم

قصة هود

جملة ما ذكره السدي ومحمد بن اسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشحر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان الى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب اصنام يعبدونها فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد التجؤا الى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت امه من عاد فبعث عاد وفدا الى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي استحي ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه وشكا ذلك الى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهيم	لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي أرض عاد إن عادا	قد امسوا ما يبينون الكلاما
وان الوحش تأتيهم جهاراً	ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم	نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم	ولا لُقُّوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن بهود سرا والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فقال يا إلهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سحابا ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة الى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل

بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما اي دائمة فلم تدع من عاد احداً الا اهلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ النفوس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة فأهلكتهم وروى ابو حمزة الثمالي عن سالم عن ابي جعفر (ع) قال ان الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذرت مابين السماء والأرض ماارسل على قوم عاد الا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب واسماعيل ونبينا صلى الله عليه وآله يتكلمون بالعربية

قوله تعالى (٧٣) وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٤) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٦) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٧) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٨) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٩) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (سبع آيات)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده وقال الملأ باثبات الواو والباقون بغير الواو

الحجة

قد تقدم القول في نحو هذا الواو وان اثباتها حسن وحذفها حسن

اللغة

البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة اصلها من التوطئة والتذليل يقال بعير منوق اي مذلل موطأ وتنوق في العمل جوّده والآية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوئة التمكين من المنازل يقال بوأته منزلا اذا مكنته منه ليأوي اليه وأصله من الرجوع قال الشاعر

وبوئت في صميم معشرها فتم في قومها مبوّأها

اي انزلت ومكنت والقصور جمع قصر وهو الدار التي لها سور يكون به مقصورة وأصله القصر الذي هو الجعل على منزلة دون منزلة ومنه القصير لأنه دون غيره والقصر الغاية يقال قصرك الموت لأنه قصر عليه والعثي الفساد يقال عثى يعثي وعاث يعيث بمعنى والعقر الجرح الذي يأتي على اصل النفس وهو من عقر

الحوض أصله قال امرؤ القيس ﴿ بإزاء الحوض او عقره ﴾ والعتو تجاوز الحد في الفساد والرجف الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفا اذا اضطرب من تحتهم وارجف الناس بالشيء اذا خاضوا فيه واضطربوا والجثوم البروك على الركبة يقال جثم يجثم جثوما قال جرير

عرفت المتأي وعرفت منها ، مطايا القدر كالحدأ الجثوم

﴿ الإعراب ﴾

ثمود جاء مصروفا وغير مصروف فمن صرفه فعلى انه اسم الحي مذكر ومن ترك صرفه فعلى انه اسم القبيلة كما قال الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود فصرف الأول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لأن معنى قوله هذه ناقة الله أنظروا الى هذه الناقة آية اي علامة وتأكل في موضع نصب على الحال اي آكلة ومفسدين ايضا نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم موضعه نصب بدل من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل الا أنه أعيد فيه حرف الجر وقوله ياصالح ائتنا ان وصلته همزته وان ابتدأت به لم تهمز بل تقول إيتنا وانما كان كذلك لأن أصله أئتنا بهمزتين فكرهوا اجتماعها فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها واذا وصل تسقط همزة الوصل فتظهر همزة الأصل

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم قصة صالح فقال (والى ثمود أخاهم صالحا) اي وارسلنا الى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وصالح من ولد ثمود قال (يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من إله غيره) فتعبدوه (قد جاءتكم بينة من ربكم) اي دلالة معجزة شاهدة على صدقي (هذه ناقة الله لكم آية) اشار الى ناقة بعينها أضافها الى الله سبحانه تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله وقيل انما اضافها اليه لأنها خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لأنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن اسحاق وجماعة وقيل انما اضافها الى الله لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها انها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه (فذروها) اي اتركوها (تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء) اي بعقر او نحر (فيأخذكم) اي ينالكم (عذاب اليم) اي مؤلم (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) اي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في ان اورثكم الأرض ومكنكم فيها من بعد عاد (وبوأكم في الأرض) اي انزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا تأوون اليها (وتتخذون من سهولها قصورا) والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس اي تبنون في سهولها الدور والقصور وانما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها (وتنحتون الجبال بيوتا) قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وادفأ ويروى انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحتوا بيوتا في الجبال لأن السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم (فاذكروا آلاء الله) اي نعم الله عليكم بما اعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الأرض (ولا تعثوا في الارض مفسدين) اي ولا تضطربوا بالفساد في الارض ولا تبالغوا فيه (قال الملأ الذين استكبروا) اي تعظموا

ورفعوا انفسهم فوق مقدارها بجحود الحق للانفة من اتباع الرسول الداعي اليه (من قومه) اي من قوم صالح (للذين استضعفوا) اي للذين استضعفوهم من المؤمنين (لمن آمن منهم) انما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين انهم كانوا غير مؤمنين لأنه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فأزال الله سبحانه هذه الشبهة (اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) اي هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) اي مصدقون (قال الذين استكبروا) لهم حين سمعوا منهم الإيمان والاعتراف بنبوة صالح (انا بالذي آمنتم به) اي صدقتم به (كافرون) جاحدون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله (فعقروا الناقة) اي فنحروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقراً لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره (وعتوا عن امر ربهم) اي تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها (ان كنت من المرسلين)ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله (فأخذتهم الرجفة) اي الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن ابي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الأرض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة (فأصبحوا في دارهم) اي في بلدهم ولذلك وحد وقيل يريد في دورهم وانما وحد لأنه اراد الجنس كقوله ان الإنسان لفي خسر وقد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع (جاثمين) اي صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لأنهم احترقوا بالصاعقة (فتولى عنهم) صالح اي اعرض عنهم لأنه انما كان يقبل عليهم لدعائهم الى الإيمان (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) اي أديت النصح في تبليغ الرسالة(ولكن لا تحبون الناصحين)اي ولكنكم لا تحبون من ينصح لكم لأن من أحب انسانا قبل منه

قصة صالح

وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ أن عادا لما اهلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فكثروا وعمروا وكانوا في سعة من معايشهم فعتوا على الله وافسدوا في الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكان من اوسطهم نسبا وكانوا قوما عربا وروي في الخبر انه لما بعث كان ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير وكان لهم سبعون صنما يعبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين إن شئتم فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألون وإن شئتم سألت آلهتكم فإن اجابوني خرجت عنكم فقد شنئتكم وشنئتموني قالوا قد انصفت فاتعدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم إلى عيدهم وأكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا أرى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة وأشاروا إلى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الإبل فإن فعلت صدقناك وآمنا بك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن أكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينا ذلك قبل فإذا كان يومها وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع رأسها فتفحج

لهم فيحتلبون ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا أوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت اثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على ان تصدر من حيث ترد لانه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر عنها لعظمها فهموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وامرأة اخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت له اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر واجمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره اوحى الله تعالى إلى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح انه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فأبى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان العاشر ازرق احمر ونبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتلهم ابناءهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يعلمون انا قد خرجنا الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم في القرية ويبيت في مسجد يقال له مسجد صالح فإذا اصبح أتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا الغار وأرادوا ان يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم فإذا هم رضخ فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية اي عباد الله أما رضي صالح ان امرهم بقتل اولادهم اذ قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحاق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امرأة يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثموداً فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها اقبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكاء إن اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما إن ملكاء حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما اتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار ومصدع واصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت لقدار ثم

زمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة وتحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج اهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما رأى الفصيل ما فعل بأمه ولى هاربا حتى صعد جبلا ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم واقبل صالح فخرجوا يعتذرون اليه إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فإن ادركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة أيام فإن العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان اول يوم اصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاء كما قال لكم صالح ولما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرائيل (ع) فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا أن العذاب نازل بهم فماتوا اجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئا يتنفس إلا اهلكه فاصبحوا في ديارهم موتى ثم ارسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم اجمعين فهذه قصتهم وفي كتاب علي بن ابراهيم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي باسناده مرفوعا عن النبي (ص) قال يا علي اتدري من اشقى الاولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك وفي رواية اخرى قال اشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه وروى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي (ص) بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ان يصيبكم الذي اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج تشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها فأهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وحثوا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه واسرع السير حتى جاز الوادي

قوله تعالى (٨٠) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨١) أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨٢) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٣) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٤) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة وحفص وسهل هنا انكم لتأتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الأول عن الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي الا في قصة لوط والباقون بهمزتين الثانية مكسورة وحققها اهل الكوفة الا ان حفصا يفصل بينهما بألف وابن كثير وابو عمرو ورويس يحققون الأولى ويلينون الثانية الا ان ابا عمرو يفصل بينهما بالألف

الحجة

قال ابوعلي كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج في تمامها الى شئ فمن ألحق حرف الاستفهام جملة نقلها بـه من الخبر الى الاستخبار ومن لم يلحقها بقاها على الخبر فإذا كان كذلك فمن قرأ انكم لتأتون الرجال جعله تفسيرا للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الأنثيين تفسير للوصية

اللغة

قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لأن العجمي لا يشتق من العربي وإنما قال ذلك لأنه لم يوجد الا علما في اسماء الانبياء وقيل انه مشتق من لطت الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا الوط بقلبي من ذاك اي الصق والليطة القشر للصوقه بما اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالإرادة لأنها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى والإرادة من فعلنا يقال شهيت اشهى شهوة قال

واشعث يشهى النوم قلت له ارتحل ... اذا ما النجوم اعرضت واسبكرت
فقام يجر البرد لو ان نفسه ... يقال له خذها بكفيك خرت

والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي قال الاعشى

عض بما ابقى المواسي له ... من أمه في الزمن الغابر

الاعراب

انما صرف لوطا لخفته بكونه على ثلاثة احرف ساكن الاوسط فقاومت الخفة احد السببين ويجوز في قوله جواب قومه الرفع الا ان الاجود النصب وعليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال وقوله الا امرأته استثناء متصل لأنه يجوز ان تدخل الزوجة في الأهل على التغليب في الجملة دون التفصيل ولم يقل من الغابرات لأنه اراد انها ممن بقيت مع الرجال ومطرا مصدر ذكر للتأكيد كقوله ضربه ضربا

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولوطا) اي وارسلنا لوطا وقيل ان تقديره واذكر لوطا قال الاخفش يحتمل المعنيين جميعا ههنا ولم يحتمل في قصة عاد وثمود الا ارسلنا لأن فيها ذكر الى وهو لوط ابن هاران بن تارخ بن اخي ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل انه كان ابن خالة ابراهيم وكانت سارة امرأة ابراهيم اخت لوط (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) اي السيئة العظيمة القبح يعني اتيان الرجال في ادبارهم (ما سبقكم بها من احد من العالمين) قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمر وبن دينار قال الحسن وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) معناه أتأتون

الرجال في ادبارهم اشتهاء منكم اي تشتهونهم فتأتونهم وتتركون اتيان النساء اللاتي أباحها الله لكم (بل انتم قوم مسرفون) اي متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد ومستوفون جميع المعايب اتيان الذكران وغيره (وما كان جواب قومه) اي لم يجيبوه عما قال (الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم) قابلوا النصح والوعظ بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطا ومن آمن به من بلدتكم والمراد بالقرية البلدة كما قال ابو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن البصري والحجاج يريد بالقروي من يسكن المدن (انهم اناس يتطهرون) اي يتحرجون عن ادبار الرجال فعابوهم بما يجب ان يمدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه يتنزهون عن افعالكم وطرائقكم (فأنجيناه) اي فخلصنا لوطا من الهلاك (واهله) المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة (الا امرأته كانت من الغابرين) اي من الباقين في قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لأنها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقيل معناه كانت من الباقين في عذاب الله عن الحسن وقتادة (وامطرنا عليهم مطرا) اي ارسلنا عليهم الحجارة كالمطر كما قال في آية أخرى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) معناه تفكروا وانظر بعين العقل كيف كان مآل أمر المقترفين للسيئات والمنقطعين اليها وعاقبة فعلهم من عذاب الدنيا بالاستئصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار

قصة لوط مع قومه

وجملة امرهم فيما روي عن ابي حمزة الثمالي وابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام أن لوطا لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلا فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء اشحاء على الطعام فأعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك انهم كانوا على طريق السيارة إلى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه وإنما فعلوا ذلك لتنكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك فأوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخيا كريما يقري الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفا جاء ينزل بك فإنك إن فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله اليهم جبرائيل (ع) في نفر من الملائكة فأقبلوا إلى ابراهيم قبل لوط فلما رآهم ابراهيم ذبح عجلا سمينا فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا يا ابراهيم إنا رسل ربك ونحن لا نأكل الطعام إنا أرسلنا إلى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال من انتم قالوا نحن ابناء السبيل اضفنا الليلة فقال لوط إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في ادبارهم ويأخذون أموالهم قالوا قد أبطأنا فأضفنا فجاء لوط إلى اهله وكانت امرأته كافرة فقال قد أتاني أضياف في هذه الليلة فاكتمي أمرهم قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها انه إذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرائيل (ع) والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فأوقدت نارا فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون اليه أي يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب جبرائيل (ع) بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد أتاهم العذاب فقال جبرائيل عليه السلام يا لوط اخرج من

بينهم أنت وأهلك إلا امرأتك فقال كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عمودا من نور وقال اتبع هذا العامود ولا يلتفت منكم احد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرائيل بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الأرضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها وذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلكت امرأته بأن ارسل الله عليها صخرة فقتلتها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وأمطرت الحجارة على الغائبين فاهلكوا بها وقال الكلبي أول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لأن بلادهم اخصبت فانتجعها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعاهم إلى دبره فنكح في دبره ثم عتوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الأرض إلى ربها فسمعت السماء فعجت إلى ربها فسمع العرش فعج إلى ربه فأمر الله السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم

قوله تعالى (٨٥) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٦) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٧) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (ثلاث آيات)

اللغة

الإيفاء اتمام الشيء الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل بـه والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذراع او ما زاد عليه او نقص والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء الى حد لا ينتفع به بدلا من حال ينتفع بها وضده الإصلاح والصد الصرف عن الفعل بالاغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة يقال صده عن الأمر يصده اي منعه العوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين في العود وكل ما يرى كالحائط وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف مأخوذة من انها تجتمع على الطواف

الاعراب

مدين اسم للمدينة أو القبيلة لا ينصرف للتعريف والتأنيث وجائز أن يكون اعجميا عن الزجاج بكل صراط يعني على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف الثلاثة هنا الباء وعلى وفي تقول لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لانه اجتمع معاني الأحرف الثلاثة فيه فإن الباء للإلصاق وهو قد لاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا المكان وفي للمحل وقد حل المكان ومن امن في موضع نصب بأنه مفعول بـه أي وتصدون المؤمنين بالله وإنما قال فاصبروا فجعل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لأن المعنى فسيقع

جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب كأنه قال فأنتم مصبرون على حكم الله بذلك

❊ المعنى ❊

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شعيب فقال (وإلى مدين) أي وأرسلنا إلى مدين (اخاهم شعيبا) وقيل إن مدين ابن ابراهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن توبة بن مدين بن ابراهيم وقال قتادة هو شعيب بن نويب قال ابن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشحب بن مدين بن ابراهيم وأم ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وهم اصحاب الأيكة وقال قتادة ارسل شعيب مرتين إلى مدين مرة والى اصحاب الأيكة مرة (فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) قد مر تفسيره (فأوفوا الكيل والميزان) أي اتوا ما تكيلونه على الناس بالمكيال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادوا حقوق الناس على التمام في المعاملات (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) أي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخس (ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها) يعني لا تعملوا في الأرض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد أن اصلحها الله بالأمر والنهي وبعثة الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل (ذلكم) الذي امرتكم به (خير لكم) وأعود عليكم (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بالله وإنما علق خيريته بالايمان وان كان هو خيرا على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمنا بالله وعارفا بنبيه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له فكأنه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم ويمكن أن يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل والوزن إلا بعد أن تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لأن الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن وهو غلط لأنه لايجوز ان يخلي الله تعالى نبيا عن معجزة هذا وقد قال سبحانه قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا فجاء بالفاء جوابا للجزاء ويجوز أن يكون له معجزات وان لم تذكر في القرآن كما أن أكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكورة في القرآن ولم يوجب ذلك نفيها (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل في معناه أقوال ❊ احدها ❊ أنهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا للايمان به فيخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد ❊ وثانيها ❊ أنهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عن ابي هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويمكن أن يكونا أرادا به انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع الى معنى القول الأول ❊ وثالثها ❊ أن المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج بايراد الشبه وتقولون لشعيب انه كذاب فلا يفتننكم عن الدين وتتوعدونه (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) أي تمنعون عن دين الله من أراد أن يؤمن به من الناس (وتبغونها عوجا) الهاء راجعة الى السبيل أي تبغون السبيل عوجا عن الحق وهو أن تقولوا هذا كذب وهذا باطل وما اشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتمسون لها الزيغ عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والعدول عن القصد عن الزجاج (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) اي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك أن مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها قال الزجاج وجائز أن يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد أن كنتم فقراء وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة واقدار فكثرهم وجائز أن يكون عددهم قليلا فكثرهم (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعني فكروا في عواقب امر عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستئصال شافتهم وما حل بهم من البوار (وان كان طائفة) اي جماعة (منكم آمنوا بالذي ارسلت به) اي صدقوني في رسالتي وقبلوا قولي (وطائفة لم يؤمنوا) لم يصدقوني (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) خاطب الطائفتين ومعناه لا يغرنكم تفرق الناس عني فإن جميل العاقبة لي وسيجزي الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا او الآخرة

دون الدنيا (وهو خير الحاكمين) لانه لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البلخي أمرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والإيعاد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يأمرهم بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفر ومعصية كما يذهب اليه بعض أهل النظر

قوله تعالى (٨٤) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٥) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ (آيتان)

اللغة

العود الرجوع وهو مصير الشيء إلى حال كان عليها ومنه اعادة الله الخلق وتستعمل لفظة الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة يقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وتأويله انه قد لحقني منه مكروه وقال الشاعر

لأن كانت الأيام احسن مرة إلي فقد عادت لهن ذنوب

الافتراء مشتق من فري الاديم وهو مثل الاختلاف والافتعال والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والأصل فيه تكرار الأمر من قولهم طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الخبزة حتى تنضج لتكرر الحمي عليها والفتح الحكم والفاتح والفتاح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي انغلق على غيره وفاتحته في كذا اي قاضيته قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت انطلق افاتحك إلى القاضي أي احاكمك اليه

المعنى

ثم اخبر سبحانه عما دار بينه وبين قومه فقال (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) اي رفعوا انفسهم فوق مقدارها (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) أي نخرجنك وأتباعك من المؤمنين بك من بلدتنا التي هي وطنك ومستقرك (أولتعودن في ملتنا) أو لترجعن إلى ملتنا التي كنا عليها لانه كان عندهم وفي ظنهم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان عليه السلام يخفي دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا به قومه فادخلوه معهم في الخطاب ويحتمل أن يكون المراد به او لتدخلن في ديننا وطريقتنا لأن العود يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومثله قول الشاعر

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وحقيقة المعنى انا لا نمكنك من المقام في بلدنا وأنت على غير ملتنا فإما أن تخرج من بلدتنا او تدخل في ملتنا (قال أولو كنا كارهين) أي قال شعيب لهم اتعيدوننا في ملتكم وتردوننا اليها واو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى إنا مع كراهتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع فأدخل همزة الاستفهام على ولو وقيل معنى انكم

لا تقدرون على ردنا إلى دينكم على كره منا فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) أي إن عدنا في ملتكم بأن نحل ما تحلونه ونحرم ما تحرمونه وننسبه إلى الله تعالى بعد إذ نجانا الله تعالى منها بأن أقام الدليل والحجة على بطلانها واوضح الحق لنا فقد اختلقنا على الله كذبا فيما دعوناكم اليه (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) قيل في معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه وفي شريعتهم اشياء يجوز أن يتعبد الله تعالى بها فكأنه قال ليس لنا أن نعود في ملتكم إلا أن يشاء الله ان يتعبدنا بها وينقلنا اليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي ﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه علق ما لا يكون بما علم انه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقول الشاعر

إذا شاب الغراب أتيت اهلي ... وصار القار كاللبن الحليب

فيكون المعنى كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبائح لأن ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب ﴿ وثالثها ﴾ أن المراد إلا أن يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود إلى اظهارها مكرهين ويقوي هذا قوله أو لو كنا كارهين ﴿ ورابعها ﴾ أن تعود الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما ان ذكر الملة تقدم فيكون تحقيق الكلام إنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها ﴿ وخامسها ﴾ ان يكون المعنى إلا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لأنه لما قال حاكيا عنهم او لتعودن في ملتنا كان معناه او لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فإن قيل فكأن الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا انه إنما شاءه بأن يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشأ على كل حال اذ لو شاءه على كل حال لما جاز الا يقع منهم ذلك فكأنه قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبدا الا ان يشاء الله ان يلجئكم إلى الايمان والاجتماع معنا على ملتنا (وسع ربنا كل شيء علما) انتصب علما على التمييز وتقديره وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل الى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الملة انما يتعبد بها على حسب ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى انه سبحانه أحاط علمه بكل شيء فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتعبدنا به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون منا من عود او ترك (على الله توكلنا) في الانتصار منكم وفي كل أمورنا (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) هذا سؤال من شعيب ورغبة منه الى الله في أن يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه سبحانه وان كان من المعلوم ان الله سيفعله لا محالة وقيل ان معناه اكشف بيننا وبين قومنا وبين أينا على حق وهذا استعجال منه للنصر (وأنت خير الفاتحين) اي خير الحاكمين والفاصلين

قوله تعالى (٩٠) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٩١) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٢) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٣) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (أربع آيات)

— اللغة —

غني بالمكان يغنى غنا وغنيانا أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغاني المنازل واصل الباب الغنى قال حاتم طي:

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا ازرى بأحسابنا الفقر

والاسى شدة الحزن يقول اسي يأسى اسا وقال (يقولون لا تهلك اسى وتجمل)

﴿ الاعراب ﴾

إنكم إذا لخاسرون جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط من قوله لئن و إذا هاهنا ملغاة لانها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا شعيبا الاول في موضع رفع بالابتداء وخبره كأن لم يغنوا فيها وإنما أعيد مرة ثانية من غير كناية لتغليظ الامر في تكذيبهم شعيبا مع البيان انهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبوه إلى ذلك من اهل الايمان وهم في قوله هم الخاسرون فصل وإنما دخل الفصل مع أن المضمر لا يوصف لأنه يحتاج فيه إلى التوكيد ليتمكن معناه في النفس وان الذي بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك من معنى الخبر وان كان الاصل في الخبر النكرة

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى الله سبحانه ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات الله فقال (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أي من قوم شعيب للباقين منهم (لئن اتبعتم شعيبا) في دينه وتركتم دينكم انقيادا لأمره ونهيه لأن الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما دعا اليه (انكم إذا لخاسرون) والخسران ذهاب رأس المال فكأنهم قالوا إن اتبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب رأس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون (فأخذتهم الرجفة) أي فأخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل ارسل الله عليهم رمدة وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحر فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن ابي عبد الله (ع) وقيل إنه كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة (فأصبحوا في دارهم) أي منازلهم (جاثمين) أي ميتين ملقين على وجوههم (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) أي كأنهم لم يقيموا بها قط لان المهلك يصير كأن لم يكن وقيل كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كأن لم يعمروا فيها عن ابن عباس (الذين كذبوا شعيبا) عاد اللفظ تأكيدا وتغليظا (كانوا هم الخاسرين) من معناه بين سبحانه انهم الخاسرون دون من آمن به (فتولى عنهم) شعيب اي اعرض عنهم لما رأى اقبال العذاب عليهم اعراض الآيس منهم (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي) فيما امرني فلم تؤمنوا (ونصحت لكم) فلم تقبلوا ومعناه ان ما نزل بكم من البلاء وإن كان عظيما فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم على انفسكم (فكيف آسى) أي فكيف احزن (على قوم كافرين) حل العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وإن كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي لأن جوابه في هذا الموضع لا يصح إلا بالنفي وإنما يدخله معنى الانكار ايضا لهذه العلة وهذا كما قال العجاج «اطربا وانت قنسري» وهذا تسل من شعيب بما يذكر من حاله معهم في مناصحته لهم وتأديته رسالة ربه

اليهم وانه لا ينبغي أن يأسى عليهم مع تمردهم في كفرهم وشدة عتوهم قال البلخي وفي هذا دلالة على انه لا يجوز للمسلم أن يدعو للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين

قوله تعالى (٩٤) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٥) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (آيتان)

[اللغة]

التبديل وضع احد الشيئين مكان الآخر واصل العفو الترك من قوله فمن عفي له من اخيه شيء فمعنى قوله عفوا تركوا حتى كثروا قال

ولكنا نعض السيف منها ... باسوق عافيات اللحم كوم

والبغتة الفجأة وهي الأخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته يبغته بغتا وبغتة قال « وانكأ شيء حين يفجأك البغت »

الإعراب

اصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء في الضاد ولا يدغم الضاد في التاء لأن في الضاد استطالة وإنما يدغم الناقص في الزائد ولايدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الإخلال به وهو في موضع رفع بأنه خبر لعل وبغتة مصدر وضع موضع الحال

المعنى

ثم ذكر سبحانه بعد ما اقتص من قصص الانبياء وتكذيب اممهم اياهم وما نزل بهم من العذاب سنة في امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله فقال (وما ارسلنا في قرية) من القرى التي اهلكناها بالعذاب وقيل في سائر القرى عن الجبائي (من نبي) وهو من يؤدي عنا بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة عليهم (إلا اخذنا اهلها) يعني اهل تلك القرية (بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) اي ليتنبهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويتضرعوا يتوبوا عن شركهم ومخالفتهم ويعني بالبأساء ما نالهم من الشدة في انفسهم وبالضراء ما نالهم في اموالهم وقيل ان البأساء الجوع والضراء الامراض والشدائد عن الحسن وقيل ان البأساء الجوع والضراء الفقر عن السدي (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي رفعنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسميت سيئة لانها تسوء صاحبها قال الجبائي جرى في هذا الموضع على سبيل التوسع والمجاز (حتى عفوا) أي كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل سمنوا عن الحسن وقيل اعرضوا عن الشكر عن ابي مسلم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي قال بعضهم لبعض هكذا عادة الدهر فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم كذلك فلم ينتقلوا عن حالهم فتنتقلوا (فأخذناهم بغتة) اي فجأة عبرة لمن بعدهم (وهم لا يشعرون) اي لم يعلموا ان العذاب نازل بهم إلا بعد حلوله وحقيقة المعنى في الآية انه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه بأن يأخذهم تارة بالشدة وتارة بالرخاء فإذا افسدوا على الأمرين جميعا اخذهم فجأة ليكون ذلك اعظم في الحسرة وابلغ في العقوبة نعوذ بالله من سخطه

قوله تعالى (٩٦) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٧) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا

وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٨) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٩) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (أربع آيات)

القراءة

أو أمن بفتح الواو عن ابي و ابن فليح والباقون أو أمن بسكون الواو إلا ان ورشا قرأه على أصله في القاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فقال أو أمن

— الحجة —

قال ابو علي اوحرف استعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بمعنى احد الشيئين او الأشياء في الخبر والاستفهام ﴿ والآخر ﴾ ان يكون للاضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام كما ان أم المنقطعة في الاستفهام والخبر كذلك فأما التي تكون لأحد الشيئين او الاشياء فمثاله في الخبر زيد اوعمرو ضربته وجاء زيد اوعمرو كما تقول احدهما جاء واحدهما ضربته وهي إذا كانت للاباحة كذلك ايضا وهو قوله جالس الحسن او ابن سيرين واما او التي تجيء للاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك انا اخرج ثم تقول او اقيم اضربت عن الخروج واثبت الاقامة كأنك قلت لا بل اقيم كما انك في قولك انها لابل أم شاء مضرب عن الأول ولا يقع بعداوهذه الاجملة ومن ثم قال سيبويه في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا انك لو قلت او لا تطع كفورا انقلب المعنى و إنما كان ينقلب المعنى لأنه إذا قال لا تطع منهم آثما او كفورا فكأنه قال لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء فإنما لزمه ان لا يطيع واحدا منهما لأن كل واحد منهما في معنى الآخر في وجوب ترك الطاعة له كما جاز له أن يجمع بين مجالسة الحسن وابن سيرين لأن كل واحد منهما اهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منهما كمجالسة الآخر ولو قال ولا تطع منهم آثما او لا تطع كفورا كان بقوله او لا تطع قد اضرب عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطيعه وفي جواز ذلك انقلاب المعنى ووجه قراءة من قرأ او أمن انه جعل او للاضراب لا على انه ابطل الاول ولكن كقوله الم تنزيل الكتاب ثم قال أم يقولون افتراه فجاء هذا ليبصروا ضلالتهم فكان المعنى او أمنوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ لهم و إن شئت جعلته او التي في قولك ضربت زيدا او عمرا كأنك اردت أفأمنوا إحدى هذه العقوبات ووجه قراءة من قرأ او أمن انه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل في نحو قوله أثم إذا ما وقع وقوله اوكلما عاهدوا عهدا ومن حجة من قرأ ذلك انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله أفأمن اهل القرى وبعده أفأمنوا مكر الله أولم يهد للذين يرثون الارض فكما ان هذه الاشياء عطف حرف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك يكون او أمن

اللغة

• البركات الخيرات النامية واصله الثبوت والامن والثقة والطمأنينة نظاير في اللغة وضد الأمن الخوف وضد الثقة الريبة وضد الطمأنينة الانزعاج والامن الثقة بالسلامة من الخوف والبأس العذاب والبؤس الفقر والاصل الشدة ورجل بئيس شديد في القتال والنوم نقيض اليقظة وهو سهو يغمر القلب ويغشى العين ويضعف الحس وينافي العلم يقال نام الرجل ينام نوما وهو حسن النيمة إذا كان حسن هيئة النوم ورجل نومة بسكون الواو إذا كان خسيسا لا يؤبه به ورجل نومه بفتح الواو إذا كان كثير النوم والنيم الفرو لأن من شأنه ان ينام فيه او لأنه يغشى كما يغشى النوم والضحى صدر النهار في وقت انبساط الشمس واصله الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحو ضحوا وضحوا وفعل ذلك الامر ضاحية إذا فعله ظاهرا والأضحية لأنها تذبح عند الضحى يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيال باظهار خلاف الاضمار وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه ساق ممكورة اي ملتفة حسنة

قال ذو الرمة

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب

والمكور شجر ملتف قال «يسقى في علقي وفي مُكُور» فمعنى قولك مكر فلان يمكر مكرا التف تدبيره على مكروه لصاحبه

الاعراب

لو معناه تعليق الثاني بالأول الذي يجب الثاني بوجوبه وينتفي بانتفائه على طريقة كان وان فيها هذا المعنى على طريقة يكون والفرق بينهما ان تعلق الثاني بالأول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك ان آمن هذا الكافر استحق الثواب وهذا مقدور وليس كذلك لو لأنها قد تدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع و إنما فتحت ان بعد لو لأنها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل فإن لو ليس يدخل إلا على الفعل وأن مع اسمها وخبرها في تأويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع ان اهل القرى آمنوا فيكون ان مع ما بعدها في موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو و إنما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله أفأمن او آمن مع ان الاستفهام للاستئناف والعطف بخلافه لأنهما إنما يتنافيان في المفرد لأن الثاني إذا عمل فيه الاول كان من الكلام الاول والاستئناف قد اخرجه من ان يكون منه واما في عطف جملة على جملة فيصح لأنه على استئناف جملة بعد جملة

— المعنى —

ثم بين سبحانه ان كل من اهلكه من الأمم المتقدم ذكرهم إنما أتوا في ذلك من قبل نفوسهم فقال (ولو ان اهل القرى) التي أهلكناها بسبب جحودهم وعنادهم (آمنوا) وصدقوا رسلنا (واتقوا) الشرك والمعاصي (لفتحنا عليهم بركات) أي خيرات نامية (من السماء) بإنزال المطر (و) من (الارض) بإخراج النبات والثمار كما وعد نوح بذلك أمته فقال يرسل السماء عليكم مدرارا الآيات وقيل بركات السماء اجابة الدعاء وبركات الارض تيسير الحوائج (ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عنهم وأخذناهم بالضيق عقوبة لهم على فعلهم (أفأمن أهل القرى) المكذبون لك يا محمد (أن يأتيهم بأسنا) اي عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون) في فرشهم ومنازلهم كما أتى المكذبين قبلهم (او أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) اي عذابنا نهارا عند ارتفاع الشمس (وهم يلعبون) اي وهم في غير ما ينفعهم او يعود عليهم بنفع فإن من اشتغل بدنياه واعرض عن آخرته فهو كاللاعب والمعني بأهل القرى كل اهل قرية يقيم على معاصي الله في كل وقت وزمان وان نزلت بسبب اهل القرى الظالم اهلها المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وآله و إنما خص سبحانه هذين الوقتين لأنه اراد انه لا يجوز لهم ان يأمنوا ليلا ولا نهارا عن الحسن (أفأمنوا مكر الله) اي أفبعد هذا كله أمنوا عذاب الله أن يأتيهم من حيث لا يشعرون عن الجبائي قال دخلت الفاء للتعقيب وسمي العذاب مكرا لنزوله بهم من حيث لا يعلمون كما ان المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه وقيل ان مكر الله استدراجه إياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) يسأل عن هذا فيقال ان الأنبياء والمعصومين أمنوا مكر الله وليسوا بخاسرين وجوابه من وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا يأمن مكر الله من المذنبين إلا القوم الخاسرون بدلالة قوله سبحانه ان المتقين في مقام امين ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه لا يأمن عذاب الله للعصاة إلا الخاسرون والمعصومون لا يأمنون عذاب الله للعصاة ولهذا سلموا من مواقعة الذنوب ﴿ وثالثها ﴾ لا يأمن عقاب الله جهلا بحكمته إلا الخاسرون ومعنى الآية الإبانة عما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله تعالى ليسارع الى طاعته

واجتناب معاصيه ولا يستشعر الأمن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه وآخرته بالتهالك في القبائح

قوله تعالى (١٠٠) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠١) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠٢) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ يعقوب برواية زيد أولم نهد بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرأ ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة والباقون بالياء

الحجة

من قرأ نهد بالنون فإنه للتعظيم وهذا يقوي ان المعنى في قوله أولم يهد بالياء أولم يبين الله سبحانه لهم دون ان يكون المعنى أولم يهد لهم مشيئتنا او اصطلامنا لمن اهلكناه

اللغة

القصص اتباع الحديث الحديث يقال فلان يقص الأثر اي يتبعه ومنه المقص لأنه يتبع في القطع اثر القطع والنبأ الخبر عن امر عظيم الشان ولذلك اخذ منه اسم نبي والوجدان والإلفاء والادراك والمصادفة نظاير

الإعراب

نطبع ليس بمحمول على أصبناهم لأنه لو حمل عليه لكان ولطبعنا ولكنه على الاستئناف اي ونحن نطبع من عهد من هنا للتبعيض لأنه إذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع والاولى ان تكون من مزيدة للتعميم واستغراق الجنس وقيل ان اصلها لابتداء الغاية فدخلت على ابتداء الجنس إلى انتهائه وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ان هذه هي المخففة من الثقيلة و إذا خففت جاز الغاؤها من العمل وان يليها الفعل لانها حينئذ قد صارت خارجة من شبه الفعل

المعنى

ثم انكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من الامم فقال (أولم يهد) وهو استفهام يراد به التقرير اي اولم يبين الله وبالنون اولم نبين عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل معناه اولم يهد ما تلونا من انباء القرى وقيل تقديره اولم يهد لهم مشيئتنا لأن قوله ان لو نشاء اصبناهم في موضع رفع بانه فاعل يهدي (للذين يرثون الارض من بعد اهلها) معناه الذين خلفوا في الارض من بعد اهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم للرسل (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) يعني اولم نبين انا لو شئنا اهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الامم الماضية قبلهم (ونطبع على قلوبهم) قد ذكرنا معنى الطبع والختم في اوائل سورة البقرة (فهم لا يسمعون) الوعظ ولا يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القرى التي ذكرها وقص خبرها فقال (تلك القرى) والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (نقص عليك من انبائها) لتتفكر فيها وتخبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا عن الاصرار على مثل حال اولئك المغترين بطول الإمهال في النعم السابغة والمنن المتظاهرة (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) اي الدلالات والحجج وإنما اضاف الرسل اليهم مع انهم رسل الله لأن المرسل مالك الرسالة وقد ملك العباد الانتفاع بها والاهتداء بما فيها من البيان (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) معناه فما اهلكناهم إلا وقد كان في

معلومنا انهم لا يؤمنون ابدا عن مجاهد قال ويريد بقوله من قبل من قبل الهلاك وهو بمنزلة قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معناه ان عتوهم في كفرهم وتمردهم فيه يحملهم على ان لا يتركوه إلى الايمان فما كانوا ليؤمنوا بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك البينات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به اوائلهم من الامم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) قيل ان الله سبحانه شبه الكفر بالصدأ لانه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان ونور الاسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرآة ولما صاروا عند امر الله لهم بالايمان إلى الكفر جاز ان يضيف الله سبحانه الطبع إلى نفسه كما قال زادتهم رجسا إلى رجسهم وان كانت السورة لم تزدهم ذلك عن جعفر بن حرب والبلخي ووجه التشبيه في الكاف ومعناه ان دلالته على انهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤمنون فكذلك يدل الملائكة بالطبع على انهم لا يؤمنون (وما وجدنا لأكثرهم) أي ما وجدنا لأكثر المهلكين (من عهد) أي من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالعهد وليس بحافظ للعهد ويجوز أن يكون المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبائح ويجوز أن يكون المراد به ما اخذ على المكلفين على السنة الانبياء ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وهو قول الحسن (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) اللام وان للتأكيد والمعنى وإنا وجدنا اكثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد ويسأل فيقال كيف قال اكثرهم وكلهم فسقة وكيف يجوز أن يكون كافر غير فاسق والجواب انه قد يكون الكافر عدلا في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقته فعلى هذا يكون المعنى وان اكثرهم مع كفرهم فاسق في دينه غير لازم لمذهبه ناقض للعهد وقليل الوفاء بالوعد

قوله تعالى (١٠٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٤) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٥) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٦) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٧) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٨) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (ست آيات)

القراءة

قرأ نافع وحده حقيق علي بتشديد الياء والباقون بتخفيف الياء

الحجة

قال ابو علي حجة نافع في قوله حقيق علي واتصاله بعلي من وجهين احدهما أن حق الذي هو فعل يعدى بعلى قال فحق علينا قول ربنا والآخر ان حقيق بمعنى واجب فكما أن وجب يتعدى بعلى كذلك يتعدى حقيق به ومن قرأ حقيق على فجاز تعديته بعلى من الوجهين اللذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا أن يكون على بمعنى الباء قال ابو الحسن كما وقعت الباء في قوله بكل صراط توعدون موقع على كذلك وقعت على هنا موقع الباء

— اللغة —

البعث الإرسال وهو في الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع في المشي فالبعث بعد الموت نقل إلى حال الحياة والبعث للانبياء نقل بالارسال عن حالة إلى حالة النبوة والعصا عود كالقضيب يابس وأصله الامتناع بيبسه يقال عصي بالسيف يعصى إذا امتنع قال جرير

تصف السيوف وغيركم يعصى بها ... يا ابن القيون وذاك فعل الصيقل

ويقال عصا بالسيف أي اخذه اخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل القى عصاه قال

فألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

وليست المعصية بمشتقة من العصا لأن العصا من بنات الواو والمعصية من بنات الياء قال

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه ... على عصويها سابري مشبرق

وأصل القى من اللقاء الذي هو الاتصال فألقى عصاه أي ازال اتصالها عما كان عليه والثعبان الحية الضخمة الطويلة قال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء اثعبه إذا فجرته والمثعب موضع انفجار الماء فسمي الثعبان لأنه يجري كمنق الماء عند الانفجار والنزع ازالة الشيء عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء عن الانسان والنزع والقلع والجذب نظائر

❊ الإعراب ❊

موضع كيف في قوله كيف كان نصب لأنه خبر كان وتقديره انظر أي شيء كان عاقبة المفسدين وموسى على وزن مفعل والميم زائدة لكثرة زيادتها اولا كالهمزة حتى صارت اغلب من زيادة الألف اخيرا وافعى على وزن افعل لهذه العلة وموسى لا ينصرف لأنه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلا لم تصرفه لأنه مؤنث ومعرفة على اكثر من ثلاثة احرف كما لو سميته بعناق لم تصرفه وفرعون على وزن فعلون مثل برذون فالواو زائدة لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة والنون زائدة للزومها وفرعون لا ينصرف لأنه اعجمي معرفة عرب في حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم ولو عرب في حال تنكره لانصرف كما ينصرف ياقوت في اسم رجل، إلا الحق نصب بانه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ، قوله إن كنت جئت بآية قال ابو العباس المبرد ان هنا لم ينقل الماضي الى معنى الاستقبال من أجل قوة كان لأنها أم الأفعال ولا يجوز ذلك في غيرها وقال ابوبكر السراج المعنى ان تكن جئت بآية أي ان صح ذلك قال إذا امكن إجراء الحرف على أصله لم يجز اخراجه عنه وان ينقل الفعل نقلين الى الشرط والاستقبال كما ان لم ينقل الفعل الى النفي والماضي وضمير المخاطب في كنت يرجع الى المكنى ولا يجوز ذلك في الذي لأن الذي غائب فحقه ان يعود اليه ضمير الغائب وقد أجازوه إذا تقدمت كناية المتكلم في نحو قول الشاعر

وانا الذي قتلت بكرا بالقنا ... وتركت تغلب غير ذات سنام

ونحو ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله

انا الذى سمتني أمي حيدره ... أكيلكم بالسيف كيل السندرة

وعلى هذا يجوز انت الذي ضربك عمرو والوجه ضربه عمرو وقوله فأت بها جاز وقوع الأمر في جواب الشرط

لأن فيه معنى ان كنت جئت بآية فإني الزمك ان تأتي بهذا فقد عادالى انه وجب الثاني بوجوب الأول قوله فإذا هي ثعبان مبين اذاهذه ظرف مكان ويسمى ظرف المفاجأة وهي بخلاف اذا التي هي ظرف زمان وفيها معنى الشرط ويعمل فيها جوابها ومثال اذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فإذا الناس وقوف فإذا في موضع نصب بكونها ظرفا لوقوف وتقديره فبالحضرة الناس وقوف فيجوز ان ينصب وقوفا على الحال لأن اذا ظرف مكان وظروف المكان تكون اخبارا عن الجثث وهذه المسئلة وقعت بين سيبويه والكسائي لما اجتمعا عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن سليمان الاخفش قال حدثني احمد بن يحيى ثعلب ومحمد ابن يزيد المبرد قالا لما ورد سيبويه بغداد شق امره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم ليذهب بمحلي فقالا له فاحتل لنفسك فإنا سنجمع بينكما فجمعا بينهما عند ابيهما وحضر سيبويه وحده وحضر الكسائي ومعه الفراء وعلي الاحمر وغيرهما من اصحابه فسألوه كيف تقول كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي او فإذا هو اياها قال اقول فإذا هو هي فأقبل عليه الجمع فقالوا له اخطأت ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل انتما إماما مصريكما فمن يحكم بينكما قال فقال الكسائي واصحابه الاعراب الذين على الباب فادخل ابو الجراح ومن وجد معه ممن كان الكسائي واصحابه يحملون عنهم فقالوا انا نقول فإذا هو اياها وانصرف المجلس على ان سيبويه اخطأ وحكموا عليه بذلك فأعطاه البرامكة وأخذوا له من الرشيد وبعثوا به الى بلده فما لبث بعد هذا الامر الا يسيرا حتى مات ويقال انه مات كمداً قال علي بن سليمان واصحاب سيبويه الى هذه الغاية لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيبويه فإذا هو هي وهذا موضع الرفع وهو كما قال علي بن سليمان وذلك ان النصب انما يكون على الحال نحو خرجت فإذا الناس وقوفا جاز النصب هنا لأن وقوفا نكرة والحال لا يكون الا نكرة فإذا اضمرت بطل امر الحال فإن المضمر معرفة والمعرفة لا تكون حالا فوجب العدول عن النصب الى الرفع كما تقول فإذا الناس وقوف

المعنى

ثم عطف سبحانه بقصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء (ع) فقال (ثم بعثنا من بعدهم) اي من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الأمم الذين ذكرنا اهلاكهم (موسى بآياتنا) اي بدلائلنا وحججنا (الى فرعون وملائه) اي اشراف قومه وذوي الأمر منهم (فظلموا بها) اي ظلموا أنفسهم بجحدها عن الحسن والجبائي وقيل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الإيمان بها الكفر والجحود لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه ولم يقل فذهب موسى (ع) فأدى اليهم الرسالة فكذبوه لأن في قوله فظلموا بها دلالة عليه (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني ما آل اليه امرهم في الهلاك (وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين) هذه حكاية قول موسى لفرعون وندائه له اني رسول اليك من قبل رب العالمين مبعوث اليك والى قومك قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا اربعمائة عام (حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق) قال الزجاج معناه حقيق علي ترك القول على الله الا الحق وقال الإمام العلامة الزمخشري تقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى

الا مثلي ناطقا به ومنه قول العرب فلان يدعيه العلم بالطرق فوق ما يدعي هو العلم بها وقال الفراء معناه حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق فيكون على بمعنى الباء كما تقول رميت السهم على القوس وبالقوس وجاء ني فلان على حالة حسنة وبحالة حسنة وقيل معناه حريص على ان لا اقول على الله الا الحق وما فرضه علي من الرسالة عن ابي عبيدة (قد جئتكم ببينة) اي بحجة ومعجزة (من ربكم) اي اعطانيها ربكم (فأرسل معي بني اسرائيل) اي فأطلق بني اسرائيل من عقال التسخير وخلهم يرجعوا الى الارض المقدسة وذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال الشاقة مثل بناء المنازل وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه ذلك (قال) فرعون (ان كنت جئت بآية) اي حجة ودلالة تشهد لك على ما تقوله (فأت بها ان كنت من الصادقين) في انك رسول الله (فألقى عصاه) الفاء فاء الجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده (فإذا هي ثعبان مبين) اي حية عظيمة بيّن ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس ولم يكن مما يخيل انه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت حية أخذت قبة فرعون بين فكيها وكان ما بينهما ثمانون ذراعا فتضرع فرعون الى موسى بعد ان وثب من سريره وهرب منها واحدث وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا أؤمن بك فأخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل كان طولها ثمانين ذراعا (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) هناك قيل ان فرعون قال له هل معك آية اخرى قال نعم فأدخل يده في جيبه وقيل تحت ابطه ثم نزعها اي اخرجها منه وأظهرها فإذا هي بيضاء اي لونها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور الشمس وكان موسى (ع) آدم فيما يروى ثم اعاد اليد الى كمه فعادت الى لونها الاول عن ابن عباس والسدي ومجاهد. سؤال. قيل كيف قال سبحانه هنا فإذا هي ثعبان وقال في موضع آخر فلما رآها تهتز كأنها جان والثعبان الحية العظيمة والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة والجواب ان الآيتين ليستا اخباراً عن هيئة واحدة بل الحالتان مختلفتان والحالة التي كانت العصا بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة والحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فلا سؤال وقد اجيب ايضا عن ذلك بأنه شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا ابهر في باب الاعجاز

❋ حديث العصا ❋

قد ذكرنا نسب موسى (ع) في سورة البقرة وأما عصاه فقيل انه اعطاه اياها ملك حين توجه الى مدين وقيل ان عصا آدم من آس الجنة حين اهبط وكانت تدور بين اولاده حتى انتهت النوبة الى شعيب فكانت ميراثا له مع اربعين عصاً كانت لآبائه فلما استأجر شعيب موسى امره بدخول بيت فيه العصي وقال له خذ عصاً من تلك العصي فوقعت تلك العصى بيد موسى فاستردها شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلاث مرات في كل مرة تقع يده عليها دون غيرها فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها الى مصر ورأى ناراً وأتى الشجرة فناداه الله تعالى ان يا موسى اني انا الله وأمره بإلقائها فألقاها فصارت حية فولى هاربا فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف فأدخل يده بين لحييها فعادت عصا فلما اتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الأنبياء (ع) يأخذون العصا تجنبا من الخيلاء وقال رسول الله (ص) تعصوا فإنها من سنن اخواني المرسلين وقال أمير المؤمنين (ع) قال رسول الله (ص) من خرج في سفر ومعه عصا من لوز مر وتلا هذه الآية ولما توجه تلقاء مدين الى قوله والله على ما نقول وكيل آمنه الله من كل سبع ضار ومن كل لص عاد ومن كل ذات حمة حتى يرجع الى

أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من أخذ العصا عند الخطبة في العرب قس بن ساعدة

قوله تعالى (١٠٩) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١١٠) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١١) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١٢) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (أربع آيات)

— القراءة —

قرأ اهل المدينة والكسائي وخلف ارجه بكسر الهاء بغير همز بين الجيم والهاء إلا أن نافعا والكسائي وخلفا يشبعون كسرة الهاء ولا يشبع ابو جعفر وقالون عن نافع بل يكسران الهاء بغير همز بين الجيم والهاء وقرأ عاصم وحمزة ارجه بغير همز وسكون الهاء وقرأ الباقون ارجئه بالهمز وضم الهاء وفي الشعراء مثله وقرأ بكل سحار بألف بعد الحاء كوفي غير عاصم هاهنا وفي يونس وقرأ الباقون ساحر بالف قبل الحاء في السورتين ولم يختلفوا في الشعراء أن الألف بعد الحاء هناك

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي ارجئه أفعله من الارجاء وهو التأخير ولا بد من ضم الهاء مع الهمزة ولا يجوز غيره وأن لا يبلغ الواو احسن لأن الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كأنه جمع بين ساكنين ومن قال ارجئهو فالحق الواو فلأن الهاء متحركة ولم يلتق ساكنان لأن الهاء يفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو اقبح نحو عليهو لاجتماع حروف متقاربة مع أن الهاء ليس بحاجز قوي ومن قرأ ارجهي فوصل الهاء بياء فلأن هذه الهاء يوصل في الادراج بواو وياء نحو بهو وبهي وضربهو ومن قرأ ارجه فلأن في ارجأت لغتين ارجئت وارجيت فإذا قال ارجه كان من ارجيت قال الزجاج زعم الحذاق بالنحو أن هذه الهاء لا يجوز اسكانها اعني هاء الاضمار وزعم بعض النحويين ان اسكانها جائز وأن هاء التأنيث يجوز اسكانها واستشهد ببيت مجهول وهو

لما رأى ان لادعه ولا شبع مال الى ارطاة حقف فاضطجع

قال وهذا شعر لا يعرف قائله والشاعر قد يجوز ان يخطئ وحجة من قرأ ساحر قوله فالقي السحرة ولعلنا نتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا اعين الناس وحجة من قرأ سحار انه قد وصفه بعليم وذلك يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر

— اللغة —

السحر لطف الحيلة في اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال الأزهري السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره واصل السحر خفاء الأمر والسحر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته والسحر الرئة لخفاء امرها ويقال سحر المطر الأرض إذا جادها فقطع نباتها عن اصوله فقلب الأرض ظهرا لبطن يسحرها سحرا والأرض مسحورة فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله إلى من سحره انه يرى الشيء بخلاف ما هو به

﴿ الإعراب ﴾

فماذا تأمرون موضع ما يحتمل ان يكون رفعا ويكون ذا بمعنى الذي فيكون بمعنى فما الذي تأمرون ويحتمل أن يكون نصبا ويكون ما وذا اسما واحداً ويكون بمعنى فأي شيء تأمرون ويأتوك مجزوم لانه جواب الأمر وعامل

الاعراب فيه محذوف وتقديره فإنك ان ترسل يأتوك والباء في قوله بكل ساحر يحتمل أن يكون بمعنى مع اي يأتون ومعهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل أن يكون للتعدية تقول ذهبت به واذهبته واتيت به وآتيته

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه ما قاله اشراف قوم فرعون فقال (قال الملأ من قوم فرعون) لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين (إن هذا لساحر عليم) بالسحر (يريد أن يخرجكم من ارضكم) معناه يريد أن يستميل بقلوب بني اسرائيل إلى نفسه ويتقوى بهم فيغلبكم بهم ويخرجوكم من بلدتكم (فماذا تأمرون) قيل أن هذا قول الاشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون و إنما قالوا تأمرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضا ان يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره قال فرعون لهم فماذا تأمرون وهو قول الفراء والجبائي (قالوا ارجه وأخاه) اي قالوا لفرعون اخره وأخاه هارون ولا تعجل بالحكم فيهما بشيء فتكون عجلتك حجة عليك عن الزجاج وقيل أخره اي احبسه والأول اصح لانه كان يعلم انه لا يقدر على حبسه مع ما رأى من تلك الآيات (وأرسل في المدائن) التي حولك (حاشرين) أي جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم عن مجاهد والسدي وقيل هم اصحاب الشرط أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلا عن ابن عباس (يأتوك بكل ساحر عليم) أي يحشرون اليك السحرة ليجتمعوا ويعارضوا موسى فيغلبوه

قوله تعالى(١١٣) وَجَاءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ (١١٤) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٥) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٦) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (أربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز وحفص إن لنا لأجرا بهمزة واحدة على الخبر وقرأ أئن بهمزتين مخففتين ابن عامر وأهل الكوفة غير حفص وقرأ ابو عمرو آءن بهمزة ممدودة وقرأ يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الاستفهام اشبه بهذا الموضع لأنهم يستفهمون عن الأجر وليسوا يقطعون على ان لهم الأجر ويقوي ذلك اجماعهم في الشعراء وربما حذفت همزة الاستفهام قال ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل أن من الناس من يذهب إلى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر قال

افرح أن أرزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا

وهذا اقبح من قوله

وأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر اتوني فقالوا من ربيعة أم مضر

لأن ام يدل على الهمزة

﴿ الإعراب ﴾

نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعا ويكون تأكيداً للضمير المتصل في كنا ويحتمل أن يكون فصلا بين الخبر والاسم ونعم حرف مع انه يجوز الوقف عليه لأنه في الوجوب نظير لا في النفي و إنما جاز الوقف على كل واحد منهما لأنه جواب لكلام يستغنى بدلالته عليه عما يتصل به والواو في قوله وإنكم واو العطف فكأنه قال لكم ذلك وإنكم لمن المقربين وهو في مخرج الكلام كأنه معطوف على الحرف وكسرت الألف من إنكم

لأنه في موضع استئناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لأنه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة وإنما دخلت أن في قوله إما أن تلقي ولم تدخل في إما يعذبهم واما يتوب عليهم لأن فيه معنى الامر كأنه قال اختر إما أن تلقي أي إما القاك وأما القاءنا فموضع ان نصب ويجوز أيضاً أن يكون التقدير اما القاؤك مبدوء به وإما القاؤنا فموضعان على هذا يكون نصبا

= المعنى =

(وجاء السحرة فرعون) في الكلام حذف كثير تقديره فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفا عن ابن اسحاق وقيل ثمانين الفا عن ابن المنكدر وقيل سبعين الفا عن عكرمة وقيل بضعة وثلاثين الفا عن السدي وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي (قالوا) لفرعون إنما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالأول لأن المعنى لما جاءوا (قالوا) فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه (أئن لنا لأجرا) أي عوضا على عملنا وجزاء بالخير (إن كنا نحن الغالبين) لموسى (قال نعم) اي قال فرعون مجيبا لهم عما سألوه نعم لكم الأجر (وإنكم لمن المقربين) اي وانكم مع حصول الأجر لكم لمن المقربين إلى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التي لايتخطى اليها العامة ولا يحظى بها إلا الخاصة وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذلته لو استدل قومه به واحسنوا النظر فيه لنفوسهم لأن من المعلوم انه لم يحتج إلى السحرة إلا لعجزه وضعفه (قالوا) يعني قالت السحرة لموسى (يا موسى اما ان تلقي) ما معك من العصا اولا (واما ان نكون نحن الملقين) لما معنا من العصي والحبال اولا (قال) لهم موسى (القوا) انتم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فالقوا (فلما القوا سحروا أعين الناس) اي فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا في تحريك العصي والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتلبيس وخيل إلى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وإنما سحروا أعين الناس لأنهم أروهم شيئا لم يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لبعده منهم فإنهم لم يخلوا الناس يدخلون فيما بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لأنها لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا أعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت حيات وقد قال سبحانه ايضا يخيل اليه من سحرهم انها تسعى (واسترهبوهم) اي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد (وجاءوا بسحر عظيم) وصف سحرهم بالعظم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به فهو لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس ولأنه على ما ذكرناه في عدة السحرة وكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا او حبل فلما القوا وخيل إلى الناس انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه

قوله تعالى (١١٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٨) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٩) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١٢٠) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢١) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٢) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (ست آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم تلقف خفيفة وفي طه والشعراء مثله والباقون تلقف بتشديد القاف في جميعها

﴿ الحجة ﴾

تلقف وتلقم واحد وأصله تتلقف فحذفت التاء التي للمطاوعة في تفعل وثبت التاء التي للمضارعة وتلقف

ساكنة اللام مضارع لقف يلقف لقفا قال الشاعر

أنت عصا موسى التي لم تزل تلقف ما يأفكه الساحر

﴿ اللغة ﴾

الإفك قلب الشيء عن وجهه في الأصل ومنه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب، أصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط والطائر والواقعة النازلة من السماء قال علي بن عيسى الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا إلى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الكائن بحيث يؤدي إلى الهلاك وهو نقيض الحق فإن الحق كون الشيء بحيث يؤدي إلى النجاة والغلبة الظفر بالبنية من العدو في حال المنازعة والصاغر الذليل والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشيء يصغر صغرا وصغرا وصغارا إذا ذل وأصله صغر القدر

﴿ الإعراب ﴾

أن الق يجوز ان يكون ان مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر فيكون تقديره وأوحينا إلى موسى بأن الق أي بالإلقاء ويجوز ان يكون بمعنى أي لأنه تفسير ما أوحي اليه ما يأفكون ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما يأفكون فيه اي تلقف المأفوك الذي حل فيه الافك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعني وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل أن تكون ما بمعنى المصدر أي وبطل عملهم ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي أي وبطل الحبال والعصي التي عملوا بها السحر وما إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل في الفعل كما يعمل ان فيه إذا كانت بمعنى المصدر لأن ان ينقل الفعل نقلين إلى المصدر وإلى الاستقبال ولا ينقله ما إلى الاستقبال تقول تعجبني ما تصنع الآن وتعجبني ان تصنع الخير وهنالك دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار اليه كما دخلت في ذلك لبعد المشار اليه فههنا لما بعد قليلا وهنالك لما كان اشد بعدا وهو ظرف مبهم وفيه معنى الاشارة كما ان ذا مبهم وإنما دخلت كاف المخاطبة مع بعد الاشارة لتشعر بتأكيد معنى الاشارة إلى المخاطب ليتنبه على بعد المشار اليه من المكان. والبعيد أحق بعلامة التنبه من القريب

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (وأوحينا إلى موسى) اي القينا اليه من وجه لم يشعر به إلا هو (ان الق عصاك) التي معك (فإذا هي تلقف ما يأفكون) معناه فألقاها فصارت ثعبانا فإذاهي تبتلع ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد (فوقع) أي ظهر (الحق) وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزاته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق بأن صارت العصا حية في الحقيقة (وبطل ما كانوا يعملون) اي بطل تمويهاتهم عن الجبائي وإنما ظهر ذلك لهم لأنهم لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا علموا انه امر سماوي لا يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حية ومنها أكلها حبالهم وعصيهم مع كثرتها ومنها فناء حبالهم وعصيهم في بطنها اما بالتفرق واما بالفناء عند من جوزه ومنها عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الأمور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار إسلامهم حجة على فرعون وقومه (فغلبوا هنالك) أي قهر فرعون وقومه عند ذلك المجمع وبهت فرعون وخلي سبيل موسى ومن تبعه (وانقلبوا صاغرين) أي انصرفوا أذلاء مقهورين (وألقي السحرة ساجدين) يعني ان السحرة لما شاهدوا تلك الآيات وعلموا انها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله ألهمهم الله ذلك وقيل ان موسى وهارون سجدا لله تعالى شكرا له على ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما وإنما قال القي على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القائم مارأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم إلى السجود لله والخضوع له عزت قدرته وانهم لم يتمالكوا انفسهم عند ذلك بأن وقعوا ساجدين وهذا كما يقال اعجب فلان بنفسه وإن كان أتى من قبله وليس

يفعل ذلك بـه غيره (قالوا آمنا) أي صدقنا (برب العالمين) الذي خلق السماوات والارض وما بينهما (رب موسى وهارون) خصوهما بالذكر بعد دخولهما في جملة العالمين لأنهما دعوا إلى الإيمان بالله تعالى ولشرف ذكرهما ولتفضيلهما على غيرهما على طريق المدحة والتعظيم لهما وقيل انهم فسروا سجودهم بأن قالوا آمنا برب العالمين لئلا يتوهم متوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهارون لأن فرعون كان يدعي انه رب العالمين فأزالوا بـه الإبهام لئلا يتوهم الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون وقال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل ربا ولا مربوب كما جاز لم يزل سميعا ولا مسموع لأنها صفة غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالمقدور هو المملوك ولا يطلق الرب إلا على الله تعالى لأنـه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه ويقال في غيره رب الدار ورب الفرس ومثله خالق لا يطلق إلا عليه سبحانـه ويقال في غيره خالق الاديم

قوله تعالى (١٢٣) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٤) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٥) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٦) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (اربع آيات)

— القراءة —

قرأ حفص عن عاصم آمنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام إلا ان أهل الكوفة إلا حفصا يحققون الهمزتين وغيرهم خققوا الاولى ولينوا الثانية ولم يفصل احد بين الهمزتين بألف

= الحجة =

وجه الخبر فيه انه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقريع لهم بإيمانهم والإنكار عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقريع والتوبيخ ايضا ومن حقق الهمزتين فإنه على ما يراه من تحقيقها والهمزة الثانية ممدودة لأن الألف المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء من الامن يتصل بها ومن خفف الهمزة الثانية فتخفيفها أن يجعلها بين بين

﴿ اللغة ﴾

الصلب الشد على الخشبة وغيرها وأصله من صلابة الشيء والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب. الازهري يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت والفصيح نقمت. ابن الاعرابي النقمة العقوبة والانكار قال علي بن عيسى النقمة ضد النعمة والفرق بين النقمة والإساءة ان النقمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والإساءة لا تكون إلا قبيحة والمسيء مذموم لا محالة والإفراغ صب ما في الإناء أجمع حتى يخلو مشتق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند إيمان السحرة فقال سبحانه (قال فرعون آمنتم به) أي اقررتم له بالصدق من (قبل ان آذن لكم) اي من قبل ان آمركم بالايمان وآذن لكم في ذلك (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أراد فرعون بهـذا القول التلبيس على الناس وإيهامهم ان إيمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا مالكم وملككم وقيل معناه ان هـذا لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هـذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها (فسوف تعلمون)

عاقبة امركم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال (لأقطعن أيديكم وارجلكم من خلاف) اي من كل شق طرفا قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى (ثم لأصلبنكم اجمعين) أي لا أدع واحدا منكم إلا صلبته وقيل ان اول من قطع الرجل وصلب فرعون صلبهم في جذوع النخل على شاطئ نهر مصر (قالوا) يعني السحرة جوابا لفرعون (إنا إلى ربنا منقلبون) أي راجعون إلى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب إلى الله تعالى هو الانقلاب إلى جزائه وغرضهم بهذا القول التسلي في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد اشد منه وهو عقاب الله (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) معناه وما تطعن علينا وما تكره منا إلا إيماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولاركبنا منك مكروها تعذبنا عليه إلا إيماننا بآيات ربنا وهي ما أتى به موسى «ع» آمنوا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها إلا هو (ربنا افرغ علينا صبرا) أي أصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا والمراد الطف لنا حتى نصبر على عذاب فرعون ونتشجع عليه ولا نفزع منه (وتوفنا مسلمين) أي وفقنا للثبات على الإيمان والإسلام إلى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا اول النهار كفارا سحرة وآخر النهار شهداء بررة وقيل ايضا انه لم يصل اليهم وعصمهم الله منه

قوله تعالى (١٢٧) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي عن علي بن ابي طالب عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وأنس ابن مالك وعلقمة وغيرهم ويذرك والاهتك وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف ويذرك بالرفع وعن الأشهب ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذرك وآلهتك وقرأ أهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف والباقون سنقتل بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

اما الالاهة فإنه الربوبية والعبادة فمن قرأ والاهتك فمعناه ويذرك وربوبيتك عن الزجاج وقيل وعبادتك عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس الآلهة والإلاهة لأنهم كانوا يعبدونها ومن قرأ ويذرك بالرفع فإنه على الاستئناف أي وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذرك فإنه كقراءة ابي عمرو ان الله يأمركم وقد مضى الكلام في ذلك ومن نصب ويذرك فإنه على جواب الاستفهام بالواو فيكون المعنى أيكون منك أن تذر موسى وان يذرك ويجوز ان يكون عطفا على ليفسدوا ومن قرأ سنقتل بالتخفيف فإنه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير والتثقيل بهذا المعنى أخص وبالموضع أليق

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه (وقال الملأ من قوم فرعون) لما اسلم السحرة تحريضا له على موسى (اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) اي اتتركهم احياء ليظهروا خلافك ويدعوا الناس إلى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك وأمرك وقيل ليفسدوا في الأرض بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك وقيل ليفسدوا فيها بالغلبة عليها وأخذ موسى قومه منها وروي عن ابن عباس أنه لما آمن السحرة اسلم من بني اسرائيل ستمائة الف نفس واتبعوه (ويذرك وآلهتك) قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقربا اليه وقال السدي كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي انه كان يأمرهم ايضا بعبادة البقر

ولذلك اخرج السامري لهم عجلا جسدا له خوار وقال هـذا إلهكم وإله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ومن قرأ وآلهتك قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئاً وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يعبد ولا يعبُد (قال) فرعون (سنقتل ابناءهم) الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال (ونستحيي نساءهم) أي بناتهم نستبقيهن إذ لا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة استذلالا لهن وان كان فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى وقومه فلم يقل سأقتل موسى وقومه لما رأى من علو أمره وعظم شأنه فانتقل إلى عذاب المستضعفين منهم وهم ابناء بني اسرائيل وبناتهم ليوهم انـه يتم له ذلك فيهم ايضا (وإنا فوقهم قاهرون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٢٨) قالَ موسى لِقَومِهِ اَستَعِينُوا بِاللهِ وَاَصبِرُوا إِنَّ الأَرضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَالعاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ (١٢٩) قالُوا أُوذِينَا مِن قَبلِ أَن تأتِينَا وَمِن بَعدِ ما جِئتَنَا قالَ عَسى رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَستَخلِفَكُم في الأَرضِ فَيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلُونَ (آيتان)

المعنى

قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل فلما كان من امر موسى ما كان أمر بإعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل إلى موسى فعند ذلك (قال موسى لقومه استعينوا بالله) في دفع بلاء فرعون عنكم (واصبروا) على دينكم وعلى اذى فرعون (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) أي ينقلها إلى من يشاء نقل المواريث فيورثكم بعد اهلاك فرعون كما أورثها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون داعيا لهم إلى الصبر (والعاقبة للمتقين) معناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فإن حسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة مايؤدي اليه البادئة إلا انه إذا قيل العاقبة له فهو في الخير وإذا قيل العاقبـة عليه فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه والدبرة له وعليه (قالوا) أي قال بنو إسرائيل لموسى (أوذينا من قبل أن تأتينا) أي عذبنا فرعون بقتل الابناء واستخدام النساء قبل أن تأتينا بالرسالة وقيل قبل أن جئتنا (ومن بعد ما جئتنا) ايضا ويتوعـدنا ويأخذ اموالنا ويكلفنا الأعمال الشاقة فلم ننتفع بمجيئك وهذا يدل على انه قـد جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجيء موسى وبعده من بني اسرائيل فلهذا قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه إنما هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى (ع) من النجاة من فرعون وقومـه فجدد (ع) لهم الوعد عن الله تعالى ليتقوا به (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم) قال الزجاج عسى طمع واشفاق إلا أن ما يطمع الله فيـه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب ومعناه اوجب ربكم على نفسه أن يهلك عدوكم فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) أي يملككم ما كانوا يملكونه في الأرض من بعدهم (فينظر كيف تعملون) أي فيرى ذلك بوقوعه منكم لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم إنما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعناه فيظهر معلومه أي ليبتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاكم بالمحنة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب وتقديره أعملا حسنا تعملون أم قبيحا أي شاكرين كنتم لنعمته أم كافرين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فأورث بني اسرائيل أرض مصر ونواحيها بعد أن أهلك عدوهم

قوله تعالى (١٣٠) وَلَقَد أَخَذنا آلَ فِرعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ (١٣١) فَإِذا جاءَتهُمُ الحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَإِن تُصِبهُم سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَن مَعَهُ أَلا إِنَّما

طَائِرُهُمْ عِندَ ٱللهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ آيتان

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن ألا انما طيرهم عند الله بغير الف

الحجة

الطير جمع طائر في قول أبي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطائر اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر وروي عن قطرب أن الطير قد يكون واحدا كأن الطائر واحد ويجوز أن يكون الطائر جمعا كالجامل أنشد ابن الأعرابي

كأنه تهتان يوم ماطر ... على رؤوس كرؤوس الطائر

اللغة

العرب تقول أخذتهم السنة إذا كانت قحطة ويقال اسنت القوم إذا اجدبوا وإنما قيل للسنة المجدبة السنة ولم يقل للمخصبة لأنها نادرة في الانفراد بالجدب والنادر احق بالانفراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي ندر به قالوا وجدنا البلاد سنين أي جدوبا قال

وأموال اللئام بكل أرض ... تجحفها الجوائح والسنون

وقال آخر

كأن الناس إذ فقدوا عليا ... نعام جال في بلد سنينا

أي في بلد جدب والتطير الطيرة من الشيء وهو التشاؤم به واشتقاقه من الطير وطائر الإنسان عمله أخذ من ذلك لأن العرب كانت تزجر الطير فتتشأم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من قبل اليمين قال الشاعر

زجرت لها طير الشمال فإن تكن ... هواك الذي يهوي يصبك اجتنابها

ثم كثر ذلك فسمي نصيب الإنسان طائره ويقال طار له من القسم كذا وكذا وانشد ابن الأعرابي

فإني لست منك ولست مني ... إذا ما طار من مالي الثمين

يريد الزوجة إذا اخذ ثمنها من ماله

المعنى

ثم بين سبحانه ما فعله بآل فرعون وأقسم عليه فقال (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) اللام للقسم وقد يقرب الماضي من الحال لأنه إذا توقع كون امر فقيل قد كان دل على قربه من الحال وآل الرجل خاصته الذين يؤول امره اليهم وأمرهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحوط (ونقص من الثمرات) أي وأخذناهم مع القحط واجداب الأرض بنقصان من الثمرات (لعلهم يذكرون) اي يخافون فيوحدون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكروا في ذلك ويرجعوا إلى الحق قال الزجاج إنما اخذوا بالضراء لأن احوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله الا ترى إلى قوله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناه لكي تتذكروا ان فرعون لو كان إلاها لما كان يستسلم لذلك الضر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في انه سبحانه يريد الكفر فإنه بين انه اراد منهم التذكر والرجوع إلى الله (فإذا جاءتهم الحسنة) يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية (قالوا لنا هذه) اي إنا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة

ارزاقنا في بلادنا ولم يعلموا انه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه ويؤدوا شكر النعمة فيه (وإن تصبهم سيئة) اي جوع وبلاء وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمر والمواشي (يطيروا بموسى ومن معه) اي يتطيروا فادغمت التاء في الطاء وتفسيره يتشاءموا بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رأينا شرا ولا اصابنا بلاء حتى رأيناكم (ألا إنما طائرهم عند الله) معناه الا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعل بهم في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه إن الله تعالى هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه الا ان ما تشاءموا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله يوم القيامة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولا يتفكرون ليعلموا

قوله تعالى (١٣٢) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٣) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ آيتان

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن القَمْل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف

اللغة

الطوفان السيل الذي يعم بتغريقه الأرض وهو مأخوذ من الطوف فيها وقيل هو مصدر كالرجحان والنقصان قال الأخفش واحده طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع والقمل كبار القردان قال ابو عبيدة هو الحمنان واحدته حمنة وحمنانة

الاعراب

مهما قال الخليل مه اصلها ما إلا انهم ادخلوا عليها ما كما يدخلونها على حروف الجزاء يقولون اما ومتى ما فغيروا الفها بأن ابدلوها هاء لئلا يوهم التكرير وصار ما فيها مبالغة في معنى العموم وقال غيره اصلها مه بمعنى اكفف دخلت على ما التي للجزاء والفرق بين مهما وما ان مهما خالصة للجزاء وفي ما الاشتراك لأنه قد يكون استفهاماً تارة وبمعنى الذي اخرى وبمعان اخر وتأتنا مجزوم وعلامة الجزم فيه حذف الياء وانما حذف الياء للجزم لأنها من حروف المد واللين وهي مجانسة لحركات الاعراب ومن شأن الجازم ان يحذف حركة فإذا لم يصادف حركة عمل في نفس الحرف لئلا يتعطل من العمل والضمير في به يعود الى مهما وتقديره اي شيء تأتنا به والضمير في بها يعود الى آية آيات مفصلات نصب على الحال

المعنى

(وقالوا) أي قال قوم فرعون لموسى (مهما تأتنا به من آية) أي اي شيء تأتنا به من المعجزات (لتسحرنا بها) أي لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون (فما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين اشاروا بهذا القول الى اصرارهم على الكفر وانهم لا يصدقونه وإن أتى بجميع الآيات ثم زاد الله سبحانه في الآيات تأكيداً لأمر موسى (ع) كما قال (فأرسلنا عليهم الطوفان) اختلف فيه فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبنيان والقالع للاشجار والزروع عن ابن عباس وقيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد وعطا وقيل هو الطاعون بلغة اهل اليمن ارسل الله ذلك على ابكار آل فرعون في ليلة فأقعصهن فلم يبق منهن انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيل هو الجدري وهم اول من عذبوا به وبقي في الارض عن ابي قلابة وقيل هو امر من الله تعالى طاف بهم عن

ابن عباس رواه ابو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (والجراد) هو المعروف والقمل اختلف فيه فقيل هو الدبى وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له والجراد الطيارة التي لها اجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والكلبي والقمل نبات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد ابن جبير والحسن وعطاء الخراساني ولذلك قرأ الحسن والقمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد ابن جبير (والضفادع والدم آيات مفصلات) اي معجزات مبينات ظاهرات وأدلة واضحات عن مجاهد وقيل مفصلات اي بعضها منفصل عن بعض (فاستكبروا) اى تكبروا عن قبول الحق والايمان بالله (وكانوا قوماً مجرمين) عاصين كافرين

القصة

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق بن يسار ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً وأبى هو وقومه الا الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرون على ان يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك وانبت الله لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمر ما اعشبت به بلادهم واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فأنزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن ابراهيم وفي الشهر الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتأكل الأبواب والثياب والأمتعة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال ياموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى اخلي عن بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقيل ان موسى (ع) برز الى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى كأن لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون ان يخلي عن بني اسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن ابراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وهو شر ما يكون واخبثه فأتى على زروعهم كلها واجتثها من أصلها فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلها وقيل أمر موسى ان يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فأتاه فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فكان يدخل بين ثوب أحدهم فيعضه وكان يأكل احدهم الطعام فيمتلئ قملا قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة اجربة الى الرحا فلم يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لأكفن عن بني اسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعد ما أقام عندهم سبعة أيام من السبت الى السبت فنكثوا فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلأت منها بيوتهم وأبنيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته الى فيه فلقوا منها أذى

شديدا فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فإنا نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دماً فكان القبطي يراه دما والاسرائيلي يراه ماء فإذا شربه الإسرائيلي كان ماء وإذا شربه القبطي كان دماً وكان القبطي يقول للاسرائيلي خذ الماء في فيك وصبه في فيّ فكان إذا صبه في فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني إسرائيل

قوله تعالى: (١٣٤) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٥) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٦) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ثلاث آيات

اللغة

اصل الرجز الميل عن الحق ومنه والرجز فاهجر يعني عبادة الوثن والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة في رجل الناقة لداء يلحقها تعدل به عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة يتحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة

دوية ودجى ليل كأنهما ... يم تراطن في حافاته الروم

والغفلة حال تعتري النفس تنافي الفطنة واليقظة

الاعراب

إذا ظرف المفاجأة على ما تقدم بيانه وليست مضافة إلى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقد يكتفي بالاسم كما تقول خرجت فإذا زيد وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لأنه اتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء فكأنه فاجأ الرأي عجب من نكثهم وإذا هذه جواب لما ومثله قوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم إذا هم يقنطون ولا يجوز أن يجاب الشرط بإذ لأن إذ لا يكون إلا للوقت الماضي والجواب إنما يكون بعد الأول ولذلك يصلح فيه الفاء ولا يصلح الواو وحرف الجزاء إنما يقلب الفعل إلى الاستقبال دون الوقت

المعنى

ثم اخبر سبحانه عنهم ايضا فقال (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون الف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد ابن جبير ومثله ما روي عن ابي عبد الله (ع) انه اصابهم ثلج احمر ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله (قالوا) يعني فرعون وقومه (ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) اي بما تقدم اليك أن تدعوه به فإنه يجيبك كما اجابك في آياتك وقيل بما عهد عندك انا لو آمنا لرفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك من

النبوة عن ابي مسلم فعلى هذا يكون الباء بالقسم والمعنى بحق ما آتاك الله من النبوة لما دعوت الله ليكشف هذا عنا (لئن كشفت عنا الرجز) أي العذاب (لنؤمنن لك) اي نصدقك في انك نبي ارسلك الله (ولنرسلن معك بني اسرائيل) أي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الأعمال الشاقة (فلما كشفنا عنهم الرجز) أي فلما رفعنا عنهم العذاب (إلى اجل هم بالغوه) يعني الأجل الذي عرفهم الله فيه وقيل هو الأجل المقدر عن الحسن (إذا هم ينكثون) أي ينقضون العهد (فانتقمنا منهم) أي فجزيناهم على سوء صنيعتهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال (فأغرقناهم في اليم) اي البحر (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم بآياتنا وحججنا وبراهيننا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته وجحودهم لها (وكانوا عنها غافلين) معناه انه انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم وقيل معناه إنا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم لأسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيداً لهم على الاعراض عن الآيات

قوله تعالى (١٣٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ آية

القراءة

قرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها

الحجة

هما لغتان فصيحتان والكسر أفصح

اللغة

قال ابو عبيدة يعرشون يبنون يقال عرش مكة أي بناؤها

الاعراب

يجوز أن يكون مشارق الأرض ومغاربها إنما انتصب بأنه مفعول اورثنا ويجوز أن يكون ظرفا على تقدير وأورثناهم الأرض في مشارقها ومغاربها وقيل إنما انتصب مشارق الأرض ومغاربها على الظرف للاستضعاف والتقدير واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود إلى التي والتي صفة للأرض المحذوفة وموضعها نصب بأورثنا

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعني بني إسرائيل فإن القبط كانوا يستضعفونهم فأورثهم الله بأن مكنهم وحكم لهم بالتصرف وأباح لهم ذلك بعد اهلاك فرعون وقومه القبط فكأنهم ورثوا منهم (مشارق الأرض ومغاربها) التي كانوا فيها يعني جهات الأرض الشرق والغرب منها يريد به ملك فرعون من ادناه إلى اقصاه وقيل هي ارض الشام ومصر عن الحسن وقيل هي أرض الشام شرقها وغربها عن قتادة وقيل هي أرض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني إسرائيل داود وسليمان ملكوا الأرض (التي باركنا فيها) باخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والاشجار الى غير ذلك من العيون والأنهار وضروب المنافع (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل) معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض وإنما كان الإنجاز تماما للكلام بتمام النعمة به وقيل ان الكلمة الحسنى قوله سبحانه ونريد أن نمن على

الذين استضعفوا في الأرض إلى قوله يحذرون وقال الحسن وإن كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنة لأنها وعد بما يحبون وقال الحسن أراد وعد الله لهم بالجنة(بما صبروا) على اذى فرعون وقومه وتكليفهم اياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي اهلكنا ما كانوا يبنون من الابنية والقصور والديار (وما كانوا يعرشون) من الاشجار ومن الاعناب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور والبيوت عن ابن عباس

قوله تعالى (١٣٨) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٩) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٠) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (ثلاث آيات)

القراءة

يعكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان

اللغة

المجاوزة الاخراج عن الحد وجاز الوادي يجوز جوازا إذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة واجتازه اجتيازا واصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسعة شق اذنها وتبحر في العلم إذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء واظب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والمتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لأمرين ﴿احدهما﴾ ان معدنه مهلكة ﴿والآخر﴾ ما قاله الزجاج انه يقال لكل اناء مكسر متبر وكسارته تبره

الإعراب

كما لهم آلهة ما هذه كافة للكاف لأن ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحد زماننا في هذا الفن ما هاهنا مصدرية أي كما ثبت لهم آلهة وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالمبتدأ والخبر في قوله «كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه» ويجوز أن يكون بمعنى الذي وفي لهم ضمير يعود اليه وآلهة بدل من ذلك الضمير او يرتفع باضمار هي أي هي آلهة فحذف هي، وماهم فيه موصول وصلة في موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل الباطل، أغير الله ابغيكم إلها بغى يتعدى إلى مفعولين وطلب يتعدى إلى مفعول واحد لأن معنى قولك بغاه الخير اعطاه الخير وليس كذلك طلب لانه غير مضمر بالمطلوب وعلى هذا فيكون إلها مفعولا به ثانيا ويكون غير منصوبا على الحال التي لو تأخرت كانت صفة للنكرة وتقديره ابغيكم إلها غير الله وقد يجوز أن يكون بمعنى ابغي لكم ويكون غير الله منصوبا بأنه مفعول ابغي وتقديره اطلب غير الله لكم معبودا فيكون إلها منصوبا على الحال

المعنى

ثم اخبر الله سبحانه عن احوال بني إسرائيل فقال (وجاوزنا ببني إسرائيل) أي قطعنا بهم (البحر) يعني النيل نهر مصر بأن جعلنا لهم فيه طرقا يابسة حتى عبروا ثم اغرقنا فرعون وقومه فيه (فأتوا)

أي فمروا (على قوم يعكفون على اصنام لهم) أي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) أي انصب لنا شيئا نعبده كما لهم اوثان يعبدونها وهذا كفر ربما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين الأخيار وإنما قالوا ذلك لأن الإنسان يحن إلى ما يراه لغيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعد ما رأوا الآيات المترادفة والمعجزات من حيث توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المجعول لا يكون إلها وان الاصنام لا تكون آلهة ويمكن أن يكونوا قد ظنوا انه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره وإن اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء ولا تشبهه ولم يكونوا مشبهة كما حكى الله سبحانه عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قال انكم قوم تجهلون) هذا حكاية عما اجابهم به موسى (ع) أي تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس (إن هؤلاء) يعني القوم الذين عبدوا الاصنام (متبر) اي مدمر مهلك (ما هم فيه) من عبادة الاصنام (وباطل ما كانوا يعملون) أي باطل عملهم لا يجدي عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا فكأنه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه او بأنه لا يصح معتقده فالأول كبطلان البناء بالهدم والثاني كبطلان إله آخر مع الله لأنه لا يصح في عدم ولا وجود (قال) يعني قال موسى لقومه بعد ازرائه على الاصنام وعلى من كان يعبدها (اغير الله ابغيكم) أي ألتمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل بقوله واختار موسى قومه أي من قومه (إلها) أي معبودا تعبدونه سوى الله (وهو فضلكم على العالمين) أي على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احدا غيركم وهو أن ارسل اليكم رجلين منكم لتكونوا أقرب الى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم

قوله تعالى (١٤١) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر انجاكم على لفظ الماضي والباقون انجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قد مضى الكلام في امثال ذلك مرة بعد اخرى فلا وجه للإطالة باعادته

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما انعمه على اسلافهم (واذ انجيناكم) اي واذكروا اذ خلصناكم (من آل فرعون يسومونكم) أي يولونكم اكراها ويحملونكم اذلالا (سوء العذاب يقتلون ابناءكم) أي يكثرون قتل ابنائكم (ويستحيون

نساءكم) اي يستبقونهم للخدمة والمهنة (وفي ذلكم) اي وفي ما فعل بكم من النجاة (بلاء) اي نعمة (من ربكم عظيم) قدرها وقيل معناه في تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة

قوله تعالى (١٤٢) وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها

— المعنى —

ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني اسرائيل فقال(وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر) ولم يقل اربعين ليلة كما قاله في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه ﴿ احدها ﴾ ان العدة كانت ذا القعدة وعشر ذي الحجة ولوقال اربعين ليلة لم يعلم انه كان الابتداء اول الشهر ولا أن الأيام كانت متوالية ولا أن الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق وأكثر المفسرين ﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم اتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي نزلت التوراة فيها ولذلك افردت بالذكر ﴿ وثالثها ﴾ أن موسى (ع) قال لقومه اني اتأخر عنكم ثلاثين يوماً ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشراً وليس في ذلك خلف لأنه اذا تأخر عنهم اربعين ليلة فقد تأخر ثلاثين ليلة قبلها عن ابي جعفر الباقر (ع) وقريب منه ماروي عن الحسن أن الموعد كان اربعين ليلة في الأصل فاجمل هناك وفصل ههنا على وجه التأكيد (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) إنما قال هذا مع أن ما تقدمه دل على هذه العدة للبيان والتفصيل الذي تسميه الكتاب الفذلكة ولولم يذكره لجاز أن يتوهم أنه أتم الثلاثين بعشر منها على معنى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين كما يقال كملت العشرة بدرهمين وقد مر معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا أن أربعين هنا منصوب على الحال وتقديره معدودة اربعين ليلة (وقال موسى) وقت خروجه الى الميقات (لأخيه هارون اخلفني) اي كن خليفتي (في قومي واصلح) فيما بينهم واجر على طريقتك في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم في حال غيبتي وقيل اصلحهم اي احملهم على الطاعة (ولا تتبع سبيل المفسدين) اي لا تسلك طريقة العاصين ولا تكن عونا للظالمين وإنما اراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب به أخاه وإنما أمر موسى (ع) أخاه هارون بأن يخلفه وينوب عنه في قومه مع أن هارون كان نبيا مرسلا لأن الرئاسة كانت لموسى (ع) عليه وعلى أمته ولم يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على أن منزلة الإمامة منفصلة من النبوة وغير داخلة فيها وإنما اجتمع الامران لأنبياء مخصوصين لأن هارون لو كان له القيام بأمر الأمة من حيث كان نبيا لما احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه واقامته مقامه

قوله تعالى (١٤٣) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ

دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

جعله دكاء بالمد هاهنا وفي الكهف كوفي غير عاصم ووافقهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالقصر والتنوين في الموضعين

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج جعله دكا بالتنوين معناه جعله مدقوقا مع الارض والدكاء والدكاوات الروابي التي مع الارض ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا قال ابو الحسن لما قال جعله فكأنه قال دكه واراد جعله ذادك وقال ابو عبيدة جعله دكا اي مندكا وناقة دكاء ذاهبة السنام كأنه جعله كالناقة الدكاء فبقي اكثره والدك المستوي وانشد للاغلب « هل غير غار دك غاراً فانهدم » وقال علي بن عيسى دكا مستويا بالارض يقال دكه يدكه دكا اي سحقه سحقا

﴿ اللغة ﴾

التجلي الظهور ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر

تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الأسنة نائيا

اراد الشاعر أن تدبيره دل عليه ويقال للسيد هو ابن جلا اي لا يخفى أمره لشهرته وفي خطبة الحجاج انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني قال سيبويه جلا فعل ماض فكأنه قال انا ابن الذي جلا اي اوضح وكشف

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) معناه ولما انتهى موسى الى المكان الذي وقتناه له وأمرناه بالمصير اليه لنكلمه وننزل عليه التوراة ويمكن ان يكون المراد بالميقات الزمان الذي وقته الله تعالى له ان يأتي ذلك المكان فيه فإن لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كمواقيت الإحرام فإنها للأمكنة التي لا يجوز مجاوزتها لأهل الآفاق الا وهم محرمون (وكلمه ربه) من غير سفير أو وحي كما كان يكلم الأنبياء على السنة الملائكة ولم يذكر من اي موضع اسمعه كلامه وذكر في موضع آخر انه اسمعه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلا للكلام لأن الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل إنه في هذا الموضع اسمعه كلامه من الغمام (قال ربي أرني أنظر اليك) اي أرني نفسك أنظر اليك اختلف العلماء في وجه مسألته (ع) الرؤية مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس على أقوال ﴿ أحدها ﴾ ما قاله الجمهور وهو الاقوى انه لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سألها لقومه حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال (ع) لما أخذتهم الرجفة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأضاف ذلك الى السفهاء ويسأل على هذا فيقال لو جاز ان يسأل الرؤية لقومه مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى لجاز ان يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب انما صح السؤال في الرؤية لأن الشك في جواز الرؤية التي تقتضي كونه جسما يمكن معه معرفة السمع وانه سبحانه حكيم صادق في أخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة

السمع من حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون عينا ولا عالما بجميع المعلومات ولابد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز ان يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالته ايضا وان كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في دينهم غير انه شرط ان يبين النبي في مسألته ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا ﴿وثانيها﴾ انه (ع) لم يسأل الرؤية بالبصر ولكن سأله ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فيخفف المحنة عليه بذلك كما سأل ابراهيم (ع) رب ارني كيف تحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلك بالاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية يفيد العلم كما تفيد العلم الادراك بالبصر فبين الله سبحانه له ان ذلك لا يكون في الدنيا عن ابي القاسم البلخي ﴿وثالثها﴾ انه سأله الرؤية بالبصر علي غير وجه التشبيه عن الحسن والربيع والسدي وذلك لأن معرفة التوحيد تصح مع الجهل بمسألة الرؤية ومعرفة السمع تصح ايضا معه وهذا ضعيف لأن الأمر وان كان على ما ذكروه فإن الأنبياء لا يجوز ان يخفى عليهم مثل هذا مع جلالة رتبتهم وعلو درجتهم (قال لن تراني) هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني ابداً لأن لن ينفي على وجه التأبيد كما قال ولن يتمنوه ابدا وقال لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له (ولكن انظر الي الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون ومتى قيل انه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه سبحانه بأمر يستحيل كما علق دخول الجنة بأمر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط فجوابه انه سبحانه علق جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين (فلما تجلى ربه للجبل) اي ظهر أمر ربه لأهل الجبل فحذف والمعنى انه سبحانه اظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي احدثها في الجبل لأهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته فكل آية يجددها الله سبحانه فكأنه يتجلى للعباد بها فلما اظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لأهله وقيل ان تجلى بمعنى جلى كقولهم حدث وتحدث وتقديره جلى ربه أمره للجبل اي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحي ربه للجبل (جعله دكا) اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض حتى فني عن الحسن وقيل تقطع اربع قطع قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملا وقيل صار الجبل ستة اجبل وقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فالتي بالمدينة أحد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وثبير وحراء وروي ذلك عن النبي (ص) (وخر موسى صعقا) اي سقط مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما أفاق ولا يقال أفاق لميت وانما عاش او حيي وأما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية الخميس يوم عرفة وأفاق عشية يوم الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وقيل معناه خر ميتا عن قتادة (فلما افاق) من صعقته ورجع اليه عقله (قال سبحانك)

أي تنزيها لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها لك من أن تأخذني بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية (تبت اليك) من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل انه قاله على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الالفاظ عند ظهور الامور الجليلة (وأنا أول المؤمنين) بأنه لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروي مثله عن ابي عبد الله (ع) قال معناه أنا أول من آمن وصدق بأنك لا ترى وقيل معناه انا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية عن الجبائي وقيل أول المؤمنين بك من بني إسرائيل عن مجاهد والسدي

قوله تعالى (١٤٤) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (آيتان)

القراءة

قرأ اهل الحجاز وروح برسالتي على التوحيد والباقون برسالاتي على الجمع وقد مضى الكلام فيه

اللغة

اللوح صحيفة مهيأة للكتابة فيها وأصله من اللوح وهو اللمع يقال لاح يلوح إذا لمع وتلألأ والتلويح التضمير ولوحه السفر غيره تغييرا تبين عليه اثره لأن حاله يلوح بما نزل به واللوح الهواء لانه كاللامع في هبوبه فاللوح تلوح المعاني بالكتابة فيه والموعظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع المخوف

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء واجلال القدر وأمره إياه بالشكر بقوله (قال) أي قال الله سبحانه (يا موسى إني اصطفيتك) أي اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس (برسالاتي) من غير كلام (وبكلامي) من غير رسالة وخص الناس لأنه كلم الملائكة ولم يكلم احدا من الناس بلا واسطة سوى موسى (ع) وقيل انه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عند سدرة المنتهى (فخذ ما آتيتك) أي تناول ما اعطيتك من التوراة وتمسك بما امرتك (وكن من الشاكرين) أي من المعترفين بنعمتي القائمين بشكرها على حسب مرتبتها فكلما كانت النعمة اعظم وأجل وجب أن تقابل من الشكر بما يكون اتم وأكمل والوجه في تشريف موسى (ع) بالاختصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة ومنة جسيمة منه تعالى عليه لانه كلمه وعلمه الحكمة من غير واسطة بينه وبينه ومن اخذ العلم من العالم المعظم كان أجل رتبة ممن اخذه ممن هو دونه (وكتبنا له) يعني لموسى (ع) (في الالواح) يريد ألواح التوراة عن ابن عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرد وطولها عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء عن الكلبي وقيل انها كانا لوحين قال الزجاج ويجوز في اللغة ان يقال للوحين الواح ويجوز أن يكون ألواحا جمع اكثر من اثنين (من كل شيء) قال الزجاج اعلم الله سبحانه انه اعطاه من كل شيء يحتاج اليه من امر الدين مع ما أراه من الآيات (موعظة) هذا تفسير لقوله كل شيء وبيان لبعض ما دخل تحته (وتفصيلا لكل شيء) يحتاج اليه في الدين من الأوامر والنواهي

والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر والأخبار وتفصيلا ايضا تفسير لقوله كل شيء (فخذها بقوة) أي بجد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة وقوة قلب (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بما فيها من احسن المحاسن وهي الفرائض والنوافل فإنها أحسن من المباحات وقيل معناه يأخذ بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لأن المنسوخ قد خرج من أن يكون حسنا وقيل إن المراد بالأحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو أهون عليه وكقوله ولذكر الله اكبر عن قطرب (سأريكم دار الفاسقين) يعني سأريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف امر الله وقيل يريد ديار فرعون وقومه بمصر عن عطية العوفي وقيل معناه سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية ممن خالفوا أمر الله لتعتبروا بها عن قتادة وفي تفسير علي بن ابراهيم ان معناه يجيئكم قوم فساق يكون الدولة لهم

قوله تعالى (١٤٦) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٧) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آيتان)

✻ القراءة ✻

قرأ أهل الكوفة غير عاصم الرشد بفتح الراء والشين والباقون الرشد بضم الراء وسكون الشين

✻ الحجة ✻

هما لغتان ويحكى أن أبا عمرو فرق بينهما فقال الرشد الصلاح والرشد في الدين مثل قوله مما علمت رشدا وتحروا رشدا فهذا في الدين وقوله فإن آنستم منهم رشدا وهو في اصلاح المال والحفظ له وقد جاء الرشد في غير الدين قال

حنت إلى نعم الدهنا فقلت لها أمي بلالا على التوفيق والرشد

✻ اللغة ✻

الرشد سلوك طريق الحق يقال رشد يرشد رشادا ورشد يرشد رشدا ورشدا وضده الغي غوى يغوي غيا وغواية والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد الكلأ عليه ويقال حبطت الإبل تحبط حبطا إذا اصابها ذلك وإذا عمل الإنسان عملا على خلاف الوجه الذي امر به يقال احبطه

✻ المعنى ✻

(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) ذكر في معناه وجوه ✻ احدها ✻ انه أراد سأصرف عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والاعتزاز بها كما يناله المؤمنون في الدنيا والآخرة المستكبرين في الأرض بغير الحق كما فعل بقوم موسى وفرعون فإن موسى كان يقتل من القبط وكان أحد منهم لا يجسر أن يناله بمكروه خوفا من الثعبان وعبر بني إسرائيل البحر وغرق فيه فرعون وقومه عن ابي علي الجبائي والآيات على هذا

التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء وفي قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا بيان ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم * وثانيها * ان معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي اظهرها على الأنبياء (ع) بعد قيام الحجة بما تقدم من المعجزات التي ثبتت بها النبوة لأن هذا الضرب من المعجزات إنما يظهر إذا كان في المعلوم انه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بأن لا يظهرها جملة او بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لأن ما بعده يليق به من قوله وإن يروا سبيل الرشد إلى آخر الآية * وثالثها * ان معناه سأمنع الكذابين والمتكبرين آياتي ومعجزاتي واصرفهم عنها واخص بها الانبياء فلا اظهرها إلا عليهم وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لأحد أن يقول هلا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون وهذا يبطل قول من قال أن الله تعالى جعل النيل في أمر فرعون فكان يجري بأمره ويقف وما شاكل ذلك * ورابعها * أن يكون الصرف معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن كونها ادلة وحججا ويكون تقدير الآية اني اصرف المبطلين والمكذبين عن القدح في دلالاتي بما اؤيدها واحكمها من الحجج والبينات ويجري ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا منع اعداءه بافعاله الحميدة واخلاقه الكريمة من ذمه وتهجينه واخرس السنتهم عن الطعن فيه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا راجعا الى ما قبله بلا فصل من قوله وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ولا يرجع الى قوله سأصرف — « وخامسها » — أن المراد سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالإهلاك او المنع من غير اهلاك فلا يقدرون على القدح فيها ولا على قهر مبلغيها ولا على منع المؤمنين من اتباعها والإيمان بها وهو نظير قوله والله يعصمك من الناس ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي تحملتها الأنبياء عليهم السلام ويكون قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا على هذا متعلقا ايضا بقوله وإن يروا سبيل الرشد الى ما بعده. ومعنى قوله الذين يتكبرون في الارض اي يرون لأنفسهم فضلا على الناس وحقا ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الأنبياء انفة من الانقياد لهم والقبول منهم وقوله (بغير الحق) تأكيد وبيان أن التكبر لا يكون الا بغير الحق كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق وقد مضى ذكر امثاله (وان يروا كل آية) اي كل حجة ودلالة تدل على توحيد الله وصحة نبوة أنبيائه (لا يؤمنوا بها) هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم انهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان انه إنما صرفهم عن آياته لذلك (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) يعني إن يروا طريق الهدى والحق لا يتخذوه طريقا لأنفسهم (وان يروا سبيل الغي) اي طريق الضلال (يتخذوه سبيلا) أي طريقا لأنفسهم ويميلون اليه وقيل الرشد الإيمان والغي الكفر وقيل الرشد كل امر محمود والغي كل أمر قبيح مذموم (ذلك) اشارة الى صرفهم عن الآيات وقيل اشارة الى اتخاذهم طريق الغي وترك طريق الرشد وتقديره امرهم ذلك (بأنهم كذبوا بآياتنا) اي بحججنا ومعجزات رسلنا (وكانوا عنها غافلين) أي لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها والمراد بالغفلة هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه صم بكم عمي وذلك انهم لما أعرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها اشبهت حالهم حال من كان غافلا ساهيا عنها ثم بين سبحانه وعيد المكذبين فقال (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يعني القيامة والبعث والنشور (حبطت اعمالهم) التي عملوها ولا يستحقون بها مدحا ولا ثوابا لأنها وقعت على خلاف الوجه

المأمور به فصارت بمنزلة مالم يعمل (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) صورته صورة الاستفهام والمراد به الإنكار والتوبيخ ومعناه ليس يجزون الا ماعملوه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا

= النظم =

قيل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه — (احدها) — انه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من ابطالها فبين سبحانه بقوله سأصرف عن آياتي انه يمنع عن ابطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون — (وثانيها) — انه لما تقدم ذكر معجزات موسى نبه عقيبه على انه سبحانه لا يظهر المعجزات على يد من ليس بنبي وابان عن صدق موسى ومحمد عليهما السلام لمكان المعجزة — (وثالثها) — انه خطاب لموسى وزيادة في البيان عن اتمام ما وعده في اهلاك اعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه خذها آمنا من طعن الطاعنين فإني سأصرف — (ورابعها) — أن الآيتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمراد انهُ يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى

قوله تعالى (١٤٨) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (آية)

❋ القراءة ❋

قرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام

= الحجة =

من قرأ بضم الحاء فإنه جمع حلي نحو ثدي وثدي وجمعه لانه اضافه إلى جمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة إلى الكسرة واجرى مجراه في قسي ونحوه ومن قرأ حليهم فلأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير

— اللغة —

الاتخاذ اجتباء الشيء لأمر من الامور فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة ويقال حلي الشيء في عيني يحلي حلى وحلا في فمي يحلو حلاوة. وحليت الرجل تحلية إذا وصفته بما ترى منه وتحلى بكذا تزين به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو روح وجسد فالروح ما لطف والجسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال يدل على الآفة نحو الصراخ والسكات والعطاس

❋ الاعراب ❋

موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا حليهم عجلا وجسدا بدل من عجل

المعنى

ثم عاد الكلام إلى قصة بني اسرائيل وما احدثوه عند خروج موسى (ع) إلى ميقات ربه فقال سبحانه (واتخذ قوم موسى) يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لأن منهم من ساق العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر وإنما انكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب (من بعده) أي من

بعد خروج موسى إلى الميقات عن الجبائي وغيره (من حليهم) التي استعاروها من قوم فرعون وكانت بنو إسرائيل بمنزلة اهل الجزية في القبط وكان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حلي القبط فلما أخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلي في ايديهم فاتخذ السامري منها (عجلا) وهو ولد البقرة (جسدا) اي مجسدا لا روح فيه وقيل لحما ودما عن وهب (له خوار) أي صوت وروي في الشواذ عن علي (ع) جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت ايضا وفي كيفية خوار العجل مع انه مصوغ من ذهب خلاف فقيل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحما ودما وكان ذلك معتادا غير خارق للعادة وجاز أن يفعل الله تعالى ذلك بمجرى العادة عن الحسن وقيل انه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات التي تصوت بالحيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وإنما اضاف سبحانه الصوت اليه لأنه كان محله عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيبا مطاعا فيما بينهم فأرجف ان موسى (ع) قد مات لما لم يرجع على رأس الثلاثين فدعاهم إلى عبادة العجل فأطاعوه ولم يطيعوا هارون وعبدوا العجل على ما مر ذكره في سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال (ألم يروا) اي ألم يعلموا (انه لا يكلمهم) بما يجدي عليهم نفعا او يدفع عنهم ضررا (ولا يهديهم سبيلا) أي لا يهديهم إلى خير ليأتوه ولا إلى شر ليجتنبوه دل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فإن من لا يتكلم في خير وشر ولا يهدي إلى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يكون إلها معبودا (اتخذوه) اي اتخذوه إلها وعبدوه (وكانوا ظالمين) باتخاذهم له إلها واضعين للعبادة في غير موضعها

قوله تعالى (١٤٩) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ آية

القراءة

لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم والباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء ربنا بالرفع

الحجة

من قرأ بالياء جعل الفعل للغيبة وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرأ بالتاء ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف التنبيه معه لأن عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي ربنا وآتنا ما وعدتنا

اللغة

معنى سقط في ايديهم وقع البلاء في ايديهم اي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عند ما يجده مما كان خفي عليه ويقال سقط في يده واسقط في يده وبغير الف افصح وقيل معناه صار الذي كان يضربه ملقى في يده

المعنى

ثم اخبر سبحانه انهم ندموا على عبادة العجل فقال (ولما سقط في ايديهم) أي فلما لحقتهم الندامة (ورأوا انهم قد ضلوا) أي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع اليهم موسى وبين لهم ذلك (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بقبول توبتنا (ويغفر لنا) ما قدمناه من عبادة العجل (لنكونن من الخاسرين) باستحقاق العقاب قال الحسن إن كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولأخي ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له وقال غيره إنما عبده بعضهم

قوله تعالى (١٥٠) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥١) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ آيتان

القراءة

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة عن عاصم ابن ام بالكسر ههنا وفي طه وقرأ الباقون ابن ام نصبا في الموضعين وروي في الشواذ عن مجاهد فلا تشمت بفتح التاء والميم الاعداء بالنصب وروي عن مجاهد ايضا فلا يشمت بالياء.

— الحجة —

من قرأ ابن ام بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن عم جعلوها اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيبويه قالوا يا ابن ام ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم لأن هذا اكثر في كلامهم من يا ابن ابي ويا غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن أمي باثبات الياء قال الشاعر

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي ... انت خليتني لدهر شديد

ولأمر شديدقال ابو علي بنى الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصبة التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى لكن بنى على الحركة التي كانت تكون للاعراب كما ان قولهم لارجل كذلك وكما ان مكانك اذا اردت به الأمر لاتكون الفتحة فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويدك فإن قال قائل فلم لا تقول انها نصبته والمراد يا ابن اما يا ابن اما فحذفت الألف كما حذفت ياء الاضافة في غلامي قيل له ليس هذا مثله الا ترى ان من حذف الياء من يا غلام اثبتها في ياغلام غلامي فلوكانت الالف مقدرة في يا ابن ام لم يكن تحذف كما لم تحذف في قوله « يا بنت عما لا تلومي واهجعي » فالالف لا يحذف حيث يحذف الياء ألاترى ان من قال ما كنا نبغ والليل اذا يسر فحذف الياء من الفواصل وما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في نحو قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى الا الاثبات فإن قلت فقد حذف الالف في نحو قوله « رهطابن مرحوم ورهط ابن المعل » يريد المعلى وانشد ابو الحسن

فلست بمدرك ما فات مني ... بلهف ولابليت ولا لواني

يريد بلهفي فحذف الالف فالقول فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي ان يحمل قوله ياابن أم على هذا وقياس من اجاز ذلك ان تكون فتحة الابن نصبة والفتحة في ام ليست كالتي في عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا بنت عما قال الزجاج ومن قرأ ابن ام بالكسر فإنه أضافه الى نفسه بعد ان جعله اسما واحداً

اللغة

الاسف الغضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف والأسف الحزن والتلهف ايضا ويقال خلفه يخلفه بمايحب وبما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة ويقال عجلته اي سبقته واعجلته استحثثته والشماتة سرور العدو بسوء العاقبة يقال شمت به شماتة واشمته اشماتاً عرضه لتلك الحال

الاعراب

غضبان منصوب على الحال وهو فعلان مؤنثه فعلى نحو غضبان وغضبى ولا ينصرف لأن فيه الالف والنون المضارعتين لألفي التأنيث في حمراء

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى (ع) حين رجع من مناجاة ربه ورأى عكوف قومه على عبادة العجل فقال (ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا) اي حزينا عن ابن عباس وقيل الأسف الشديد الغضب عن ابي الدرداء وقيل معنى الغضب والأسف واحد وانما كررها للتأكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر « متى أدن منه ينأ عني ويبعد » وقيل معناه غضبان على قومه اذ عبدوا العجل اسفا حزينا متلهفا على ما فاته من مناجاة ربه (قال بئسما خلفتموني من بعدي) اي بئسما عملتم خلفي وبئس الفعل فعلكم بعد ذهابي الى ميقات ربي (اعجلتم أمر ربكم) اي ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الاربعين ليلة عن ابي مسلم وذلك انهم قدروا انه قد مات لما لم يأت على رأس ثلاثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم أمر من ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم الى عبادة غيره عن ابي علي الجبائي (والقى الالواح) معناه انه القاها لما داخله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يرحم الله اخي موسى (ع) ليس المخبر كالمعاين لقد اخبره الله بفتنة قومه وقد عرف ان ما اخبره ربه حق وانه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع الى قومه ورآهم فغضب والقى الالواح وقد تقدم ذكر ما قيل في الالواح (وأخذ برأس أخيه) يعني هارون (يجره اليه) قيل في معناه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان موسى (ع) انما فعل ذلك مستعظما لفعلهم مفكرا فيما كان منهم كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته ويعض على شفته فأجرى موسى (ع) أخاه هارون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن ابي علي الجبائي وهذا من الامور التي تختلف احكامها بالعادات فيكون ما هو اكرام في موضع استخفافا في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع اكراما في آخر ﴿ وثانيها ﴾ انه (ع) اراد ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لإكباره منهم ما صاروا اليه من الكفر والارتداد فصدر ذلك منه للتألم بضلالهم واعلامهم عظم الحال عنده ليتزجروا عن مثله في مستقبل الاحوال ذكره الشيخ المفيد ابو عبد الله بن النعمان ﴿ وثالثها ﴾ انه انما جره الى نفسه ليناجيه ويستبرئ حال القوم منه ولهذا اظهر هارون براءة نفسه ولما اظهر هارون براءته دعا له ولنفسه ﴿ ورابعها ﴾ انه لما رأى بهارون مثل ما به من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجعا له مسكنا فكره هارون ان يظن الجهال ذلك استخفافا فأظهر براءته ودعا له موسى إزالة للتهمة ﴿ وخامسها ﴾ انه انكر على هارون ما بينه في طه من قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن الآية عن ابي مسلم (قال) يعني قال هارون (ابن ام) قال الحسن والله لقد كان أخاه لأبيه وأمه الا انه انما نسبه الى الأم لأن ذكر الأم ابلغ في الاستعطاف (ان القوم استضعفوني) يعني ان القوم الذين تركتني بين اظهرهم اتخذوني ضعيفا (وكادوا يقتلونني) اي هموا بقتلي وقرب ان يقتلوني لشدة انكاري عليهم (فلا تشمت بي الاعداء) اي لا تسرهم بأن تفعل بي ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) اي لا تجعلني مع عبدة العجل ومن جملتهم في اظهار الغضب والموجدة علي (قال) موسى حين تبين له ما نبهه هارون عليه من خوف التهمة ودخول الشبهة على القوم (ربي اغفرلي ولأخي) وهذا على وجه الانقطاع الى الله سبحانه والتقرب اليه لا انه كان وقع منه او من أخيه قبيح كبير او صغير يحتاج ان يستغفر منه فإن الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز ان يقع منهم شيء من القبيح وقيل انه (ع) بيّن بهذا لبني اسرائيل انه لم يجر رأسه

اليه لعصيان وجد منه وانما فعله كما يفعل الانسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره عن الجبائي (وادخلنا في رحمتك) اي نعمتك وجنتك (وانت ارحم الراحمين) ظاهر المعنى وانما يذكر في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته فإن الابتداء بالنعمة يوجب الإتمام وسعة الرحمة تقتضي الزيادة فيها فيقال ارحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته كما يقال اجود الاجودين لاستدعاء الجود من قبله

قوله تعالى (١٥٢) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٣) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٤) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ثلاث آيات

[اللغة]

النول اللحوق وأصله مد اليد الى الشيء الذي يبلغه ومنه قولهم نوالك ان تفعل كذا اي ينبغي ان تفعله فإنه يلحقك خيره وسكت اي سكن والسكوت هو الامساك عن الكلام بهيئة منافية بسببه وهو تسكين آلة الكلام وانما قيل سكت الغضب توسعا ومجازا لأنه لما كان بفورته دالا على ما في نفس المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فإذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به فالسكوت في هذا الموضع احسن من السكون لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة مع سكون غضبه

❋ الإعراب ❋

قال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون لربهم لأنه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه وقيل انه اذا كان بمعنى من اجله جاز دخول اللام عليه تقدم او تأخر كما قال تعالى ردف لكم

❋ المعنى ❋

ثم اوعدهم سبحانه فقال (ان الذين اتخذوا العجل) فيه حذف اي اتخذوه إلها او معبودا من دون الله (سينالهم غضب) اي سيلحقهم على عبادتهم إياه عقوبة (من ربهم) وانما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لأنه ابلغ في الزجر عن القبيح (وذلة في الحياة الدنيا) يعني صغر النفس والمهانة قال الزجاج والذلة ما امروا به من قتل انفسهم وقيل ان الذلة اخذ الجزية وأخذ الجزية لم يقع فيمن عبد العجل وانما اراد استسلامهم للقتل (وكذلك نجزي المفترين) اي مثل هذا الوعيد والعذاب والغضب نجزي الكاذبين والمتخرصين وانما سموا مفترين لأنهم عبدوا عجلا وقالوا انه إله فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله (والذين عملوا السيئات) اي الشرك والمعاصي (ثم تابوا من بعدها وآمنوا) اي واستأنفوا عمل الإيمان وقيل معناه تابوا وآمنوا بأن الله قابل للتوبة (ان ربك) يا محمد (من بعدها) اي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات (لغفور) لذنوبهم (رحيم) بهم (ولما سكت) اي سكن (عن موسى الغضب) وقيل في معناه زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لأن توبتهم لم تخلص وقيل معناه زال غضبه لأنهم تابوا (أخذ الالواح) التي كانت فيها التوراة (وفي نسختها) اي وفيما نسخ فيها وكتب عن الجبائي وابي مسلم وقيل وفي نسختها التي كتبت ونسخت منها (هدى) اي دلالة وبيان لما يحتاج اليه من امور الدين (ورحمة) اي نعمة ومنفعة (للذين هم لربهم يرهبون) اي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي الآية دلالة على انه يجوز القاء التوراة للغضب الذي يظهر بالقائها ثم اخذها للحكمة التي فيها من غير ان يكون القاؤها رغبة عنها

قوله تعالى (١٥٥) وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ آية

اللغة

الاختيار ارادة ما هو خير يقال خيره بين أمرين فاختار احدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد والفتنة الكشف والاختبار وقال المسيب بن علس

اذ تستبيك بأصلتي ناعم قامت لتفتنه بغير قناع

اى لتكشفه وتبرزه

الإعراب

واختار موسى تقديره اختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه وإنما حذف من لدلالة الفعل عليه مع إيجاز اللفظ قال الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع

وقال غيلان

وانت الذي اخترت المذاهب كلها بوهبين إذ ردت علي الاباعر

وقال آخر

فقلت له اخترها قلوصا سمينة ونابا علينا مثل نابك في الحيا

المعنى

ثم اخبر تعالى عن اختيار موسى من قومه عند خروجه الى ميقات ربه فقال (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) واختلف في سبب اختياره اياهم ووقته فقيل انه اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التوراة فيكونوا شهداء له عند بني اسرائيل لما لم يثقوا بخبره أن الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوا الرؤية فأصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله تعالى فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الاول الذي تقدم ذكره عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك فلما سمعوا كلام الله قالوا ارنا الله جهرة (فأخذتهم الرجفة) وهي الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت ان تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوه بأنهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس ان السبعين الذين قالوا ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة وانما أمر الله تعالى موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعو ربهم فكان فيما دعوا ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة ورووا عن علي بن ابي طالب (ع) انه قال انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قتل اخيه هارون وذلك ان موسى وهارون وشبر وشبير ابني هارون انطلقوا الى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى (ع) فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هارون قال توفاه الله فقالوا لا بل انت قتلته

جبدتنا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا منهم سبعين رجلا وذهب بهم فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هارون اقتلت ام مت فقال هارون ما قتلني احد ولكن توفاني الله فقالوا ان نعصي بعد اليوم فأخذتهم الرجفة وصعقوا وقيل انهم ماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة اخذتهم الرعدة فقلقلوا ورجفوا حتى كادت تبين منه مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمأنوا وسمعوا كلام ربهم (قال) اي قال موسى (رب لو شئت اهلكتهم من قبل وإياي) اي لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف واهلكتني معهم فالآن ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) معناه النفي وان كان بصورة الانكار والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فبهذا نسألك رفع المحنة بالاهلاك عنا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى انهم اهلكوا لأجل عبادة بني اسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرؤية عن جماعة من المفسرين (ان هي الا فتنتك) معناه إن الرجفة الا اختبارك وابتلاؤك ومحنتك اي تشديدك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبير وابي العالية والربيع ومثله قوله اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يعني بذلك الامراض والأسقام التي شدد الله بها التعبد على عباده وانما سمي ذلك فتنة لأنه يشتد الصبر عليها ومثله أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون اي لا ينالهم شدائد الدنيا وقيل ان المراد ان هي الا عذابك عن ابن عباس وقد سمى الله العذاب فتنة في قوله يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون فكأنه قال ليس هذا الاهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل او سؤالهم الرؤية (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) أي تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها عمن تشاء عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضاء بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء (انت ولينا) معناه انت ناصرنا والاولى بنا تحوطنا وتحفظنا (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) اي خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم

قوله تعالى (١٥٦) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (آية)

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن وعمرو الاسواري من اساء والقراءة المشهورة من اشاء والوجه فيه ظاهر

المعنى

هذا تمام ما قاله موسى في دعائه (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) سأل الله سبحانه أن يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وإنما سميت النعمة حسنة وإن كانت الحسنة اسم الطاعة لله لأمرين (احدهما) أن النعمة تتقبلها النفس كما أن الطاعة يتقبلها العقل والآخر انها ثمرة الطاعة لله وانما ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا أو اوجب لنا لأن الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور الأزمان (وفي الآخرة) معناه واكتب لنا في الآخرة حسنة ايضا كما في قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الآخرة الرفعة وقيل هي في الدنيا التوفيق للأعمال

الصالحة وفي الآخرة المغفرة والجنة (انا هدنا اليك) أي رجعنا بتوبتنا اليك والهود الرجوع (قال) الله تعالى مجيبا لموسى (ع) (عذابي اصيب به من اشاء) ممن عصاني واستحقه بعصيانه وإنما علقه بالمشيئة لجواز الغفران في العقل (ورحمتي وسعت كل شيء) قال الحسن وقتادة ان رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل شيء ولكن لا تجب الا للذين يتقون وذلك ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فإذا صار في الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل معناه انها تسع كل شيء ان دخلوها فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم الا ان فيهم من لا يدخل فيها لضلاله وفي الحديث ان النبي (ص) قام في الصلاة فقال اعرابي وهو في الصلاة اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احداً فلما سلم رسول الله (ص) قال للأعرابي لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عز وجل اورده البخاري في الصحيح (فسأكتبها للذين يتقون) أي فسأوجب رحمتي للذين يتقون الشرك أي يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصي (ويؤتون الزكاة) أي يخرجون زكاة اموالهم لأنه من أشق الفرائض وقيل معناه ويطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وانما ذهبا الى تزكية النفس وتطهيرها (والذين هم بآياتنا يؤمنون) اي بحججنا وبيناتنا يصدقون وروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج انها لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس بقوله فسأكتبها للذين يتقون الى آخر الآية فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها منهم وجعلها لهذه الأمة بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية

قوله تعالى (١٥٧ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ آية

القراءة

قرأ ابن عامر وحده آصارهم على الجمع والباقون اصرهم على التوحيد

الحجة

قال ابو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله اصرهم فاضيف وهو مفرد الى الكثرة ولا يجمع وقال ربنا ولا تحمل علينا إصرا وقال ينظرون من طرف خفي ولا يرتد اليهم طرفهم فالوجه الافراد كما افرد في غير هذا الموضع وجمعه ابن عامر كأنه اراد ضروبا من المآثم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر تجمع اذا اختلف ضروبها واذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضربا واحدا كقوله

هل من حلوم لاقوام فينذرهم ماجرب الناس من عضي وتضريسي

فأن يجمع ما يختلف من المآثم اجدر ويقوي ذلك قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم والثقل مصدر كالشبع والصغر والكبر

اللغة

قال الزجاج اختلف أهل اللغة في معنى قوله عزروه وفي قولهم عزرت فلانا اعزره واعزره عزرا فقيل معناه رددته وقيل معناه اعنته وقيل معناه لمته ويقال عزرته بالتشديد نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزروه منعوا اعداءه

من الكفر به وقيل نصروه والمعنى قريب لأن منع الاعداء منه نصرته ومعنى عزرت فلانا اذا ضربته ضربا دون الحد انه يمنعه بضربه اياه من معاودته مثل عمله ويجوز أن يكون من عزرته أي رددته معناه فعلت به ما يرده عن المعصية

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج قوله يأمرهم بالمعروف يجوز ان يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم انه يأمرهم بالمعروف ويجوز ان يكون يأمرهم بالمعروف مستأنفا قال ابو علي لا وجه لقوله يجدونه مكتوبا انه يأمرهم ان كان يعني ان ذلك مراد لأنه لا شيء يدل على حذفه ولأنا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء وتفسيره ان وجدت هنا هو المتعدي الى مفعولين ومكتوبا مفعول ثان والمعنى يجدون ذكره مكتوبا عندهم في التوراة او اسمه فالمفعول الأول قام مقام المضاف اليه وانما قلنا ذلك لأن المكتوب هو الاسم او الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب ان يكون الاول في المعنى قال فأما قوله يأمرهم بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير لوعدهم وكما ان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل فإن قلت لم لا تجعله حالا من المفعول الأول فلأن ذلك ممتنع في المعنى ألا ترى ان المعنى إذا كان يجدون ذكره او اسمه مكتوبا لم يجز ان يكون يأمرهم حالا منه لأن الاسم والذكر لا يأمران انما يأمر المذكور والمسمى ولا يجوز ان يكون مما في مكتوب من الضمير لأن الضمير هو المفعول الأول في المعنى

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفة أخرى فقال (الذين يتبعون الرسول النبي) اي يؤمنون به ويعتقدون بنبوته يعني نبينا محمد (ص) الامي ذكر في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه الذي لا يكتب ولا يقرأ ﴿ وثانيها ﴾ انه منسوب الى الأمة والمعنى انه على جبلة الأمة قبل استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالأمة العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابة ﴿ وثالثها ﴾ انه منسوب الى الأم والمعنى انه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة ﴿ ورابعها ﴾ انه منسوب الى أم القرى وهي مكة وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) معناه يجدون نعته وصفته ونبوته مكتوبا في الكتابين لأنه مكتوب في التوراة في السفر الخامس اني سأقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما اوصيه به وفيها ايضا مكتوب وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيما وأؤخره لأمة عظيمة وفيها ايضا اتانا الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها نعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله وفيه ايضا قول المسيح للحواريين انا اذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انه نذيركم بجميع الحق ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي وفيه ايضا انه اذا جاء فند اهل العالم (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يجوز ان يكون هذا مكتوبا في التوراة والانجيل ويكون موصولا بما قبله وبيانا لمن يكتب له رحمة الولاية والمحبة ويجوز ان يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا للنبي (ص) والمعروف الحق والمنكر الباطل لأن الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل في القول الأول (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الانفس وقيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل يحل لهم ما حرمه عليهم رهبانهم واحبارهم وما كان يحرمه اهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها (ويضع عنهم اصرهم) اي ثقلهم شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف

الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب حرمة للنبي (ص) عن الحسن وقيل الإصر هو العهد الذي كان الله سبحانه أخذه على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة عن ابن عباس والضحاك والسدي ويجمع المعنيين قول الزجاج الإصر ما عقدته من عقد ثقيل (والاغلال التي كانت عليهم) معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزومها كما يقال هذا طوق في عنقك وقيل يريد بالاغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية عن اكثر المفسرين (فالذين آمنوا به) اي بهذا النبي وصدقوه في نبوته (وعزروه) اي عظموه ووقروه ومنعوا عنه اعداءه (ونصروه) عليهم (واتبعوا النور) معناه القرآن الذي هو نور في القلوب كما ان الضياء نور في العيون ويهتدي به الخلق في أمور الدين كما يهتدون بالنور في أمور الدنيا (الذي أنزل معه) اي أنزل عليه وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع وقيل معناه أنزل في زمانه وعلى عهده ويروى ان النبي (ص) قال لاصحابه اي الخلق اعجب إيمانا قالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فنحن يا نبي الله قال انا فيكم فما لكم لاتؤمنون إنما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذي أنزل معه (أولئك هم المفلحون) اي الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفائزون بالثواب

قوله تعالى (١٥٨) قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ آية

❋ الإعراب ❋

جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الإضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في رسول الله الا انه لا يجوز ان يتقدم على حرف الإضافة لأنه قد صار بمنزلة العامل

— المعنى —

ثم أمر الله سبحانه نبينا ان يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال (قل يا أيها الناس اني رسول الله) ارسلني (اليكم جميعا) أدعوكم الى توحيده وطاعته واتباعي فيما أؤديه اليكم وانما ذكر جميعا للتأكيد وليعلم انه مبعوث الى الكافة (الذي له ملك السماوات والأرض) معناه الذي له التصرف في السماوات والأرض من غير دافع ومنازع (لا إله) اي لا معبود (إلا هو) ولا شريك له في الإلهية (يحيي) الأموات (ويميت) الأحياء لا يقدر احد على الإحياء والإماتة سواه لأنه لو قدر أحد على الإماتة لقدر على الإحياء فإن من شأن القادر على الشيء ان يكون قادرا على ضده (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله) يعني لم يأمركم بالايمان حتى آمن هو اولا وعليه زيادة التكليف من أداء الرسالة وبيان الشرائع والقيام بالدعوة (وكلماته)اي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) اي لكي تهتدوا الى الثواب والجنة

قوله تعالى (١٥٩) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٦٠) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (آيتان)

— اللغة —

قال الأزهري السبط الفرقة لايثنى ولايجمع ولا يؤنث وقد جمع فقيل اسباط واشتقاقها من سبط وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطة وهو الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الأصابع طويلها وسبط الكف سمحها ومطر سبط وسبط متدارك وسباطته سعته والسبط في كلام العرب خاصة الاولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجيء بعد قرن والصحيح ان الاسباط في ولد اسحاق بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل فولد كل ولد من اولاد يعقوب سبط و ولد كل ولد من اولاد اسماعيل قبيلة وانما سموا هؤلاء بالقبائل وهؤلاء بالاسباط ليفصل بين ولد اسماعيل وولد اسحاق (ع) ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبائل وكذلك الاسباط من السبط كأنه جعل اسحاق بمنزلة شجرة وجعل اسماعيل بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسابون في النسب يجعلون الوالد بمنزلة شجرة واولاده بمنزلة اغصانها ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا معنى الاسباط والسبط

﴿ الاعراب ﴾

اثنتي عشرة اسباطا يعني اثنتي عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك أنث واسباطا بدل من اثنتي عشرة تقديره وفرقناهم اسباطا وجعلناهم اسباطا ويجوز كسر الشين في عشرة وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب وأمما نعت الاسباط

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل فقال سبحانه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) اي جماعة يدعون الى الحق ويرشدون اليه (وبه يعدلون) اي وبالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم واختلف في هذه الأمة منهم على اقوال ﴿ احدها ﴾ انهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين وادجار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطا وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) قالوا وليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد ولا منهم الينا وهم على الحق قال ابن جريج بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم و كفروا و كانوا اثنتي عشرة سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا من الأرض فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرائيل انطلق بالنبي (ص) ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه وأمرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروى اصحابنا انهم يخرجون مع قائم آل محمد وروي ان ذا القرنين رآهم وقال لو أمرت بالمقام لسرني ان أقيم بين اظهركم ﴿ وثانيها ﴾ انهم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بالحق وبشريعة موسى (ع) في وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى (ع) فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى أمة كانوا يهدون بالحق عن ابي علي الجبائي وانكر القول الأول وقال لو كانوا باقين لكانوا كافرين بجحد نبوة محمد (ص) وليس هذا بشيء لأنه

لا يمتنع ان يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبي (ص) فلا يحكم بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وآمنوا ﴿ وثالثها ﴾ انهم الذين آمنوا بالنبي (ص) مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما وفي حديث ابي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى (ع) لما أخذ الألواح قال رب اني لأجد في الألواح أمة هي خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد في الألواح أمة كتبهم في صدورهم يقرأونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لاجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني اجد في الالواح أمة اذا هم احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرة امثالها وان هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة احمد قال رب اني اجد في الألواح أمة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال تلك أمة أحمد قال موسى رب اجعلني من أمة احمد (ص) قال ابو حمزة فأعطى موسى آيتين لم يعطوها يعني أمة احمد قال الله ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى (ع) كل الرضا وفي حديث غير ابي حمزة قال ان النبي (ص) لما قرأ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها (وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما) اي وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة اسباطا يعني اولاد يعقوب (ع) فإنهم كانوا اثني عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطا وأمة وانما جعلهم سبحانه أمما ليتميزوا في مشربهم ومطعمهم ويرجع كل أمة منهم الى رئيسهم فيخف الأمر على موسى (ع) ولايقع بينهم اختلاف وتباغض (واوحينا الى موسى اذاستسقيه قومه) اي طلبوا منه السقيا (ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست) الانبجاس خروج الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان يبتدئ الماء من الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر ههنا الانبجاس وفي سورة البقرة الانفجار والآية الى آخرها مفسرة هناك فلا معنى لإعادته

قوله تعالى (١٦١) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦٢) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون نغفر بالنون وكسر الفاء وقرأ أهل المدينه ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرأ ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد ورفع التاء وقرأ ابو عمرو خطاياكم بغير همز وعلى جمع التكسير والباقون خطيئاتكم على جمع السلامة وكسر التاء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ نغفر بالنون فهو على واذ قيل لهم ادخلوا نغفر لكم أي إن دخلتم غفرنا والتي في البقرة نغفر والنون هناك احسن لقوله وإذ قلنا واما قراءة من قرأ تغفر بالتاء مضمومة فلأنه قد استند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث فأنث وبنى الفعل للمفعول وهو اشبه بقوله وإذ قيل لهم وقد مضى تفسير مثل هاتين الآيتين في سورة البقرة فلا وجه لإعادته

قوله تعالى (١٦٣) وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ

إِذْ تأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٤) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ آيتان

— القراءة —

قرأ حفص معذرة بالنصب والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن شهر بن حوشب وابي نهيك يعدّون وعن الحسن يسبتون بضم الياء

= الحجة =

من قرأ معذرة بالرفع فتقديره موعظتنا معذرة فيكون خبر مبتدأ محذوف ومن قرأ بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة وقال سيبويه لو قال رجل لرجل معذرة الى الله واليك من كذا وكذا لنصب الى معنى نعتذر ومن قرأ يعدون اراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل فتحها الى العين فصار يعدون ومن قرأ يسبتون فمعناه يدخلون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر واجمعنا دخلنا في الجمعة ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت ويقيمون عمل يوم السبت فالسبت على هذا فعلهم يقول سبت يسبت سبتا اذا عظم يوم السبت

﴿ اللغة ﴾

حيتان جمع حوت واكثر مايسمي العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عدوانا وعداء وعدوا وعُدوّاً ظلم واصله مجاوزة الحد والشرع اصله الظهور ومنه الشرعة والشريعة وهو الظاهر المستقيم من المذاهب ومنه المشرعة والشريعة لكونهما في مكان ظاهر من النهر ومنه شراع السفينة لظهورها والمعذرة والعذر والعذرى والعذرة واحد مصدر عذرته اعذره والمعذر الذي له عذر صحيح والمعذر بالتشديد الذي لاعذر له وهو يريك انه معذور وهو المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقولهم من يعذرني معناه من يقوم بعذري

﴿ الإعراب ﴾

إذ يعدون موضع إذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم أي عن وقت ذلك إذ تأتيهم في موضع نصب ايضا يعدون • المعنى سلهم إذ عدوا في وقت الإتيان • شرعا نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب بنبلوهم ويحتمل أن يكون على ويوم لايسبتون لا تأتيهم كذلك أي لا تأتيهم شرعا فيكون الكاف في موضع نصب على الحال من تأتيهم ويكون نبلوهم مستأنفا والقول الأول اجود ولم تعظون اصله لما ولكن هذه الألف تحذف مع حرف الجر يقول مم وفيم وعلام وعم

﴿ المعنى ﴾

ثم ابتدأ سبحانه بخبر آخر من اخبار بني اسرائيل فقال مخاطبا لنبيه (وسألهم) أي استخبرهم يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام (عن القرية التي كانت حاضرة البحر)اي مجاورة البحر وقريبة من البحر على شاطئ البحر وهي ايلة عن ابن عباس وقيل هي مدين عنه ايضاً وقيل طبرية عن الزهري (اذ يعدون في السبت) اي يظلمون فيه بصيد السمك ويتجاوزون الحد في امر السبت (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً) اي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤوسها قال الحسن كانت تشرع الى ابوابهم مثل الكباش البيض لأنها كانت آمنة يومئذ (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) اي ويوم لايكون السبت كانت تغوص في الماء واختلف في انهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء الى يوم الاحد وهذا تسبب محظور وفي رواية عكرمة عن ابن

عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الاحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن (كذلك نبلوهم) اي مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم (بما كانوا يفسقون) اي بفسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم (واذ قالت أمة) اي جماعة (منهم) اي من بني اسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلاثة فرق فرقة قانصة وفرقة ساكنة واعظة فقال الساكتون للواعظين والناهين (لم تعظون قوما الله مهلكهم) اي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لأياسهم عن أن يقبل أولئك القوم الوعظ فإن الامر بالمعروف انما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ ممن لا يقبل والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم (او معذبهم عذابا شديدا) في الآخرة (قالوا) اي قال الواعظون في جوابهم (معذرة الى ربكم) معناه موعظتنا إياهم معذرة الى الله وتأدية لفرضه في النهي عن المنكر لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم (ولعلهم) بالوعظ (يتقون) ويرجعون

قوله تعالى (١٦٥) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٦) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ آيتان

القراءة

قرأ اهل المدينة بعذاب بِيس بكسر الباء غير مهموز على وزن فعل وقرأ ابن عامر بئس مهموز على وزن فعل ايضا وقرأ ابو بكر غير حماد بِيئِس على وزن فيعل والباقون بئيس على وزن فعيل وروي في الشواذ عن ابن عباس بيئس على وزن فيعل وعن زيد بن ثابت بئس على وزن فعل وعن يحيى والسلمي بخلاف بئس وعن طلحة بن مصرف بيس وروي ايضا عن نافع وروي عن مجاهد بائس على وزن فاعل وعن الحسن بئس بكسر الباء وفتح السين

الحجة

قال ابو علي من قرأ بئيس فانه يحتمل امرين ان يكون فعيلا من بؤس يبؤس اذا كان شديد الباس فيكون مثل بعذاب شديد وان يكون مصدراً على فعيل نحو النذير والنكير وقولهم « غذير الحي من عدوان كانوا حية الارض» فوصف بالمصدر والتقدير بعذاب ذي بئيس اي ذي بؤس ومن قرأ بعذاب بئسَ فإنه جعل بئس الذي هو فعل اسما فوصف به ومثل ذلك قوله إن الله ينهى عن قيل وقال ومثله مذ شب الى دب ومذ شب الى دب فلما استعملت هذه الألفاظ اسماء وافعالا فكذلك بئس جعله اسماً بعد أن كان فعلا فصار وصفا ومن قرأ بيئس فإنه يكون وصفا مثل ضيغم وحيدر وقال ولا يجوز كسر العين منه لأن فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء او واوا مثل طيب وسيد ولم يجيء مثل ضيغم وقد جاء في المعتل فيعل انشد سيبويه« ما بال عينك كالشعيب العيّن » فينبغي أن يحمل بيئس ممن رواه على الوهم قال ابن جني و إنما جاء في الهمز لمشابهتها حر في العلة واما بَئِس على فَعِل فإنه جاء على بَئِس الرجل بأسه اذا شجع فكأنه عذاب مقدم عليهم غير متأخر عنهم ويجوز أن يكون مقصوراً من بئيس فيكون مثل انق من انيق وأما بيس في وزن جيش فكأنه اراد بئس فخفف الهمزة فصارت بين بين فلما قاربت الياء اسكنها طلبا للخفة فصارت في اللفظ ياء ونحو من ذلك قول ابن ميادة «وكان يومذ لها حكمها» اراد يومئذ فخفف واما بائس فاسم الفاعل من بئس وانكر ابو حاتم قراءة الحسن بئس وقال لو كان كذا لما كان بدٌّ معها من ما بئس ما كنعم ما

اللغة

قال ابو زيد يقال بؤس الرجل يبؤس بأساً اذا كان شديد البأس وفي البؤس وهو الفقر بأس الرجل يبأس بؤساً وبأساً والبأساء الاسم والعتو الخروج الى افحش الذنوب والعاتي المبالغ في المعاصي والليل العاتي الشديد الظلمة والخاسئ المطرود المبعد عن الخير من خسأت الكلب اذا أقصيته فخسأ أي بعد

المعنى

(فلما نسوا ما ذكروا به) أي فلما ترك أهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك (انجينا الذين ينهون عن السوء) أي خلصنا الذين ينهون عن المعصية (واخذنا الذين ظلموا أنفسهم بعذاب بئيس) أي شديد (بما كانوا يفسقون) أي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل أن مسخوا قردة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية أم من الهالكة وروي عن ابن عباس فيهم ثلاثة اقوال احدها انه نجت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدي والثاني انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) والثالث التوقف فيه روي عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجى الذين نهوهم ولا ادري ماصنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا واختاره الجبائي وقال الحسن انه نجا الفرقة الثالثة لأنه ليس شيء ابلغ في الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلكهم اومعذبهم عذابا شديداً وقال قتل المؤمن اعظم والله من أكل الحيتان (فلما عتوا عما نهوا عنه) اي عن ترك ما نهوا عنه يعني لم يتركوا مانهوا عنه وتمردوا في الفساد والجرأة على المعصية وابوا ان يرجعوا عنها (قلنا لهم كونوا قردة) اي جعلناهم قردة (خاسئين) مبعدين مطرودين وانما ذكر كن ليدل على انه سبحانه لا يمتنع عليه شيء واجاز الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك ابلغ في الآية النازلة بهم وحكي ذلك عن ابي الهذيل قال قتادة صاروا قردة لها اذناب تعاوى بعد ان كانوا رجالا ونساء وقيل انهم بقوا ثلاثة أيام ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ايام وقيل عاشوا سبعة ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لأن من المعلوم ان القردة ليست من اولاد آدم كما ان الكلاب ليست منهم ووردت الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى لم يمسخ شيئا فجعل له نسلا وعقباً

القصة

قيل كانت هذه القصة في زمن داود (ع) وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي أمرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضا سمانا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم أتاهم الشيطان وقال إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة ثم يأخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا وشده الى الساحل ثم أخذه يوم الاحد وشواه فلاموه على ذلك فلما لم يأته العذاب اخذوا ذلك واكلوه وباعوه وكانوا نحواً من اثني عشر الفا فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تساكنهم فاصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فإذاهم قردة ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لايعرفونها فجعلت تبكي فإذا قالوا لهم الم ننهكم قالت برؤوسها أن نعم قال قتادة صارت الشبان قردة والشيوخ خنازير

قوله تعالى (١٦٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٨) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ آيتان

الاعراب

ومنهم دون ذلك دون في موضع الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوبا لتمكنه في الظرفية ومثله على قول ابي الحسن لقد تقطع بينكم هو في موضع الرفع فجاء منصوبا لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيامة يفصل بينكم بين في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وإن شئت كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف الموصوف وقامت صفته مقامه

— المعنى —

ثم خاطب سبحانه النبي فقال (واذ تأذن ربك) ومعناه واذكر يا محمد اذ أذن واعلم ربك فإن تاذن واذن بمعنى وقيل معناه تألي ربك اى اقسم القسم الذي يسمع بالإذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس (ليبعثن عليهم) اي على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) اي من يذيقهم ويوليهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية منهم والمعني به امة محمد (ص) عند جميع المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهذا يدل على ان اليهود لاتكون لهم دولة الى يوم القيامة ولاعز واما معنى البعث هاهنا فهو الامر والإطلاق والمعونة وقيل معناه التخلية وان وقع على وجه المعصية كقوله سبحانه إنا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا (ان ربك لسريع العقاب) لمن يستوجبه على الكفر والمعصية (وانه لغفور رحيم) ظاهر المعنى وإنما قال سريع العقاب وان كان العقاب مؤخراً الى يوم القيامة لأن كل آت فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن شاء أن يعاقبه في الدنيا (وقطعناهم في الأرض أمماً) معناه وفرقناهم في البلاد فرقا مختلفة وجماعات شتى يعني اليهود عن ابن عباس ومجاهد وإنما فرقهم بأن فرق دواعيهم حتى افترقوا في البلاد وتفرقهم ذل لهم بمنزلة أخذ الجزية لأنهم لايتعاونون ولا يتناصرون وقيل إنه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في دينهم فصلح فريق وعصى فريق ثم اخبر سبحانه عنهم فقال (منهم الصالحون) أي من هؤلاء الصالحون يعني من بني اسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسله ويطيعونه (ومنهم دون ذلك) أي دون الصالح في الدرجة والمنزلة وهم الذين امتثلوا بعض الأوامر دون بعض وعملوا بعض المعاصي وإنما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى(ع) وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى عليهما السلام ومنهم الكافرون عن عطا ومجاهد (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) معناه اختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق بالشدائد في العيش والمصائب في الأنفس والأموال فكأنه قال بلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فإن فعل النعم يقتضي الرغبة الى الله تعالى في ارتباطها وفعل النقم يقتضي الرغبة الى الله تعالى في كشفها (لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا الى الله تعالى وينيبوا الى طاعته وامتثال أمره ومتى قيل كيف يصح الرجوع الى أمر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه أن الذاهب عن الشيء قد يقال له ارجع اليه أي صر اليه كما أن من رأى غيره سالكا في المهالك قد يقول له ارجع الى الطريق المستقيم يريد به اخراجه عن المهالك وقيل ان معناه لعلهم يرجعون الى ما عليه أصل الفطرة

قوله تعالى (١٦٩) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا

يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٧٠) وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ آيتان

القراءة

قرأ ابو بكر يمسكون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد وفي الشواذ قراءة السلمي وادّارسوا ما فيه اراد تدارسوا فادغم

اللغة

قال الزجاج يقال للقرن الذي يجيء في اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك قال الفراء يقال هو خلف صدق وخلف سوء قال لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

قال علي بن عيسى وقد يوضع احدهما مكان الآخر قال حسان

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ... لأولنا في طاعة الله تابع

والأغلب في الفتح أن يستعمل في المدح . والعرض مايعرض ويقل لبثه ومنه سمي العرض القائم بالجسم عرضا لأنه يعرض في الوجود ولايجب له من اللبث مايجب للأجسام والدرس تكرير الشيء ويقال درس الكتاب اذا كرر قراءته ودرس المنزل اذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى انمحى أثره وامسك ومسك وتمسك واستمسك بالشيء بمعنى واحد أي اعتصم به

الإعراب

يأخذون عرض هذا الأدنى في موضع النصب على الحال من الضمير في ورثوا وقوله ورثوا الكتاب صفة خلف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ عليهم الى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من اول الآية إلا على قوله ما فيه وخبر الذين يمسكون قوله انا لا نضيع أجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله السمن منوان بدرهم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع أجرهم لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب في المعنى ويجوز أن يكون الخبر محذوفا وتقديره نعطيهم أجرهم لأنا لا نضيع اجر المصلحين فاستغني بذكر العلة عن ذكر المعلول

المعنى

ثم ذكر سبحانه الأخلاف بعد ذكر الأسلاف فقال (فخلف من بعدهم خلف) معناه فذهب اولئك وقام مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب يعني التوراة فإن الميراث ما صار للباقي من جهة البادي (يأخذون عرض هذا الأدنى) معناه ما اشرف لهم من الدنيا اخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس واراد بقوله هذا الأدنى هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم الأدنى وهو الدار الفانية (ويقولون سيغفر لنا) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) اي وان وجدوا من الغد مثله أخذوه وهذا دليل على إصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الإصرار وقيل معناه وإن جاءهم حرام من الرشوة وغيرها بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شيء

عن الحسن (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) معناه ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الأحكام القائلين سيغفر لنا اذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التوراة ان لا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا اليه الا ما أنزله على رسوله موسى(ع) في التوراة من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المغفرة مع الاصرار (ودرسوا ما فيه) أي وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه وتركوا العمل به (والدار الآخرة خير للذين يتقون) معناه ما اعده الله لأوليائه في الدار الآخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصي الله (أفلا يعقلون) من قرأ بالياء فمعناه افلا تعقل هذه الطائفة ومن قرأ بالتاء فمعناه قل لهم أفلا تعقلون ان الأمر على ما اخبر الله به (والذين يمسكون بالكتاب) أي يتمسكون به والكتاب التوراة أي لايحرفونه ولا يكتمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والمتمسك به امة محمد (ص) عن عطا (واقاموا الصلاة) إنما خص الصلاة بالذكر لجلالة موقعها وشدة تأكدها (انا لا نضيع أجر المصلحين) أي لا نضيع جزاء عملهم وثيبهم على ما يستحقونه

قوله تعالى (١٧١) وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ آية

اللغة

النتق قلع الشيء من الاصل وكل شيء قلعته ثم رميت به فقد نتقته ومنه قيل للمرأة الكثيرة الاولاد ناتق لأنها ترمي بالاولاد رمياً هذا قول أبي عبيدة وقيل أصل النتق الرفع ومنه امرأة ناتق لرفعها الاولاد ونتقت المرأة فهي ناتق ومنتاق اذا كثر ولدها وهو قول ابن الاعرابي وقيل اصله الجذب يقال نتقت الغرب من البئر جذبته عن ابي مسلم والظلة كلما اظلك أي سترك من سقف او سحابة اوجناح حائط

المعنى

عاد الكلام الى قوم موسى (ع) فقال سبحانه (واذ نتقنا الجبل فوقهم) معناه واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل من اصله فرفعناه فوق بني اسرائيل وكان عسكر موسى (ع) فرسخا في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم (كأنه ظلة) اي غمامة وقيل سقيفة عن عطا (وظنوا انه واقع بهم) أي علموا وايقنوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن اي قوي في نفوسهم ذلك عن الرماني والجبائي (خذوا)اي وقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم بقوة) اي خذوا ما الزمناكم من احكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه بجد واجتهاد منكم في كل أوان من غير تقصير ولاتوان (واذكروا ما فيه) من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه (لعلكم تتقون) اي لكي تتقوا ربكم وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحا

قوله تعالى (١٧٢) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٣) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٤) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ثلاث آيات

— القراءة —

قرأ ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرأ ابو عمرو أن يقولوا ويقولوا بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي الذرية قد يكون جمعا وقد يكون واحداً فمما جاء فيه جمعاً قوله وكنا ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن افرد جعله جمعاً فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحدا قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ثم قال إن الله يبشرك بيحيى وهذا مثل قوله رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وأما قراءة ابي عمرو ان يقولوا بالياء فلأن الذي تقدم من الكلام على الغيبة ومن قرأ بالتاء فلأنه جرى في الكلام خطاب ايضا فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لأن الغيب هم المخاطبون في المعنى

الإعراب

من ظهورهم بدل من قوله من بني آدم والمعنى أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقدير وزنها واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان تقولوا تقديره كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا وقد مضى الكلام في امثاله

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما أخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جمعاً بين دلائل السمع والعقل وابلاغا في إقامة الحجة فقال (وإذ أخذ ربك) اي واذكر لهم يا محمد اذ اخرج ربك (من بني آدم من ظهورهم) اي من ظهور بني آدم (ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية وفي هذا الاخراج والاشهاد على وجوه احدها ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال اني آخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلي ارزاقهم ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردهم الى صلب آدم والناس محبوسون بأجمعهم حتى يخرج كل من اخرجه الله في ذلك الوقت وكل من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الأولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك آثارا بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة يجعلونها تأويلا للآية ورد المحققون هذا التأويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنه تعالى قال وإذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين اويعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد آدم لصلبه وايضا فإن هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم لا يخلو إما ان جعلهم الله عقلاء او لم يجعلهم كذلك فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصح ان يعرفوا التوحيد وان يفهموا خطاب الله تعالى وان جعلهم عقلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب ان يتذكروا ذلك ولا ينسوه لأن أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه الا ان يكون ذاكرا له فيجب ان نذكر نحن الميثاق ولأنه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاء شيئا كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكره واحد منهم وان طال العهد ألا ترى ان اهل الجنة يعرفون كثيراً من احوال الدنيا حتى يقول اهل الجنة لاهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ولو جاز ان ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز ان يكون الله تعالى قد كلف الخلق فيما مضى ثم اعادهم إما ليثيبهم وإما ليعاقبهم ونسوا ذلك وذلك يؤدي الى التجاهل وإلى صحة مذهب التناسخية وحكي عن علي بن عيسى عن ابي بكر بن الاخشيد انه جوز ان يكون خبر الذر صحيحاً غير انه قال ليس تأويل الآية على ذلك ويكون فائدته انه انما فعل ذلك ليجروا على الاعراق الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله تعالى بالربوبية كما روي انهم ولدوا على الفطرة وحكى ابو الهذيل في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن الإيمان

في الذر ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالآية ان الله سبحانه اخرج بني آدم من اصلاب آبائهم الى ارحام أمهاتهم ثم رقاهم درجة بعد درجة وعلقة ثم مضغة ثم انشأ كلا منهم بشراً سوياً ثم حياً مكلفاً واراهم آثار صنعه ومكنهم من معرفة دلائله حتى كأنه اشهدهم وقال لهم الست بربكم فقالوا بلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلهم بخلقه على توحيده وانما اشهدهم على انفسهم بذلك لما جعل في عقولهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجائب خلقه وغرائب صنعته وفي غيرهم فكأنه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على انفسهم فكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقر وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لها وللأرض أئتيا طوعا او كرهاً قالتا أتينا طائعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ومعلوم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه فكأنهم اعترفوا به ومثله في الشعر

وقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب

وكما يقول القائل جوارحي تشهد بنعمتك وكما روي عن بعض الخطباء من قوله سل الأرض من شق انهارك وغرس اشجارك واينع ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتباراً ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم ونظمهم ونثرهم وهو قول الرماني وابي مسلم وابن الاخشيد ﴿ وثالثها ﴾ انه تعالى انما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم وأكمل عقولهم وقررهم على السن رسله (ع) بمعرفته وبما يجب من طاعته فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل فقلدناهم في ذلك فنبه سبحانه على انه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقه وكرما وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم ولا يدخل جميعهم فيه لأن المؤمن لا يدخل فيه لأنه بين ان هؤلاء المأخوذ ميثاقهم كان لهم سلف في الشرك ولأن ولد آدم لصلبه لم يؤخذوا من ظهور بني آدم فقد خرجوا من ذلك وهذا اختيار الجبائي والقاضي وقوله (شهدنا) حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون ذلك اي شهدنا لئلا تقولوا ذكره الازهري عن بعضهم وقال ان قوله قالوا بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لأن الكل قالوا شهدنا عن قول من قال بلى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر في الآية فيبعد أن يكون اخباراً عنهم (ان يقولوا يوم القيامة) معناه لئلا يقولوا اذا صاروا الى العذاب يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين) لم نتنبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم تكمل عقولنا فنفكر فيه (او يقولوا) اي او يقول قوم منهم (انما اشرك آباؤنا من قبل) حين بلغوا وعقلوا (وكنا ذرية من بعدهم) اي اطفالا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبر وعلى التأويل الأخير فمعناه اني انما قررتكم بهذا لتواظبوا على طاعتي وتشكروا نعمتي ولا تقولوا يوم القيامة انا كنا غافلين عما أخذ الله من الميثاق على لسان الانبياء وتقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل فنشأنا على شركهم احتجاجا بالتقليد وتعويلا عليه اي فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على انفسكم بإقراركم بمعرفتكم اياي (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) ومعناه ولأن لا تقولوا أفتهلكنا بما فعل آباؤنا من الشرك وتقديره انا لا نهلككم بما فعلوه وانما نهلككم بفعلكم انتم (وكذلك نفصل الآيات) معناه انا كما بينا لكم هذه الآيات كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفصيل الآيات تمييزها ليتمكن من الاستدلال بكل واحدة منها (ولعلهم يرجعون) اي ليرجعوا الى الحق من الباطل

قوله تعالى (١٧٥) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ

فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (١٧٦) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٧) سَاءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٨) مَنْ يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ (اربع آيات)

اللغة

النبأ الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نبأه الله أي جعله نبيا واخلد الى كذاوخلد اليه سكن اليه واخلد أكثر واصله اللزوم على الدوام ورجل مخلد اذا ابطأ عنه الشيب واخلد الى الارض لصق بها قال مالك بن نويرة

بانباء حق من قبائل مالك وعمرو بن يربوع اقاموا فأخلدوا

اللهث أن يدلع الكلب لسانه من العطش واللهاث حر العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المرأة اللهثى إنما تفطر في رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الإعياء

الإعراب

نصب مثلا لأنه تفسير الضمير في ساء التي هي بمعنى بئس فيكون فعلا ماضيا غير منصرف وتقديره ساء المثل مثلا وفي الكلام حذف آخر وتقديره ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب عليه وحذف الثاني لقيام المضاف اليه مقامه ولأن المعنى مفهوم

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) أن يقرأ عليهم قصة أخرى من أخبار بني اسرائيل فقال (واتل) اي واقرأ (عليهم) يا محمد (نبأ الذي آتيناه) أي خبر الذي اعطيناه (آياتنا) أي حججنا وبيناتنا (فانسلخ منها) أي فخرج من العلم بها بالجهل كالشيء الذي ينسلخ من جلده (فأتبعه الشيطان) أي تبعه وتبع واتبع واتّبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وادركه حتى اضله (فكان من الغاوين) أي من الهالكين وقيل من الخائبين عن الجبائي واختلف في المعني به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى (ع) وكان في المدينة التي قصدها موسى وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله الأعظم وكان اذا دعا الله تعالى اجابه وقيل هو بلعم بن باعورا من بني هاب بن لوط عن ابي حمزة الثمالي ومسروق قال ابو حمزة وبلغنا ايضا والله اعلم انه امية بن ابي الصلت الثقفي الشاعر وروي ذلك عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابي روق وكانت قصته انه قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد (ص) حسده ومر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه واستنشد رسول الله اخته شعره بعد موته فانشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ولا شيء اعلى منك جدا وامجد

مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة حتى اتت على آخرها ثم انشدته قصيدته التي فيها

وقف الناس للحساب جميعا فشقي معذب وسعيد

والتي فيها

عند ذي العرش تعرضون عليه يعلم الجهر والسراب الخفيا

يوم يأتي الرحمن وهو رحيم إنه كان وعده مأتيا

رب إن تعف فالمعافاة ظني أو تعاقب فلم تعاقب بريا

فقال رسول الله (ص) آمن شعره وكفر قلبهُ وانزل الله فيهِ قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه الآية وقيل انهُ ابو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي (ص) ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال (ص) لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريداً وحيدا فخرج الى أهل الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا السلاح ثم اتى قيصر واتى بجند ليخرج النبي (ص) من المدينة فمات بالشام طريدا وحيدا عن سعيد بن المسيب وقيل المعني به منافقو اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون ابناءهم ويكون معنى فانسلخ منها اعرض عن آيات الله وتركها فاتبعه الشيطان أي خذله الله وخلى بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان وقيل انه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله عن قتادة وقال ابو جعفر (ع) الأصل في ذلك بلعم ثم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة وقيل ايضا في الآيات التي اوتيها اقوال أخر منها أن المراد بها المعجزات الدالة على صدق الأنبياء فلم يقبلها وعري عنها يعني فرعون عن ابي مسلم فكأنه قال اتل عليهم نبأ فرعون اذ آتيناه الحجج الدالة على صدق موسى فلم يقبلها ومنها ان الآيات الإيمان والهدى والدين عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لأن الأنبياء منزهون عن ذلك فإنهم حجج الله على خلقه (ولو شئنا لرفعناه بها) اي بتلك الآيات والهاء في رفعناه يعود الى الذي أتاه الله آياته فانسلخ منها معناه ولو شئنا لرفعنا منزلته بإيمانه ومعرفته قبل أن يكفر ولكن بقيناه ليزداد الإيمان فكفر عن الجبائي وقيل معناه ولو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا اخبار عن كمال قدرته عن البلخي والزجاج (ولكنه اخلد الى الارض) أي ركن الى الدنيا ومال اليها عن سعيد بن جبير والسدي ومعناه ولكنه مال الى الدنيا بإيثار الراحة والدعة في لذة (واتبع هواه) أي وانقاد لهواه في الركون الى الدنيا واختيارها على الآخرة ثم ضرب له مثلا فقال (فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) معناه فصفته كصفة الكلب ان طردته وشددت عليه يخرج لسانه من فمه وان تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه ايضا وتحمل عليه من الحملة لا من الحمل والمعنى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال في كل حال كما ان كل شيء يلهث فإنما يلهث في حال الاعياء والكلال الا الكلب فإنه يلهث في كل حال ومثله قوله سبحانه سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون وقيل إنما شبهه بالكلب في الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف الكلب باللهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثم يأخذون في وصف المشبه به وان لم يكن ذلك الوصف في المشبه وذلك يكثر في كلامهم عن ابي مسلم وقيل شبهه

بالكلب اذا اخرج لسانه لايذائه الناس بلسانه حملت عليه او تركته يقال لمن آذى الناس بلسانه فلان اخرج لسانه من الفم مثل الكلب ولهثه في هذا الموضع صياحه ونباحه وقيل ان هذا مثل للذي يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) معناه ذلك صفة الذين يكذبون بآيات الله قال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب (فاقصص القصص) اي فاقصص عليهم اخبار الماضين (لعلهم يتفكرون) فيعتبرون ولا يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله تعالى بهذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه (ساء مثلا) اي بئس مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) ومعناه بئست الصفة المضروب فيها المثل أو قبح حال المضروب فيه لأن المثل حسن وحكمة وصواب وانما القبيح صفتهم (وانفسهم كانوا يظلمون) اسيء وانما نقصوا بذلك انفسهم ولم ينقصوا شيئا لأن عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم والله سبحانه لا يضره كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفعه إيمانهم وطاعتهم (من يهدي الله فهو المهتد) كتبت ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء وأثبت الياء ههنا في اللفظ جميع القراء ومعناه من يهده الله الى نيل الثواب كما يهدي المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للإيمان والخير عن الجبائي (ومن يضلل) أي ومن يضلله الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه (فأولئك هم الخاسرون) خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها وقيل المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها والذي أضله الله هو الذي اختار الضلالة فخلى الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي

قوله تعالى (١٧٩) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٨٠) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨١) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان ووافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء

الحجة

قال ابو الحسن لحد والحد لغتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر « ليس الإمام بالشحيح الملحد » وفي القرآن ومن يرد فيه بإلحاد

اللغة

الذرء والإنشاء والإحداث والخلق نظائر قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الإفادة والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الأصول لتجري عليه تابعة له والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت

ابو عبيدة لحدث للميت والحدث بمعنى واحد

❋ الإعراب ❋

اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وإنما التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ومثله قول الشاعر

وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة

وقول الآخر

وللموت تغذو الوالدات سخالها كما الخراب الدهر تبنى المساكن

وقول الآخر

اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقول الآخر

يا ام وجرة بعض الوجد واعترفي فكل والدة للموت ما تلد

قال علي بن عيسى هي لام الإضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة

❋ المعنى ❋

لما بين سبحانه أمر الكفار وضرب لهم الأمثال عقبه ببيان حالهم في المصير والمآل فقال (ولقد ذرأنا) أي خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للعبادة فلا يجوز أن يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا في نظائر لذلك لا تحصى والمراد بالآية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير الى النار (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق لأنهم لا يتدبرون ادلة الله تعالى وبيناته (ولهم اعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ لأنهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له آلة الادراك وقد مر تفسيره في سوره البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية (اولئك كالانعام) أي هؤلاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم (بل هم أضل) من البهائم فإنها اذا زجرت انزجرت واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهؤلاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا للرجوع عن الاول ولكن للإضراب عنه مع بقائه وقيل إنما قال بل هم أضل من الانعام لأن الانعام لم تعط آلة المعرفة والتمييز فلا تلحقها المذمة وهؤلاء اعطوا آلة المعرفة والتمييز فضيعوها ولم ينتفعوا بها ولأن الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية وهؤلاء عصاة فهم اسوء حالا منها (اولئك هم الغافلون) عن آياتي وحججي وعن الاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم في الآخرة من العذاب (ولله الاسماء الحسنى) اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى لحسن معانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكريم ويقال إن جميع اسمائه داخلة فيه وانها كلها حسنة متضمنة لمعان حسنة فمنها ما يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحي والإله والقديم والسميع والبصير ومنها

ما هي صفات فعله كالخالق والرازق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت اليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون السخط والنقمة (فادعوه بها) أي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه بها أن يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والارض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه فإنه بمنزلة الإشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر اورده مسلم في الصحيح (وذروا الذين يلحدون في اسمائه) أي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيسمون بها اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فائدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله وفي هذا دلالة على انه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه (سيجزون ما كانوا يعملون) في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة (وممن خلقنا امة يهدون بالحق) اخبر سبحانه أن من جملة من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه وهو الحق يرشدونهم اليه (وبه يعدلون) أي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي ﷺ انه قال هي لأمتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال الربيع بن انس قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال إن من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالا نحن هم

﴿ النظم ﴾

قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان ﴿ احدهما ﴾ أنه لما بين في الآية المتقدمة حال قوم من الكفار يغفلون عن الحق بين في هذه الآية أن من جملة ما خلق من يهدي الى دينه بالحق ويحكم بالعدل والآخر انه يتصل بقوله ذرأنا فكأنه قال خلقنا قوما صفتهم كذا وكذا وقوما صفتهم كذا

قوله تعالى (١٨٢) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٣) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٥) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٦) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل العراق ويذرهم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون ونذرهم بالنون والرفع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالنون فالتقدير وانا نذرهم ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى أي وهو يذرهم ويكون

مقطوعا عن الأول على الوجهين ولم يكن جوابا ومن جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء وما بعده من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لأنه لو لم يلحق الفاء لقيل لولا اخرتني اصدق لأن معنى لولا اخرتني اخرني اصدق ومثله قول الشاعر

أنى سلكت فإنني لك ناصح وعلى انتقاصك في الحياة وازدد

وقول ابي داود

فأبلوني بليتكم لعلي أصالحكم واستدرج نويا

حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فلعلي اصالحكم وموضعه جزم

﴿ اللغة ﴾

الاستدراج اصله من الدرجة وهو أن يؤخذ قليلا قليلا ولا يباغت كما يرتقي الراقي الدرجة فيتدرج شيئا بعد شيء حتى يصل الى العلو وقيل اصله من الدرج الذي يطوى فكأنه يطوي منزلة بعد منزلة كما يطوي الدرج ويقال درج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض والاملاء التأخير والإمهال من الملي يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة من الدهر بضم الميم وفتحها وكسرها أي قطعة منه وأصل الاملاء الاستمرار على العمل من غير لبث من امليت الكتاب ومنه الملاة للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوي والشديد واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان والكيد والمكر واحد والجنة الجنون وأصله الستر والملكوت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس بمملوك

— المعنى —

لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين بآياته فقال (والذين كذبوا بآياتنا) التي هي القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكفروا بها (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها وقال فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وقيل يجوز ان يريد عذاب الآخرة اي نقربهم اليه درجة درجة الى ان يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهي الطريق ودرج اذا مشى سريعا اي سنأخذهم من حيث لا يعلمون اي طريق سلكوا فإن الطريق كلها علي ومرجع الجميع الي ولا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب وقيل انه من الدرج اي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض يقال طويت فلانا وطويت أمر فلان اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة عن الضحاك ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم إلى الكفر والضلال لأن الآية وردت في الكفار وتضمنت انه يستدرجهم في المستقبل فإن السين تختص المستقبل ولأنه جعل الاستدراج جزاء على كفرهم وعقوبة فلا بد من ان يريد معنى آخر غير الكفر وقوله (وأملي لهم) معناه وامهلهم ولا اعاجلهم بالعقوبة فإنهم لا يفوتونني ولا يفوتني عذابهم (إن كيدي متين) اي عذابي قوي منيع لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين والقول هو الأول (او لم يتفكروا مابصاحبهم من جنة) معناه او لم يتفكروا هؤلاء الكفار المكذبون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبنبوته في اقواله وافعاله فيعلموا انه صلى الله عليه وآله وسلم ليس بمجنون اذ ليس في اقواله وافعاله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله او لم يتفكروا ثم ابتدأ فقال

مابصاحبهم من جنة اي ليس به جنون وذلك ان رسول الله ﷺ صعد الصفا وكان يدعو قريشا فخذا فخذا الى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون ان صاحبهم قد جن بات ليلا يصوت الى الصباح فأنزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة (ان هو الا نذير مبين) اي ماهو الا معلم موضع المخافة ليتقى ولموضع الأمن ليجتبي ومعنى مبين بين امره وقيل مبين لهم عن الله امره فيهم ثم قال (اولم ينظروا) معناه اولم يتفكروا (في ملكوت السماوات والأرض) وعجيب صنعهما فينظروا فيها نظر المستدل المعتبر فيعترفوا بأن لها خالقا مالكا ويستدلوا بذلك عليه (وما خلق الله من شيء) اي وينظروا فيما خلق الله من اصناف خلقه فيعلموا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فإن في كل شيء خلق الله عز وجل دلالة واضحة على اثباته وتوحيده (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) اي اولم يتفكروا وينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولأنفسهم مما يصيرون اليه بعد الموت من أمور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون (فبأي حديث بعده) اي بعد القرآن (يؤمنون) مع وضوح الدلالة على انه كلام الله المعجز اذ لم يقدر احد منهم ان يأتي بسورة مثله وسماه حديثا لأنه محدث غير قديم (من يضلل الله فلا هادي له) قد ذكرنا معناه (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) معناه ونتركهم في ضلالتهم يتحيرون والعمه في القلب كالعمى في العين

قوله تعالى (١٨٧) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ آية

اللغة

ايان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر

ايان تقضى حاجتي ايانا ... اما ترى لنجحها ابانا

والساعة ههنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الاثبات ومرسيها مثبتها ورسا الشيء يرسو فهو راس اذا ثبت وارساه غيره والحفي المستقصي في السؤال واحفى فلان بفلان في المسئلة اذا أكثر عليه وألح قال الاعشى

فإن تسألي عني فيا رب سائل ... حفي عن الأعشى به حيث اصعدا

ومنه احفى شاربه اذا استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصور اذا كثر عليها ألم المشي والحفاء ممدود المشي بغير نعل

الإعراب

الكاف في يسئلونك المفعول الأول وعن الساعة في موضع المفعول الثاني وايان مرساها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قائلين ايان مرساها . مرساها في موضع رفع بالابتداء وايان خبره وبغتة مصدر في موضع الحال من الضمير في تأتيكم

النزول

قيل جاء قوم من اليهود فقالو يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبيا فنزلت الآية عن ابن

عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الوعيد بالساعة سألوا عن وقتها فقال تعالى (يسألونك) يا محمد (عن الساعة) وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيامة وهو وقت قيام الناس في الحشر عن اكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائي (ايان مرساها) أي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها عن قتادة والسدي (قل) يا محمد (إنما علمها عند ربي) أي إنما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه احد من خلقه وإنما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية (لا يجليها لوقتها إلا هو) أي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها ولا يبين وقتها الا هو فلا يعلم احد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا يأتي بها الا هو عن مجاهد (ثقلت في السماوات والأرض) ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ثقل علمها على أهل السماوات والارض لأن من خفي عليه علم شيء كان ثقيلا عليه عن السدي وغيره قال ابو علي الفارسي أصل هذا قولهم احطت به علما أي ذل لي فصرت لعلمي به غالبا عليه فخف علي ولم يثقل كما يثقل ما لا تعلمه عليك ﴿ وثانيها) ان معناه عظمت على أهل السماوات والأرض صفتها لما يكون فيها من انتثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج ﴿ وثالثها ﴾ ثقل وقوعها على أهل السماوات والأرض لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة عن الجبائي وابي مسلم وجماعة ﴿ ورابعها ﴾ أن المراد نفس السماوات والأرض أي لا تطيق السماوات والأرض حملها لعظمها وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقل عليها تلك الأحوال من انفطار السماوات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها (لا تأتيكم الا بغتة) اي فجأة لتكون اعظم واهول (يسألونك كأنك حفي عنها) معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها قد اكثرت المسألة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت في السؤال عن الشيء حتى علمته اي استقصيت فيه وروي عن ابن عباس انه قرأ كأنك حفي بها فعلى هذا يكون الجار والمجرور الذي هو عنها محذوفا لدلالة الحال عليها كما يكون في التقدير الأول يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفا للدلالة عليها ايضا الا ترى انه اذا كان حفيا بها فلا بد أن يسأل عنها كما انه اذا سأل عنها فليس ذلك إلا الحفاوة بها وقيل فيه معنى آخر وهو أن يكون تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي بار بهم فرح بسؤالهم والحفاوة في المسألة هي البشاشة بالمسؤول عنه وقيل معناه كأنك معني بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها وعلى هذا فإن السؤال يوصل بعن فلما وضع قوله حفي موضع السؤال وصله بعن وتقديره كأنك حفي بالمسألة عنها او تسأل عنها فتعلمها (قل) يا محمد (إنما علمها عند الله) لا يعلمها الا هو وإنما اعاد سبحانه هذا القول لأنه وصله بقوله (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقيل اراد بالأول علم وقت قيامها وبالثاني علم كيفيتها وهيأتها وتفصيل ما فيها عن الجبائي قال وهذا يدل على بطلان قول الرافضة أن الأئمة منصوص عليهم باعيانهم إمام بعد إمام الى يوم القيامة لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده وذلك خلاف قوله قل إنما علمها عند الله وهذا ضعيف لأنه غير ممتنع أن يعلم آخر الأئمة انه لا إمام بعده وإن لم يعلم وقت قيام الساعة ولأنه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا اذا قيل إن

الساعة وقت فناء الخلق او موتهم واذا قيل إن الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لأنه اذا علم انه يفني الخلق بعده لا يجب أن يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية أن التكليف يزول عند موت آخر الأئمة لظهور اشراط الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز أن لا يعلم وقت قيام الساعة

قوله تعالى (١٨٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آية

النزول

قيل إن أهل مكة قالوا يامحمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه فتربح فيه وبالارض التي تريد أن تجدب فنرتحل منها الى ارض قد اخصبت فأنزل الله هذه الآية

المعنى

(قل) يا محمد (لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) أن يملك اياه فاملكه بتمليكه اياي (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير) وهاهنا محذوف آخر وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله أن يعلمنيه ولو كنت أعلم الغيب لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ولاشتريت وقت الرخص لأيام الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الأجل ولم اشتغل بغيرها ولاخترت الأفضل فالأفضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما أسأل عنه من الغيب لاستكثرت من الخير أي لأجبت في كل ما اسأل عنه من الغيب في امر الساعة وغيرها عن الزجاج (وما مسني السوء) أي وما اصابني الضر والفقر وقيل معناه وما بي جنون كما تزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لأني اذا كنت عالما بكل شيء اجبت عن كل ما اسأل عنه فتصدقونني ولا تكذبونني وقيل معناه وما مسني سوء من جهة الاعداء لأني كنت اعلم ذلك فاتحرز منه (ان انا الا نذير) مخوف بالعذاب (وبشير) مبشر بالثواب (لقوم يؤمنون) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وان كان ينذر غيرهم ايضا و في قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد مذهب المجبرة لأن الافعال كلها لو كانت مخلوقة لله لما صح الاستثناء منها لأن احدا لا يملك عندهم شيئا وفي قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة قبل الفعل لأنها لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب

النظم

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم اجابة القوم بأنه لا يعلم الغيب عقبه بأن علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل ان الآية في معنى جواب سؤالهم ايضا فكأنه قال اذا انا لا املك ان اسوق الى نفسي نفعا ولا ان ادفع عنها ضرا فكيف اعلم الغيب

قوله تعالى (١٨٩) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ

مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٩٠) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩١) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩٢) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٣) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الاعرج وعكرمة والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرأ نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد

الحجة

من قرأ شركا فإنه حذف المضاف وتقديره جعلا له ذا شرك اوذوي شرك فالقراءتان على هذا يؤلان الى معنى واحد فإن معنى جعلا له شركاء جعلا له ذوي شرك والضمير في له يعود الى اسم الله ومن قرأ فمرت به خفيفة فإنه ينبغي ان يكون أصله التشديد كقراءة الجماعة الا انه حذفه تخفيفا لثقل التضعيف قالوا مست يده اي مسستها وقال ابو زيد

خلا ان العتاق من المطايا احسن بـه فهن اليه شوس

اي احسسن به وقيل انه من المرية اي شكت احملت ام لا وعن الحسن شكت اغلام ام جارية وروي ان عبد الله بن عمر قرأ فمارت به وهو من قولهم مار يمور اذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس فاستمرت بـه ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لأن استفعل يأتي في اكثر الامر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعوكم فإنه في المعنى مثل القراءة الأخرى قال ابو زيد رأيت القوم فاتبعتهم اتباعا اي ذهبت معهم واتبعتهم اتباعا اذا سبقوك فاسرعت نحوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم في المعنى اتبعهم تبعا

المعنى

لما تقدم ذكر الله تعالى ذكر عقيبه ما يدل على وحدانيته فقال (هو الذي خلقكم) والخطاب لبني آدم (من نفس واحدة)يعني آدم(ع) (وجعل)اي وخلق منها(زوجها) يعني حواء(ليسكن) آدم(اليها)ويأنس بها(فلما تغشيها) اي فلما اصابها كما يصيب الرجل زوجتـه يعني وطأها وجامعها (حملت حملا خفيفا) وهو الماء الذي حصل في رحمها وكان خفيفا (فمرت به) اي استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتقعد وتجيء وتذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شيء من التصرف (فلما اثقلت) اي صارت ذات ثقل كما يقال اثمرت الشجرة صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال أصاف دخـل في الصيف واشتى دخل في الشتاء والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به (دعوا الله ربهما) يعني آدم وحواء سألا الله تعالى عند كبر الولد في بطنها (لئن آتيتنا صالحا) اي اعطيتنا ولدا صالحا عن ابي مسلم وقيل نسلا صالحا اي معافى سليما صحيح الخلقة عن الجبائي وقيل بشرا سويا عن ابن عباس وقيل غـلاما ذكرا عن الحسن (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك علينا قال الجبائي وانما قالا ذلك لانهما ارادا ان يكون لهما اولاد يؤنسونهما في الموضع

الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا بلامؤنس ويحتمل ايضاان يكون اراد بقوله صالحا مطيعا فاعلا للخير مصلحا غير مفسد (فلما آتاهما) الله (صالحا) كما التمساه (جعلا له شركاء فيما آتاهما) اختلف في من يرجع الضمير الذي في جعلا اليه على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه يرجع الى النسل الصالح اي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين وإنما ثنى لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى يعني ان هذا النسل الذين هم ذكر وانثى جعلا له شركاء فيما اعطاهما من النعمة فأضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الاصنام والأوثان عن الجبائي (— وثانيها) — انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحوا عن الحسن وقتادة وهو قول الاصم قال ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اي من جنسها كما قال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فلما اثقلت بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمرأة ربهما لئن آتيتنا صالحا اي ذكرا سويا لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم ان يئدوا البنات فلما آتاهما يعني الأب والأم صالحا جعلا له شركاء فيما أتاهما لأنهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد منات ثم رجعت الكناية الى جميعهم في قوله (فتعالى الله عما يشركون) فالكناية في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحوا ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الآية هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل من ذلك النفس زوجها وهي حواء ثم انقضى حديث آدم وحواء وخص بالذكر المشركين من اولاد آدم الذين سألوا ما سألوا وجعلوا له شركاء فيما أتاهم قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية اخبرت عن جملة البشر بأنهم مخلوقون من آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى له شركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذا كان كل واحد من بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها وذكر قريبا من قول الاصم قال وقد يجيء مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم ﴿ وثالثها ﴾ ان الضمير يرجع الى آدم وحواء عليهما السلام ويكون التقدير في قوله جعلا له شركاء جعل اولادهما له شركاء فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فصار جعلا وهذا مثل قوله سبحانه اتخذتم العجل واذ قتلتم نفساً والتقدير واذ قتل اسلافكم نفسا واتخذ اسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من أول الكلام الى آخره راجعة الى آدم وحواء ويقويه قوله سبحانه فتعالى الله عما يشركون ﴿ ورابعها ﴾ ماروت العامة انه يرجع الى آدم وحواء وانهما جعلا لله شريكا في التسمية وذلك انهما أقاما زمانا لا يولد لهما فمر بهما ابليس ولم يعرفاه فشكوا اليه فقال لهما ان اصلحت حالكما حتى يولد لكما ولد أتسميانه باسمي قالا نعم وما اسمك قال الحرث فولد لهما فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال وقيل ان حواء حملت أول ما حملت فأتاها ابليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما يؤمنك ان تكون في بطنك بهيمة فقالت لآدم لقد أتاني آت فأخبرني ان الذي في بطني بهيمة وإني لا أجد له ثقلا فلم

يزالا في هم من ذلك ثم أتاها فقال ان سألت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه أتسميه عبد الحرث ولم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحرث برضاء آدم وكان اسم ابليس عند الملائكة الحارث وهذا الوجه بعيد تأباه العقول وتنكره فإن البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا يتطرق اليها المجاز والاتساع قد دلت على عصمة الأنبياء عليهم السلام فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا على الجملة ان لها وجها يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك على ان الرواية الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا نحتاج الى اثباته فإن الآية تقتضي انهم اشركوا الاصنام التي تخلق ولا تخلق لقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي خبرهم انهما اشركا ابليس اللعين فيما ولد لهما بأن سموه عبد الحرث وليس في ظاهر الآية لإبليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره الطبري وروى العياشي في تفسيره عنهم (ع) انه كان شركهما شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة وقوله (ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) توبيخ وتعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى جماداً لا يخلق شيئا من الاجسام ولا ما يستحق به العبادة وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم وان خرج الكلام مخرج الاستفهام ولفظة ما انما تستعمل فيما لا يعقل فدل ذلك على ان المراد بقوله جعلا له شركاء انهم اشركوا الاصنام مع الله تعالى لاما ذكروه من اشراك ابليس وانما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وإن كانت الاصنام جماداً لأنه أراد به الاصنام والعابدين لها جميعا فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز ان يكون على انهم يعظمونها تعظيم من يعقل ويصورونها على صورة من يعقل فكنى عنهم كما يكني عن العقلاء كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون) اي ويشركون به ويعبدون من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بأن يدفع عن نفسه من اراد به الضر ومن هذه صورته فهو في غاية العجز فكيف يكون إلها معبوداً (وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم) قيل معناه وان دعوتم الاصنام التي عبدوها الى الهدى فإنها لا تقبل الهدى عن ابي علي الجبائي بين بذلك ضعف امرها بأنها لا تهدي غيرها ولا تهتدي بانفسها وإن دعيت الى الهدى وقيل معناه ان دعوتم المشركين الذين اصروا على الكفر الى دين الحق لم يؤمنوا وهو نظير قوله سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون عن الحسن (سواء عليكم أدعوتموهم أم انتم صامتون) اي سواء عليكم دعاؤهم والسكوت عنهم وإنما قال ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتم فيكون فى مقابلة ادعوتموهم ليفيد الماضي والحال فإن المقابلة كانت تدل على الماضي فحسب وصورة اللفظ تدل على معنى الحال ومثله قول الشاعر

سواء عليك الفقر ام بت ليلة — بأهل القباب من نمير بن عامر

قوله تعالى (١٩٤) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٥) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحده يبطشون ههنا وفي القصص والدخان بضم الطاء والباقون بكسرها وقرأ هشام ويعقوب كيدوني بياء في الوقف والوصل ووافقهما ابو جعفر وابو عمرو واسماعيل في الوصل والباقون بغير ياء في الحالين وقرأ تنظروني بالياء في الحالين يعقوب

﴿ الحجة ﴾

بطش يبطش ويبطش والكسر افصح وقال ابو علي الفواصل من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعها في ان الفاصلة آخر الآية كما ان القافية آخر البيت وقد الزموا في القوافي حذف هذه اليآت قال الاعشى

فهل يمنعني ارتياد البلاد من حذر الموت ان يأتين

والياء التي هي لام كذلك نحو قوله

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل

ومن اثبت فلأن الأصل الاثبات

﴿ المعنى ﴾

ثم اتم سبحانه الحجة على المشركين بقوله (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام يريد تدعونهم آلهة (عباد امثالكم) اي مخلوقة امثالكم عن الحسن وقيل مملوكون امثالكم عن الكلبي وقيل امثالكم في التسخير اي انهم مسخرون مذللون لأمر الله عن الاخفش ولما كانت الاصنام غير ممتنعة مما يريد الله بها كانت في معنى العباد فإن التعبيد التذليل وطريق معبد موطوء مسلوك ومنه قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي ذللتهم واستخدمتهم ضروبا من الخدمة (فادعوهم) هذا الدعاء ليس الدعاء الأول والمراد به فادعوهم في مهماتكم ولكشف الاسواء عنكم (فليستجيبوا لكم) هذه لام الامر على معنى التعجيز والتهجين كما قال هاتوا برهانكم (ان كنتم صادقين) قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين ان لكم عندها منفعة وثوابا او شفاعة ونصرة ثم فضل سبحانه بني آدم عليهم فقال (ألهم ارجل يمشون بها) اي لهؤلاء الاصنام ارجل يمشون بها في مصالحكم (ام لهم أيد يبطشون بها) اي يأخذون بها في الدفع عنكم ومعنى البطش التناول والأخذ بشدة (ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) اي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فأنتم افضل منهم فلو دعوتم وعبدتم من له الحياة ومنافعها للزمكم الذم واللوم بذلك لأنها مخلوقة مربوبة فكيف تعبدون من أنتم افضل منه ثم زاد سبحانه في تهجينهم فقال (قل) يا محمد (ادعوا شركاءكم) اي هذه الاوثان التي تزعمون انها آلهة وتشركونها في اموالكم وتجعلون لها حظا من المواشي وغيرها وتوجهون عبادتكم اليها اشراكا بالله لها (ثم كيدوني) بأجمعكم (ولا تنظروني) اي لا تؤخروني ومعناه ان معبودي ينصرني ويدفع كيد الكائدين عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فإن قدرتم على ضر فاجتمعوا انتم مع اصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تهاونوا في الكيد والاضرار فإن معبودي يدفع كيدكم عني

قوله تعالى (١٩٦) إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ (١٩٧) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٨) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ثلاث آيات

— المعنى —

ثم بين سبحانه بعد ان ناصر نبيه ﷺ وحافظه فأمره ان يقول للمشركين (ان وليي) اي ناصري وحافظي ودافع شركم عني (الله الذي نزّل الكتاب) اي القرآن يؤيدني بنصره كما انزله عليّ (وهو يتولى الصالحين) اي ينصر المطيعين له المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم وأخرى بالحجة (والذين تدعون من دونه آلهة لا يستطيعون نصركم) اي لا يقدرون على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم (ولا انفسهم ينصرون) كرر هذا لأن ما تقدم فإنه على وجه التقريع والتوبيخ وما ذكره هنا فإنه على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكأنه قال ان من اعبده ينصرني ومن تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه (وان تدعوهم) يعني ان دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام (الى الهدى) اي إلى الرشد والمنافع عن الجبائي والفراء وقيل معناه وان دعوتم المشركين الى الدين عن الحسن (لا يسمعوا) اي لا يسمعوا دعاءكم (وتراهم) فاتحة اعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور وقال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجازا لأن النظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرء طلبا لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد ويقال تناظر الحائطان اذا تقابلا وقيل معناه لا يقبلوا ومنه سمع الله لمن حمده (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) الحجة يعني مشركي العرب عن الحسن ومجاهد والسدي

قوله تعالى (١٩٩) خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ (٢٠٠) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آيتان)

❋ اللغة ❋

قد مر ما قيل في العفو عند قوله قل العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر «لا يذهب العرف بين الله والناس» والنزغ الإزعاج بالإغراء وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة نزغه ينزغه نزغاً وقيل النزغ الفساد ومنه نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد قال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة

❋ المعنى ❋

لما أمر الله سبحانه نبيه (ص) بالدعاء اليه وتبليغ رسالته علمه محاسن الافعال ومكارم الأخلاق والخصال فقال (خذ العفو) اي خذ يا محمد ما عفا من اموال الناس اي ما فضل من النفقة وكان رسول الله (ص) يأخذ الفضل من اموالهم ليس فيها شيء موقت ثم نزلت آية الزكاة فصار منسوخا بها فإن هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه انه أمره بالتساهل وترك الاستقصاء في القضاء والاقتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع أحب الله عبدا سمحا بائعا ومشتريا قاضيا ومقتضيا وقيل هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالإساءة وروي انه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبرائيل عن ذلك فقال لا ادري حتى اسأل العالم ثم أتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك (وامر بالعرف) يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فعله او في الشرع ولم يكن منكرا ولا قبيحا عند العقلاء وقيل بكل خصلة حميدة (واعرض عن الجاهلين) معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والإياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فإن مجاوبة السفيه تضع عن القدر ولا يقال هذه الآية منسوخة بآية القتال لأنها عامة خص عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل • قال ابن زيد لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ كيف يا رب والغضب فنزل

قوله (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ومعناه يا محمد ان نالك من الشيطان وسوسة ونخسة في القلب بمايسول للانسان معناه ان عرض الك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه وان منعك الشيطان عن شيء مما امرتك من هذه الاشياء (فاستعذ بالله) اي سل الله عز اسمه ان يعيذك منه (انه سميع) للمسموعات (عليم) بالخفيات وقيل سميع لدعائك عليم بما عرض الك وقيل ان النزغ أول الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن ولذلك فصل الله سبحانه بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واما ينزغنك وقال للناس إذا مسهم طائف من الشيطان

قوله تعالى: (٢٠١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ (٢٠٢) وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ (٢٠٣) وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ اهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف بغير الف وهو قراءة النخعي والاسود بن زيد وقرأ الباقون طائف بالالف وقرأ اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم وفي الشواذ عن الجحدري يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد

— الحجة —

الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا اذا ألم به في المنام فمعناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطائف بمعناه فطيف وطائف كالخطرة والخاطر والطيف اكثر قال

ألا يالقومي لطيف الخيا ل أرق من نازح ذي دلال

وقال الاعشى

ويصبح عن غب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن اولق

وقال ابو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب امددت على افعلت كقوله إنما نمدهم به من مال وبنين وامددناهم بفاكهة واتمدونني بمال وما كان بخلافه على مددت قال ونمدهم في طغيانهم فهذا يدل على ان الوجه فتح الياء كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة من قرأ يمدونهم انه مثل فبشرهم بعذاب أليم فسنيسره للعسرى والله اعلم ويمادونهم يفاعلونهم منه اي يعاونونهم وقصر يقصر لغة في اقصر يقصر ويقال اقصر عنه اذا تركه عن قدرة وقصر عنه اذا ضعف عنه

اللغة

الممسوس الذي به مس جن والممسوس من المياه ما نالته الأيدي والاجتباء افتعال من الجباية ونظيره الاصطفاء وهو استخلاص الشيء للنفس قال علي بن عيسى اصله الاستخراج ومنه الجباية الخراج وقيل اصله الجمع من جبيت الماء في الحوض والحوض جابية لجمعها الماء قال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدؤه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك في نفسه والبصائر البراهين والحجج جمع بصيرة والبصائر ايضا طرائق الدم قال الاشعر الجعفي

راحوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى

اوالبصيرة الترس وجمعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وتبيانه

﴿ الاعراب ﴾

اذا الاولى ظرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء واذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجأة كقولك خرجت فإذا زيد

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين اذا عرضت لهم وساوس الشياطين فقال (ان الذين اتقوا) الله باجتناب معاصيه (اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا)قيل معناه اذا وسوس اليهم الشيطان واغراهم بمعصيته تذكروا ماعليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي وقال الحسن يعني اذاطاف عليهم الشيطان بوساوسه وقال سعيد بن جبير هوالرجل الذي يغضب الغضبة فيتذكر فيكظم غيظه وبه قال مجاهد وروي عنه ايضا انه قال هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل طائف غضب وطيف جنون وقيل معناهما واحد (فإذا هم مبصرون) الرشد (واخوانهم يمدونهم في الغي)معناه واخوان المشركين من شياطين الجن والانس يمدونهم في الضلال والمعاصي اي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ماهم فيه (ثم لا يقصرون)ثم لا يكفون يعني الشيطان عن استغوائهم ولا يرحمونهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه واخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصر هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجبائي وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن اغوائهم ولا يقصرونهم عن ارتكاب الفواحش (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لو اجتبيتها)معناه انك يامحمد اذا جئتهم بآية كذبوا بها واذا ابطأت عنهم يقترحونها ويقولون هل جئتنا به من قبل نفسك فليس كل ما تقوله وحي من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا هلا اخترتهامن قبل نفسك فتسأل ربك ان يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي وابي مسلم (قل) يا محمد لهم (انما اتبع ما يوحى الي من ربي) اي لست آتي بالآيات من عندي وانما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وانما أتبع الوحي ولا اتعداه وليس لي ان اسأله انزال الآيات إلا بعد اذنه في السؤال (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الانسان بها امور دينه (وهدى ورحمة) اي ودلالة تهدي الى الرشد ونعمة في الدين والدنيا (لقوم يؤمنون) خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الآية دلالة على ان افعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقواله تابعة للوحي وانه لا يجوز ان يعمل بالرأي والقياس

= النظم =

قيل ان هذه الآية اتصلت بقوله يسألونك عن الساعة وتقديره ويسألونك عن الآيات فإذا لم تأتهم بها قالوا لولا اجتبيتها عن ابي مسلم وقيل اتصلت بما قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يبقون في الضلالة وإذا لم تأتهم بآية يسألون عنها فقالوا كذا

قوله تعالى(٢٠٤) وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٢٠٥) وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَافِلِينَ (٢٠٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ثلاث آيات

﴿ اللغة ﴾

الإنصات السكوت مع استماع قال ابن الاعرابي نصت وأنصت وانتصت استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصت الرجل سكت وانصته غيره عن الازهري والآصال جمع اصل واصل جمع اصيل فالآصال جمع الجمع وتصغيره اصيلال على ابدال النون ومعناه العشيات وهو ما بين العصر الى غروب الشمس

﴿ الاعراب ﴾

تضرعا وخيفة مصدران وضعا موضع الحال اي متضرعين وخائفين ودون الجهر عطف عليه فيجب ان يكون في موضع الحال أي وغير رافعين اصواتكم حتى يبلغ حد الجهر

— المعنى —

ثم أمر سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) اختلف في الوقت المأمور بالإنصات للقرآن والاستماع له فقيل إنه في الصلاة خاصة خلف الامام الذي يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض واذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك وأمروا بالاستماع وقيل انه في الخطبة أمروا بالإنصات والاستماع الى الامام يوم الجمعة عن عطا وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم وقيل انه في الخطبة والصلاة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه واقوى الاقوال الأول لأنه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن إلا حالة قراءة الامام في الصلاة فإن على المأموم الإنصات والاستماع فأما خارج الصلاة فلا خلاف ان الانصات والاستماع غير واجب وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي باسناده عن ابي كهمس عن ابي عبد الله (ع) قال قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين (ع) لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأنصت له أمير المؤمنين (ع) وعن عبد الله بن يعقوب عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له الرجل يقرأ القرآن أيجب على من سمعه الإنصات له والاستماع قال نعم إذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوا لأن معنى قول القائل سمع الله دعاءك أجاب الله دعاءك لأن الله سميع عليم وقال الجبائي انها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا او يتفهموا وقال احمد بن حنبل اجمعت الأمة على انها نزلت في الصلاة (لعلكم ترحمون) اي لترحموا بذلك وباعتباركم به واتعاظكم بمواعظه (واذكر ربك في نفسك) خطاب للنبي عليه وآله السلام والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القرآن والمعنى واذكر ربك في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروى زرارة عن احدهما (ع) قال معناه اذا كنت خلف الامام تأتم به فانصت وسبح في نفسك يعني فيما لا يجهر الامام فيه بالقراءة وقيل معناه واذكر نعمة ربك بالتفكر في نفسك وقيل اراد اذكره في نفسك بصفاته العليا واسمائه الحسنى (تضرعا وخيفة) يعني بتضرع وخوف يعني في الدعاء فإن الدعاء بالتضرع والخوف من الله تعالى اقرب إلى الإجابة وانما خص الذكر بالنفس لأنه ابعد من الرياء عن الجبائي (ودون الجهر من القول) معناه ارفعوا اصواتكم قليلا ولا تجهروا بها جهارا بليغاً حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وقيل انه امر للامام ان يرفع صوته في الصلاة بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس (بالغدو والآصال) اي بالغدوات والعشيات عن قتادة والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لأنهما حال فراغ القلب عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما الصق بالقلب (ولا تكن من الغافلين) عما امرتك به من الدعاء والذكر وقيل ان الآية متوجهة الى من أمر بالاستماع للقرآن والإنصات وكانوا اذا سمعوا القرآن رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال

الجبائي وفي الآية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم عند الدعاء ويجهرون به مخطؤن وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعو اليه فقال (ان الذين عند ربك) وهم الملائكة عن الحسن وغيره (لا يستكبرون عن عبادته) معناه انهم مع جلالة قدرهم وعلو امرهم يعبدون الله ويذكرونه وفائدته انكم ان استكبرتم عن عبادته فمن هو اعظم حالا منكم لا يستكبر عنها وانما قال عند ربك تشريفا للملائكة باضافتهم الى نفسه ولم يرد به قرب المكان تعالى الله عن ذلك وتقدس وقيل معناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند والمراد انهم في حكمه وتحت امره وعند فلان كذا من المال ولا يراد به ان ذلك بحضرته وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من فضله واحسانه (ويسبحونه) اي ينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) اي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلاة عن الحسن ولا خلاف ان ههنا سجدة وهي اول سجدات القرآن واختلف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند ابي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة مؤكدة واليه ذهب اصحابنا

سورة الانفال

الانفال هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخرهن وقيل نزلت بأسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة

﴿ عدد آيها ﴾

هي سبعون وسبع آيات شامي وست حجازي بصري وخمس كوفي ﴿ اختلافها ﴾ ثلاث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولا الاول غير الكوفي بنصره وبالمؤمنين غير البصري

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له وشاهد يوم القيامة انه بريء من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حياته في الدنيا وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ الانفال وبراءة في كل شهر لم يدخله نفاق ابدا وكان من شيعة أمير المؤمنين (ع) حقا ويأكل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال في سورة الانفال جدع الانوف

﴿ تفسيرها ﴾

لما قص الله سبحانه في سورة الاعراف قصص الانبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله افتتح سورة الانفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى (١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر بن محمد بن علي الباقر وزيد بن علي وجعفر

ابن محمد الصادق عليهم السلام وطلحة بن مصرف يسألونك الانفال

= الحجة =

قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الاخرى التي هي عن الانفال وذلك انهم إنما سألوه عنها تعرضا لطلبها واستعلاما لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب اصرح بالتماس الأنفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فإن قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كأنه قال يسألونك عن الأنفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله «امرتك الخير فافعل ما أمرت به» قيل هذا شاذ انما يحمله الشعر فاما القرآن فيختار له افصح اللغات وإن كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا لهم كل مرصد فإن الاظهر ما قدمناه

﴿ اللغة ﴾

الأنفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال نفلتك كذا اذا زدته قال لبيد

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

وقيل النفل العطية ونفلتك اعطيتك والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلاة والنوفل الرجل الكثير العطية

﴿ المعنى ﴾

(يسألونك) أي يسألك يا محمد جماعة من اصحابك (عن الأنفال) اختلف المفسرون في الأنفال ههنا فقيل هي الغنائم التي غنمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل هي انفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطا وقيل هو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من الفرس والزرع والرمح عن ابن عباس في رواية أخرى وروي عنه ايضا انه سلب الرجل وفرسه ينفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شاء وقيل هي الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس عن مجاهد في رواية أخرى وصحة الرواية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا ان الانفال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ويسميها الفقهاء فيأ وميراث من لا وارث له وقطائع الملوك اذا كانت في ايديهم من غير غضب والآجام وبطون الاودية والأرضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء وقالا أن غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فسألوه أن يعطيهم وقد صح أن قراءة أهل البيت عليهم السلام يسألونك الأنفال فقال الله تعالى (قل) يا محمد (الأنفال لله والرسول) وكذلك ابن مسعود وغيره إنما قرأوا كذلك على هذا التأويل فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال هؤلاء ان اصحابه سألوه أن يقسم غنيمة بدر بينهم فأعلمهم الله سبحانه ان ذلك لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروي ذلك ايضا عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا ان عن صلة ومعناه يسألونك الانفال أن تعطيهم ويؤيد هذا القول قوله (فاتقوا الله) الى آخر الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة بآية الغنيمة وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لأن النسخ يحتاج الى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية الخمس وقال آخرون انهم سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حكم الأنفال وعلمها فقالوا لمن الانفال وتقديره يسألونك عن الانفال لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله قل الانفال لله والرسول وقال آخرون انهم سألوه عن حال الغنائم وقسمتها وانها حلال ام حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم انها حلال واختلفوا ايضا في سبب سؤالهم فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا

ومن جاء بأسير فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي ﷺ به فقال الشيوخ كنا ردءاً لكم ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم الينا وجرى بين ابي اليسر بن عمرو الانصاري اخي بني سلمة وبين سعيد بن معاذ كلام فنزع الله تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء فقسمها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه بيننا على السواء و كان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبي ﷺ واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض فطرحت ورجعت وبي مالا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي وقلت عسى أن يعطي هذا لمن لم يبل بلائي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني الرسول وقد انزل الله يسألونك الآية فخفت أن يكون قد نزل في شيء فلما انتهيت الى رسول الله ﷺ قال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة اوسلكا فهو غلول فسألوا رسول الله أن يعطيهم منها فنزلت الآية وقال ابن جريج اختلف من شهد بدرا من المهاجرين والانصار في الغنيمة فكانوا ثلاثا فنزلت الآية وملكها الله رسوله يقسمها كما اراه الله وقال مجاهد هي الخمس وذلك أن المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الخمس ولم يخرج منا فقال الله تعالى قل الأنفال لله والرسول يقسمانها كما شاءا أو ينفلان منها ما شاءا اويرضخان منها ما شاءا فاتقوا الله باتقاء معاصيه واتباع ما يأمركم به وما يأمركم به رسوله واحذروا مخالفة امرهما (واصلحوا ذات بينكم) اي اصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ذات بينكم كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الخلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح في خلقته وبنيته يعني اصلحوا نفس كل شيء بينكم واصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه واصلحوا حقيقة وصلكم كقوله لقد تقطع بينكم اي وصلكم والمراد كونوا مجتمعين على ما امر الله ورسوله وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين اي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة يوم بدر عن ابن عباس ومجاهد والسدي (واطيعوا الله ورسوله) اي اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها عن الزجاج ومعناه واطيعوهما فيما يأمرانكم به وينهيانكم عنه (ان كنتم مؤمنين) مصدقين للرسول فيما يأتيكم به من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي أن الخمس لم يكن مشروعا يومئذ وإنما شرع يوم أحد وفيه انه لما نزلت هذه الآية عرف المسلمين انه لا حق لهم في الغنيمة وانها لرسول الله فقالوا يا رسول الله سمعا وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه أي ما غنمتم بعد بدر وروي أن رسول الله قسم غنائم بدر عن بواء اي على سواء ولم يخمس

قوله تعالى (٢) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٤) أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ثلاث آيات

اللغة

الوجل والخوف والفزع واحد يقال وجل يوجل وييجل وياجل بالألف وييجل اربع لغات حكاها سيبويه واجودها يوجل قال الشاعر

لعمرك ما ادري واني لأوجل على أينا تغدو المنية اول

والتوكل هو الثقة بالله في كل مايحتاج اليه يقال وكلت الأمر الى فلان اذا جعلت اليه القيام به والوكيل القائم بالامر لغيره

✻ الإعراب ✻

حقا منصوب بما دلت عليه الجملة التي هي قوله أولئك هم المؤمنون والمعنى احق ذلك حقا

✻ المعنى ✻

لما قال سبحانه ان كنتم مؤمنين بين صفة المؤمنين بقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اي خافت تعظيما له وذلك اذا ذكر عندهم عقوبته وعدله ووعيده على المعاصي بالعقاب واقتداره عليه فأما اذا ذكرت نعمة الله على عباده واحسانه اليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم الى عفو الله تعالى كما قال سبحانه ألا بذكر الله تطمئن القلوب فلا تنافي بين الآيتين اذ وردتا في حالتين ووجه آخر وهو ان المؤمن ينبغي ان يكون من صفته انه اذا نظر في نعم الله عليه ومننه لديه وعظيم مغفرته ورحمته اطمأن قلبه وحسن بالله ظنه واذا ذكر عظيم معاصيه بترك أوامره وارتكاب نواهيه وجل قلبه واضطربت نفسه والوجل الخوف مع شدة الحزن وانما يستعمل على الغالب في القلب (واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) معناه واذا قرئ عليهم القرآن زادتهم آياته تبصرة ويقينا على يقين عن الضحاك وقيل زادتهم تصديقا مع تصديقهم بما انزل الله اليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى انهم يصدقون بالأولى والثانية والثالثة وكل ما يأتي من عند الله فيزداد تصديقهم (وعلى ربهم يتوكلون) اي يفوضون أمورهم الى الله فيما يخافونه من السوء في الدنيا وقيل فيما يرجونه من قبول اعمالهم في الآخرة (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) قد مر تفسيره في سورة البقرة وانما خص الصلاة والزكاة بالذكر لعظم شأنهما وتأكد أمرهما وليكون داعيا الى المواظبة على فعلهما (أولئك هم المؤمنون حقا) اي هؤلاء المستجمعون لهذه الخصال والحائزون لهذه الصفات هم الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة (لهم درجات عند ربهم) يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم عن عطا وقيل لهم اعمال رفيعة وفضائل استحقوها في ايام حياتهم عن مجاهد (ومغفرة)لذنوبهم(ورزق كريم) اي خطير كبير في الجنة وقيل كريم دائم كثير لا يشوبه ضرر ولا يعتريه كدر ولا يخاف عليه فناء ولا نقصان ولا حساب من قولهم فلان كريم اذا كانت اخلاقه محمودة واستدل من قال ان الإيمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح من الإيمان بهذه الآيات فقال ان الله تعالى نفى ان يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلفظة انما فكأنه قال لا يكون احد مؤمنا الا ان يكون بهذه الصفات والجواب عنه ان هذه الصفات خيار المؤمنين وأفاضلهم فكأنه قال انما خيار المؤمنين من له هذه الاوصاف وليس يمتنع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وان لم يتفاضلوا في الإيمان يدل على ذلك أن الإجماع حاصل على ان وجل القلب ليس بواجب وانما هو من المندوبات وان الصلاة قد تدخل فيها الفرائض والنوافل . والإنفاق كذلك فعلمنا ان الإشارة بالآية الى خيار المؤمنين واما تلهم فلا تدل اذا على ان من كان دونهم في المنزلة خارج عن الإيمان وقد قال ابن عباس انه سبحانه اراد بذلك ان المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وان هذه الاوصاف المذكورة منتفية عنه

قوله تعالى (٥) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٦) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٧) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٨) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ اربع آيات

اللغة

المجادلة المنازعة الذي يفتل بها عن مذهب الى مذهب سميت بذلك لشدته وأصل الجدل شدة الفتل ومنه الأجدل الصقر لشدته وزمام جديل شديد الفتل وقيل اصله من الجدالة وهي الارض يقال طعنه فجدله اي اوقعه على الارض فكأن المتجادلين يريد كل واحد منها ان يرمي بخصمه الى الأرض والسوق الحث على المسير والشوكة الحد يقال ما اشد شوكة بني فلان وفلان شاك في الصلاح وشائك وشاك من الشكة وشاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صائف قال الشاعر

فتوهموني انني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم

واصله من الشوك ودابر الأمر آخره ودابر الرجل عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه الذي هو له فإذا اعتقد شيء بضرورة او حجة فهو حق لأنه وقع موقعه الذي هو له وعكسه الباطل

الإعراب

الكاف في قوله كما اخرجك ربك يتعلق بما دل عليه قوله قل الانفال لله والرسول لأن في هذا معنى نزعها من ايديهم بالحق كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الانفال ثابت لله والرسول ثبوتا مثل ما اخرجك ربك اي هذا كائن لا محالة كما ان ذلك كان لامحالة وقيل إنه يتعلق بيجادلونك وتقديره يجادلونك بالحق كما كرهوا اخراجك من بيتك بالحق وقيل انه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر الحق كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقوله انها لكم في موضع نصب على البدل من احدى الطائفتين وتقديره يعدكم ان احدى الطائفتين لكم ونظيره قوله هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم

المعنى

(كما اخرجك ربك من بيتك) يامحمد على التقدير الاول قل الانفال لله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة ذلك عليكم لأنه اصلح لكم كما اخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك لأن الخروج كان اصلح لكم من كونكم في بيتكم والمراد بالبيت هنا المدينة يعني خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها الى بدر ويكون معنى اخرجك ربك دعاك الى الخروج وامرك به وحملك عليه كما يقال أضربت زيداً عمرا فضربه وأما على التقدير الثاني وهو ان يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك في الحق كارهين له كما جادلوك يا محمد حين أخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهية طباع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل والعدو كثير وقال بعضهم كيف نخرج على عمياء لا ندري الى العير نخرج ام الى القتال فشبه جدالهم بخروجهم لأن القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا اخبرتنا بالقتال فكنا نستعد لذلك فهذا

هو جدالهم على تأويل مجاهد واما على التقدير الثالث فمعناه ان هذا خير لكم كما ان اخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم وقريب منه ما جاء في حديث ابي حمزة الثمالي فالله ناصرك كما اخرجك من بيتك وقوله (بالحق) أي بالوحي وذلك ان جبرائيل (ع) أتاه وأمره بالخروج وقيل معناه أخرجك ومعك الحق وقيل معناه اخرجك بالحق الذي وجب عليك وهو الجهاد (وان فريقاً من المؤمنين) اي طائفة منهم (لكارهون) لذلك للمشقة التي لحقتهم (يجادلونك في الحق بعد ما تبين) معناه يجادلونك فيما دعوتهم اليه بعد ما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا اخبرتنا بذلك وهم يعلمون انك لا تأمرهم عن الله الا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه لشدته عليهم يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلف عنه او في تأخير الخروج الى وقت آخر وقيل معناه يجادلونك في القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وانه مأمور به عن ابن عباس وقيل بعد ما تبين انك يا محمد لا تصنع الا ما امرك الله به (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) معناه كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له ولكراهتهم له من حيث الطبع كانوا بمنزلة من يساق الى الموت وهم يرونه عيانا وينظرون اليه والى اسبابه .(واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) يعني واذكروا واشكروا الله اذ يعدكم الله ان احدى الطائفتين لكم اما العير واما النفير (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) اي تودون ان يكون لكم العير وصاحبها ابو سفيان بن حرب لئلا تلحقكم مشقة دون النفير وهو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة كنى بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة عن قطرب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) معناه والله اعلم بالمصالح منكم فأراد ان يظهر الحق بلطفه ويعز الاسلام ويظفركم على وجوه قريش ويهلكهم على أيديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته اي بأمره لكم بالقتال (ويقطع دابر الكافرين) اي يستأصلهم فلا يبقي منهم احدا يعني كفار العرب (ليحق الحق) اي انما يفعل ذلك ليظهر الاسلام (ويبطل الباطل) أي الكفر باهلاك اهله (ولو كره المجرمون) اي الكافرون وذكر البلخي عن الحسن ان قوله واذ يعدكم الله الآية نزلت قبل قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهي في القراءة بعدها

﴿ قصة غزاة بدر ﴾

قال اصحاب السير وذكر ابو حمزة وعلي بن ابراهيم في تفسيرهما دخل حديث بعضهم في بعض اقبل ابو سفيان بعير قريش من الشام وفيها اموالهم وهي اللطيمة وفيها اربعون راكبا من قريش فندب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه للخروج اليها ليأخذوها وقال لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلقي كيداً ولا حربا فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب لا يرونها الا غنيمة لهم فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قد تعرض لعيرهم في اصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال ان رجلا اقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا الى مصارعكم ثم وافى بجمله على ابي قبيس

فأخذ حجرا فدهدهه من الجبل فما ترك دارا من دور قريش الا اصابته منه فلذة فانتبهت فزعة من ذلك واخبرت العباس بذلك فأخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك ابا جهل فقال هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لننظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقا والا لنكتبن كتابا بيننا انه ما من أهل بيت من العرب اكذب رجالا ونساء من بني هاشم فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم باعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير ادركوا وما أراكم تدركون ان محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهيأوا للخروج وما بقي احد من عظماء قريش الا اخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس ابن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب واخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما كان بقرب بدر اخذ عينا للقوم فأخبره بهم وفي حديث ابي حمزة بعث رسول الله ﷺ ايضا عينا له على العير اسمه عدي فلما قدم على رسول الله ﷺ فأخبره اين فارق العير نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ. فاخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب وفي حديث ابي حمزة قال ابو بكر انا عالم بهذا الطريق فارق عدي العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا كأنا فرسا رهان فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يارسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقنا وشهدنا ان ما جئت به حق والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك والله لانقول لك كما قالت بنواسرائيل لموسى (ع) اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول امض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون فجزاه رسول الله ﷺ خيراً على قوله ذاك ثم قال اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار لأن اكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا انا برءاء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا فكان ﷺ يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليها نصرته الا على من دهمه بالمدينة من عدو ان ليس عليهم أن ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بأبي انت وامي يا رسول الله كأنك اردتنا فقال نعم قال بأبي انت وامي يا رسول الله انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله ﷺ وقال سيروا على بركة الله فإن الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكأني انظر الى مصرع ابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وخرج الى بدر وهو بئر وفي حديث ابي حمزة الثمالي بدر رجل من جهينة والماء ماؤه فإنما سمي الماء باسمه واقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فاخذهم اصحاب رسول الله ﷺ وقالوا لهم من أنتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فأين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله ﷺ يصلي فانفتل من صلاته وقال ان صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فأتوه بهم

فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة الى عشرة فقال رسول الله ﷺ القوم تسعمائة الى الف رجل وأمر ﷺ بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشا ففزعوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة ابا البختري بن هشام فقال اما ترى هذا البغي والله ما ابصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد افلتت فجئنا بغيا وعدوانا والله ما افلح قوم بغوا قط ولوددت ان ما في العير من اموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له ابو البختري انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي اصابها محمد ﷺ واصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فإنه حليفك فقال له علي ذلك وما علي احد منا خلاف الا ابن الحنظلية يعني اباجهل فصر اليه وأعلمه اني حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال فقصدت خباءه وابلغته ذلك فقال ان عتبة يتعصب لمحمد فإنه من بني عبد مناف وابنه معه يريد أن يخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب أو نأخذهم اسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ وكان ابو سفيان لما جاز بالعير بعث الى قريش قد نجى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمداً والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول في الجحفة فاراد عتبة أن يرجع فأبى ابو جهل وبنو مخزوم وردوا القيان من الجحفة قال وفزع اصحاب رسول الله ﷺ لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله سبحانه اذ تستغيثون ربكم وما بعده

قوله تعالى (٩) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (١٠) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١١) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١٢) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٤) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (ست آيات) . ويعد الأقدام آية و كل بنان آية بلا خلاف

القراءة

قرأ أهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين بكسر الدال وقرأ أهل المدينة يغشيكم بضم الياء وسكون الغين النعاس بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع والباقون يغشيكم بضم الياء وفتح الغين والتشديد النعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما ليطهركم به ما بمعنى الذي

الحجة

قال ابو علي مردفين يحتمل وجهين احدهما أن يكون مردفين مثلهم كما قالوا اردفت زيدا خلفي

فيكون في الآية المفعول الثاني محذوفا ﴿ والآخر ﴾ أن يكونوا جاؤا خلفهم تقول العرب بنوفلان يردفوننا أي يجيؤن بعدنا وقال ابو عبيدة مردفين جاءوا بعد وردفني واردفني واحد قال الشاعر

اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

وهذا الوجه كأنه ابين لقوله اذ تستغيثون ربكم الى قوله مردفين اي جائين بعد استغاثتكم ربكم وامداده اياكم بهم فمردفين على هذا صفة لألف وقال الزجاج معناه يأتون فرقة بعد فرقة ومردفين على اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم فيجوز على هذا أن يكون حالا من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بألف من الملائكة وقرأ في الشواذ مردفين ومردّفين والأصل فيهما مرتدفين فادغم التاء في الدال فلما التقى ساكنان حرك الراء لالتقاء الساكنين فضمت تارة اتباعا لضمة الميم وكسرت تارة لأن الساكن يحرك بالكسر ومن قرأ يغشيكم ويغشيكم فلأنه اشبه بما بعده من قوله وينزل عليكم فكما انه مسند الى اسم الله فكذلك يغشي ويغشى ومن قرأ يغشاكم فإنه اسند الفعل الى النعاس كما في قوله أمنة نعاسا يغشى واغشى وغشى معناهما واحد وقد جاء بهما التنزيل قال سبحانه فاغشيناهم وقال فغشاها ما غشى ومن قرأ ما ليطهركم به فإن ما ههنا موصولة وصلتها حرف الجر بما بعده فكأنه قال ما للطهور كقولك كسوت الثوب الذي لدفع البرد وهذه اللام في قراءة الجماعة ماء ليطهركم به هي لام المفعول له وهي كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ويتعلق بنفس الفعل واللام التي في قراءة من قرأ ما ليطهركم به اي الذي للطهارة به فمتعلقة بمحذوف وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف

﴿ اللغة ﴾

الرعب الخوف يقال رعبته ارعبه رعبا ورعبا والرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه واصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيبا اذا قطعته مستطيلا فالرعب تقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه ورعب السيل فهو راعب اذا امتلأ منه الوادي لأنه انقطع اليه من كل جهة والبنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة ويقال للاصبع بن بنانة واصله اللزوم واصله من ابنّت السحابة ابنانا اذا لزمت قال الشاعر

الا ليتني قطعت منه بنانه ولاقيته في البيت يقظان خادرا

الشقاق العصيان واصله الانفصال يقال شقه فانشق وشاقه شقاقا اذا صار في شق عدوه عليه ومنه اشتقاق الكلام لأنه انفصال الكلمة عما تحتمل في الأصل

﴿ الإعراب ﴾

العامل في إذ من قوله إذ تستغيثون قوله ويبطل الباطل وقيل محذوف وتقديره واذكروا إذ فعلى الوجه الأول يكون متصلاً بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستأنفا والهاء في جعله عائدة إلى الامداد لأنه معتمد الكلام وقيل عائدة إلى الخبر بالمدد لأن تقديم ذلك إليهم بشارة على الحقيقة وقيل عائدة إلى الارداف وامنة انتصب بأنه مفعول له والعامل فيه يغشى إذ يوحى في موضع نصب على معنى وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت ويجوز ان يكون ذلك على تقدير واذكروا إذ يغشيكم النعاس وإذ يوحى ذلكم فذوقوه تقديره لأمر ذلكم فيكون خبر مبتدإ محذوف فيكون كما قال الشاعر

وقائلة خولان فانكح فتاتهم　　وأكرومة الحيين خلوٌ كما هيا

اي هذه خولان ويجوز ان يكون ذلكم منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيداً فاضربه منصوبا بفعل مضمر يفسره الظاهر وكم في ذلكم لا موضع له من الاعراب لأنه حرف الخطاب وان الكافرين يحتمل ان يكون موضعه نصبا وجراً ورفعا فالرفع بالعطف على ذلكم فكأنه قال الأمر ذلكم وان الكافرين عذاب النار مع ذا والنصب بالعطف على قوله اني معكم ومعناه إذ يوحي ربك ان الكافرين والجر على ان يكون معطوفاً على قوله بأنهم شاقوا الله والرفع أليق بالظاهر ويشاقق بإظهار التضعيف مع الجزم لغة أهل الحجاز وغيرهم يدغم

النزول

قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال ابو جهل اللهم اولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله إذ تستغيثون ربكم إلى آخره وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فمازال يهتف ربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فأنزل الله تعالى إذ تستغيثون ربكم الآية عن عمر بن الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال ولما أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجنه الليل القى الله على اصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً حتى لبد الأرض وثبت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالى والقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما آتى المسلمين من النصر فقال (إذ تستغيثون ربكم) اي تستجيرون بربكم يوم بدر من اعدائكم وتسألونه النصر عليهم لقلتكم وكثرتهم فلم يكن لكم مفزع إلا التضرع اليه والدعاء له في كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المعونة والغوث وقيل معناه تستنصرونه والفرق بين المستنصر والمستجير ان المستنصر طالب الظفر والمستجير طالب الخلاص فاستجاب لكم والاستجابة هي العطية على موافقة المسألة فمعناه فأغاثكم وأجاب دعاءكم (اني ممدكم) أي مرسل اليكم مدداً لكم (بألف من الملائكة مردفين) اي متبعين ألفاً آخر من الملائكة لأن مع كل واحد منهم ردفا له عن الجبائي وقيل معناه مترادفين متتابعين وكانوا ألفا بعضهم في اثر بعض عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه بألف من الملائكة جاءوا على اثر المسلمين عن ابي حاتم (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) معناه وما جعله الله الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر ولتسكن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها وإلا فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبريل (ع) بقوم لوط فأهلكهم بريشة واحدة واختلف في ان الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال مجاهد إنما أمدهم بألف مقاتل من الملائكة فأما ما قاله سبحانه في آل عمران بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف فإنه للبشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود انه سأله ابو جهل من اين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا أنتم وعن ابن عباس أن الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت

(وما النصر إلا من عند الله) معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة وإنما كان من قبل الله لأنهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم ويحتمل ان يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد أم كثر (ان الله عزيز) لا يمنع عن مراده (حكيم) في أفعاله يجريها على ماتقتضيه الحكمة (إذ يغشيكم النعاس) قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةنعاساوالنعاس أول النوم قبل ان يثقل (امنة) اي امانا (منه) اي من العدو وقيل من الله فإن الإنسان لا يأخذه النوم في حال الخوف فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهروالأمن منيم والامنة الدعة التي تنافي المخافة وايضاً فإنه قوام بالاستراحة على القتال من العدو (وينزل عليكم من السماء ماء) اي مطرا (ليطهركم به) وذلك لأن المسلمين قد سبقهم الكفار إلى الماء فنزلوا على كثيب رمل واصبحوا محدثين ومجنبين وأصابهم الظمأ ووسوس اليهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم إلى الماء وانتم تصلون مع الجنابة والحدث وتسوخ أقدامكم في الرمل فمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به من الحدث وتلبدت به أرضهم واوحلت ارض عدوهم (ويذهب عنكم رجز الشيطان) اي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد وقيل معناه ويذهب عنكم الجنابة التي اصابتكم بالاحتلام (وليربط على قلوبكم) أي وليشد على قلوبكم ومعناه يشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر (ويثبت به الأقدام) أي اقدامكم في الحرب بتلبد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب عن ابي عبيدة والهاء في به ترجع الى الماء المنزل وقيل الى ما تقدم من الربط على القلوب (إذ يوحي ربك إلى الملائكة اني معكم) يعني الملائكة الذين أمد بهم المسلمين اي اني معكم بالمعونه والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى على النفس من وجه يخفى وقد يكون ينصب دليل يخفى إلا على من القى اليه من الملائكة (فثبتوا الذين آمنوا) يعني بشروهم بالنصر وكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عن مقاتل وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم بأشياء تلقونها في قلوبهم يقوون بها عن الزجاج (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف من أوليائي (فاضربوا فوق الأعناق) يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق قال عطا يريد كل هامة وجمجمة وجائز أن يكون هذا أمرا للمؤمنين وجائز ان يكون امرا للملائكة وهو الظاهر قال ابن الأنباري ان الملائكة حين أمرت بالقتال لم تعلم اين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى (واضربوا منهم كل بنان) يعني الأطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل يعني أطراف الأصابع اكتفى الله به عن جملة اليد والرجل عن ابن الأنباري (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) معناه ذلك العذاب لهم والأمر بضرب الأعناق والاطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله ورسوله ثم اوعد المخالف فقال (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) في الدنيا بالإهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار (ذلكم فذوقوه) أي هذا الذي اعددت لكم من الاسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا (وان للكافرين) آجلا في المعاد (عذاب النار) قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا وان لكم ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام وهو طالب إدراك الطعم بتناول اليسير بالفم لأن معظم العذاب بعده تمام

القصة

ولما اصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عبأ اصحابه فكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن العوام وفرس المقداد بن الاسود وكان في عسكره سبعون جملا كانوا يتعاقبون عليها وكان رسول الله ﷺ وعلي بن ابي طالب (ع) ومرثد بن ابي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن ابي مرثد وكان في عسكر قريش اربعمائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله ﷺ قال ابو جهل ماهم الا أكلة رأس لو بعثنا اليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد فقال عتبة بن ربيعة أترى لهم كمينا او مدداً فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارسا شجاعا فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع فقال ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خرسا لا يتكلمون ويتلمظون تلمظ الافاعي ما لهم ملجأ الا سيوفهم وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم فقال له ابو جهل كذبت وجبنت فأنزل الله تعالى وإن جنحوا للسلم فاجنح لها فبعث اليهم رسول الله ﷺ فقال يا معشر قريش اني اكره ان ابدأ بكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة مارد هذا قوم قط فافلحوا ثم ركب جملا له أحمر فنظر اليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال ﷺ ان يك عند احد خير فعند صاحب الجمل الاحمر وان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر ان محمدا له الّ وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فإن يك صادقا فأنتم اعلى عينا به وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب أمره فغاظ ابا جهل قوله وقال له جبنت وانتفخ سحرك فقال يا مصفراسته مثلي يجبن وستعلم قريش اينا ألأم واجبن واينا المفسد لقومه ولبس درعه وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد وقال يا محمد أخرج الينا اكفاءنا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر من الانصار وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا انما نريد الأكفاء من قريش فنظر رسول الله ﷺ الى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر الى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر الى علي بن ابي طالب (ع) فقال قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد ان تطفئ نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة عليك بشيبة وقال لعلي (ع) عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا الى القوم فقالوا اكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها فسقطا جميعا وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما وحمل أمير المؤمنين علي (ع) على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من ابطه قال علي لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت ان السماء وقعت على الارض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون يا علي أما ترى ان الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي (ع) ثم قال يا عم طأطئ رأسك وكان حمزة اطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء الى عتبة وبه رمق فاجهز عليه وفي رواية أخرى انه برز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي (ع) للوليد فقتل حمزة عتبة وقتل عبيدة شيبة وقتل علي (ع) الوليد فضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي وحمل عبيدة حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله ﷺ فاستعبر فقال يا رسول الله الست شهيدا قال بلى انت اول شهيد من اهل بيتي وقال ابو جهل لقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر ابناء ربيعة عليكم بأهل يثرب

فاجزروهم جزرا وعليكم بقريش فخذوهم أخذا حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضـلالتهم التي هم عليها وجاء ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم فقال لهم انا جار لكم ادفعوا الي رايتكم فدفعوا اليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر اليه رسول الله ﷺ فقال لاصحابه غضوا ابصاركم وعضوا على النواجذ ورفع يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة لا تعبد ثم اصابه الغشي فسري عنه وهو يسلك العرق عن وجهه فقال هذا جبرائيل قد أتاكم بألف من الملائكة مردفين وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رأينا يوم بدر ان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل ان يصل اليه السيف قال ابن عباس حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فبينا نحن هناك اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائـلا يقول اقدم حيزوم ثم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبـه فمات مكانه وأما انا فكدت اهلك ثم تماسكت وروى عكرمـة عن ابن عبـاس ان النبي ﷺ قال يوم بـدر هذا جبرائيـل آخذ برأس فرسـه عليـه اداة الحرب أورده البخاري في الصحيح قال عكرمـة قال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غـلاما للعبـاس بن عبـد المطلب وكان الإسلام قـد دخلنا اهـل البيت واسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومـه وكان ابو لهب عـدو الله قد تخلف عـن بدر وبعث مكانـه العاص بـن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وقد قدم فقال ابو لهب هلم الي يا ابن اخي فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لاشيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وايم الله مع ذلك مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرفع ابو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته واحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته ضربة فلقت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما الا تستحيان ان اباكما قد انتن في بيته لا تغيبانه فقالا انا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فانا معكما فما غسلوه الا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة الى جدار وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو اخا بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر كيف اسرت العباس يا ابا اليسر فقال يا رسول الله لقـد اعانني عليه رجـل ما رأيته قبل ذلك

ولا بعده هيأته كذا وكذا فقال ﷺ لقد اعانك عليه ملك كريم

قوله تعالى (١٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٦) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (ثلاث آيات)

﴿ اللغة ﴾

اللقاء الاجتماع على وجه المقاربة لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع الأعراض في المحل الواحد والزحف الدنو قليلا قليلا والتزاحف التداني يقال زحف يزحف زحفا وازدحفت للقوم اذا دنوت لقتالهم وثبت لهم قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدوهم بمرة وجمعه زحوف والتولية جعل الشيء يلي غيره يقال ولاه دبره اذا جعله يليه فهو يتعدى الى مفعولين ومنه ولاه البلد من ولاية الامارة وتولى هو اذا قبل الولاية واولاه نعمة لأنه جعلها تليه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف ومنه الاحتراف وهو ان يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة الرزق الى جهة الحرف ومنه حروف الهجاء لأنها اطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحيز طلب حيز يتمكن فيه والحيز المكان الذي فيه الجوهر والفئة القطعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جدا وهو من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته

﴿ الإعراب ﴾

زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لأن معناه متزاحفين مجتمعين ومتحرفا ومتحيزا منصوبان على الحال ايضا ويجوز ان يكون النصب فيهما على الاستثناء أي إلا أن يكون رجلا متحيزا او ان يكون منفردا فينحاز ليكون مع المقاتلة ويومئذ يجوز اعرابه وبناؤه فالإعراب لأنه متمكن اضيف على تقدير الإضافة الحقيقية كقولك هذا يوم ذاك واما البناء فلأنه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فأشبه الأسماء الموكبة

﴿ المعنى ﴾

لما امد الله سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار نهاهم عقيبه عن الفرار فقال سبحانه (يا ايها الذين آمنوا) قيل انه خطاب لأهل بدر وقيل هو عام (اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أي متدانين لقتالكم قال الزجاج معناه اذا واقفتموهم للقتال (فلا تولوهم الأدبار) يعني فلا تجعلوا ظهوركم مما يليهم اي فلا تنهزموا (ومن يولهم يومئذ دبره) أي ومن يجعل ظهره اليهم يوم القتال ووجهه الى جهة الانهزام واراد بقوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد به بياض النهار خاصة دون الليل (الا متحرفا لقتال) أي إلا تاركا موقفا الى موقف آخر اصلح للقتال من الاول عن الحسن وقيل معناه الا منعطفا مستطردا كأنه يطلب عورة يمكنه اصابتها فيتحرف عن وجه ويرى انه يفر ثم يكر والحرب كر وفر (او متحيزا الى فئة) أي منحازا منضما الى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم (فقد باء بغضب من الله)

اي احتمل غضب الله واستحقه وقيل رجع بغضب من الله (ومأواه جهنم) اي مرجعه الى جهنم (وبئس المصير) واكثر المفسرين على أن هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ ان ينحازوا لأنه لم يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك ووردت الرواية عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية فلقوا العدو فجاض الناس جيضة واتينا المدينة فتخبأنا بها وقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وقيل انه عام في جميع الاوقات وان من فر من الزحف اذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية أخرى وهو قول الجبائي وابي مسلم ثم نفى سبحانه ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وإنما نفى الفعل عمن هو فعله على الحقيقة ونسبه الى نفسه وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدي اليه من إقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب في قلوب اعدائهم والمشركين حتى قتلوا (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) خطاب للنبي ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان جبرائيل (ع) قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصا الوادي فناوله كفا من حصا عليه تراب فرمى بـه في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينه وفمه ومنخريه منها شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فعلى هذا انما أضاف الرمي الى نفسه لأنه لا يقدر أحد غيره على مثله فإنه من عجائب المعجزات (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم به نعمة حسنة اي فعل ذلك انعاما على المؤمنين والضمير في منه راجع الى النصر اي من ذلك النصر ويجوز ان يكون راجعا الى الله تعالى (ان الله سميع) لدعائكم (عليم) بافعالكم وضمائركم وانما يقال للنعمة بلاء كما يقال للمضرة بلاء لأن أصل البلاء ما يظهر به الامر من الشكر والصبر فيبتلي سبحانه عباده اي يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها وبالمحن والشدائد ليظهر عندها الصبر الموجب للاجر والبلاء الحسن هاهنا هو النصر والغنيمة والأجر والمثوبة

﴿ النظم ﴾

وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه لما أمرهم بالقتال في الآية المتقدمة ذكر عقيبها ان ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته تذكيرا للنعمة عن ابي مسلم ﴿ والآخر ﴾ انهم لما أمروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول انا قتلت فلانا وانا فعلت كذا نزلت الآية على وجه التنبيه لهم لئلا يعجبوا باعمالهم

قوله تعالى (١٨) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٩) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ اربع آيات

القراءة

قرأ اهل الحجاز وابو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتشديد غير منون كيد بالجر على الاضافة وقرأ الباقون موهن بالتنوين والتخفيف كيد بالنصب وقرأ حفص عن عاصم موهن بالتخفيف كيد بالنصب وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص وان الله مع المؤمنين بفتح الألف والباقون بكسر الألف

الحجة

من قرأ موهن فإنه من اوهنته اي جعلته واهنا ومن شدد فإنه من وهنته كما يقال فرح وفرحته وكلاهما حسن ومن قرأ وان الله بكسر الهمزة فإنه قطعه مما قبله ويقويه انهم زعموا ان في حرف عبدالله والله مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه أن يكون على تقدير ولأن الله مع المؤمنين اي لذلك لن تغني عنكم فئتكم

اللغة

الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذي تفتح به بلاد العدو والفتح ايضا الحكم ويقال للقاضي الفتاح واصل الباب من الفتح الذي هو ضد الاغلاق والانتهاء ترك الفعل لأجل النهي عنه يقال نهيته فانتهى وامرته فائتمر

الاعراب

ذلكم موضعه رفع وكذلك ان الله في موضع رفع والتقدير الامر ذلكم والامر ان الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ومن قال أن ذلكم مبتدأ وفذوقوه خبره فقد أخطأ لأن ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ ولا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه الا ان تضمر هذا تريد هذا زيد فاضربه

— المعنى —

(ذلكم) اشارة الى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد ان اخبر عنهم ومعناه الأمر ذلكم الانعام او ذلكم الذي ذكرت (وان الله موهن كيد الكافرين) بإلقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس يقول اني قد اوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قيل انه خطاب للمشركين فإن ابا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فانصر عليه عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي وفي حديث ابي حمزة قال ابو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فأي الدينين كان احب اليك وارضى عندك فانصر اهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه ان تستنصروا لأهدى الفئتين فقد جاءكم النصر اي نصر محمد واصحابه وقيل انه خطاب للمؤمنين عن عطا وابي علي الجبائي ومعناه ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي ﷺ قال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ان تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله (وان تنتهوا) اي تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول والمؤمنين (فهو خير لكم وان تعودوا نعد) معناه وان تعودوا ايها المشركون الى قتال المسلمين نعد بأن ننصرهم عليكم ونأمرهم بقتالكم (ولن تغني عنكم فئتكم شيئا) اي ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئا (ولو كثرت وان الله مع المؤمنين) بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وان تنتهوا ايها المسلمون عما كان منكم في الغنائم وفي الاسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى ذلك الصنيع نعد الى الانكار عليكم وترك نصرتكم ولن يغني عنكم حينئذ جمعكم شيئا اذ منعنا كم النصر عن عطا والجبائي ثم امر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصرة فقال (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) خص المؤمنين بطاعة الله ورسوله وان كانت واجبة على غيرهم ايضا لأنه لم يعتد بغيرهم لإعراضهم عما وجب عليهم ويجوز ان يكون انما خصهم اجلالا لقدرهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع (ولا تولوا عنه) اي ولا تعرضوا عن رسول الله ﷺ (وانتم تسمعون) دعاءه لكم وامره ونهيه اياكم عن ابن عباس وقيل

معناه وانتم تسمعون الحجة الموجبة لطاعة الله وطاعة الرسول عن الحسن (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعناوهم لا يسمعون) في الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا كهم في قولهم هذا المنكر فحذف المنهي عنه لدلالة الحال عليه وفي ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوه سماع عالم قابل له وليسوا كذلك والسماع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وهؤلاء الكفار هم المنافقون عن ابن اسحاق ومقاتل وابن جريج والجبائي وقيل هم أهل الكتاب من اليهود وقريظة والنظير عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركو العرب لأنهم قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا عن ابن زيد

قوله تعالى (٢٢) إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٣) وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (آيتان)

اللغة

الشر اظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشر الضرر القبيح والخير النفع الحسن وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لأنه قد يكون ضررا ما لا يكون شراً بأن يعقب خيرا واصل الشر الاظهار من قوله

إذا قيل أي الناس شر قبيلة أشارت كليب بالأكف الاصابع

والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الارض الا انه تختص في العرف بالخيل

— المعنى —

ثم ذم سبحانه الكفار فقال (ان شر الدواب) اي شر من دب على وجه الارض من الحيوان (عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعتقدونه ولا يقرون به فكأنهم صم بكم لا يتفكرون ايضا فيما يسمعون فكأنهم لم ينتفعوا بعقولهم ايضا وصاروا كالدواب وقال الباقر (ع) نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) معناه ولو علم الله فيهم قبولا للهدى واقبالا على طلب الحق لأسمعهم ما يذهبون عن استماعه عن الحسن وقيل معناه لأسمعهم الجواب عن كل ما سألوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لأسمعهم قول قصي بن كلاب فإنهم قالوا احي لنا قصي بن كلاب ليشهد بنبوتك عن الجبائي (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) أي لأعرضوا وفي هذا دلالة على ان الله تعالى لا يمنع احدا من المكلفين اللطف وإنما لا يلطف لمن يعلم انه لا ينتفع به

قوله تعالى (٢٤) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٥) وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ آيتان

القراءة

قرأ أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وزيد بن ثابت وابو جعفر الباقر (ع) والربيع بن انس وابو العالية لتصيبن والقراءة المشهورة لا تصيبن

— الحجة —

قال ابن جني معنى هاتين القراءتين ضدان كما ترى لأن احداهما لتصيبن الذين ظلموا خاصة والأخرى لاتصيبنهم ويمكن ان يكون حذفت الالف من لا تصيبن تخفيفاً واكتفى بالفتحة منها كما قالوا ام والله ليكونن كذا فحذفوا الف اما وذهب ابو عثمان في قوله يا ابت بفتح التاء انه اراد يا ابتا فحذف الالف تخفيفا فإن قلت فهل يجوز ان تحمله على انه اراد لتصيبن ثم اشبع الفتحة فأنشأ عنها الفا كقول عنترة «ينباع من ذفري غضوب جسرة» اراد ينبع ومثله قول ابن هرمة

فأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح

اي بمنتزح قيل قوله تعالى فيما يليه واعلموا ان الله شديد العقاب اشبه بما ذكرناه وأما الوجه في قوله لاتصيبن فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين ان هذا الكلام جزاء فيه خبر وفيه طرف من النهي فإذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك او لا تطرحنك فهذا جواب الأمر بلفظ النهي والمعنى انزل ان تنزل عنه لا تطرحك فإذا أتيت بالنون الخفيفة او الثقيلة كان اوكد للكلام ومثله قوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان والمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز ان يكون نهيا بعد أمر فيكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعده فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا اي لاتتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب ويكون بمعنى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم انها امرت بالدخول ثم نهتهم ان يحطمنهم سليمان فقالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل كما يقول لا أرينك هاهنا قال ابو علي انه حكى القول الاول على جهة احتمال الآية كاحتمالها القول الثاني فاما القول الثاني فقول ابي الحسن ولا يصح عندنا الاقول ابي الحسن لأن قوله لاتصيبن لا يخلو اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لأن دخول النون فيه يكون لضرورة الشعر كما انشده سيبويه « ومهما تشأ منه فزارة تمنعا » واما ان يكون نهيا بعد امر فاستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالاولى كما مضى ذكر امثاله من قوله ثلاثة رابعهم كلبهم وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الأول قال ومحال ان يكون جواب الامر بلفظ النهي كما يستحيل أن يكون جواب الشرط بلفظ النهي لأن جواب الأمر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز ايضا ان يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء لأن الجزاء خبر فحكمه ان يكون على الفاظ الاخبار والفاظ الاخبار لا تجيء على لفظ الامر الا فيما علمته من قولهم اكرم به ومما يدل على انه ليس بجزاء دخول النون فيه والنون لا تدخل في الجزاء لما ذكرنا انه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر الا في ضرورة الشعر نحو

ربما اوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه بطاعة الرسول ﷺ فقال (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) اي اجيبوا الله والرسول فيما يأمرانكم به فإجابة الله والرسول طاعتهما فيما يدعوان اليه (اذا دعاكم) لما يحييكم قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه اذا دعاكم الى الجهاد واللام في معنى الى قال القتيبي هو الشهادة فإن الشهداء احياء عند الله تعالى وقال الجبائي اي دعاكم الى احياء امركم واعزاز دينكم بجهاد عدوكم مع نصر الله اياكم وهو معنى قول الفراء ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه اذا دعاكم الى الايمان فإنه حياة القلب والكفر موته عن السدي وقيل الى الحق عن مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم في الدين لأن الجهل موت والعلم حياة والقرآن سبب الحياة بالعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيها من الحياة الدائمة ونعيم الأبد عن ابي مسلم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت

فلا يمكنه استدراك ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف عن الجبائي قال وفيه حث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه انه سبحانه أقرب اليه من قلبه وهو نظير قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فإن الحائل بين الشيء وغيره اقرب الى ذلك الشيء من ذلك الغير عن الحسن وقتادة قالا وفيه تحذير شديد وقيل معناه انه سبحانه يملك تقليب القلوب من حال الى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب والابصار فكأنهم خافوا من القتال فأعلمهم سبحانه انه يبدل خوفهم أمناباًن يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من اسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال انه يحول بين المرء وقلبه معناه لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابدا ولا يستيقن القلب ان الباطل حق ابدا وروى هشام بن سالم عنه ﷺ قال معناه يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق اورد هما العياشي في تفسيره وقال محمد بن اسحاق معناه لا يستطيع القلب ان يكتم الله شيئا وهذا في معنى قول الحسن (وانه اليه تحشرون) معناه واعلموا انكم تحشرون أي تجمعون للجزاء على اعمالكم يوم القيامة ان خيرا فخير وان شرا فشر (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) حذرهم الله تعالى من هذه الفتنة وامرهم ان يتقوها فكأنه قال اتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبنكم لأن قوله لا تصيبن نهي مسوق على الأمر ولفظ النهي واقع على الفتنة وهو في المعنى للمأمورين بالاتقاء كقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون أي احذروا ان يدرككم الموت قبل ان تسلموا واختلف في معنى الفتنة ههنا فقيل هي العذاب امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب والخطاب لاصحاب النبي ﷺ خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن امر الانسان فيها عن الحسن قال ونزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وقد قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما ارانا من اهلها فإذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة وقيل نزلت في أهل بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا عن السدي وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل احد ثم اختلف في اصابة هذه الفتنة على قولين ﴿ احدهما ﴾ انها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم اما الظالمون فمعذبون واما المؤمنون فممتحنون ممحصون عن ابن عباس وروي انه سئل عنها فقال ابهموا ما ابهم الله ﴿ والثاني ﴾ انها تخص الظالم لأن الغرض منع الناس عن الظلم وتقديره واتقوا عذابا يصيب الظلمة خاصة . ويقويه قراءة من قرأ لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة باللام فإنه تفسيره على هذا المعنى وقيل ان لا في قوله لا تصيبن زائدة ويجوز ان يقال ان الألف في لا لإشباع الفتحة على ما تقدم ذكره قال ابومسلم تقديره احذروا ان يخص الظالم منكم بعذاب اي لا تظلموا فيأتيكم عذاب لا ينجو منه الا من زال عنه اسم الظلم (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتق المعاصي وروى الثعلبي باسناده عن حذيفة انه قال اتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع وكل خطيب مصقع وفي حديث ابي ايوب الانصاري ان النبي ﷺ قال لعمار يا عمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضا وحتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني علي بن ابي طالب (ع) فإن سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي وخل عن الناس يا عمار ان عليا لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله رواه السيد ابو طالب الهروي باسناده عن علقمة والاسود قالا اتينا أبا ايوب الانصاري الخبر بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القسم الحسكاني وحدثنا عنه ابو الحمد مهدي بن نزار الحسني حدثني محمد بن القاسم بن احمد قال حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العرزمي قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم قال حدثنا ابو سعيد الاشج عن ابي خلف الاحمر عن ابراهيم بن طهمان عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية واتقوا فتنة قال النبي ﷺ من ظلم عليا مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد

بنبوتي ونبوة الانبياء قبلي

قوله تعالى (٢٦) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ آية

﴿ اللغة ﴾

الذكر ضد السهو وهو احضار المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله والتخطف الأخذ بسرعة انتزاع يقال تخطف وخطف واختطف

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حالتهم السالفة في القلة والضعف وانعامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير فقال (واذكروا) معشر المهاجرين (إذ أنتم قليل) في العدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الإسلام (مستضعفون) يطلب ضعفكم بتوهين امركم (في الارض) اي في مكة عن ابن عباس والحسن (تخافون ان يتخطفكم الناس) اي يستلبكم المشركون من العرب ان خرجتم منها وقيل انه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس والروم عن وهب (فآواكم) اي جعل لكم مأوى ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة (وأيدكم بنصره) اي قواكم (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما اعطاهم من الاطعمة اللذيذة (لعلكم تشكرون) اي لكي تشكروا والمعنى قابلوا حالكم التي انتم عليها الآن بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها

قوله تعالى (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ آيتان

﴿ اللغة ﴾

الخيانة منع الحق الذي قد ضمن التأدية فيه وهي ضد الأمانة واصلها ان تنقص من أئتمنك أمانته قال زهير

وبارزة الفقارة لم يخنها قطاف في الركاب ولا خلاء

اي لم ينقص من فراهتها

﴿ الاعراب ﴾

وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا عن الاخفش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل انه نصب على الظرف مثل قول الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وهو في معنى قول السدي

﴿ النزول ﴾

قال عطا سمعت جابر بن عبد الله يقول ان ابا سفيان خرج من مكة فأتى جبرائيل (ع) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمداً يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله هذه الآية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهري نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري وذلك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير

على أن يسيروا إلى اخوانهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة أننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا فأتاه جبرائيل (ع) فأخبره بذلك قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فيه فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لايذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له ياابا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجزئك الثلث ان تصدق به وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام

— المعنى —

ثم امرهم الله سبحانه بترك الخيانة فقال (يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول) اي لاتخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وشرائعه عن ابن عباس وقيل ان من ترك شيئا من الدين وضيعه فقد خان الله ورسوله عن الحسن (وتخونوا أماناتكم) يعني الاعمال التي أئتمن الله عليها العباد يعني الفرائض التي يقول لاتنقصوها عن ابن عباس وقيل انهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم عن السدي (وانتم تعلمون) ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل وانتم تعلمون انها أمانة من غير شبهة (واعلموا) اي وتحققوا وايقنوا (انما اموالكم واولادكم فتنة) اي بلية عليكم ابتلاكم الله تعالى بها فإن ابا لبابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في ايديهم واولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم (وان الله عنده اجر عظيم) لمن اطاعه وخرج الى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الأموال والاولاد بين سبحانه بهذه الآية انه يختبر خلقه بالأموال والاولاد ليتبين الراضي بقسمه ممن لا يرضى به وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن ليظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) في قوله لا يقولن أحدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد الاوهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فإن الله تعالى يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وقد روي هذا المعنى عن ابن مسعود ايضا

قوله تعالى (٢٩) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ آيـة

✻ المعنى ✻

(ياايها الذين آمنوا) اي ياايها المؤمنون (ان تتقوا الله) أي ان تتقوا عقاب الله باتقاء معاصيه واداء فرائضه (يجعل لكم فرقانا) اي هداية ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عزا في الدنيا وثوابا في الآخرة وعقوبة وخذلانا لاعدائكم وذلا وعقابا كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة عن الجبائي (ويكفر عنكم سيئاتكم) التي عملتموها ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم) على خلقه بما انعم عليهم من انواع النعم فإذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير استحقاق كرما منه وجودا فإنه لا يمنعهم ما استحقوه بطاعاتهم له وقيل معناه اذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير استحقاق فعليه اتمام ذلك بنعيم الآخرة باستحقاق وغير استحقاق

﴿ النظم ﴾

قيل اتصلت الآية بأول السورة من الأمر بالجهاد وتقديره ان تتقوا الله ولم تخالفوه فيما امركم به من الجهاد يجعل لكم فرقانا وقيل انه لما امر بالطاعة وترك الخيانة بين بعده ما اعده لمن امتثل امره في الدنيا والآخرة

قوله تعالى (٣٠) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ آيه

﴿ اللغة ﴾

المكر الميل الى جهة الشر في خفية قال الازهري المكر من الناس خب وخداع ومن الله جزاء وأصل المكر الالتفاف من قولهم جارية ممكورة قال ذو الرمة

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب

اي ملتفة والفرق بين المكر والغدر ان الغدر نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد والاثبات الحبس يقال رماه فاثبته اي حبسه مكانه واثبته في الحرب اذا جرحه جراحة مثقلة

= النزول =

قال المفسرون انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك ان نفرا من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتآمروا في امر النبي ﷺ فقال عروة بن هشام نتربص به ريب المنون وقال ابو البختري اخرجوه عنكم تستريحوا من اذاه وقال ابوجهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب ابليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من اهل نجد وخطأ الاولين فاتفقوا على هذا الرأي واعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرائيل (ع) فأخبر رسول الله ﷺ فخرج الى الغار وأمر عليا (ع) فبات على فراشه فلما اصبحوا وفتشوا عن الفراش وجدوا عليا وقد رد الله مكرهم فقالوا اين محمد فقال لا ادري فاقتصوا أثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة

﴿ المعنى ﴾

(واذ يمكر بك الذين كفروا) اي واذكر اذ يحتال الكفار في ابطال امرك ويدبرون في هلاكك وهم مشركو العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام وأمية بن خلف وغيرهم (ليثبتوك) اي ليقيدوك ويثبتوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل ليثبتوك في الحبس ويسجنوك في بيت عن عطا والسدي وقيل معناه ليثخنوك بالجراحة والضرب عن ابان بن تغلب والجبائي وابو حاتم وانشد

فقلت ويحك ماذا في صحيفتكم قالوا الخليفة امسى مثبتا وجعا

(او يقتلوك او يخرجوك) من مكة الى طرف من اطراف الأرض وقيل او يخرجوك على بعير ويطردونه حتى يذهب في وجهه (ويمكرون ويمكر الله) اي ويدبرون في امرك ويدبر الله في امرهم عن ابي مسلم وقيل ويحتالون في امرك من حيث لا تشعر فأحل الله بهم ما اراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائي وقيل يمكرون والله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها (والله خير الماكرين)

لأنه لا يمكر الا ما هو حق وصواب وهو انزال المكروه بمن يستحقه والعباد قد يمكرون مكرا هوظلم وباطل ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير المجازين على المكر

النظم

الآية اتصلت بقوله واذكروا اذ انتم قليل فتقديره واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر الكفار بمكة عن ابي مسلم وغيره وقيل انها يتصل بما قبلها من قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نجاة كما جعل للنبي ﷺ واصحابه النجاة من مكر مشركي قريش فاذكروا ذلك

قوله تعالى (٣١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣٢) وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٣) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٤) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اربع آيات

الإعراب

هو الحق هو فصل لا محل له من الاعراب ويسميه الكوفيون عمادا والحق منصوب بأنه خبر كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به واللام في قوله ليعذبهم لام الجحد وأصلها لام الاضافة وانما دخلت في النفي ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبر ما ولم تدخل في الايجاب وموضع ان من قوله أن لا يعذبهم الله نصب لأن تقديره وما لهم في ان لا يعذبهم الله اي أي شيء لهم في ذلك لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل الذي هو الاستقرار ونحوه وإنما جاز الحذف مع ان ولم يجز مع المصدر لطول الكلام بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتتهم للحق فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (قالوا قدسمعنا) اي ادركنا بآذاننا فإن السماع ادراك الصوت بحاسة الأذن (لو نشاء لقلنا مثل هذا) إنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الاتيان بسورة مثله بعد التحدي عداوة وعنادا وقد تحمل الإنسان شدة العداوة على ان يقول ما لا يعلم وقيل إنما قالوا ذلك لأنه لم ينقطع طمعهم من القدرة عليه في المستقبل اذ القرآن كان من كيامن كلمات جارية على السنتهم فطمعوا ان يتأتى لهم في ذلك المستقبل بخلاف صيرورة العصا حية في انه قدانقطع طمعهم عن الإتيان بمثله اذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم (ان هذا الا أساطير الأولين) معناه ما هذه الا أحاديث الأولين تتلوها علينا وكان قائل هذا النضر بن الحارث بن كلدة وأسر يوم بدر فقتله رسول الله ﷺ وعقبة بن ابي معيط قال يا علي علي بالنضر ابغيه فأخذ علي بشعره وكان رجلا جميلا له شعر فجاء به الى النبي ﷺ فقال يا محمد اسألك بالرحم بيني وبينك الا اجريتني كرجل من قريش ان قتلتهم قتلتني وان فاديتهم فاديتني فقال ﷺ لارحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالإسلام قدمه

يا علي فاضرب عنقه فضرب عنقه ثم قال يا علي علي بعقبة فأحضر فقال يا محمد الم تقل لا تصبر قريش اي لا يقتلون صبرا فقال صلى الله عليه وآله وسلم وأنت من قريش انما أنت علج من أهل صفورية والله لأنت في الميلاد اكبر من ابيك الذي تدعى له قال فمن للصبية قال صلى الله عليه وآله وسلم النار ثم قال حن قدح ليس منها قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ثلاثة نفر من قريش صبراً المطعم بن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط (واذ قالوا) اي واذكر يا محمد اذ قالوا اي قال هؤلاء الكفار (اللهم ان كان هذا) الذي جاء به محمد (هو الحق من عندك)دون ما نحن عليه (فامطر علينا حجارة من السماء) كما امطرته علي قوم لوط (اوائتنا بعذاب اليم) اي شديد مؤلم والقائل لذلك النضر بن الحارث ايضا عن سعيد بن جبير ومجاهد وروي في الصحيحين ان هذا من قول ابي جهل ويسأل هاهنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق وإنما يطلب بالحق الخير والثواب والاجر والجواب انهم كانوا يعتقدون ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس بحق من الله وإذا لم يكن حقا لم يصبهم شيء ويقال لم قال امطر من السماء والامطار لا يكون إلا من السماء وفي هذا جوابان * احدهما * انه يجوز ان يكون امطار الحجارة من مكان عال غير السماء * والثاني * انه على طريق البيان بين ثم قال سبحانه (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) ذكر سبحانه سبب امهالهم ومعناه وما كان الله يعذب اهل مكة بعذاب الاستئصال وأنت مقيم بين اظهرهم لفضلك وحرمتك يا محمد فإن الله تعالى بعثك رحمة للعالمين فلا يعذبهم إلا بعد ان يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة بإخراجك عنهم قال ابن عباس إن الله سبحانه لم يعذب قومه حتى اخرجوه منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) معناه وما كان الله يعذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا بعذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم فلما خرجوا أذن الله في فتح مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستئصال في الدنيا وهم يقولون غفرانك ربنا وانما يعذبهم على شركهم في الآخرة عن ابن عباس في رواية اخرى ويزيد بن رومان وابي موسى ومحمد بن مبشر وفي تفسير علي بن ابراهيم لما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقريش اني اقتل جميع ملوك الدنيا وأجري الملك اليكم فأجيبوني الى ما ادعوكم اليه تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فقال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق الآية حسدا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال غفرانك اللهم ربنا فانزل الله وما كان الله ليعذبهم الآية ولما هموا بقتل رسول الله واخرجوه من مكة انزل الله سبحانه وما لهم إلا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الآية فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا وقيل معناه انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية اخرى والسدي وقتادة وابن زيد قال مجاهد وفي اصلابهم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون فأراد بالاستغفار الإسلام وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به وقرأ هذه الآية وروي ذلك عن قتادة ايضا (ومالهم الا يعذبهم الله) معناه ولم لا يعذبهم الله واي أمر يوجب ترك تعذيبهم (وهم يصدون عن المسجد الحرام) اي يمنعون عن المسجد الحرام اولياءه فحذف لأن ما بعده يدل عليه (وما كانوا أولياءه) اي وما كان المشركون أولياء المسجد الحرام وان سعوا في عمارته (ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون) معناه وما اولياء المسجد الحرام الا المتقون عن الحسن

وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل معناه وما كانوا اولياء الله ان اولياء الله الا المتقون الذين يتركون معاصي الله ويجتنبونها والأول احسن ويسأل فيقال كيف يجمع بين الآيتين وفي الأولى نفي تعذيبهم وفي الثانية اثبات ذلك وجوابه على ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان المراد بالاول عذاب الاصطلام والاستئصال كما فعل بالأمم الماضية وبالثاني عذاب القتل بالسيف والأسر وغير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم ﴿ والآخر ﴾ انه أراد وما لهم ان لا يعذبهم الله في الآخرة ويريد بالأول عذاب الدنيا عن الجبائي ﴿ والثالث ﴾ ان الأول استدعاء للاستغفار يريد أنه لا يعذبهم بعذاب دنيا ولا آخرة اذا استغفروا وتابوا فإذا لم يفعلوا عذبوا ثم بين ان استحقاقهم العذاب بصدهم الناس عن المسجد الحرام

قوله تعالى (٣٥) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ آية

﴿ القراءة ﴾

يروى في الشواذ عن عاصم وما كان صلاتهم بالنصب الا مكاء وتصدية بالرفع وروي ايضا عن ابان بن تغلب

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني لسنا ندفع ان جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح وإنما جاءت منه ابيات شاذة لكن من وراء ذلك ما اذكره وهو ان نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ألا ترى تقول خرجت فإذا اسد بالباب فتجد معناه فإذا الاسد بالباب ولا فرق بينهما وذلك انك في الموضعين لا تريد اسدا واحدا معينا وإنما تريد واحدا من هذا الجنس واذا كان كذلك جاز هنا الرفع في مكاء وتصدية جوازا قريبا كأنه قال وما كان صلاتهم الا هذا الجنس من الفعل ولا يكون مثل قولك كان قائم اخاك لأنه ليس في قائم معنى الجنسية وايضا فإنه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الإيجاب ألا ترى تقول ما كان انسان خيرا منك ولا تجيز كان انسان خيرا منك

﴿ اللغة ﴾

المكاء الصفير والمكاء طائر يكون بالحجاز له صفير بالتشديد يقال مكا يمكو مكاء اذا صفر بفيه قال عنترة

وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعلم

والتصدية التصفيق وهو ضرب اليد على اليد ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال (وما كان صلاتهم عند البيت) يعني هؤلاء المشركين الصادين عن المسجد الحرام (الا مكاء وتصدية) قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وصلاتهم معناه دعاؤهم أي يقيمون المكاء والتصدية مكان الدعاء والتسبيح وقيل اراد ليس لهم صلاة ولا عبادة وإنما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب فالمسلمون الذين يطيعون الله ويعبدونه عند هذا البيت احق بمنع المشركين منه وروي أن النبي ﷺ كان اذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره يصفقان بايديهما فيخلطان عليه صلاته فقتلهم الله جميعا ببدر ولهم

يقول ولبقية بني عبد الدار (فذوقوا العذاب) يعني عذاب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك وقيل عذاب الآخرة وعلى هذا يكون في الكلام حذف اي يقال لهم اذا عذبوا ذوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) بتوحيد الله

قوله تعالى (٣٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٧) لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ثلاث آيات بصري آيتان عند غيرهم عد البصري يغلبون آية

اللغة

الحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة واصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً والتمييز اخراج الشيء عما خالفه مما ليس منه والحاقه بما هو منه يقال ميزه يميزه ومازه ويميزه فامتاز وانماز . الازهري الركم جمعك شيئا فوق شيء حتى تجعله ركاما مركوما مرتكما وهو المتراكب بعضه فوق بعض

النزول

قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى من استجاشهم من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك

فجئنا الى موج من البحر وسطهم ... احابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن بقية ... ثلاث مئين ان كثرنا فاربع

عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان كل يوم يطعم واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة يوم الهزيمة للعباس عن الكلبي والضحاك ومقاتل وقيل لما اصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم الى مكة مشى صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل في رجال من قريش اصيب آباؤهم واخوانهم ببدر فكلموا اباسفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يامعشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت علي حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن اصيب منا ففعلوا فأنزل الله فيهم هذه الآية رواه محمد بن اسحاق عن رجاله

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه انفاق المشركين اموالهم في معصية الله تعالى فقال (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم) في قتال الرسول والمؤمنين (ليصدوا عن سبيل الله) اي ليمنعوا بذلك الناس عن دين الله الذي اتى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإنما قال ليصدوا وان كانوا لم يقصدوا ذلك من حيث لم يعلموا ان ذلك دين الله لأن فعلهم ذلك كان صدا عن دين الله وان لم يقصدوا ذلك (فسينفقونها) معناه فسيقع منهم الانفاق لها (ثم تكون عليهم حسرة) معناه ثم ينكشف لهم ويظهر من ذلك الانفاق مايكون حسرة عليهم من حيث انهم لا ينتفعون بذلك الانفاق لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يكون وبالا عليهم (ثم يغلبون) في الحرب اي يغلبهم

المؤمنون وفي هذا دلالة على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه اخبر بالشيء قبل كونه فوجد على ما اخبر به (والذين كفروا الى جهنم يحشرون) اي يجمعون الى النار بعد تحسرهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وإنما اعاد قوله والذين كفروا لأن جماعة ممن انفقوا اسلموا بعد فخصّ منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة (ليميز الله الخبيث من الطيب) معناه ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) اي ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض (فيركمه) اي فيجمعه (جميعا) في الآخرة (فيجعله في جهنم) فيعاقبهم به كما قال يوم يحمى عليها في نار جهنم الآية وقيل معناه ليميز الله الكافر من المؤمن في الدنيا بالغلبة والنصر والأسماء الحسنة والاحكام المخصوصة وفي الآخرة بالثواب والجنة عن ابي مسلم وقيل بأن يجعل الكافر في جهنم والمؤمن في الجنة ويجعل الخبيث بعضه على بعض في جهنم يضيقها عليهم فيركمه جميعا أي يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بأن يكون بعضهم فوق بعض في النار مجتمعين فيها فيجعله في جهنم اي فيدخله جهنم (اولئك هم الخاسرون) قد خسروا انفسهم لأنهم اشتروا بانفاق الاموال في المعصية عذاب الله في الآخرة

قوله تعالى (٣٨) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ثلاث آيات

= اللغة =

الانتهاء الاقلاع عن الشيء لأجل النهي يقال نهاه عن كذا فانتهى والسنة والطريقة والسيرة نظائر قال

فلا تجزعن من سنة انت سرتها ... فأول راضي سنة من يسيرها

والسلوف التقدم والتولي عن الدين الذهاب عنه الى خلافه والتولي فيه هو الذهاب الى جهة الحق ومتابعته

❊ الاعراب ❊

وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله مولاكم أمر في موضع الجواب وإنما جاز ذلك لأن فيه معنى الخبر فكأنه قال فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم

❊ المعنى ❊

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بدعائهم الى التوبة والإيمان فقال (قل) يا محمد (للذين كفروا ان ينتهوا) اي يتوبوا عما هم عليه من الشرك ويمتنعوا منه (يغفر لهم ما قد سلف) اي ما قد مضى من ذنوبهم وقيل معناه ان ينتهوا عن المحاربة الى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبة (وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين) معناه وان يعودوا الى القتال واصروا على الكفر فقد مضت سنة الله في آبائكم وعادته في نصر المؤمنين وكبت اعداء الدين والاسر والاسترقاق وإنما ذكر ذلك تحذيرا لهم واضاف السنة اليهم لأنها كانت تجري عليهم وقال سنة من قد ارسلنا فأضاف السنة الى الرسل لأنها كانت تجري على ايديهم ثم قال ولا تجد لسنتنا تحويلا فاضاف الى نفسه لأنه هو المجري لها (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) هذا خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة اي شرك عن ابن عباس والحسن ومعناه حتى لا يكون

كافر بغير عهد لأن الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا في قومه يدعو الناس الى دينه فتكون الفتنة في الدين وقيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه (ويكون الدين كله لله) اي ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به اي ويكون الدين حينئذ كله لله باجتماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن ابي عبد الله (ع) انه قال لم يجيء تأويل هذه الآية ولو قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الارض كما قال الله تعالى يعبدونني لا يشركون بي شيئا (فإن انتهوا) عن الكفر (فإن الله بما يعملون بصير) معناه فإن رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فإن الله يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شيء (وان تولوا) عن دين الله وطاعته (فاعلموا) ايها المؤمنون (ان الله مولاكم) اي ناصركم وسيدكم وحافظكم (نعم المولى) اي نعم السيد والحافظ (ونعم النصير) هو ينصر المؤمنين ويعينهم على طاعته ولا يخذل من هو ناصره

قوله تعالى (٤١) وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَى وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِٱللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيـة

✵ اللغة ✵

الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين والفيء ما اخذ بغير قتال وهو قول عطا ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن أئمتنا (ع) وقال قوم الغنيمة والفيء واحد وادعوا ان هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية واليتيم الذي مات ابوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل امه الا الإنسان فإنه من قبل ابيه والمسكين الذي تحل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شأنه أن تسكنه الحاجة عما ينهض به الغنى وابن السبيل المسافر المنقطع به في سفره وإنما قيل ابن السبيل لأن السبيل اخرجه الى هذا المستقر كما اخرجه ابوه الى مستقره

✵ الإعراب ✵

فأن لله خمسه قيل في فتح ان قولان ✵ احدهما ✵ ان تقديره فعلى ان لله خمسه ثم حذف حرف الجر ✵ والآخر ✵ انه عطف على ان الاولى وحذف خبر الاولى لدلالة الكلام عليه وتقديره اعلموا أنما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسه

✵ المعنى ✵

ثم بين سبحانه حكم الغنيمة فقال سبحانه مخاطبا للمسلمين (واعلموا انما غنمتم من شيء) اي مما قل او كثر (فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال ✵ أحدها ✵ ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسهم ليتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس

وعوضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام وروي ايضاً عن ابي العالية والربيع انه يقسم على ستة اسهم الا انهما قالا سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب ويقويه والثاني ان الخمس يقسم على خمسة اسهم وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم الى الكراع والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وابراهيم وقتادة وعطاو الثالث ان يقسم على اربعة اسهم سهم ذي القربى لقرابة النبي ﷺ والأسهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع انه يقسم على ثلاثة اسهم لأن سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لأن الأنبياء لا يورثون فيما يزعمون وسهم ذي القربى قد سقط لأن ابا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليهما وهو مذهب ابي حنيفة واهل العراق ومنهم من قال لو اعطى فقراء ذوي القربى سهما والآخرون ثلاثة اسهم جاز ولو جعل ذوو القربى اسوة الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف في ذوي القربى فقيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لأن هاشما لم يعقب الا منه عن ابن عباس ومجاهد واليه ذهب اصحابنا وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعي وروي ذلك عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ. وقال اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب ويمكن ان يستدل على ذلك بهذه الآية فإن في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة ونعود الى تأويل الآية قوله (فأن لله خمسه) قالوا افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك لأن الاشياء كلها لله عز وجل والمراد به مصروف الى الجهات المقربة الى الله تعالى وللرسول قالوا كان للنبي ﷺ سهم من خمسة اسهم يصرفه في مؤنته وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع والسلاح والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول ﷺ على ما ذكرناه قال الشافعي يصرف سهم الرسول الى الخيل والكراع في سبيل الله وسهم ذي القربى لبني هاشم وبني المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الغني والفقير وروي عن الحسن وقتادة ان سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى للإمام القائم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبنا (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قالوا ان هذه الاسهم الثلاثة لجميع الناس وانه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم وقد بينا ان عندنا يختص باليتامى من بني هاشم ومساكينهم وابناء سبيلهم (ان كنتم آمنتم بالله) قال الزجاج يجوز ان يكون ان كنتم آمنتم معلقة بقوله فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ان كنتم آمنتم بالله (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) اي فايقنوا ان الله ناصركم إن كنتم قد شاهدتم من نصره ماقد شاهدتم ويجوز ان يكون ان كنتم آمنتم بالله معناه اعلموا ان ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول يأمر ان فيه بما يريدان ان كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما أمرتم به من الغنيمة واعملوا به وما انزلنا على عبدنا اي وآمنتم بما أنزلنا على محمد من القرآن وقيل من النصر وقيل من الملائكة اي علمتم ان ظفركم على عدوكم كان بنا يوم الفرقان يعني يوم بدر لأن الله تعالى فرق فيه بين المسلمين والمشركين بإعزاز هؤلاء وقمع أولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وجمع الكافرين وهم بين تسعمائة الى الف من صناديد قريش ورؤسائهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين وأسروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر

يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً وقيل كان التاسع عشر من شهر رمضان وقد روي ذلك عن ابي عبد الله (ع) (والله على كل شيء قدير) قد مر تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المنهال بن عمر وسألت علي ابن الحسين (ع) وعبدالله بن محمد ابن علي عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقال يتامانا ومساكيننا وروى العياشي باسناده عن ابي عبد الله (ع) قال كتب نجدة الحروري الى ابن عباس يسأله عن موضع الخمس فكتب اليه ابن عباس أما الخمس فإنا نزعم انه لنا ويزعم قومنا انه ليس لنا فصبرنا وعن ابي عبد الله (ع) قال ان الله تعالى لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال

قوله تعالى (٤٢) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٣) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٤) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ثلاث آيات كوفي اربع آيات عند غيرهم

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين والباقون بضمها وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم والبزي عن ابن كثير حيي بإظهار اليائين والباقون حي بالادغام

الحجة

الكسر والضم في العدوة لغتان قال الراعي في الكسر

وعينان حم ماقيهما ... كما نظر العدوة الجزور

وقال أوس بن حجر في الضم

وفارس لا يحل الحي عدوته ... ولو سراعا وما هموا باقبال

ومن ادغم حي فللزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى ردوا اذا أخبروا عن جماعة قالوا حيوا فخففوا وقد جاء مدغما نحو حيوا قال

عيوا بأمرهم كما ... عيت ببيضتها الحمامة

ومن اختار الاظهار فلامتناع الإدغام في مضارعه وهو يحيا فاجري الماضي على شاكلة المستقبل

اللغة

العدوة شفير الوادي وللوادي عدوتان وهما جانباه والجمع عدى وعدي والدنيا تأنيث الادنى من دنوت والقصوى تأنيث الأقصى وما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فإن العرب تحوله الى الياء

نحو الدنيا والعليا استثقلوا الواو مع ضم الأول الان أهل الحجاز قالوا القصوى فاظهروا الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والاقصى الأبعد والقصا البعد وقصوت منه اقصو اي تباعدت والركب جمع راكب مثل شارب وشرب وصاحب وصحب والعلو قرار تحته قرار والسفل قرار فوقه قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس والمنام موضع النوم كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدة كما ان الكثرة زيادة على عدة والفشل ضعف من فزع والفعل منه فشل يفشل والتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه مما هو عليه والسلامة النجاة من الآفة واسلم الإنسان دخل في السلامة وأسلمه اسلاما دفعه عن السلامة وسلمه اذا نجاه واستلم الحجر اذا طلب لمسه على السلامة والصدر الموضع الأجل يكون فيه القلب وصدر المجلس أجله لأنه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لأن الاجتماع قد يكون في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار وان لم يكن هناك اتصال ويقال للعسكرين اذا تصافا التقيا لوقوع العين على العين .

الإعراب

انما نصب اسفل لأن تقديره بمكان اسفل اوفي مكان اسفل فهو في موضع جر فهو غير منصرف ويجوز أن يكون منصوبا على الظرف على تقدير والركب مكانا اسفل منكم قال الزجاج ويجوز أن ترفع اسفل على انك تريد والركب اسفل منكم أي أشد تسفلا .

المعنى

ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين ببدر فقال سبحانه (إذ أنتم) ايها المسلمون (بالعدوة الدنيا) قال ابن عباس يريد والله قدير على نصركم وانتم أذلة إذ انتم نزول بشفير الوادي الاقرب إلى المدينة (وهم) يعني المشركين اصحاب النفير (بالعدوة القصوى) أي نزول بالشفير الأقصى من المدينة (والركب) يعني اباسفيان واصحابه وهم العير (اسفل منكم) أي في موضع اسفل منكم إلى ساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلاثة اميال فذكر الله سبحانه مقاربة الفئتين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي تسوخ فيه الارجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدة ونزولهم على الماء والعير اسفل منهم وفيها اموالهم ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم ان النصر من عنده سبحانه (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد) معناه لو تواعدتم ايها المسلمون للاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن اسحق وقيل معناه لاختلفتم بما يعرض من العوائق والقواطع فذكر الميعاد لتأكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

(ولكن ليقضي الله امراً كان مفعولا) معناه ولكن قدر الله تعالى التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضي الله امراً كان كائناً لا محالة وهو اعزاز الدين وأهله وإذلال الشرك واهله ومعنى ليقضي ليظهر قضاءه إذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى قوله مفعولا أي واجبا كونه لا محالة يقال للأمر الكائن لا محالة هذا امر مفروغ منه وقيل معناه ليتم امرا كان في علمه مفعولا لا محالة من إظهار الإسلام واعلاء كلمته على عبدة الأصنام (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) اي فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حروبه وغيرها ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة

عليه وقيل ان البينة هي ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي ﷺ فيما اتاهم به من عند الله وقيل معناه ليهلك من ضل بعد قيام الحجة عليه فتكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكا له ويحيا من اهتدى بعد قيام الحجة عليه فيكون بقاء من بقي على الايمان حياة له وقوله عن بينة يعني بعد بيان (وان الله لسميع) لأقوالهم (عليم) بما في ضمائرهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم (إذ يريكهم الله)العامل في إذ ما تقدم وتقديره أتاكم النصر إذ كنتم بشفير الوادي إذ يريكهم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره واذكر يا محمد إذ يريكهم الله أي يريك الله يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر (في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر) معناه يريكهم الله في نومك قليلا لتخبر المؤمنين بذلك فيجترئ المؤمنون على قتالهم وهذا قول اكثر المفسرين وهذا جائز لأن الرؤيا في النوم هي تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة ولا يكون إدراكا ولا علما بل كثير مما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء ضحكا قال الرماني ويجوز أن يري الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لأن الرؤيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع وان جامعه قطع من الانسان على المعنى وإنما ذلك على مثل ما يخيل السراب ماء من غير قطع على انه ماء ولا يجوز أن يلهمه اعتقادا للشيء على خلاف ما هو به لأن ذلك يكون جهلا لا يجوز أن يفعله الله سبحانه والرؤيا على اربعة اقسام رؤيا من الله عز وجل ولها تأويل ورؤيا من وساوس الشيطان ورؤيا من غلبة الاخلاط ورؤيا من الافكار وكلها اضغاث احلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي إلهام في المنام ورؤيا النبي ﷺ هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامك في موضع نومك أي في عينك التي تنام بها وليس من الرؤيا في النوم وهو قول البلخي وهذا بعيد لأنه خلاف الظاهر (ولو أراكهم كثيرا) على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتم ولتنازعتم في امر القتال فكان يقول بعضكم نقاتلهم وبعض آخر يخالفونهم ويقول بعضكم لبعض تقدم انت في القتال ويتأخر هو بنفسه (ولكن الله سلم) اي سلم المؤمنين عن الفشل والتنازع واختلاف الكلمة واضطراب الامر بلطفه لهم وإحسانه اليهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم (انه عليم بذات الصدور) اي بما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عدوكم لرغبتم عن القتال (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في اعينكم قليلا) الكاف والميم كناية عن المؤمنين والهاء والميم كناية عن المشركين اضاف الرؤيا في النوم إلى النبي ﷺ لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقا واضاف رؤية العين اليهم قلل الله المشركين في أعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيهم وجرأتهم عليهم وقلل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم ولا يكترثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون وذلك قوله تعالى ويقللكم في اعينهم وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال قلت لرجل بجنبي أتراهم سبعين رجلا فقال هم قريب من مائة وقد روي ان ابا جهل كان يقول خذوهم بالايدي أخذا ولا تقاتلوهم ومتى قيل كيف قللهم الله في اعينهم مع رؤيتهم لهم قالوا فالقول انه يجوز ان يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرؤية اما بغبار او ما شاكله فتخيلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤية عن الصحة لجميعهم وذلك لطف من الطاف الله تعالى (ليقضي الله امرا كان مفعولا) إنما كرره سبحانه مع ذكره في الآية الاولى لتكرر الفائدة لأن المعنى في الآية الاولى جمعكم من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا من الالتقاء على تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق في عين صاحبه ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالأول الوعد بالنصرة يوم بدر وبالثاني الاستمرار على النصر وقيل إنما كرر للتأكيد وإنما قال كان مفعولا والمعنى يكون مفعولا في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه انه كائن لا محالة (وإلى الله ترجع الأمور) مر معناه

قوله تعالى (٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ (٤٦) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٧) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ثلاث آيات

اللغة

الريح الدولة قال عبيد بن الابرص

كما حميناك يوم النعف عن شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد

اي من عزة ودولة والبطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع والرياء اظهار الجميل ليرى مع ابطان القبيح

الإعراب

فتفشلوا منصوب باضمار ان على معنى جواب النهي ولذلك عطف عليه وتذهب ويصدون في محل النصب بالعطف على قوله بطرا ورئاء الناس وهما مصدران وضعا موضع الحال والمعنى يبطرون ويراؤون ويصدون ولا يجوز أن يكون عطفاً على خرجوا إذ لا يعطف مستقبل على ماض

المعنى

ثم أمر سبحانه بالقتال والثبات في الحرب فقال (ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة) أي جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولا تنهزموا وإنما اطلق الفئة لان من المعلوم ان المؤمن لا يقاتل الفئة الكافرة او الباغية فحذف للايجاز (واذكروا الله كثيرا) مستعينين به على قتالهم ومتوقعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الأعداء في الدنيا والثواب في الآخرة ليدعوكم ذلك إلى الثبات في القتال (لعلكم تفلحون) اي لكي تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم وبالثواب عند الله يوم القيامة (وأطيعوا الله ورسوله) فيما يأمرانكم به (ولا تنازعوا فتفشلوا) أي لا تتنازعوا في لقاء العدو ولا تختلفوا فيما بينكم فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم (وتذهب ريحكم) معناه تذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الأخفش دولتكم والريح ها هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبّت ريح فلان إذا جرى امره على ما يريد وركدت ريحه إذا ادبر أمره وقيل إن المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتادة وابن زيد ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدّبور (واصبروا) على قتال الاعداء (إن الله مع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) أي بطرين يعني قريشاً خرجوا من مكة ليحموا عيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمور ويعزف عليهم القيان (ورئاء الناس) قيل انهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك إلى الناس كانوا مرائين وقيل انهم وردوا بدراً ليروا الناس انهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من الرعب ما فيه فسمى الله سبحانه ذلك رئاء (ويصدون عن سبيل الله) أي ويمنعون غيرهم عن دين الله (والله بما يعملون محيط) أي عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها ولا يخفى عليه منها شيء

القصة

قال ابن عباس لما رأى ابو سفيان انه احرز عيره ارسل إلى قريش ان ارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا وننحر الجزر

ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح

قوله تعالى (٤٨) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ آيـة

﴿ المعنى ﴾

(وإذ زين لهم الشيطان اعمالهم) دخلت الواو عطفا على حال المشركين في خروجهم بطرا ورئاء الناس يعني وفي وقت تزيين الشيطان اعمالهم وقيل انه يعني واذكروا إذ زين الشيطان للمشركين اعمالهم اي حسنها في نفوسهم وذلك أن ابليس حسن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) اي لا يغلبكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم (واني) اي مع ذلك (جار لكم) أي ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه واني عاقد لكم عقد الأمان من عدوكم من قوله ولا يجير ولا يجار عليه (فلما تراءت الفئتان) اي التقت الفرقتان (نكص على عقبيه) أي رجع القهقرى منهزماً وراءه (وقال اني بريء منكم إني أرى ما لا ترون) أي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الأمان والسلامة لأني ارى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين ما لا ترون وكان ابليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه (إني أخاف الله) أي أخاف عذاب الله على ايدي من أراهم (والله شديد العقاب) لا يطاق عقابه وقيل معناه إني أخاف أن يكون قد حل الوقت الذي انظرت اليه فإن الملائكة لا ينزلون إلا لقيام الساعة او للعقاب وقال قتادة كذب عدو الله ما به من مخافة ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى إذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وعلى هذا فيكون قوله ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون وأخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فقيل إن قريشا لما أجمعت المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ابن عبد مناف بن كنانة من الحرب وكاد ذلك ان يثنيهم فجاء إبليس في جند من الشيطان فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جشعم الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي مجير لكم من كنانة كما قال الشاعر

يا ظالمي أنى تروم ظلامتي والله من كل الحوادث جاري

فلما رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدي والكلبي وغيرهم وقيل انه لما التقوا كان ابليس في صف المشركين آخذا بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث ياسراقة اين اتخذ لنا على هذه الحالة فقال له اني أرى ما لا ترون فقال والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب فدفع في صدر الحرث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبي وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان ابليس لا يجوز أن يقدر على خلع صورته وليس صورة سراقة ولكن الله تعالى جعل ابليس في صورة سراقة علما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما فعل ذلك لأنه علم انه او لم يدع المشركين انسان الى قتال المسلمين فإنهم لا يخرجون عن ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم من بني كنانة فصوره بصورة سراقة حتى تم المراد في إعزاز الدين عن الجبائي وجماعة وقيل ان ابليس لم يتصور في صورة الانسان وإنما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره البلخي والاول هو

المشهور في التفاسير ورأيت في كلام الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رض) انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على أن يجتمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم ويتشبهوا بغيرهم من انواع الحيوان لأن اجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهوا ويفرقه ويغير صور الاجسام الرخوة ضروبا من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بأن ابليس تراءى لأهل دار الندوة في صورة شيخ من اهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقة وان جبرئيل(ع) ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي قال وغير محال ايضا ان يغير الله تعالى صورهم ويكثفها في بعض الأحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان

قوله تعالى (٤٩) وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٥١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وحده إذ تتوفى بتاءين والباقون يتوفى بالياء والتاء

الحجة

ومن قرأ بالتاء فلإسناد الفعل إلى الملائكة ومن قرأ بالياء فلأن التأنيث غير حقيقي

الإعراب

العامل في إذ يجوز ان يكون الابتداء والتقدير ذلك إذ يقول ويجوز ان يكون التقدير اذكر إذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرأيت منظرا عظيما او امرا عجيبا وحذف الجواب هنا اوجز وابلغ فإن ذكره يخص وجها واحدا ومع الحذف الاحتمال لوجوه كثيرة وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الرفع بكونه خبر ذلك والثاني النصب بأن يكون متصلا بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصبا بتقدير وبأن الله اوجرا على الخلاف فيه ويحتمل ان يكون محله رفعا بتقدير وذلك ان الله كما تقول ذلك هذا

المعنى

(إذ يقول المنافقون) هذا يتعلق بما قبله معناه وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم إذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان (والذين في قلوبهم مرض) وهم الشاكون في الإسلام مع اظهارهم كلمة الإيمان وقيل انهم فتية من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحارث بن زمعة وابو قيس بن الفاكهة بن المغيرة لما رأوا قلة المسلمين قالوا (غر هؤلاء دينهم) أي غر المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لأنفسهم حين اغتروا بقول رسولهم فبين الله تعالى انهم هم المغرورون بقوله (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) معناه ومن يسلم لأمر الله ويثق به ويرض بفعله وإن قل عددهم فإن الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يغلب فكذلك لا يغلب من توكل عليه وهو حكيم يضع الامور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة (ولو ترى) يا محمد (إذ يتوفى

الذين كفروا الملائكة) أي يقبضون ارواحهم عند الموت (يضربون وجوههم وأدبارهم) يريد استاههم ولكن الله سبحانه كنى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم والمراد يضربون اجسادهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتلى بدر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وا كثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم الملائكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لانه خلاف الظاهر وروى الحسن قال ان رجلا قال يارسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك فقال صلى الله عليه وآله وسلم ذاك ضرب الملائكة وروى مجاهد أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر فقال سبقك اليه الملائكة (وذوقوا عذاب الحريق) اي ويقول الملائكة للكفار استخفافا بهم ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة وقيل انه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلما ضربوا المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق (ذلك) أي ذلك العقاب لكم (بما قدمت ايديكم) أي بما قدمتم وفعلتم وإنما اضاف إلى اليد على التغليب لأن اكثر الأفعال تكون باليد والمراد بذلك بجنايتكم الكفر والمعاصي (وان الله ليس بظلام للعبيد) أي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه إنما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في انه يخلق الكفر ثم يعذب عليه وانه يجوز أن يعذب من غير ذنب وان يأخذ بذنب غيره لأن هذا غاية الظلم وقد بالغ عز اسمه في نفي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظلام للعبيد

قوله تعالى (٥٢) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٣) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٤) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ثلاث آيات

﴿ اللغة ﴾

الدأب العادة والطريقة يقال ما زال ذلك دأبه ودينه وديدنه قال الزجاج الدأب ادامة الفعل دأب يدأب في كذا إذا دام عليه وهو دائب بفعل كذا أي يجري فيه على عادة قال خداش بن زهير

ومازال ذاك الدأب حتى تخاذلت ... هوازن وارفضت سليم وعامر

والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان

الإعراب

كدأب . الكاف في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ كما يقول زيد خلفك فموضع خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ ولفظه نصب بالاستقرار وتقديره دأبهم كدأب آل فرعون . لم يك اصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافا لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لأن كان ويكون أم الأفعال ألا ترى أن كل فعل فيه معناها لأنك إذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب فلما قويت بأنها أم الأفعال وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها ذلك مثل لم يصن

— المعنى —

ثم بين سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال (كدأب آل فرعون) أي عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كعادة آل فرعون (والذين من قبلهم) في الكفر بالرسل وما انزل اليهم وقيل معناه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبته لآل فرعون وآل فرعون اتباعه والفرق بين آل

فرعون واصحاب فرعون أن الأصحاب مأخوذ من الصحبة وكثر في الموافقة في المذهب كما يقال اصحاب الشافعي وابي حنيفة يراد به الموافقة في المذهب ولا يقال آل الشافعي إلا لمن يرجعون اليه بالنسب الأوكد الاقرب (كفروا بآيات الله) كما كفر هؤلاء (فأخذهم الله) أي فعاقبهم الله (بذنوبهم إن الله قوي) أي قادر لا يقدر احد على منعه عن احلال العقاب بما يريد (شديد العقاب)لمن استحقه ولا يوصف الله سبحانه بأنه شديد لأن الشديد هو المتداخل على صعوبة تفككه وانما وصف العقاب بالشدة دون نفسه وشبه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك كتعجيله لاولئك بعذاب الاستئصال (ذلك) اي ذلك الأخذ والعقاب لهم (بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا مابأنفسهم) معناه بأن الله لم يكن يزيل نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا هم عن احوالهم المرضية الى احوال لا يجوز لهم ان يتغيروا اليها وهو ان يستبدلوا المعصية بالطاعة وكفران النعمة بشكرها وقد يسلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة لا على وجه العقاب امتحانا لمصلحة يعلمها في ذلك ولكن لا يسلبها بفعل النقمة على وجه العقاب الا عمن استحق العقاب قال السدي النعمة التي انعمها الله عليهم محمد ﷺ انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار (وأن الله سميع) لأقوالهم (عليم) بضمائرهم وبكل شيء (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) أي كعادتهم وطريقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء (كذبوا بآيات ربهم)أي بحججه وبيناته (فأهلكناهم بذنوبهم) أي استأصلناهم (واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) اي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لأنفسهم فلم نعاقب فريقا منهم الا عن استحقاق وانما كرر قوله كدأب آل فرعون لأنه اراد بالأول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل انزل في الأول تشبيه حالهم بحال اولئك في التكذيب وفي الثاني تشبيه حالهم بحالهم في الاستئصال وقيل ان الأول في اخذهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل إن آل فرعون كانوا على احوال مختلفة في المعصية فبين مشاركة هؤلاء اياهم في تلك الأحوال

قوله تعالى (٥٥) إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٦) ٱلَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ آيتان

الإعراب

فهم لا يؤمنون الفاء لعطف جملة على جملة وهو في الصلة كأنه قال كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون وإنما حسن عطف جملة اسمية على جملة فعلية لما فيها من التأدية إلى معنى الحال وذلك ان صبابتهم في الكفر واصرارهم عليه أدى إلى الحال في انهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لأن الغرض ان من شأنهم نقض العهد مرة بعد مرة في مستقبل اوقاتهم بعد العهد اليهم

المعنى

ثم ذم سبحانه الكفار فقال (إن شر الدواب عند الله) أي شر من يدب على وجه الارض في معلوم الله او في حكم الله (الذين كفروا) واستمروا على كفرهم (فهم لا يؤمنون) هذا اخبار عن قوم من المشركين انهم لا يؤمنون ابدا فخرج المخبر على وفق الخبر فماتوا مشركين ثم وصفهم الله فقال (الذين عاهدت منهم) أي من جملتهم والضمير العائد إلى الذين محذوف أي الذين عاهدت منهم أي من المشركين وقيل ان من مزيدة وإنما دخلت لأن معنى عاهدتم أخذت العهد منهم وكما قال ردف لكم لأن معنى ردف قرب فعومل بما يعامل به وقيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد أراد به يهود بني قريظة فإنهم كانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على أن لا يضروا به ولا يمالئوا عليه عدوا ثم مالأوا عليه الأحزاب يوم الخندق وأعانوهم عليه بالسلاح وعاهدوا مرة بعد أخرى فنقضوا

فانتقم الله منهم (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) اي كلما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به (وهم لايتقون) نقض العهد وقيل لا يتقون عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٥٧) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٨) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ آيتان

اللغة

الثقف الظفر والادراك بسرعة والتشريد التفريق على اضطراب والخيانة نقض العهد فيما اؤتمن عليه والنبذ القاء الخبر إلى من لا يعلمه والسواء العدل قال الراجز

فاضرب وجوه الغرر الأعداء حتى يجيبوك إلى السواء

أي إلى العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله إلى الجهات قال حسان

يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد

أي في وسطه وقيل عنى بقوله على سواء على استواء في العلم به

الإعراب

اما تثقفن واما تخافن دخلت نون التأكيد لما دخلت ما ولو لم يدخل ما لما حسن دخول النون لأن دخول ما كدخول القسم في انه علامة تؤذن انه من مواضع تأكيد المطلوب من التصديق لأن النون يدخل لتأكيد المطلوب فيما يدل على الطلب وهي في ستة مواضع النهي والأمر والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما

المعنى

ثم حكم سبحانه في هؤلاء الناقضين للعهود فقال لنبيه ﷺ (فإما تثقفنهم في الحرب) معناه فإما تصادفنهم في الحرب أي إن ظفرت بهم وادركتهم (فشرد بهم من خلفهم) أي فنكل بهم تنكيلا وأثر فيهم تأثيرا يشرد بهم من بعدهم ويطردهم ويمنعهم من نقض العهد بأن ينظروا فيهم فيعتبروا بهم فلا ينقضوا العهد ويتفرقوا في البلاد مخافة أن تعاملهم بمثل ما عاملتهم به وان يحل بهم ما حل بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد ابن جبير والسدي وقال الزجاج معناه افعل بهم فعلا من القتل تفرق بهم من خلفهم وقيل ان معنى شرد بهم سمع بهم بلغة قريش قال الشاعر

أطوف في النواطح كل يوم مخافة أن يشرد بي حكيم

(لعلهم يذكرون) أي لكي يتذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك (واما تخافن من قوم خيانة) معناه وإن خفت يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فيه لأن الخيانة إنما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم نقض العهد بعد (فانبذ اليهم على سواء) اي فالق اليهم ما بينك وبينهم من العهد وأعلمهم بأنك قد نقضت ما شرطت لهم لتكون انت وهم في العلم بالنقض على استواء ولا تبدأهم بالقتال من قبل ان تعلمهم بنقض العهد حتى لا ينسبوك إلى الغدر بهم فهذا معنى قوله على سواء وقيل معنى قوله على سواء على عدل ؏ اي إن كان بينك وبينهم عهد بغير مال فأعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم وإن كان العهد على مال فرد المال عليهم ثم انقض العهد (إن الله لا يحب الخائنين) اي بنقضهم معناه فلا تخنهم بأن تبدأهم بالقتال من غير اعلامهم بنقض العهد قال الواقدي هذه الآية نزلت في بني قينقاع وبهذه الآية سار النبي ﷺ اليهم

قوله تعالى (٥٩) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٦٠) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦١) وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وابو جعفر وحمزة وحفص ولا يحسبن بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر انهم لا يعجزون بالفتح والباقون انهم بالكسر وقرأ رويس عن يعقوب ترهبون بالتشديد والباقون ترهبون بالتخفيف وقرأ ابو بكر للسلم بكسر السين والباقون بفتح السين

الحجة

من قرأ لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الأول وسبقوا جملة في موضع نصب بكونها المفعول الثاني ومن قرأ يحسبن بالياء فلا يخلو من أن يكون جعل الذين كفروا الفاعل وهذا لا يجوز لأن يحسبن لا بد له من مفعولين ولكنه محمول على احد ثلاثة اشياء اما أن يكون فاعله النبي ﷺ وتقديره ولا يحسبن النبي ﷺ الذين كفروا سبقوا واما ان يكون تقديره على حذف إن كأنه قال لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فحذفت ان كما حذفتها في تأويل سيبويه في قوله أفغير الله تأمروني اعبد كأنه قال أفغير عبادته تأمروني قال الزجاج ويقوي هذا الوجه انها في حرف ابن مسعود انهم سبقوا وإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك حسبت أن اقوم وحسبت اقوم على حذف ان وإذا وجهته على هذا فقد سد أن سبقوا مسد المفعولين كما ان قوله الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا كذلك واما ان يكون اضمر المفعول الأول وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا وإياهم سبقوا ومن قرأ انهم لا يعجزون وبكسر الألف يكون على الاستئناف كما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع من الجملة التي قبلها التي هي أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ومن قرأ انهم لا يعجزون جعله متعلقا بالجملة الأولى وتقديره لا تحسبنهم سبقوا لأنهم لا يفوتون ومن قرأ ترهبون فلأن رهب يرهب رهبة يعدى تارة بالهمز وتارة بالتشديد فيقال رهبته وارهبته واما السلم والسّلم فلغتان ومعناهما الصلح

اللغة

السبق تقدم الشيء على طالب اللحوق به والاعجاز إيجاد ما يعجز عنه والعجز معنى عند ابي علي الجبائي وابي القسم البلخي وليس بمعنى عند ابي هاشم واصحابه بل هو عدم القدرة وذهب اليه المرتضى والاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره والاستطاعة معنى ينطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاع المنع والرباط شد ابسر من العقد يقال ربطه يربطه ربطا ورابطه مرابطة ورباطا والإرهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل ومنه جناح الطائر لأنه يميل به في احد شقيه ولا جناح عليه اي لا ميل إلى مأثم

الإعراب

لا يعجزون فتح النون هو القراءة ويجوز كسرها على معنى لا يعجزونني ويحذف النون الأولى لاجتماع النونين كما قال الشاعر

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات إذا فليني

يريد فلينني وآخرين من دونهم منصوب على تقدير وترهبون آخرين ويجوز أن يكون على تقدير وأعدوا لهم

ولآخرين فيكون مجروراً عطفا على الهاء والميم

— المعنى —

لما تقدم الأمر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعد النصر والأمر بالإعداد لقتالهم فقال (ولا تحسبن الذين كفروا) معناه ولا تحسبن يا محمد أعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله وأعجزوه وانهم قد فاتوك فإن الله سبحانه يظفرك بهم كما وعدك ويظهرك عليهم والسبق والفوت بمعنى واحد وقيل معناه لا تحسبن من افلت من هذه الحرب انه قد سبق إلى الحياة عن الزجاج والخطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره وقيل انه انما قاله تطييباً لقلبه في الفارين كما طيب قلبه في المقتولين والمأسورين وعلى القراءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون انفسهم سابقين او لا يحسبن الكافرون انهم سابقون (انهم لا يعجزون) أي لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى لا يبعثهم الله يوم القيامة عن الحسن وقيل معناه لا يعجزونك عن الجبائي (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) هذا امر منه سبحانه بأن يعدوا السلاح قبل لقاء العدو ومعناه وأعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما يتقوى به على القتال من الرجال وآلات الحرب وروى عقبة بن عامر عن النبي ﷺ ان القوة الرمي وعلى هذا فيكون معناه انه من القوة وقيل ان القوة اتفاق الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة (ومن رباط الخيل) أي ومن ربطها واقتنائها للغزو وهي من اقوى عدد الجهاد وروي عن النبي ﷺ انه قال ارتبطوا الخيل فإن ظهورها لكم عز واجوافها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط الإناث منها عن الحسن وعكرمة (ترهبون به) أي تخوفون بما تعدونه لهم (عدو الله وعدوكم) يعني مشركي مكة وكفار العرب (وآخرين من دونهم) اي وترهبون كفاراً آخرين دون هؤلاء واختلفوا في الآخرين فقيل انهم بنو قريظة عن مجاهد وقيل هم اهل فارس عن السدي وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون انهم اعداؤهم وهم اعداؤهم عن الحسن وابن زيد (لا تعلمونهم) معناه لا تعرفونهم لأنهم يصلون ويصومون ويقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين (الله يعلمهم) اي يعرفهم لأنه المطلع على الأسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال لأن الأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) أي في الجهاد وفي طاعة الله (يوف اليكم) أي يوفر عليكم ثوابه في الآخرة (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون شيئا منه (وإن جنحوا للسلم) أي مالوا إلى الصلح وترك الحرب (فاجنح لها) أي مل اليها واقبلها منهم وانما أنث لأن السلم بمعنى المسالمة (وتوكل على الله) أي فوض امرك إلى الله (إنه هو السميع العليم) لا تخفى عليه خافية وقيل ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية عن الحسن وقتادة وقيل انها ليست بمنسوخة لأنها في الموادعة لأهل الكتاب والأخرى لعباد الأوثان وهذا هو الصحيح لأن قوله اقتلوا المشركين والآية الأخرى نزلتا في سنة تسع في سورة براءة وصالح رسول الله ﷺ وفد نجران بعدها

قوله تعالى (٦٢) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٣) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آيتان بصري وآية في الباقين

— اللغة —

الخدع والخديعة إظهار المحبوب في الامر مع إبطان المكروه والتأييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والأيد القوة والتأليف الجمع على تشاكل واختلف في التأليف فاثبته بعضهم معنى ونفاه بعضهم والصحيح انه معنى يحل محلين ولا يحصل من فعلنا إلا متولداً

— المعنى —

ثم خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال (وإن يريدوا أن يخدعوك) معناه وان يرد الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك في الصلح بأن يقصدوا بالتماس الصلح دفع اصحابك والكف عن القتال حتى يقووا فيبدأوكم بالقتال من غير استعداد منكم (فإن حسبك الله) اي فإن الذي يتولى كفايتك الله (هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين) أي هو الذي قواك بالنصر من عنده وايدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على أعدائك (وألف بين قلوبهم) وأراد بالمؤمنين الأنصار وهم الأوس والخزرج عن ابي جعفر (ع) والسدي وأكثر المفسرين وأراد بتأليف القلوب ما كان بين الأوس والخزرج من المعاداة والقتال فإنه لم يكن حيان من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيين فألف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوادين متحابين ببركة نبينا ﷺ وقيل أراد كل متحابين في الله عن مجاهد (لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أي لم يمكنك جمع قلوبهم على الإلفة وإزالة ضغائن الجاهلية (ولكن الله ألف بينهم) بأن لطف لهم بحسن تدبيره وبالإسلام الذي هداهم اليه (إنه عزيز حكيم) لا يمتنع عليه شيء يريد فعله ولا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك أن النبي ﷺ بعث إلى قوم انفتهم شديدة بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل اباه واخاه وابنه فأعلم الله سبحانه أن هذا ما تولاه منهم إلا هو.

قوله تعالى (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٦) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ثلاث آيات

القراءة

إن يكن منكم مائة بالياء فيهما كوفي والأول بالتاء بصري ضعفاً بفتح الضاد كوفي الا الكسائي والباقون بضم الضاد ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر فإنه قرأ ضعفاء على وزن فعلاء

الحجة

من قرأ بالياء فإنه اراد به المذكر يدلك على ذلك قوله تعالى يغلبوا وقرأ ابو عمرو وان تكن منكم مائة صابرة بالتاء كما انث صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك انث الفعل ومن قرأ الجميع بالتاء يحمله على اللفظ فاللفظ موءنث والضعف والضعف لغتان كالفقر والفقر

اللغة

الإتباع موافقة الداعي فيما يدعو اليه من اجل دعائه والتحريض والحض والحث بمعنى وهو الترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه وضده التفتير والصبر حبس النفس عما تنازع اليه من ضد ما ينبغي أن يكون عليه وضده الجزع قال

فإن تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالأمر ما تريان

والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة نقيض الثقل والخفة والسهولة بمعنى والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لأنه ذهاب ضعف القوة

الاعراب

موضع من اتبعك رفع على معنى حسبك الله وتباعك من المؤمنين ويحتمل أن يكون نصباً بمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل لأن الكاف في حسبك في موضع جر بالإضافة لكنه مفعول به في المعنى فعطف على المعنى ومثله قوله تعالى انا منجوك وأهلك وقال الشاعر

اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند

الآن مبني مع الألف واللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز الا بكسر العين وزعم اهل اللغة انه كسر اوله كما كسر أول اثنين لأن عشرين من عشرة مثل اثنين من واحد ويدل عليه فتحهم ثلاثين كفتح ثلاثة وكسرهم تسعين ككسر تسعة

المعنى

ثم امر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله (يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي كافيك الله ويكفيك متبعوك من المؤمنين وقال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين أي يكفيك ويكفيهم قال الكلبي نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال (ياأيها النبي حرض المؤمنين) أي ابعث المؤمنين (على القتال) ورغبهم فيه بسائر اسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال وبيان ما وعد الله لهم من النصر والظفر واغتنام الأموال (ان يكن منكم عشرون صابرون) على القتال (يغلبوا مأتين) من العدو (وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا) واللفظ لفظ الخبر والمراد به الأمر ويدل على ذلك قوله فيما بعد الآن خفف الله عنكم لأن التخفيف لا يكون إلا بعد التكليف (بأنهم قوم لا يفقهون) معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار والخذلان للكفار بأنكم تفقهون امر الله تعالى وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك الى الصبر على القتال والجد فيه والكفار لا يفقهون امر الله تعالى ولا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب ولما علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال(آلآن خفف الله عنكم) الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد وثبات الواحد للعشرة (وعلم أن فيكم ضعفا) أراد به ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن فإن الذين اسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم اقوياء البدن بل كان فيهم القوي والضعيف ولكن كانوا أقوياء البصيرة واليقين ولما كثر المسلمين واختلط بهم من كان اضعف يقيناً وبصيرة نزل الآن خفف الله عنكم (فإن يكن منكم مائة صابرة) على القتال (يغلبوا مأتين) من العدو (وان يكن منكم الف) صابرة (يغلبوا الفين) منهم (بإذن الله) أي بعلم الله وقيل بأمره فأمر الله تعالى الواحد بأن يثبت لاثنين وتضمن النصرة له عليهما وإنما لم يفصل أولم يأمر من كان قوي البصيرة بأن يثبت لعشرة ومن كان ضعيف البصيرة بأن يثبت لاثنين لأنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ايحاشهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم (والله مع الصابرين) اي معونة الله مع الصابرين ومعناه والله معين الصابرين وقيل ان هذه الآية نزلت بعد الآية الأولى بمدة وان قرن بينهما في المصحف وهي ناسخة للأولى والمعتبر في الناسخ والمنسوخ بالنزول دون التلاوة وقال الحسن ان التغليظ كان على أهل بدر ثم جاءت الرخصة

قوله تعالى (٦٧) مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٨) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ

فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٩) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر ان تكون له بالتاء أسارى وقرأ اهل الكوفة ان تكون له بالتاء اسرى والباقون أن يكون له بالياء اسرى

— الحجة —

من قرأ بالتاء فلأن الجمع مؤنث ومن قرأ بالياء فلأنهم مذكرون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل قال ابو علي والأسرى اقيس من الأسارى لأن اسيرا فعيل بمعنى مفعول وذلك يجمع على فعلى نحو جريح وجرحى وقتيل وقتلى واستمر هذا الجمع في الباب وكثر حتى شبه به غيره مما ليس منه ولكن لموافقته مثل مرضى وهلكى وموتى وذلك ان هذه أمور ابتلوا بها وادخلوا فيها وهم لها كارهون فصار لذلك مشبها بفعيل في قول الخليل وإنما قالوا أسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه بأسرى وقال الأزهري الأسارى جمع الأسرى فهو جمع الجمع

اللغة

الأسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الآخذ له وفلان مأسور اي مشدود وكانوا يشدون الأسير بالقد والإثخان في الارض تغليظ الحال بكثرة القتل والثخن والغلظ والكثافة نظائر وقد اثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه واثخنه الجراح والعرض متاع الدنيا سماه عرضا لقلة لبثه والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من التوسعة في الفعل وإن اجتمعا في الحل والطيب المستلذ وشبه الحلال به فسمي طيباً واللذة نيل المشتهى

الإعراب

الفاء في فكلوا دخلت للجزاء المعنى لقد أحللت لكم الفداء فكلوا وحلالا طيباً منصوب على الحال

المعنى

(ما كان لنبي) اي ليس له ولا في عهد الله اليه (ان يكون له اسرى) من المشركين ليفديهم أو يمن عليهم (حتى يثخن في الأرض) اي حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من وراءهم وقال ابو مسلم الإثخان الغلبة على البلدان والتذليل لأهلها يعني حتى يتمكن في الأرض (تريدون عرض الدنيا) هذا خطاب لمن دون النبي ﷺ من المؤمنين الذين رغبوا في اخذ الفداء من الاسرى في أول وقته ورغبوا في الحرب للغنيمة قال الحسن وابن عباس يريد يوم بدر يقول اخذتم الفداء من الاسرى في اول وقعة كانت لكم من قبل أن تثخنوا في الأرض وعرض الدنيا مال الدنيا لانه بمعرض الزوال (والله يريد الآخرة) اي تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة (والله عزيز) لا يغلب انصاره فاعملوا ما يريده منكم لينصركم (حكيم) يجري افعاله على ما توجبه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه وارادة عباده ولو كان ما ارادوه على ما قاله المجبرة لم يصح هذا التفصيل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) قيل في معناه أقوال * أحدها * لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون وانه لم يبين لكم ان لا تأخذوا الفداء لعذبكم بأخذ الفداء عن ابن جريج * وثانيها * لولا ان الله حكم لكم باباحة الغنائم والفداء في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الاباحة عذاب عظيم فإن

الغنائم لم تحل لأحد قبلكم عن ابن عباس ❁ وثالثها ❁ لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن فآمنتم به واستوجبتم بالايمان به الغفران لمسكم العذاب عن الجبائي قال والمراد به الصغائر ❁ ورابعها ❁ ان الكتاب الذي سبق قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم والمعنى لولا ما كتب الله في القرآن او في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي بين اظهركم لعذبكم (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) هذه اباحة منه سبحانه للمؤمنين أن يأكلوا مما غنموه من اموال المشركين (واتقوا الله) باتقاء معاصيه (إن الله غفور رحيم)

❁ القصة ❁

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن ابي طالب عليه السلام سبعة وعشرين وكان الاسرى ايضا سبعين ولم يؤسر احد من اصحاب النبي ﷺ فجمعوا الاسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على اقدامهم وقتل من اصحاب رسول الله تسعة رجال منهم سعد بن خيثمة وكان من النقباء من الأوس وعن محمد بن اسحاق قال استشهد من المسلمين يوم بدر احد عشر رجلا اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقيل ثمانية وقتل من المشركين بضعة واربعون رجلا وعن ابن عباس قال لما امسى رسول الله ﷺ يوم بدر والناس محبوسون بالوثاق بات ساهرا اول الليلة فقال له اصحابه ما لك لا تنام فقال ﷺ سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ وروى عبيدة السلماني عن رسول الله ﷺ انه قال لأصحابه يوم بدر في الاسارى ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم وكانت الاسارى سبعين فقالوا بل نأخذ الفداء فنستمتع به ونتقوى به على عدونا وليستشهد منا بعدتهم قال عبيدة طلبوا الخيرتين كلتيهما فقتل منهم يوم احد سبعون وفي كتاب علي بن ابراهيم لما قتل رسول الله ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط خافت الانصار ان يقتل الاسارى فقالوا يارسول الله قتلنا سبعين وهم قومك واسرتك أتجذ اصلهم فخذ يا رسول الله منهم الفداء وقد كانوا اخذوا ما وجدوه من الغنائم في عسكر قريش فلما طلبوا اليه وسألوه نزلت الآية ما كان لنبي أن يكون له اسرى الآيات فاطلق لهم ذلك وكان اكثر الفداء اربعة آلاف درهم وأقله الف درهم فبعثت قريش بالفداء اولا فاولا فبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ من فداء زوجها ابي العاص بن الربيع وبعثت قلائد لها كانت خديجة جهزتها بها وكان ابو العاص ابن اخت خديجة فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلائد قال رحم الله خديجة هذه قلائد هي جهزتها بها فأطلقه رسول الله ﷺ بشرط ان يبعث اليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به فعاهده على ذلك ووفى له وروي أن النبي ﷺ كره اخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه فقال يارسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين والاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال وقال عمر بن الخطاب يارسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم ومكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وقال ابو بكر اهلك وقومك استأنهم واستبقهم وخذ منهم فدية فيكون لنا قوة على الكفار قال ابن زيد فقال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب من السماء ما نجا منكم غير عمر وسعد بن معاذ وقال ابو جعفر الباقر (ع) كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين اوقية والأوقية اربعون مثقالا إلا العباس فإن فداءه كان مائة اوقية وكان اخذ منه حين اسر عشرون اوقية ذهبا فقال النبي ﷺ ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك نوفلا وعقيلا فقال ليس

معي شيء فقال ابن الذهب الذي سلمته إلى ام الفضل وقلت إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقثم فقال من اخبرك بهذا قال الله تعالى فقال اشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا احد إلا الله تعالى

قوله تعالى (٧٠) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧١) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابو عمرو من الاساري والباقون من الاسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما قبل

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال (يا أيها النبي قل لمن في ايديكم) من الاسارى إنما ذكر الايدي لأن من كان في وثاقهم فهو بمنزلة من يكون في ايديهم لاستيلائهم عليه (من الاسرى) يعني اسراء بدر الذين اخذ منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) اي اسلاما واخلاصا او رغبة في الإيمان وصحة نية (يؤتكم خيرا) اي يعطكم خيرا (مما اخذ منكم) من الفداء اما في الدنيا والآخرة واما في الآخرة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور) للذنوب (رحيم) روي عن العباس بن عبد المطلب انه قال نزلت هذه الآية في وفي اصحابي كان معي عشرون اوقية ذهبا فاخذت مني فأعطاني الله مكانها عشرين عبدا كل منهم يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال أهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد توضأ لصلاة الظهر فما صلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثي فأخذ فكان العباس يقول هذا خير مما اخذ منا وأرجو المغفرة (وإن يريدوا خيانتك) معناه وان يرد الذين اطلقتهم من الاسارى خيانتك بأن يعدوا حربا لك او ينصروا عدوا عليك (فقد خانوا الله من قبل) بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بأن اشركوا بالله واضافوا اليه ما لا يليق به (فأمكن منهم) اي فأمكنك منهم يوم بدر بأن غلبوا واسروا وسيمكنك منهم ثانيا ان خانوك (والله عليم حكيم) معناه عليم بما يقولونه وبما في نفوسهم وبجميع الأشياء حكيم فيما يفعله

قوله تعالى (٧٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب والباقون ولا يتهم بفتح الواو

الحجة

قال الزجاج من قرأ بالفتح فلأن الولاية من النصرة والنسب بفتح الواو والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة لفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو ولأن في تولي بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصناعة فمكسور نحو الخياطة والصياغة وقال ابو عبيدة وابو الحسن من ولايتهم مصدر المولى وأما في السلطان فالولاية بكسر الواو وهي في الأخرى لغة

اللغة

الهجرة والمهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد وأصله من الهجر ضد الوصل والجهاد تحمل المشاق في قتال اعداء الدين من جهده الأمر جهدا والايواء ضم الانسان غيره اليه بإنزاله عنده وتقريبه له يقال آواه يؤويه ايواء واوى يأوي اويا واويت معناه رجعت الى المأوى والولاية عقد النصرة للموافقة في الديانة

النزول

قيل نزلت الآية في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى وألوا الارحام بعضهم اولى ببعض فنسخت هذه الآية وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين ولا يتوارث أهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي

المعنى

ثم ختم الله سبحانه السورة بإيجاب موالاة المؤمنين وقطع موالاة الكافرين فقال (ان الذين آمنوا بالله ورسوله) وبما يجب الايمان به (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا) وقاتلوا العدو (بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) اي في طاعة الله واعزاز دينه (والذين آووا) الرسول والمهاجرين بالمدينة اي جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعني الانصار (ونصروا) اي ونصروهم بعد الايواء على اعدائهم وبذلوا المهج في نصرتهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) اي هؤلاء بعضهم اولى ببعض في النصرة وان لم يكن بينهم قرابة من أقربائهم من الكفار وقيل في التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل في التناصر والتعاون والموالاة في الدين عن الاصم وقيل في نفوذ أمان بعضهم على بعض فإن واحدا من المسلمين لو أمن إنسانا نفذ أمانه على سائر المسلمين (والذين آمنوا ولم يهاجروا) الى المدينة (مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) اي ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث فإن الميراث كان منقطعا في ذلك الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين وروي عن ابي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى وقيل معناه ما لكم من موالاتهم ونصرتهم من شيء اي ليس عليكم نصرتهم (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) معناه وإن طلبوا يعني المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار وإعانتهم في الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في غير الدين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) معناه الا أن يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم أمان وعهد يجب الوفاء به ولا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد (والله بما تعملون بصير) اي بأعمالهم عليم لا يخفى عليه شيء منها

قوله تعالى (٧٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ

وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٥) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ثلاث آيات

اللغة

الفتنة أصلها الامتحان ثم تستعمل في اشياء منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب نحو قوله تعالى جعل فتنة الناس كعذاب الله وقوله ذوقوا فتنتكم يعني عذابكم بالتحريق بالنار ومنها المعذرة في نحو قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم اي معذرتهم ومنها القتل في نحو قوله ان خفتم ان يفتنكم اي يقتلكم وقوله على خوف من فرعون وملئه ان يفتنهم ومنها الهرج والابتلاء على اثر البلاء في نحو قوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم وهذا التفصيل مأخوذ من قول الصادق (ع) . والكريم فاعل الكرم والكرم الجود العظيم والشرف قال

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

والرزق الكريم العظيم الواسع

الإعراب

قوله فعليكم النصر يجوز في العربية فعليكم النصر على قولك عليك زيدا ولم يقرأ بها

المعنى

ثم ذكر سبحانه وتعالى حكم الكافرين فقال (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) اي بعضهم انصار بعض عن ابن اسحاق وقتادة وقيل معناه بعضهم اولى ببعض في الميراث عن ابن عباس وابي مالك (إلا تفعلوه) وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به في الآية الأولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره إلا تفعلوا ما امرتم به من التناصر والتعاون والتبرء من الكفار (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل إلى الضلال وبالفساد الكبير ضعف الإيمان وقيل ان الفتنة هي الكفر لأن المسلمين إذا والوهم تجرءوا على المسلمين ودعوهم إلى الكفر وهذا يوجب التبرء منهم والفساد الكبير سفك الدماء عن الحسن وقيل معناه وان لم تعلقوا التوارث بالهجرة ولم تقطعوه بعدمها ادى إلى فتنة في الأرض باختلاف الكلمة وفساد عظيم بتقوية الخارج عن الجماعة عن ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين والانصار ومدحهم والثناء عليهم فقال (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) اي صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم واوطانهم يعني من مكة إلى المدينة وجاهدوا مع ذلك في اعلاء دين الله (والذين آووا ونصروا) اي ضموهم اليهم ونصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم (اولئك هم المؤمنون حقا) اي اولئك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من أقام بدار الشرك وقيل معناه ان الله حقق ايمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا واختلفوا في ان الهجرة هل تصح في هذا الزمان ام لا فقيل لا تصح لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام إلا ان يكون نادرا لا يعتد به وقيل إن هجرة الأعراب إلى الامصار باقية إلى يوم القيامة

عن الحسن والأقوى ان يكون حكم الهجرة باقيا لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر إلى دار الإسلام كان مهاجرا وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر إلى اعرابية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لا تنكحوا اهل مكة فإنهم اعراب وإنما سمي الجهاد سبيل الله لأنه الطريق إلى ثواب الله في دار كرامته (لهم مغفرة ورزق كريم) لا يشوبه ما ينغصه وقيل الرزق الكريم هاهنا طعام الجنة لانه لا يستحيل في اجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحا (والذين آمنوا من بعد) اي من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل معناه آمنوا من بعد إيمانكم (وهاجروا) بعد هجرتكم (وجاهدوا معكم) ايها المؤمنون (فاولئك منكم) أي مؤمنون مثلكم ومن جملتكم وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم وموارثتهم ونصرتهم وان تأخر ايمانهم وهجرتهم (وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) معناه وذوو الارحام والقرابة بعضهم احق بميراث بعضهم من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة المفسرين وقالوا صار ذلك نسخا لما قبله من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الاسباب فقد كانوا يتوارثون بالمؤاخاة فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان آخى بين المهاجرين والانصار (في كتاب الله) اي في حكم الله عن الزجاج وقيل في اللوح المحفوظ كما في قوله ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها وقيل في القرآن وفي قوله وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض دلالة على ان من كان اقرب إلى الميت في النسب كان اولى بالميراث سواء كان ذا سهم او غير ذي سهم او عصبة أو غير ذي عصبة ومن وافقنا في توريث ذوي الأرحام يستثني اصحاب الفرائض والعصبة من الآية وذلك خلاف الظاهر (إن الله بكل شيء عليم) ظاهر المعنى واكثر هذه السورة في قصة بدر

تم المجلد الرابع من التفسير وهو الموسوم بكتاب مجمع البيان لعلوم القرآن



فهرس المجلد الثاني من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الثالث والرابع حسب تجزئة المصنف
وفيه تفسير سور النساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال

صفحة

سورة النساء

﴿ سورة المائدة ﴾

الجزء الرابع

« سورة الأنعام »

سورة الانفال

تصحيح خطأ في ج ٣ ص ٦٤ — ٦٥ : الآية ٥٧ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول ثم ذكرت الآية اتي بعدها برقم ٦٠ بدلاً من ٥٨ وسرى الخطأ لآخر السورة فليصحح

وله الحمد في البدء والختام



مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة اجزاء

يكون مجموعه مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

ـ﴿ المجلد الثالث ﴾ـ

وهو مجلد من خمسة مجلدات

حسب تجزئة المصنف

صدر الجزء الخامس في اواخر شهر صفر والسادس غرة رجب سنة ١٣٥٥

قيمة الاشتراك ليرة عثمانية ما عدا اجرة البريد

١٣٥٥ هـ — مطبعة العرفان * صيدا (سوريا) — ١٩٣٦م

[الجزء الخامس]

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التوبة

وهي مدنية كلها وقال بعضهم غير آيتين لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وفتحت مكة سنة ثمان وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد وهي آخر ما نزلت على النبي ﷺ بالمدينة

﴿ عدد آيها ﴾

هي مائة وتسع وعشرون آية كوفي وثلاثون في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات بريء من المشركين بصري عذابا أليما شامي وعاد وثمود حجازي

﴿ اسماؤها عشرة ﴾

سورة براءة سميت بذلك لأنها مفتتحة بها ونزلت باظهار البراءة من الكفار — التوبة — سميت بذلك لكثرة ما فيها من التوبة كقوله ويتوب الله على من يشاء فإن يتوبوا يك خيراً لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا — الفاضحة — عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال تلك الفاضحة مازال ينزل حتى خشينا ان لا يبقى منهم أحد إلا ذكر وسميت بذلك لأنها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم - المبعثرة — عن ابن عباس ايضا سماها بذلك لأنها تبعثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها — المقشقشة — عن ابن عباس سماها بذلك لأنها تبرئ من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميتا بذلك لأنها تبرئان من الشرك والنفاق يقال قشقشه اذا برأه وتقشقش المريض من علته إذا أفاق وبرئ منها — البحوث — عن ابي أيوب الانصاري سماها بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم — المدمدمة — عن سفيان بن عيينة اي المهلكة ومنه قوله فدمدم عليهم ربهم ﴿ الحافرة ﴾ عن الحسن لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه — المثيرة — عن قتادة لأنها أثارت مخازيهم ومقابحهم — سورة العذاب — عن حذيفة بن اليمان لأنها نزلت بعذاب الكفار وروى عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة قال يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب فهذه عشرة اسماء

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له الخبر بتمامه وقد مضى ذكره مع ما في معناه في أول الانفال وقد روي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الانفال والبراءة واحد وروي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى الثعلبي باسناده عن عائشة عن رسول الله ﷺ انه قال ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا خلا سورة البراءة وقل هو الله احد فإنهما نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

كل يقول يا محمد استوص بذسبة الله خيرا — علة ترك التسمية — في أولها قراءة و كتابة للعلماء والمفسرين فيه أقوال — احدها — انها ضمت الى الانفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة اذ الاولى في ذكر العهود والثانية في رفع العهود عن ابي بن كعب — وثانيها — انه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأن بسم الله للأمان والرحمة ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف عن علي عليه السلام وسفيان بن عيينة واختاره ابو العباس المبرد — وثالثها — ما روي عن ابن عباس انه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على ان عمدتم الى براءة وهي من المئين والى الانفال وهي من المثاني فجعلتموها في السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم قال كان النبي ﷺ تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له ضع هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا وكانت الانفال من أول ما نزل من القرآن بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا انها منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين انها منها فوضعناها في السبع الطول ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكانتا تدعيان القرينتين

— تفسيرها —

لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بإيجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بأنه تعالى ورسوله بريئان منهم كما أمر المسلمين بالبراءة منهم فقال

قوله تعالى (١) بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٢) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ (آيتان)

✻ اللغة ✻

معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برأ يبرأ براءة وتبرء تبرؤ وابرأه ابراء والسيح السير على مهل يقال ساح يسيح سيحا وسياحة وسيوحا وسيحانا والاعجاز ايجاد العجز والعجز ضد القدرة عند من اثبته معنى والإخزاء الإذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح

✻ الاعراب ✻

براءة ترتفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه الآيات براءة ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره في الظرف وهو قوله الى الذين وجاز ان يكون المبتدأ نكرة لأنها موصوفة والاول اجود لأنه يدل على حضور المدرك كما تقول لمن تراه حاضرا حسن والله اي هذا حسن

— المعنى —

(براءة من الله) اي هذه براءة من الله (ورسوله) اي انقطاع للعصمة ورفع للأمان وخروج من العهود (الى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب للنبي ﷺ وللمسلمين والمعنى تبرؤا ممن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فإن الله ورسوله بريئان منهم قال الزجاج معناه قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء لهم بها اذ نكثوا واذا قيل كيف يجوز ان ينقض النبي ﷺ العهد فالقول فيه انه يجوز ان ينقض ذلك على احد ثلاثة اوجه إما ان يكون العهد مشروطا بأن يبقى الى ان يرفعه الله تعالى بوحي وإما ان

يكون قد ظهر من المشركين خيانة ونقض فأمر الله سبحانه بأن ينبذ اليهم عهدهم وإما ان يكون مؤجلا الى مدة فتنقضي المدة وينتقض العهد وقد وردت الرواية بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرط عليهم ماذكرناه وروي ايضا ان المشركين كانوا قد نقضوا العهد أوهموا بذلك فأمره الله سبحانه ان ينقض عهودهم ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال (فسيحوا في الأرض) اي سيروا في الارض على وجه المهل وتصرفوا في حوائجكم آمنين من السيف اربعة اشهر فإذا انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت العصمة عن دمائكم وأموالكم (واعلموا انكم غير معجزي الله) اي غير فائتين عن الله كما يفوت ما يعجز عنه لأنكم حيث كنتم في سلطان الله وملكه (وان الله مخزي الكافرين) اي مذلهم ومهينهم واختلف في هذه الاشهر الاربعة فقيل كان ابتداؤها يوم النحر الى العاشر من شهر ربيع الآخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل انما ابتداء اجلهم الأشهر الاربعة من اول شوال الى آخر المحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال عن ابن عباس والزهري قال الفراء كانت المدة الى آخر المحرم لانه كان فيهم من كانت مدته خمسين ليلة وهو من لم يكن له عهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل الله له ذلك وقيل ان من كان له عهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكثر من اربعة اشهر حط الى الاربعة الأشهر ومن كان له عهد أقل منها رفع اليها عن الحسن وابن اسحاق قيل كان ابتداء الاشهر الاربعة يوم النحر لعشرين من ذي القعدة الى عشرين من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية على ما سيأتي بيانه إن شاء تعالى عن الجبائي

القصة

اجمع المفسرون ونقلة الاخبار انه لما نزلت براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أبي بكر ثم أخذها منه ودفعها الى علي بن ابي طالب (ع) واختلفوا في تفصيل ذلك فقيل انه بعثه وأمره ان يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة وان ينبذ الى كل ذي عهد عهده ثم بعث عليا خلفه ليأخذها ويقرأها على الناس فخرج على ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العضباء حتى ادرك ابابكر بذي الحليفة فأخذها منه وقيل ان ابا بكر رجع فقال هل نزل في شيء فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا الاخيراً ولكن لا يؤدي عني الا انا او رجل مني وقيل انه قرأ علي براءة على الناس وكان ابو بكر أميرا على الموسم عن الحسن وقتادة وقيل انه صلى الله عليه وآله وسلم أخذها من ابي بكر قبل الخروج ودفعها الى علي (ع) وقال لا يبلغ عني الا انا أو رجل مني عن عروة بن الزبير وابي سعيد الخدري وابي هريرة وروى اصحابنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولاه ايضا الموسم وانه حين أخذ البراءة من ابي بكر رجع أبو بكر وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن سماك بن حرب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث ببراءة مع ابي بكر الى اهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه فرده وقال لا يذهب بهذا الا رجل من أهل بيتي فبعث عليا (ع) وروى الشعبي عن محرز بن ابي هريرة عن أبي هريرة قال كنت انادي مع علي حين أذن المشركين فكان اذا صحل صوته فيما ينادي دعوت مكانه قال فقلت يا ابت اي شيء كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل البيت إلا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدة فإن اجله إلى اربعة اشهر فإذا انقضت الاربعة الاشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله وروى عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال خطب علي (ع) الناس واخترط سيفه فقال لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك

ومن كانت له مدة فهو إلى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر وكان خطب يوم النحر وكانت عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وقال يوم النحر يوم الحج الأكبر وذكر ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نقيع قال سألنا عليا (ع) بأي شيء بعثت في ذي الحجة قال بعثت بأربعة لا يدخل الكعبة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد فعهده إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله اربعة اشهر وروي انه عليه السلام قام عند جمرة العقبة وقال يا أيها الناس اني رسول الله اليكم بأن لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده الى اربعة اشهر ومن لا عهد له فله مدة بقية الاشهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة وقيل قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة وروي انه عليه السلام لما نادى فيهم ان الله بريء من المشركين اي من كل مشرك قال المشركون نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع وقفل الى المدينة ومكث بقية ذي الحجة الحرام والمحرم وصفر وليالي من شهر ربيع الاول حتى لحق بالله عز وجل

قوله تعالى (٣) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٤) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ آيتان

القراءة

قرأ يعقوب برواية روح وزيد ورسوله بالنصب وهي قراءة الحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمرو وقرأ سائر القراء ورسوله بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة وعطا لم ينقضوكم بالضاد المعجمة

الحجة

من قرأ ورسوله بالرفع فإنه على الابتداء وخبره محذوف ويدل عليه ما تقدمه وتقديره ورسوله ايضا بريء منهم ويجوز ان يكون معطوفا على المضمر في بريء وحسن العطف عليه وإن كان غير مؤكد لأن قوله من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سيبويه وجها ثالثا وهو أن يكون معطوفا على موضع ان وهذا وهم منه لأن ان المفتوحة مع ما بعدها في تأويل المصدر فقد تغيرت عن حكم المبتدأ وصارت في حكم ليت ولعل وكان في احداثها معنى يفارق المبتدأ فكما لا يجوز العطف على مواضعهن فكذا لا يجوز العطف على موضع ان وإنما يجوز العطف على موضع إن المكسورة كما قال الشاعر

فمن يك امسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب

ولعل سيبويه توهم انها مكسورة فحمل على موضعها فقد قرأ في الشواذ إن الله بريء بالكسر فلعله تأول على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوفا ايضا ومن قرأ لم ينقضوكم فمعناه لم ينقضوا امور كم وعهودكم

اللغة

الأذان الأعلام يقال اذنته بكذا فأذن اي اعلمته فعلم وقيل إن اصله من النداء الذي يسمع بالاذن ومعناه اوقعه في اذنه وتأذن بمعنى آذن كما يقال تيقن وايقن والمدة والزمان والحين نظائر وأصله من مددت الشيء مداً فكأنه زمان طويل الفسحة والمدة عند المتكلمين اسم للمعدود من حركات الفلك وهو محدث

الإعراب

وأذان عطف على براءة عن الزجاج وقيل ان تقديره عليكم أذان لأن فيه معنى الأمر فيكون مبتدأ وخبره محذوف عن علي بن عيسى ويجوز ان يكون مبتدأ والخبر قوله أن الله بريء على حذف الباء كأنه قال بأن الله وعلى الوجهين الأولين يكون موضع ان نصباً على انه مفعول له وقوله الذين عاهدتم في موضع نصب على الاستثناء وبشر معطوف على معنى الأذان اي اذن وبشر عن ابي مسلم

المعنى

ثم بين سبحانه انه يجب اعلام المشركين ببراءة منهم لئلا ينسبوا المسلمين إلى الغدر فقال (وأذان من الله ورسوله إلى الناس) معناه واعلام وفيه معنى الامر أي اذنوا الناس يعني اهل العهد وقيل المراد بالناس المؤمن والمشرك لأن الكل داخلون في هذا الاعلام وقوله إلى الناس اي للناس يقال هذا اعلام لك ولك (يوم الحج الأكبر) فيه ثلاثة أقوال (احدها) انه يوم عرفة عن عمر وسعيد بن المسيب وعطا وطاووس ومجاهد وروي ذلك عن علي (ع) ورواه المسور بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عطا الحج الأكبر الذي فيه الوقوف والحج الأصغر الذي ليس فيه وقوف وهو العمرة (وثانيها) انه يوم النحر عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ورواه ابن ابي اوفي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الحسن وسمي الحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك (وثالثها) انه جميع ايام الحج عن مجاهد ايضا وسفيان فمعناه ايام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت اياما (إن الله بريء من المشركين) أي من عهد المشركين فحذف المضاف (ورسوله) معناه ورسوله ايضا بريء منه وقيل ان البراءة الاولى لنقض العهد والبراءة الثانية لقطع الموالاة والاحسان فليس بتكرار (فإن تبتم فهو خير لكم) معناه فإن تبتم في هذه المدة ايها المشركون ورجعتم عن الشرك إلى توحيد الله (فهو خير لكم) من الإقامة على الشرك لأنكم تنجون به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة (وإن توليتم) عن الإيمان وصبرتم على الكفر (فاعلموا أنكم غير معجزي الله) اي لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بأنفسكم من ان يحل بكم عذابه في الدنيا وفي هذا اعلام بأن الامهال ليس بعجز وإنما هو لاظهار الحجة والمصلحة ثم اوعدهم بعذاب الآخرة فقال (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) اي اخبرهم مكان البشارة بعذاب موجع وهو عذاب النار في الآخرة (إلا الذين عاهدتم من المشركين) قال الفراء استثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوما من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من أجلهم تسعة اشهر امر باتمامها لهم لأنهم لم يظاهروا على المؤمنين ولم ينقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن عباس عنى به كل من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد قبل براءة وينبغي ان يكون ابن عباس اراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة ولم يتعرض له بعداوة ولا ظاهر عليه عدوا

لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح اهل هجر وأهل البحرين وايلة ودومة الجندل وله عهود بالصلح والجزية ولم ينبذ اليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد وكانوا أهل ذمة إلى ان مضى لسبيله صلى الله عليه وآله وسلم ووفى لهم بذلك من بعده (ثم لم ينقصوكم شيئا) معناه لم ينقصوكم من شروط العهد شيئا وقيل معناه لم يضروكم شيئا (ولم يظاهروا عليكم احدا) اي لم يعاونوا عليكم ايها المؤمنون (احدا) من اعدائكم (فأتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم) اي الى انقضاء مدتهم التي وقعت المعاهدة بينكم اليها (ان الله يحب المتقين) لنقض العهود

قوله تعالى (٥) فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (آيتان)

اللغة

الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه واصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحصر والحبس والأسر نظائر والمرصد الطريق ومثله المرقب والمربأ ورصده يرصده رصدا

الإعراب

قال ابو الحسن الأخفش قوله كل مرصد المعنى على كل مرصد فحذفت على وانشد

تغالي اللحم للأضياف نيا ... ونرخصه إذا نضج القدور

المعنى نغالي باللحم فحذفت الباء قال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا وذهبت كل طريق قال ابو علي لا يحتاج في هذا إلى تقدير على إذا كان المرصد اسما للمكان كما انك إذا قلت ذهبت مذهبا ودخلت مدخلا إذا جعلت المذهب والمدخل اسمين للمكان لم يحتج إلى على ولا إلى تقدير حرف جر إلا ان ابا الحسن ذهب إلى ان المرصد اسم للطريق وإذا كان اسما للطريق كان مخصوصا وإذا كان مخصوصا وجب ان لا يصل الفعل الذي لا يتعدى اليه إلا بحرف جر نحو قعدت على الطريق إلا ان يجيء في ذلك اتساع نحو ما حكاه سيبويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط ابو اسحاق الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا في ان جعل الطريق ظرفا كالمذهب وليس الطريق بظرف لأنه مكان مخصوص وقد نص سيبويه على اختصاصه الا ترى انه حمل قول ساعدة

لدن بهز الكف يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريق الثعلب

على انه قد حذف منه الحرف اتساعا كما حذف من ذهبت الشام واذا اثبت ذلك فالمرصد مثله ايضا في الاختصاص وان لا يكون ظرفا اذا كان اسما للطريق وقوله احد فإعرابه أنه مرفوع بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره المعنى وان استجارك احد قال الزجاج ومن زعم انه يرفع احداً بالابتداء فقد اخطأ لأن ان الجزاء

لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو أظهرت المستقبل لقلت ان احد يقم اكرمه ولا يجوز ان أحد يقم زيد يقم لا يجوز ان يرفع زيد بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ويجزم وانما جاز في ان لأن ان يلزمها الفعل وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ولا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ لأنك تقول هاهنا ان تأتني فزيد يقوم فالموضع موضع ابتداء قال ابو علي اعلم ان جواب الشرط وان كان بغير الفعل فالاصل فيه الفعل والفاء واذا واقعان موقع الفعل بدلالة ان قوله ويذرهم على قراءة من قرأ بالجزم فمحمول على الموضع من قوله فلا هادي له وأما قول ابي اسحاق لا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ ولعمري انه لا يجوز ان يضمر الفعل فيرفع الاسم الذي يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر في نحو قولك ان تأتني فزيد يقوم لأن الجزم لا يقع بعد المبتدأ ولكن لا يمتنع ان يقع الجزم بعد الفاعل في الجزاء كما يقع في الشرط لأن الجزاء موضع فعل كما ان الشرط موضع فعل فالمسألة التي منع ابو اسحاق اجازتها جائزة لا اشكال في جوازها وهي قوله ان يقم احد زيد يقم وقد نص سيبويه على اجازة ذلك قال الزجاج وانما يجوز الفصل في باب ان لأن أن أم الجزاء ولا يزول عنه الى غيره فأما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا في الشعر قال

فتى واغل يَنُبْهُمْ يُحَيُّوه   وتعطف عليه كأس الساقي

— المعنى —

ثم بين سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدة فقال (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) قيل هي الأشهر الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد عن جماعة وقيل هي الأشهر الاربعة التي حرم القتال فيها وجعل الله للمشركين ان يسيحوا في الأرض آمنين على ما ذكرناه من اختلاف المفسرين فيها وعلى هذا فمنهم من قال معناه فإذا انسلخ الأشهر بانسلاخ المحرم لان المشركين من كان منهم لهم عهد امهلوا أربعة اشهر من حين نزلت براءة ونزلت في شوال ومن لا عهد لهم فأجلهم من يوم نزول النداء وهو يوم عرفة او يوم النحر إلى تمام الأشهر الحرم وهي بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوما فإذا انقضت هذه الخمسون يوما انقضى الأجلان وحل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص او عام ومنهم من قال معناه إذا انسلخ الأشهر الاربعة التي هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر إذ حرمنا فيها دماء المشركين وجعلنا لهم ان يسيحوا فيها آمنين (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) اي فضعوا السيف فيهم حيث كانوا في الأشهر الحرم وغيرها في الحل او في الحرم وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والاعراض عنهم (وخذوهم) قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم وقيل ليس فيه تقديم وتأخير وتقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم او خذوهم واحصروهم على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين وقوله (واحصروهم) معناه واحبسوهم واسترقوهم او فادوهم بمال وقيل وامنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) اي بكل طريق وبكل مكان تظنون انهم يمرون فيه وضيقوا المسالك عليهم لتمكنوا من اخذهم وقوله لهم معناه لقتلهم وأسرهم (فإن تابوا) اي رجعوا من الكفر وانقادوا للشرع (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلوا اقامة الصلاة وايتاء الزكاة لأن عصمة الدم لاتقف على اقامة الصلاة واداء الزكاة فثبت أن المراد به القبول (فخلوا سبيلهم) اي دعوهم يتصرفون في بلاد الإسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه فخلوا سبيلهم الى البيت اي دعوهم يحجوا معكم (ان الله غفور رحيم) واستدلوا بهذه الآية على ان من ترك الصلاة متعمدا يجب قتله لأن الله تعالى اوجب الامتناع من قتل المشركين بشرط ان يتوبوا ويقيموا الصلاة فإذا لم يقيموها وجب قتلهم (وان احد من المشركين استجارك

فأجره حتى يسمع كلام الله) معناه وان طلب احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم منك الأمان من القتل بعد الأشهر الاربعة ليسمع دعوتك واحتجاجك عليه بالقرآن فأمنه وبين له مــا يريد وامهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره وإنما خص كلام الله لأن معظم الأدلة فيه(ثم ابلغه مأمنه) معناه فإن دخل في الإسلام نال خير الدارين وان لم يدخل في الإسلام فلا تقتله فتكون قد غدرت به ولكن اوصله الى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وماله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) اي ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يعلمون الإيمان والدلائل فآمنهم حتى يسمعوا ويتدبروا ويعلموا أن في هذا دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية وفي الآية دلالة على ان المتلو المسموع كلام الله لأن الشرع والعرف جعلا الحكاية كعين المحكي يقال هذا كلام سيبويه وشعر امرئ القيس ومن ظن ان الحكاية تفارق المحكي لاجل هذا الظاهر فقد غلط لأن المراد ما ذكرناه

قوله تعالى (٧) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٨) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ آيتان

القراءة

في الشواذ قراءة عكرمة ايلا بياء بعد الهمزة

الحجة

يمكن أن يكون أراد إلا كقراءة الجماعة إلا انه ابدل اللام الاولى ياء لثقل الادغام ولكسر الهمزة كما قالوا دينار وقيراط والأصل دنار وقراط لقولهم دنانير وقراريط وقد جاء مع التضعيف وحده قال

يا ليتما أمنا شالت نعامتها أيما إلى الجنة أيما إلى نار

اللغة

الظهور العلو بالغلبة واصله خروج الشيء إلى حيث يصح ان يدرك الرقبة والانتظار والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظائر والرقيب الحافظ والال العهد مأخوذ من الاليل وهو البريق يقال ال يؤل إلا إذا لمع والآلة الحربة للمعانها واذن مؤللة مشبهة للحربة في تحديدها قال الشاعر

وجدناهم كاذبا إلهم وذو الأل والعهد لا يكذب

والإل القرابة قال حسان

لعمرك إن الك من قريش كال السقب من رأل النعام

المعنى

لما امر سبحانه بنبذ العهد إلى المشركين بين ان العلة في ذلك ما ظهر منهم من الغدر وأمر باتمام العهد لمن استقام على الأمر فقال (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع اضمارهم الغدر والنكث وهذا يكون على التعجب او على الجحد ويدل عليه ما روي ان في قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولا ذمة فأدخل الكلام لا لأن معنى الاول جحد اي لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يأمر الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين ثم استثنى سبحانه فقال (إلا

الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) أي فإن لهم عهداعند الله لأنهم لهم يضمروا الغدربك والخيانة لك واختلف في هؤلاء من هم فقيل هم قريش عن ابن عباس وقيل هم أهل مكةالذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بأن اعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح اربعة اشهر يختارون امرهم اماان يسلموا واماان يلحقوا بأي بلادشاءوا فأسلموا قبل الأربعةالاشهر عن قتادة وابن زيدوقيل هم من قبائل بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قددخلوا عهد قريش يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فلم يكن نقضها إلا قريش وبنو الدئل من بكر فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن له نقض إلى مدته وهذا القول اقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)معناه فما استقاموا لكم على العهد اي ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك (إن الله يحب المتقين) للنكث والغدر (كيف وان يظهروا عليكم) هاهنا حذف وتقديره كيف يكون لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وإنما حذفه لأن ما قبله من قوله كيف يكون للمشركين عهد يدل على ذلك ومثله قول الشاعر يرثي اخا له قد مات

وخبرتماني أنما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب

أي فكيف مات وليس بقرية ومثله قول الحطيئة

فكيف ولم اعلمهم حدلوكم على معظم ولى أديكم قدوا

اي وكيف تلومونني على مدح قوم وتذمونهم فاستغنى عن ذكر ذلك لأنه جرى في القصيدة مايدل على ما اضمره ومعناه كيف يكون لهؤلاء عهد عند الله وعند رسوله وهم بحال ان يظهروا عليكم ويظفروا بكم ويغلبوكم (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) اي لا يحفظوا ولا يراعوا فيكم قرابة ولا عهدا والإل القرابة عن ابن عباس والضحاك والعهد عن مجاهد والسدي والجوار عن الحسن والحلف عن قتادة واليمين عن ابي عبيدة وقيل أن الإل اسم الله تعالى عن مجاهدوروي ان ابا بكر قرئ عليه كلام مسيلمة فقال لم يخرج هذا من إل فأين يذهب بكم ومن قال إن الإل هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وإن كان بمعناه لاختلاف معنى اللفظين كما قال «والفى قولها كذبا ومينا» وقال «متى ادن منه ينأ عني ويبعد» (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) معناه يتكلمون بكلام الموالين لكم لترضوا عنهم وتأبى قلوبهم إلا العداوة والغدر ونقض العهد (وأكثرهم فاسقون) اي متمردون في الكفر والشرك عن ابن الاخشيد وقال الجبائي أراد كلهم فاسقون لكنه وضع الخصوص موضع العموم وقال القاضي معناه اكثرهم خارجون عن طريق الوفاء بالعهد وأراد بذلك رؤساءهم

قوله تعالى (٩) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١١) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٢) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٣) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة والشام أئمة الكفر بهمزتين وقرأ الباقون أيمة بهمزة واحدة وياء بعدها وقرأ ابن عامر لا إيمان بكسر الهمزة ورواه ابن عقدة باسناده عن عريف بن الوضاح الجعفي عن جعفر بن محمد عليهما السلام والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي ائمة اصله افعلة واحدها إمام فإذا جمعته على افعلة ففيه همزة هي فاء الفعل ويزيد عليها همزة افعلة الزائدة فيجتمع همزتان واجتماع الهمزتين في كلمة لا يستعمل بحقيقتها قال الزجاج أصله أأممة ولكن الميمين لما اجتمعتا ادغمت الأولى في الثانية والقيت حركتها على الهمزة فصارت ائمة فأبدل النحويون من الهمزة المكسورة الياء قال ومن قال هذا اوم من هذا كان اصله أأم فجعلها واواً مفتوحة كما قالوا في جمع آدم اوادم قال ابو علي ومن جمع بين الهمزتين في أئمة فحجته ان سيبويه قال زعموا ان ابن ابي اسحاق كان يحقق الهمزتين في اناس معه وقد يتكلم ببعضه العرب وهو رديء ووجهه من القياس ان تقول ان الهمزة حرف من حروف الحلق كالعين وغيره وقد جمع بينهما في نحو كعاعة وكع يكع فكما جاز اجتماع العينين جاز اجتماع الهمزتين قال علي بن عيسى انما جاز اجتماع الهمزتين هنا لئلا يجتمع على الكلمة تغيران الإدغام والقلب مع خفة التحقيق لأجل ما بعده من السكون وعلى هذا تقول هذا ائم من هذا بهمزتين قال وانما قلبت الهمزة من ائمة دون حركة ما قبلها لأن الحركة انما نقلت من الميم الى الهمزة لبيان زنة الكلمة فلو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكنت مناقضا للغرض فيها وأما قوله لا أيمان لهم فمن فتح الهمزة قال هو اشبه بالموضع فقد قال نكثوا ايمانهم ومن كسرها جعله مصدر آمنته إيمانا خلاف خوفته ولا يريد مصدرا من الذي هو صدق فيكون تكرارا لدلالة ما تقدم من قوله فقاتلوا ائمة الكفر على ان اهل الكفر لا ايمان لهم

اللغة

الأيمان جمع يمين وهو القسم والطعن الاعتماد بالعيب وأصله الطعن بالرمح والإمام هو المتقدم للاتباع فالإمام في الخير مهتد هاد وفي الشر ضال مضل والهم مقارنة الفعل بالعزم من غير ايقاع له وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم والبدء فعل الشيء من قبل غيره وهو فعل الشيء اولا والمرة فعل لم يتكرر وهي الفعلة من المر والمرة والدفعة والكرة نظائر

المعنى

ثم بين سبحانه خصال القوم فقال (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله) ومعناه اعرضوا عن دين الله وصدوا الناس عنه بشيء يسير نالوه من الدنيا واصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن ومعنى الفاء هنا ان اشتراءهم هذا اداهم الى الصد عن الإسلام وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم ابو سفيان على طعامه ليستميلهم على عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مجاهد وقيل ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشا من العوام على الحكم بالباطل عن الجبائي (انهم ساء ما كانوا يعملون) اي بئس العمل عملهم (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) سبق معناه والفائدة في الإعادة ان الاول في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وقيل انما كرر تأكيدا (واولئك هم المعتدون) اي المجاوزون الحد في الكفر والطغيان (فإن تابوا) اي ندموا على ما كان منهم من الشرك وعزموا على ترك العود اليه وقبلوا الاسلام (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) اي قبلوها وأدوها عند لزومها (فأخوانكم في الدين) اي فهم اخوانكم في الدين فعاملوهم معاملة اخوانكم من المؤمنين (ونفصل الآيات) اي نبينها ونميزها بخاصة لكل واحدة منها تتميز بها من غيرها حتى يظهر مدلولها على اتم ما يكون من الظهور فيها (لقوم يعلمون) ذلك ويتبينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون (وان نكثوا) اي

نقضوا (ايمانهم) اي عهودهم وما حلفوا عليه (من بعد عهدهم) اي من بعد ان عقدوه (وطعنوا في دينكم) اي عابوه وقدحوا فيه (فقاتلوا ائمة الكفر) اي رؤساء الكفر والضلالة وخصهم بالامر بقتالهم لأنهم يضلون اتباعهم قال الحسن واراد به جماعة الكفار وكل كافر إمام لنفسه في الكفر ولغيره في الدعاء اليه وقال ابن عباس وقتادة واراد به رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام وابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وكان حذيفة بن اليمان يقول لم يأت اهل هذه الآية بعد وقال مجاهد هم اهل فارس والروم وقرأ علي عليه السلام هذه الآية يوم البصرة ثم قال أما والله لقد عهد الي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لي ياعلي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة (انهم لا أيمان لهم) من قرأ بفتح الهمزة فمعناه انهم لايحفظون العهد واليمين كما يقال فلان لا عهد له اي لا وفاء له بالعهد ومن قرأ بالكسر فمعناه لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد ويحتمل ان يكون معناه انهم اذا آمنوا انسانا لا يفون به ويحتمل ان يكون معناه انهم كفروا فلا ايمان لهم (لعلهم ينتهون) معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فإنهم لا ينتهون عنه بدون القتال وقيل معناه ليكن قصدكم في قتالهم انتهاؤهم عن الشرك فإن قيل كيف نفى بقوله لا ايمان لهم ما اثبته بقوله وان نكثوا أيمانهم قيل له ان الأيمان التي اثبتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها وانما نفاها من بعد لأنهم لم يفوا بها ولم يتمسكوا بموجبها (الاتقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا بإخراج الرسول) الالف للاستفهام والمراد به التحضيض والايجاب ومعناه هلا تقاتلونهم وقد نقضوا عهودهم التي عقدوها واختلف في هؤلاء فقيل هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الاحزاب وهموا باخراج الرسول من المدينة كما اخرجه المشركون من مكة عن الجبائي والقاضي وقيل هم مشركو قريش واهل مكة (وهم بدؤكم أول مرة) اي بدؤكم بنقض العهد عن ابن اسحاق والجبائي وقيل بدؤكم بقتال حلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خزاعة عن الزجاج وقيل بدؤكم بالقتال يوم بدر وقالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه (أتخشونهم) اي أتخافون ان ينالكم من قتالكم مكروه لفظه استفهام والمراد به تشجيع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع بين التقريع والتشجيع (فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين) المعنى لا تخشوهم ولا تتركوا قتالهم خوفا على انفسكم منهم فإنه سبحانه احق ان تخافوا عقابه في ترك امره بقتالهم ان كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه اي ان كنتم مؤمنين فخشية الله احق بكم من خشية غيره والله اعلم واحكم

قوله تعالى (١٤) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٥) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آيتان

—(القراءة)—

في الشواذ قراءة الاعرج وابن ابي اسحاق وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد ويتوب الله بالنصب وروي عن ابي عمرو ايضا

=(الحجة)=

قال ابن جني اذا نصب فالتوبة داخلة في جواب الشرط واذا رفع فهو استئناف وتقديره في النصب ان تقاتلوهم تكن هذه الاشياء كلها التي احدها التوبة من الله على من يشاء والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف لأنه تم الكلام على قوله ويذهب غيظ قلوبهم ثم استأنف فقال ويتوب الله على من يشاء لأن التوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسببة عن قتالهم

—(المعنى)—

ثم أكد سبحانه ما تقدم بأن أمر المسلمين بقتالهم وبشرهم بالنصر والظفر عليهم فقال (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) قتلا واسرا (ويخزهم) اي ويذلهم (وينصركم عليهم)اي ويعنكم ايها المؤمنون عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني صدور بني خزاعة الذين بيت عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدي لأنهم كانوا حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) معناه ويكون ذلك النصر شفاء لقلوب المؤمنين التي امتلأت غيظا لكثرة ما نالهم من الاذى من جهتهم ثم استأنف سبحانه فقال (ويتوب الله على من يشاء) اي ويقبل توبة من تاب منهم مع فرط تعديهم رحمة وفضلا (والله عليم حكيم)عليم بتوبتهم اذا تابوا حكيم في امركم بقتالهم اذا نكثوا قبل ان يتوبوا ويرجعوا لأن افعاله كلها صواب وحكمة وفي هذا دلالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لأنه وافق خبر المخبر

—(النظم)—

والوجه في اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله شيئان ﴿ احدهما ﴾ البشارة بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الإيمان ﴿ والآخر ﴾ بيان انه ليس في قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة

قوله تعالى (١٦) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ آية

—(اللغة)—

الحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به والترك ضد ينافي الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه ويستعمل بمعنى ان لا يفعل كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون والوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم والبطانة مثله وليجة الرجل من يختص بدخلة أمره دون الناس الواحد والجمع فيه سواء و كل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليجة قال طرفة

فإن القوافي يتلجن موالجا تضايق عنه ان تولجه الابر

—(الاعراب)—

ام حرف عطف يعطف به الاستفهام وام حسبتم معطوف على ما تقدم من قوله الا تقاتلون وهو من الاستفهام المعترض في وسط الكلام فجعل بأم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ . ولما يفعل نفي الفعل مع تقريب لوقوعه ولم يفعل نفي الفعل بعد اطماع في وقوعه

—(المعنى)—

ثم نبه سبحانه على جلالة موقع الجهاد فقال (أم حسبتم أن تتركوا) ومعناه اظننتم أيها المؤمنون ان تتركوا من دون ان تكلفوا الجهاد في سبيل الله مع الاخلاص (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم)معناه ولما يظهر ما علم الله منكم فذكر نفي العلم والمراد نفي المعلوم تأكيدا للنفي والا فإن الله عز اسمه عالم بما يكون قبل ان كان وبما لا يكون لو كان كيف كان يكون وتقديره اظننتم ان تتركوا ولم تجاهدوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) اي ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى الله وسوى رسوله والمؤمنين بطانة واولياء يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وقال الجبائي فهو ان يكونوا منافقين وهو قول الحسن وفي هذا دلالة على تحريم موالاة الكفار والفساق والالف بهم (والله خبير بما تعملون) اي عليم بأعمالكم فيجازيكم عليها

—(النظم)—

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما تقدم الامر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط وهو الاخلاص في الجهاد

على وجه قطع العصمة ليظهر الظفر ويستحق الثواب

قوله تعالى (١٧) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٨) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ آيتان

(القراءة)

قرأ أهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الواحد وهو قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والباقون مساجد الله

(الحجة)

حجة من أفرد انه عنى به المسجد الحرام وحجة من جمع انه عنى به المسجد الحرام وغيره من المساجد ويحتمل أن يكون أراد المسجد الحرام و إنما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءتان بمعنى

اللغة

الأصل في المسجد هو موضع السجود في العرف ويعبر به عن البيت المهيأ لصلاة الجماعة فيه والعمارة أن يجدد منه ما استرم من الأبنية ومنه اعتمر إذا زار لأنه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال

((المعنى))

لما أمر الله سبحانه بقتال المشركين وقطع العصمة والموالاة عنهم أمر بمنعهم عن المساجد فقال (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) معناه لا ينبغي للمشركين أن يكونوا قواما على عمارة مساجد الله ومتولين لأمرها وينبغي أن يعمرها المسلمون وقيل ان المراد بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل هي عامة في جميع المساجد (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي حال شهادتهم على أنفسهم بالكفر أو مع شهادتهم واختلف في العمارة للمسجد فقيل هي بدخوله وتزوله كما يقال فلان يعمر مجلس فلان إذا اكثر غشيانه لأن المسجد تكون عمارته بطاعة الله وعبادته وقيل هي باستصلاحه ورم ما استرم منه لانه إنما يعمر للعبادة عن الجبائي وقيل هي بأن يكونوا من أهله أي لا ينبغي أن يترك المشركون فيكونوا أهل المسجد الحرام عن الحسن واختلف في شهادتهم على أنفسهم بالكفر كيف هي فقيل هي ان النصراني يسأل ما أنت فيقول انا نصراني واليهودي يقول انا يهودي وكذلك المشرك إذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقولها أحد غير العرب عن السدي وقيل معناه ان كلامهم يدل على كفرهم كما يقال كلام فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن وقيل هي قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل شهادتهم سجودهم لاصنامهم مع اقرارهم بأنها مخلوقة عن ابن عباس ومعناه انهم يشهدون على أنفسهم بأفعالهم واحوالهم ومن أظهر شيئا وبينه يقال قد شهد به (أولئك حبطت اعمالهم) التي هي من جنس الطاعة من المؤمنين أي بطلت لانهم أوقعوها على الوجه الذي لا يستحق لأجله الثواب عليها عند الله (وفي النار هم خالدون) أي مقيمون مؤبدون (إنما يعمر مساجد الله) ولفظة إنما لاثبات المذكور ونفي ما عداه فمعناه لا يعمر مساجد الله بزيارتها واقامة العبادات فيها أو ببنائها ورم المسترم منها (إلا من آمن بالله واليوم الآخر) أي من أقر بوحدانية الله واعترف بالقيامة (وأقام الصلاة) بحدودها (وآتى الزكاة) أي اعطاها إن وجبت عليه إلى مستحقها (ولم يخش إلا الله) أي لم يخف سوى الله احدا من المخلوقين وهذا راجع إلى قوله أتخشونهم فالله

أحق أن تخشوه اي إن خشيتموهم فقد ساويتموهم في الاشراك كما قال فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) إلى الجنة ونيل ثوابها لأن عسى من الله واجبة عن ابن عباس والحسن وفي ذكر الصلاة والزكاة وغير ذلك بعد ذكر الايمان بالله دلالة على ان الايمان لا يتناول افعال الجوارح إذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن قال ان المراد فيه التفصيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر

قوله تعالى (١٩) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ (٢٠) ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ ٱللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ (٢١) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢٢) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ اربع آيات

(القراءة)

في الشواذ قراءة محمد بن علي الباقر (ع) وابن الزبير وابي وجرة السواري وابي جعفر السعدي القارئ اجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام وقرأ الضحاك سقاية الحاج بالضم وعمرة المسجد

(الحجة)

اما سقاة فهو جمع ساق وعمرة جمع عامر واما سقاية فقد قال ابن جني فيه نظر ووجهه ان يكون جمعا جاء على فعال كعرق وعراق ورخل ورخال وظئر وظؤار وتوأم وتؤام وربي ورباء وانسان واناس ثم أنث كما يؤنث من الجموع أشياء نحو حجارة وعبورة وكأن من عدل عن قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمارة المسجد إلى هذا إنما هرب من ان يقابل الحدث بالجوهر وذلك ان من آمن جوهر وسقاية وعمارة مصدران فلا بد إذن من حذف المضاف أي أجعلتم هذين الفعلين كفعل من آمن بالله فلما رأى أنه لا بد من حذف المضاف قرأ سقاة وعمرة على ما مضى

اللغة

السقاية آلة تتخذ لسقي الماء والسقاية مصدر كالسقي ايضا وقيل إنهم كانوا يسقون الحجيج الماء والشراب وبيت البئر سقاية ايضا والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه كما يقال بشرته ابشره بشرى ورضوان هو معنى يستحق بالإحسان ويدعو إلى الحمد على ما كان ويضاد سخط العصيان والنعيم مشتق من النعمة وهي اللين فأما النعمة بكسر النون فهي منفعة يستحق بها الشكر لأنها كنعمة العيش وابدا للزمان المستقبل من غير آخر كما ان قط للماضي يقال ما رأيته قط ولا اراه ابداً وجمع الأبد آباد وابود يقال لا افعل ذلك ابد الآبدين وأبد الآبدين وتأبد المنزل أتى عليه الأبد والأوابد الوحش سميت بذلك لطول أعمارها وقيل لم يمت وحشي حتف انفه وإنما يموت بآفة والآبدة الداهية

النزول

قيل انها نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وذلك انهم افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت وبيدي مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي (ع) ما ادري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة اشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد عن الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وقيل إن علياً (ع) قال للعباس يا عم ألا تهاجر والا تلحق برسول الله فقال ألست في

أفضل من الهجرة أعمر المسجد الحرام واسقي حاج بيت الله فنزلت أجعلتم سقاية الحاج عن ابن سيرين ومرة الهمداني وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن ابن بريدة عن ابيه قال بينا شيبة والعباس يتفاخران إذ مر بهما علي ابن ابي طالب عليه السلام فقال بماذا تتفاخران فقال العباس لقد اوتيت من الفضل ما لم يؤت احد سقاية الحاج وقال شيبة اوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي(ع) استحييت لكما فقد اوتيت على صغري ما لم تؤتيا فقالا وما اوتيت يا علي قال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله فقام العباس مغضبا يجر ذيله حتى دخل على رسول الله ﷺ وقال أما ترى إلى ما يستقبلني بـه علي فقال ادعوالي عـليا فدعي له فقال ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال يارسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض فنزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول أتل عليهم أجعلتم سقاية الحاج الآيات فقال العباس إنا قـد رضينا ثلاث مرات وفي تفسير ابي حمزة أن العباس لما امر يوم بدر أقبل عليه اناس من المهاجرين والانصار فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فأنزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا إلى آخر الآيات

المعنى

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) هذا استفهام معناه الانكار أي لا تجعلوا وفيه حذف يدل الكلام عليه وتقديره أجعلتم اهل سقاية الحاج واهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله حتى يكون مقابلة الشخص بالشخص او يكون تقديره أجعلتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن بالله حتى تكون مقابلة الفعل بالفعل وسقاية الحاج سقيهم الشراب قال الحسن وكان نبيذ زبيب يسقون الحاج في الموسم ثم بين الله سبحانه انه لا يقابل هذه الأشياء بالإيمان بالله (واليوم الآخر) وبالجهاد في سبيله فإنه لا مساواة بين الأمرين (لا يستوون عند الله) في الفضل والثواب (والله لا يهدي) إلى طريق ثوابه (القوم الظالمين) كما يهدي اليه من كان عارفاً به فاعلا لطاعته مجتنباً لمعصيته ثم ابتدأ سبحانه فقال (الذين آمنوا) اي صدقوا واعترفوا بوحدانية الله (وهاجروا) اوطانهم التي هي دار الكفر إلى دار الإسلام (وجاهدوا في سبيل الله) اي تحملوا المشاق في ملاقاة أعداء الدين (بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) من غيرهم من المؤمنين الذين لم يفعلوا هذه الأشياء (وأولئك هم الفائزون) اي الظافرون بالبغية (يبشرهم ربهم) برحمة في الدنيا على السنة الرسل وبما بين في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد (برحمة منه ورضوان) في الآخرة (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) اي دائم لا يزول ولا ينقطع (خالدين فيها ابدا) اي دائمين فيها مع كون النعيم مقيما لهم (إن الله عنده أجر) اي جزاء على العمل (عظيم) اي كثير متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق

قوله تعالى (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٤) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر عن عاصم وعشيراتكم على الجمع والباقون وعشيرتكم على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

من أفرد فلأن العشيرة يقع على الجمع وقال ابو الحسن العرب لا تجمع العشيرة عشيرات وإنما تقول عشائر ومن جمع فلأن كل واحد من المخاطبين له عشيرة

﴿ اللغة ﴾

الاستحباب طلب المحبة ويجوز ان يكون استحب بمعنى أحب كما ان استجاب يكون بمعنى اجاب فيكون كأنه طلب محبة فوقع له والعشير الجماعة ترجع إلى عقد واحد كالعشرة ومنه المعاشرة والاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره من قرفت القرحة إذا قشرتها والقرف القشر والتربص التثبت في الشيء حتى يجيء وقته والتربص والتثبت والتنظر والتوقف نظائر ونقيضه التعجل

﴿ النزول ﴾

روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعه حيث كتب الى قريش يخبرهم بخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اراد فتح مكة

﴿ المعنى ﴾

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين وإن كانوا في النسب الاقربين فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء) وهذا في امر الدين فأما في امر الدنيا فلا بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبهما في الدنيا معروفا قال ابن عباس لما امر الله تعالى المؤمنين بالهجرة وارادوا الهجرة فمنهم من تعلقت به زوجته ومنهم من تعلق به ابواه واولاده فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لأجلهم فبين سبحانه ان امر الدين مقدم على النسب وإذا وجب قطع قرابة الأبوين فالأجنبي أولى (إن استحبوا الكفر على الإيمان) اي إن اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان قال الحسن من تولى المشرك فهو مشرك وهذا إذا كان راضياً بشركه (ومن يتولهم منكم) فترك طاعة الله لأجلهم واطلعهم على اسرار المسلمين (فأولئك هم الظالمون) نفوسهم والباخسون حقها من الثواب لأنهم وضعوا الموالاة في غير موضعها لأن موضعها أهل الإيمان (قل) يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة الى دار الإسلام (ان كان آباؤكم) الذين ولدوكم (وابناؤكم) الذي ولدتموهم وهم الأولاد الذكور (واخوانكم) في النسب (وازواجكم) اللاتي عقدتم عليهن عقدة النكاح (وعشيرتكم) أي واقاربكم (واموال اقترفتموها) أي اكتسبتموها واقتطعتموها وجمعتموها (وتجارة تخشون كسادها) اي تخشون انها تكسد إذا اشتغلتم بطاعة الله تعالى والجهاد (ومساكن ترضونها) أي مساكن اخترتموها لأنفسكم ويعجبكم المقام فيها (أحب اليكم) أي آثر في نفوسكم واقرب إلى قلوبكم (من الله ورسوله) أي من طاعة الله وطاعة رسوله (وجهاد في سبيله) أي ومن الجهاد في سبيل الله (فتربصوا) أي انتظروا (حتى يأتي الله بأمره) أي بحكمه فيكم وقيل بعقوبتكم على اختياركم هذه الأشياء على الجهاد وطاعة الله إما عاجلا وإما آجلا وفيه وعيد شديد عن الحسن والجبائي وقيل بفتح مكة عن مجاهد وقال بعضهم وهذا لا يصح لأن سورة براءة نزلت بعد فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مضى تفسيره

قوله تعالى (٢٥) لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ

(٢٦) ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلْكَافِرِينَ (٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

اللغة

الموطن الموضع الذي يقيم فيه صاحبه وهو مفعل من الوطن واستوطن بالمكان إذا اتخذه وطنا. حنين اسم واد بين مكة والطايف والإعجاب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور بالنفس والرحب السعة في المكان وضده الضيق وقولهم مرحباً معناه أتيت سعة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعيلة من السكون قال الشاعر

لله قبر عالها ماذا أجن ... م لقد أجن سكينة ووقارا

والجنود الجموع التي تصلح للحروب

الإعراب

مواطن لا ينصرف لأنه جمع ليس على مثال الآحاد ويوم حنين أي وفي يوم حنين عطف على مواطن أي ونصركم في يوم حنين وإنما صرف حنينا لأنه اسم لمذكر وهو واد ولو ترك صرفه على انه اسم للبقعة لجاز قال الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزرهم ... بحنين يوم تواكل الأبطال

ومافي قوله بمارحبت مصدرية أي برحبها وسعتها

المعنى

لما تقدم أمر المؤمنين بالقتال ذكرهم بعده بما أتاهم من النصر حالا بعد حال فقال (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) اللام للقسم فكأنه سبحانه أقسم بأنه نصر المؤمنين اي عانهم على اعدائهم في مواضع كثيرة على ضعفهم وقلة عددهم حثاً لهم على الانقطاع اليه ومفارقة الأهلين والاقربين في طاعته وورد عن الصادقين (ع) انهم قالوا كانت المواطن ثمانين موطنا وروي ان المتوكل اشتكى شكاية شديدة فنذر ان يتصدق بمال كثير ان شفاه الله فلما عوفي سأل العلماء عن حد المال الكثير فاختلفت أقوالهم فأشير عليه ان يسأل ابا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى (ع) وقد كان حبسه في داره فأمر ان يكتب اليه فكتب يتصدق بثمانين درهماً ثم سألوه عن العلة في ذلك فقرأ هذه الآية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين موطناً (ويوم حنين) اي وفي يوم حنين (إذ اعجبتكم كثرتكم) اي ثم سرتكم وصرتم معجبين بكثرتكم قال قتادة وكان سبب انهزام المسلمين يوم حنين ان بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فانهزموا بعد ساعة وكانوا اثني عشر الفاً وقيل انهم كانوا عشرة آلاف وقيل ثمانية آلاف والأول اصح واكثر في الرواية (فلم تغن عنكم شيئاً) اي فلم يدفع عنكم كثرتكم سوءاً (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) اي برحبتها والباء بمعنى مع والمعنى ضاقت عليكم الأرض مع سعتها كما يقال اخرج بنا الى موضع كذا اي معنا والمراد لم تجدوا من الأرض موضعاً للفرار اليه (ثم وليتم مدبرين) اي وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموهم ادباركم وانهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) اي رحمته التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف (على رسوله وعلى المؤمنين) حين رجعوا اليهم وقاتلوهم وقيل على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله علي والعباس في نفر من بني هاشم عن الضحاك بن مزاحم وروى الحسن بن علي بن فضال عن ابي الحسن الرضا انه قال السكينة ريح من الجنة تخرج طيبة لها صورة

كصورة وجه الإنسان فتكون مع الأنبياء اورده العياشي مسندا (وأنزل جنوداً لم تروها) أراد بـه جنودا من الملائكة وقيل ان الملائكة نزلوا يوم حنين بتقوية قلوب المؤمنين وتشجيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ ولم يقاتلوا إلا يوم بدر خاصة عن الجبائي (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وسلب الاموال والاولاد (وذلك جزاء الكافرين) اي وذلك العذاب جزاء الكافرين على كفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) ذكر سبحانه ثم في ثلاثة مواضع متقاربة ﴿الأول﴾ ثم وليتم مدبرين عطف على ماقبله من الفعل وهو قوله ضاقت عليكم ﴿والثاني﴾ ثم أنزل الله سكينته عطف على وليتم مدبرين ﴿والثالث﴾ ثم يتوب الله عطف على أنزل وإنما حسن عطف المستقبل على الماضي لأنه يشاكله فإن الاول تذكير بنعمة الله والثاني وعد بنعمة الله والمعنى ثم يقبل الله توبـة من تاب عن الشرك ورجع الى طاعة الله والإسلام وندم على ما فعل من القبيح ويجوز ان يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم من بعد هزيمته ويجوز ان يريد يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وانما علقه بالمشيئة لأن قبول التوبة تفضل من الله ولو كان واجبا على ما قاله أهل الوعيد لما جاز تعليقه بالمشيئة كالا يجوز تعليق الثواب على الطاعـة بالمشيئة ومن خالف في ذلك قال إنما علقها بالمشيئة لأن منهم من له لطف يصلح به ويتوب ويؤمن عنده ومنهم من لا لطف له منه (والله غفور) اي ستار للذنوب (رحيم) بعباده

﴿ القصة ﴾

ذكر أهل التفسير وأصحاب السير ان رسول الله ﷺ لما فتح مكة خرج منها متوجهاً الى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان اوفي شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن عوف النصري وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم ونزلوا بأوطاس قال وكان دريد بن الصمة في القوم وكان رئيس جشم وكان شيخا كبيرا قدذهب بصره من الكبر فقال بأي واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لاحزن ضرس ولا سهل دهس مالي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر وثغاء الشاة وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك بن عوف ساق مع الناس ابناءهم وأموالهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن أهله وماله فقال دريد راعي ضأن ورب الكعبة ثم قال ائتوني بمالك فلما جاءه قال يامالك انك اصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده رد قومك إلى عليا بلادهم والق الرجال على متون الخيل فإنه لاينفعك إلا رجل بسيفه وفرسه فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك لا تكون فضحت في أهلك وعيالك فقال له مالك إنك قد كبرت وذهب علمك وعقلك وعقـد رسول الله ﷺ لواءه الأكبر ودفعه إلى علي بن ابي طالب «ع» وكل من دخـل مكة براية امره أن يحملها وخرج بعد ان اقام بمكة خمسة عشر يوما وبعث إلى صفوان بن أمية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان عارية أم غصب فقال ﷺ عارية مضمونة مؤداة فأعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة الفتح الفا رجل وكان «ع» دخل مكة في عشرة آلاف رجـل وخرج منها في اثني عشر الفا وبعث رسول الله ﷺ رجلا من اصحابه فانتهى إلى مالك بن عوف وهو يقول لقومـه ليصير كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هـذا الوادي وفي الشجر فإذا كان في غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم فإن محمدا لم يلق احدا يحسن الحرب والماصلى رسول الله ﷺ باصحابه الغداة انحدر في وادي حنين فخرجت عليهم كتائب هوازن من كل ناحية وانهزمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهزم ما وراءهم وخلى الله تعالى بينهم وبين عدوهم لإعجابهم بكثرتهم وبقي علي «ع» ومعه الراية يقاتلهم في نفر قليل ومر المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء وكان العباس بن عبد المطلب أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ والفضل عن يمينه وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونوفل بن الحرث وربيعة بن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم ايمن بن أم ايمن وقتل يومئذ وفي ذلك يقول العباس

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وقولي إذا ما الفضل كر بسيفه على القوم أخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع

ولما رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه قال للعباس وكان جهوريا صيتا اصعد هذا الظرب فناد يا معشر المهاجرين والانصار يا اصحاب سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة إلى اين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا لبيك لبيك وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله ﷺ الآن حمي الوطيس «انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب» ونزل النصر من عند الله تعالى وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة فمروا في كل وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم ومر مالك بن عوف فدخل حصن الطايف وقتل منهم زهاء مائة رجل واغنم الله المسلمين اموالهم ونساءهم وامر رسول الله بالذراري والاموال ان تحدر إلى الجعرانة وولى على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى ﷺ في أثر القوم فوافى الطايف في طلب مالك ابن عوف فحاصر أهل الطايف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانه وقسم بها غنائم حنين واوطاس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانوا اياها يعني الملائكة قال الزهري وبلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله ﷺ يوم حنين وانا أريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان ابن طلحة وكانا قد قتلا يوم أحد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال أعيذك بالله يا شيبة فأرعدت فرائصي فنظرت اليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله اطلعك على ما في نفسي وقسم رسول الله الغنائم بالجعرانة وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء ما لا يدرى عدته قال ابو سعيد الخدري قسم رسول الله للمتألفين من قريش من سائر العرب ما قسم ولم يكن في الانصار منها شيء قليل ولا كثير فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء فقال ﷺ فأين انت من ذلك يا سعد فقال ما انا إلا امرؤ من قومي فقال رسول الله فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فجمعهم فخرج رسول الله فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر الانصار اولم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله واعداء فألف بين قلوبكم قالوا بلى يارسول الله ثم قال ألا تجيبوني يامعشر الانصار فقالوا وما نقول وبماذا نجيبك المن لله ولرسوله فقال رسول الله أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم جئتنا طريدا فآويناك وعائلا فآسيناك وخائفا فآمناك ومخذولا فنصرناك فقالوا المن لله ولرسوله فقال رسول الله ﷺ وجدتم في انفسكم يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا وكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا بالله ورسوله قسما ثم تفرقوا وقال انس بن مالك وكان رسول الله ﷺ امر مناديا فنادى يوم اوطاس ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة ثم اقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله ﷺ بالجعرانة مسلمين فقام خطيبهم وقال يا رسول الله إنما في الحضائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو انا ملكنا ابن ابي شمرة اوالنعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي اصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وانت خير

الكفولين ثم انشد ابياتا فقال ﷺ أي الأمرين أحب اليكم السبي او الاموال قالوا يارسول الله خيرتنا بين الحسب وبين الاموال والحسب أحب الينا ولا تكلم في شاة ولا بعير فقال رسول الله ﷺ اما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين واشفع لكم فكلموهم واظهروا إسلامكم فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبي ﷺ قد رددت الذي لبني هاشم والذي بيدي عليهم فمن أحب منكم أن يعطي غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطي فليأخذ الفداء وعلي فداؤهم فأعطى الناس ما كان بأيديهم منهم إلا قليلا من الناس سألوا الفداء وارسل رسول الله ﷺ إلى مالك بن عوف وقال إن جئتني مسلما رددت اليك أهلك ومالك ولك عندي مائة ناقة فخرج اليه من الطائف فرد عليه أهله وماله واعطاه مائة من الإبل واستعمله على من اسلم من قومه

قوله تعالى (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن السميقع أنجاس على الجمع وفي مصحف عبد الله بن مسعود وإن خفتم عائلة

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالعاقبة والعافية واللاغية

﴿ اللغة ﴾

كل مستقذر نجس يقال رجل نجس وامرأة نجس وقوم نجس لأنه مصدر وإذا استعملت هذه اللفظة مع الرجس قيل رجس نجس بكسر النون والعيلة الفقر تقول عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم النهي عن ولاية المشركين أزال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) معناه ان الكافرين انجاس (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أي فامنعوهم عن المسجد الحرام قيل المراد به منعهم من دخول الحرم عن عطا قال والحرم كله مسجد وقبلة والعام الذي اشار اليه هو سنة تسع الذي نادى فيه علي (ع) بالبراءة وقال لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل المراد به منعهم من دخول المسجد الحرام على طريق الولاية للموسم والعمرة وقيل منعوا من الدخول أصلاً في المسجد ومنعوا من حضور الموسم ودخول الحرم عن الجبائي واختلف في نجاسة الكافر فقال قوم من الفقهاء ان الكافر نجس العين وظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه قول الله تعالى إنما المشركون نجس الآية وعن الحسن قال لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ وهذا يوافق ما يذهب اليه اصحابنا من ان من صافح الكافر ويده رطبة وجب ان يغسل يده وان كانت ايديهما يابستين مسحها بالحائط وقال آخرون انما سماهم الله نجساً لخبث اعتقادهم وافعالهم وأقوالهم واجازوا للذمي دخول المساجد قالوا انما يمنعون من دخول مكة للحج قال قتادة سماهم نجسا لأنهم يجنبون ولا يغتسلون ويحدثون ولا يتوضؤن فمنعوا من دخول المسجد لأن الجنب لا يجوز له دخول المسجد (وان خفتم عيلة) اي فقرا وحاجة وكانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين عن دخول الحرم (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) اي فسوف يغنيكم الله من جهة أخرى ان شاء ان

يغنيكم بأن يرغب الناس من أهل الآفاق في حمل الميرة اليكم رحمة منه ونعمة عليكم قال مقاتل اسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب وكفاهم الله تعالى ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يغنيكم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب وقيل بالمطر والنبات وقيل باباحة الغنائم واذا سئل عن معنى المشيئة في قوله ان شاء فالقول فيه ان الله تعالى قد علم ان منهم من يبقى الى وقت فتح البلاد واغتنام اموال الاكاسرة فيستغني ومنهم من لا يبقى الى ذلك الوقت فلهذا علقه بالمشيئة وقيل إنما علقه بالمشيئة ليرغب الانسان إلى الله تعالى في طلب الغنى منه وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد (ان الله عليم) بالمصالح وتدبير العباد وبكل شيء (حكيم) فيما يأمر وينهى

قوله تعالى (٢٩) قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (آية)

اللغة

الدين في الأصل الطاعة قال زهير

لئن حللت بجو في بني اسد … في دين عمرو وحالت بيننا فدك

والجزية فعلة من جزى يجزي مثل العقدة والجلسة وهي عطية مخصوصة جزاء لهم على تمسكهم بالكفر عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصغار الذل والنكال الذى يصغر قدر صاحبه يقال صغر يصغر صغاراً فهو صاغر

الاعراب

عن يد في موضع نصب على الحال أي نقداً كما يقال باعه يداً بيد

النزول

قيل هذه الآية نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك عن مجاهد وقيل هي على العموم

المعنى

ثم بين الله سبحانه ان من الكفار من يجوز تبقيته بالجزية فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني الذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما يذهب اصحابنا اليه من انه لا يجوز ان يكون في جملة الكفار من هو عارف بالله وان أقر باللسان وانما يكونون معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم لأنه صريح في ان أهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال انه يجوز ان يكونوا عارفين بالله قال ان الآية خرجت مخرج الذم لهم لأنهم بمنزلة من لا يقربه في عظم الجرم قال الجبائي لأنهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه وإنما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكروا بالكفار من أهل الكتاب للتحريض على قتالهم لما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) موسى وعيسى عليهما السلام من كتمان نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل يعني ما حرمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ولا يدينون دين الحق) وقيل الحق

ههنا هو الله تعالى أي دين الله والعمل بما في التوراة من اتباع نبينا عليه السلام وقيل الحق هو الله ودينه الإسلام عن قتادة وقيل معناه ولا يطيعون الله طاعة أهل الإسلام عن ابي عبيدة وقيل معناه لا يعترفون بالإسلام الذي هو الدين الحق (من الذين اوتوا الكتاب) وصف الذين ذكرهم بأنهم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال اصحابنا ان المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) أي نقداً من يده إلى يد من يدفعه اليه من غير نائب كما يقال كلمته فماً بفم وقيل معناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم (وهم صاغرون) اي ذليلون مقهورون يجرون إلى الموضع الذي يقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها وقيل هو ان يعطوا الجزية قائمين والآخذ جالس عن عكرمة

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ اللهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ اللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣١) ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وسهل عزير منوناً والباقون عزير ابن الله بغير تنوين وقرأ عاصم وحده يضاهئون بالهمزة وقرأ الباقون يضاهون بغير الهمزة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من نون عزيرا جعله مبتدأ وجعل ابناً خبره واذا كان كذلك فلا بد من اثبات التنوين في حال السعة والاختيار لأن عزيرا ونحوه ينصرف عجميا كان او عربيا وأما من حذف التنوين فإنه حذفه على وجهين * احدهما * انه جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك في زيد العاقل لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة فحذف الأول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز اثبات التنوين في هذا الباب اذا كان صفة وان كان الأصل لأنهم جعلوه من الاصول المرفوضة كما ان اظهار الأول من المثلين في نحو ظنوا لا يجوز في الكلام فإذا كانا بمنزلة اسم مفرد والمفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها مفيدة في هذا النحو فلا بد من اضمار جزء آخر يقدر انضمامه اليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما مبتدأ او خبر مبتدأ فيكون التقدير صاحبنا أو نبينا أو نبينا عزير ابن الله ان قدرت المضمر المبتدأ وان قدرت بعكس ذلك جاز بهذا احد الوجهين والوجه الآخر ان لا تجعلها اسما واحدا ولكن يجعل الأول من الاسمين المبتدأ والآخر الخبر فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في اثبات التنوين وتكون القراءتان متفقتين الا انك حذفت التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما يروى من قراءة بعضهم احد الله الصمد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين وقد جاء ذلك في الشعر كثيرا قال الشاعر

جميل الذي أمج داره   اخو الحمد ذو الشيبة الاصلع

وقال «وحاتم الطائي وهاب المئي» فاما يضاهئون فقد قال الزجاج اصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهي التي لا ينبت لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض ومعناها انها قد اشبهت الرجال في انه لا ثدي لها وكذلك اذا لم تحض وضهياء فعلاء الهمزة زائدة كما زيدت في شمأل وغرقىء البيض ولا نعلم الهمزة زيدت غير اول الا في هذه الاشياء ويجوز ان يكون فعيلا وان كانت بنية ليس لها في الكلام نظير قال ابو علي ليس قوله يضاهئون من امرأة ضهياء لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية وليس بفعيل لأنه لو كان اياه لكان مكسور الصدر وإنما ادخله في هذا ما رامه من اشتقاق يضاهئون وقد يجوز ان تجيء الكلمة من غير مشتقة وذلك اكثر من ان يحصى

﴿ اللغة ﴾

الحبر العالم الذي صنعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها وهو الحبر والحبر بفتح الحاء وكسرها والرهبان جمع الراهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية وقد كثر استعماله على متنسكي النصارى

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) وقال ابن عباس القائل لذلك جماعة منهم جاؤا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف فقالوا ذلك قيل وإنما قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد انقرضوا وان عزيرا املى التوراة من ظهر قلبه وقد علمه جبرائيل (ع) فقالوا انه ابن الله الا ان الله تعالى اضاف ذلك الى جميعهم وان كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال ان الخوارج يقولون بتعذيب اطفال المشركين وإنما يقوله الازارقة منهم خاصة ويدل على ان هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم) معناه انهم اخترعوا ذلك القول بافواههم لم يأتهم به كتاب ولا رسول وليس عليه حجة ولا برهان ولا له صحة وقيل انه لم يذكر القول مقرونا بالأفواه الا اذا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم (يضاهئون) يشابهون عن ابن عباس وقيل يوافقون عن الحسن (قول الذين كفروا) يعني عباد الاوثان في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى عن ابن عباس ومجاهد والفراء وقيل في عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله (من قبل) اي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدي وقيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة عن الحسن (قاتلهم الله) اي لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الانباري المقاتلة اصلها من القتل فإذا اخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك (انى يؤفكون) اي كيف يصرفون عن الحق الى الإفك الذي هو الكذب فكأنه قال لأي داع مالوا الى ذلك القول (اتخذوا احبارهم) اي علماءهم (ورهبانهم) اي عبادهم (اربابا من دون الله)روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا اما والله ماصاموا ولا صلوا ولكنهم احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ من

سورة البراءة هذه الآية اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم (والمسيح ابن مريم) اي اتخذوا المسيح إلهاً من دون الله (وما امروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً) أي معبوداً واحداً هو الله تعالى (لا إله إلا هو) اي لا تحق العبادة إلا له ولا يستحق العبادة سواه (سبحانه) تنزيها له (عما يشركون) اي عن شركهم وعما يقولونه وعما لا يليق به

قوله تعالى (٣٢) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٣) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ آيتان

﴿ اللغة ﴾

الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور والأفواه جمع فم وأصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو ميم لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها والإباء الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر « وإن أرادوا ظلمنا أبينا » أي منعنا من الظلم

﴿ الإعراب ﴾

قوله إلا ان يتم نوره انما دخلت إلا لأن في أبيت ضرباً من الجحد تقول أبيت أن أفعل كذا فيكون معناه لم أفعل كذا قال الشاعر

وهل لي أم غيرها ان تركتها أبى الله إلا أن اكون لها إبنا

قال الزجاج في الآية حذف تقديره يأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره قال ولا يكون الإيجاب جحداً ولو جاز ذلك على ان يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت إلا أخاك مثل ابيت إلا ان ابيت الحذف مستعمل معها

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم (يريدون أن يطفئوا نور الله) وهو القرآن والإسلام عن اكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لأنها يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار عن الجبائي قال ولما سمى سبحانه الحجج والبراهين أنواراً سمى معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال (بأفواههم) لأن الاطفاء يكون بالأفواه وهو النفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم لأن الفم يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) معناه ويمنع الله إلا أن يظهر أمر القرآن وأمر الإسلام وحجته على التمام وأصل الاباء المنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجبرة ولهذا تقول العرب فلان يأبى الضيم وهو ابي الضيم ولا مدحة في كراهية الضيم لأنه يستوي فيه القوي والضعيف وإنما المدحة في الامتناع او المنع منه (ولو كره الكافرون) أي على كره من الكافرين (هو الذي أرسل رسوله) محمداً وحمله الرسالات التي يؤديها إلى امته (بالهدى) أي بالحجج والبينات والدلائل والبراهين (ودين الحق) وهو الإسلام وما تضمنه من الشرائع التي يستحق عليها الجزاء بالثواب وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب (ليظهره على الدين كله) معناه ليعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجة والغلبة والقهر لها حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا مغلوبا ولا يغلب احد أهل الإسلام بالحجة وهم يغلبون أهل سائر الأديان بالحجة واما الظهور بالغلبة فهو ان كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي أهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل

أراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا اسلم أو أدى الجزية عن الضحاك وقال ابو جعفر (ع) ان ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى أحد إلا أقر بمحمد وهو قول السدي وقال الكلبي لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال المقداد بن الاسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام اما بعز عزيز واما بذل ذليل اما بعزهم فيجعلهم الله من اهله فيعزوا به واما يذلهم فيدينون له وقيل ان الهاء في ليظهره عائدة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اي ليعلمه الله الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس (ولو كره المشركون) أي وان كرهوا هذا الدين فإن الله يظهره رغماً لهم

قوله تعالى (٣٤) يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٥) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ آيتان

❀ اللغة ❀

الكنز في الأصل هو الشيء الذي جمع بعضه الى بعض ويقال للشيء المجتمع مكتنز وناقة كناز اللحم مجتمعة قال نفطويه سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لأنها تنفض اي تتفرق فلا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فنائهما والاحماء جعل الشيء حارا في الاحساس وهو فوق الاسخان وضده التبريد يقال حمي يحمي حمى واحماه غيره والكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن

❀ الإعراب ❀

الذين يكنزون موضعه نصب لأنه معطوف على اسم ان ويكون المعنى وان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يأكلونها ويجوز أن يكون رفعاً على الإستئناف وذكر في قوله ولا ينفقونها وجوه ❀ احدها ❀ انه اراد لا ينفقون الكنوز فرجع الضمير الى ما دل عليه الكلام ❀ والثاني ❀ انه لما ذكر الذهب والفضة دل على الأموال فكأنه قال ولا ينفقون الأموال ❀ والثالث ❀ أن الذهب مؤنث وهو جمع واحده ذهبة وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحده إلا الهاء يذكر ويؤنث ثم لما اجتمعا في التأنيث وكان كل واحد منهما يؤخذ عن صاحبه في الزكاة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد ورد الضمير اليهما بلفظ التأنيث ❀ والرابع ❀ انه اكتفى باحدهما عن الآخر للإيجاز ورد الضمير الى الفضة لأنها اقرب اليه كما قال حسان

إن شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا

وقد مر ذكر امثاله فيما مضى

❀ المعنى ❀

ثم بين سبحانه حال الأحبار والرهبان فقال (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل) أي يأخذون الرشى على الحكم عن الحسن والجبائي وأكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها اخذه الا أنه لما كان معظم التصرف والتملك للأكل وضع الأكل موضع ذلك وقيل إن معناه يأكلون متاع اموال الناس من الطعام فكأنهم يأكلون الاموال لأنها ثمن المأكول كما قال الشاعر

ذر الآكلين الماء لوما فما ارى ينالون خيرا بعد اكلهم الماء

اي ثمن الماء (ويصدون عن سبيل الله) اي يمنعون غيرهم عن اتباع الإسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم الى سلوكها وعن اتباع محمد ﷺ (والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله) أي يجمعون المال ولا يؤدون زكاته فقد روي عن النبي ﷺ انه قال كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا وكل مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونافي الارض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي قال الجبائي وهو اجماع وروي عن علي عليه السلام مازاد على اربعة آلاف فهو كنز ادى زكاته او لم يؤدومادونها فهو نفقة وتقدير الآية والذين يكنزون الذهب ولاينفقونه في سبيل الله ويكنزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فحذف المعطوف من الأول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الاول عليه في قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وتقديره والذاكرات الله وأكثر المفسرين على ان قوله والذين يكنزون على الاستئناف وان المراد بذلك مانعوا الزكاة من هذه الأمة وقيل انه معطوف على ما قبله والاولى ان يكون محمولاً على العموم في الفريقين (فبشرهم بعذاب اليم) اي أخبرهم بعذاب موجع وروى سالم بن ابي الجعد ان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال تباً للذهب تباً للفضة يكررها ثلاثاً فشق ذلك على اصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله أي المال نتخذ فقال لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه (يوم يحمى عليها في نار جهنم) اي يوقد على الكنوز أو على الذهب والفضة في نار جهنم حتى تصير ناراً (فتكوى بها) اي بتلك الكنوز المحماة والاموال التي منعوا حق الله فيها بأعيانها (جباههم وجنوبهم وظهورهم)وانماخص هذه الاعضاء لأنها معظم البدن وكان ابو ذر الغفاري يقول بشر الكانزين بكي في الجباه وكي في الجنوب وكي في الظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم وفي هذا المعنى الذي أشار اليه ابو ذر خصت هذه المواضع بالكي لأن داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل انما خصت هذه المواضع بالعذاب لأن الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الألم والظهر محل الحدود وقيل لأن الجبهة محل السجود فلم تقم فيه بحقه والجنب يقابل القلب الذي لم يخلص في معتقده والظهر محل الأوزار قال يحملون أوزارهم على ظهورهم عن الماوردي وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره عن ابي بكر الوراق (هذا ما كنزتم لأنفسكم) أي يقال لهم في حال الكي أوبعده هذا جزاء ما كنزتم وجمعتم المال ولم تؤدوا حق الله عنها وجعلتموها ذخيرة لأنفسكم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكنزون أي تجمعون وتمنعون حق الله منه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله ﷺ ما من عبد له مال ولايؤدي زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى به جبهته وجنباه وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما إلى الجنة واما إلى النار أورده مسلم بن الحجاج في الصحيح وروى ثوبان عن النبي ﷺ قال من ترك كنزاً مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يتبعه ويقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقصمها ثم يتبعه سائر جسده وروى الثعلبي باسناده عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فلما رآني قد أقبلت قال هم الأخسرون ورب الكعبة هم الأخسرون ورب الكعبة قال فدخلني غم وجعلت اتنفس وقلت هذا شيء حدث في قال قلت من هم فداك أبي وأمي قال الاكثرون إلا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه وقليل ما هم وروي عن ابي ذر انه قال من ترك بيضاء او حمراء كوي به يوم القيامة

قوله تعالى (٣٦) إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا

الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ آية

القراءة

قرأ ابو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر بسكون العين والباقون بفتحها

الحجة

الوجه في ذلك ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد وبني الأول منهما لأنه كصدر الاسم والثاني منهما لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين أول الثاني دليلاً على انهما قد صارا كالاسم الواحد

اللغة والاعراب

كافة بمعنى الإحاطة مأخوذ من كافة الشيء وهي حرفه واذا انتهى الشيء الى ذلك كف عن الزيادة واصل الكف المنع ومنه المكفوف وهو الممنوع البصر وكافة نصب على المصدر ولا يدخل عليها الألف واللام لأنه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه موقع معا وجميعا بمعنى المصدر الذي في موضع الحال المؤكدة فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة هذا قول الفراء وقال الزجاج كافة تنصب على الحال وهو مصدر على فاعله كالعافية والعاقبة وهو في موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم ولا يثنى ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم كافات ولا كافين كما انك اذا قلت قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا مذهب النحويين

المعنى

لما ذكر الله سبحانه وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكاة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم الذي يؤدي إلى مثل حاله او شر منه في المنقلب فقال (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) اي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهرا وانما تعبد الله المسلمين ان يجعلوا سنيهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس اليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله (في كتاب الله) معناه فيما كتب الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه وقيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن ابي مسلم وقوله (يوم خلق السماوات والأرض) متصل بقوله عند الله والعامل فيهما الاستقرار وإنما قال ذلك لأنه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر وبمسيرها تكون الشهور والأيام وبها تعرف الشهور (منها اربعة حرم) اي من هذه الاثني عشر شهراً أربعة اشهر حرم ثلاثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب تعظمها حتى لو ان رجلا لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها وإنما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولأنه ربما أدى ذلك الى ترك الظلم أصلا لانطفاء النائرة وانكسار الحمية في تلك المدة فإن الاشياء تجر إلى اشكالها وشهور السنة المحرم سمي بذلك لتحريم القتال فيه وصفر سمي بذلك لأن مكة تصفر من الناس فيه اي تخلو وقيل لأنه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لأنه صفرت فيه اوطابهم عن اللبن وشهرا ربيع سميا بذلك لإنبات الأرض وإمراعها فيها وقيل لارتباع القوم اي إقامتهم وجماديان سميتا بذلك لجمود الماء فيها ورجب سمي بذلك لأنهم كانوا يرجبونه اي يعظمونه يقال رجبته ورجبته بالتخفيف والتشديد قال الكميت

ولا غيرهم ابغي لنفسي جنة ولا غيرهم ممن أجل وأرجب

وقيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل ارجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبي

ﷺ انه قال ان في الجنة نهراً يقال له رجب ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب شرب منه وشعبان سمي بذلك لتشعب القبائل فيه عن ابي عمرو وروى زياد بن ميمون ان النبي ﷺ قال إنما سمي شعبان لأنه يشعب فيه خير كثير لرمضان وشهر رمضان سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب وقيل سمي بذلك لشدة الحر وقيل ان رمضان من اسماء الله وشوال سمي بذلك لأن القبائل كانت تشول فيه اي تبرح عن أمكنتها وقيل لشولان النوق اذنابها فيه وذو القعدة سمي بذلك لقعودهم فيه عن القتال وذو الحجة لقضاء الحج فيه (ذلك الدين القيم) اي ذلك الحساب المستقيم الصحيح لاما كانت العرب تفعله من النسيء ومنه قوله الكيس من دان نفسه اي حاسبها وسمي الحساب دينا لوجوب الدوام عليه ولزومه كلزوم الدين والعبادة وقيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن الكلبي وقيل معناه ذلك الدين تعبد به فهو اللازم (فلا تظلموا فيهن) اي في هذه الشهور كلها عن ابن عباس وقيل في هذه الاشهر الحرم الأربعة عن قتادة واختاره الفراء قال لأنه لو أراد الأثني عشر شهراً لقال فيها (انفسكم) بترك أوامر الله وارتكاب نواهيه وإذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهيا عن الظلم في جميع العمر وإذا عاد الى الاشهر الحرم ففائدة التخصيص ان الطاعة فيها أعظم ثوابا والمعصية اعظم عقابا وذلك حكم الله في جميع الاوقات الشريفة والبقاع المقدسة (وقاتلوا المشركين كافة) اي قاتلوهم جميعاً مؤتلفين غير مختلفين (كما يقاتلونكم كافة) أي جميعاً كذلك فتكون كافة حالا عن المسلمين ويجوز ان تكون حالا من المشركين اي قاتلوا المشركين جميعاً ولا تمسكوا منهم بعهد ولا ذمة إلا من كان من أهل الجزية واعطاها عن صغار والظاهر هو الأول وقيل معناه قاتلوهم خلفاً بعد سلف كما انه يخلف بعضهم بعضاً في قتالكم عن الأمم (واعلموا ان الله مع المتقين) بالنصرة والولاية وفي هذه الآية دلالة على أن الاعتبار في السنين بالشهور القمرية لا بالشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة ولسهولة معرفة ذلك على الخاص والعام

قوله تعالى (٣٧) إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر النسيّ بالتشديد من غير همز وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام والزهري النسي مخففا في وزن الهدى بغير همز وروي مثل ذلك ايضا عن شبل عن ابن كثير والباقون النسيء بالمد والهمز وقرأ يضل بضم الياء وفتح الضاد اهل الكوفة غير ابي بكر وقرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد ابو قتيبة وفيه من طريق ابن مقسم عن ابي عمرو ورويس عن يعقوب والباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد

— الحجة —

قال ابو علي النسيء مصدر كالنذير والنكير وعذير الحي ولا يجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كما قاله بعض الناس لأنه ان حمل على ذلك كان معناه إنما المؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر وإنما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فأما نفس الشهر فلا واما ما روي من النسي بالياء فذلك يكون على ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة في التأخير كما إن ارجيت لغة في ارجأت وما روي من النسيّ بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب في النسي بالياء لأن النسيّ بتشديد الياء على وزن فعيل تخفيف قياسي كما ان مقروة في مقروءة تخفيف قياسي وليس

النسيء كذلك وذكر ابن جني فيه ثلاثة اوجه * احدها * ان يكون اراد النسيء ثم خفف بأن ابدلت الهمزة ياء كما قال الشاعر «اهي التراب فوقه اهبابا» اراد اهباء * والثاني * ان يكون فعلا من نسيت لأن الشيء اذا أخر فكأنه نسي * والثالث * وفيه الصنعة ان يكون اراد النسيء على فعيل ثم خفف وادغم فصار النسي ثم قصر فعيلا بحذف يائه فصار نسي ثم اسكن عين فعل فصار نسي كما قيل في سميح سمح وفي رطيب رطب وفي جديب جدب فأما قوله يضل فليس في يضل اشكال ولا في يضل لأن المضل لغيره ضال بفعله اضلال غيره فأما يضل فالمعنى فيه ان كبراءهم واشرافهم يضلونهم بحملهم على هذا التأخير في الشهور وقرئ في الشواذ يضل بفتح الياء والضاد وهذه لغة اعني ضللت أضل

* اللغة *

قال ابو زيد نسأت الإبل في ظمئها يوماً او يومين او اكثر من ذلك والمصدر النسيء ويقال نسأت الإبل عن الحوض انساها انساء اذا اخرتها عنه والمواطأة الموافقة يقال واطأ في الشعر إذا قال بيتين على قافية واحدة وأوطأ مثله

— المعنى —

لما قدم سبحانه ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسيء فقال (إنما النسيء زيادة في الكفر) يعني تأخير الاشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الاربعة وذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم واسماعيل وهم كانوا اصحاب غارات وحروب فربما كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لايغزون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يزول التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله زيادة في الكفر انهم كانوا أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله قال الفراء والذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول انا الذي لا اعاب ولا أخاب ولا يرد لي قضاء فيقولون نعم صدقت انسئنا شهراً او أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر وأحل المحرم فيفعل ذلك والذي كان ينسأها حين جاء الإسلام جنادة بن عوف بن أمية الكناني قال ابن عباس وأول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف وقال ابو مسلم بن اسلم بل رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان يقول اني قد نسأت المحرم العام وهما العام صفران فإذا كان العام القابل قضينا فجعلناها محرمين قال شاعرهم « ومنا ناسيء الشهر القلمس » وقال الكميت

ونحن الناسون على معد ... شهور الحل نجعلها حراما

وقال مجاهد كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العام القابل حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة فذلك حين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر في خطبته إلا وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعده وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان أراد عليه السلام الاشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النسيء (يضل به الذين كفروا) اي يضل بهذا النسيء الذين كفروا ومن قرأ بضم الياء فمعناه يضلون به غيرهم واضلالهم انهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الاشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها واوجب الحج في بعضها فيستحلون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه ويوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه وجوزوا ذلك عليهم حتى ضلوا باتباعهم (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) اي يجعلون الشهر الحرام حلالا اذا احتاجوا الى القتال فيه ويجعلون الشهر الحلال حراما ويقولون شهر بشهر وإذا لم يحتاجوا إلى القتال لم يفعلوا ذلك (ليواطئوا عدة ما حرم الله) معناه انهم لم يحلوا شهراً من الحرم إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال

ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهرا من الحرم ليكون موافقه في العدد وذلك المواطأة (زين لهم سوء اعمالهم) اي زينت لهم انفسهم او زين لهم الشيطان سوء اعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنوا ذلك بهواهم (والله لا يهدي القوم الكافرين) مر تفسيره

قوله تعالى (٣٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٩) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيتان

اللغة

النفر الخروج إلى الشيء لأمر هيج عليه ومنه نفور الدابة يقال نفرت الدابة نفورا ونفر إلى الثغر نفرا ونفيرا والتثاقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله التباطؤ ضده التسرع والمتاع الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه قولهم تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء التي لها اثمان متاع تشبيها به والاستبدال جعل احد الشيئين بدل الآخر مع الطلب له

الإعراب

اثاقلتم افاعلتم وأصله تفاعلتم ادغمت التاء في الثاء لمناسبتها لها ثم أدخلت الف الوصل ليمكن الابتداء بها ومثله اداركوا واتابع في قول الشاعر

تولى الضجيع إذا ما استاقها خصرا عذب المضاق إذا ما اتابع القبل

النزول

قالوا لما رجع رسول الله ﷺ من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك الثمار فأحبوا المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج إلى القتال وكان (ع) قلما خرج في غزوة إلا كنى عنها وورى بغيرها إلا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو ليتأهب الناس فأخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه تثاقل الناس أنزل الآية

المعنى

ثم عاتب سبحانه المؤمنين في التثاقل عن الجهاد فقال (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم) أي إذا دعاكم رسول الله ﷺ وقال لكم (انفروا في سبيل الله) أي اخرجوا إلى مجاهدة المشركين وهو ههنا غزوة تبوك عن الحسن ومجاهد (اثاقلتم إلى الأرض) أي تثاقلتم وملتم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها قال الجبائي هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لأن جميعهم لم يتثاقلوا عن الجهاد فهو عموم أريد به الخصوص بدليل (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) هذا استفهام يراد به الانكار ومعناه آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة في الآخرة الباقية في النعيم الدائم (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) أي فما فوائد الدنيا ومقاصدها في فوائد الآخرة ومقاصدها إلا قليل لانقطاع هذه ودوام تلك ثم عقبه سبحانه بالتهديد والوعيد فقال (إن لا تنفروا يعذبكم الله عذابا اليما) ومعناه ان لا تخرجوا إلى القتال الذي دعاكم اليه الرسول وتقعدوا عنه يعذبكم الله عذابا اليما مؤلما في الآخرة وقيل في الدنيا (ويستبدل) بكم (قوماً غيركم) لا يتخلفون عن الجهاد وقيل هم أبناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل هم أهل اليمن عن ابي روق وقيل هم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية عن

الجبائي (ولا تضروه شيئاً) أي ولا تضروا الله بهذا القعود شيئاً لأنه غني لنفسه لا يحتاج إلى شيء عن الحسن وابي علي وقيل معناه ولا تضروا الرسول شيئاً لأن الله عصمه من جميع الناس وينصره بالملائكة أو بقوم آخرين من المؤمنين (والله على كل شيء قدير) فهو القادر على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الأشياء قال الزجاج وهذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد

قوله تعالى (٤٠) إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آية

القراءة

قرأ يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والباقون بالرفع

الحجة

من نصب عطفه على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع استأنف وهو أبلغ لأنه يفيد ان كلمة الله هي العليا على كل حال

الاعراب

ثاني اثنين نصب على الحال وللعرب في هذا مذهبان ﴿ احدهما ﴾ قولهم هذا ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وخامس خمسة أي احد اثنين واحد ثلاثة واحد اربعة واحد خمسة ﴿ والآخر ﴾ قولهم ثالث اثنين وخامس اربعة بمعنى انه ثلث اثنين وخمس اربعة فالاول اضافة حقيقية محضة والثاني اضافة غير محضة اذ هو في تقدير الانفصال إذ هما في الغار بدل من قوله إذ اخرجه الذين كفروا وضع احد الزمانين في موضع الآخر لتقاربهما

— المعنى —

ثم اعلمهم الله سبحانه انهم ان تركوا نصرة رسوله لم يضره ذلك شيئاً كما لم يضره قلة ناصريه حين كان بمكة وهمّ به الكفار فتولى الله نصره فقال (الا تنصروه فقد نصره الله) معناه ان لم تنصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قتال العدو فقد فعل الله به النصر (إذ اخرجه الذين كفروا) من مكة فخرج يريد المدينة (ثاني اثنين) يعني انه كان هو وابو بكر (إذ هما في الغار) ليس معهما ثالث اي وهو احد اثنين ومعناه فقد نصره الله منفرداً من كل شيء إلا من ابي بكر والغار الثقب العظيم في الجبل وأراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة (إذ يقول لصاحبه) اي اذ يقول الرسول لأبي بكر (لا تحزن) اي لا تخف (ان الله معنا) يريد انه مطلع علينا عالم بحالنا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر الغار أرسل الله زوجاً من حمام حتى باضا في اسفل الثقب والعنكبوت حتى تنسج بيتاً فلما جاء سراقة بن مالك في طلبهما فرأى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله أحد لانكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اعم ابصارهم فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار وقال ابو بكر لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا وروى علي بن ابراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له ابو كرز فما زال يقفو اثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف بهم باب الغار فقال لهم هذه قدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي والله اخت القدم التي في المقام وقال هذه قدم ابي قحافة اوابنه وقال ما جازوا هذا المكان اما ان يكونوا قد صعدوا في السماء او دخلوا في الأرض وجاء فارس من الملائكة في صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم اطلبوه في هذه الشعاب فليس ههنا وكانت العنكبوت نسجت على باب الغار ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقال ابو بكر قد أبصرونا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم لو ابصرونا ما استقبلونا بعوراتهم (فأنزل الله سكينته

عليه) يعني على محمد ﷺ اي القى في قلبه ما سكن به وعلم انهم غير واصلين اليه عن الزجاج (وأيده) أي قواه ونصره (بجنود لم تروها) أي بملائكة يضربون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه عن الزجاج وقيل معناه قواه بملائكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه واعانه بالملائكة يوم بدر واخبر الله سبحانه انه صرف عنه كيد اعدائه وهو في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكلبي وقال بعضهم يجوز ان تكون الهاء التي في عليه راجعة إلى ابي بكر وهذا بعيد لأن الضمائر قبل هذا أو بعده تعود الى النبي ﷺ بلا خلاف وذلك في قوله الا تنصروه فقد نصره الله وفي قوله اذ اخرجه وقوله لصاحبه وقوله فيما بعده وايده فكيف يتخللها ضمير عائد الى غيره هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال في سورة الفتح فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي ﷺ في هذه الآية بالسكينة كلاماً رأينا الاضراب عن ذكره أحرى لئلا ينسبنا ناسب الى شيء (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) معناه ان الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنية واراد به انه سفل وعيدهم للنبي ﷺ وتخويفهم اياه وأبطله بأن نصره عليهم فعبر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم السفلى لا انه خلق كلمتهم (وكلمة الله هي العليا) اي هي المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل لأنها لا يجوز ان تدعو الى خلاف الحكمة وقيل ان كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هي كلمة التوحيد وهي قوله لا إله إلا الله فمعناه جعل كلمة الكفار السفلى بأن جعلهم أذلة أسفلين واعلى كلمة الله بأن أعز الإسلام والمسلمين (والله عزيز) في انتقامه من اهل الشرك (حكيم) في تدبيره

قوله تعالى (٤١) انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٣) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ثلاث آيات

القراءة

في الشواذ قراءة الاعمش لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه في أوائل سورة البقرة

اللغة

القاصد السهل المقصد عن غير طول لأنه ما يقصد لسهولته وسمي العدل قصداً لأنه ماينبغي ان يقصد والشقة القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل ان يكون من الشق الذي هو الناحية من الجبل ويحتمل ان يكون من المشقة والشقة السفر والمسافة وقريش يضمون الشين وقيس يكسرونها وقريش يضمون العين من بعدت وقيس يكسرونها

— المعنى —

ثم امر الله سبحانه بالجهاد وبين تأكيد وجوبه على العباد فقال (انفروا) أي اخرجوا إلى الغزو (خفافاً وثقالا) اي شبانا وشيوخاً عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطاً وغير نشاط عن ابن عباس وقتادة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل اغنياء وفقراء عن ابي صالح وقيل اراد بالخفاف اهل العسرة من المال وقلة العيال وبالثقال اهل الميسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل معناه ركبانا ومشاة عن ابي عمرو وعطية العوفي وقيل ذا صنعة وغير ذي صنعة عن ابن زيد وقيل عزاباً ومتأهلين عن يمان والوجه ان يحمل على الجميع فيقال

معناه اخرجوا الى الجهاد خف عليكم او شق على أي حالة كنتم لأن احوال الإنسان لاتخلو من أحدهذه الأشياء (وجاهدوابأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) وهذا يدل على ان الجهاد بالنفس والمال واجب على من استطاع بهما ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع (ذلكم خير لكم) معناه ان الخروج والجهاد بالنفس والمال خير لكم من التثاقل وترك الجهاد الى مباح (ان كنتم تعلمون) ان الله عز اسمه صادق في وعده ووعيده وقيل معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لو كان عرضا قريبا) معناه لو كان ما دعوتهم اليه غنيمة حاضرة (وسفراً قاصدا) اي قريبا هينا وقيل قاصداً اي ذا قصد نحو تامر ولابن عن المبرد وقيل سهلا متوسطا غير شاق (لاتبعوك) طمعا في المال (ولكن بعدت عليهم الشقة) اي المسافة يعني غزوة تبوك أمروا فيها بالخروج الى الشام (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) معناه ان هؤلاء سيعتذرون اليك في قعودهم عن الجهاد ويحلفون لو استطعنا وقدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر سبحانه انهم (يهلكون أنفسهم) بما اسروه من الشرك وقيل باليمين الكاذبة والعذر الباطل لما يستحقون عليها من العقاب (والله يعلم انهم لكاذبون) في هذا الاعتذار والحلف وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اذ أخبر أنهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما اخبر به وفيه أيضا دلالة واضحة على أن القدرة قبل الفعل لأن هؤلاء لا يخلو اما ان يكونوا مستطيعين من الخروج قادرين عليه ولم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا لو انهم قدروا في المستقبل لخرجوا فإن كان الأول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كان الثاني فقد كذبهم الله تعالى في ذلك وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك أيضاً وجوب تقدم القدرة على المقدور فإن حملوا الاستطاعة على وجود الآلة وعدة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فإن حقيقة الاستطاعة القدرة على انه لو كان عدم الآلة والعدة عذراً في التأخر فعدم القدرة اصلا أحرى وأولى أن يكون عذراً فيه ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما فيه بعض العتاب في اذنه لمن استأذنه في التأخر عن الخروج معه إلى تبوك فقال (عفا الله عنك لم اذنت لهم) في التخلف عنك قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون وهذا من لطيف المعاتبة بدأه بالعفو قبل العتاب وهل كان هذا الاذن قبيحا ام لا قال الجبائي كان قبيحا ووقع صغيراً لأنه لا يقال في المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لأنه يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب اخا له لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه وان كان يجوز له معاتبته بما يشق عليه وكيف يكون اذنه لهم قبيحا وقد قال سبحانه في موضع آخر فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهؤلاء في الخروج لأنهم استأذنوا فيه تملقا ولو خرجوا لأرادوا الخبال والفساد ولم يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من سريرتهم عن ابي مسلم (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) أي حتى تعرف من له العذر منهم في التخلف ومن لا عذر له فيكون اذنك لمن أذنت له على علم قال ابن عباس وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعرف المنافقين يومئذ وقيل انه (ع) انما خيرهم بين الظعن والإقامة متوعداً لهم ولم يأذن فاغتنم القوم ذلك وفي هذا اخبار من الله سبحانه انه كان الاولى ان يلزمهم الخروج معه حتى إذا لم يخرجوا أظهر نفاقهم لأنه متى أذن لهم ثم تأخروا لم يعلم النفاق كان تأخرهم

أم لغيره وكان الذين استأذنوه منافقين ومنهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الأنصار

قوله تعالى (٤٤) لَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ (٤٥) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (آيتان)

المعنى

ثم بين سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان فقال (لا يستأذنك) أي لا يطلب منك الاذن في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقيل معناه لا يستأذنك في الخروج لأنه مستغن عنه بدعائك إلى ذلك بل يتأهب له عن ابي مسلم (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) والمعنى في ان يجاهدوا فحذف في فافضى الفعل (والله عليم بالمتقين) قال ابن عباس هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين في قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه والمعنى أنه لم يخرجهم من صفة المتقين إلا لأنه علم انهم ليسوا منهم (إنما يستأذنك) في التأخر عن الجهاد والتخلف عن القتال معك وقيل في الخروج لأن المنافق انما يستأذنك في الخروج تملقا ولا يتأهب كما يتأهب المؤمنون عن ابي مسلم (الذين لا يؤمنون بالله) أي لا يصدقون به (واليوم الآخر) يعني بالبعث والنشور (وارتابت قلوبهم) اي اضطربت وشكت (فهم في ريبهم يترددون) فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرات متقاربة مثل التحير وأراد به المنافقين أي يتوقعون الاذن لشكهم في دين الله وفيما وعد المجاهدين ولو انهم كانوا مخلصين لوثقوا بالنصر وبثواب الله فبادروا إلى الجهاد ولم يستأذنوك فيه

قوله تعالى (٤٦) وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَاعِدِينَ (٤٧) لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ (٤٨) لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (ثلاث آيات)

اللغة

العدة والاهبة والآلة نظائر والانبعاث الانطلاق بسرعة في الأمر وفلان لا ينبعث في الحاجة اي ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه ومثله التربيث والخبال الفساد والخبال الموت والخبال الاضطراب في الرأي والخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والخبل فساد الأعضاء قال

إبني لبيني لستمُ بيد ... إلا يداً مخبولة العضد

والإيضاع الإسراع في السير قال امرؤ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

وربما قالوا للركب وضع بغير الف ووضعت الناقة تضع وضعاً ووضوعا واوضعتها ايضاعا قال

يا ليتني فيها جذع ... اخب فيها وأضع

خلالكم اي بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث تراصوا بين الصفوف لا يتخللكم الشياطين كأنها نبات حذف والتقليب تصريف الشيء بجعل اعلاه اسفله ورجل حوّل قلب كأنه يقلب الآراء في الامور ويحولها

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال (ولو أرادوا الخروج) مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصرة له او رغبة في جهاد الكفار كما أراد المؤمنون ذلك (لأعدوا له عدة) اي لاستعدوا للخروج عدة وهي ما يعد لأمر يحدث قبل وقوعه والمراد لأخذوا اهبة الحرب من الكراع والسلاح لأن إمارة من أراد أمراً ان يتأهب له قبل حدوثه (ولكن كره الله انبعاثهم) معناه ولكن كره الله خروجهم الي الغزو لعلمه انهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنميمة بين المسلمين وكانوا عيونا للمشركين وكان الضرر في خروجهم اكثر من الفائدة (فثبطهم) عن الخروج الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي أمرهم به لأن الأول كفر والثاني طاعة ولا ينبغي ان يقال كيف كره انبعاثهم بعد ما امر به في الآية الأولى لأنه انما أمر بذلك على وجه الذب عن الدين ونية الجهاد وكره ذلك على نية التضريب والفساد فقد كره غير ما أمر به ومعنى ثبطهم بطأبهم وخذلهم لما يعلم منهم من الفساد (وقيل اقعدوا مع القاعدين) اي وقيل لهم اقعدوا مع النساء والصبيان ويحتمل ان يكون القائلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للجهاد ويحتمل ان يكون ذلك من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الاذن ويجوز ان يكون ايضا على وجه الاذن لهم في القعود الذي عاتبه الله تعالى عليه اذ كان الأولى ان لا يأذن لهم ليظهر للناس نفاقهم قال ابو مسلم هذا يدل على ان الاستئذان كان في الخروج وان الأذن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم كان في الخروج لأنه اذا كره الله سبحانه خروجهم وأراد قعودهم واذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قعودهم فلا عتب عليه ولكنهم استأذنوا في الخروج تملقا وارادة للفساد فأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم فيه ولم يعلم ضمائرهم فعلم الله تعالى ذلك من نياتهم ومنعهم من الخروج اذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهية انبعاثهم وتثبيطهم عن الخروج فقال (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الي الجهاد ما زادوكم بخروجهم الا شرا وفسادا وقيل غدرا ومكرا عن الضحاك وقيل يريد عجزاً وجبنا عن ابن عباس اي انهم كانوا يجبنونكم عن لقاء العدو بتهويل الامر عليكم (ولأوضعوا خلالكم) اي لأسرعوا في الدخول بينكم بالتضريب والافساد والنميمة يريد ولسعوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون تقديره ولأعدوا الإبل وسطكم وقيل معناه لا وضعوا ابلهم خلالكم يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا ينبغي (يبغونكم الفتنة) بعدوا الابل وسطكم ومعنى يبغونكم يبغون لكم اوفيكم اي يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة وقيل معناه يبغونكم ان تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم انكم منهزمون وان عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك (وفيكم سماعون لهم) اي وفيكم عيون المنافقين ينقلون اليهم مايسمعون منكم عن مجاهد وابن زيد وقيل معناه وفيكم قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعفة المسلمين عن قتادة وابن اسحاق وجماعة (والله عليم بالظالمين) أي بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا انفسهم لما أضمروا عليه من الفساد منهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واوس بن قبطي ثم اقسم الله سبحانه فقال (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) الفتنة اسم يقع على كل سوء وشر والمعنى لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كلمتكم

وتشتيت اهوائكم وافتراق آرائكم من قبل غزوة تبوك اسے في يوم أحد حين انصرف عبد الله بن ابيّ باصحابه وخذل النبي ﷺ فصرف الله سبحانه عن المسلمين فتنتهم وقيل أراد بالفتنة صرف الناس عن الايمان والقاء الشبهة الى ضعفاء المسلمين عن الحسن وقيل أراد بالفتنة الفتك بالنبي ﷺ في غزوة تبوك ليلة العقبة وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على الثنية ليفتكوا بالنبي ﷺ عن سعيد بن جبير وابن جريج (وقلبوا لك الامور) أي احتالوا في توهين أمرك وايقاع الاختلاف بين المؤمنين وفي قتلك بكل ما امكنهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون في كيده وجها من التدبير فإذا لم يتم ذلك فيه تركوه وطلبوا المكيدة في غيره فهذا تقليب الأمور عن ابي مسلم (حتى جاء الحق) معناه حتى جاء النصر والظفر الذي وعده الله به (وظهر أمر الله) اي دينه وهو الإسلام على الكفار على رغمهم (وهم كارهون) اي في حال كراهيتهم لذلك فهي جملة في موضع الحال

قوله تعالى (٤٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٠) إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥١) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (اربع آيات)

القراءة

القراءة المشهورة لن يصيبنا وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود

النزول

قيل ان رسول الله ﷺ لما استنفر الناس الى تبوك قال انفروا لعلكم تغنمون بنات الاصفر فقام جد ابن قيس أخو بني سلمة بن بني الخزرج فقال يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني ببنات الاصفر فاني أخاف ان افتتن بهن فقال قد اذنت لك فأنزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي الآيات عن ابن عباس ومجاهد فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال عليه السلام وأي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد بشر بن البراء بن المعرور فقال في ذلك حسان بن ثابت

وقال رسول الله والقول لاحق ... بمن قال منا من تعدون سيدا
فقلنا له جد بن قيس على الذي ... نبخله فينا وان كان انكدا
فقال واي الداء ادوى من الذي ... رميتم به جدا وان كان امجدا
وسوّد بشر بن البراء لجوده ... وحق لبشر ذي الندا ان يسودا
اذا ما أتاه الوفد انهب ماله ... وقال خذوه انه عائد غدا

— المعنى —

(ومنهم) اي ومن المنافقين (من يقول ائذن لي) في القعود عن الجهاد (ولا تفتني) ببنات الاصفر

عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم أصفر لأن حبشيا غلب على ناحية الروم وكان له بنات قد أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفراً لعسا وقيل معناه لا تؤثمني اي لا توقعني في الاثم بالعصيان لمخالفة أمرك بالخروج الى الجهاد وذلك غير متيسر لي عن الحسن وقتادة والجبائي والزجاج (الا في الفتنة سقطوا) معناه الا في العصيان والكفر وقعوا بمخالفتهم أمرك في الخروج والجهاد وقيل معناه لا تعذبني بتكليف الخروج في شدة الحر الا قد سقطوا في حر اعظم من ذلك وهو حر نار جهنم عن ابي مسلم ويدل عليه قوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) اي ستحيط بهم فلا مخلص لهم منها (ان تصبك حسنة تسوءهم) هذا خطاب من الله سبحانه للنبي ﷺ ومعناه ان تنلك نعمة من الله وفتح وغنيمة يحزن المنافقون (وان تصبك مصيبة) معناه وان تصبك شدة ونكبة وآفة في النفس او المال (يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل) اي أخذنا حذرنا واحترزنا بالقعود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد ومعناه أخذنا أمرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه (ويتولوا وهم فرحون) اي رجعوا الى بيوتهم فرحين بما أصاب المؤمنين من الشدة (قل) يا محمد لهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اي كل مايصيبنا من خير اوشر فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من امرنا وليس على ما يظنون ويتوهمون من اهمالنا من غير ان يرجع أمرنا الى تدبير عن الحسن وقيل معناه لن يصيبنا في عاقبة امرنا الا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدناوانا نظفر بالاعداء فتكون النصرة حسنى لنا اونقتل فتكون الشهادة حسنى لنا ايضا اي فقد كتب الله لنا ما يصيبنا وعلمنا ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج والجبائي (هو مولانا) اي هو مالكنا ونحن عبيده وقيل هو ولينا وناصرنا يحفظناوينصرنا ويتولى حياطتنا ودفع الضرر عنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بالتوكل عليه والرضا بتدبيره وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) معناه هل تنتظرون لنا الا احدى الخصلتين الحميدتين والنعمتين العظيمتين إما الغلبة والغنيمة في العاجل وإما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وهل وان كان حرف الاستفهام فمعناه هنا التقريع بالتربص المؤدي صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه (ونحن نتربص بكم) اي ونحن نتوقع بكم (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا) اي يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به اوبأن ينصرناعليكم فيقتلكم بأيدينا (فتربصوا) صورته صورة الأمر والمراد به التهديد كقوله اعملوا ما شئتم لأنه لو كان امرا لهم لكانوا في تربصهم بالمؤمنين القتل مطيعين الله (انا معكم متربصون) اي منتظرون إما الشهادة والجنة وإما الغنيمة والاجر لنا وإما البقاء في الذل والخزي وإما الموت او القتل مع المصير الى النار لكم وهذه الآية تفسير لقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقيل معناه فتربصوا هلاكنا فإنا متربصون هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان في إبطال دين الله ونحن متربصون مواعيد الله في اظهار دينه ونصرة نبيه واستئصال مخالفيه

قوله تعالى (٥٣) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ

إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٥) فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ان يقبل بالياء والباقون بالتاء

الحجة

وجه القراءة بالتاء ان الفعل مسند إلى موءنث في اللفظ ووجه الياء ان التأنيث ليس بحقيقي فجاز ان يذكر كما جاء فمن جاءه موعظة

اللغة

الطوع الانقياد بإرادة لم يحمل عليها والكره فعل الشيء بكراهة حمل عليها والمنع امر يضاد الفعل وينافيه وهو على وجهين منع ان يفعل ومنع ان يفعل به فهوءلاء منعوا من ان يفعل بهم قبول نفقتهم والزهق الخروج بصعوبة وأصله الهلاك وكل هالك زاهق زهق يزهق زهوقاً والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن لأنه هالك بثقل بدنه في السير والكر والفر وزهق فلان بين ايدي القوم إذا ذهب سابقاً لهم حتى يهلك منهم والإعجاب السرور بما يتعجب منه يقال اعجبني حديثه اي سرني

الاعراب

انفقوا طوعا او كرها لفظ امر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى ان انفقتم طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كثير

اسيئي بنا او احسني لاملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

فلم يأمرها بالإساءة ولكن اعلمها ان اساءت أو أحسنت فهو على عهدها فكأنه قال ان أحسنت أو أسأت فلا تلامي قال الزجاج فإن قال قائل كيف يكون الأمر في معنى الخبر قيل له إذا كان في الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخبر في معنى الأمر والدعاء كقولك غفر الله لزيد ورحمه الله ومعناه اللهم اغفر له وارحمه وقوله ان تقبل في موضع نصب وتقديره من ان تقبل وانهم كفروا بالله في موضع رفع المعنى ما منعهم من قبول نفقاتهم إلا كفرهم ويجوز ان يكون التقدير وما منعهم الله منه إلا لأنهم كفروا

المعنى

ثم بين سبحانه ان هوءلاء المنافقين لا ينتفعون بما ينفقونه مع اقامتهم على الكفر فقال (قل) يا محمد لهوءلاء (انفقوا طوعا أو كرها) أي طائعين أو مكرهين (لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين) معناه وانما لم يتقبل منكم لأنكم كنتم متمردين عن طاعة الله والله سبحانه انما يتقبل من الموءمنين المخلصين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا انهم كفروا بالله وبرسوله) اي وما يمنع هوءلاء المنافقين ان يثابوا على نفقاتهم الا كفرهم بالله وبرسوله وذلك مما يحبط الاعمال ويمنع من استحقاق الثواب عليها (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) اي متثاقلين والمعنى لم يوءدوها على الوجه الذي أمروا ان يوءدوها على ذلك الوجه (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) لذلك لأنهم انما يصلون وينفقون للرياء والتستر بالإسلام لا لابتغاء مرضاة الله تعالى وفي هذا دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرائع لأنه سبحانه ذمهم على ترك الصلاة والزكاة ولولا وجوبهما عليهم لم يذموا بتركهما (فلا تعجبك

أموالهم ولا أولادهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المؤمنين وقيل يريد لا تعجبك أيها السامع اي لا يأخذ بقلبك ماتراه من كثرة أموال هؤلاء المنافقين وكثرة اولادهم ولاتنظر اليهم بعين الاعجاب (انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحياة الدنيا) قد ذكر في معناه وجوه ❊ احدها ❊ ان فيه تقديما وتأخيرا اي لا يسرك اموالهم واولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عن ابن عباس وقتادة فيكون الظرف على هذا متعلقا بأموالهم واولادهم ومثله قوله تعالى فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون والتقدير فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم ❊ وثانيها ❊ ان معناه انما يريد الله ان يعذبهم بهافي الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف وأمرهم بالإنفاق في الزكاة والغزو فيؤدونها على كره منهم ومشقة اذ لايرجون به ثوابا في الآخرة فيكون ذلك عذابا لهم عن الحسن والبلخي ❊ وثالثها ❊ ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة بها عن ابن زيد ❊ ورابعها ❊ ان معناه انما يريدالله ليعذبهم بها في الدنيا اي بسبي الأولاد وغنيمة الاموال عند تمكن المؤمنين من اخذها وغنمها فيتحسرون عليها فيكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائي ❊ وخامسها ❊ ان المراد يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها وكل هذا عذاب وكذلك خروجهم عنها بالموت لأنهم يفارقونها ولا يدرون الى ماذا يصيرون واللام في قوله ليعذبهم يحتمل ان يكون بمعنى ان ويحتمل ان يكون لام العاقبة والتقدير انما يريد الله ان يملي لهم فيها ليعذبهم (وتزهق انفسهم) اي تهلك وتذهب بالموت (وهم كافرون) جملة في موضع الحال اي حال كونهم كافرين والارادة تعلقت بزهوق انفسهم لا بالكفر وهذا كما تقول اريد ان أضربه وهو عاص فالإرادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان

قوله تعالى ٥٦ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ٥٧ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ آيتان

❊ القراءة ❊

قرأ يعقوب وسهل اومدخلا بفتح الميم وسكون الدال وهو قراءة ابن ابي اسحاق والحسن والباقون مدخلا وفي الشواذ قراءة مسلمة بن محارب ومدخلا بضم الميم وسكون الدال وقراءة الاعرج مدخلا بتشديد الدال والخاء وقراءة أنس وهم يجمزون رواه الاعمش عنه

=(الحجة)=

أما قوله مدخلا في القراءة المشهورة فأصله مدتخلا لكن التاء تبدل بعد الدال دالا لأن التاء مهموسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف ومن قرأ مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قرأ مدخلا فهو من ادخلته مدخلا قال

الحمد لله ممسينا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا

ومن قرأ مدخلا بتشديد الدال والخاء جعله متدخلا ثم ادغم التاء في الدال و في رواية الاعمش انه سمع انسا يقرأ يجمزون فقال وما يجمزون قال يجمزون ويجمحون ويشتدون واحد

=(اللغة)=

الفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر وأصله من مفارقة الاموال حال الانزعاج والملجأ الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل والمعتصم والمعتمد والمغارات جمع مغارة مفعلة من غار الشيء في الشيء يغور إذا دخل منه في موضع يستره والغار النقب في الجبل والمدخل المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه وهو مفتعل والجماح مضي المار مسرعا على وجهه لا يرده شيء عنه وقيل هو المشي بين الشيئين قال مهلهل

لقد جمحت جماحا في دمائهم حتى رأيت ذوي احسابهم خمدوا

والجموح الراكب هواه قال

خلعت عذاري جامحا ما يردني عن البيض امثال الدمى زجر زاجر

المعنى

ثم اظهر سبحانه سرا من اسرار القوم فقال (ويحلفون بالله انهم لمنكم) اي يقسم هؤلاء المنافقون انهم لمن جملتكم أيها المؤمنون اي مؤمنون امثالكم (وما هم منكم) اي ليسوا مؤمنين بالله كما انتم كذلك (ولكنهم قوم يفرقون) اي يخافون القتل والاسر إن لم يظهروا الايمان (لو يجدون ملجأ) اي لو يجد هؤلاء المنافقون حرزا عن ابن عباس وقيل حصنا عن قتادة (او مغارات) اي غيرانا في الجبال عن ابن عباس وقيل سراديب عن عطا (او مدخلا) اي موضع دخول يأوون اليه عن الضحاك وقيل نفقا كنفق اليربوع عن ابن زيد وقيل اسرابا في الارض عن ابن عباس وابي جعفر (ع) وقيل وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ عن الحسن (لولوا اليه) اي لعدلوا اليه وقيل لأعرضوا عنكم اليه (وهم يجمحون) اي يسرعون في الذهاب اليه ومعنى الآية انهم من خبث دخلتهم وسوء سريرتهم وحرصهم على اظهار ما في نفوسهم من النفاق والكفر لو أصابوا شيئا من هذه الأشياء لآووا اليه ليجاهروا بما يضمرونه واعرضوا عنك

قوله تعالى (٥٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ آيتان

القراءة

قرأ يعقوب يلمزك بضم الميم وهي قراءة الحسن والاعرج والباقون بكسر الميم

اللغة

يقال لمزت الرجل المزه والمزه اذا عبته وكذلك همزته قال الشاعر

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة وإن تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل الهمز العيب بكسر العين وغمزها اي بكسر عينه إذا غاب واللمز العيب على وجه المسارة وقيل لأعرابي أتهمز الفارة قال الهر يهمزها فأوقع الهمز على الأكل والهمز كاللمز

النزول

عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسما وقال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم حنين اذ جاءه ابن ابي ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه فقال النبي ﷺ دعه فإن له اصحابا يحتقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل اسود في احدى ثدييه او قال في احدى يديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة تدردر يخرجون على فترة من الناس وفي حديث آخر فإذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم فنزلت ومنهم من يلمزك الآية قال ابو سعيد الخدري أشهد اني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد ان عليا (ع) حين قتلهم وانا معه جيء بالرجل على

النعت الذي نعته رسول الله ﷺ رواه الثعلبي بأسناده في تفسيره وقال الكلبي نزلت في المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون قال رجل منهم يقال له ابن الجواظ لم يقسم بالسوية فأنزل الله الآية وقال الحسن أتاه رجل وهو يقسم فقال الست تزعم ان الله تعالى أمرك ان تضع الصدقات في الفقراء والمساكين قال بلى قال فما لك تضعها في رعاة الغنم قال ان نبي الله موسى(ع) كان راعي غنم فلما ولى الرجل قال عليه السلام احذروا هذا وقال ابن زيد قال المنافقون ما يعطيها محمد إلا من لحب ولا يوثر بها الا هواه فنزلت الآية

= « المعنى » =

ثم اخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) اي ومن هؤلاء المنافقين (من يلمزك في الصدقات) اي يعيبك ويطعن عليك في امر الصدقات (فإن اعطوا منها) اي من تلك الصدقات (رضوا) وأقروا بالعدل (وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) اي يغضبون ويعيبون وقال ابو عبد الله (ع) اهل هذه الآية اكثر من ثلثي الناس (ولو انهم رضوا ما أتاهم الله ورسوله) معناه ولو ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات وعابوك بها رضوا بما اعطاهم الله ورسوله (وقالوا) مع ذلك (حسبنا الله) اي كفانا الله او كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) اي سيعطينا الله من فضله وانعامه ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالوا (انا إلى الله راغبون) في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن أموال الناس وقيل يعني راغبون اليه فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب وجواب لو محذوف وتقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم وحذف الجواب في مثل هذا الموضع ابلغ على ما تقدم بيانه

قوله تعالى (٦٠) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آية

الإعراب

قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لأن قوله إنما الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء

المعنى

ثم بين سبحانه لمن الصدقات فقال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ومعناه ليست الصدقات التي هي زكاة الاموال الا لهؤلاء واختلف في الفرق بين الفقير والمسكين على قولين احدهما انهما صنف واحد وإنما ذكر الصنفان تأكيدا للأمر وهو قول ابي علي الجبائي واليه ذهب ابو يوسف ومحمد فقالا فيمن قال ثلث مالي للفقراء والمساكين وفلان ان لفلان نصف الثلث ونصفه الآخر للفقراء والمساكين لأنهما صنف واحد والآخر وهو قول الأكثرين انهما صنفان وهو قول الشافعي وابي حنيفة فإنه قال في المسألة المذكورة ان لفلان ثلث الثلث وثلثي الثلث للفقراء والمساكين ثم اختلف هؤلاء على اقوال فقيل ان الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل عن ابن عباس والحسن والزهري ومجاهد ذهبوا إلى أن المسكين مشتق من المسكنة بالمسألة وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وقيل ان الفقير الذي يسأل والمسكين الذي لا يسأل وجاء في الحديث ما يدل على ذلك فقد روي عن النبي ﷺ انه قال ليس المسكين الذي يرده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنيا فيغنيه ولا يسأل الناس شيئا ولا يفطن به فيتصدق عليه وقيل الفقير هو الزمن المحتاج والمسكين هو الصحيح المحتاج عن قتادة وقيل الفقراء المهاجرون والمساكين غير المهاجرين عن الضحاك وابراهيم ثم اختلفوا من وجه آخر فقيل ان الفقير اسوأ حالا من المسكين فإن الفقير هو الذي لا شيء له والمسكين الذي له بلغة من العيش لا تكفيه واليه ذهب الشافعي وابن الانباري واحتجا

بقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وبأن الفقير مشتق من فقار الظهر فكأن الحاجة قد كسرت فقار ظهره وقيل ان المسكين اسوأ حالا من الفقير فإن الفقير الذي له بلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وهو قول ابي حنيفة والقتيبي وابن دريد وأئمة اللغة وانشد يونس

أما الفقير الذي كانت حلوبته ... وفق العيال فلم يترك له سبد

فسماه فقيراً وجعل له حلوبة وأجابوا عن السفينة بأنها كانت مشتركة بين جماعة ولكل واحد منهم الشيء اليسير وايضا فإنه يجوز ان يكون سماهم مساكين على وجه الرحمة كما جاء في الحديث مساكين أهل النار وقال الشاعر

مساكين أهل الحب حتى قبورهم ... عليها تراب الذل بين المقابر

وقيل انهم كانوا يعملون عليها اجارة فأضيفت اليهم (والعاملين عليها) يعني سعاة الزكاة وجباتها (والمؤلفة قلوبهم) وكان هؤلاء قوما من الأشراف في زمن النبي ﷺ وكان يعطيهم سهامن الزكاة ليتألفهم به على الإسلام ويستعين بهم على قتال العدو ثم اختلف في هذا السهم هل هو ثابت بعد النبي ام لا فقيل هو ثابت في كل زمان عن الشافعي واختاره الجبائي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) إلا انه قال من شرطه ان يكون هناك إمام عادل يتألفهم على ذلك به وقيل ان ذلك كان خاصا على عهد رسول الله ﷺ ثم سقط بعده لأن الله سبحانه أعز الإسلام وقهر الشرك عن الحسن والشعبي وهو قول ابي حنيفة واصحابه (وفي الرقاب) يعني في فك الرقاب من العتق وأراد به المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشترى منه عبد مؤمن اذا كان في شدة ويعتق ويكون ولاؤه لأرباب الزكاة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك (والغارمين) وهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا اسراف يقضي عنهم الديون (وفي سبيل الله) وهو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطا وهو اختيار البلخي وجعفر بن مبشر قالوا ويبنى منه المساجد والقناطر وغير ذلك (وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع به يعطى من الزكاة وان كان غنيا في بلده ذا يسار وانما سمي ابن السبيل للزومه الطريق فنسب اليه كما قال الشاعر

انا ابن الحرب ربتني وليدا ... إلى ان شبت واكتهلت لداتي

وقيل هو الضيف عن قتادة (فريضة من الله) اي مقدرة واجبة قدرها الله وحتمها (والله عليم) بحاجة خلقه (حكيم) فيما فرض عليهم واوجب من اخراج الصدقات وغير ذلك

قوله تعالى (٦١) وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٢) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ

(ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم في رواية الاعمش والبرجمي عن ابي بكر قل اذن خير لكم بالضم والتنوين فيهما وهو قراءة الحسن وقتادة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرأ الباقون اذن خير لكم بالإضافة وقرأ نافع اذن خير ساكنة الذال في كل القرآن وقرأ حمزة وحده ورحمة للذين آمنوا بالجر والباقون ورحمة بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اذن في الآية اذا خففت او ثقلت فإنه يجوز ان يطلق على الجملة وان كانت عبارة عن جارحة منها كما قال الخليل في الناب من الإبل انه سميت به لمكان الناب البازل فسميت الجملة كلها به وقالوا للرئيس هو عين القوم وللربيئة هو عينهم ويجوز فيه شيء آخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير

تبدو فتبدي جمالا زانه خفر ... اذا تزاءت السود العناكيب

فأجرى العناكيب وصفا عليهن يريد انهن من الحقارة والدمامة كالعناكيب وقال آخر

فلولا الله والمهر المفدى ... لأبت وانت غربال الاهاب

فجعله غربالا لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن وكذلك قوله هو اذن اجرى على الجملة اسم الجارحة لما أراد به من كثرة استعماله لها في الإصغاء بها ويجوز ان يكون فعلا من اذن يأذن اذنا اذا استمع ومنه قوله تعالى وأذنت لربها اي استمعت وقوله ائذن لي اي استمع لي وفي الحديث ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن فعلى هذا يكون معناه انه كثير الاستماع مثل أنف وسجح قال ابو زيد رجل أذن اذا كان يصدق بكل ما يسمع وقوله اذن خير لكم بالاضافة وهو الاكثر في القراءة فمعناه انه اذن خير اي مستمع خير وصلاح لكم ومصغ اليه لا مستمع شر وفساد ومن قرأ اذن خير لكم قال الزجاج معناه من يستمع منكم فيكون قريبا منكم قابلا للعذر خير لكم قال ابو علي ومن رفع ورحمة كان المعنى هو اذن خير لكم ورحمة جعله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين ويجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر واما الجر في رحمة فعلى العطف على خير كأنه اذن خير ورحمة فإن قلت فيكون اذن رحمة فإن هذا لا يمتنع لأن الاذن في معنى مستمع في الأقوال الثلاثة التي تقدمت فكأنه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خير الا ترى ان الرحمة من الخير فإن قلت فهلا استغنى بشمول الخير للرحمة وغيرها عن تقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمتنع كما لا يمتنع اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم خص فقال خلق الإنسان وان كان قوله خلق يعم الإنسان وغيره فكذلك الرحمة إذا كانت من الخير لم يمتنع ان تعطف فتخصص الرحمة بالذكر من ضروب الخير لغلبة من ذلك في وصفه وكثرته كما خصص الإنسان بالذكر وان كان الخلق قد عمه وغيره والبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف الا ترى ان من قرأ وقيله يارب إنما يحمله على وعنده علم الساعة وعلم قيله

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين الأحق والأصلح ان الأحق قد يكون من غير صفات الفعل كقولك زيد احق بالمال والأصلح لا يقع هذا الموقع لأنه من صفات الفعل وتقول الله احق بأن يطاع ولا تقول اصلح والمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة وهي والمخالفة والمجانبة والمعاداة نظائر واصله المنع والمحادة ما يعتري الإنسان من

النزق لأنه يمنعه من الواجب والخزي الهوان وما يستحيي منه

﴿ الاعراب ﴾

اذن خير خبر مبتدأ محذوف ومن لم يضف جعل خيرا صفة لاذن واللام في قوله يؤمن للمؤمنين على حد اللام في قوله ردف لكم أو على المعنى لأن معنى يؤمن يصدق فعدى باللام كما عدى مصدقا به في نحو قوله مصدقا لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق وايمان الامان قوله فإن له نار جهنم يحتمل ان يكون العامل في ان احد أمرين اما ان يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم أو فبان له نار جهنم واما ان يكون اعاد ان الاولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج وأقول ان هذا على مذهب ابي الحسن وابي علي الفارسي يرتفع قوله ان له نار جهنم بظرف مضمر محذوف من هذا الموضع لطول الكلام وتقديره فله ان له نار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير فأمره أو وشأنه ان له نار جهنم ولا يجوز ان يرتفع بفعل مضمر لأن الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما يدخل الفاء في جواب الشرط إذا كان مبتدأ أو خبرا أو جملة فعلية غير خبرية نحو قوله فقولي اني نذرت هذا مذهب سيبويه قال الزجاج ولو قرئ فإن له بكسر الهمزة على وجه الاستئناف لكان جائزا فيكون كقولك فله نار جهنم غير انه لم يقرأ به أحد

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت في جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد وشاس بن قيس ومخشي بن حمير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال رجل منهم لا تفعلوا فإنا نخاف ان يبلغ محمدا ما تقولون فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فإن محمد اذن سامعة فأنزل الله الآية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا ادلم احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أراد ان ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحاق وغيره وقوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية قيل انها نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك اتوا المؤمنين يعتذرون اليهم من تخلفهم ويعتلون ويحلفون فنزلت الآية عن مقاتل والكلبي وقيل في جلاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر ابن قيس فقال والله إنما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامراً كذاب فنزلت الآية عن قتادة والسدي

﴿ المعنى ﴾

ثم رجع سبحانه إلى ذكر المنافقين فقال (ومنهم) أي ومن هؤلاء المنافقين (الذين يؤذون النبي) والأذى قد يكون بالفعل وقد يكون بالقول وهو هنا بالقول (ويقولون هو اذن) معناه انه يستمع الى ما يقال له ويصغي اليه ويقبله (قل) يا محمد (اذن خير لكم) اي هو اذن خير يستمع إلى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل معناه هو يسمع الخير ويعمل به ومن قرأ اذن خير لكم فمعناه قل كونه اذنا أصلح لكم لأنه

يقبل عذركم ويستمع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف تعيبونه بما هو خير لكم وأصلح (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) معناه انه لا يضره كونه اذنا فانه اذن خير فلا يقبل إلا الخبر الصادق من الله ويصدق المؤمنين ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فإيمانه للمؤمنين تصديقه لهم على هذا القول وقيل يؤمن للمؤمنين اي يؤمنهم فيما يلقى اليهم من الأمان ولا يؤمن المنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي وهو رحمة لهم لأنهم إنما نالوا الايمان بهدايته ودعائه اياهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) في الآخرة (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) اخبر سبحانه ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله ان الذي بلغكم عنهم باطل اعتذاراً اليكم وطلبا لمرضاتكم (والله ورسوله أحق ان يرضوه) اي والله ورسوله أحق وأولى بأن يطلبوا مرضاتهما (ان كانوا مؤمنين) مصدقين بالله مقرين بنبوة نبيه محمد ﷺ وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف

والمعنى نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين (ألم يعلموا) أي وما يعلموا (انه من يحادد الله ورسوله) اي من تجاوز حدود الله التي أمر المكلفين ألا يتجاوزوها وإنما قال ألم يعلموا لمن لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن عمله أي هلا علموا بعد ان مكنوا من عمله وقيل هو امر بالعلم اي يجب ان يعلموا بهذا الخبر وبالدلائل وقيل معناه ألم يخبرهم النبي ﷺ بذلك عن الجبائي (فإن له نار جهنم خالدا فيها) أي دائما (ذلك الخزي) أي الهوان والذل (العظيم).

قوله تعالى (٦٤) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٥) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٦) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ عاصم ان نعف ونعذب فيهما بالنون طائفة بالنصب وقرأ الباقون ان يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالتاء وضمها طائفة بالرفع

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قرأ ان يعف فالمعنى معنى نعف واما تعذب بالتاء فلأن الفعل في اللفظ مسند إلى مؤنث ظاهر

اللغة

الحذر اعداد ما ينفي الضرر ورجل حذر متيقظ متحرز ورجل حذريان كثير الحذر شديد الفزع والمنافق الذي يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من نافقاء اليربوع لأنه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون اذا

اتي من احدها خرج من الآخر والخوض دخول القدم فيا كان مائعا من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل في غيره واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتعجل اللذة كفعل الصبي ولذلك قالوا ملاعب الاسنة اي انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر والاجرام الانقطاع عن الحق إلى الباطل يقال جرم الثمر إذا صرمه وتجرمت السنة تصرمت

النزول

قيل نزلت في اثني عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وآله عند رجوعه من تبوك فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وامره ان يرسل اليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمار كان يقود دابة رسول الله صلى الله عليه وآله وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انه فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة ألا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم عن ابن كيسان وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) مثله الا انه قال ائتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فطن تقول انا كنا نخوض ونلعب وان لم يفطن نقتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب وحلفوا على ذلك فنزلت الآية ولئن سألتهم ليقولن «الخ» عن الحسن وقتادة وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك إلى المدينة وكان بين يديه أربعة نفر او ثلاثة يستهزؤن ويضحكون واحدهم يضحك ولا يتكلم فنزل جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فدعا عمار بن ياسر وقال ان هؤلاء يستهزؤن بي وبالقرآن اخبرني جبرائيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بحديث الركب فاتبعهم عمار وقال لهم مم تضحكون قالوا نتحدث بحديث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احترقتم احرقكم الله فأقبلوا إلى النبي صلى الله عليه وآله يعتذرون فأنزل الله تعالى الآيات عن الكلبي وعلي بن ابراهيم وابي حمزة وقيل ان رجلا قال في غزوة تبوك ما رأيت اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء يعني رسول الله واصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق واراد ان يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل معتذرا وقال انما كنا نخوض ونلعب ففيه نزلت الآية عن ابن عمر وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل أن رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت الآية عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ورهطه عن الضحاك

المعنى

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) فيه قولان **احدها** انه اخبار بأنهم يخافون ان يفشوا سرائرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين والمعنى انه يحذرون من ان ينزل الله عليهم اي على النبي والمؤمنين سورة تخبر عما في قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر انما اظهره على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لأنهم حين رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم لبعض أحذروا ألا ينزل

وحي فيكم يتناجون بذلك ويضحكون عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا يخافون ان يكون عليه السلام صادقا فينزل عليه الوحي فيفتضحون عن الجبائي وقيل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا عن مجاهد ﴿والثاني﴾ ان هذا اللفظ لفظه الخبر ومعناه الأمر فهو كقولك ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تخبرهم بما في قلوبهم من النفاق وحسن ذلك لأن موضع الكلام على التهديد (قل استهزءوا) معناه قل يا محمد لهؤلاء المنافقين استهزءوا اي أطلبوا الهزء وهو وعيد بلفظ الأمر (ان الله مخرج ما تحذرون) اي مظهر ما تحذرون من ظهوره والمعنى ان الله يبين لنبيه باطن حالكم ونفاقكم (ولئن سألتهم عن طعنهم في الدين واستهزائهم بالنبي ﷺ وبالمسلمين (ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) واللام للتأكيد والقسم ومعناه لقالوا كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجد ولكن على طريق اللعب واللهو فكان عذرهم أشد من جرمهم (قل) يا محمد (ابالله وآياته) اي حججه وبيناته وكتابه (ورسوله) محمد ﷺ (كنتم تستهزءون) ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقول لهؤلاء المنافقين (لا تعتذروا) بالمعاذير الكاذبة (قد كفرتم بعد ايمانكم) اي فإنكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن اظهره بأنه مؤمن ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدون على ما تقرر بالدليل وذكر في غير هذا الموضع ان المؤمن لا يجوز ان يكفر (ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) اي كافرين مصرين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا يعذب طائفة اخرى لم يتوبوا وأقاموا على النفاق والطائفة اسم للجماعة على الحقيقة لأنه اسم لما يطيف بغيره ويحيط به وقد سمي الواحد طائفة على معنى انها نفس طائفة وقد ورد القرآن بذلك في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين فقد ورد في الآثار عن أئمتنا (ع) ان أقل من يحضر عذابهما واحد من المؤمنين فصاعد وروي ان هاتين الطائفتين كانوا ثلاثة نفر فهذا اثنان وضحك واحد وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشي بن حمير فعفا الله عنه

قوله تعالى (٦٧) اَلْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٨) وَعَدَ اللّٰهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّٰهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٩) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٧٠) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ أربع آيات

﴿اللغة﴾

الاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المآكل والمشارب والمناكح والخلاق النصيب سواء

كان عاجلا أو آجلا وقال الزجاج النصيب الذي هو عند صاحبه وافر الحظ والمؤتفكات جمع مؤتفكة قد ائتفكت بهم الأرض اي انقلبت

= الإعراب =

موضع الكاف من قوله كالذين من قبلكم نصب اي وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم والكاف في قوله كما استمتع وكالذين خاضوا نصب بأنه صفة لمصدر محذوف وتقديره استمتعتم استمتاعا مثل استمتاعهم وخضتم خوضا مثل خوضهم قال جامع العلوم النحوي البصير كالذي خاضوا تقديره على قياس قول سيبويه كالذي خاضوا فيه فحذف في فصار كالذي خاضوه ثم حذف الهاء وهو على قول يونس والاخفش الذي مصدري والتقدير كالخوض الذي خاضوا فيه ومثل هذا اختلافهم في قوله ذلك الذي يبشر الله عباده على قول سيبويه تقديره يبشر الله به على قول يونس والاخفش ذلك تبشير الله عباده

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه احوال أهل النفاق فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) اي بعضهم من جملة بعض وبعضهم مضاف الى بعض في الاجتماع على النفاق والشرك كما تقول أنا من فلان وفلان مني أي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه بعضهم على دين بعض عن الكلبي وقيل بعضهم من بعض على لحوق مقت الله بهم جميعا عن ابي مسلم (يأمرون بالمنكر) اي بالشرك والمعاصي (وينهون عن المعروف) اي عن الافعال الحسنة التي أمر الله بها وحث عليها (ويقبضون أيديهم) اي يمسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته عن الحسن وقتادة وقيل معناه يمسكون أيديهم عن الجهاد في سبيل الله عن الجبائي (نسوا الله فنسيهم) اي تركوا طاعته فتركهم في النار وترك رحمتهم واثابتهم عن الاصم وقيل معناه جعلوا الله كالمنسي حيث لم يتفكروا في ان لهم صانعا يثيبهم ويعاقبهم ليمنعهم ذلك عن الكفر والافعال القبيحة فجعلهم سبحانه في حكم المنسي عن الثواب وذكر ذلك لازدواج الكلام لأن النسيان لا يجوز عليه تعالى (ان المنافقين هم الفاسقون) اي الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون المترددون في الشرك (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) اخبر سبحانه انه وعد الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر النار وكذلك الكفار وإنما فصل النفاق من الكفر وان كان النفاق كفرا ليبين الوعيد على كل واحد من الصنفين (خالدين فيها) اي دائمين فيها (هي حسبهم) معناه نار جهنم والعقاب فيها كفاية ذنوبهم كما يقول عذبتك حسب ما فعلت وحسب فلان ما نزل به اي ذلك على قدر فعله (ولعنهم الله) اي أبعدهم من جنته وخيره (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا يزول (كالذين من قبلكم) اي وعدكم على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج والجبائي وقيل معناه فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الأمم الخالية (كانوا أشد منكم قوة) في أبدانهم (وأكثر أموالاً وأولادا) فلم ينفعهم ذلك شيئاً وحل بهم عذاب الله تعالى (فاستمتعوا بخلاقهم) اي بنصيبهم وحظهم من الدنيا بأن صرفوها في شهواتهم المحرمة عليهم وفيما نهاهم الله عنه ثم اهلكوا (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أي فاستمتعتم أنتم أيضا بحظكم في الدنيا كما استمتعوا هم (وخضتم كالذي خاضوا) أي وخضتم في الكفر والاستهزاء بالمؤمنين كما خاض الأولون (أولئك الذين حبطت أعمالهم) التي تقع

طاعة من المؤمنين مثل الانفاق في وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها (في الدنيا والآخرة) إذ لم يستحقوا عليها ثوابا في الآخرة ولا تعظيما وتبجيلا في الدنيا لكفرهم وشركهم (وأولئك هم الخاسرون) خسروا انفسهم وأهلكوها بفعل المعاصي المؤدية إلى الهلاك ووردت الرواية عن ابن عباس انه قال في هذه الآية ما اشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنواسرائيل شبهنا بهما لا اعلم إلا انه قال والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه وروي مثل ذلك عن ابي هريرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال لتأخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن احدا من اولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب قال فهل الناس الاهم وقال عبد الله بن مسعود انتم اشبه الامم ببني اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا وقال حذيفة المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قلنا وكيف قال اولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء اعلنوه اورد ذلك جميعا الثعلبي في تفسيره ثم قال سبحانه (ألم يأتهم) اي ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم (نبأ الذين من قبلهم) اي خبر من كان قبلهم (قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين) ذكر سبحانه الامم الماضية والقرون السالفة وانه سبحانه اهلكها ودمر عليها لتكذيبها رسلها لئلا يأمنوا ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك فأهلك سبحانه قوم نوح بالغرق وعادا قوم هود بالريح الصرصر وثمود قوم صالح بالرجفة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين وهي البلدة التي فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وقيل ان مدين اسم نسبت البلد اليه وقد مر ذكره (والمؤتفكات) اي المنقلبات وهي ثلاث قرى كان فيها قوم لوط ولذلك جمعها بالألف والتاء عن الحسن وقتادة وقال في موضع آخر والمؤتفكة اهوى فجاء بها على طريق الجنس اهلكهم الله بالخسف وقلب المدينة عليهم (اتتهم رسلهم بالبينات) اي بالحجج والمعجزات (فما كان الله ليظلمهم) اي ما يظلمهم الله باهلاكهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) أي ولكن عاقبهم باستحقاق إذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فأهلكهم بكفرهم وعصيانهم

قوله تعالى (٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧٢) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

ثلاث آيات

❋ اللغة ❋

العدن والاقامة والخلود نظائر ومنه المعدن قال الاعشى

فإن يستضيفوا إلى حكمة   يضافوا إلى راجح قد عدن

والرضوان مصدر رضي يرضى رضى ورضوانا والجهاد ممارسة الأمر الشاق واصله من الجهد

❋ المعنى ❋

لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بقبيح خصالهم اقتضت الحكمة ان يذكر المؤمنين ويصفهم بضد اوصافهم

ليتصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) اي بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته حتى ان المرأة تهيئ اسباب السفر لزوجها إذا خرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على من سواهم (يأمرون بالمعروف) وهو ما اوجب الله فعله او رغب فيه عقلا او شرعا (وينهون عن المنكر) وهو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلا او شرعا (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) اي يداومون على فعل الصلاة واخراج الزكاة من اموالهم ووضعها حيث امر الله تعالى بوضعها فيه ويمتثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون إراداتهما ورضاهما (اولئك سيرحمهم الله) اي الذين هذه صفتهم يرحمهم الله (في الآخرة إن الله عزيز حكيم) أي قادر على الرحمة والعذاب واضع كل واحد منهما موضعه وفي الآية دلالة على ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الأعيان لانه جعلهما من صفات جميع المؤمنين ولم يخص قوما منهم دون قوم (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) اي من تحت أشجارها الأنهار والماء فيها (خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللآلئ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر لا اذى فيها ولا وصب ولا نصب عن الحسن (في جنات عدن) اي في جنات اقامة وخلود وقيل هي بطنان الجنة اي وسطها عن ابن مسعود وقيل هي مدينة في الجنة وفيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم والجنان حولها عن الضحاك وقيل إن عدنا اعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله عز وجل حتى ينزلها أهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر واليواقيت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأبيض عن مقاتل والكلبي وروي عن النبي ﷺ انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك (ورضوان من الله اكبر) رفع على الابتداء اي ورضا الله تعالى عنهم اكبر من ذلك كله قال الجبائي إنما صار الرضوان اكبر من الثواب لانه لا يوجد شيء منه إلا بالرضوان وهو الداعي اليه الموجب له وقال الحسن لأن ما يصل إلى القلب من السرور برضوان الله اكبر من جميع ذلك وإنما رفع رضوان لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل اعطيتك ووصلتك ثم يقول وحسن رأيي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك النعيم الذي وصفت هو النجاح العظيم الذي لا شيء اعظم منه ثم امر سبحانه بالجهاد فقال (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والقتال (والمنافقين) واختلفوا في كيفية جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوعظ والتخويف عن الجبائي وقيل جهادهم بإقامة الحدود عليهم وكان نصيبهم من الحدود اكثر وقيل هو بالانواع الثلاثة بحسب الامكان يريد باليد فإن لم يستطع فباللسان فإن لم يستطع فبالقلب فإن لم يقدر فليكفهر في وجوههم عن ابن مسعود وروي في قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين قالوا لأن النبي ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين وإنما كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان (واغلظ عليهم) ومعناه واسمعهم الكلام الغليظ الشديد ولا ترق عليهم (ومأواهم جهنم) اي منزلهم ومقامهم ومسكنهم جهنم يريد مأوى الفريقين (وبئس المصير) اي بئس المرجع والمأوى

قوله تعالى (٧٤) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

اللغة

الهم مقارنة الفعل بتقليبه في النفس تقول هم بالشيء يهم هماً وليس الهم من العزم في شيء إلا ان يبلغ نهاية القوة في النفس والنيل لحوق الأمر يقال نال ما اشتهى او تمنى اي ادركه ونقم منه شيئا اي انكر قال

ما نقموا من بني امية إلا انهم يحملون ان غضبوا

والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما وأما التفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان للقادر عليه ان يفعله وان لا يفعله

النزول

اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم إنسان فينظر اليكم بعيني الشيطان فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال علام تشتمني أنت واصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وقيل خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك فكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئا من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقا فيما يقول فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل والله ان محمدا لصادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فأمرهما رسول الله ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قال ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم أنزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبرائيل (ع) قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فإن يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال الك لقد قلته وانا استغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك منه عن الكلبي ومحمد بن اسحاق ومجاهد وقيل نزلت في عبدالله بن ابي بن سلول حين قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عن قتادة وقيل نزلت في اهل العقبة فإنهم ائتمروا في ان يغتالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عقبة عند مرجعهم من تبوك وأرادوا ان يقطعوا انساع راحلته ثم ينخسوا به فأطلعه الله تعالى على ذلك وكان من جملة معجزاته لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحي من الله تعالى فسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة وعمار وحذيفة معه احدهما يقود ناقته والآخر يسوقها وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين هموا بقتله اثني عشر رجلا او خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه عرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسماهم بأسمائهم واحدا واحدا عن الزجاج والواقدي والكلبي والقصة مشروحة في كتاب الواقدي وقال الباقر عليه السلام كانت ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب

المعنى

ثم اظهر سبحانه اسرار المنافقين فقال (يحلفون بالله ما قالوا) يعني انهم حلفوا كاذبين ماقالوا ما حكي عنهم ثم حقق عليهم ذلك واقسم سبحانه بأنهم قالوا ذلك لأن اللام في (لقد قالوا) لام القسم و(كلمة الكفر) كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى وكانوا يطعنون في الإسلام (وكفروا بعد اسلامهم) اي بعد اظهار اسلامهم يعني ظهر كفرهم بعد ان كان باطنا (وهموا بما لم ينالوا) قيل فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انهم هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة والتنفير بناقته عن الكلبي ومجاهد وغيرهما ﴿وثانيها﴾ انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يبلغوا ذلك عن قتادة والسدي ﴿وثالثها﴾ انهم هموا بالفساد والتضريب بين اصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجبائي (وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) معناه انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر

النعمة ان نقموها وبيانه انهم نقموا فيما ليس بموضع للنقمة فإنه لم يكن للمسلمين ذنب ينقمونه منهم بل الله تعالى أباح لهم الغنائم وأغناهم بذلك فقابلوا النعمة بالكفران وكان من حقهم أن يقابلوها بالشكر وقد مر هذا المعنى عند قوله قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الآية في سورة المائدة و إنما لم يقل من فضلهما لأنه لا يجمع بين اسم الله واسم غيره في الكناية تعظيما لله ولذلك قال النبي ﷺ لمن سمعه يقول من أطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومن عصاهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت فقال كيف اقول يا رسول الله ﷺ قال قل ومن يعص الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل إنما لم يقل من فضلهما لأن فضل الله سبحانه منه وفضل رسول الله من فضل الله (فإن يتوبوا يك خيرا لهم) أي فإن يتب هؤلاء المنافقون ويرجعوا إلى الحق يكن ذلك خيرا لهم في الدنيا والآخرة فإنهم ينالون بذلك رضا الله ورسوله والجنة (وإن يتولوا) أي يعرضوا عن الرجوع إلى الحق وسلوك الطريق المستقيم (يعذبهم الله عذابا أليما) مؤلما (في الدنيا) بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر (وفي الآخرة) بعذاب النار (وما لهم في الارض) أي ليس لهم في الارض (من ولي) أي محب (ولا نصير) ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله

قوله تعالى (٧٥) وَمِنْهُم مَنْ عاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ (٧٦) فَلَمَّا آتاهُم مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُعْرِضُونَ (٧٧) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا ٱللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ (٧٨) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ اربع آيات

❋ اللغة ❋

المعاهدة هي أن تقول علي عهد الله لأفعلن كذا فإنه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره لأن الله تعالى قد حكم بذلك وقدر وجوبه عليه في الشرع والبخل منع السائل لشدة الاعطاء ثم صار في الشرع لمنع الواجب لأن من منع الزكاة فهو بخيل قال الرماني لا يجوز أن يكون البخل منع الواجب لمشقة الاعطاء كما قال زهير

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ـكن الجواد على علاته هرم

قال لأنه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء وكان من قضى دينا عليه يكون جوادا لأنه أدى الواجب من غير مشقة وإنما قال زهير ما قاله لأن البخل صفة نقص قال ومن منع مالا يضره بذله ولا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع إلى ضراذ الشدة من غير ضر معقولة كما يصفون الجورة بأنها لئيمة لاجل الشدة وأعقبه وأورثه واداه نظاير وقد يكون اعقبه بمعنى جازاه قال النابغة

فمن أطاع فأعقبه بطاعته كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

والنجوى الكلام الخفي يقال ناجيته وتناجوا وانتجوا وفلان نجي فلان والجمع أنجية قال

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه واضطرب القوم اضطراب الأرشيه

وأصله من النجوى وهو البعد كأن المتناجيين قد تباعدا من غيرهما وقيل هو من النجوة أي المكان المرتفع الذي لا يصل اليه السيل فكأنهما رجما حديثهما إلى حيث لا يصل اليه غيرهما

﴿ الاعراب ﴾

معنى لما معنى إذا لأن لما الغالب عليها الجزاء وهي اسم يقع في جواب متى يقال متى كان كذا فيقول السامع لما كان كذا ولما ولولا يكونان لما مضى بخلاف ان وإذا فانهما لما يستقبل إلا ان لولا على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الأول ولما يدل على وقوع الثاني لوقوع الاول. فلما آتاهم من فضله المفعول الثاني محذوف تقديره فلما آتاهم ما تمنوه من فضله. لنصدقن أصله لنتصدقن أدغمت التاء في الصاد

—(النزول)—

قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الانصار فقال للنبي ﷺ ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها ثم كثرت نموا حتى تباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة وبعث رسول الله ﷺ اليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل وقال ما هذه إلا أخت الجزية فقال رسول الله ﷺ يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وأنزل الله الآيات عن ابي أمامة الباهلي وروى ذلك مرفوعا وقيل ان ثعلبة أتى مجلسا من الانصار فأشهدهم فقال لئن أتاني الله من فضله تصدقت منه وآتيت كل ذي حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه مالا ولم يف بما قال فنزلت عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة وقيل نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قالا لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله المال بخلا به عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعه كان له مال بالشام فأبطأ عليه وجهد لذلك جهدا شديدا فحلف لئن آتاه الله ذلك المال ليصدقن فآتاه الله تعالى ذلك فلم يفعل عن الكلبي

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) اي من جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم (من عاهد الله لئن آتانا من فضله) اي لئن اعطانا من رزقه (لنصدقن) أي لنتصدقن على الفقراء (ولنكونن من الصالحين) بإنفاقه في طاعة الله وصلة الرحم ومواساة أهل الحاجة (فلما آتاهم من فضله) اي اعطاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الأموال (بخلوا به) أي شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد ومنعوا حق الله منه (وتولوا) عن فعل ما أمرهم الله به (وهم معرضون) عن دين الله تعالى (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) اي فأورثهم بخلهم بما اوجبوا الله تعالى على انفسهم النفاق في قلوبهم وأداهم إلى ذلك عن الحسن كأنهم حصلوا على النفاق بسبب البخل وهذا كما يقول لابنه اعقبك صحبة فلان ترك التعلم وقيل معناه اعقبهم الله بذلك حرمان التوبة كما حرم ابليس عن مجاهد وأراد بذلك أنه دلنا على انه لا يتوب كما دلنا من حال أبليس على انه لا يتوب لأنه سلب عنه قدرة التوبة (إلى يوم يلقونه) اي يلقون جزاء البخل فذكر البخل وأراد به جزاءه كقوله سبحانه اعمالهم كرماد اشتدت به الريح وعلى القول الثاني فمعناه الى يوم يلقون الله اي اليوم الذي لا يملك فيه النفع والضر الا الله تعالى وهذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يموتون على النفاق وكان ذلك معجزة للنبي ﷺ لأنه خرج مخبره على وفق خبره (بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بين

سبحانه ان هذا انما اصابهم بفعلهم السيء وهو اخلافهم الوعد و كذبهم (ألم يعلموا) اي ألم يعلم هؤلاء المنافقون (ان الله يعلم سرهم) اي ما يخفون في انفسهم (ونجواهم) ما يتناجون به بينهم وهذا استفهام يراد به التوبيخ والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك (وان الله علام الغيوب) جمع غيب وهو كل ماغاب عن الاحساس ومعناه يعلم كل ما غاب عن العباد وعن ادراكهم من موجود او معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه لأن فعالا صيغة مبالغة وفي قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الآية دلالة على ان بعض المعاصي قد يدعو الى بعض لأنهم لما تهاونوا بأداء هذا الحق دعاهم ذلك الى الثبات على النفاق الى الممات وكذلك يدعو بعض الطاعات الى بعض وعلى ذلك ترتيب الشرائع وفيه دلالة على ان الاخلاف والخيانة والكذب من اخلاق أهل النفاق وقد صح في الحديث عن النبي ﷺ انه قال للمنافق ثلاث علامات اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

قوله تعالى (٧٩) ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٨٠) ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ آيتان

اللغة

المطوع اصله المتطوع ادغمت التاء في الطاء لأنها من مخرجها والطاء افضل منها بالاستعلاء والاطباق والتطوع كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة . والجهد والجهد بمعنى وهو الحمل على النفس بما يشق وقيل بينهما فرق والجهد بالفتح في العمل وبالضم في القوت عن الشعبي وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاعة عن القتيبي

الاعراب

يجوز ان يكون موضع الذين يلمزون بأن يكون بدلا من الهاء والميم في قوله ومنهم من عاهد الله ويحتمل ان يكون رفعا على الابتداء وخبره سخر الله منهم وهذا اولى وقوله في الصدقات من صلة يلمزون ولا يكون من صلة المطوعين لأنه فصل بينهما قوله من المؤمنين والذين لا يجدون عطف على الذين يلمزون

المعنى

ثم وصفهم الله بصفة أخرى (فقال الذين يلمزون) اي يعيبون (المطوعين) المتطوعين بالصدقة (من المؤمنين) ويطعنون عليهم في الصدقات (والذين لا يجدون الا جهدهم) اي ويعيبون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قيل اتاه عبد الرحمن بن عوف بصرة من دراهم تملأ الكف واتاه علية بن زيد الحارثي بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعا تركته لأهلي وصاعا اقرضته ربي وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل ان عبد الرحمن رجل يحب الريا ويبتغي الذكر بذلك وان الله غني عن الصاع من التمر فعابوا المكثر بالريا والمقل بالاقلال (فيسخرون منهم) أي فيستهزؤن منهم (سخر الله منهم) اي جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا إلى النار (ولهم

عذاب اليم) اي موجع مؤلم وروي عن النبي ﷺ انه سئل فقيل يا رسول اي الصدقة افضل قال جهد المقل (استغفر لهم او لا تستغفر لهم) صيغته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الاياس من المغفرة بأنه لو طلبها طلب المأمور بها أو تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في ان الله تعالى لا يفعلها كما قال سبحانه في موضع آخر سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) الوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا العدد المخصوص ويجري ذلك مجرى قول القائل « لو قلت لي الف مرة ما قبلت » والمراد اني لا اقبل منك فكذلك الآية والمراد بذلك فيها نفي الغفران جملة وقيل ان العرب تبالغ بالسبعة والسبعين ولهذا قيل للأسد السبع لأنهم تأولوا فيه لقوته انها ضوعفت له سبع مرات واما ما ورد ان النبي ﷺ قال والله لأزيدن عن السبعين فإنه خبر واحد لا يعول عليه ولا يتضمن ان النبي ﷺ يستغفر للكفار وذلك غير جائز بالاجماع وقد روي انه قال لوعلمت انه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لفعلت ويحتمل ان يكون النبي ﷺ يرجو ان يكون لهم لطف يصلحون به فعزم على الاستغفار لهم فلما بين الله عز اسمه انه ليس لهم لطف ترك ذلك ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يعلم بكفرهم ونفاقهم ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يخبر بأن الكافر لا يغفر له أو قبل ان يمنع منه ويجوز ان يكون استغفاره لهم واقعا بشرط التوبة من الكفر فمنعه الله منه واخبره بأنهم لا يؤمنون أبدا فلا فائدة في الاستغفار لهم والله أعلم بحقيقة الأمر (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) معناه ان حرمان المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مر معناه

قوله تعالى (٨١) فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ (٨٢) فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٨٣) فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ثلاث آيات

﴿ اللغة ﴾

المخلف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخر عمن مضى والفرح ضد الغم وهو لذة في القلب بنيل المشتهى ومثله السرور وقال البصريون من المعتزلة ان السرور والغم يرجعان إلى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة اليه في المستقبل أو دفع ضرر مظنون عنه او معلوم والغم اعتقاد وصول ضرر اليه في المستقبل أو فوت منفعة عنه واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه والخلاف مصدر خالفته مخالفة وخلافا وزعم ابو عبيدة ان معناه بعد وانشد

عقب الربيع خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا

والشواطب النساء يقددن الأديم بعد ما يقدرنه والخالف كل من تأخر عن الشاخص والمتخلف بمعناه والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال تقبض يظهر عن غم في الوجه مع جري الدموع على الخد

﴿ الإعراب ﴾

خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له إذا جعلته بمعنى المخالفة وإذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا إنما سكنت لام الأمر ولم تسكن لام الإضافة لأنها تؤذن بعملها للجر المناسب لها فلذلك الزمت الحركة مع ان العوامل في الأسماء أقوى من العوامل في الأفعال جزاء نصب على المصدر أي يجزون جزاء على افعالهم التي اكتسبوها

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخرجهم معه إلى تبوك استأذنوه في التأخر فأذن لهم فرحوا بقعودهم فقال (فرح المخلفون بمقعدهم) اي بقعودهم عن الجهاد (خلاف رسول الله) اي بعده وقيل معناه لمخالفتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) ظاهر المعنى (وقالوا) اي قالوا للمسلمين ليصدوهم عن الغزو (لا تنفروا في الحر) اي لا تخرجوا الى الغزو سراعا في هذا الحر وقيل بل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلبا للراحة والدعة وعدولا عن تحمل المشاق في طاعة الله ومرضاته (قل) يا محمد لهم (نار جهنم) التي وجبت لهم بالتخلف عن امر الله تعالى (اشد حرا) من هذا الحر فهي اولى بالاحتراز والحذر عنها اذ لا يعتد بهذا الحر في جنب ذلك الحر (لو كانوا يفقهون) اوامر الله تعالى ووعده ووعيده (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) هذا تهديد لهم في صورة الأمر اي فليضحك هؤلاء المنافقون في الدنيا قليلا لأن ذلك يفنى وان دام إلى الموت ولأن الضحك في الدنيا قليل لكثرة احزانها وهمومها وليبكوا كثيرا في الآخرة لأن ذلك يوم مقداره خمسين الف سنة وهم فيه يبكون فصار بكاؤهم كثيرا (جزاء بما كانوا يكسبون) من الكفر والنفاق والتخلف بغير عذر عن الجهاد قال ابن عباس ان اهل النفاق ليبكون في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (فإن رجعك الله) يا محمد اي فإن ردك الله من غزوتك هذه وسفرك هذا (إلى طائفة منهم) اي من المنافقين الذين تخلفوا عنك وعن الخروج معك (فاستأذنوك للخروج) معك إلى غزوة اخرى (فقل لن تخرجوا معي ابدا) إلى غزوة (ولن تقاتلوا معي عدوا) ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال (انكم رضيتم بالقعود اول مرة) اي عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) في كل غزوة واختلف في المراد بالخالفين فقيل معناه مع النساء والصبيان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال عبد خالف وصاحب خالف إذا كان مخالفا وقيل مع الخساس والادنياء يقال فلان خالفة اهله إذا كان ادونهم وقيل مع اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله يخلف خلوفا اذا فسد ونبيذ خالف اي فاسد وخلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه وقيل مع المرضى والزمنى وكل من تأخر لنقص عن الجبائي

قوله تعالى (٨٤) وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٥) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ آيتان

﴿ الإعراب ﴾

مات جملة في موضع جر صفة لاحد وتقديره على احد ميت منهم وابدا منصوب لأنه ظرف لقوله تصل وانما كسران من قوله انهم كفروا وان كان في موضع التعليل لتحقيق الاخبار بأنهم على الصفة التي ذكرها

﴿ المعنى ﴾

ثم نهى سبحانه نبيه ﷺ عن الصلاة عليهم فقال (ولا تصل) يا محمد (على احد منهم) اي من المنافقين (مات ابدا) أي بعد موته فإنه عليه السلام كان يصلي عليهم ويجري عليهم احكام المسلمين (ولا تقم على قبره) أي لا تقف على قبره للدعاء فإنه (ع) كان إذا صلى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعو له فنهاه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين والوقوف على قبورهم والدعاء لهم ثم بين سبحانه سبب الأمرين فقال (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) فما صلى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق حتى قبض وفي هذه الآية دلالة على أن القيام على القبر للدعاء عبادة مشروعة ولولا ذلك لم يخص سبحانه بالنهي عنه الكافر وروي أنه ﷺ صلى على عبد الله بن أبي والبسه قميصه قبل ان ينهى عن الصلاة على المنافقين عن ابن عباس وجابر وقتادة وقيل إنه ﷺ أراد ان يصلي عليه فأخذ جبرائيل بثوبه وتلا عليه ولا تصل على أحد منهم الآية عن انس والحسن وروي انه قيل لرسول الله لم وجهت بقميصك اليه يكفن فيه وهو كافر فقال ان قميصي لن تغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير فروي أنه أسلم الف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ ذكره الزجاج قال والاكثر في الرواية أنه لم يصل عليه (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة (انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يأخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من اخراجها في الزكاة والانفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشد عليهم فيكون ذلك عذابا لهم (وتزهق انفسهم) أي تهلك بالموت (وهم كافرون) اي في حال كفرهم وقد مضى تفسير مثل هذه الآية وانما كرر للتذكير في موطنين مع بعد أحدهما عن الآخر ويجوز ان يكون الآيتان في فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو عن الجبائي

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٧) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧) لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أربع آيات

=(اللغة)=

قال الزجاج الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد ويجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة الا في حرفين قالوا فارس وفوارس وهالك وهوالك والطبع والختم بمعنى واحد والخيرات المنافع التي تسكن النفس اليها وترتاح لها من النساء الحسان وغيرهن من نعيم

الجنان واحدها خيرة قال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات

وقال المبرد الخيرات الجواري الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز ان يكون خيرة بالتشديد فخففت نحو هين وهين والاعداد جعل الشيء مهيئا لغيره وأصله من العدد لأنه قد عدد الله جميع ما يحتاج الى تقديمه له من الأمور ومثله اتخاذ الأعتاد

﴿ الإعراب ﴾

أن آمنوا في موضع نصب بحذف حرف الجر على تقدير بأن آمنوا اي بالايمان ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه تمام اخبار المنافقين فقال (واذا أنزلت سورة) من القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن آمنوا بالله) اي بأن آمنوا وهو خطاب للمؤمنين وامر لهم بأن يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الاوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الامر بأن يستأنف الايمان ويترك النفاق (وجاهدوا مع رسوله) اي اخرجوا الى الجهاد معه فكأنه قال آمنوا أنتم وادعوا الى الايمان غيركم (استأذنك) اي طلب الاذن منك في القعود (أولوا الطول) اي أولوا المال والقدرة والغنى عن ابن عباس وغيره (منهم) اي من المنافقين (وقالوا ذرنا) اي دعنا (نكن مع القاعدين) اي المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان وانما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوياء على الجهاد (ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف) اي رضوا لنفوسهم أن يقعدوا مع النساء والصبيان والمرضى والمقعدين (وطبع على قلوبهم) ذكرنا معنى الطبع فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد الذي من بلغه مات قلبه (فهم لا يفقهون) أوامر الله ونواهيه ولا يتدبرون الأدلة ثم مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين فقال سبحانه (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم) ينفقونها في سبيل الله ومرضاته (وأنفسهم) يقاتلون الكفار ثم اخبر سبحانه عما اعد لهم من الجزاء على انقيادهم لله ورسوله فقال (وأولئك لهم الخيرات) من الجنة ونعيمها وقيل الخيرات المنافع والمدح والتعظيم في الدنيا والثواب والجنة في الآخرة (وأولئك هم المفلحون) اي الظافرون بالوصول الى البغية (أعد الله لهم) اي هيأ وخلق لهم (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) مضى تفسيره في غير موضع (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره (الفوز العظيم) والفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلا لها بالنجاة وانما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على وجه الدوام وبالاعزاز والاجلال والاكرام

قوله تعالى (٩٠) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وقتيبة المعذرون بسكون العين وتخفيف الذال وهي قراءة ابن عباس والضحاك ومجاهد والباقون بفتح العين وتشديد الذال

—(الحجة)—

من قرأ بالتخفيف أراد الذين يأتون بالعذر ومن قرأ بالتشديد احتمل أمرين ❊ احدهما ❊ ان يكون المراد المتعذرون كان لهم عذر أولم يكن وانما ادغم التاء في الذال لقرب مخرجها ❊ والثاني ❊ انه أراد المقصرون من التعذير فالمعذر المقصر الذي يريك انه معذور ولا عذر له والمعذر المبالغ الذي له عذر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال لبيد « ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر » أي اتى بعذر

— المعنى —

لما تقدم حديث المخلفين صنف الله تعالى الاعراب منهم صنفين فقال سبحانه (وجاء المعذرون من الاعراب) اي المقصرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن اكثر المفسرين وقيل هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بني غفار عن ابن عباس قال ويدل عليه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فعطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على أن الأولين في اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصورون بصورة أهل العذر وليسوا كذلك (ليؤذن لهم) في التخلف عن الجبائي (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) اي وقعدت طائفة من المنافقين من غير ان اعتذروا وهم الذين كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) قال ابو عمرو بن العلا في هذه الآية كلا الفريقين كان مسيئا جاء قوم فعذروا وجنح آخرون فقعدوا يريد أن قوما تكلفوا عذراً بالباطل وتخلف آخرون من غير تكلف عذر واظهار علة جرأة على الله ورسوله

قوله تعالى (٩١) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٢) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٣) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

❊ اللغة ❊

النصح اخلاص العمل من الغش والحمل اعطاء المركوب من فرس أو بعير او غير ذلك تقول حمله يحمله حملا إذا اعطاه ما يحمل عليه قال

ألا فتى عنده خفان يحملني عليهما إنني شيخ على سفر

والفيض الجري عن امتلاء من قولهم فاض الأناء بما فيه والحزن ألم في القلب بفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض وهي الأرض الغليظة المسلك

— الإعراب —

حزنا نصب لأنه مفعول له أي يبكون للحزن ولا يجدوا منصوب بأن وموضع ان لا يجدوا نصب تقديره لأن لا يجدوا حذف الجار فوصل الفعل

﴿ النزول ﴾

قيل إن الآية الأولى نزلت في عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم وكان ضرير البصر جاء الى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله اني شيخ ضرير خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي قائد فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد فسكت النبي ﷺ فأنزل الله الآية عن الضحاك وقيل نزلت في عائذ بن عمرو واصحابه عن قتادة والآية الثانية نزلت في البكائين وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب وعلبة بن زيد وعمرو بن ثعلبة وابن غنمة وهؤلاء من بني النجار وسالم بن عبير وهرم بن عبد الله وعبد الله بن عمرو ابن عوف وعبد الله بن معقل من مزينة جاؤا الى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله احملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا أجد ما احملكم عليه عن ابي حمزة الثمالي وقيل نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى أتوا النبي ﷺ فقالوا له احملنا على الخفاف والبغال عن محمد بن كعب وابن اسحاق وقيل كانوا جماعة من مزينة عن مجاهد وقيل كانوا سبعة من فقراء الانصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب النضري ثلاثة عن الواقدي قال وكان الناس بتبوك مع رسول الله ﷺ ثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه أهل العذر فقال (ليس على الضعفاء) وهم الذين قوتهم ناقصة بالزمانة والعجز عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدرون على الخروج (ولا على المرضى) وهم اصحاب العلل المانعة من الخروج (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني من ليست معه نفقة الخروج وآلة السفر (حرج) أي ضيق وجناح في التخلف وترك الخروج مع رسول الله ﷺ (إذا نصحوا لله ورسوله) بأن يخلصوا العمل من الغش ثم قال سبحانه (ما على المحسنين من سبيل) اي ليس على من فعل الحسن الجميل في التخلف عن الجهاد طريق للتقريع في الدنيا والعذاب في الآخرة وقيل هو عام في كل محسن والإحسان هو ايصال النفع الى الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح ويصح ان يحسن الإنسان الى نفسه ويحمد على ذلك وهو اذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب (والله غفور) اي ساتر على ذوي الاعذار بقبول العذر منهم (رحيم) بهم لا يلزمهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) اي ولا على الذين اذا جاؤك يسألونك مركبا يركبونه فيخرجون معك الى الجهاد اذ ليس معهم من الأموال والظهر ما يمكنهم الخروج به في سبيل الله (قلت لا أجد ما احملكم عليه) اي لا أجد مركبا تركبونه ولا ما اسوي به أمركم (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون) اي رجعوا عنك وأعينهم تسيل بالدمع لحزنهم ان لا يجدوا ما يركبونه من الدواب وينفقونه في الطريق ليخرجوا معكم ولحرصهم على الخروج المعنى وليس على هؤلاء ايضا حرج في التخلف عن الجهاد وليس عليهم سبيل للذم والعقاب (انما السبيل) والطريق بالعقاب والحرج (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) اي يطلبون الأذن منك يا محمد في المقام وهم مع ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد في سبيل الله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) من النساء والصبيان ومن لا حراك به (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) قد تقدم بيانه

قوله تعالى (٩٤) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ

نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٥) سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ ثلاث آيات

النزول

قيل نزلت الآيات في جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابها من المنافقين وكانوا ثمانين رجلا ولما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة راجعا من تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله ابن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لا يتخلف عنه بعدها وطلب الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يرضى عنه عن مقاتل

المعنى

ثم اخبر الله سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (يعتذرون اليكم) من تأخرهم عنكم بالأباطيل والكذب اذا رجعتم اليهم اي إذا انصرفتم الى المدينة من غزوة تبوك (قل) يا محمد (لا تعتذروا لن نؤمن لكم) اي لسنا نصدقكم على ما تقولون (قد نبأنا الله من اخباركم) أي قد أخبرنا الله واعلمنا من اخباركم وحقيقة أمركم ما علمنا به كذبكم وقيل انه أراد به قوله سبحانه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الآية (وسيرى الله عملكم ورسوله) أي سيعلم الله فيما بعد ورسوله عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل معناه سيعلم الله أعمالكم وعزائمكم في المستقبل ويظهر ذلك لرسوله فيعلمه الرسول بإعلامه إياه فيصير كالشيء المرئي لأن أظهر ما يكون الشيء أن يكون مرئيا كما علم ذلك في الماضي فأعلم به الرسول (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) اي ترجعون بعد الموت الى الله سبحانه الذي يعلم ما غاب وما حضر وما يخفى عليه السر والعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) اي يخبركم باعمالكم كلها حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها اجمع (سيحلفون بالله لكم) اي سيقسم هؤلاء المنافقون والمتخلفون فيما يعتذرون به اليكم ايها المؤمنون (اذا انقلبتم اليهم) انهم انما تخلفوا العذر (لتعرضوا عنهم) اي لتصفحوا عن جرمهم ولا توبخوهم ولا تعنفوهم ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين فقال (فأعرضوا عنهم) اي اعراض ردوانكار وتكذيب ومقت ثم بين عن سبب الاعراض فقال (انهم رجس) اي نجس ومعناه انهم كالشيء المنتن الذي يجب الاجتناب عنه فاجتنبوهم كما تجتنب الأنجاس (ومأواهم جهنم) اي مصيرهم ومآلهم ومستقرهم جهنم (جزاء بما كانوا يكسبون) اي مكافأة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي (يحلفون لكم لترضوا عنهم) اي طلبا لمرضاتكم عنهم ايها المؤمنون (فإن ترضوا عنهم) لجهلكم بحالهم (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) الخارجين من طاعته الى معصيته لعلمه بحالهم ومعناه انه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم وانما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم انه اذا رضي المؤمنون فقد رضي الله والمراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغي لكم ايضا ان لا ترضوا عنهم وفي هذا دلالة على ان من طلب بفعله رضا الناس ولم يطلب رضا الله سبحانه فإن الله يسخط الناس عليه كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس

قوله تعالى (٩٧) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٨) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٩) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بضم السين وفي سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرأ ورش واسماعيل عن نافع قربة بضم الراء والباقون قربة بسكون الراء

الحجة

قال ابو علي الدائرة لا تخلو اما ان تكون صفة او بمنزلة العاقبة والعافية والصفة اكثر في الكلام فينبغي ان يحمل عليها فالمعنى عليها انها خلة تحيط بالانسان حتى لا يكون له منها مخلص واضيفت الى السوء او الى السوء على الوجهين على وجه التأكيد والزيادة في التبيين ولو لم تضف لعلم هذا المعنى منها كما ان نحو قوله شمس النهار كذلك والسوء الرداءة والفساد وهو خلاف الصدق الذي في قولك ثوب صدق وليس الصدق من صدق اللسان كما ان السوء ليس من سوءته في المعنى وان كان اللفظ واحدا يدلك على ذلك انك اضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب في الأخبار واما دائرة السوء بالضمة فكقولك دائرة الهزيمة ودائرة البلاء فاجتمعا في جواز اضافة الدائرة اليهما من حيث اريد بكل واحد منهما الرداءة والفساد فمن قال دائرة السوء فتقديره الإضافة الى الرداءة والفساد ومن قال دائرة السوء فتقديره دائرة الضرر والمكروه من قولهم سوءته مساءة ومسائية والمعنيان متقاربان قال ابو الحسن دائرة السوء كما تقول رجل السوء وانشد

و كنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما احال على الدم

واما قوله قربة فالأصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما في الرسل والكتب والأذن والطنب واما قربات فينبغي ان يثقل لأنه اذا ثقل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والغرفات فأن تقر الحركة الثانية في الكلمة الواحدة اجدر ومثل قولهم قربة وقربة يسرة ويسرة هدنة وهدنة حكاه محمد بن يزيد

اللغة

رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ورجل اعرابي اذا كان ساكنا في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل للعدنانية برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجدر مأخوذ من جدر الحائط بسكون الدال وهو اصله واساسه والمغرم الغرم وهو نزول نائبة بالمال من غير خيانة واصله لزوم الأمر ومنه قوله ان عذابها كان غراما اي لازما وحب غرام اي لازم والغريم يقال لكل واحد من المتداينين للزوم احدهما الآخر وغرمته كذا اي الزمته اياه في ماله والتربص الانتظار ومنه التربص بالطعام لزيادة الاسعار واصله التمسك بالشيء لعاقبة والدوائر جمع دائرة هي من حوادث الدهر وقيل الحال المنقلبة عن النعمة الى البلية والدائرة الدولة والقربة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة

﴿ الإعراب ﴾

اجدر ان لا يعلموا ان في موضع نصب لأن الباء محذوفة والمعنى اجدر بترك العلم تقول انت جدير أن تفعل وجدير بأن تفعل اي هذا الفعل ميسر لك واذا حذفت الباء لم يصلح إلا بأن وان اثبت الباء صلح بأن وغيرها تقول انت جدير بأن تقوم وجدير بالقيام وإنما صلح مع ان الحذف لأن ان يدل على الاستقبال فكأنهما عوض من المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما ينفق وموضعه نصب وتقديره ويتخذ النفقة وصلوات الرسول ويتخذ قربات وقيل صلوات معطوف على قربات على معنى يطلبون بالانفاق قربة الله وصلوات الرسول عن الجبائي

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر المنافقين بين سبحانه أن الأعراب منهم اشد في ذلك واكثر جهلا فقال (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) يريد الاعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم اشد لأنهم اقسى واجفى من أهل المدن وهم ايضا ابعد من سماع التنزيل وانذار الرسل عن الزجاج ومعناه أن سكان البوادي اذا كانوا كفارا او منافقين فهم أشد كفرا من اهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي (واجدر أن لا يعلمو حدود ما انزل الله على رسوله) اي وهم احرى وأولى بأن لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يحكم به عليهم (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) اي ومن منافقي الاعراب من يعد ما ينفق في الجهاد وفي سبيل الخير مغرما لحقه لأنه لا يرجو به ثوابا (ويتربص بكم الدوائر) أي وينتظر بكم الدوائر اي صروف الزمان وحوادث الايام والعواقب المذمومة قال الزجاج والفراء كانوا يتربصون بهم الموت او القتل فكانوا ينتظرون موت النبي ﷺ ليرجعوا الى دين المشركين واكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة الى الشدة والعافية الى البلاء ويقولون كانت الدائرة عليهم وكانت الدائرة لهم ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال (عليهم دائرة السوء) اي على هؤلاء المنافقين دائرة البلاء يعني أن ما ينتظرون بكم هؤلاء حق بهم وهم المغلبون ابدا (والله سميع) لمقالاتهم (عليم) بنياتهم لا يخفى عليه شيء من حالاتهم ثم بين سبحانه من الاعراب المؤمنين المخلصين فقال (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) ومنهم من يرجع الى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيامة والجنة والنار (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) اي ويريد بنفقته في الجهاد وغير ذلك من اعمال البر قربات جمع قربة وهي الطاعة اي طاعات عند الله وتعظيم امره ورعاية حقه وقيل معناه يتقرب الى الله بإنفاقه ويطلب بذلك ثوابه ورضاه (وصلوات الرسول) اي دعاؤه بالخير والبركة عن قتادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن ومعناه انه يرغب في دعاء النبي ﷺ (الا انها قربة لهم) معناه الا ان صلوات الرسول قربة لهم تقربهم الى ثواب الله ويجوز ان يكون المعنى ان نفقتهم قربة لهم الى الله (سيدخلهم الله في رحمته) هذا وعد منه سبحانه بأن يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه مبالغة بأن الرحمة غمرتهم ووسعتهم (ان الله غفور) لذنوبهم (رحيم) بأهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة في الوصف بالمغفرة والرحمة

قوله تعالى (١٠٠) وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ آية

القراءة

قرأ يعقوب والانصارُ بالرفع وهي قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقتادة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقرأ ابن كثير وحدة من تحتها بزيادة من وكذلك هو في مصاحف مكة وقرأ الباقون تحتها بغير من وعليه سائر المصاحف والمعنى واحد

الحجة

من قرأ بالرفع عطفه على قوله السابقون ومن قرأ بالجر عطفه على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم باحسان فيجوز ان يكون معطوفا على الانصار في رفعه وجره ويجوز أن يكون معطوفا على السابقون وان يكون معطوفا على الانصار اولى لقربه منه

الاعراب

السابقون مبتدأ والأولون صفته من المهاجرين تبيين لهم والذين اتبعوهم ان حملته على السابقون كان مرفوعا وان حملته على الانصار كان مجرورا وخبر الاسماء كلها رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم عطف على رضي فالوقف على قوله خالدين فيها ابدا

النزول

قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وقتادة وقيل نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية عن الشعبي قال ومن اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الأولين وقيل هم اهل بدر عن عطاء بن رباح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائي

— المعنى —

لما تقدم ذكر المنافقين والكفار عقبه سبحانه بذكر السابقين الى الإيمان فقال (والسابقون الأولون) أي السابقون الى الأيمان والى الطاعات وإنما مدحهم بالسبق لأن السابق الشيء يتبعه غيره فيكون متبوعا وغيره تابع له فهو إمام فيه وداع له الى الخير بسبقه اليه وكذلك من سبق الى الشر يكون اسوء حالا لهذه العلة (من المهاجرين) الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة (والانصار) أي ومن الأنصار الذين سبقوا نظراءهم من أهل المدينة الى الإسلام ومن قرأ والأنصار بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل السبق للمهاجرين خاصة (والذين اتبعوهم بإحسان) أي بأفعال الخير والدخول في الإسلام بعدهم وسلوك منهاجهم ويدخل في ذلك من يجيء بعدهم الى يوم القيامة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) أخبر سبحانه أنه رضي عنهم افعالهم ورضوا عن الله سبحانه لما أجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وإيمانهم به ويقينهم (و أعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا)اي يبقون ببقاء الله منعمين (ذلك الفوز العظيم) أي الفلاح العظيم الذي يصغر في جنبه كل نعيم وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من انواع المشقة في نصرة الدين فمنها مفارقة العشائر والأقربين ومنهاباينة المألوف من الدين ومنها

نصرة الإسلام مع قلة العدد و كثرة العدو ومنها السبق الى الإيمان والدعاء اليه واختلف في أول من أسلم من المهاجرين فقيل ان أول من آمن خديجة بنت خويلد ثم علي بن أبي طالب (ع) وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وانس وزيد ابن ارقم ومجاهد وقتادة وابن اسحاق وغيرهم قال انس بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام وأسلم يوم الثلاثا وقال مجاهد وابن اسحاق انه أسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله ﷺ أخذه من ابي طالب وضمه الى نفسه يربيه في حجره وكان معه حتى بعث نبيا وقال الكلبي انه اسلم وله تسع سنين وقيل اثنتا عشرة سنة عن ابي الاسود وقال السيد ابو طالب الهروي وهو الصحيح وفي تفسير الثعلبي روى اسماعيل بن أياس بن عفيف عن ابيه عن جده عفيف قال كنت امرءاً تاجراً فقدمت مكة أيام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس لي صديقا وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم فبينا أنا والعباس بمنى اذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس في السماء فرمى ببصره الى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجدا معه فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فقلت يا عباس أمر عظيم فقال امر عظيم فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم ان الله بعثه رسولا وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذا الغلام علي بن ابي طالب وهذه المرأة خديجة بنت خويلد وزوجة محمد تابعاه على دينه وأيم الله ما على ظهر الأرض كلها احد على هذا الدين غير هؤلاء فقال عفيف الكندي بعد ما اسلم ورسخ الإسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعا وروي ان ابا طالب قال لعلي عليه السلام أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه قال يا أبه آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله فقال له ان محمداً ﷺ لا يدعو الا الى خير فالزمه وروى عبد الله بن موسى عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا (ع) يقول انا عبد الله وأخو رسوله وانا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي الا كذاب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي مسند السيد ابي طالب الهروي مرفوعا الى ابي أيوب عن النبي ﷺ قال صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل فيها احد غيري وغيره وقيل ان أول من اسلم بعد خديجة ابوبكر عن ابراهيم النخعي وقيل أول من اسلم بعدها زيد بن حارثة عن الزهري وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده مرفوعا الى عبد الرحمن بن عوف في قوله سبحانه والسابقون الأولون قال هم عشرة من قريش اولهم إسلاما علي بن ابي طالب (ع)

قوله تعالى (١٠١) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠٢) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آيتان

اللغة

حول الشيء المحيط به من حال يحول اذا دار بالانقلاب ومنه الحول للسنة والمحالة لأنها تدور في المحور

والمرد أصله الملاسة ومنه صرح ممرد اي مملس والامرد الذي لا شعر على وجهه والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئا ذكره علي بن عيسى وقيل اصله الظهور والمارد الذي ظهر شره وشجرة مرداء اذا تساقط ورقها فظهرت عيدانها ورجل امرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفة ومرد الرجل يمرد مروداً اذا عتا وخرج من الطاعة واعيا خبثا ومنه شيطان مارد ومريد وفي المثل تمرد مارد وعز الابلق وهما حصنان

﴿ الاعراب ﴾

ومن أهل المدينة مردوا اي قوم مردوا فحذف الموصوف ويجوز ان يكون التقدير ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف وآخرون اعترفوا معطوف على قوله من الاعراب منافقون وكذلك وآخرون مرجون وان شئت قدرت ومنهم آخرون

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال سبحانه (وممن حولكم) اي ومن جملة من حولكم يعني حول مدينتكم (من الاعراب) وهم الذين يسكنون البدو اذا كانوا مطبوعين على العربية (منافقون) يظهرون الايمان ويبطنون الكفر وقيل انهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانت منازلهم حول المدينة (ومن أهل المدينة) ايضا منافقون وانما حذف لدلالة الأول عليه (مردوا على النفاق) اي مرنوا على النفاق وتجرءوا عليه عن الفراء وقيل معناه أقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد وابان بن تغلب وقيل معناه لجوا فيه وابوا غيره عن ابن اسحاق وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره وممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة ايضا مثل ذلك عن الزجاج (لا تعلمهم) يا محمد اي لا تعرفهم (نحن نعلمهم) اي نعرفهم (سنعذبهم مرتين) فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه نعذبهم في الدنيا بالفضيحة فإن النبي صلى الله عليه وآله ذكر رجالا منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال اخرجوا فإنكم منافقون ويعذبهم في القبر عن ابن عباس والسدي والكلبي وقيل مرة في الدنيا بالسبي والقتل ومرة في الآخرة بعذاب القبر عن مجاهد وروى حصيف عنه عذبوا بالجوع مرتين وقيل احداهما أخذ الزكاة منهم والأخرى عذاب القبر عن الحسن وقيل احداهما غيظهم من أهل الإسلام والأخرى عذاب القبر عن ابن اسحاق وقيل ان الأولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والأخرى عذاب القبر وقيل ان الأولى إقامة الحدود عليهم والأخرى عذاب القبر عن ابن عباس وكل ذلك محتمل غير انا نعلم ان المرتين معا قبل ان يردوا الى عذاب النار (ثم يردون الى عذاب عظيم) اي يرجعون يوم القيامة الى عذاب مؤبد في النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) يعني من أهل المدينة ومن الاعراب آخرون أقروا بذنوبهم وليس براجع الى المنافقين والاعتراف الإقرار بالشيء عن معرفة (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) يعني انهم يفعلون افعالا جميلة ويفعلون افعالا سيئة قبيحة والتقدير وعملا آخر سيئا (عسى الله ان يتوب عليهم) قال المفسرون عسى من الله واجبة وانما قال عسى حتى يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الاتكال على العفو واهمال التوبة وفي هذا دلالة على بطلان القول بالاحباط لأنه لو صح الاحباط لكان احد العملين اذا طرأ على الآخر احبطه وابطله فلم يجتمعا فلا يكون لقوله خلطوا معنى وقال بعض التابعين ما في القرآن آية ارجى لهذه الامة من هذه الآية وقد يستعمل لفظ الخلط في الجمع من غير امتزاج يقال خلط الدراهم والدنانير وقيل انه يجري مجرى قولهم استوى

الماء والحشبة أي مع الحشبة وقيل ان خاط بالتخفيف في الخير وخلط بالتشديد في الشر (ان الله غفور رحيم)هذا تعليل لقبول التوبة من العصاة اي لأنه غفور رحيم

﴿ النزول ﴾

قال ابو حمزة الثمالي بلغنا انهم ثلاثة نفر من الانصار ابولبابة بن عبدالمنذر وثعلبة بن وديعة واوس بن حذام تخلفوا عن رسول الله ﷺ عند مخرجه الى تبوك فلما بلغهم ما انزل الله فيمن تخلف عن نبيه ايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم بسواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله ﷺ فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلون انفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ يحلهم وقال رسول الله ﷺ وانا اقسم لا اكون اول من حلهم الا أن اؤمر فيهم بأمر فلما نزل عسى الله ان يتوب عليهم عمد رسول الله ﷺ اليهم فحلهم فانطلقوا فجاؤا بأموالهم الى رسول الله فقالوا هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال (ع) ما امرت فيها فنزل خذ من اموالهم صدقة الآيات وقيل انهم كانوا عشرة رهط منهم ابو لبابة عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية منهم ابو لبابة وهلال وكردم وابو قيس عن سعيد بن جبير وزيد بن اسلم وقيل كانوا سبعة عن قتادة وقيل كانوا خمسة وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انها نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره معه وسبب نزولها فيه ما جرى منه في بني قريظة حين قال ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر عن النبي ﷺ في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهري ثم قال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وانا انخلع من مالي كله قال يجزيك يا ابا لبابة الثلث وفي جميع الاقوال اخذ رسول الله ﷺ ثلث اموالهم وترك الثلثين لأن الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم

قوله تعالى (١٠٣) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٤) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٥) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ان صلاتك وفي هود اصلاتك على التوحيد وقرأ الباقون ان صلواتك اصلواتك على الجمع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الصلاة في اللغة الدعاء قال الاعشى في الخمر

وقابلها الريح في دنها ... وصلى على دنها وارتسم

فكان معنى صل عليهم ادع لهم فإن دعاءك لهم تسكن اليه نفوسهم وتطيب به فأما قولهم صلى الله على رسوله وملائكته فلا يقال فيه انه دعاء لهم من الله تعالى كما لا يقال في نحو ويل للمطففين ونحوه انه دعاء عليهم ولكن المعنى فيه ان هؤلاء ممن يستحق عندكم ان يقال فيهم هذا النحو من الكلام وكذلك قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم الياء وهذا مذهب سيبويه فإذا كانت الصلاة مصدرا وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فإذا اختلف جاز ان يجمع لاختلاف ضروبه كما قال ان انكر الاصوات فأما من زعم ان الصلاة اولى لأن الصلاة للكثرة والصلوات للقليل فلم يكن قوله متجها لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل كقوله وهم

في الغرفات آمنون وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله ان المصدقين والمصدقات فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما يقع على القليل

﴿ الاعراب ﴾

قوله تطهرهم إنما ارتفع لأحد أمرين اما ان يكون صفة لصدقة ويكون التاء للتأنيث ويكون قوله بها للتبيين ويكون التقدير صدقة مطهرة واما ان يكون التاء خطابا للنبي ﷺ والتقدير فإنك تطهرهم بها فتكون صفة لصدقة (ايضا) ويكون الضمير في بها للصدقة الموصوفة واما وتزكيهم فلا يكون الا للخطاب وقيل ان تطهرهم يجوز ان يكون على الاستئناف وحمله على الاتصال اولى

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ وامره باخذ الصدقة من اموالهم تطهيرا لهم وتكفيرا لسيئاتهم فقال (خذ) يا محمد (من اموالهم) ادخل من للتبعيض لأنه لم يجب ان يصدق بالجميع وانما قال من اموالهم ولم يقل من مالهم حتى يشتمل على اجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الأخذ من سائر اموال المسلمين لاستوائهم في احكام الدين الا ما خصه الدليل (صدقة) قيل اراد بها الامر بأن يأخذ الصدقة من اموال هؤلاء التائبين تشديدا للتكليف وليست بالصدقة المفروضة بل هي على سبيل الكفارة للذنوب التي اصابوها عن الحسن وغيره وقيل اراد بها الزكاة المفروضة عن الجبائي واكثر اهل التفسير وهو الظاهر لأن حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون امرا بأن يأخذ من المالكين للنصاب الزكاة من الورق اذا بلغ مائتي درهم ومن الذهب اذا بلغ عشرين مثقالا ومن الابل اذا بلغت خمسا ومن البقر اذا بلغت ثلاثين ومن الغنم اذا بلغت اربعين ومن الغلات والثمار اذا بلغت خمسة اوسق (تطهرهم وتزكيهم بها) معناه تطهرهم تلك الصدقة عن دنس الذنوب وتزكيهم انت بها اي تنسبهم الى الزكاة وتدعو لهم بما يصيرون به ازكياء وقيل معناه تطهرهم انت وتزكيهم انت بها فيكون كلا الفعلين مضافا الى النبي ﷺ (وصل عليهم) هذا امر من الله تعالى للنبي ﷺ ان يدعوا لمن يأخذ منه الصدقة ومعناه ادع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعي آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وروي عن النبي ﷺ انه كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم وقال عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة فاتاه ابن ابي اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اورده البخاري ومسلم في الصحيح (ان صلاتك سكن لهم) اي ان دعواتك مما تسكن نفوسهم اليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار وطمأنينة لهم ان الله قد قبل منهم عن قتادة والكلبي وقيل تثبيت لهم عن ابي عبيدة (والله سميع عليم) يسمع دعاءك لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقات (ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبه عن عباده) استفهام يراد به التنبيه على ما يجب ان يعلم فالمخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوبه وانما وجب ان يعلم ان الله يقبل التوبة لأنه اذا علم ذلك كان ذلك داعيا له الى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة اليها وما هذه صورته يجب العلم به ليحصل به الفوز بالثواب والخلاص من العقاب والسبب فيه انهم لما سألوا النبي ﷺ ان يأخذ من اموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من ذلك انتظارا لأذن من الله سبحانه فيه فبين الله انه ليس قبول التوبة الى النبي ﷺ وان ذلك الى الله عز اسمه فإنه الذي يقبلها (ويأخذ الصدقات) اي يتقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجبائي جعل الله اخذ النبي والمؤمنين للصدقات اخذا من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره وقد ورد الخبر عن النبي ﷺ انه قال ان الصدقة تقع في يد الله قبل أن تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيبا للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها (وان الله هو التواب الرحيم) عطف على ما قبله ولذلك فتح ان وقدمر تفسيره (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول للمكلفين اعملوا ما امركم الله به عمل من يعلم انه مجازاً على فعله فإن الله سيرى عملكم وانما ادخل سين الاستقبال لأن مالم يحدث لايتعلق به الرؤية فكأنه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى وقيل اراد بالرؤية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد اي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله اي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل اراد بالمؤمنين الشهداء وقيل اراد بهم الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الاعمال وروى اصحابنا ان اعمال الأمة تعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على ائمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله والمؤمنون وانما قال سيرى الله مع انه سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها لأن المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة وكونه عالما بأنها ستوجد هو كونه عالما بوجودها اذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) اي سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية (فينبئكم) اي يخبركم (بما كنتم تعملون) ويجازيكم عليه

قوله تعالى (١٠٦) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آية

القراءة

قرأ أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر مرجون بغير همز والباقون مرجؤن بالهمز

الحجة

قال الازهري الإرجاء يهمز ولا يهمز ارجأت الأمر وارجيته اخرته وارجأت الحامل دنت لأن يخرج ولدها فهي مرجئ ومرجئة وارجت بغير همز ايضا

النزول

قال مجاهد وقتادة نزلت الآية في هلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهم من الاوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه وإنما تخلف توانيا عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال والله مالي من عذر ولم يعتذر اليه بالكذب فقال (ع) صدقت فقم حتى يقضي الله فيك وجاء الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مكالمتهم وامر نساءهم باعتزالهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت فاقاموا على ذلك خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده وقال في ذلك

ابعد دوربني القين الكرام وما شادوا علي بنيت البيت من سعف

ثم نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين في الليل وهو قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية فاصبح المسلمون يبتدرونهم ويبشرونهم قال كعب فجئت الى رسول الله في المسجد وكان (ع) اذا سر يستبشر كان وجهه فلقة قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك امك قال كعب فقلت امن عند الله ام من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدق كعب بثلث ماله شكرا لله على توبته

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال (وآخرون مرجون لأمر الله) اي مؤخرون موقوفون لما يرد من امر الله تعالى فيهم (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) لفظة اما وقوع احد الشيئين والله سبحانه عالم بما يصير اليه امرهم ولكنه سبحانه خاطب العباد بما عندهم ومعناه ولكن كان امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبنا في جواز العفو عن العصاة لأنه سبحانه بين ان قوما من العصاة يكون امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم ويدل ايضا على

ان قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لانه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشيئة (والله عليم) بما يؤول اليه حالهم (حكيم) فيما يفعله بهم

قوله تعالى (١٠٧) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٨) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٩) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١١٠) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقون بالواو وقرأ نافع وابن عامر أسس بضم الألف بنيانه بالرفع في الموضعين وقرأ الباقون أسس بنيانه فيهما وفي الشواذ قراءة نصر بن عاصم أس بنيانه على وزن فعل وقراءة نصر بن علي أساس بنيانه وأس بنيانه وقرأ ابن عامر وحمزة وحماد ويحيى عن ابي بكر وخلف جرف بالتخفيف والباقون جرف بالتثقيل وقرأ يعقوب وسهل الى ان على انه حرف الجر وهو قراءة الحسن وقتادة والجحدري وجماعة ورواه البرقي عن ابي عبد الله وقرأ الباقون الا ان مشددة اللام وقرأ ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وسهل ورويس عن يعقوب تقطع بفتح التاء والتشديد وقرأ روح تقطع بضم التاء مخففا وقرأ الباقون تقطع بضم التاء مشدداً

﴿ الحجة ﴾

من اثبت الواو في الذين عطفه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ومن حذف الواو ابتدأ الكلام واضمر الخبر بعده كما اضمر في قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام إلى قوله والباد والمعنى فيه ينتقم منهم أو يعذبهم ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالمبتدأ وصلته ويجوز ان يكون على ان تضمر ومنهم فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما اضمرت الحرف مع الفعل في قوله وأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد إيمانكم أي فيقال لهم أكفرتم ولا يجوز ان يكون الذين بدلا من قوله وآخرون مرجون لأن المرجئين لأمر الله غير الذين اتخذوا مسجدا ضرارا فلا يجوز ان يبدلوا منهم ومن قرأ أسس بنيانه بنى الفعل للفاعل كما اضاف البنيان اليه في قوله بنيانه فالمصدر مضاف إلى الفاعل والباني والمؤسس واحد ومن بنى الفعل للمفعول به لم يبعد ان يكون في المعنى كالأول لأنه إذا اسس بنيانه فيولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له فاما من قرأ اس بنيانه في الموضعين واساس بنيانه بالإضافة فإنهما بمعنى واحد وجمع الاس اساس كقفل واقفال وجمع الاساس آساس واسس واما الجرف فالأصل فيه ضم العين والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل والطنب والطنب ومن قرأ إلا ان تقطع قلوبهم فمعناه تبلى وتنقطع بالبلى اي لا تبلج قلوبهم بالايمان أبدا ومن قرأ تقطع بضم التاء فهو في المعنى مثل الأول الا ان الفعل اضيف إلى القطع المبلي للقلوب بالموت وفي الأول اسند إلى القلوب لما كانت هي البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحائط ونحو ذلك مما اسند فيه الفعل

إلى من حدث فيه وان لم يكن منه وتقطع يسند الفعل فيه إلى المقطع المبتلى وان لم يذكر في اللفظ فاسند الفعل الذي هو لغير القلوب في الحقيقة الى القلوب ومن قرأ إلى ان تقطع فإنه جعله على الغاية وزعموا ان في حرف إلى حتى الممات وهذا يدل على انهم يموتون على نفاقهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر

اللغة

الضرار هو طلب الضرر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضرارا والارصاد الارتقاب تقول رصده يرصده رصدا وارصد له ارصادا قال الكسائي رصدته رقبته وارصدته اعددته والبنيان مصدر قال ابو علي وهو جمع على حد شعيرة وشعير لأنهم قالوا بنيانة في الواحد قال اوس

كبنيانة القري موضع رحلها ... وآثار رسغيها من الدف ابلق

وجاء بناء المصدر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لأن فعلانا إذا كان جمعا نحو كثبان وقضبان لم تلحقه تاء التأنيث وقال ابو زيد يقال بنيت ابني بنيا وبنيانا وبناء وبنية وجمعها البنى قال

بنى السماء فسواها ببنيتها ... ولم تمد باطناب ولا عمد

فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قوبل به الفراش في قوله جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء فالبناء لما كان رفعا للمبني قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة والتقى صفة مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب وواو تقوى مبدلة من الياء لأنها من وقيت وانما أبدلت للفرق بين الاسم والصفة في الأبنية مثل خزيا وشفا جرف الشيء وشفيره وجرفه نهايته في المساحة ويثنى شفوان وجرف الوادي جانبه الذي ينحفر بالماء اصله وهو من الجرف والاجتراف هو اقتلاع الشيء من اصله وهار الجرف يهور هورا فهو هائر وتهور وانهار ويقال ايضا هار يهار وهار اصله هائر وهو من المقلوب كما يقال لاث الشيء به إذا دار فهو لاث والاصل لائث وكما قالوا شاكي السلاح أي شائك قال

فتعرفوني انني انا ذاكم ... شاكي سلاحي في الحوادث معلم

وكما قال العجاج (لاث به الاشاء والعبري) اي مطيف وقال ابو علي والهمز من هائر منقلبة عن الواو لأنهم قالوا تهور البناء إذا تساقط وتداعى وفي الحديث سار الليلة حتى انهار الليل ثم سار حتى تهور فهذا في الليل كالمثل والتشبيه بالبناء والانهيال والانهيار يتقاربان في المعنى كما يتقاربان في اللفظ

الإعراب

قد ذكرنا اعراب قوله والذين اتخذوا في الحجة ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره لا تقم فيه ابدا كما تقول والذي يدعوك إلى الغي فلا تسمع الدعاء وتقديره فلا تسمع دعاءه وكذلك التقدير في الآية لا تقم في مسجدهم أبدا فحذف للاختصار ويجوز ان يكون خبر الذين قوله أفمن اسس بنيانه أي افمن اسس بنيانه من هؤلاء أم من اسس من الذين اتخذوا ضرارا منصوب على انه مفعول له وكذلك ما بعده والمعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والارصاد فلما حذف اللام افضى الفعل فنصب ويجوز ان يكون مصدرا محمولا على المعنى لأن اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضرارا من أول يوم دخلت من في الزمان والاصل منذ ومذ هذا الاكثر استعمالا في الزمان ومن جائز دخولها ايضا لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض ومنه قول زهير

لمن الديار بقنة الحجر ... اقوين من حجج ومن شهر

ويروى من دهر وقد قيل ان المعنى من مر حجج ومن مر شهر وان تقوم في موضع نصب أي أحق بأن تقوم

فيه وفيه منصوب الموضع بقوله تقوم وفيه من قوله فيه رجال في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه والمبتدأ رجال ولا يجوز ان يكون مرفوع الموضع بكونه وصفا لمسجد بل هو على الاستئناف والوقف التام على قوله احق ان تقوم فيه ثم استؤنف الكلام فقيل فيه رجال وانما قلنا ذلك لأنك لو جعلت الظرف الذي هو فيه وصفا لمسجد لكنت فصلت بين النكرة وصفتها بالخبر الذي هو احق وقوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله قال ابو علي القول فيه انه يجوز ان تكون المعادلة وقعت بين البانيين ويجوز ان يكون بين البنائين فإذا عادلت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خير ام المؤسس بنيانه غير متق لأن قوله على شفا جرف يدل على ان بانيه غير متق لله تعالى ولا خاش له ويجوز ان يقدر حذف المضاف كأنه أبناء من اسس بنيانه متقيا خير ام بناء من اسس بنيانه على شفا جرف والبنيان مصدر اوقع على المبنى مثل الخلق إذا عنيت به المخلوق وضرب الامير إذا عنيت به المضروب وكذلك نسج اليمن يدلك على ذلك انه لا يخلو من ان يراد به اسم الحدث او اسم العين فلا يجوز ان يكون الحدث لأنه إنما يؤسس المبنى الذي هو عين ويبين ذلك ايضا قوله على شفا جرف والحدث لا يعلو شفا جرف والجار في قوله على تقوى من الله وقوله على شفا جرف هار في موضع نصب على الحال تقديره افمن اسس بنيانه متقيا خير ام من اسس بنيانه غير متق أو معاقبا على بنائه وفاعل انهار البنيان اي انهار البنيان بالباني في نار جهنم لأنه معصية وفعل لما كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما في الراء من التكرير فكأنك لفظت براءين مكسورتين وبحسب كثرة الكسرات تحسن الامالة ومن لم يمل فلأن ترك الإمالة هو الأصل وقوله الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع نصب تقديره الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع ان ولا يحذف مع المصدر ومعنى الا ههنا حتى لأنه استثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منه منته اليه فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على هذا المعنى .

❋ النزول ❋

قال المفسرون ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ ان يأتيهم فأتاهم وصلى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا نبني مسجدا فنصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء فلما فرغوا منه اتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تأتينا فتصلي فيه لنا وتدعو بالبركة فقال ﷺ اني على جناح سفر ولو قدمنا اتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما انصرف رسول الله من تبوك نزلت عليه الآية في شأن المسجد

❋ المعنى ❋

ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى من المنافقين بنوا مسجدا للتفريق بين المسلمين وطلب الغوائل للمؤمنين فقال (والذين اتخذوا مسجدا) والمسجد موضع السجود في الأصل وصار بالعرف اسما لبقعة مخصوصة بنيت للصلاة فالاسم عرفي فيه معنى اللغة (ضرارا) أي مضارة يعني للضرر بأهل مسجد قباء أو مسجد الرسول ﷺ ليقل الجمع فيه (وكفرا) اي ولإقامة الكفر فيه وقيل اراد انه كان اتخاذهم ذلك كفرا بالله وقيل ليكفروا فيه بالطعن على رسول الله ﷺ والإسلام (وتفريقا بين المؤمنين) اي لاختلاف الكلمة وابطال الإلفة وتفريق الناس عن رسول الله ﷺ (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) اي ارصدوا ذلك المسجد واتخذوه واعدوا لأبي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته انه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف

فلما اسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي ﷺ يوم احد وكان جنبا فغسلته الملائكة وسمى رسول الله ﷺ اباعامر الفاسق وكان قد ارسل إلى المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجداً فإني اذهب الى قيصر وآتي من عنده بجنود وأخرج محمداً من المدينة فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون ان يجيئهم ابوعامر فمات قبل ان يبلغ ملك الروم (وليحلفن ان أردنا الا الحسنى) معناه ان هؤلاء يحلفون كاذبين ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة الحسنى من التوسعة على أهل الضعف والعلة من المسلمين فأطلع الله نبيه على فساد طويتهم وخبث سريرتهم فقال (والله يشهد انهم لكاذبون) وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزيا فوجه رسول الله ﷺ عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لهما انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه وروي انه بعث عمار بن ياسر ووحشيا فحرقاه وأمر بأن يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف ثم نهى الله سبحانه ان يقوم في هذا المسجد فقال (لا تقم فيه أبدا) اي لا تصل فيه ابدا يقال فلان يقوم بالليل اي يصلي ثم اقسم فقال (لمسجد) اي والله لمسجد (أسس على التقوى) اي بني أصله على تقوى الله وطاعته (من أول يوم) اي منذ اول يوم وضع اساسه عن المبرد (احق أن تقوم فيه) أي اولى بأن تصلي فيه واختلف في هذا المسجد فقيل هو مسجد قباء عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ عن زيد بن ثابت وابن عمر وابي سعيد الخدري وروى هو عن النبي ﷺ قال هو مسجدي هذا وقيل هو كل مسجد بني للإسلام وأريد به وجه الله عن ابي مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال (فيه) اي في هذا المسجد الذي أسس على التقوى (رجال يحبون ان يتطهروا) اي يحبون ان يصلوا لله تعالى متطهرين بأبلغ الطهارة وقيل يحبون أن يتطهروا من الذنوب عن الحسن وقيل يحبون ان يتطهروا بالماء عن الغائط والبول وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام وروي عن النبي ﷺ انه قال لأهل قباء ماذا تفعلون في طهركم فإن الله تعالى قد احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغائط فقال انزل الله فيكم (والله يحب المطهرين) اي المتطهرين ثم قرر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال (أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار) قد مضى بيانه والمراد ان الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكما ان من بنى على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني انه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فإن عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على اصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط والالف في قوله افمن الف استفهام يراد به الانكار هاهنا وليس معنى خير في الآية افضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شر وقال الشاعر

والخير والشر مقرونان في قرن ... فالخير متبع والشر محذور

واما قوله وافعلوا الخير فإن معناه وافعلوا الأفضل وقوله (فانهار به في نار جهنم) اي يوقعه ذلك البناء في نار جهنم (والله لا يهدي القوم الظالمين) مر بيانه وروي عن جابر بن عبد الله انه قال رأيت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) اي لا يزال بناء المبني الذي بنوه شكا في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتا على النفاق وقيل ان معناه حزازة في قلوبهم وقيل حسرة في قلوبهم يترددون

فيها (الا ان تقطع قلوبهم) معناه الا ان يموتوا والمراد بالآية انهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم و كفرهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان واخذوا به من الكفر وقيل معناه إلا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم (والله عليم) اي عالم بنيتهم في بناء مسجد الضرار (حكيم) في امره بنقضه والمنع من الصلاة فيه

قوله تعالى (١١١) إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١٢) ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ آيتان

(القراءة)

قرأ اهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الياء ويقتلون بفتح الياء والباقون فيقتلون بفتح الياء ويقتلون بضمها وفي قراءة ابي وعبد الله بن مسعود والأعمش التائبين العابدين بالياء الى آخرها وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام

— الحجة —

قال ابو علي من قرأ فيقتلون ويقتلون فقدم الفعل المسند الى الفاعل فلأنهم يقتلون اولا في سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول به جاز ان يكون في المعنى مثل الاول لأن المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم فإن لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله فيقتلون بعد قوله يقتلون يقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل واما الرفع في قوله التائبون العابدون فعلى القطع والاستئناف اي هم التائبون ويكون على المدح وقيل انه رفع على الابتدا وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود الله اي لهم الجنة ايضا عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الضمير في يقاتلون اي يقاتل التائبون وأما التائبين العابدين فيحتمل ان يكون جرا وان يكون نصبا اما الجر فعلى ان يكون وصفا للمؤمنين اي من المؤمنين التائبين واما النصب فعلى اضمار فعل بمعنى المدح كأنه قال اعني وامدح التائبين

✻ اللغة ✻

السائح من ساح في الأرض يسيح سيحا اذا استمر في الذهاب ومنه السيح الماء الجاري ومن ذلك يسمى الصائم سائحا لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى

✻ الاعراب ✻

وعدا نصب على المصدر لأن قوله اشترى يدل على انه وعد ومثله صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر المؤمنين والمنافقين عقب سبحانه بالترغيب في الجهاد فقال (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) حقيقة الاشتراء لا تجوز على الله تعالى لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه وهو عز اسمه مالك الاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا في انه ذكر لفظ الشراء والقرض تلطفا لتأكيد الجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عبر عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمنا والطاعات مثمنا على ضرب من المجاز واخبر انه اشترى من المؤمنين انفسهم يبذلونها في الجهاد في سبيل الله واموالهم ايضا ينفقونها ابتغاء مرضاة الله على ان يكون في مقابلة ذلك الجنة وروي عن الأعمش انه قرأ بالجنة وهي قراءة عمر بن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان وربما كان جهاد اللسان ابلغ لأن سبيل الله دينه والدعاء الى الدين يكون اولا باللسان والسيف تابع له ولأن اقامة الدليل على صحة المدلول اولى وايضاح الحق وبيانه أحرى وذلك لا يكون الا باللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ياعلي لأن يهدي الله على يديك نسمة خير مما طلعت عليه الشمس وإنما ذكر سبحانه شراء النفس والمال لأن العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث لهما ويروى أن الله سبحانه تاجر المؤمنين فأغلى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق (ع) يقول ايا من ليست له همة انه ليس لأبدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وانشد الاصمعي للصادق (ع)

اثامن بالنفس النفيسة ربها	فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها نشتري الجنات إن أنا بعتها	بشيء سواها إن ذلكم غبن
اذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها	فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

(يقاتلون في سبيل الله) هذا بيان للغرض الذي لأجله اشتراهم (فيقتلون) المشركين (ويقتلون) اي ويقتلهم المشركون يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قتلوا اوقتلوا ومن قرأ فيقتلون ويقتلون فهو المختار عن الحسن لأنه يكون تسليم النفس الى المشتري اقرب والبائع إنما يستحق الثمن بتسليم المبيع (وعدا عليه حقا) معناه ان ايجاب الجنة لهم وعد على الله حق لا شك فيه وتقديره وعدهم الله الجنة على نفسه وعدا حقا اي صدقا واجبا لا خلف فيه (في التوراة والإنجيل والقرآن) وهذا يدل على ان اهل كل ملة امروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة عن الزجاج (ومن اوفى بعهده من الله) معناه لا احد اوفى بعهده من الله لأنه يفي ولا يخلف بحال (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فافرحوا بهذه المبايعة حتى ترى آثار السرور في وجوهكم بسبب هذه المبايعة لأنكم بعتم الشيء من مالكه واخذتم ثمنه ولأنكم بعتم فانيا بباق وزائلا بدائم (وذلك هو الفوز العظيم) اي ذلك الشراء والبيع الظفر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم الأنفس والأموال بأوصاف فقال (التائبون) اي الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون اليه النادمون على ما فعلوه من القبائح (العابدون) اي الذين يعبدون الله وحده ويتذللون له بطاعته في اوامره ونواهيه وقيل هم الذين اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم فعبدوا الله في السراء والضراء عن الحسن وقتادة (الحامدون) اي الذين يحمدون الله على كل حال عن الحسن وقيل هم الشاكرون لنعم الله على وجه الإخلاص له (السائحون) اي الصائمون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير

ومجاهد وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال سياحة امتي الصيام وقيل هم الذين يسيحون في الأرض فيعتبرون بعجائب الله تعالى وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض لطلبه عن عكرمة (الراكعون الساجدون) اي المؤدون الصلاة المفروضة التي فيها الركوع والسجود (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ادخل الواو هنا لأن الأمر بالمعروف يتضمن النهي عن المنكر فكأنهما شيء واحد ولأنه قرن النهي عن المنكر بالأمر بالمعروف في اكثر المواضع فادخل الواو ليدل على المقارنة (والحافظون لحدود الله) اي والقائمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يؤدون فرائض الله واوامره ويجتنبون نواهيه لأن حدود الله اوامره ونواهيه وإنما ادخل الواو لأنه جاء وهو اقرب الى المعطوف (وبشر المؤمنين) هذا امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يبشر المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة اذا جمعوا هذه الاوصاف وقد روى اصحابنا ان هذه صفات الائمة المعصومين عليهم السلام لأنه لا يكاد يجمع هذه الاوصاف على تمامها وكمالها غيرهم ولقي الزهري علي بن الحسين (ع) في طريق الحج فقال له تركت الجهاد وصعوبته واقبلت الى الحج والله سبحانه يقول ان الله اشترى من المؤمنين الآية فقال (ع) له اتم الآية الأخرى التائبون العابدون الى آخرها ثم قال اذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج

قوله تعالى (١١٣) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٤) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ آيتان

اللغة

اصل الاواه من التأوه وهو التوجع والتحزن يقال تأوه تأوها واوه تأويها قال المثقب العبدي

اذا ما قمت ارحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

ولو جاء منه فعل مصرف الكان آه يؤه اوها مثل قال يقول قولا والعرب تقول اوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء قال

فأوه بذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دونها وسماء

والعامة تقول اوه وفيه خمس لغات اوه بسكون الواو وكسر الهاء واو واهٍ بالتنوين واوه واوّه

المعنى

(ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) ومعناه ليس للنبي والمؤمنين ان يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يعبدون مع الله إلها آخر والذين لا يوحدونه ولايقرون بإلهيته (ولو كانوا اولي قربى) اي ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة اقرب الناس اليهم (من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) اي من بعد أن يعلموا انهم كفار مستحقون للخلود في النار وفي تفسير الحسن ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الا تستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية فانزل الله سبحانه هذه الآية وبين انه لا ينبغي لنبي ولا مؤمن ان يدعو لكافر ويستغفر له وقوله ما كان للنبي ابلغ من ان يقول لا ينبغي للنبي لأنه يدل على قبحه وان الحكمة تمنع منه ولو قال لا ينبغي لم يدل على ان الحكمة تمنع منه وإنما كان يدل على انه لا ينبغي ان يختاره ومعناه لم يجعل الله في دينه ولا في حكمه ان يستغفروا للمشركين ولو دعتهم رقة القرابة وشفقة الرحم الى الاستغفار لهم بعد ما ظهر ان لهم عذابا عظيما ثم بين سبحانه الوجه في استغفار ابراهيم لأبيه مع كونه كافرا سواء كان اباه الذي ولده أو جده

لأمه اوعمه على ما رواه اصحابنا فقال (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه) اي لم يكن استغفاره له الا صادرا عن موعدة وعدها اياه واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو ابراهيم وابوه فقيل ان الموعدة كانت من الأب وعدها ابراهيم انه يؤمن ان استغفر له فاستغفر له لذلك (فلما تبين له انه عدو لله) ولا يفي بما وعد (تبرأ منه) وترك الدعاء له وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة الا انهم قالوا انما تبين عداوته لما مات على كفره وقيل ان الموعدة كانت من ابراهيم قال لأبيه اني استغفر لك ما دمت حيا وكان يستغفر له مقيدا بشرط الايمان فلما آيس من إيمانه تبرأ منه وهذا يوافق قراءة الحسن الاعن موعدة وعدها اباه بالباء ويقوية قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء (ان ابراهيم لأواه) اي دعاء كثير الدعاء والبكاء عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل الأواه الرحيم بعباد الله عن الحسن وقتادة وقيل هو الذي اذا ذكر النار قال اوه عن كعب وقيل الأواه المؤمن بلغة الحبشة عن ابن عباس وقيل الأواه الموقن المستيقن عن مجاهد وعكرمة وقيل الأواه الفقيه عن النخعي وقيل هو الراجع عن كل ما يكره الله عز وجل عن عطا وقيل هو الخاشع المتضرع رواه عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو المسبح الكثير الذكر لله سبحانه عن عقبة بن عامر وقيل هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا بالاجابة ولزوما للطاعة عن ابي عبيدة وقال الزجاج وقد انتظم قول ابي عبيدة اكثر ما روي في الأواه (حليم) يقال بلغ من حلم ابراهيم (ع) ان رجلا قد اذاه وشتمه فقال له هداك الله وقيل الحليم السيد عن ابن عباس واصله انه الصبور على الاذى الصفوح عن الذنب

النظم

لما تقدم ذكر الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلاة عليهم والقيام على قبرهم للدعاء لهم نهى عن دعائهم بعد موتهم ولما نهى الله النبي والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ذكر قصة ابراهيم وعذره في الاستغفار لابيه واما قوله ان ابراهيم لأواه حليم فإنما اتصل بما قبله بأنه اذا كان له صفة الرأفة والرحمة يكون في دعائه اخلص وعلى خلاص اقربائه من العذاب احرص ومع ذلك تبرأ منه لما يئس من فلاحه

قوله تعالى (١١٥) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٦) إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ آيتان

(النزول)

قيل مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض فقال المسلمون يارسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم فنزل وما كان الله ليضل قوماً الآية عن الحسن

المعنى

(وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم) اي وما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدايتهم (حتى يبين لهم ما يتقون) من الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالتهم وقيل وما كان الله ليعذب قوماً فيضلهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد اذ هداهم ودعاهم إلى الإيمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما نسخ بعض الشرائع وقد غاب اناس وهم يعملون بالأمر الأول إذ لم يعلموا بالأمر الثاني مثل تحويل القبلة وغير ذلك وقد مات الأولون على الحكم الأول سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فأنزل الله الآية وبين انه لا يعذب هؤلاء على التوجه إلى القبلة الاولى حتى يسمعوا

بالنسخ ولا يعملوا بالناسخ فحينئذ يعذبهم عن الكلبي (إن الله بكل شيء عليم) يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه (إن الله له ملك السماوات والأرض) الملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير (يحيي ويميت) أي يحيي الجماد ويميت الحيوان (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) اي ليس لكم سواه حافظ يحفظكم وولي يتولى امركم ولا ناصر ينصركم ويدفع العذاب عنكم

النظم

وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها ان الله سبحانه لما حرم على المؤمنين ان يستغفروا للمشركين بين سبحانه انه لا يأخذهم بذلك إلا بعد ان يدلهم على تحريمه عن مجاهد ووجه اتصال الآية الثانية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لأنهم عبيد من له ملك السماوات والأرض يأمرهم بما يشاء ويدبرهم على ما يشاء عن علي بن عيسى

قوله تعالى (١١٧) لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٨) وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ آيتان

القراءة

قرأ حمزة وحفص عن عاصم يزيغ بالياء وهي قراءة الأعمش والباقون تزيغ بالتاء والقراءة المشهورة الذين خلفوا وقرأ علي بن الحسين زين العابدين (ع) وابو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وابو عبد الرحمن السلمي خالفوا وقرأ عكرمة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء واللام خفيفة

الحجة

قال ابو علي يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء *الأول* ان تضمر فيها القصة والحديث ويكون تزيغ الخبر وجاز ذلك فيها وإن كان الأصل في اضمار القصة إنما هو في الابتداء لأن الخبر لازم لكاد فأشبه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر له قال ولا يجوز ذلك في عسى لأن عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الأمر فلا يلزمه الخبر كقوله عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم فإذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي يحتمله كاد كما لم يحتمله سائر الافعال التي تسند إلى فاعليها ما لا يدخل على المبتدأ *والثاني* ان يضمر في كاد ذكر مما تقدم لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصار قبيلا واحدا و فريقاً واحدا جاز أن يضمر في كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق ونحو ذلك من الأسماء المفردة الدالة على الجمع وقال منهم فحمله على المعنى مثل قوله آمن بالله واليوم الآخر ثم قال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه *الثالث* أن يكون فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قدم تزيغ كما تقدم خبر كان وجاز تقديمه وان كان فيه ذكر من القلوب ولم يمتنع من حيث يمتنع الإضمار قبل الذكر لما كان النية به التأخير كما لم يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التأخير فأما من قرأ يزيغ بالياء فيجوز أن يكون قد ذهب إلى ان في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب بيزيغ فذكر وإن كان فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل ومن قرأ تزيغ بالتاء جاز أن يكون ذهب إلى ان القلوب مرتفعة بكاد وجاز أن يكون الفعل المسند إلى القصة او الحديث يؤنث إذا كان في الجملة

التي يفسرها موءنث كقوله فـإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وجاز تأنيث هي التي هي ضمير القصة لذكر الأبصار الموءنثة في الجملة التي هي التفسير فكذلك يوءنث الذي في كاد لذكر الموءنث في الجملة المفسرة فتقول كادت وتدغم التاء التي هي علامة التأنيث في تاء تزيغ وتزيغ على هذا للقلوب وهي مرتفعة به ويجوز الحاق التاء بكاد من وجه آخر وهي ان ترفع قلوب فريق بكاد فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مسنداً إلى موءنث ومن قرأ خلفوا فتأويله اقاموا ولم يبرحوا ومن قرأ خالفوا فمعناه عائد إلى ذلك لأنهم إذا خالفوهم فأقاموا فقد خلفوا هناك

﴿ اللغة ﴾

الزيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وزاغت الشمس إذا مالت وزاغ عن الطريق جاز وعدل والتخليف تأخير الشيء عمن مضى فأما تأخير الشيء عنك في المكان فليس بتخليف وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه يقال خلفه اي جعله خلفه فهو مخلف ورحبت البلاد إذا اتسعت والرحب السعة ومنه مرحباً واهلا اي رحبت بلادك واهلت والضيق ضد السعة والظن هنا بمعنى اليقين كما في قول دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية الأولى في غزاة تبوك وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى همّ قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه قال الحسن كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود والاهالة السنخة وكان النفر منهم يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فإذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من التمرة إلا النواة قالوا وكان ابو خيثمة عبد الله بن خيثمة تخلف إلى ان مضى من مسير رسول الله (ص) عشرة أيام ثم دخل يوماً على امرأتين له في يوم حار في عريشين لهما قد رتبتاهما وبردتا الماء وهيأتا له الطعام فقام على العريشين وقال سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وابو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهيء وامرأتين حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال والله لا اكلم واحدة منكما كلمة ولا ادخل عريشاً حتى الحق بالنبي (ص) فأناخ ناضحه واشتد عليه وتزود وارتحل وامرأتاه تكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى إذا دنا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال النبي (ص) كن ابا خيثمة اولى لك فلما دنا قال الناس هذا ابو خيثمة يارسول الله فأناخ راحلته وسلم على رسول الله (ص) فقال (ع) اولى لك فحدثه الحديث فقال له خيرا ودعا له وهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم ثبته الله واما الآية الثانية فإنها نزلت في شأن كعب ابن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله (ص) ولم يخرجوا معه لا عن نفاق ولكن عن توان ثم ندموا فلما قدم النبي (ص) المدينة جاءوا اليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي (ص) وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نساؤهم إلى رسول الله (ص) فقلن له يارسول الله نعتزلهم فقال لا ولكن لا يقربوكن فضاقت عليهم المدينة فخرجوا إلى رؤوس الجبال وكان اهاليهم يجيئون لهم بالطعام ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد منهم فهلا نتهاجر نحن ايضا فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوما يتضرعون إلى الله تعالى ويتوبون اليه فقبل الله تعالى توبتهم وانزل فيهم هذه الآية

المعنى

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) اقسم الله تعالى في هذه الآية لأن لام لقد لام القسم بأنه سبحانه قبل توبتهم وطاعاتهم وإنما ذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفتاحاً للكلام وتحسينا له ولأنه سبب توبتهم وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة وقد روي عن الرضا علي بن موسى عليه السلام انه قرأ لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والانصار (الذين اتبعوه) في الخروج معه إلى تبوك (في ساعة العسرة) وهي صعوبة الأمر قال جابر يعني عسرة الزاد وعسرة الظهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة وقت العسرة لأن الساعة تقع على كل زمان وقال عمر ابن الخطاب اصابنا حر شديد وعطش فأمطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعشنا بذلك (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) عن الجهاد فهموا بالانصراف من غزاتهم من غير امر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ثم تاب عليهم) من بعد ذلك الزيغ ولم يرد بالزيغ هاهنا الزيغ عن الايمان (انه بهم رؤوف رحيم) تدار كهم برحمته والرأفة اعظم من الرحمة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم وإما يتوب عليهم وقال الحسن وقتادة معناه خلفوا عن غزوة تبوك لما تخلفوا هم واما قراءة أهل البيت عليهم السلام خالفوا فإنهم قالوا لو كانوا خلفوا لما توجه عليهم العتب ولكنهم خالفوا (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) اي برحبها وما هاهنا مصدرية ومعناه ضاقت عليهم الأرض مع اتساعها وهذه صفة من بلغ غاية الندم حتى كأنه لا يجد لنفسه مذهباً وذلك بأن النبي امر الناس بأن لا يجالسوهم ولا يكلموهم كما مر ذكره لأنه كان نزلت توبة الناس ولم تنزل توبتهم ولم يكن ذلك على معنى رد توبتهم لأنهم كانوا مأمورين بالتوبة ولا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة لكن الله سبحانه أراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تأخير انزال توبتهم وأراد بذلك استصلاحهم واستصلاح غيرهم لئلا يعودوا إلى مثله (وضاقت عليهم انفسهم) هذه عبارة عن المبالغة في الغم حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعاً يخفونها فيه وقيل معنى ضيق انفسهم ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها (وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا اليه) أي وأيقنوا انه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به ويلجأون اليه غيره تعالى ومعناه علموا انه لا معتصم من الله إلا به وأن لا ينجيهم من عذاب الله إلا التوبة (ثم تاب عليهم ليتوبوا) اي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل ليتوبوا أي ليعودوا إلى حالتهم الاولى قبل المعصية وقيل معناه ثم تاب على الثلاثة وانزل توبتهم على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بأن الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن أما والله ما سفكوا من دم ولا اخذوا من مال ولا قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتخلف هؤلاء وكان احدهم تخلف بسبب ضيعة له والآخر لأهله والآخر طلباً للراحة ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم (إن الله هو التواب) أي الكثير القبول للتوبة (الرحيم) بعباده

النظم

اتصلت الآية الاولى بقوله التائبون الآية اثنى الله سبحانه عليهم هناك وبين في هذه الآية قبول توبتهم ورضاه عنه باتباعهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في ساعة العسرة عن ابي مسلم وقيل انه سبحانه لما ذكر ان له ملك السماوات والارض ولا ناصر لأحد دونه بين عقيبه رحمته بالمؤمنين ورأفته بهم في قبول توبتهم

قوله تعالى (١١٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ آية

القراءة

في مصحف عبد الله وقراءة ابن عباس من الصادقين وروي ذلك عن ابي عبد الله(ع)

﴿ اللغة ﴾

الصادق هو القائل بالحق العامل به لأنه صفة مدح ولا يطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين المصدقين بالله المقرين بنبوة نبيه ﷺ فقال (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا معاصي الله واجتنبوها (وكونوا مع الصادقين) الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ومعناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في اقواله وأفعاله وصاحبوهم ورافقوهم كقولك أنا مع فلان في هذه المسئلة أي أقتدي به فيها وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فأمر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء الصادقين المتقين وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن ابي طالب (ع) وروي الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع علي واصحابه وروى جابر عن ابي جعفر «ع» في قوله وكونوا مع الصادقين قال مع آل محمد ﷺ وقيل مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد ﷺ واصحابه عن نافع وقيل مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس وقيل ان معنى مع هنا معنى من فكأنه أمر بالكون من جملة الصادقين ويعضده قراءة من قرأ من الصادقين والمعنيان متقاربان هنا لأن مع للمصاحبة ومن للتبعيض فإذا كان من جملتهم فهو معهم وبعضهم وقال ابن مسعود لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا أن يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرأوا إن شئتم هذه الآية هل ترون في الكذب رخصة

قوله تعالى (١٢٠) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢١) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيتان

﴿ اللغة ﴾

الرغبة طلب المنفعة يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به ورغب عنه إذا طلب المنفعة بتركه والظمأ شدة العطش والنصب التعب ومثله الوصب قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

والمخمصة المجاعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ورجل خميص البطن وامرأة خمصانة ضامرة البطن والموطئ الارض والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يسوؤه يقال غاظه يغيظه

— المعنى —

لما قص الله سبحانه قصة الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ثم إعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وانه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ

لهم والإزراء على ما كانوا فعلوه فقال (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) ظاهره خبر ومعناه نهي مثل قوله ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ما كان يجوز وما كان يحل لأهل مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا عنه في غزاة تبوك وغيرها بغير عذر وقيل انه مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي ما كان يجوز لهم ولجميع المؤمنين أن يطلبوا نفع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه وهذه فريضة ألزمهم الله إياها لحق رسول الله ﷺ فيما دعاهم اليه من الهدى الذي اهتدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان وقيل معناه ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحر والمشقة يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي ترفعت عنه بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية للنبي ﷺ (ذلك) أي ذلك النهي لهم والزجر عن التخلف (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أي عطش (ولا نصب) أي ولا تعب في ابدانهم (ولا مخمصة في سبيل الله) أي ولا مجاعة وهي شدة الجوع في طاعة الله (ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار) أي لا يضعون اقدامهم موضعا يغيظ الكفار وطؤهم إياه يعني دار الحرب فإن الإنسان يغيظه ويغضبه أن يطأ غيره موضعه (ولا ينالون من عدو نيلاً) أي ولا يصيبون من المشركين أمرا من قتل أو جراحة او مال او امر يغمهم ويغيظهم (إلا كتب لهم به عمل صالح) وطاعة رفيعة (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي الذين يفعلون الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وفي هذا تحريض على الجهاد واعمال الخير (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي ولا ينفقون في الجهاد ولا في غيره من سبل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك اعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك إلى الله تعالى (ولا يقطعون واديا) أي ولا يجاوزون واديا (إلا كتب لهم) ثواب ذلك (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله حتى يصير الثواب أحسن وأكثر من عملهم وقيل ان الأحسن من صفة فعلهم لأن الأعمال على وجوه واجب ومندوب ومباح وإنما يجازي على الواجب والمندوب دون المباح فيقع الجزاء على أحسن الأعمال وقيل معناه ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والآيتان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله ﷺ وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي ﷺ إلى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل انه خاص في النبي ﷺ ليس لأحد أن يتخلف عنه في الجهاد إلا لعذر فأما غيره من الأئمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل ان ذلك لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الأوزاعي وابن المبارك وقيل ان هذا كان في ابتداء الإسلام وفي أهله قلة فأما الآن وقد كثر الإسلام وأهله فإنه منسوخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية عن ابن زيد وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل أحد لصار من فروض الأعيان .

قوله تعالى (١٢٢) وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٢٤) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٥) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ اربع آيات

﴿ اللغة ﴾

التفقه تعلم الفقه والفقه العلم بالشيء وفي حديث سلمان انه قال لامرأة فقهت أي علمت وفهمت فأما فقهت بضم القاف فمعناه صارت فقيهة وقد اختص في العرف بعلم الأحكام الشرعية فيقال لكل عالم بها فقيه وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك لا يقال الله سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء بما فيه من المضرة قال الزجاج يقال غلظة وغلظة وغلظه ثلاث لغات قال ابو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي العربية والمراد بالمرض في الآية الشك فإنه فساد في القلب يحتاج إلى العلاج كما ان الفساد في البدن يحتاج إلى مداواة ومرض القلب اعضل وعلاجه أعسر ودواؤه أعز وأطباؤه أقل

﴿ الإعراب ﴾

لولا نفر بمعنى هلا نفر وهي للتحضيض إذا دخلت على الفعل فإذا دخلت على الإسم فمعناها امتناع الشيء لأجل وجود غيره ليتفقهوا أي ليتفقه باقوهم لأنه إذا نفر طائفة منهم تفقه من بقي منهم وإن شئت فمعناه ليتفقه كلهم لأنه من نفر منهم إذا رجع استعلم من بقي فصار كلهم فقهاء وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك قوله وهم كافرون

﴿ النزول ﴾

قيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج غازيا لم يتخلف عنه إلا المنافقون والمعذرون فلما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين وبين نفاقهم في غزاة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزاة يغزوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا سرية ابدا فلما امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسرايا إلى الغزو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده فأنزل الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا الآية عن ابن عباس في رواية الكلبي وقيل انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا وخصبا ودعوا من وجدوا من الناس على الهدى فقال الناس ومانراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن مجاهد

« المعنى »

لما تقدم الترغيب في الجهاد بأبلغ اسباب الترغيب وتأنيب من تخلف عنه بأبلغ اسباب التأنيب بين في هذه الآية موضع الرخصة في تأخر من تأخر عنه فقال سبحانه (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وهذا نفي معناه النهي اي ليس للمؤمنين ان ينفروا ويخرجوا إلى الجهاد باجمعهم ويتركوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فريدا وحيدا وقيل معناه ليس عليهم ان ينفروا كلهم من بلادهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتعلموا الدين ويضيعوا ما وراءهم ويخلوا ديارهم عن الجبائي (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة ليتفقهوا في الدين يعني الفرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا اليهم ان الله قد انزل بعدكم على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتتعلمه السرايا فذلك قوله (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم) أي وليعلموهم القرآن ويخوفوهم به إذا رجعوا اليهم (لعلهم يحذرون) فلا يعملون بخلافه عن ابن عباس في رواية الوالبي وقتادة والضحاك وقال الباقر (ع) كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله ان تنفر منهم طائفة وتقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوبا ﴿ وثانيها ﴾ ان التفقه والإنذار يرجعان إلى الفرقة النافرة وحثها الله تعالى على التفقه لترجع إلى المتخلفة فتحذرها ومعنى ليتفقهوا في الدين ليتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا اليهم من

الجهاد فيخبروهم بنصر الله النبي والمؤمنين ويخبروهم انهم لايــدان لهم بقتال النبي والمؤمــنين لعلهم يحذرون ان يقاتلوا النبي ﷺ فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار عن الحسن وابي مسلم قالـــ ابو مسلم اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين وانذار قومهم ﴿ وثالثها ﴾ ان التفقه راجع إلى النافرة والتقدير ما كان لجميع المؤمنين ان ينفروا إلى النبي ﷺ ويخلوا ديارهم ولكن لينفر اليه من كل ناحية طائفــة لتسمع كلامه وتتعلم الدين منه ثم ترجع إلى قومها فتبين لهم ذلك وتنذرهم عن الجبائي قال والمراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم وإنما سمي ذلك نفرا لما فيه من مجاهدة اعداء الدين قال القاضي ابو عاصم وفي هذا دليل على اختصاص الغربــة بالتفقه وأن الإنسان يتفقه في الغربة مالا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال (ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) اي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الاقرب منهم فالاقرب في النسب والدار وقال الحسن كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قائم الآن لأنه لا ينبغي لأهل كل بلد ان يخرجوا إلى قتال الأبعد ويدعوا الأقرب والادنى لأن ذلك يؤدي إلى الضرر وربما يمنعهم ذلك عن المضي في وجهتهم إلا أن يكون بينهم وبين الا قرب موادعة فلا بأس حينئذ بمجاوزة الأقرب إلى الأبعد على ما يراه المتولي لامور المسلمين ولو قال سبحانه قاتلوا الأبعد فالأبعد لكان لا يصح لانه لا حد للأبعد يبتدئ منه كما للأقرب وفي هذا دلالة على انه يجب على اهل كل ثغر الدفاع عن انفسهم إذا خافوا على بيضــة الإسلام وإن لم يكن هناك إمام عادل وقال ابن عباس امروا ان يقاتلوا الادنى فالأدنى من عدوهم مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر انهم الروم لأنهم سكان الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وكان الحسن إذا سئل عن قتال الروم والترك والديلم تلا هذه الآية (وليجدوا فيكم غلظة) اي شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد وقيل صبراً على الجهاد عن الحسن والمعنى وليحسوا منكم بضد اللين وخلاف الرقة وهو العنف والشدة ليكون زجراً لهم (واعلموا أن الله مــع المتقين) عن الشرك اي معينهم وناصرهم ومن كان الله ناصره لم يغلبه احد فأما إذا نصره سبحانه بالحجة فإنه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه (وإذا ما انزلت سورة) في القرآن (فمنهم) أي من المنافقين (من يقول) على وجه الإنكار اي يقول بعضهم لبعض (ايكم زادته هذه) السورة (إيمانا) وقيل معناه يقول المنافقون للمؤمنين الذين في ايمانهم ضعف ايكم زادته هذه السورة إيماناً أي يقينا وبصيرة (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) معناه فأما المؤمنون المخلصون فزادتهم تصديقاً بالفرائض مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الإيمان انهم كانوا مؤمنين بما قد نزل من قبل وآمنوا بما انزل الآن (وهم يستبشرون) اي يسرون ويبشر بعضهم بعضا قــد تهللت وجوههم وفرحوا بنزولها (واما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أي نفاقاً وكفراً إلى نفاقهم وكفرهم لأنهم يشكون في هذه السورة كما شكوا فيما تقدمها من السور فذلك هو الزيادة وسمي الكفر رجساً على وجه الذم له وانــه يجب تجنبه كما يجب تجنب الارجاس وأضاف الزيادة إلى السورة لأنهم يزدادون عندها رجساً ومثله كفى بالسلامة داءً وقول الشاعر « وحسبك داءً ان تصح وتسلما » (وماتوا وهم كافرون) أي واداهم شكهم فيما أنزل الله تعالى من السور إلى أن ماتوا على كفرهم وآبوا شر مآب

قوله تعالى (١٢٦) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٧) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٨) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ

اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أولا ترون بالتاء حمزة ويعقوب وهي قراءة أُبيّ والقراءة المشهورة من أنفسكم بضم الفاء وقرأ ابن عباس وابن علية وابن محيصن والزهري من انفسكم بفتح الفاء وقيل انها قراءة فاطمة «ع»

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو تقريع للمنافقين بالاعراض عما يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبة والإقلاع عما هم عليه من النفاق ومن قرأ من انفسكم بفتح الفاء فمعناه من اشرفكم ومن خياركم يقال هذا أنفس المتاع اي اجوده وخياره واشتقاقه من النفس وهي اشرف ما في الانسان

﴿ اللغة ﴾

العزيز الشديد والعزيز في صفات الله تعالى معناه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريده والعزة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه وهو على ثلاثة أوجه امتناع الشيء بالقدرة او بالقلة او بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والأذى الذي يضيق به الصدر وعنت الدابة يعنت عنتاً إذا حدث في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري فكأنه شق عليه الجري واكمة عنوت شاقة المصعد وحسبي الله اي كافيّ الله وهو من الحساب لأنه تعالى يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ إلى حد ونهاية إذ نعمه دائمة ومننه متواترة متظاهرة والتوكل تفويض الأمر إلى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته

﴿ الاعراب ﴾

أولا يرون الواو للعطف دخلت عليها همزة الاستفهام ويحتمل الرؤية ان تكون المتعدية إلى مفعولين وان تكون من رؤية العين فإذا كانت المتعدية إلى المفعولين يسدان مسدهما وإن كانت من رؤية العين يكون ابلغ ما عنتم ما مصدرية وتقديره عزيز عليه عنتكم فهو في موضع رفع بعزيز وقوله لا إله إلا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله مستحقاً لإخلاص العبادة والإقرار بالوحدانية وجر القراء كلهم العظيم على انه صفة العرش ولو قرئ بالرفع على أن يكون صفة لرب العرش لجاز

﴿ المعنى ﴾

ثم نبه سبحانه على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا ويتدبروا فيه فقال (أولا يرون) أي أولا يعلم هؤلاء المنافقون وقيل معناه أولا يبصرون (انهم يفتنون) اي يمتحنون (في كل عام مرة او مرتين) أي دفعة او دفعتين بالأمراض والأوجاع هو رائد الموت (ثم لا يتوبون) أي لا يرجعون عن كفرهم (ولا هم يذكرون) اي لا يتذكرون نعم الله عليهم وقيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله ﷺ وما يرون من نصرة الله رسوله وما ينال اعداؤه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل بهتك استارهم وما يظهر من خبث سرائرهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجلاء ومنع القطر وذهاب الثمار عن الضحاك (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض) معناه وإذا نزلت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي ﷺ كرهوا ما يسمعونه ونظر بعضهم الى بعض نظراً يؤمنون به (هل يراكم من احد) وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يحذرون أن يعلم بهم فكأنهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون وإنما يفعلون ذلك مخافة أن تنزل آية تفضحهم وكانوا لا يقولون ذلك بألسنتهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكأنه يقول ذلك وقيل معناه ان المنافقين كان ينظر بعضهم إلى بعض نظر تعنت وطعن في القرآن ثم يقولون هل يرانا أحد من

انما اهلكوا لما كانوا في المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسل الذين اتوهم والكتب التي جاؤوهم بها واستدل ابو علي الجبائي بهذا على ان تبقية الكافر واجبة إذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد (كذلك نجزي القوم المجرمين) اي كذلك نعذب القوم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم وعلمنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون (ثم جعلناكم) يا امة محمد (خلائف في الأرض من بعدهم) اي من بعد القرون التي اهلكناهم ومعناه اسكناكم الأرض خلفهم (لننظر كيف تعملون) اي لنرى عملكم اين يقع من عمل اولئك أتقتدون بهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه ام تؤمنون فتستحقون الثواب وإنما قال لننظر ليدل على انه سبحانه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازيه على ما يظهر منه دون ما قد علم انه يفعله مظاهرة في العدل والنظر في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لأنه إنما يكون بالقلب وهو التفكر وبالعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته مع سلامة الحاسة واحد هذين لا يجوز عليه سبحانه وإنما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع فإن النظر إنما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه

قوله تعالى (١٥) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٦) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ثلاث آيات

القراءة

في رواية ابي ربيعة عن البزي عن ابن كثير ولأدراكم فجعلها لاما دخلت على ادراكم وامال في ادراكم وادراك في جميع القرآن ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن ولا ادريكم به

الحجة

قال ابو علي حكى سيبويه دريته ودريت به والاكثر في الاستعمال بالباء ويبين ذلك قوله ولا ادراكم به ولو جاء على اللغة الأخرى لكان ولا ادراكوه وقال الدرية كالفطنة والشعرة وهي مصادر يراد بها ضروب من العلم اما الدراية فكالهداية والدلالة فكأن الدراية التأني والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة أنشد ابو زيد

فإن غزالك الذي كنت تدري إذا شئت ليث خادر بين اشبل

وتدري اي تختل ومنه الدرية في قول اكثر الناس الجمل الذي يستتر به الصايد من الوحش كأنه يختل به وداريت الرجل لاينته وخاتلته وإذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا يسوغ فأما قول الراجز (لاهم لا أدري وانت الداري) فلا يكون حجة في جواز ذلك لأنه استجاز ذلك لما تقدم

من قوله لا أدري كما جاز فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فإنا نسخر منكم وأيضا فإن الأعراب يذكرون اشياء يمتنع جوازها كما قالوا

لاهم ان كنت الذي بعهدي ولم تغيرك الأمور بعدي

وقال الآخر « لو خافك الله عليه حرمه » فأما الهمزة على ما حكي عن الحسن وغيره فلا وجه له لأن الدرء الدفع قال ابن جني يجوز ان يكون لها وجه وان كان فيه ضعف صنعة وهوان يكون أراد ولاادريتكم به ثم قلبت الياء الفا لانفتاح ما قبلها وان كانت ساكنة كقولهم في يأس ياس وفي ييئس يائس وقال قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك ان يقولوا اعطاتك ثم همز الألف على لغة من قال في الباز البأز وفي العالم والخاتم والنابل العألم والخأتم والنأبل ومن قرأ ولأدريكم به فمعناه ولأعلمكم الله تعالى به فيكون نفيا للتلاوة واثباتا للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون نفيا للأمرين جميعا

اللغة

التلقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفا فيقال هو تلقاءه كما يقال هو حذاءه وقبالته وتجاهه وإزاءه والعمر بفتح العين وسكون الميم والعمر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير

النزول

قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن مغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي ﷺ أئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقاء نفسك عن مقاتل وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد أئت بقرآن غير هذا فيه مانسلكه عن الكلبي

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا) المنزلة في القرآن (بينات) أي واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع وهي نصب على الحال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقابنا ولا يطمعون في ثوابنا (أئت بقرآن غير هذا) الذي تتلوه علينا (او بدله) فاجعله على خلاف ماتقرؤه والفرق بينهما أن الإتيان بغيره قد يكون معه وتبديله لا يكون الا برفعه وقيل معنى قوله بدله غير احكامه من الحلال او الحرام أرادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الأمر منهم وان يخلي بينهم وبين ما يريدونه (قل) يا محمد (ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي) أي من جهة نفسي وناحية نفسي ولأنه معجز فلا أقدر على الاتيان بمثله (ان اتبع الا ما يوحى الي) اي ما أتبع الا الذي أوحي الي (اني أخاف ان عصيت ربي) في اتباع غيره (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة ومن استدل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقدابعد لأنه اذا نسخ القرآن بالسنة وما يقوله النبي ﷺ فإنما يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبديله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآنا ويؤيد ذلك قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي الا يوحى (قل) يا محمد (لو شاء الله ما تلوته عليكم) معناه لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي (ولا ادراكم به) اي ولا اعلمكم الله به بأن لا ينزله علي فلا اقرأه عليكم فلا تعلمونه (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) اي فقد مكثت وأقمت بينكم

الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله اوحينا إلى رجل منهم فمن قرأ ساحر اراد الرجل ومن قرأ سحر أراد الذي اوحي سحر

﴿ اللغة ﴾

الآية العلامة التي تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم النافية للشبهات والحكيم ههنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعل قال الاعشى

وغريبة تأتي الملوك حكيمة   قد قلتها ليقال من ذا قالها

وأنشد ابو عبيدة لأبي ذويب

يواعدني عكاظ لننزلنه   ولم يشعر إذا أني خليف

أي مخلف من اخلفته الوعد وقيل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال الازهري القدم الشيء الذي تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقيل القدم المقدم كالنقض والقبض قال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال العجاج

ذل بنو العوام عن آل الحكم   وتركوا الملك لملك ذي قدم

وقال الازهري فلان يمشي القدمية والتقدمية اذا تقدم في الشرف وقال ابو عبيدة والكسائي كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم ويقال لفلان قدم في الإسلام وهو مؤنث يقال قدم حسنة قال حسان

لنا القدم العليا اليك وخلفنا   لأولنا في طاعة الله تابع

وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها   مع الحسب العادي طمت على البحر

﴿ الإعراب ﴾

أضيفت آيات الى الكتاب لأنها ابعاض الكتاب كما ان سوره ابعاضه وان اوحينا في موضع رفع بأنه اسم كان وعجبا خبره واللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف كان صفة لعجب فلما تقدم صار حالا كقوله «لعزة موحشا طلل قديم» وان شئت كان ظرفا لكان وان انذر في موضع نصب تقديره اوحينا بأن أنذر فحذف الجار فوصل الفعل وان لهم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرئ ان لهم بالكسر لكان جائزا لأن البشارة في معنى القول الا أنه لم يقرأ به وأضيف قدم الى صدق كما يقال مسجد الجامع

﴿ المعنى ﴾

قد مضى الكلام في معاني الحروف المعجمة المذكورة في أوائل السور من قبل (تلك آيات الكتاب الحكيم) معناه ان الآيات التي جرى ذكرها او الآيات التي أنزلت على محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي آيات القرآن المحكم من الباطل الممنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف وقيل تلك أي هذه السور آيات الكتاب الحكيم أي اللوح المحفوظ وسماه محكما لأنه ناطق بالحكمة وقيل لأنه جمع العلوم والحكمة وقيل إنما وصف الكتاب بالحكيم لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولأنه يؤدي الى المعرفة التي تميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة (أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس) هذه الف استفهام

المراد به الإنكار وقيل ان المراد بالناس هنا أهل مكة قالوا نعجب ان الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله الى الناس إلا يتيم ابي طالب والتقدير أكان ايحاؤنا الى رجل من الناس بأن ينذرهم عجبا ومعناه لماذا تعجبون ان أوحينا الى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي كان يجب فعله عند كل العقلاء فإن الله تعالى لما اكمل لعباده عقولهم وكلفهم معرفته واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك الا بداع يدعوهم اليه ومنبه ينبههم عليه وجب في الحكمة أن يفعل ذلك ثم بين سبحانه الوجه الذي لأجله بعث وما الذي أوحى اليه فقال ان انذر الناس اي اخبرهم بالعذاب وخوفهم به (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) اي عرفهم مافيه الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الإكرام والاجلال لصالح الاعمال وقيل ان لهم قدم صدق اي أجرا حسنا ومنزلة رفيعة بما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان المعنى سبقت لهم السعادة في الذكر الأول ويؤيده قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقيل هو تقديم الله تعالى إياهم في البعث يوم القيامة بيانه قوله «ع» نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وقيل ان القدم اسم للحسنى من العبد واليد اسم للحسنى من السيد للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم يوم القيامة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» قال الكافرون (ان هذا لساحر مبين) يعنون النبي أي قالوا هذا ساحر مظهر للسحر وما أتى به سحر بين على اختلاف القراءتين والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن معارضة القرآن ولذلك عدلوا إلى وصفه بالسحر

قوله تعالى (٣) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر المدني انه يبدأ بفتح الهمزة وهو قراءة الاعمش والباقون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ انه فتقديره وعد الله حقا لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غني عن اخلاف الوعد وان شئت كان تقديره وعد الله وعدا حقا انه يبدوء الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جني ولا يجوز ان يكون انه منصوبة الموضع بنفس وعدا لأنه قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت على موصوفها اذنت بتمامه وانقضاء اجزائه ولا يكون تاما اذا كان ما بعد الصفة من صلته فأما قول الحطيئة

ازمعت يأسا مبينا من نوالكم ... ولن ترى طاردا للحر كاليأس

فإن قوله من نوالكم ليس من صلة يأس بل يتعلق بفعل يدل عليه قوله يأسا مبينا فكأنه قال فيما بعد

يئست من نوالكم وقال الفراء من فتح جعله مفعول حقاً كما في قول الشاعر

أحقا عباد الله أن لست زائرا بثينــة او يلقى الثريا رقيبها

= اللغة =

القسط العدل ومنه القسط النصيب والقسط بفتح القاف الجور والقسط بفتح القاف والسين اعوجاج في الرجلين والحميم الماء الذي اسخن بالنار اشد اسخان قال المرقش الأصغر

في كل يوم لها مقطرة فيها كباء معدٌ وحميم

❋ الإعراب ❋

جميعاً نصب على الحال وعد الله منصوب على المصدر لأن قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقا منصوب على أحق ذلك حقا عن الزجاج وأضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما في قول كعب بن زهير

تسعى الوشاة جنابيها وقيلهم إنك يا ابن ابي سلمى لمقتول

أي ويقولون قيلهم

❋ المعنى ❋

(ان ربكم) أي خالقكم ومنشئكم ومالك تدبيركم وتصريفكم من امره ونهيه والذي يجب عليكم عبادته (الله الذي خلق السماوات والارض) اي اخترعها وأنشأهما على ما فيها من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة في ستة ايام بلا زيادة ونقصان مع قدرته على إنشائها دفعة واحدة والوجه فيه ان في ذلك مصلحة للملائكة وعبرة لهم ولغيرهم إذا اخبروا عن ذلك وكذلك تصريف الانسان حالا بعد حال واخراج الثمار والازهار شيئا بعد شيء مع قدرته على ذلك في اقل من لمح البصر لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه (ثم استوى على العرش) مر تفسيره في سورة الاعراف وقيل ان العرش المذكور هنا هو السماوات والارض لأنهن من بنائه والعرش البناء واما العرش المعظم الذي تعبد الله سبحانه الملائكة بالحفوف به والإعظام له وعناه بقوله الذين يحملون العرش ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم هنا بمعنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير وتقديره أي ثم استوى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فإن تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الأيدي في دعاء الحوائج نحو العرش (يدبر الأمر) اي يقدره وينفذه على وجهه ويرتبه على مراتبه على احكام عواقبه وهو مأخوذ من الدبور (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) إنما قال هذا وإن لم يجر ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا عنــد الله فبين سبحانه ان الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له في الشفاعة وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة مع انه لا يشفع عنده احد من الملائكة والنبيين إلا بإذنه وامره (ذلكم الله ربكم) اي ان الموصوف بهذه الصفات هو إلهكم (فاعبدوه) وحده لأنه لا إله لكم سواه ولا يستحق هذه الصفات غيره ولا تعبدوا الأصنام (أفلا تذكرون) حثهم سبحانه على التذكر والتفكر فيما اخبرهم به وعلى تعرف صحته (اليه مرجعكم جميعا) المرجع يحتمل معنيين ❋ احدهما ❋ أن يكون بمعنى المصدر الذي هو الرجوع ❋ والآخر ❋ ان يكون بمعنى موضع الرجوع أي اليه موضع رجوعكم يكون إذا شاء (وعد الله حقا) أي وعد الله تعالى ذلك عباده وعدا

حقا صدقا (إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده) اي يبتدئ الخلق ابتداء ثم يعيدهم بعد موتهم (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي ليؤتيهم جزاء اعمالهم (بالقسط) اي بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا (والذين كفروا لهم شراب من حميم) اي ماء حار قد انتهى حره في النار (وعذاب أليم) وجيع (بما كانوا يكفرون) أي جزاء على كفرهم

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه قال أكان للناس عجبا قالوا و كيف لا نعجب ولا علم لنا بالمرسل فقال ان ربكم الله ويجوز ان يكون على انه لما قال أكان للناس عجبا و كان هذا حكما على الله سبحانه فكأنه قال أفتحكمون عليه وهو ربكم قال الاصم ويحتمل ان يكون هذا ابتداء خطاب للخلق جميعا احتج الله بها على عباده بما بين من بدائع صنعه في السماوات والارض وفي انفسهم

قوله تعالى (٥) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٦) إِنَّ فِي ٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ آيتان

القراءة

قرأ اهل البصرة وابن كثير وحفص والعجلي يفصل بالياء والباقون نفصل بالنون

الحجة

من قرأ بالياء فلأنه تقدم ذكر الله سبحانه فأضمره في الفعل ومن قرأ بالنون فمثل قوله تلك آيات الله نتلوها

اللغة

الجعل إيجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها والضياء يجوز ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز ان يكون مصدر ضاء يضوء ضياء وضوءاً مثل عاذ يعوذ عياذا وعوذا وقام يقوم قياما وعلى اي الوجهين كان فالمضاف محذوف وتقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور ويكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيهما والاختلاف ذهاب كل واحد من الشيئين في غير جهة الآخر فاختلاف الليل والنهار ذهاب احدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام والليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وليل وليلة مثل تمر وتمرة والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس والنهار واليوم بمعنى واحد إلا ان في النهار فائدة اتساع الضياء

المعنى

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج للتوحيد فقال (هو الذي جعل الشمس ضياء) بالنهار (والقمر نوراً) بالليل والضياء ابلغ في كشف الظلمات من النور وفيه صفة زائدة على النور (وقدره منازل) أي وقدر القمر منازل معلومة (لتعلموا به) وبمنازله (عدد السنين والحساب) وأول الشهر وآخره وانقضاء كل سنة وكميتها وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى وفيهما اعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيرة منها خلقهما وخلق الضياء والنور فيهما ودورانهما وقربهما وبعدهما ومشارقهما ومغاربهما وكسوفهما وفي بث الشمس الشعاع في العالم وتأثيرها في الحر والبرد واخراج النبات وطبخ الثمار وفي تمام القمر وسط الشهر ونقصانه

في الطرفين ليتميز أول الشهر وآخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمة عظيمة من الله سبحانه على خلقه ولذلك قال (ما خلق الله ذلك الا بالحق) لأن في ذلك منافع للخلق في دينهم ودنياهم ودلائل على وحدانية الله وقدرته وكونه عالما لم يزل ولا يزال (نفصل الآيات) أي نشرحها ونبينها آية آية (لقوم يعلمون) فيعظون كل آية حظها من التأمل والتدبر وقيل ان المعنى في قوله وقدره منازل التثنية أي قدر الشمس والقمر منازل غير انه وحده للايجاز اكتفاء بالمعلوم كما مر ذكر امثاله فيما تقدم وكما في قول الشاعر

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئا ومن حول الطوي رماني

فإن الشمس تقطع المنازل في كل سنة والقمر يقطعها في كل شهر فإنما يتم الحساب وتعلم الشهور والسنون والشتاء والصيف بمقاديرهما ومجاريهما في تداويرهما (إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض) اي فعله فيهما على ما يقتضيه الحكمة في السماوات من الافلاك والكواكب السيارة وغير السيارة وفي الأرض من الحيوان والنبات والجماد وانواع الارزاق والنعم (لآيات) أي حججا ودلالات على وحدانية الله (لقوم يتقون) معاصي الله ويخافون عقابه وخصهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها

قوله تعالى (٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٨) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ (١٠) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (أربع آيات)

—(القراءة)—

في الشواذ قراءة ابن محيصن ويعقوب ان الحمد لله

=(الحجة)=

وهذه القراءة تدل على ان قراءة الجماعة ان الحمد لله إنما هو على أن ان مخففة من الثقيلة كما في قوله

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل

فيكون على تقدير انه الحمد لله ولا يجوز أن تكون أن هنا زائدة كما زيدت في قوله

ويوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم

اي كظبية

— اللغة —

الغفلة والسهو من النظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس ونقيضه اليقظة والدعوى قول يدعى به إلى امر والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمون الملك التحية قال (من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية) وهو مأخوذ من قولهم احياك الله حياة طيبه

— المعنى —

ثم انه سبحانه اوعد الغافلين عن الأدلة المتقدمة المكذبين بالمعاد فقال (إن الذين لا يرجون لقاءنا) اي لقاء جزائنا ومعناه لا يطمعون في ثوابنا واضافه إلى نفسه تعظيما له ويحتمل أن يكون المعنى لا يخافون

عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قول الهذلي

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وخالفها في بيت نوب عواسل

جعل سبحانه ملاقاة ما لا يقدر عليه إلا هو ملاقاة له كما جعل اتيان ملائكته اتيانا له في قوله هل ينظرون إلا ان يأتيهم الله تفخيما للأمر (ورضوا بالحياة الدنيا) اي متعوا بها واختاروها فلا يعملون إلا لها ولا يجتهدون إلا لاجلها مع سرعة فنائها ولا يرجون ما وراءها (واطمأنوا بها) اي وسكنوا إلى الدنيا بأنفسهم وركنوا اليها بقلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) اي ذاهبون عن تأملها فلا يعتبرون بها (اولئك مأواهم النار) اي مستقرهم النار (بما كانوا يكسبون) من المعاصي ثم وعد سبحانه المؤمنين بعد ما اوعد الكافرين فقال (إن الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (وعملوا الصالحات) أي وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة (يهديهم ربهم بإيمانهم) إلى الجنة (تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) اي تجري بين ايديهم الأنهار وهم يرونها من علو كما قال سبحانه قد جعل ربك تحتك سريا ومعلوم انه لم يجعل السري الذي هو الجدول تحتها وهي قاعدة عليه وإنما اراد انه جعله بين يديها وقيل معناه من تحت بساتينهم واسرتهم وقصورهم عن الجبائي وقوله بإيمانهم يعني به جزاء على إيمانهم (دعواهم فيها) اي دعاء المؤمنين في الجنة وذكرهم فيها ان يقولوا (سبحانك اللهم) يقولون ذلك لا على وجه العبادة لأنه ليس هناك تكليف بل يلتذون بالتسبيح وقيل انهم اذا مر بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشويا بين ايديهم واذا قضوا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حيا كما كان فيكون مفتتح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد فيكون التسبيح في الجنة بدل التسمية في الدنيا عن ابن جريج (وتحيتهم فيها سلام) اي تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم لبعض فيها او تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليك أي سلمتم من الآفات والمكاره التي ابتلى بها اهل النار وقد ذكرنا معنى قوله (وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) وليس المراد ان ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده بشيء بل المراد أنهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه عن الحسن والجبائي

قوله تعالى (١١) وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٢) وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيتان

(القراءة)

قرأ ابن عامر ويعقوب لقضى بفتح القاف أجلهم منصوب والباقون لقضي على ما لم يسم فاعله أجلهم بالرفع

الحجة

قال ابو علي اللام في قوله لقضي اليهم جواب لو في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير والمعنى الله اعلم ولو يعجل الله للناس دعاء الشر أي ما يدعون به من الشر على انفسهم في حال ضجر او بطر استعجاله إياهم بدعاء الخير فأضاف المصدر الى المفعول فحذف الفاعل كقوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء

الخير في حذف ضمير الفاعل والتقدير أولو يعجل الله للناس الشر استعجالا مثل استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم قال ابو عبيدة لقضي اليهم أجلهم معناه لفرغ من أجلهم وانشد لأبي ذويب

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

ومثل ما أنشده قول الآخر

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق

والمعنى لفرغ من اجلهم ومدتهم المضروبة للحياة وإذا انتهت مدتهم المضروبة للحياة هلكوا وهذا قريب من قوله ويدعوا الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقالوا للميت مقضيٌّ كأنه قضى إذا مات وقضي فعل . التقدير استوفي أجله وفرغ منه قال ذوالرمة

إذا الشخص فيها هزه الآل اغمضت عليه كإغماض المقضي هجولها

المعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها فلم ير لغرقه في الآل كإغماض المقضى فهو الميت واما ما يتعلق به الجار من قوله لقضي اليهم فكأنه لما كان معنى قضى فرغ وكان قولهم فرغ يتعدى بهذا الحرف في قوله

الآن فقد فرغت الى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا

وفي التنزيل سنفرغ لكم ايها الثقلان امكن ان يكون الفعل يعدى باللام كما يعدي بإلى وباللام في قوله بأن ربك أوحى لها فلما كان معنى قضى فرغ تعلق بها الى كذلك تعلق يقضي ووجه قراءة ابن عامر لقضى اليهم اجلهم على اسناد الفعل الى الفاعل ان الذكر قد تقدم في قوله ولو يعجل الله للناس فقال لقضي على هذا ومن حجته في ذلك قوله ثم قضى أجلا واجل مسمى عنده فهذا الأجل الذي في هذه الآية هو الأجل المضروب للمحيا كما ان الأجل في قوله لقضي اليهم أجلهم كذلك فكما اسند الفعل في الأجل المضروب للحياة الى الفاعل في قوله ثم قضى اجلا عند الجميع كذلك اسنده ابن عامر في قوله لقضى اليهم اجلهم الى الفاعل ولم يسنده الى الفعل المبني للمفعول ويدل على ان الأجل في قوله ثم قضى اجلا اجل المحيا ان قوله وأجل مسمى عنده اجل البعث يبين ذلك قوله ثم انتم تمترون اي انتم ايها المشركون تشكون في البعث ومن قرأ لقضي فبنى الفعل للمفعول به فلأنه في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل

= الإعراب =

قوله لجنبه في موضع نصب على الحال تقديره دعانا منبطحا لجنبه او دعانا قائما ويجوز ان يكون تقديره إذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما دعانا وموضع الكاف من كذلك نصب على المفعول ما لم يسم فاعله أي زين للمسرفين عملهم مثل ذلك

❊ المعنى ❊

ثم عاد الكلام الى ذكر المائلين الى الدنيا المطمئنين اليها الغافلين عن الآخرة فقال (ولو يعجل الله للناس الشر) اي اجابة دعوتهم في الشر إذا دعوا به على أنفسهم وأهاليهم عند الغيظ والضجر واستعجلوه مثل قول الانسان رفعني الله من بينكم وقوله لولده اللهم العنه ولا تبارك فيه (استعجالهم بالخير) اي كما يعجل لهم اجابة الدعوة بالخير إذا استعجلوها (لقضي اليهم أجلهم) اي لفرغ من اهلاكهم ولكن الله

تعالى لا يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يتوبوا وقيل معناه ولو يعجل الله للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي كما يستعجلونهم خير الدنيا وربما أجيبوا الى ما سألوه إذا اقتضت المصلحة ذلك لفنوا لأن بنية الإنسان في الدنيا لا تحتمل عقاب الآخرة بل لا تحتمل ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم في وقته وسمي العقاب شرا من جهة المشقة والأذى الذي فيه وفائدته انه لو تعجلت العقاب لزال التكليف ولا يزول التكليف إلا بالموت وإذا عوجلوا بالموت لم يبق احد (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) اي فندع الذين لا يخافون البعث والحساب يتحيرون في كفرهم وعدولهم عن الحق الى الباطل وتمردهم في الظلم. والعمه شدة الحيرة ثم اخبر سبحانه عن قلة صبر الانسان على الضرر والشدائد فقال (وإذا مس الانسان الضر) اي المشقة والبلاء والمحنة من محن الدنيا (دعانا لجنبه) اي دعانا لكشفه مضطجعا (او قاعداً او قائما) أي على اي حال كان عليها واجتهد في الدعاء وسؤال العافية وليس غرضه بذلك نيل الثواب الآخرة وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الألم والشدة وقيل ان تقديره وإذا مس الانسان الضر مضطجعا او قاعدا او قائما دعانا لكشفه وفيه تقديم وتأخير (فلما كشفنا عنه ضره) أي فلما أزلنا عنه ذلك الضرر ووهبنا له العافية (مر) أي استمر على طريقته الأولى معرضا عن شكرنا (كأن لم يدعنا الى ضر مسه) اي كأن لم يدعنا قط لكشف ضره ولم يسألنا إزالة الألم عنه (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) اي كما زين لهم الشيطان واقرانهم الغواة ترك الدعاء عند الرخاء زينوا للمسرفين اي للمشركين عملهم عن الحسن ويحتمل ان يكون زين المسرفون بعضهم لبعض وإن لم يضف التزيين اليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه وقد حث الله سبحانه بهذه الآية الذين منحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية على أن يتذكروا حسن صنع الله اليهم وجزيل نعمته عليهم ويشكروه على ذلك ويسألوه ادامة ذلك لديهم ونبه بذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتسابا للأجر وابتغاء للثواب والذخر

قوله تعالى (١٣) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٤) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ آيتان

اللغة

القرون جمع قرن وهو اهل كل عصر سموا بذلك لمقارنة بعضهم لبعض ومنه قرن الشاة لمقارنته آخر بإزائه والقرن بكسر القاف هو المقاوم لقرينه في الشدة

الاعراب

موضع كيف نصب بقوله تعملون وتقديره لننظر أخيرا تعملون ام شرا ولا يجوز أن يكون معمول ننظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في ما بعده

المعنى

ثم اخبر سبحانه عما نزل بالأمم الماضية من المثلات وحذر هذه الامة عن مثل مصارعهم فقال (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) بأنواع العذاب (لما ظلموا) انفسهم بأن أشركوا وعصوا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة والدلالات الواضحة (وما كانوا ليؤمنوا) هذا اخبار بأن هذه الأمم

انما اهلكوا لما كانوا في المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسل الذين اتوهم والكتب التي جاؤوهم بها واستدل ابو علي الجبائي بهذا على ان تبقية الكافر واجبة إذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد (كذلك نجزي القوم المجرمين) اي كذلك نعذب القوم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم وعلمنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون (ثم جعلناكم) يا امة محمد (خلائف في الأرض من بعدهم) اي من بعد القرون التي اهلكناهم ومعناه اسكناكم الأرض خلفهم (لننظر كيف تعملون) اي لنرى عملكم اين يقع من عمل اولئك أتقتدون بهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه ام تؤمنون فتستحقون الثواب وإنما قال لننظر ليدل على انه سبحانه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازيه على ما يظهر منه دون ما قد علم انه يفعله مظاهرة في العدل والنظر في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لأنه إنما يكون بالقلب وهو التفكر وبالعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته مع سلامة الحاسة واحد هذين لا يجوز عليه سبحانه وإنما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع فإن النظر إنما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه

قوله تعالى (١٥) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ٱئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٦) قُل لَّوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ثلاث آيات

القراءة

في رواية ابي ربيعة عن البزي عن ابن كثير ولأدراكم فجعلها لاما دخلت على ادراكم وامال في ادراكم وادراك في جميع القرآن ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن ولا ادريكم به

الحجة

قال ابو علي حكى سيبويه دريته ودريت به والاكثر في الاستعمال بالباء ويبين ذلك قوله ولا ادراكم به ولو جاء على اللغة الأخرى لكان ولا إدراكموه وقال الدرية كالفطنة والشعرة وهي مصادر يراد بها ضروب من العلم اما الدراية فكالهداية والدلالة فكأن الدراية التأني والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة أنشد ابو زيد

فإن غزالك الذي كنت تدري ... إذا شئت ليث خادر بين اشبل

وتدري اي تختل ومنه الدرية في قول اكثر الناس الجمل الذي يستتر به الصايد من الوحش كأنه يختل به وداريت الرجل لاينته وخاتلته وإذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا يسوغ فأما قول الراجز (لاهم لأدري وانت الداري) فلا يكون حجة في جواز ذلك لأنه استجاز ذلك لما تقدم

من قوله لا أدريكم كما جاز فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فإنا نسخر منكم وأيضا فإن الأعراب يذكرون اشياء يمتنع جوازها كما قالوا

لاهم ان كنت الذي بعهدي ولم تغيرك الأمور بعدي

وقال الآخر « لو خافك الله عليه حرمه » فأما الهمزة على ما حكي عن الحسن وغيره فلا وجه له لأن الدرء الدفع قال ابن جني يجوز ان يكون لها وجه وان كان فيه ضعف صنعة وهوان يكون أراد ولاادريتكم به ثم قلبت الياء الفا لانفتاح ما قبلها وان كانت ساكنة كقولهم في يبأس ياءس وفي ييئس يائس وقال قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك ان يقولوا اعطاتك ثم همز الألف على لغة من قال في الباز البأز وفي العالم والخاتم والنابل العألم والخأتم والنأبل ومن قرأ ولأدريكم به فمعناه ولأعلمكم الله تعالى به فيكون نفيا للتلاوة واثباتا للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون نفيا للأمرين جميعا

﴿ اللغة ﴾

التلقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفا فيقال هو تلقاءه كما يقال هو حذاءه وقبالته وتجاهه وإزاءه والعمر بفتح العين وسكون الميم والعمر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن مغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقاء نفسك عن مقاتل وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد أئت بقرآن غير هذا فيه مانسلكه عن الكلبي

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا) المنزلة في القرآن (بينات) أي واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع وهي نصب على الحال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقابنا ولا يطمعون في ثوابنا (أئت بقرآن غير هذا) الذي تتلوه علينا (او بدله) فاجعله على خلاف ماتقرؤه والفرق بينهما أن الإتيان بغيره قد يكون معه وتبديله لا يكون الا برفعه وقيل معنى قوله بدله غير احكامه من الحلال او الحرام أرادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الأمر منهم وان يخلي بينهم وبين ما يريدونه (قل) يا محمد (ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي) أي من جهة نفسي وناحية نفسي ولأنه معجز فلا أقدر على الإتيان بمثله (ان اتبع الا ما يوحى الي) اي ما أتبع الا الذي أوحي الي (اني أخاف ان عصيت ربي) في اتباع غيره (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة ومن استدل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابعد لأنه اذا نسخ القرآن بالسنة وما يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنما يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبديله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآنا ويؤيد ذلك قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي الا يوحى (قل) يا محمد (لو شاء الله ما تلوته عليكم) معناه لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي (ولا ادراكم به) اي ولا اعلمكم الله به بأن لا ينزله علي فلا اقرأه عليكم فلا تعلمونه (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) اي فقد مكثت وأقمت بينكم

دهرا طويلا من قبل إنزال القرآن فلم أقرأه عليكم فلا تعلمونه ولا ادعيت نبوة حتى اكرمني الله تعالى به (أفلا تعقلون) اي افلا تتفكرون فيه بعقولكم فتعلموا ان المصلحة فيما أنزله الله تعالى دون ما تقترحونه قال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم اعقل من بعض اذا كان اقدر على الاستدلال من بعض (فمن اظلم ممن افترى على الله) اي لا احد اظلم ممن اخترع على الله (كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون) اي المشركون عن الحسن فإن قيل أليس من ادعى الربوبية اعظم ظلما من المدعي للنبوة قلنا إن المراد بقوله من افترى على الله كذبا من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبية وغيره من انواع الكفار فكأنه قال لا أحد اظلم من الكافر

قوله تعالى (١٨) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩) وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٠) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ تشركون بالتاء أهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي الروم والباقون كل ذلك بالياء.

الحجة

من قرأ بالتاء فلقوله اتنبئون الله ومن قرأ بالياء احتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ على قل كأنه قيل له قل انت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الآخر ان يكون هو سبحانه نزه نفسه عما أقروه فقال ذلك

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) أي ويعبد هؤلاء المشركون الأصنام التي لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها فإن قيل كيف ذمهم على عبادة الصنم الذي لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر لكان لا يجوز ايضا عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على أصول النعم و إن قدر على النفع والضر إذا كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع والضر اصلا من الجماد تكون عبادته اقبح واشنع فلذلك خصه بالذكر (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا انا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله وان الله أذن لنا في عبادتها وانه سيشفعها فينا في الآخرة وتوهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة فجمعوا بين قبيح القول وقبيح الفعل وقبيح التوهم وقيل معناه هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لإصلاح معاشها عن الحسن قال لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث بدلالة قوله واقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الارض) امر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهم على وجه الإلزام أتخبرون الله بما لايعلم من حسن عبادة الأصنام وكونها شافعة لأن ذلك او كان صحيحا لكان تعالى به عالما ففي نفي علمه بذلك نفي المعلوم ومعناه انه ليس في السماوات ولا الارض إله غير الله ولا احد يشفع لكم يوم القيامة وقيل معناه اتخبرون الله بشريك او شفيع لا يعلم شيئا كما قال ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض فكذلك وصفهم بأنهم لا يعلمون في السماوات والأرض شيئا

(سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في استحقاق العبادة (وما كان الناس إلا امة واحدة فاختلفوا) فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ أن الناس كانوا جميعا على الحق وعلى دين واحد فاختلفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه ثم قيل انهم اختلفوا على عهد آدم وولده عن ابن عباس والسدي ومجاهد والجبائي وأبي مسلم ومتى اختلفوا قيل عند قتل احد ابنيه أخاه وقيل اختلفوا بعد موت آدم (ع) لأنهم كانوا على شرع واحد ودين واحد إلى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا عن ابي روق وقيل كانوا على ملة الإسلام من لدن ابراهيم (ع) إلى أن غيره عمرو بن لحي وهو أول من غير دين ابراهيم وعبد الصنم في العرب عن عطاء ويدل على صحة هذه الأقوال قراءة عبد الله وما كان الناس إلا امة واحدة على هدى فاختلفوا عنه ﴿ وثانيها ﴾ أن الناس كانوا امة واحدة مجتمعة على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلبي وجماعة ثم اختلف هؤلاء فقيل كانت امة كافرة على عهد ابراهيم ثم اختلفوا فتفرقوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر عن الكلبي وقيل كانت كذلك منذ وفاة آدم إلى زمن نوح عن الحسن وقيل اراد به العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم كانوا مشركين إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فآمن به قوم وبقي آخرون على الشرك وسئل علي (ع) عن هذا فقيل كيف يجوز ان يطبق اهل عصر على الكفر حتى لا يوجد مؤمن يشهد عليهم والله تعالى يقول فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد واجيبوا عن ذلك بأنه يجوز أن يكون اهل كل عصر وان لم يخل عن مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقلون في عصر وإنما يتبع الاسم الأعم وعلى هذا يقال دار الإسلام ودار الكفر وفي تفسير الحسن ما كان الناس إلى مبعث نوح إلا امة واحدة كافرة إلا الخاصة فإن الأرض لا تخلو من أن يكون لله تعالى فيها حجة ﴿ وثالثها ﴾ ان الناس خلقوا على فطرة الإسلام ثم اختلفوا في الاديان (ولولا كلمة سبقت من ربك) من انه لا يعاجل العصاة بالعقوبة انعاما عليهم في التأني بهم (لقضي بينهم) أي فصل بينهم (فيما فيه يختلفون) بأن يهلك العصاة وينجي المؤمنين لكنه أخرهم إلى يوم القيامة تفضلا منه اليهم وزيادة في الانعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) اي هلا انزل على محمد آية من ربه تضطر الخلق إلى المعرفة بصدقه فلا يحتاجون معها إلى النظر والاستدلال ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه لانه صلى الله عليه وآله وسلم قد أتاهم بالمعجزات الدالة على نبوته وإنما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأن التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفة فإن الغرض بالتكليف التعريض للثواب ولو كانت المعرفة ضرورة لما استحقوا ثوابا فكيف وكان يكون ذلك ناقضا للغرض (فقل إنما الغيب لله) معناه فقل يا محمد إن الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الأمور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا تخفى عليه خافية فيعلم ما في انزاله صلاح فينزله ويعلم ما ليس في انزاله صلاح فلا ينزله ولذلك لا يفعل الآية التي اقترحوها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن تدبير (فانتظروا) اي فانتظروا عقاب الله تعالى بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الآخرة (اني معكم من المنتظرين) لأن الله تعالى وعدني النصرة عليكم وقيل معناه فانتظروا اذلال الكافرين فإني منتظر اعزاز المؤمنين

قوله تعالى (٢١) وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيٓ آيَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢٢) هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنْتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ (٢٣) فَلَمَّآ أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ روح وزيد عن يعقوب وسهل يمكرون بالياء والباقون بالتاء وقرأ ينشركم بالنون والشين من النشر ابو جعفر وابن عامر والباقون يسيركم بالسين والياء من التسيير وقرأ حفص وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع

الحجة

من قرأ يمكرون بالياء فلقوله إذا لهم مكر في آياتنا ومن قرأ بالتاء فللخطاب اي قل لهم يامحمد إن رسل الله يكتبون ما تمكرون ومن قرأ يسيركم يقويه قوله فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله قل سيروا في الأرض ويقال سار الدابة وسرته وسيرته قال (فلا تجزعن من سنة انت سرتها) وقال لبيد

فبنيان حرب ان تبوء بجربه وقد يقبل الضيم الذليل المسير

ومن قرأ ينشركم فحجته قوله وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء وقوله وما بث فيهما من دابة والبث التفريق والنشر في المعنى وأما متاع الحياة الدنيا فقد قال الزجاج من رفع فعلى وجهين احدهما ان يكون متاع الحياة الدنيا خبرا لقوله بغيكم والآخر ان يكون خبر المبتدأ على انفسكم ومتاع الحياة على اضمار هو ومن نصب فعلى المصدر اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا قال ابو علي قوله على انفسكم يحتمل تأويلين احدهما ان يكون متعلقا بالمصدر لأن فعله يتعدى بهذا الحرف الا ترى إلى قوله بغى بعضنا على بعض ثم بغى عليه وإذا كان الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا فيكون معناه بغي بعضكم على بعض متاع الحياة في الدنيا وليس ما يقرب إلى الله ويجوز ان يكون على متعلقا بمحذوف فيكون خبرا للمصدر وفيه ذكر يعود اليه فيكون كقولك الصلاة في المسجد فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل ومفعوله محذوفا والمعنى إنما بغي بعضكم على بعض بما يدل على انفسكم ويكون كقوله ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ومن نصب احتمل النصب وجهين احدهما أن يكون على من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البغي ويكون خبر المبتدأ محذوفاً وحسن حذفه لطول الكلام ولأن بغيكم يدل على تبغون فيحسن الحذف لذلك وهذا الخبر لو اظهرته لكان يكون مكروه او مذموم او منهي عنه ونحو ذلك والآخر ان يكون على انفسكم خبر المبتدا فيكون متاع منصوبا على وجهين احدهما تمتعون متاعا فيدل انتصاب المصدر عليه والآخر أن يضمر تبغون لأن ما يجري مجرى ذكره قد تقدم كأنه لو اظهره لكان تبغون متاع الحياة الدنيا فيكون مفعولا له ولا يجوز ان يتعلق المصدر بالمصدر في قوله انما بغيكم فقد جعلت على خبراً لقوله انما بغيكم لفصلك بين الصلة والموصول

اللغة

التسيير التحريك في جهة تمتد كالسير الممدود والبر الأرض الواسعة التي تقطع من بلد إلى بلد ومنه البر لاتساع الخير به والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه والفلك السفن وسميت فلكاً لدورانها في الماء وأصله الدور ومنه فلكة المغزل وتفلك ثدي الجارية اذا استدار والفلك يكون جمعا وواحدا وهو ههنا جمع والعاصف الريح الشديدة وعصفت الريح فهي عاصف وعاصفة قال

حتى إذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل

الاعراب

جواب إذا الأولى في إذا الثانية وإنما جعل اذا جوابا لكونها بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجاة وهي ظرف

مكان وهو كقوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون ومعناه ان تصبهم سيئة قنطوا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا وجرين بهم ابتداء الكلام خطاب وبعد ذلك اخبار عن غائب لأن كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز له ان يرده الى الغائب قال كثير

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

وقال عنترة

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسر على طلابك ابنة مخرم

وقوله فلما انجاهم اذا هم يبغون المعنى فلما انجاهم بغوا

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن ذميم فعالهم فقال (وإذا أذقنا الناس رحمة) يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص (من بعد ضراء مستهم) اي راحة ورخاء بعد شدة وبلاء وحقيقة الذوق فيما له طعم يوجد انما يكون طعمه بالفم وانما قال أذقناهم الرحمة على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة اياها (اذا لهم مكر في آياتنا) اي فهم يحتالون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبيل اليه من شبهة او تخليط في مناظرة او غير ذلك من الأمور الفاسدة وقال مجاهد مكرهم استهزاؤهم وتكذيبهم (قل) يا محمد لهم (الله أسرع مكرا) اي اقدر جزاء على المكر ومعناه انما يأتيهم من العقاب أسرع مما أتوه من المكر اي اوقع في حقه وقيل ان مكره سبحانه انزاله العقوبة بهم من حيث لا يشعرون (ان رسلنا) يعني الملائكة الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اي ما تدبرون من سوء التدبير وفي هذا غاية الزجر والتهديد من وجهين * احدهما * انه يحفظ مكرهم * والآخر * انه اقدر على جزائهم واسرع فيه ثم امتن الله سبحانه على خلقه بأن عدد نعمه التي يفعلها بهم في كل حال فقال (هو الذي يسيركم في البر والبحر) اي يمكنكم من المسير في البر والبحر بما هيأ لكم من آلات السير وهي خلق الدواب وتسخيرها لكم لتركبوها في البر وتحملوا عليها أثقالكم وهيأ السفن في البحر وإرسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة (حتى إذا كنتم في الفلك) خص الخطاب براكب البحر اي اذا كنتم راكبي السفن في البحر (وجرين بهم) اي وجرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن الخطاب الى الإخبار عن الغائب تصرفا في الكلام على انه يجوز ان يكون خطابا لمن كان في تلك الحال واخبارا لغيرهم من الناس (بريح طيبة) اي بريح لينة يستطيبونها (وفرحوا بها) اي سروا بتلك الريح لأنها تبلغهم مقصودهم عن ابي مسلم وقيل فرحوا بالسفينة حيث حملتهم وأمتعتهم (جاءتها ريح عاصف) اي جاءت السفينة ريح عاصف شديدة الهبوب الهائلة (وجاءهم الموج من كل مكان) من البحر والموج اضطراب البحر ومعناه وجاء راكبي البحر الأمواج العظيمة من جميع الوجوه (وظنوا أنهم أحيط بهم) اي ايقنوا انهم دنوا من الهلاك وقيل غلب على ظنهم انهم سيهلكون لما أحاط بهم من الأمواج (دعوا الله) عند هذه الشدائد والأهوال والتجأوا اليه ليكشف ذلك عنهم (مخلصين له الدين) اي على وجه الإخلاص في الاعتقاد ولم يذكروا الأوثان والاصنام لعلمهم بأنها لاتنفعهم ههنا شيئا وقالوا (لئن انجيتنا) يا رب (من هذه) الشدة (لنكونن من الشاكرين) اي من جملة من يشكرك على نعمك وقوله جاءتها ريح عاصف جواب قوله اذا كنتم في الفلك وقوله دعوا الله جواب قوله وظنوا انهم أحيط بهم (فلما انجاهم) اي خلصهم الله تعالى من تلك المحن (اذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) اي يعملون فيها بالمعاصي والفساد ويشتغلون بالظلم على الأنبياء وعلى المسلمين (يا أيها الناس إنما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا) اي بغي بعضكم على بعض وما ينالونه به متاع في الدنيا وانما تأتونه لحبكم العاجلة وإيثارها على ما يقرب إلى الله تعالى من الطاعات وقد مر بيانه قبل (ثم الينا مرجعكم) في الآخرة (فننبئكم بما كنتم تعملون) اي نخبركم

بأعمالكم لأنا اثبتناها عليكم وهي كلمة تهديد ووعيد

—(النظم)—

قيل إنما اتصل قوله هو الذي يسيركم الآية بما قبله لانه تفسير لبعض ما اجمل في الآية المتقدمة التي هي قوله و إذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم عن ابي مسلم وقيل انه يتصل بما تقدم في السورة من دلائل التوحيد فكأنه قال إلهكم الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهو الذي يسيركم

قوله تعالى (٢٤) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٥) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آيتان

❊ القراءة ❊

في الشواذ قراءة الاعرج والشعبي وابي العالية ونصر بن عاصم والحسن بخلاف وازينت وقراءة ابي عثمان وازيانت

❊ الحجة ❊

اما ازينت فأصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها الف الوصل واما ازينت فإنه على افعلت اي جاءت بالزينة وازينت اجود في العربية لأن ازينت الأجود فيه ازانت مثل اقال وابإع واما ازيانت فوزنه افعالت واصله ازيانت مثل ادهامت واسوادت إلا انه كره التقاء الساكنين فحركت الألف فانقلبت همزة كقول كثير

وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضها فادهامت

❊ اللغة ❊

الزخرف كمال حسن الشيء ويقال زخرفته اي حسنته ومنه زخرفت الجنة لأهلها اي زينت بأحسن الألوان وغني بالمكان اقام به والمغاني المنازل قال النابغة

غنيت بذلك اذهم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد

والدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله والداعي إلى الفعل خلاف الصارف عنه والفرق بين الدعاء والأمر ان في الأمر ترغيبا في الفعل وزجرا عن تركه وله صيغة تنبئ عنه والدعاء ليس كذلك وكلاهما طلب وأيضا فإن الأمر يقتضي ان يكون المأمور دون الآمر في الرتبة والدعاء يقتضي ان يكون فوقه

—(المعنى)—

لما تقدم ما يوجب الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا عقبه سبحانه بذكر صفة الدارين فقال (إنما مثل الحياة الدنيا) اي صفة الحياة الدنيا او شبه الحياة الدنيا في سرعة فنائها وزوالها (كماء انزلناه من السماء) وهو المطر (فاختلط به) اي بذلك المطر (نبات الأرض) لأن المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه بعض النبات بالبعض فاختلط ما يأكل الناس بما يأكل الأنعام وما يقتات بما يتفكه ثم فصل ذلك فقال (مما يأكل الناس) كالحبوب والثمار والبقول (والانعام) كالحشيش وسائر انواع المراعي وقد قيل في المشبه والمشبه به في الآية أقوال ﴿ احدها ﴾ انه تعالى شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع ﴿ وثانيها ﴾ انه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاغترار به ثم المصير إلى الزوال عن الجبائي وابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ انه تعالى شبه الحياة الدنيا بحياة مقدرة على هذه الأوصاف (حتى إذا اخذت الارض زخرفها)

اي حسنها وبهجتها بانواع الالوان واجناس النبات وغير ذلك (وازينت) اي تزينت في عين رائيها (وظن اهلها) اي مالكها (انهم قادرون عليها) اي على الانتفاع بها ومعناه بلغت المبلغ الذي ظن اهلها انهم يحصدونها ويقدرون على غلتها او ادامتها (أتاها امرنا ليلا أو نهارا) أي أتاها عذابنا من برد او برد وقيل معناه أتاها حكمنا وقضاؤنا باهلاكها وإتلافها (فجعلناها حصيدا) أي محصودة ومعناها مقطوعة مقلوعة ذاهبة يابسة (كأن لم تغن بالامس) أي كأن لم تقم على تلك الصفة بالامس ومعناه كأن لم تكن ولم توجد من قبل (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) اي مثل ذلك نميز الآيات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها ولما بين سبحانه ان الدنيا تنقطع وتفنى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنون الآفات ونبه على التوقع ازوالها والتحرز عن الاغترار باحوالها رغب عقيبه في الآخرة فقال (والله يدعو إلى دار السلام) قيل ان السلام هو الله تعالى فإن الله تعالى يدعو إلى داره وداره الجنة عن الحسن وقتادة وقيل دار السلام الدار التي يسلم فيها من الآفات عن الجبائي والسلام والسلامة واحد مثل الرضاع والرضاعة قال

تحيا بالسلامة ام بكر وهل لك بعد رهطك من سلام

وقيل سميت الجنة دار السلام لأن اهلها يسلم بعضهم على بعض والملائكة تسلم عليهم ويسلم ربهم عليهم فلا يسمعون إلا سلاما ولا يرون إلا سلاما ويعضده قوله تحيتهم فيها سلام وما اشبهه (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) قيل يهدي من يشاء الى الايمان والدين الحق بالتوفيق والتيسير والالطاف وقال الجبائي يريد به نصب الادلة لجميع المكلفين دون الاطفال والمجانين وقيل معناه يهدي من يشاء في الآخرة الى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويعدل عنه الكافرون الى النار

قوله تعالى (٢٦) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ آيتان

(القراءة)

قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب وسهل قطعا ساكنة الطاء والباقون قطعا بفتحها

الحجة

القطع جمع قطعة من الليل والقطع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة

اللغة

الرهق لحاق الامر ومنه راهق الغلام اذا لحق بالرجال ورهقه في الحرب ادركه قال الازهري الرهق اسم من الارهاق وهو أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه ومنه سأرهقه صعودا والكسب اجتلاب النفع والجزاء والمكافاة والقتر الغبار والقترة الغبرة والقتار الدخان ومنه الاقتار في المعيشة

الاعراب

جزاء سيئة في ارتفاعه وجهان أحدهما ان يكون مبتدأ وخبره بمثلها على زيادة الباء في قول ابي الحسن لأنه وجد في مكان آخر وجزاء سيئة سيئة مثلها ويجوز ان يكون الباء متعلقة بخبر محذوف تقديره جزاء سيئة كائن بمثلها كما تقول انما انا بك وأمري بيدك وما أشبه ذلك والآخر ان يكون فاعلا باضمار فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف استقر فبقي لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف لهم لدلالة الكلام

على ان هـذا مستقر لهم ويجوز ان يكون جزاء سيئة مبتدأ والخبر محـذوف تقديره لهم جزاء سيئة بمثلها او جزاء سيئة بمثلها كائن هذا قد أجازه ابو الفتح وقوله وترهقهم عطف على كسبوا وجاز ان يفصل بينهما بقوله جزاء سيئة بمثلها لأنه مـن الاعتراض الذي يبين الأول ويسدده ويثبته مظلما قال ابو عـلي ان اجريته على قطع ساكنة الطاء فيحتمل نصبه على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون صفة لقطع على قياس قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وصفت الكتاب بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة واجريته على النكرة ﴿ والآخر ﴾ انيكون حالا من الذكر الذي في الظرف يعني قوله من الليل وان اجريته على قطع مفتوحة الطاء لم يكن صفة له ولا حالا من الذكر الذي في قوله من الليل ولكن يكون حالا من الليل والعامل في الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل المختزل ومثل ذلك في إرادة الوصف بالسواد قول الشاعر

وردية مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ الليل الحصى بسواد

اي سودتها الظلمة وقال غيره يجوز ان يكون مظلما صفة لقطع على قول الشاعر

لو ان مدحة حي تنشرن احدا احيى اباكن ياليلى الاماديح

— المعنى —

ثم بين سبحانه أهل دار السلام فقال (للذين احسنوا الحسنى) ومعناه للذين احسنوا العمل وأطاعوا الله تعالى في الدنيا جزاء لهم على ذلك الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الحالة الجامعة للذات والنعيم على اكمل ما يكون وأفضل ما يمكن وهو تأنيث الأحسن (وزيادة) ذكر في ذلك وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الحسنى الثواب المستحق والزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب وهي المضاعفة المذكورة في قوله فله عشر امثالها عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ الزيادة هي ان ما اعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يحاسبهم به في الآخرة عن ابي جعفر الباقر (ع) ﴿ وثالثها ﴾ ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب عن علي (ع) وقيل الزيادة ما يأتيهم في كل وقت من فضل الله مجددا ﴿ ورابعها ﴾ ان الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وروي ذلك عن ابي بكر وأبي موسى الأشعري وغيرهما وقد بين الله سبحانه الزيادة في موضع آخر بقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) اي لايلحق وجوههم سواد عن ابن عباس وقتادة وقيل غبار ولا ذلة اي هوان وقيل كآبة وكسوف عن قتادة وروى الفضيل بن يسار عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من عين ترقرقت بمائها إلا حرم الله ذلك الجسد على النار فإن فاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) مر معناه (والذين كسبوا السيئات) اي اكتسبوها وارتكبوهـا (جزاء سيئة بمثلها) اي لهم جزاء كل سيئة بمثلها يعني يجزون بمثل اعمالهم اي قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لأن ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء فالمثل هنا مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان (وترهقهم ذلة) اي يلحقهم هوان وذل لأن العقاب يقارنه الإهانة والإذلال (ما لهم من الله من عاصم) اي ما لهم من حافظ ومانع يدفع عقاب الله عنهم (كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) أي كأنما ألبست وجوههم ظلمة الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه ويوم القيامة ترى الذين كذبوا عـلى الله وجوههم مسودة (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ظاهر المراد

قوله تعالى (٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٩) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٣٠) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ تتلو بالتاء اهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقون تبلو بالباء

(الحجة)

قال ابو علي من قرأ تبلو فمعناه تختبر من قولهم البلاء ثم الثناء اي الاختبار للمثنى عليه ينبغي ان يكون قبل الثناء ليكون الثناء عن علم بقدر ما يوجبه ومعنى اختبارها ما اسلفت انه ان قدم خيرا او شرا جوزي عليه كما قال فمن يعمل مثقال ذرة إلى آخره ومن عمل صالحا فلنفسه وغير ذلك من الآي ومن قرأ تتلو فإنه من التلاوة التي هي القراءة دليله قوله فأولئك يقرأون كتابهم وقوله اقرأ كتابك ويكون تتلو تتبع من قولهم تلا الفريضة النفل إذا أتبعها النفل قال

على ظهر عادي كأن أرومه ... رجال يتلون الصلاة قيام

فيكون المعنى تتبع كل نفس ما اسلفت من حسنة او سيئة قال

قد جعلت دلوي تستتليني ... ولا أحب تبع القرين

اي تستتبعني من ثقلها

اللغة

التنزيل التفريق مأخوذة من قولهم زلت الشيء عن مكانه ازيله وزيلته للكثرة من هذا إذا نحيته عن مكانه وزايلت فلانا إذا فارقته هنالك اي في ذلك المكان وهو ظرف فهنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما قال زهير

هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا ... وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يعلوا

والاسلاف تقديم امر لما بعده فمن اسلف الطاعة لله جوزي بالثواب ومن اسلف المعصية جوزي بالعقاب

الاعراب

جميعا نصب على الحال مكانكم قال الزجاج هو منصوب على الأمر والمعنى انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم والعرب تتوعد فتقول مكانك وانتظرني وهي كلمة جرت على الوعيد واقول ان الصحيح عند المحققين ان مكانك ودونك من اسماء الأفعال فيكون مكانكم ههنا اسما لا لزموا مبنياً على الفتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكم لا محل له من الاعراب إذ هو حرف الخطاب وانتم رفع تأكيد للضمير في مكانكم وشركاؤكم عطف عليه وهذا كما تقول في قولهم عليك زيداً ان الكاف حرف الخطاب لا محل له من الاعراب وعلى ههنا اسم للفعل وليس بحرف وكفى بالله شهيدا قال الزجاج شهيدا منصوب على التمييز ان شئت وان شئت على الحال. ان كنا ان بمنزلة ما النفي اي ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين قاله الزجاج واقول الصحيح أن إن هذه هي المخففة من الثقيلة وإذا كانت مخففة من الثقيلة يلزمها اللام ليفرق بينها وبين النافية والتقدير انا كنا عن عبادتكم غافلين وهنالك منصوب بتبلو إلا انه غير متمكن واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين

المعنى

ولما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال (ويوم نحشرهم جميعا) اي نحشر الخلائق اجمعين اي

نجمعهم من كل اوب إلى الموقف (ثم نقول للذين اشركوا) في عبادتهم مع الله غيره وفي اموالهم فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا (مكانكم انتم وشركاؤكم) اي اثبتوا والزموا مكانكم انتم مع شركائكم يعني الأوثان فقد صحبتموهم في الدنيا فاصحبوهم في المحشر وقيل معناه اثبتوا حتى تسألوا كقوله وقفوهم انهم مسؤولون (فزيلنا بينهم) أي فميزنا وفرقنا بينهم في المسئلة فسألنا المشركين على حدة لم عبدتم الأصنام وسألنا الأصنام على حدة لم عبدتم وبأي سبب عبدتم وهذا سؤال تقريع وتبكيت عن الحسن ومثله وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت وقيل معناه فزيلنا بينهم وبين الأوثان فتبرأ منهم الشركاء وانقطعت اسبابهم (وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون) أي يحييهم الله وينطقهم فقالوا ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون عن مجاهد وقيل ان شركاءهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين وقيل هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وفي كيفية جحدهم لعبادتهم إياه قولان ﴿ احدهما ﴾ انهم يقولون ذلك على وجه اهانتهم بالرد عليهم اي ما اعتذرنابذلك لكم ﴿ والآخر ﴾ ان المراد انكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوهم اصلا لأن ذلك كذب لا يجوز أن يقع في الآخرة لكونهم ملجئين إلى ترك القبيح عن الجبائي وهذه الآية نظير قوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية (فكفى بالله شهيدا) اي فاصلا للحكم (بيننا وبينكم) ايها المشركون (إن كنا عن عبادتكم لغافلين) مر معناه وهذا إذا كان المراد به الملائكة فإنهم عما ادعوه غافلون لأنهم لم يشعروا بذلك ولا أمروا به وإن كان المراد الأصنام فلم يكن لها حس ولاعلم وهذا غاية في الزام الحجة حيث اختاروا للعبادة من لم يدعهم اليها ولم يشعر بها (هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت) أي في ذلك المكان وفي تلك الحال وفي ذلك الوقت تجرب وتعلم كل نفس ما قدمت من خير او شر وترى جزاءه على القراءة بالتاء معناه تقرأ كل نفس جزاء عملها وجزاء ما قدمته (وردوا إلى الله مولاهم الحق) اين وردوا إلى جزاء الله وإلى الموضع الذي لا يملك احد فيه الحكم إلا الله الذي هو مالكهم وسيدهم وخالقهم والحق صفة لله تعالى وهو القديم الدائم الذي لا يفنى وما سواه يبطل وقيل الحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصلا له على الحقيقة فالله جل جلاله هو الحق لأن معنى الإلهية حاصل له على الحقيقة (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اي بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعونه بافترائهم من الشركاء مع الله تعالى

قوله تعالى (٣١) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٣) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وابن عامر كلمات ههنا وفي آخرها على الجمع وكذلك في سورة المؤمن والباقون على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ على التوحيد احتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون جعل ما أوعد به الفاسقون كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات لأنهم قد يسمون القصيدة كلمة والخطبة كلمة ﴿ والآخر ﴾ ان يكون كلمة ربك التي يراد بها الجنس قد اوقعت على بعض الجنس كما اوقع اسم الجنس على بعضه في قوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقول الشاعر « يبطن شريان يعوي عنده الذيب » نأما من جمع فإنه جعل الكلم التي توعدوابها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات وكلاهما وجه

﴿ الإعراب ﴾

كذلك حقت الكاف في موضع نصب أي مثل افعالهم جازاهم ربك وقوله انهم لا يؤمنون بدل من كلمة ربك اي حقيق عليهم انهم لا يؤمنون ويجوز ان يكون على تقدير حقت عليهم الكلمة لأنهم لا يؤمنون ويكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب

﴿ المعنى ﴾

ثم قرر سبحانه أدلة التوحيد والبعث عليهم فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (من يرزقكم) اي من يخلق لكم الأرزاق (من السماء) بإنزال المطر والغيث (ومن الارض) بإخراج النبات وانواع الثمار والرزق في اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجند إلا ان كل رزق فإن الله هو الرزاق به لأنه لو لم يطلقه على يد ذلك الانسان لم يجئ منه شيء فلا يطلق اسم الرزاق إلا على الله تعالى ويقيد في غيره كما لا يطلق اسم الرب إلا عليه ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز أن يخلق الله حيوانا يريد تبقيته إلا ويرزقه لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من الغذاء (أمن يملك السمع والأبصار) معناه أم من يملك أن يعطيكم الاسماع والأبصار فيقويها وينورها ولو شاء لسلب نورها وحسها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) قيل معناه ومن يخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان وقيل معناه ومن يخرج الحيوان من بطن أمه إذا ماتت أمه ويخرج غير التام ولا البالغ حد الكمال من الحي وقيل معناه ومن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ومن يدبر الأمر) أي ومن الذي يدبر جميع الأمور في السماء والأرض على ما توجبه الحكمة (فسيقولون الله) اي فسيعترفون بأن الله تعالى يفعل هذه الأشياء وان الأصنام لا تقدر عليها (فقل أفلا تتقون) أي فقل لهم عند اعترافهم بذلك أفلا تتقون عقابه في عبادة الأصنام وفي الآية دلالة على التوحيد وعلى حسن المحاجة في الدين لأنه سبحانه حاج بها المشركين وفيها دلالة على انهم كانوا يقرون بالخالق وإن كانوا مشركين فإن جمهور العقلاء يقرون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ومن اقر بالصانع على هذا صنفان موحد يعتقد ان الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم ضربان فضرب جعلوا لله شريكا في ملكه يضاده ويناوئه وهم الثنوية والمجوس ثم اختلفوا فمنهم يثبت لله شريكا قديما كالمانوية ومنهم من يثبت شريكا محدثا كالمجوس وضرب آخر لا يجعل لله تعالى شريكا في حكمه وملكه ولكن يجعل له شريكا في العبادة يكون متوسطا بينه وبين الصانع وهم اصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسايط من الاجسام العلوية كالنجوم والشمس والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الأجسام السفلية كالأصنام ونحوها تعالى الله عما يقول الزائغون عن سبيله علوا كبيرا (فذلكم الله) ذلك اشارة إلى اسم الله تعالى الذي وصفه في الآية الأولى بأنه الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي والكاف والميم للمخاطبين وهم جميع الخلق اخبر سبحانه ان الذي يفعل هذه الأشياء (ربكم الحق) الذي خلقكم ومعبودكم الذي له معنى الإلهية ويحق له العبادة دون غيره من الأصنام والأوثان (فماذا بعد الحق إلا الضلال) استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة إذ لا يجد المجيب محيدا عن الاقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت اليه والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق إلا الوقوع في الضلال لأنه ليس بينهما واسطة فإذا ثبت ان عبادته هو الحق ثبت ان عبادة ما سواه باطل وضلال (فأنى تصرفون) اي فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على انه لا معبود سواه (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) معناه ان الوعيد من الله تعالى للكفار بالنار في الصحة كالقول بأنه ليس بعد الحق إلا الضلال وقيل ان معناه مثل انصرافهم عن الإيمان وجبت العقوبة لهم أي جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الانصراف وهذا في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء انهم لا يؤمنون وقيل معنى قوله انهم لا يؤمنون أو لأنهم لا يؤمنون أي وجبت العقوبة عليهم لذلك

قوله تعالى (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٥) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم أمن لا يهدي ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرأ أهل المدينة غير ورش يهدي ساكنة الهاء مشددة الدال وقرأ أبو عمرو وأبن كثير وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال إلا ان اباعمرو اشار إلى فتحة الهاء من غير اشباع وقرأ عاصم غير حماد ويحيى ورويس عن يعقوب يهدي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى عن ابي بكر عن عاصم يهدي بكسر الياء والهاء والتشديد

الحجة

قوله يَهْدّي ويَهِدّي ويَهَدّي ويِهِدّي اصل جميعها يهتدي يفتعل وإن اختلفت الفاظها ادغموا التاء في الدال لمقاربتها لها فإنهما من حيز واحد ثم اختلفوا في تحريك الهاء فمن قرأ يهدي القى حركة الحرف المدغم وهو التاء على الهاء ومن قرأ يهدي بكسر الهاء فإنه حرك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين ومن اشم الهاء ولم يسكن فالإشمام في حكم التحريك ومن كسر الياء مع الهاء اتبع الياء ما بعدها من الكسرة وهو ردي لثقل الكسر في الياء

— الاعراب —

قوله فما لكم كيف تحكمون ما مبتدأ ولكم خبره وكيف منصوب بقوله تحكمون لا يغني من الحق شيئاً يجوز أن يكون قوله شيئاً مفعول يغني ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي لا يغني من الحق غناء وكذا قيل في قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئاً قالوا هو مفعول تجزي وقالوا هو مصدر اي جزاء وكذلك قوله ولا تشركوا به شيئاً قالوا هو مفعول تشركوا وقالوا هو مصدر اي لاتشركوا به اشراكا وكذلك قوله يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً

المعنى

ثم احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال (قل) يامحمد لهؤلاء المشركين (هل من شركائكم من يبدء الخلق ثم يعيده) اي هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة وقيل الذين جعلتموهم شركاء في اموالكم كما قال وهذا لشركائنا من يبدء الخلق بالانشاء بعد ان لم يكن وهو النشأة الاولى ثم يعيده في النشأة الثانية (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) معناه فإن قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه او سكتوا فقل انت لهم الله هو الذي يبدأ الخلق بأن ينشئه على غير مثال ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيامة (فأنى تؤفكون) أي كيف تصرفون عن الحق وتقلبون عن الإيمان ثم استأنف الحجاج فقال سبحانه (قل) يامحمد (هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) أي هل من هذه الأصنام من يهدي الناس إلى الرشد وما فيه الصلاح والنجاة والخير بدلالة ينصبها وحجة يظهرها فلا بد من ان يجيبوا بلا (فقل) انت لهم (الله) هو الذي (يهدي

للحق) إلى طريق الرشاد يقال هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد (أفمن يهدي إلى الحق) معناه أفمن يهدي غيره إلى طريق التوحيد والرشد (احق أن يتبع) امره ونهيه (ام من لا يهدي) احداً (إلا ان يهدى) او لا يهتدى هو إلا ان يهدى والاصنام لا تهتدي ولا تهدي احدا وان هديت لانها موات من حجارة ونحوها ولكن الكلام نزل على انها ان هديت اهتدت لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت بصفة من يعقل وان لم يكن في الحقيقة كذلك ألا ترى إلى قوله سبحانه ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون وقوله إن الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وإنما هن موات ألا ترى انه قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ألهم ارجل يمشون بها الآية وكذلك قوله وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فأجري عليه اللفظ كما يجري على من يعلم وعلى هذا فقوله إلا ان يُهدى إلا بمنزلة حتى فكأنه قال امن لا يهتدي حتى يهدى ام من لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وإن كان لو دل او علم لم يستدل ولم يعلم ولو هدى لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر والعالم وقال البلخي لا يهدي ولا يهتدي بمعنى واحد يقال هديته فهدى اي اهتدى وقيل ان المراد بذلك الملائكة والجن لأنهم يهتدون إذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء والمضلون الذين يدعون إلى الكفر وقيل ان المعنى في قوله لا يهدي إلا ان يهدى لا يتحرك إلا ان يحرك ولا ينتقل إلا إن ينقل كقول الشاعر (حيث يهدى ساقه قدمه) اي يحمل وقيل معناه إلا ان يركب الله فيه آلة التمييز والهداية ويرزقه فهما وعقلا فإن هدي حينئذ اهتدى (فما لكم) قال الزجاج هذا كلام تام كأنه قال اي شيء لكم في عبادة من لا يضر ولا ينفع (كيف تحكمون) هذا تعجيب من حالهم اي كيف تقضون بأن هذه الأصنام آلهة وانها تستحق العبادة وقيل كيف تحكمون لانفسكم بما لا توجبه الحجة ولا تشهد بصحته الأدلة (وما يتبع اكثرهم إلا ظنا) اي ليس يتبع اكثر هؤلاء الكفار إلا ظنا الظن الذي لا يجدي شيئاً من تقليد آبائهم ورؤسائهم (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) لأن الحق إنما ينتفع به من علمه حقا وعرفه معرفة صحيحة والظن يكون فيه تجويز ان يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم (إن الله عليم بما يفعلون) من عبادة غير الله تعالى فيجازيهم عليه وفيه ضرب من التهديد

قوله تعالى (٣٧) وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (٣٨) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٩) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ (٤٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ أربع آيات

(اللغة)

القرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة والتفصيل والتقسيم والتمييز نظائر وضده التلبيس والتخليط والسورة جملة منزلة محيطة بآيات الله كإحاطة سور البناء بالبناء والاستطاعة حالة للحي تنطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من الطوع والقدرة مأخوذة من القدر فهي معنى يمكن ان يوجد بها الفعل والا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى

والاستقبال قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة يريد بالغا الكعبة وكل نفس ذائقة الموت أي ستذوق

﴿ المعنى ﴾

(ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم) بين سبحانه ان المطيعين لله الذين تولوا القيام بأمره وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب (ولا هم يحزنون) أي لا يخافون واختلف في أولياء الله فقيل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيماء الخير والاخبات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع وقيل هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وقد بينهم في الآية التي بعدها عن ابن زيد وقيل انهم الذين أدوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل هذه الدنيا ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله لمعايشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا منه لآخرتهم وهو المروي عن علي بن الحسين عليه السلام وقيل هم الذين توالت أفعالهم على موافقة الحق (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته (وكانوا يتقون) مع ذلك معاصيه (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فيه أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشرهم الله تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة ونظيره قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه الآية عن الزجاج والفراء ﴿ وثانيها ﴾ ان البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة (ع) للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة عن قتادة والزهري والضحاك والجبائي ﴿ وثالثها ﴾ انها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه او ترى له وفي الآخرة بالجنة وهي ما يبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى ان يدخلوا الجنة يبشرونهم بها حالا بعد حال وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عقبة بن خالد عن ابي عبد الله (ع) انه قال يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذي انتم عليه وما بين احدكم وبين ان يرى ما تقر به عينه إلا ان يبلغ نفسه إلى هذه واومى بيده إلى الوريد الخبر بطوله ثم قال ان هذا في كتاب الله وقرأ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية وقيل ان المؤمن يفتح له باب إلى الجنة في قبره فيشاهد ما اعد له في الجنة قبل دخولها (لا تبديل لكلمات الله) أي لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف في قوله بوضع كلمة أخرى مكانها بدلا منها لأنها حق والحق لا خلف فيه بوجه (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك الذي سبق ذكره من البشارة في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي النجاة العظيمة التي يصغر في جنبها كل شيء (ولا يحزنك قولهم) ظاهره النهي والمراد به التسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اقوالهم المؤذية وهو مثل قولهم لا أرينك ههنا أي لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيته وكذلك المراد بالآية لا تعبأ بأذاهم فمن عبأ به آذاه اذاهم (ان العزة لله جميعا) فيمنعهم منك بعزته ويدفع اذاهم عنك بقدرته وقيل معناه لا يحزنك قولهم انك ساحر او مجنون فسينصرك الله عليهم وسيذلهم وينتقم منهم لك فإنه عزيز قادر عليه (هو السميع العليم) يسمع أقوالهم ويعلم ضمائرهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك شرهم ويرد كيدهم وضرهم

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما تقدم ذكر المؤمن والكافر بين عقيبه ان اولياءه لا خوف عليهم وقيل لما ذكر انه يحصي اعمال خلقه بشر من تولاه وذكر ما اعد لهم ووجه اتصال قوله ولا يحزنك قولهم بما تقدم انه يتصل بقوله وان كذبوك فلا يحزنك قولهم وقل لي عملي ولكم عملكم وقيل انه يتصل بما قبله فكأنه قال إذا كنت من اولياء الله ومن اهل البشارة فلا ينبغي ان تحزن بطعن من يطعن عليك ووجه اتصال قوله هو السميع

العليم بما قبله انه يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك ذلك

قوله تعالى (٦٦) أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (٦٧) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ آيتان

اللغة

الفرق بين الجعل والفعل ان جعل الشيء يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفاً ولا يكون فعله إلا باحداثه والفرق بين الجعل والتغيير أن تغيير الشيء لا يكون إلا بتصييره على خلاف ما كان وجعله يكون بتصييره على مثل ما كان كجعل الإنسان نفسه ساكناً على استدامة الحال وإنما قال والنهار مبصراً وإنما يبصر فيه تشبيهاً ومجازاً واستعارة في صفة الشيء بسببه على وجه المبالغة كما يقال سر كاتم وليل نائم ومثله قول جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال رؤبه «قد نام ليلي وتجلى همي»

المعنى

لما سلى الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله ولا يحزنك قولهم فإنهم لا يفوتونني بين بعد ذلك ما يدل على صحته فقال (ألا ان لله من في السموات ومن في الأرض) يعني العقلاء وإذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم وإنما خص العقلاء تفخيما (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) يحتمل ما هاهنا وجهين * احدهما * ان يكون بمعنى أي شيء فكأنه قال وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحاً لفعلهم * والآخر * ان يكون نافية أي وما يتبعون شركاء في الحقيقة ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو ان يكون ما بمعنى الذي ويكون منصوبا بالعطف على من ويكون التقدير والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء فحذف العائد من الصلة وشركاء حال من ذلك المحذوف وإن جعلت ما نفياً فقوله شركاء ينتصب بيدعونه والعائد إلى الذين الواو في يدعون ويكون قوله ان يتبعون مكرراً لطول الكلام وتقف في هذا القول على قوله ومن في الارض وفي ذلك القول على قوله شركاء (ان يتبعون إلا الظن) أي ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء إلا الظن لتقليدهم أسلافهم في ذلك أو لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى (وإن هم الا يخرصون) أي وليسوا إلا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) معناه ان الذي يملك من في السموات ومن في الأرض هو الذي خلق لكم الليل لسكونكم ولأن يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه (والنهار مبصراً) أي وجعل النهار مبصراً مضيئاً تبصرون فيه وتهتدون به في حوائجكم بالإبصار (ان في ذلك لآيات) أي لحججاً ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره (لقوم يسمعون) الحجج سماع تدبر وتفهم وتعقل

قوله تعالى (٦٨) قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٦٩) قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (٧٠) مَتَاعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ثلاث آيات

﴿ الإعراب ﴾

متاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذاك أو هو متاع وقوله لا يفلحون وقف تام ويجوز ان يكون متاع مبتدأ محذوف الخبر وتقديره لهم متاع

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار انهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طائفتان ﴿ احداهما ﴾ كفار قريش والعرب فإنهم قالوا الملائكة بنات الله ﴿ والأخرى ﴾ النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله فقال سبحانه (قالوا اتخذ الله ولدا) وانما قال قالوا وان لم يكن سبق ذكرهم لأنهم كانوا بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يعرفهم وتصح الكناية عن المعلوم كما تصح عن المذكور (سبحانه) أي تنزيها له عما قالوا (هو الغني) عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال (له ما في السموات وما في الأرض) ومعناه إذا كان له ما في السموات وما في الأرض ملكا وملكا وخلقا فهو الغني عن اتخاذ الولد لأن الإنسان انما يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف أو ليستغني به من فقر والله سبحانه منزه عن ذلك وإذا استحال اتخاذ الولد حقيقة عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبني (ان عندكم من سلطان بهذا) أي ما عندكم من حجة وبرهان بهذا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) اي يكذبون (على الله الكذب) باتخاذ الولد وغير ذلك (لا يفلحون) أي لا يفوزون بشيء من الثواب وأصل الافتراء من القطع من فريت الأديم أي قطعته فمعناه يقطعون الكذب الذي يكذبون به على الله تعالى وقوله (متاع في الدنيا) معناه لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أياما قلائل ثم تنقضي وقوله (ثم الينا مرجعهم) أي ثم إلى حكمنا مصيرهم (ثم نذيقهم العذاب الشديد) وهو عذاب النار (بما كانوا يكفرون) أي بكفرهم

قوله تعالى (٧١) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧٢) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٧٣) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ ثلاث ايات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وحده وشركاؤكم بالرفع وهو قراءة الحسن وابن ابي اسحق وابي عبد الرحمن السلمي وعيسى الثقفي وقرأ الباقون وشركاءكم بالنصب وفي الشواذ قراءة الاعرج وعاصم والجحدري والزهري فاجمعوا أمركم مفتوحة الميم موصولة الهمزة من جمع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ فأجمعوا امركم وشركاؤكم بالرفع رفعه على العطف على الضمير في اجمعوا وساغ عطفه على

الضمير من غير توكيد من أجل طول الكلام بقوله امركم وإذا جاز في قوله سبحانه ما اشركنا ولا آباؤنا ان نكتفي من طول الكلام بلا وان كانت بعد حرف العطف كان الاكتفاء من التوكيد بما هو أطول من لا وهو ايضا قبل الواو كما ان التوكيد لو ظهر لكان قبلها احرى فلو قال قائل قم وزيد كان اقبح من ان يقول قمت وزيد وذلك لأن المعطوف عليه في قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو اضعف من ضمير المخاطب او المتكلم في قمت لأن له لفظا وهو التاء وقمت وزيد اضعف من قمنا وزيد لأن نا من قمنا اتم لفظا من التاء في قمت واما شركاءكم بالنصب فقد قيل فيه انه منصوب على اضمار فعل كأنه قيل وادعوا شركاءكم قالوا وكذا هو في مصحف ابي وقيل تقديره فاجمعوا امركم واجمعوا شركاءكم لأن اجمعوا يدل عليه وذهب المحققون إلى انه مفعول معه وتقديره مع شركائكم كما انشد سيبويه

فكونوا انتم وبني ابيكم مكان الكليتين من الطحال

ويقال اجمعت الامر وجمعت الأمر واجمعت على الأمر أي عزمت عليه قال المؤرج اجمعت الأمر افصح من اجمعت عليه قال ابو الهيثم اجمع امره إذا جعله جمعا بعد ما كان متفرقا قال « هل اغدون يوما وامري مجمع »

اللغة

الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الحزن والغمة والكربة والضغطة والشدة نظائر ونقيضه الفرجة وقيل غمة مغطى تغطية خبره مأخوذ من غم الهلال إذا حال دون رؤيته غيم

— المعنى —

ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقرأ عليهم اخبار نوح فقال (واتل عليهم نبأ نوح) اي خبره (إذ قال لقومه) الذين بعث اليهم (يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي) اي شق وعظم عليكم اقامتي بين اظهركم (وتذكيري) اي وعظي وتنبيهي اياكم (بآيات الله) اي بحججه وبيناته على صحة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وبطلان ما تدينون به وفي الكلام حذف هو قوله وعزمتم على قتلي وطردي من بين اظهركم (فعلى الله توكلت) جعله جواب الشرط مع انه متوكل عليه في جميع احواله ليبين لهم انه متوكل في هذا التفصيل لما في اعلامه ذلك من زجرهم عنه لأن الله تعالى يكفيه أمرهم ومعناه فإلى الله فوضت امري وبه وثقت ان يكفيني امركم (فاجمعوا امركم وشركاءكم) معناه فأعزموا على امركم مع شركائكم واتفقوا على امر واحد من قتلي وطردي ولا تضطربوا فيه فتختلف احوالكم فيما تلقونني به وهذا تهديد في صورة الأمر وقيل معناه اعزموا على امركم وادعوا شركاءكم فبين (ع) انه لا يرتدع عن دعائهم وعيب آلهتهم مستعينا بالله عليهم واثقا بأنه سبحانه يعصمه منهم وقيل أراد بالشركاء الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وقيل أراد من شاركهم في دينهم (ثم لا يكن امركم عليكم غمة) أي لا يكن امركم عليكم غما وحزنا بأن ترددوا فيه وقيل معناه ليكن امركم ظاهراً مكشوفا ولا يكونن مغطى مبهما مستوراً من غممت الشيء إذا سترته وقيل معناه لا تأتوه من غير أن تتشاوروا ومن غير أن يجتمع رأيكم عليه لأن من حاول أمراً من غير ان يعلم كيف يتأتى ذلك كان امره غمة عليه (ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون) أي انهضوا إليّ فاقتلوني ان وجدتم اليه سبيلا ولا تؤخروني ولا تمهلوني عن ابن عباس وقيل معنى اقضوا الي افعلوا ما تريدون وادخلوا إليّ لأنه

يعني افرغوا من جميع حيلكم كما يقال خرجت اليك من العهدة وقيل معناه توجهوا إليّ وروي عن بعضهم انه قرأ ثم افضوا إلي أي أسرعوا إلي من الفضاء لأنه إذا صار إلى الفضاء تمكن من الإسراع وهذا كان من معجزات نوح (ع) لأنه كان وحيدا مع نفر يسير وقد اخبر بأنهم لا يقدرون على قتله وعلى ان ينزلوابه سوءا لأن الله تعالى ناصره وحافظه عنهم (فإن توليتم) أي ذهبتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه (فما سألتكم من اجر) اي لا أطلب منكم أجراً على ما أؤديه اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم وقيل معناه ان اعرضتم عن قبول قولي لم يضرني لأني لم اطلع فيما لكم فيفوتني ذاك بتوليكم عني وانما يعود الضرر عليكم (ان اجري إلا على الله) أي ما اجري الا على الله في القيام باداء الرسالة (وامرت ان اكون من المسلمين) أي امرني الله بأن اكون من المستسلمين لأمر الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكتسبه العباد (فكذبوه) يعني انهم كذبوا نوحا أي نسبوه إلى الكذب فيما يذكره من انه نبي الله وان الله بعثه اليهم ليدعوهم إلى طاعته (فنجيناه ومن معه في الفلك) أي في السفينة (وجعلناهم خلائف) أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق وقيل انهم كانوا ثمانين نفساً وقال البلخي يجوز ان يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) اي اهلكنا باقي اهل الأرض اجمع لتكذيبهم لنوح (ع) (فانظر) ايها السامع (كيف كان عاقبة المنذرين) اي المخوفين بالله وعذابه اي كيف اهلكهم الله

قوله تعالى (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٥) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (٧٦) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٧) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٨) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ خمس آيات

القراءة

روى حماد ويحيى عن ابي بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكما الكبرياء بالياء والباقون بالتاء.

(الحجة)

الوجه في الياء ان تأنيث الكبرياء غير حقيقي وقد فصل ايضا بينه وبين الفعل ومن قرأ بالتاء فلأن لفظه لفظ التأنيث

(اللغة)

الإجرام اكتساب السيئة واصله القطع واللفت الصرف عن الأمر يقال لفته يلفته لفتا وامرأة لفوت ذات زوج لها ولد من غيره لأنها تلفت إلى ولدها عنقها

المعنى

ثم بين سبحانه قصة من بعثه بعد نوح فقال (ثم بعثنا من بعده) أي من بعد نوح واهلاك قومه (رسلا) يريد

ابراهيم وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا (إلى قومهم) الذين كانوا فيهم بعد أن تناسلوا وكثروا (فجاؤهم بالبينات) أي فأتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي لم يكونوا ليصدقوا يعني أولئك الأقوام الذين بعث اليهم الرسل بما كذبت به اوائلهم الذين هم قوم نوح أي كانوا مثلهم في الكفر والعتو وقيل معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها عن ابي مسلم والبلخي (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) أي نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ويعرفهم بها الملائكة كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد مر معاني الطبع والختم فيما تقدم (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد الرسل أو من بعد الأمم (موسى وهارون) (ع) نبيين مرسلين إلى فرعون وملائه أي ورؤساء قومه (بآياتنا) أي بأدلتنا ومعجزاتنا (فاستكبروا) عن الانقياد لها والإيمان بها (وكانوا قوما مجرمين) عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدائم (فلما جاءهم) اي جاء قوم فرعون (الحق من عندنا) يعني ما اتى به موسى من المعجزات والبراهين (قالوا إن هذا السحر مبين) اي ظاهر (قال موسى لهم) (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) أي اتقولون لمعجزاته سحر والسحر باطل والمعجز حق وهما متضادان (ولا يفلح الساحرون) اي لا يظفرون بحجة ولا يأتون على ما يدعونه ببينة وانما هو تمويه على الضعفة (قالوا) يعني قال فرعون وقومه لموسى (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) اي لتصرفنا عن ذلك (وتكون لكما الكبرياء) اي الملك عن مجاهد وقيل العظمة والسلطان والأصل ان الكبرياء استحقاق صفة الكبر في اعلى المراتب في الأرض اي في أرض مصر وقيل أراد اسم الجنس والمراد به الانكار وان كان اللفظ لفظ الاستفهام تعلقوا بالشبهة في انهم على رأي آبائهم وان من دعاهم الى خلافه فظاهر أمره انه يريد التأمر عليهم فلم يطيعوه (وما نحن لكما بمؤمنين) اي بمصدقين فيما تدعيانه من النبوة

قوله تعالى (٧٩) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٨٠) فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨١) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨٢) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ اربع آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم بكل سحار بالتشديد والباقون ساحر على وزن فاعل وقرأ ابو جعفر وابو عمرو السحر بقطع الألف ومدها على الاستفهام والباقون السحر موصولة على الخبر

الحجة

قد بينا الوجه في سحار وساحر في سورة الاعراف وأما قوله السحر فإن ما في قوله ما جئتم به في موضع رفع بالابتداء وجئتم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والكلام استفهام والسحر بدل من ما المبتدأ ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوي المبدل منه في انه استفهام ألا ترى انه ليس في قولك السحر استفهام وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون أم ثلاثون فجعلت العشرون والثلاثون بدلا من كم والحقت ام لأنك

في قولك كم درهما مالك مدع ان له مالا كما انك في قولك اعشرون ام ثلاثون مالك مدع احد الشيئين ولا يلزم ان تضمر للسحر خبرا على هذا لأنك اذا ابدلت من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبرا لما ابدلت منه في موضع خبر البدل ومن قرأ ما جئتم به السحر كان ما في قوله موصولا وجئتم به الصلة والهاء المجرورة عائدة على الموصول وخبر المبتدأ الذي هو الموصول السحر ومما يقوي هذا الوجه ما زعموا انه في حرف عبد الله ما جئتم به سحر فعلى هذا يكون تقديره الذي جئتم به السحر وعلى الوجه الأول وهو ان يكون ما استفهاما فتقديره اي شيء جئتم السحر واما وجه الاستفهام مع علم موسى انه سحر فإنه مثل قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين من دون الله في انه للتقرير

﴿ المعنى ﴾

(وقال فرعون) حكى الله سبحانه عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى (ع) ولم يكن له في دفعها حيلة قال لقومه (ائتوني بكل ساحر عليم) بالسحر بليغ في عمله وإنما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى وحتى لا يفوته شيء من السحر بتأخر بعضهم وإنما فعل ذلك للجهل بأن ما أتى به موسى من عند الله وليس بسحر وبعد ذلك علم انه ليس بسحر فمعائد كما قال سبحانه لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السماوات والارض بصائر وقيل انه علم انه ليس بسحر ولكنه ظن ان السحر يقاربه مقاربة تشبيه (فلما جاء السحرة) الذين طلبهم فرعون وأمر بإحضارهم وموسى حاضر (قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون) وفي الكلام حذف يدل عليه الظاهر وتقديره فلما أتوه بالسحرة وبالحبال والعصي قال لهم موسى (القوا ما انتم ملقون) اي اطرحوا ما جئتم به وقيل معناه افعلوا ما انتم فاعلون وهذا ليس بأمر بالسحر ولكنه قال ذلك على وجه التحدي والإلزام اي من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليلقه وقيل انه امر على الحقيقة بالالقاء ليظهر بطلانه وانما لم يقتصر على قوله القوا لأنه اراد القوا جميع ما انتم ملقون في المستأنف فلو اقتصر على القوا ما افاد هذا المعنى والإلقاء اخراج الشيء عن اليد إلى جهة الأرض ويشبه بذلك قولهم القي عليه مسألة والقى عليه رداه (فلما القوا) اي فلما القت السحرة سحرهم (قال موسى) لهم (ما جئتم به السحر) اي الذي جئتم به من الحبال والعصي السحر ادخل عليه الالف واللام للعهد لأنهم لما قالوا لما اتى به موسى انه سحر قال (ع) ما جئتم به هو السحر عن الفراء (ان الله سيبطله) اي سيبطل هذا السحر الذي فعلتموه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) معناه ان الله لا يهيئ عمل من قصد افساد الدين ولا يمضيه ويبطله حتى يظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل (ويحق الله الحق) أي يظهر الله الحق ويحققه ويثبته وينصر اهله (بكلماته) قيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه بوعد موسى «ع» وكان وعده النصر فأنجز وعده عن الحسن ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه بكلامه الذي يتبين به معاني الآيات التي اتاها نبيه عن الجبائي ﴿ وثالثها ﴾ بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ بأن ذلك سيكون (ولو كره المجرمون) ظهور الحق وابطال الباطل وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم في حقهم وذلك على وجهين ﴿ احدهما ﴾ بالحجة فهذه النصرة مستمرة على كل حال «والثاني» بالغلبة والقهر وهذا يختلف بحسب المصلحة لأن المصلحة قد تكون بالتخلية تارة وبالحيلولة اخرى

قوله تعالى (٨٣) فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٤) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ

إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٥) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٦) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اربع آيات

== اللغة ==

الذرية الجماعة من نسل القبيلة وقد تقدم القول في اصلها ووزنها والفتنة اصلها البلية وهي معاملة تظهر الامور الباطنة يقال فتنت الذهب إذا احرقته بالنار ليظهر الخلاص وقوله يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون لما فيه من اظهار حالهم في الضلال وقوله والفتنة اشد من القتل معناه التعذيب للرد عن الدين لما فيه من اظهار النصرة اشد

== الإعراب ==

يا قوم حذفت منه ياء الإضافة اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء احسن من اثباتها لقوة النداء على التغيير والفاء في قوله فقالوا فاء العطف وجواب الامر كما تقول قال السائل كذا فقال المجيب كذا وانما جازت الفاء في الجواب ولم تجز الواو لأن الفاء تترتب من غير مهلة فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالاول وليس كذلك الواو

❊ المعنى ❊

ثم بين سبحانه من آمن من قوم موسى (ع) فقال (فما آمن لموسى) اي لم يصدق موسى في ما ادعى من النبوة مع ما اظهره من المعجزات الظاهرة (الا ذرية من قومه) اي اولاد أمن قوم فرعون وقيل أراد من قوم موسى (ع) وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر واختلف من قال بالأول فقيل انهم قوم كانت أمهاتهم من بني اسرائيل وآباؤهم من القبط فاتبعوا أمهاتهم وأخوالهم عن ابن عباس وقيل انهم أناس يسير من قوم فرعون منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وجارية وامرأة هي مشاطة امرأة فرعون عن عطية عن ابن عباس وقيل انهم بعض أولاد القبط لم يستجب آباؤهم موسى واختلف من قال بالثاني فقيل هم جماعة من بني اسرائيل أخذهم فرعون لتعلم السحر وجعلهم من أصحابه فآمنوا بموسى عن الجبائي وقيل أراد مؤمني بني إسرائيل وكانوا ستمائة الف وكان يعقوب دخل مصر منهم باثنين وسبعين انسانا فتوالدوا حتى بلغوا ستمائة الف وانما سماهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقال مجاهد أراد بهم أولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء (على خوف من فرعون) يعني آمنوا وهم خائفون من معرة فرعون (وملئهم) ومن اشرافهم ورؤسائهم قال الزجاج وإنما جاز أن يقال وملئهم لأن فرعون ذو اصحاب يأتمرون له وقيل ان الضمير في ملئهم راجع إلى الذرية لأن آباءهم كانوا من القبط وكانوا يخافون قومهم من القبط ان يصرفوهم عن دينهم ويعذبوهم (ان يفتنهم) أي يصرفهم عن الدين يعني ان يمتحنهم لمحنة لا يمكنهم الصبر عليها فينصرفون عن الدين وكان جنود فرعون يعذبون بني اسرائيل فكان خوفهم منه ومنهم (وان فرعون لعال في الأرض) اي مستكبر باغ طاغ في ارض مصر ونواحيها (وانه لمن المسرفين) اي من المجاوزين الحد في العصيان لأنه ادعى الربوبية واسرف في القتل والظلم والإسراف التجاوز عن الحد في كل شيء (وقال موسى) لقومه الذين آمنوا به (يا قوم

إن كنتم آمنتم بالله) كما تظهرون (فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) اي فاسندوا اموركم اليه ان كنتم مسلمين على الحقيقة وانما اعاد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله ليتبين المعنى باجتماع الصفتين التصديق والانقياد اي ان كنتم آمنتم بالله فاستسلموا لأمره وفائدة الآية بيان وجوب التوكل على الله عند نزول الشدة والتسليم لأمره ثقة بحسن تدبيره وانقطاعا اليه (فقالوا على الله توكلنا) اخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وانهم قالوا اسندنا امورنا إلى الله ووثقنا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) اي لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر علينا فرعون وقومه فيفتتن بنا الكفار ويقولوا لو كانوا على الحق لما ظفرنا عليهم عن الحسن وابي مجاز وروى زرارة ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان معناه لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا (ونجنا) وخلصنا (برحمتك من القوم الكافرين) اي من قوم فرعون واستعبادهم ايانا واخذهم جماعتنا بالاعمال الشاقة والمهن الخسيسة

قوله تعالى (٨٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٩) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

(القراءة)

قرأ ابن عامر ولا تتبعان خفيفة النون والباقون بالتشديد

الحجة

من قرأ بالنون الشديدة كسرها لوقوعها بعد الف التثنية فاشبهت نون الاثنين في رجلان ولم يعتد بالنون الساكنة قبلها لسكونها وخفتها فصارت المكسورة كأنها وليت الألف ومن قرأ بالتخفيف فإنه يمكن ان يكون خفف الثقيلة للتضعيف كما خففوا رب وان ونحوهما إلا انه حذف الاولى من المثلين كما ابدلوا الاولى من المثلين في نحو قيراط ودينار ولزم ذلك في هذا الموضع لأن الحذف لو لحق الثانية للزم التقاء الساكنين والتقاء الساكنين على هذا الحد غير مأخوذ به عند العامة وان شئت كان على لفظ الخبر والمعنى الامر كقوله يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا تضار والدة بولدها اي لا ينبغي ذلك وان شئت جعلته حالا من استقيما والتقدير استقيما غير متبعين ويدل على ذلك قول الشاعر

فلا اسقي ولا يسقى شريبي ويرويه إذا اوردت مائي

وكقول الفرزدق

بأيدي رجال لم يشيموا اسيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

اللغة

تبوءا اي اتخذا يقال تبوأ لنفسه بيتا اي اتخذه وبوأت له بيتا اي اتخذته له ويقال ان تبوء وبوء بمعنى

اي اتخذ بيتا مثل بدل وتبدل وخلص وتخلص قال ابو علي تبوء فعل يتعدى إلى مفعولين واللام في قوله لقومكما كالتي في قوله ردف لكم ويقوي ذلك قوله وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت فدخلت اللام على غير المطاوع كادخلت على المطاوع في قوله تبوءا لقومكما والطمس محو الاثر يقال طمست عينه اطمسها طمسا وطموسا وطمست الريح آثار الديار والطمس تغير إلى الدثور والدروس قال كعب بن زهير

من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت ... عرضتها طامس الأعلام مجهول

﴿ الاعراب ﴾

مصر غير منصرف لأنه مؤنث معرفة ولو صرفت لخفتها كما تصرف هند لكان جائزا وترك الصرف اقيس وقوله بيوتا مفعول به وليس بظرف مكان لاختصاصه والبيوت هنا كالغرف في قوله تعالى لنبوءنهم من الجنة غرفا فلا يؤمنوا يحتمل وجهين من الاعراب النصب والجزم فأما النصب ففيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون على جواب صيغة الأمر بالفاء ﴿ والآخر ﴾ ان يكون عطفا على ليضلوا اي ليضلوا فلا يؤمنوا وهذا قول المبرد وعلى هذا فيكون قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضا واما الجزم فيكون على وجه الدعاء عليهم وتقديره فلا آمنوا ومثله قول الاعشى

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ... ولا تلقني إلا وأنفك راغم

—(المعنى)—

(واوحينا إلى موسى وأخيه) أي أمرناهما (ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) اي اتخذا لمن آمن بكما بمصر يعني البلدة المعروفة بيوتا تسكنونها وتأوون اليها (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف في ذلك فقيل لما دخل موسى مصر بعد ما اهلك الله فرعون أمروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وان يجعلوا مساجدهم نحو القبلة أي الكعبة وكانت قبلتهم إلى الكعبة عن الحسن ونظيره في بيوت اذن الله ان ترفع الآية وقيل أن فرعون أمر بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من الصلاة فأمروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفا من فرعون وذلك قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا عن سعيد بن جبير (واقيموا الصلاة) أي أديموها وواظبوا على فعلها (وبشر المؤمنين) بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم والخطاب لموسى (ع) عن ابي مسلم وقيل الخطاب لمحمد ﷺ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه) اي اعطيت فرعون وقومه (زينة) يتزينون بها من الحلي والثياب وقيل الزينة الجمال وصحة البدن وطول القامة وحسن الصورة (واموالا) يتعظمون بها في الحياة الدنيا وانما اعطاهم الله تعالى ذلك للإنعام عليهم مع تعريه من وجود الاستفساد (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اللام للعاقبة والمعنى وعاقبة امرهم انهم يضلون عن سبيلك ولا يجوز ان يكون لام الغرض لأنا قد علمنا بالادلة الواضحة ان الله سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر الخلق بالضلال ولا يريد ايضا منهم الضلال وكذلك لا يؤتيهم المال ليضلوا وقيل معناه لئلا يضلوا عن سبيلك فحذفت لا كقوله شهدنا ان تقولوا يوم القيامة أي لئلا تقولوا وحذف ذلك لدلالة العقل عليه وقيل انه لام الدعاء والمعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال وانما قال ذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون من طريق الوحي وفائدته اظهار التبرؤ منهم كما يلعن ابليس ويدل عليه انه اعاد قوله (ربنا اطمس على اموالهم) فدل ذلك

على انه اراد به الدعاء عليهم والمراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جهتها · إلى جهة لا ينتفع بها قال مجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير صارت جميع اموالهم حجارة حتى السكر والفانيذ (واشدد على قلوبهم معناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد اهلاك أموالهم فيكون ذلك اشد عليهم وقيل معناه أمتهم بعد سلب اموالهم واهلكهم وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) قد ذكرنا وجوهه وقيل معناه انهم لا يؤمنون إيمان الجاء حتى يروا العذاب وهم مع ذلك لا يؤمنون ايمان اختيار أصلا ثم اخبر سبحانه انه اجاب لهما الدعوة فقال (قال) اي قال الله تعالى لموسى وهارون (قد اجيبت دعوتكما) والداعي كان موسى «ع» لأنه كان يدعو وكان هارون يؤمن على دعائه فسماهما داعيين عن عكرمة والربيع وابي العالية واكثر المفسرين ولأن معنى التأمين اللهم استجب هذا الدعاء (فاستقيما) اي فاثبتا على ما امرتما من دعاء الناس إلى الإيمان بالله تعالى والإنذار والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعاء اربعين سنة وروي ذلك عن ابي عبدالله «ع» (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) نهاهما سبحانه عن ان يتبعا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه ولا يعرف انبياءه عليهم السلام

قوله تعالى (٩٠) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩٢) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم آمنت انه بكسر الالف والباقون انه بالفتح وروي عن ابي جعفر ونافع الان بإلقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة وقرأ ننجيك خفيفة قتيبة ويعقوب وسهل والباقون ننجيك بالتشديد وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب ومحمد بن السميقع ننحيك بالحاء

(الحجة)

قال ابو علي من قرأ آمنت انه بالفتح فلأن هذا الفعل يصل بحرف الجر في نحو يؤمنون بالغيب فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى انفصار في موضع نصب او جر على الخلاف في ذلك ومن قرأ امنت انه بالكسر حمله على القول المضمر كأنه قال آمنت وقلت انه واضمار القول في هذا النحو كثير وقال علي بن عيسى من كسر إنه جعله بدلا من آمنت ومن فتح جعله معمول آمنت واما الآن فإن لام المعرفة إذا دخلت على كلمة اولها الهمزة فخففت الهمزة كان في تخفيفها وجهان احدهما ان يلقي حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمر وقد حكى ذلك سيبويه وحكى ابو الحسن ان اناسا يقولون لحمر فيحذفون الهمزة التي للوصل قال

فقد كنت تخفي حب سمراء حقبة ... فبح لان منها بالذي أنت بائح

فاسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ولو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد بها في الوجه الاول لحرك الحاء بالكسر كما يحرك في بح اليوم وننجيك وننجيك في معنى واحد اي نلقيك على نجوة من الارض قال اوس بن حجر

فمن بنجوته كمن بعقوته ... والمستكن كمن يمشي بقرواح

والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرأ ننحيك بالحاء فإنه نفعلك من الناحية اي نجعلك في ناحية ومنه

نحيت الشيء فتنحى اي باعدته فتباعد فصار في ناحية قال الحطيئة

تنحي فاجلسي مني بعيدا أراح الله منك العالمينا

❋ اللغة ❋

المجاوزة الخروج عن الحد من احدى الجهات الاربع والاتباع طلب اللحاق بالأول اتبعه اتباعا وتبعه بمعنى وحكى ابو عبيدة عن الكسائي انه قال إذا اريد انه اتبعهم خيرا أو شرا قالوا بقطع الهمزة وإذا اريد به انه اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء ووصل الهمزة والبغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو والعدوان الظلم والنجوة الأرض التي لا يعلوها السيل واصلها من الارتفاع

❋ الاعراب ❋

بغيا وعدوا مفعول له وقيل انهما مصدران في موضع الحال اي في حال البغي والعدوان الآن فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع انه إشارة إلى الحاضر ولهذا بني كما بني ذا وعرف الآن بالالف واللام وامس يتضمن حرف التعريف لأن ما مضى بمنزلة المضمر في المعنى في انه ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في صحة الصورة والعامل في قوله الآن محذوف وتقديره الآن آمنت

— المعنى —

ثم بين سبحانه مآل آل فرعون وقومه فقال (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) أي عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بأن يبسنا لهم البحر وفرقنا لهم الماء اثني عشر فرقا (فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) اي ليبغوا عليهم ويظلموهم وذلك ان الله سبحانه لما اجاب دعاء موسى امره بإخراج بني اسرائيل من مصر ليلا فخرج وتبعهم فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا إلى البحر وامر الله سبحانه موسى (ع) فضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر فرقا وصار لكل سبط طريق يابس فارتفع بين كل طريقين الماء كالجبل وصار في الماء شبه الخروق فجعل بعضهم ينظر إلى بعض فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر رأوا البحر بتلك الهيئة فهابوا دخول البحر وكان فرعون على حصان ادهم فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس وديق وخاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما شم ادهم فرعون ريح فرس جبريل (ع) انسل خلفه في الماء واقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم البحر وهمّ أولهم ان يخرج انطبق الماء عليهم (حتى إذا ادركه الغرق) اي وصل اليه الغرق وايقن بالهلاك (قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين) وكان ذلك إيمان الجاء لا يستحق به الثواب فلم ينفعه إيمانه (الآن) وقد عصيت قبل فيه اضمار اي قيل له الآن آمنت حين لا ينفع الايمان ولا يقبل لأنه حال الإلجاء (وقد عصيت) بترك الإيمان في حال ما ينفعك الايمان فهلا آمنت (قبل) ذلك (وكنت من المفسدين) في الأرض بقتل المؤمنين وادعاء الإلهية وانواع الكفر واختلف في قائل هذا القول فقيل قاله جبريل (ع) وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله له على وجه الإهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى عليه السلام وروى علي بن ابراهيم بن هاشم بإسناده عن الصادق عليه السلام قال ما اتى جبريل رسول الله ﷺ إلا كئيبا حزينا ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون فلما امر الله سبحانه بنزول هذه الآية نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له حبيبي جبريل ما اتيتني إلا وبينت الحزن في وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما غرق والله فرعون قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل فأخذت حمأة فوضعتها في فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم خفت ان تلحقه الرحمة من عند الله فيعذبني على ما فعلت فلما كان الآن وأمرني أن أودي اليك ما قلته انا لفرعون آمنت وعلمت ان ذلك كان لله رضا (فاليوم ننجيك ببدنك) اختلف في معناه فقال اكثر المفسرين معناه لما أغرق الله فرعون وقومه انكر بعض بني اسرائيل غرق فرعون وقالوا هو اعظم شأنا من ان يغرق فأخرجه الله حتى رأوه فذلك قوله فاليوم

ننجيك اي نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع ببدنك أي بجسدك من غير روح وذلك انه طفا عريانا وقيل معناه نخلصك من البحر وانت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس كانت عليه درع من ذهب يعرف بها فالمعنى نرفعك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها (لتكون لمن خلفك آية) اي لتكون نكالا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقالتك عن الكلبي وقيل انه كان يدعي انه رب فبين الله امره وأنه عبد وفيه من الآية انه غرق مع القوم واخرج هو من بينهم وكان ذلك آية عن الزجاج (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) يعني ان كثيرا من الناس عن التفكر في دلالاتنا والتدبر لحججنا وبيناتنا غافلون اي ذاهبون

قوله تعالى (٩٣) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ آية

«الاعراب»

المبوء يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون مكانا ويكون المفعول الثاني من بوأت على هذا محذوفا كما حذف من قوله وبوأكم في الارض ويجوز ان ينتصب المبوء نصب المفعول به على الاتساع وان كان مصدرا فقد أجاز ذلك سيبويه في قوله أما الضرب فأنت ضارب

(المعنى)

ثم بين سبحانه حال بني اسرائيل بعد اهلاك فرعون فقال (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوء صدق) اخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد ان انجاهم واهلك عدوهم يقول مكناهم مكانا محمودا وهو بيت المقدس والشام وانما قال مبوأ صدق لأن فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه انزلناهم في موضع خصب وامن يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة وقال الحسن يريد به مصر وذلك ان موسى عبر ببني اسرائيل البحر ثانيا ورجع إلى مصر وتبوأ مساكن آل فرعون وقال الضحاك هو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) اي مكناهم الاشياء اللذيذة وهذا يدل على سعة ارزاق بني اسرائيل (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) معناه فما اختلفوا في تصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعني اليهود كانوا مقرين به قبل مبعثه حتى جاءهم العلم وهو القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس وقال الفراء العلم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان معلوما عندهم بنعته فلما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم وقيل ان معناه فما اختلف بنو اسرائيل الا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهارون فإنهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجيء موسى فلما جاءهم آمن به بعضهم وثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا اخبار منه تعالى بأنه الذي يتولى الحكم بينهم يوم القيامة في الأمور التي يختلفون فيها فإن مع بقاء التكليف لا يرتفع الخلاف

قوله تعالى (٩٤) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٥) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٧) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ثلاث ايات

القراءة

قد تقدم اختلاف القراء في كلمة وكلمات والوجه في ذلك

﴿ اللغة ﴾

الامتراء طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مري الضرع وهو مسحه ليدر فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحليب

—(الاعراب)—

النون في قوله فلا تكونن نون التأكيد وهي لا تدخل في غير الواجب لأنك لا تقول انت تكونن ودخلت في القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق وانما بنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الأولى ساكنة واقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين ولو جاءتهم كل آية قال الأخفش انث كل لأنها مضافة إلى مؤنث ولفظة كل للمذكر والمؤنث سواء والرؤية في الآية رؤية العين لأنها تعدت إلى مفعول واحد والعذاب وان كان اليا وهو لا يصح ان يرى فإنه ترى اسبابه فهو بمنزلة ما يرى

— المعنى —

ثم بين سبحانه صحة نبوة محمد ﷺ فقال (فإن كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) اختلف المفسرون في معناه على اقوال اولها قال الزجاج ان هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها وفي السورة ما يدل على بيانها فإن الله سبحانه يخاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى فإن كنتم في شك فاسألوا والدليل عليه قوله في آخر السورة يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم الآية فاعلم الله سبحانه ان نبيه عليه السلام ليس في شك ومثل هذا قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فقال طلقتم والخطاب للنبي ﷺ وحده وهذا مذهب الحسن وابن عباس واكثر اهل التأويل وروي عن الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انهم قالوا ان النبي ﷺ لم يشك ولم يسأل وهو المروي ايضا عن ابي عبد الله (ع) ﴿ وثانيها ﴾ ان الخطاب لرسول الله ﷺ وان لم يشك وعلم الله سبحانه انه غير شاك ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القائل لعبده ان كنت عبدي فأطعني ولأبيه ان كنت والدي فتعطف علي ولولده ان كنت ابني فبرني يريد بذلك المبالغة وربما خرجوا في المبالغة الى ما يستحيل كقولهم بكت السماء لموت فلان اي لو كان تبكي سماء على ميت لبكت عليه وكذلك ههنا يكون المعنى لو كنت ممن يشك فشككت فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك عن الفراء وغيره ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى فإن كنت ايها المخاطب او ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا محمد ﷺ فيكون الخطاب لغيره ﴿ ورابعها ﴾ ما ذكره الزجاج انه يجوز ان يكون ان في معنى ما فيكون المعنى ما كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب اي لسنا نريد بامرك ان تسأل لأنك شاك ولكن لتزداد ايمانا كما قال ابراهيم (ع) حين قال له اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالزيادة في التعريف ليست مما يبطل صحة العقيدة وإنما امر سبحانه بسؤال اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه امره بأن يسأل مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتميم الداري واشباههم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ﴿ والآخر ﴾ ان المراد سلهم عن صفة النبي ﷺ المبشر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة وهذا القول اقوى لأن هذه السورة مكية وابن سلام وغيره إنما اسلموا بالمدينة وقال الزهري ان هذه الآية نزلت في السماء فإن صح ذلك فقد كفي المؤونة ورواه اصحابنا ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل ايضا ان المراد بالشك الضيق والشدة بما يعانيه من تعنتهم واذاهم اي ان ضقت ذرعا بما تلقى من أذى قومك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم فاصبر كذلك (لقد جاءك الحق من ربك) يعني بالحق القرآن والإسلام (فلا تكونن من الممترين) اي الشاكين (ولا تكونن من الذين

كذبوا بآيات الله) اي من جملة من يجحد آيات الله ولا يصدق بها (فتكون من الخاسرين) اي فإنك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين ولم يقل من الكافرين لأن الانسان قد علم شدة تحسره وتأسفه على خسران ماله فكيف اذا خسر دينه ونفسه (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون)معناه ان الذين اخبر الله عنهم بغير شرط انهم لا يؤمنون فنفى الإيمان عنهم ولم ينف عنهم القدرة عليه فإن نفي الفعل لا يكون نفيا للقدرة عليه كما ان الله سبحانه نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفيا لقدرته على مغفرتهم وقيل معناه ان الذين وجب عليهم سخط ربك عن قتادة وقيل معناه وجب عليهم وعيد ربك (ولو جاءتهم كل آية) اي كل معجزة ودلالة مما يقترحونها (حتى يروا العذاب الأليم) الموجع فيصيروا ملجأين الى الايمان وفي هذا اعلام بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم في المعلوم يؤمنون عنده ايمان اختيار

قوله تعالى (٩٨) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ آية

الإعراب

لولا بمعنى هلا وهي تستعمل على وجهين احدهما التحضيض والآخر التأنيب كقولك في التحضيض هلا تأتي زيدا لحاجتك وفي التأنيب هلا امتنعت من الفساد الذي دعيت اليه قال الشاعر

تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

اي هلا تعقرون الكمي وكانت قرية. كان هذه هي التامة لا تحتاج الى خبر وآمنت فنفعها ايمانها صفة لقرية فإن الجمل قد تقوم مقام الصفة للنكرة والا قوم يونس استثناء متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكأنه قال هلا آمن اهل قرية والجميع مشتركون في هذا العتاب وقوم يونس مستثنى من الجميع ومثل هذا الاستثناء في قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم وقال الزجاج الا قوم يونس استثناء منقطع وتقديره لكن قوم يونس لما آمنوا ومثله قول النابغة

وقفت فيها أصيلا لا اسائلها عيت جوابا وما بالربع من احد

الا اواري لا لأيا ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

وحكى الفراء في البيت لا ان ما ابينها وقال جمع الشاعر بين ثلاثة احرف في النفي لا وان وما وقرأ بعضهم يونس ويوسف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من آسف وآنس وهو شاذ

المعنى

لما ذكر سبحانه ان إيمان فرعون لم يقبل عند معاينة العذاب وصل ذلك بذكر إيمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس) قيل ان معناه فهلا كان اهل قرية آمنوا في وقت ينفعهم إيمانهم ٠ اعلم الله سبحانه أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذي لا يشك فيه ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب عن الزجاج قال وقوم يونس لم يقع بهم العذاب إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب فمثلهم مثل العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو العافيه ويخاف الموت وقيل ان معناه لم يكن فيما خلا ان يؤمن اهل قرية بأجمعهم حتى لا يشذ منهم احد الا قوم يونس فهلا كانت القرى كلها هكذا عن الحسن وقيل معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها يريد بذلك لم يكن هذا معروفا لأمة من الأمم كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب وكشف عنهم اي لم افعل هذا بأمة قط الا قوم يونس لما آمنوا عند نزول العذاب كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم وهو قوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) عن

قتادة وابن عباس في رواية عطاء وقيل انه اراد بقوله فلولا كانت قرية آمنت قوم ثمود فانه قد جاءهم العذاب يوما فيوما كما جاء قوم يونس الا ان قوم يونس استدركوا ذلك بالتوبة واولئك لم يستدركوا فوصف اهل القرية بأنهم سوى قوم يونس ليعرفهم به بعض التعريف اذ كان اخبر عنهم على سبيل الاخبار عن النكرة عن الجبائي وهذا الذي ذكره انما كان يصح او كان الا قوم يونس مرفوعا فكان يكون صفة لقرية او بدلا منه على معنى هلا كان قوم قرية آمنوا الا قوم يونس ولم يقرأ احد من القراء بالرفع (ومتعناهم الى حين) وهو وقت انقضاء آجالهم

-(القصة)-

وكان من قصة يونس على ما ذكره سعيد بن جبير والسدي ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل وكان يدعوهم الى الإسلام فأبوا فأخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث ان لم يتوبوا فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا يغشاهم العذاب قال وهب اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم وقال ابن عباس كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ثلثي ميل فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الإيمان والتوبة واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت اصواتها واختلطت اصواتها باصواتهم وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم قال عبد الله ابن مسعود بلغ من توبة اهل نينوى ان يرادوا المظالم بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيقتلعه ويرده وروي عن ابي مخلد انه قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له لقد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا ياحي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا انت فقالوها فانكشف عنهم العذاب وروي عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن جميل قال قال ابو عبد الله (ع) كان فيهم رجل اسمه مليخا عابدا وآخر اسمه روبيل عالم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهاه ويقول له لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فاوحى الله تعالى اليه انه يأتيهم العذاب في شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب قال لهم العالم افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم فاخرجوا إلى المفازة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين سائر الحيوان واولادها ثم ابكوا وادعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب وكان قد نزل بهم وقرب منهم ومر يونس على وجهه مغاضبا كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت وارادوا ان يدفعوها فسألهم يونس ان يحملوه فحملوه فلما توسطوا البحر بعث الله عليهم حوتا عظيما فحبس عليهم السفينة فتساهموا فوقع من بينهم السهم على يونس فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء وقيل ان الملاحين قالوا نقترع فمن اصابته القرعة القيناه في الماء فإن ههنا عبدا عاصيا ابقا فوقعت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال انا العبد الابق والقى نفسه في الماء فابتلعه الحوت فاوحى الله إلى ذلك الحوت لا تؤذ شعرة منه فإني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعامك فلبث في بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين يوما وقد سأل بعض اليهود امير المؤمنين عليا عليه السلام عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال له يا يهودي هو الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر قلزم حتى خرج إلى بحر مصر ثم سار منها إلى بحر طبرستان ثم خرج من الدجلة قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوت آخر فأهوى به إلى قرار الارض وكان في بطنه اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب

الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتمعط فأنبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكل الله به وعلا يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله تعالى اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم فخرج يونس فإذا هو بغلام يرعى فقال من أنت قال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الغلام ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه وآمنوا به وقيل انه (ع) ارسل الى قوم غير قومه الاولين

قوله تعالى (٩٩) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (١٠٠) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ آيتان

القراءة

قرأ ونجعل بالنون حماد ويحيى عن ابي بكر والباقون بالياء

الحجة

من قرأ بالنون فإنه ابتداء بالإخبار عن الله ومن قرأ بالياء فلأنه تقدم ذكر الله تعالى فكنى عنه

اللغة

المشيئة والارادة والإيثار والاختيار نظائر وانما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يؤكد بالنفس ولا يؤكد بالذات والنفس مأخوذة من النفاسة

(الاعراب)

كلهم تأكيد لمن وجميعا نصب على الحال

المعنى

لما تقدم ان إيمان الملجأ غير نافع بين سبحانه ان ذلك لو كان ينفع لأكره اهل الارض عليه فقال (ولو شاء ربك) يا محمد (لآمن من في الأرض) أي لآمن أهل الأرض (كلهم جميعا) ومعناه الاخبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر على ان يكره الخلق على الإيمان كما قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومعناه انه لا ينبغي ان تريد اكراههم على الإيمان مع انك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريده لأنه ينافي التكليف وأراد بذلك تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على إيمانهم عنه وفي هذا ايضا دلالة على بطلان قول المجبرة انه تعالى لم يزل كان شائيا وانه لا يوصف بالقدرة على ان يشاء لأنه تعالى اخبر انه لو شاء لقدر لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ولو كانت مشيئة ازلية لم يصح تعليقها بالشرط فصح ان مشيئته فعلية ألا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صح ان يقال لو شاء ولو اراد (وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله) معناه انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا بإطلاق الله تعالى له في الإيمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقيل ان اذنه هاهنا امره كما قال يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم عن الحسن والجبائي وحقيقة الاذن اطلاقه في الفعل بالأمر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعة وقيل ان اذنه هنا علمه اي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله من قولهم اذنت لكذا إذا سمعته وعلمته واذنته اعلمته فيكون خبرا

من علمه سبحانه لجميع الكائنات ويجوز ان يكون بمعنى اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعوهم إلى فعله ويبعثهم عليه (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) معناه ويجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكأنهم لا عقول لهم عن قتادة وابن زيد وقيل معناه ويجعل الكفر عليهم أي يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه عن الحسن وقيل الرجس الغضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي الرجس النتن والرجز والرجس واحد قال ابو علي وكان الرجس على ضربين احدهما ان يكون في معنى العذاب والآخر ان يكون بمعنى القذر والنجس اي يحكم بأنهم رجس كما قال سبحانه انما المشركون نجس

قوله تعالى (١٠١) قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَاتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠٢) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (١٠٣) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ثلاث آيات

(القراءة)

قرأ الكسائي برواية نصير ويعقوب برواية روح وزيد ثم ننجي رسلنا خفيفة وروي عن روح التشديد أيضا فيه والباقون ننجي بالتشديد وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وسهل ننجي المؤمنين خفيفة والباقون ننجي بالتشديد

الحجة

حجة من قال ننجي قوله فأنجاه الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجينا الذين آمنوا وكلاهما حسن قال الشاعر

ونجى ابن هند سابح ذو غلالة ... أجش هزيم والرماح دوان

اللغة

النظر طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظرني حتى الحقك ولو قلت توقعني لم تكن قد أمرته بالثبات والمثل في الجنس ما سد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان على معنى يقربه من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة مأخوذة من اعطاء الشيء من غير نقيصة اسلمته اليه اذا اعطيته سالما من غير آفة

الإعراب

وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى في انه حق على الله واجب لهم ويحتمل ان يكون العامل في كذلك ننجي الأول وتقديره ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء ويحتمل ان يكون العامل فيه ننجي الثاني وحقا نصب على المصدر أي يحق حقا وقيل انه نصب على الحال وان كان لفظه لفظ المصدر عن ابي مسلم قال جامع العلوم النحوي الضرير ويجوز ان ينصب حقا بدلا من كذلك او وصفا ولا يجوز ان ينصب كذلك وحقا جميعا بقوله ننجي رسلنا لأن الفعل الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا في استثناءين ولا في مفعولي معها وقد بين ذلك في موضعه فإن جعلت كذلك من صلة ننجي وجعلت حقا من صلة قوله ننجي المؤمنين اي ننجي المؤمنين حقا كان الوقف على كذلك

المعنى

ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم فقال (قــل) يا محمد لمن يسألك الآيات (انظروا ماذا في السماوات والأرض) من الدلائل والعبر من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم والأفلاك وما خلق من الجبال والبحار وأنبت من الأشجار والثمار واخرج من انواع الحيوانات فإن النظر في افرادها وجملتها يدعو إلى الايمان وإلى معرفة الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) معناه وما تغني هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها ولا الرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الادلة تفكرا وتدبرا ولا يريدون الايمان وقيل ما تغني معناه أي شيء تغني عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها فيكون ما للاستفهام وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية هتف بها وقال وما تغني الحجج عن قوم لا يقبلونها وقال ابو عبد الله عليه السلام لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس فلقي من لقي من الأنبياء ثم رجع فأصبح يحدث اصحابه أني اتيت بيت المقدس ولقيت اخواني من الأنبياء فقالوا يارسول الله كيف اتيت بيت المقدس الليلة قال جاءني جبرائيل بالبراق فركبتها وآية ذلك اني مررت بعير لأبي سفيان على ماء لبني فلان وقد اضلوا جملا لهم احمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاءه راكب سريع ولكنكم قد اتيتم الشام وعرفتموها فاسألوه عن اسواقها وأبوابها وتجارها فسألوه عن ذلك وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سئل عن الشيء لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فبينا هو كذلك إذ اتاه جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو بالشام فقالوا له أين بيت فلان ومكان كذا فأجابهم في كل ما سألوه عنه فلم يؤمن منهم إلا قليل وهو قول الله تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم قال ابو عبد الله (ع) فنعوذ بالله ان لا نؤمن بالله آمنا بالله ورسوله (فهل ينتظرون إلا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) معناه فهل ينتظر هؤلاء الذين امروا بالايمان فلم يؤمنوا وبالنظر في الأدلة فلم ينظروا إلا العذاب والهلاك في مثل الأيام التي هلك من قبلهم من الكفار فيها قال قتادة أراد به وقائع الله في عاد وثمود وقوم نوح وعبر عن الهلاك بالأيام كما يقال ايام فلان يراد به أيام دولته وايام محنته واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به النفي وتقديره ليس ينتظرون إلا ذاك (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) أي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعدنا الله من العذاب فإني منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله به (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) من بينهم ونخلصهم من العذاب وقت نزوله وقيل من شرور اعدائهم ومكرهم (كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) قال الحسن معناه كنا إذا اهلكنا امة من الأمم الماضية نجينا نبيهم ونجينا الذين آمنوا به ايضا كذلك إذا اهلكنا هؤلاء المشركين نجيناك يا محمد والذين آمنوا بك وقيل معناه كذلك حقا علينا اي واجبا علينا من طريق الحكمة ننجي المؤمنين من عذاب الآخرة كما ننجيهم من عذاب الدنيا وقال ابو عبد الله (ع) لأصحابه ما يمنعكم من ان تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر انه من اهل الجنة ان الله تعالى يقول كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين

قوله تعالى (١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّـٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٥) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٠٧) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ أربع آيات

اللغة

الشك وقوف في المعنى ونقيضه كمن يشك في كون زيد في الدار فإنه لا يكون لإحدى الصفتين عنده مزية على الأخرى فيقف وهو معنى غير الاعتقاد عند ابي علي الجبائي وابي هاشم ثم رجع عنه ابو هاشم وقال ليس بمعنى وهو اختيار القاضي والتوفي قبض الشيء على التمام والاقامة نصب الشيء ونقيضه الاضجاع وأقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والماسة والمطابقة والمجامعة نظائر وضدها المباينة والكشف رفع الساتر المانع من الادراك فكأن الضر ههنا ساتر يمنع من ادراك الإنسان

(الاعراب)

ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا اعبد وإنما صح ذلك لأن معناه ان كنتم في شك فلا تطمعوا في تشكيكي حتى اعبد غير الله كعبادتكم

المعنى

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ بالبراءة عن كل معبود سواه فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني) أحق هو أم لا (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) لشككم في ديني (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) اي يقدر على إماتتكم وهذا يتضمن تهديدا لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم ومتى قيل كيف قال ان كنتم في شك من ديني مع اعتقادهم بطلان دينه فجوابه من وجوه (احدها) ان يكون التقدير من كان شاكا في امري فهذا حكمه (والثاني) انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدونه في انفسهم عند ورود الآيات (والثالث) ان فيهم من كان شاكا فغلب ذكرهم (وامرت ان اكون من المؤمنين) اي وامرني ربي ان اكون من المصدقين بالتوحيد واخلاص العبادة له (وان اقم وجهك) هذا عطف على ما قبله فكأنه قال وقيل لي واقم وجهك (للدين) اي استقم في الدين باقبالك على ما امرت به من القيام باعباء الرسالة وتحمل امر الشريعة بوجهك وقيل معناه وأقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة (حنيفا) أي مستقيما في الدين (ولا تكونن من المشركين) هذا نهي عن الاشراك مع الله سبحانه غيره في العبادة (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان اطعته (ولا يضرك) ان عصيته وتركته أي لا تدعه إلها كما يدعو المشركون الأوثان آلهة وإنما قال ما لا ينفعك ولا يضرك مع انه لو نفع وضر لم تحسن عبادته ايضا لأمرين (احدها) ان معناه مالا ينفعك نفع الإله ولا يضرك ضرره (والثاني) انه إذا كان عبادة غير الله ممن يضر وينفع قبيحة فعبادة من لايضر ولا ينفع اقبح (فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) معناه فإن خالفت ما أمرت به من عبادة غير الله كنت ظالما لنفسك بإدخالك الضرر الذي هو العقاب عليها وهذا الخطاب وان كان متوجها إلى النبي ﷺ في الظاهر فالمراد به امته (وان يمسسك الله بضر) معناه وان احل الله بك ضرا من بلاء او شدة اومرض (فلا كاشف له إلا هو) أي لا يقدر احد على كشفه غيره كأنه سبحانه لما بين ان غيره لا ينفع ولا يضر عقبه ببيان كونه قادرا على النفع والضر (وان يردك بخير) من صحة جسم ونعمة وخصب ونحوها (فلا راد لفضله) أي لا يقدر على منعه أحد وتقديره وان يردك خيرا ويجوز فيه التقديم والتأخير يقال فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير (يصيب به) اي بالخير (من يشاء من عباده) فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة ويعلمه من المصلحة (وهو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٩) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ

حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين آيتان

-(المعنى)-

ثم ختم الله سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين فقال عز اسمه (قل) يا محمد مخاطبا للمكلفين (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن ودين الاسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد بالحق النبي صلى الله عليه وآله ومعجزاته الظاهرة (فمن اهتدى) بذلك بأن نظر فيه وعرفه حقا وصوابا (فإنما يهتدي لنفسه) معناه فإن منافع ذلك من الثواب وغيره يعود عليه (ومن ضل) عنه وعدل عن تأمله والاستدلال به (فإنما يضل عليها) أي على نفسه لأنه يجني عليها (وما انا عليكم بوكيل) أي وما أنا بحفيظ لكم عن الهلاك إذا لم تنظروا انتم لأنفسكم ولم تعلموا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره والمعنى انه ليس علي إلا البلاغ ولا يلزمني ان أجعلكم مهتدين وان انجيكم من النار كما يجب على من وكل على متاع ان يحفظه من الضرر (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على اذى الكافرين وتكذيبهم (حتى يحكم الله) بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء أمره (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يحكم إلا بالعدل والصواب

سورة هود

هي مكية كلها في قول الاكثرين وقال قتادة إلا آية وهو قوله واقم الصلاة طرفي النهار فإنها نزلت بالمدينة

عدد آيها

هي مائة وثلاث وعشرون آية كوفي وآيتان شامي والمدني الاول وآية في الباقين

اختلافها

سبع آيات بريء مما تشركون كوفي في قوم لوط غير البصري من سجيل مكي شامي والمدني الأخير كنتم مؤمنين حجازي منضود وانا عاملون عراقي شامي والمدني الأول مختلفين عراقي شامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء وروى الثعلبي باسناده عن ابي اسحق عن ابي حجيفة قال قيل يا رسول الله قد اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها وفي رواية اخرى عن انس بن مالك عن ابي بكر قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية وروى العياشي عن الحسن بن علي الوشا عن ابن سنان عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيين وحوسب حسابا يسيرا ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة يونس بذكر الوحي في قوله واتبع ما يوحى اليك افتتح هذه السورة ببيان ذلك الوحي فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (٢) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٣) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٤) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أربع آيات

اللغة

الاحكام منع الفعل من الفساد والحكمة المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبما يميز القبيح من الحسن والفاسد من الصحيح والحكيم في صفات الله سبحانه يحتمل وجهين * احدهما * ان يكون بمعنى محكم فهو فعيل بمعنى مفعل اي محكم أفعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا يوصف به فيما لم يزل * والثاني * ان يكون بمعنى عليم فيكون من صفات ذاته فيوصف بأنه حكيم لم يزل

الإعراب

قال الزجاج كتاب مرفوع باضمار هذا كتاب وقال بعضهم كتاب خبر الر وهذا غلط لأن كتاب أحكمت آياته ليس هو الر وحدها وان لا تعبدوا في موضع نصب تقديره فصلت آياته لأن لا تعبدوا ويحتمل ان يكون على تقدير أمركم بأن لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف عليه ومعنى إلا في قوله إلا الله ايجاب للمذكور بعدها ما نفي عن كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها يمتعكم جزم جواب لقوله وان استغفروا ربكم وان تولوا يريد تتولوا فحذف أحدى التاءين تخفيفا وابن كثير يدغم التاء الاولى في الثانية ويشدد

— المعنى —

قد بينا تفسير (الر) والاقاويل التي فيها في اول البقرة فلا معنى لاعادته (كتاب) يعني القرآن اي هو كتاب (احكمت آياته ثم فصلت) ذكر فيه وجوه * احدها * ان معناه احكمت آياته فلم ينسخ منها شيء كما نسخت الكتب والشرائع ثم فصلت ببيان الحلال والحرام وسائر الاحكام عن ابن عباس * وثانيها * ان معناه احكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب عن الحسن وابي العالية * وثالثها * احكمت آياته جملة ثم فرقت في الانزال آية بعد آية ليكون المكلف امكن من النظر والتدبر عن مجاهد * ورابعها * احكمت في نظمها بأن جعلت على ابلغ وجوه الفصاحة حتى صار معجزا ثم فصلت بالشرع والبيان المفروض فكأنه قيل محكم النظم مفصل الآيات عن ابي مسلم * وخامسها * اتقنت آياته فليس فيها خلل ولا باطل لأن الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بأن جعلت متتابعة بعضها اثر بعض (من لدن حكيم) اي ان هذا الكتاب أتاكم من عند حكيم في احواله وتدابيره (خبير) اي عليم باحوال خلقه ومصالحهم وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث لأنه وصفه بانه احكمت آياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الاضافة لا تصح الا في المحدث لأن القديم يستحيل أن يكون صادرا من غيره وقوله الا تعبدوا الا الله معناه انزل هذا الكتاب ليأمركم (أن لا تعبدوا الا الله) ولكي لا تعبدوا الا الله كما يقال كتبت اليك ان لا تخرج من الدار وان لا تخرج بالنصب والجزم (انني لكم منه نذير وبشير) هذا أخبار من النبي ﷺ انه مخوف من مخالفة

الله وعصيانه بأليم العقاب مبشر على طاعة الله بجزيل الثواب (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) ومعناه اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضكم ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية عن الجبائي وقيل ان ثم ههنا بمعنى الواو عن الفراء وهذا لأن الاستغفار والتوبة واحد فتكون التوبة تأكيدا للاستغفار (يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى) يعني انكم متى استغفرتموه وتبتم اليه يمتعكم في الدنيا بالنعم السابغة في الخفض والدعة والأمن والسعة الى الوقت الذي قدر لكم اجل الموت فيه وقال الزجاج يريد يبقيكم ولا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل اهل القرى الذين كفروا (ويؤت كل ذي فضل فضله) قيل ان الفضل بمعنى التفضيل والافضال اي ويعط كل ذي افضال على غيره بمال او كلام او عمل بيد او رجل جزاء افضاله فيكون الهاء في فضله عائدا الى ذي الفضل وقيل ان معناه يعطي كل ذي عمل صالح فضله اي ثوابه على قدر عمله فإن من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فالاولى أن تكون الهاء في فضله عائدا الى اسم الله تعالى (وان تولوا) اي اعرضوا عما امروا به وقيل معناه وان تتولوا انتم اي تعرضوا فحذف احدى التائين ولذلك شدد ابن كثير في رواية البزي عنه (فإني اخاف عليكم عذاب يوم كبير) اي كبير شأنه وهو يوم القيامة وهذا الخوف ليس في معنى الشك بل هو في معنى اليقين اي فقل لهم يا محمد اني اعلم ان لكم عذابا عظيما وانما وصف اليوم بالكبير لعظم ما فيه من الاهوال (الى الله مرجعكم) اي في ذلك اليوم الى حكم الله مصيركم لأن حكم غيره يزول فيه وقيل معناه اليه مصيركم بأن يعيدكم للجزاء (وهو على كل شيء قدير) يقدر على الإعادة والبعث والجزاء فاحذروا مخالفته

قوله تعالى (٥) أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ آية

القراءة

روي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد ويحيى بن يعمر وعن علي بن الحسين وابي جعفر محمد بن علي وزيد ابن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام يثنوني صدورهم على مثال يفعوعل وعن ابن عباس ايضا ليثنون وعن مجاهد ليثنين وروي ذلك ايضا عن عروة الأعشى

الحجة

اما يثنوني على مثال يفعوعل فهو من امثلة المبالغة تقول اعشب البلد فإذا كثر ذلك قلت اعشوشب وكذلك احلولى واخشوشب واخشوشن وأما يثنون ويثنين فقد قال ابن جني انهما من لفظ الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء وانشد ابو زيد

تكفي اللقوح اكلة من ثن وثينثن

بالهمزة اصله يثنان فحركت الألف لسكونها وسكون النون الأولى فانقلبت همزة واما يثنون فاصله يثنونن فلزم الادغام لتكرير العين اذا كان غير ملحق فاسكنت النون الاولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون فصار يثنون

اللغة

اصل الثني العطف تقول ثنيته عن كذا اي عطفته ومنه الاثنان لعطف احدهما على الآخر في المعنى ومنه الثناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لأنه عطف عليه بالاخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء يقال استخفى وتخفى بمعنى وكذلك استغشى وتغشى قالت الخنساء

ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري

﴿ الاعراب ﴾

الا معناها التنبيه ولاحظ لها في الإعراب وما بعدها مبتدأ

ـ(النزول)ـ

قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر (ع) قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين اذا مروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طأطأ احدهم رأسه وظهره هكذا وغطى رأسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر القرآن بين سبحانه فعلهم عند سماعه فقال (الا انهم) يعني الكفار والمنافقين (يثنون صدورهم) اي يطونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كلام الله سبحانه وذكره عن قتادة وقيل يثنونها على عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الفراء والزجاج وقيل انهم اذا عقدوا مجلسا على معاداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسعي في امره بالفساد انضم بعضهم الى بعض وثنى بعضهم صدره الى صدر بعض يتناجون (ليستخفوا منه) اي ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الاخير فإنهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله أن ظنوا انهم اذا ثنوا صدورهم على سبيل الاخفاء لم يعلم الله تعالى اسرارهم وعلى الاقوال الأخر معناه ليستروا ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ألا حين يستغشون ثيابهم) معناه انهم يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يديرونه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين فيكتمونه عن ابن عباس فبين الله سبحانه انه (يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم لا بمعنى انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأزل (انه عليم بذات الصدور) يريد بما في النفوس عن ابن عباس وبحقيقة ما في القلوب من المضمرات وقيل انه كنى باستغشاء ثيابهم عن الليل لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم

قوله تعالى (٦) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧) وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٨) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

(ثلاث آيات)

﴿ اللغة ﴾

الدابة الحي الذي من شأنه ان يدب وقد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان وقد ورد القرآن بها على الأصل في قوله وما من دابة والله خلق كل دابة

﴿ الاعراب ﴾

اللام في قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لأنها دخلت على ان التي للجزاء ولام الابتداء إنما هي للاسم او ما ضارع الاسم في باب ان وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر

الكلام غلب عليه كما انه إذا تأخر وتوسط الغي ويوم يأتيهم نصب على الظرف من مصروف اي ليس يصرف العذاب عنهم يوم يأتيهم العذاب

— المعنى —

(وما من دابة في الأرض) اي ليس من دابة تدب على وجه الأرض ويدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الأرض من الجن والانس والطير والأنعام والوحوش والهوام (إلا على الله رزقها) اي إلا والله سبحانه يتكفل برزقها ويوصله اليها على ما تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة (ويعلم مستقرها ومستودعها) اي يعلم موضع قرارها والموضع الذي اودعها فيه وهو اصلاب الآباء وارحام الامهات عن مجاهد وقيل مستقرها حيث تأوي اليه من الأرض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن ابن عباس والربيع وقيل مستقرها مايستقر عليه عملها ومستودعها ما يصير اليه (كل في كتاب مبين) هنا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ و إنما أثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يغرب عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بأنه انشأها في هذا المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقها في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه اراد ان يبين بذلك ان الامور جارية في التدبير على منهاج الحكمة منشأة على ترتيب لما في ذلك من المصلحة والمراد بقوله ستة ايام مامقداره مقدار ستة أيام لأنه لم يكن هناك ايام بعد فإن اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها (وكان عرشه على الماء) في هذا دلالة على ان العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والارض وكان الماء قائما بقدرة الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته وفي ذلك اعظم الاعتبار لأهل الإنكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناؤه يدل عليه قوله وما يعرشون أي يبنون والمعنى وكان بناؤه على الماء فإن البناء على الماء ابدع واعجب عن ابي مسلم (ليبلوكم ايكم احسن عملا) معناه انه خلق الخلق ودبر الامور ليظهر احسان المحسن فإنه الغرض في ذلك اي ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لئلا يتوهم انه سبحانه يجازي العباد على حسب ما في معلومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وفي قوله احسن عملا دلالة على انه قد يكون فعل حسن احسن من حسن آخر لأن حقيقة لفظة افعل يقتضي ذلك (ولئن قلت) يا محمد لهم (انكم مبعوثون من بعد الموت) للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) أي ليس هذا القول إلا تمويه ظاهر لا حقيقة له ومن قرأ ساحر فالمراد ليس هذا يعنون النبي ﷺ الا ساحر قال الجبائي وفي الآية دلالة على انه كان قبل خلق السماوات والارض الملائكة لأن خلق العرش على الماء لاوجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكلف وقال علي بن عيسى لايمتنع ان يكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائي وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه (ولئن اخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) معناه ولئن اخرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال الى اجل مسمى ووقت معلوم والامة الحين كما قال سبحانه وادكر بعد امة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل الى امة اي الى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه الى امة بعد هؤلاء نكلفهم فيعصون فتقتضي الحكمة اهلاكهم واقامة القيامة عن الجبائي وقيل ان الامة المعدودة هم اصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ثلثمائة وبضعة عشر رجلا كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزع الخريف وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ليقولن على وجه الاستهزاء (ما يحبسه) اي أي شيء يؤخر هذا العذاب عنا ان كان حقا (الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) اي ان هذا العذاب الذي يستبطئونه اذا نزل بهم في الوقت المقدور لا يقدر احد على صرفه عنهم إذا اراد الله ان يأتيهم به ولا يتمكن من

إذهابه عنهم اذا اراد الله أن يأتيهم به (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) اي ونزل بهم الذى كانوا يسخرون به من نزول العذاب ويحققونه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما قال سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون قال عقيبه وكيف يخفى على الله سر هؤلاء وهو يرزقهم واذا وصل الى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم انه يعلم سره وقوله ويعلم مستقرها ومستودعها يدل على ما ذكرنا ثم زاده بيانا بقوله وهو الذي خلق السماوات الآية فإن اصل الخلق التقدير الذي لا يختل بالنقصان والزيادة وذلك لا يتم الا من العالم لذاته

قوله تعالى (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (١٠) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١١) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ثلاث آيات

﴿ اللغة ﴾

الذوق تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم وسمى الله سبحانه احلال اللذات بالانسان اذاقة لسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول كما قيل « احلام نوم او كظل زائل » والنزع قلع الشيء عن مكانه واليؤس فعول من يئس واليأس القطع بأن الشيء المتوقع لا يكون ونقيضه الرجاء والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة تظهر الحال بها لأنهما اخرجتا مخرج الاحوال الظاهرة مثل حمراء وعيناء مع ما فيهما من المبالغة والفرح والسرور من النظائر وهو انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والصحيح ان الغم والسرور من جنس الاعتقادات وليسا بجنسين من الاعراض ومن الناس من قال انهما جنسان والفخور الذي يكثر فخره وهو التطاول بتعديد المناقب وهي صفة ذم اذا اطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز ان يتكبر عليه

﴿ الاعراب ﴾

اللام في لئن لتوطية القسم وليست للقسم والتقدير والله لئن اذقنا الانسان منا رحمة انه ليؤس فإنه جواب القسم الذي هيأته اللام الا انه مغن عن جواب الشرط وواقع موقعه ومثله قول الشاعر

لئن عادلي عبد العزيز بمثلها وامكنني فيها اذاً لا اقيلها

اي والله لا اقيلها ولو كانت جواب ان لكان لااقلها الا الذين صبروا في موضع نصب على الاستثناء من الانسان لأنه اسم الجنس فهو كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وقال الزجاج والأخفش انه استثناء ليس من الأول والمعنى لكن الذين صبروا والاول قول الفراء

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال الانسان فيما قابل به نعمه من الكفر فقال (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) اي أحللنا به نعمه من الصحة والكفاية والسعة من المال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا (ثم نزعناها منه) اي سلبنا تلك النعمة عنه اذا رأينا المصلحة فيه (انه ليؤس) اي قنوط وهو الذي سنته وعادته اليأس (كفور) وهو الذي عادته كفران النعمة ومعنى الآية مصروف الى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يعطي ولا يمنع الا لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح (ولئن اذقناه) اي احللنا به واعطيناه (نعماء بعد ضراء مسته) اي بعد بلاء اصابته (ليقولن)عند نزول النعماء به (ذهب السيئات عني) اي ذهبت الخصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه عنه وهو ها هنا بمعنى الشدائد والآلام والامراض عني فلا تعود الي ولا يؤدي شكر الله عليها

(انه لفرح فخور) يفرح به ويفخر به على الناس فلا يصبر في المحنة ولا يشكر عند النعمة (الا الذين صبروا) معناه الا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر (وعملوا الصالحات) أي واظبوا على الاعمال الصالحة (اولئك لهم مغفرة واجر كبير) وهو الجنة

قوله تعالى (١٢) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

ثلاث آيات

❋ اللغة ❋

ضائق وضيق بمعنى واحد إلا ان ضائق ههنا أحسن لوجهين ❋ احدهما ❋ انه عارض ❋ والآخر ❋ انه اشكل بقوله تارك والكنز المال المدفون سمي بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكتنز وصار في الشرع اسم ذم لكل مال لا يخرج منه حق الله تعالى من الزكاة وغيره وان لم يكن مدفونا وافترى واختلق واخترق وخلق وخرص وخرق إذا كذب والاستجابة في الآية طلب الإجابة بالقصد إلى فعلها ويقال استجاب واجاب بمعنى واحد والفرق بين الإجابة والطاعة ان الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة إلى الفعل برغبة او رهبة والإجابة موافقة الداعي إلى الفعل من اجل انه دعا به

—(الاعراب)—

ان يقولوا في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان يقولوا فحذف المضاف وقيل ان يقولوا في موضع جر بدلا من الهاء في قوله ضائق به صدرك ام يقولون افتراه ام هذه منقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل ايقولون افتراه وهو تقرير بصورة الاستفهام

❋ النزول ❋

روي عن ابن عباس ان رؤساء مكة من قريش اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد ان كنت رسولا فحول لنا جبال مكة ذهبا أو ائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة فأنزل الله تعالى فلعلك تارك الآية وروى العياشي باسناده عن ابي عبد الله (ع) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام اني سألت ربي ان يوآخي بيني وبينك ففعل وسألت ربي ان يجعلك وصيي ففعل فقال بعض القوم والله لصاع من تمر في شن بال احب الينا مما سأل محمد ربه فهلا سأله ملكا يعضده على عدوه او كنزا يستعين به على فاقته فنزلت الآية

—(المعنى)—

ثم امر سبحانه رسوله بالثبات على الامر وحثه على حجاج القوم بما يقطع العذر فقال (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أي ولعلك تارك بعض القرآن وهو ما فيه سب آلهتهم ولا تبلغهم إياه دفعا لشرهم وخوفا منهم (وضائق به صدرك) أي ولعلك يضيق صدرك مما يقولونه وبما يلحقك من اذاهم وتكذيبهم وقيل باقتراحاتهم (ان يقولوا) أي كراهة ان يقولوا أو مخافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كنز) من المال (أو جاء معه ملك) يشهد له فليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به النهي عن ترك اداء الرسالة والحث على ادائها كما يقول احدنا لغيره وقد علم من حاله انه يطيعه ولا يعصيه ويدعوه غيره إلى عصيانه لعلك تترك بعض ما آمرك به لقول

فلان وإنما يقول ذلك ليوئس من يدعوه إلى ترك أمره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى اليك ولا يضق صدرك بسبب مقالتهم هذه (إنما انت نذير) أي منذر (والله على كل شيء وكيل) أي حفيظ يجلب النفع اليه ويدفع الضرر عنه (ام يقولون افتراه) معناه بل ايقولون اختلق القرآن واخترعه واتى به من عند نفسه وقيل ان ههنا محذوفا وتقديره أيكذبونك فيما أتيتهم به من القرآن أم يقولون افتريته على ربك وحذف لدلالة ما ابقي على ما القي وعلى هذا فيكون أم هذه هي متصلة (قل) يا محمد لهم (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اي ان كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فاتوا أنتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة مفتريات على زعمكم فإن القرآن نزل بلغتكم وقد نشأت أنا بين أظهركم فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا انه من عند الله تعالى وهذا صريح في التحدي وفيه دلالة على جهة اعجاز القرآن وانها هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص لأنه لو كان جهة الاعجاز غير ذلك لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق لأن البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز وأدناها وأوسطها ممكن فالتحدي في الآية إنما وقع في الطبقة العليا منها ولو كان وجه الاعجاز الصرفة(؟) لكان الركيك من الكلام أبلغ في باب الاعجاز والمثل المذكور في الآية لا يجوز ان يكون المراد به مثله في الجنس لأن مثله في الجنس يكون حكايته فلا يقع بها التحدي وإنما يرجع ذلك إلى ما هو متعارف بين العرب في تحدي بعضهم بعضاً كما اشتهر من مناقضات امرىء القيس وعلقمة وعمرو بن كلثوم والحرث بن حلزه وجرير والفرزدق وغيرهم وقوله (وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) معناه ادعوهم ليعينوكم على معارضة القرآن إن كنتم صادقين في قولكم إني افتريته ويريد بقوله من استطعتم من خالف نبينا محمدا ﷺ من جميع الأمم وهذا غاية ما يمكن في التحدي والمحاجة وفيه الدلالة الواضحة على اعجاز القرآن لأنه إذا ثبت ان النبي ﷺ تحداهم به واوعدهم بالقتل والأسر بعد ان عاب دينهم وآلهتهم وثبت انهم كانوا احرص الناس على ابطال امره حتى بذلوا مهجهم وأموالهم في ذلك فإذا قيل لهم افتروا انتم مثل هذا القرآن وادحضوا حجته وذلك ايسر وأهون عليكم من كل ما تكلفتموه فعدلوا عن ذلك وصاروا إلى الحرب والقتل وتكلف الأمور الشاقة فذلك من ادل الدلائل على عجزهم إذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لفعلوه لأن العاقل لا يعدل عن الأمر السهل إلى الصعب الشاق مع حصول الغرض بكل واحد منها فكيف ولو بلغوا غاية أمانيهم في الأمر الشاق وهو قتله ﷺ لكان لا يحصل غرضهم من إبطال أمره فإن المحق قد يقتل فإن قيل فإن قيل لم ذكر التحدي مرة بعشر سور ومرة بسورة ومرة بحديث مثله فالجواب ان التحدي إنما يقع بما يظهر فيه الاعجاز من منظوم الكلام فيجوز ان يتحدى مرة بالأقل ومرة بالأكثر (فإن لم يستجيبوا لكم) قيل انه خطاب للمسلمين والمراد فإن لم يجبكم هؤلاء الكفار إلى الاتيان بعشر سور مثله معارضة لهذا القرآن (فاعلموا) أيها المسلمون (انما انزل) القرآن (بعلم الله) عن مجاهد واختاره الجبائي وقيل هو خطاب للكفار وتقديره فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى المعاونة ولم يتهيأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة وقيل ان الخطاب للرسول ﷺ اي فإن لم يجيبوك وذكره بلفظ الجمع تفخيما والغرض التنبيه على اعجاز القرآن وانه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه ﷺ وذكر في قوله بعلم الله وجوه * احدها * ان معناه ان الله عالم به وبأنه حق منزل من عنده * وثانيها * ان معناه بعلم الله مواقع تأليفه في علو طبقته وانه لا يقدر احد على معارضته * وثالثها * انه انزله الله على علم بترتيبه ونظمه ولا يعلم غيره ذلك (وان لا إله إلا هو) أي واعلموا انه لا إله إلا هو لأن مثل هذا المعجز لا يقدر عليه إلا الله الواحد الذي لا إله إلا هو (فهل انتم مسلمون) أي هل انتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله مستسلمون منقادون له معتقدون لتوحيده وهذا استفهام في معنى الأمر مثل قوله فهل انتم منتهون

قوله تعالى (١٥) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا

لَا يُبْخَسُونَ (١٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيتان

القراءة

روي في الشواذ قراءة ابي وابن مسعود وباطلا ما كانوا يعملون

(الحجة)

الوجه فيه ان يكون باطلا منصوبا بيعلمون وما مزيدة للتوكيد فكأنه قال وباطلا كانوا يعملون ومثله قوله أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون

(اللغة)

الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة يقال زانه يزينه زينة وزينه يزينه تزيينا والتوفية تأدية الحق على تمام والبخس نقصان الحق وكل ظالم باخس لأنه يظلم غيره بنقصان حقه وفي المثل «تحسبها حمقاء وهي باخس»

الإعراب

قال الفراء كان هذه هنا زائدة وتقديره من يرد الحياة الدنيا وقال غيره معناه ان يصح انه كان كقوله سبحانه ان كان قميصه قدّ من دبر ولا يجوز مثل ذلك في غير كان لأنها ام الأفعال قال ابو علي الشرط والجزاء لا يقعان إلا فيما يستقبل فحرف الجزاء يحيل معنى الماضي إلى الاستقبال لا محالة ولو جاز وقوع الماضي بعدها على معناها لما جزمت ألا ترى ان لو لم تجزم وان كان فيها معنى الشرط والجزاء لوقوع الماضي بعدها على بابه نحو لو جئتني أمس لأكرمتك

المعنى

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي زهرتها وحسن بهجتها ولا يريد الآخرة (نوف اليهم اعمالهم فيها) أي نوفر عليهم جزاء اعمالهم في الدنيا تاماً (وهم فيها لا يبخسون) أي لا ينقصون شيئاً منه واختلف في معناه فقيل ان المراد به المشركون الذين لا يصدقون بالبعث يعملون أعمال البر كصلة الرحم واعطاء السائل والكف عن الظلم واغاثة المظلوم والأعمال التي يحسنها العقل كبناء القناطير ونحوه فإن الله يعجل لهم جزاء اعمالهم في الدنيا بتوسيع الرزق وصحة البدن والامتاع بما خولهم وصرف المكاره عنهم عن الضحاك وقتادة وابن عباس ويقال ان من مات منهم على كفره قبل استيفاء العوض وضع الله عنه في الآخرة من العذاب بقدره فأما ثواب الآخرة فلا حظ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا يغزون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للغنيمة دون نصرة الدين وثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بأن جعل لهم نصيبا في الغنيمة عن الجبائي وقيل ان المراد به أهل الريا فإن من عمل عملاً من اعمال الخير يريد به الرياء لم يكن لعمله ثواب في الآخرة ومثله قوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بشروا امتي بالسناء والتمكين في الأرض ومن عمل منهم عملاً للدنيا لم يكن له نصيب في الآخرة (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) ظاهر المراد (وحبط ما صنعوا فيها) فلا يستحقون عليه ثوابا لأنهم أوقعوه على خلاف الوجه المأمور بإيقاعه عليه (وباطل ما كانوا يعملون) اي بطل اعمالهم التي عملوها لغير الله تعالى وهذا يحقق ما ذهبنا اليه من ان الإحباط عبارة عن ابطال نفس العمل بأن يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب وذكر الحسن في تفسيره ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج من عند اهله فإذا جارية عليها ثياب وهيئة فجلس عندها فقامت فأهوى بيده إلى عارضها فمضت فأتبعها بصره ومضى خلفها فلقيه حائط فخمش وجهه فعلم انه اصيب بذنبه فأتى رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له ذلك فقال ان رجل عجل الله عقوبة ذنبك في الدنيا ان الله تعالى إذا أراد بعبد شراً أمسك عنه عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وإذا أراد به خيراً عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا

النظم

وجه اتصال الآية بما قبلها انه سبحانه لما قال فهل انتم مسلمون فكأن قائلاً قال ان أظهرنا الإسلام لسلامة المال والنفس يكون ماذا فقال من أراد الدنيا دون الآخرة سواء أرادها باظهار الإسلام أو أرادها بسائر المساعي فسبيله هذا

قوله تعالى (١٧) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٢٠) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ

ست آيات

اللغة

البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان وعرضت الجند ومعنى العرض على الله انهم يقفون في المقام الذي يريه العباد للمطالبة بالاعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والاشهاد جمع شاهد فهو كصاحب واصحاب وقيل جمع شهيد كشريف واشراف والعوج العدول عن طريق الصواب يقال في الدين عوج بالكسر وفي العصاء عوج بالفتح فرقا بين ما يرى وما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب أعني الفتح والكسر والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه إيقاعه وحقيقة الاستطاعة القوة التي تنطاع بها الجارحة للفعل ولذلك لا يقال في الله تعالى انه مستطيع واصل الجرم القطع ولا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا إلا انه كثر حتى صار كالمثل وهو قول الشاعر

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

أي قطعتهم إلى الغضب فرواية الفراء في فزارة النصب والمعنى كسبتهم ان يغضبوا وروى غيره برفعها بمعنى ان الفعل لها

الاعراب

من كان على بينة من ربه خبره محذوف وتقديره أفمن كان على بينة من ربه وعلى الاوصاف التي ذكرتها كمن لا بينة له ومثله حذف جواب لو في قوله

واقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

وكتاب موسى عطف على قوله ويتلوه شاهد منه أي وكان يتلوه كتاب موسى من قبله ونصب اماماً ورحمة على الحال لأن كتاب موسى معرفة وقوله وهم بالآخرة هم كافرون كرر قوله هم مرتين كما قال ايعدكم انكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون كرر انكم مرتين ووجهه انه لما طال الكلام كرر مرة أخرى للتوكيد لا جرم قال سيبويه جرم فعل ماض ولا رد لقولهم كقوله وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار قال لا اي ليس لهم الجنة ثم قال جرم اي كسبهم قولهم ان لهم الحسنى ان لهم النار وقيل جرم بمعنى وجب اي وجب ان لهم النار

المعنى

(أفمن كان على بينة من ربه) استفهام يراد به التقرير وتقديره هل الذي كان على برهان وحجة من الله والمراد بالبينة هنا القرآن والمعنى بقوله افمن كان على بينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل المعني به كل محق يدين بحجة وبينة لأن من يتناول العقلاء وقيل هم المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الجبائي (ويتلوه شاهد منه) أي ويتبعه من يشهد بصحته منه واختلف في معناه فقيل الشاهد جبرائيل (ع) يتلو القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الله تعالى عن ابن عباس ومجاهد والزجاج وقيل شاهد من الله تعالى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وروي ذلك عن الحسين بن علي عليهما السلام وابن زيد واختاره الجبائي وقيل شاهد منه لسانه أي يتلو القرآن بلسانه عن محمد بن علي اعني ابن الحنفية والحسن وقتادة وقيل الشاهد منه علي بن ابي طالب عليه السلام يشهد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو منه وهو المروي عن ابي جعفر وعلي بن موسى الرضا عليهما السلام ورواه الطبرسي باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلام وقيل الشاهد ملك يحفظه ويسدده عن مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله واضاف البينة اليه تعالى لأنه ينصب الأدلة العقلية والشرعية ويتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن ابي مسلم (ومن قبله) أي ومن قبل القرآن لأنه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (كتاب موسى) يتلوه ايضاً في التصديق لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر به موسى في التوراة (إماماً) يؤتم به في أمور الدين (ورحمة) اي ونعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة أي سبب الرحمة لمن آمن به (أولئك يؤمنون به) معناه أولئك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وتقدير الآية افمن كان على بينة من ربه وبصيرة كمن ليس على بينة ولا بصيرة الا أنه اختصر وقيل تقديره أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه على صدقه ويتقدمه شاهد فآمن بهذا كله كمن أراد الحياة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ثم أخبر عنه فقال (أولئك يؤمنون به) وقوله (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) معناه ومن يكفر بالقرآن او بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من مشركي العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره ومستقره وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يسمع بي أحد من الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي الا كان من اصحاب النار (فلا تك في مرية) أي في شك (منه) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المكلفين وقيل ان تقديره لا تك أيها الانسان او أيها السامع في مرية من ربك أي من أمره وإنزاله (إنه الحق من ربك) الهاء راجع إلى القرآن وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل معناه ان الخبر الذي أخبرتك به حق من عند الله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بصحته وصدقه لجهلهم بالله تعالى وجحدهم لنبوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) أي لا أحد اظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام ليكون ابلغ (أولئك يعرضون على ربهم) يوم القيامة أي يوقفون موقفا يراهم الخلائق للمطالبة بما عملوا ويسألون عن اعمالهم ويجازون عليها (ويقول الأشهاد) يعني الملائكة يشهدون على العباد وهم الحفظة عن مجاهد وقيل هم الأنبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من أئمة المؤمنين (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) اي كذبوا على رسل ربهم وأضافوا الى الله ما لم ينزله (ألا لعنة الله على الظالمين) هذا ابتداء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الاشهاد ومعناه ألا لعنة الله على الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها وغيرهم بإحلال

الآلام عليهم ولعنة الله ابعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال (الذين يصدون عن سبيل الله) اي يغوون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك بإلقاء الشبهة اليهم وقد يكون ايضا بالترغيب والترهيب والاطماع والتهديد وغير ذلك وانما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الفساد لأنه مكلف بالامتناع منه وليس في منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد الى الصلاح فهو كشهوة القبيح الذي به يصح التكليف (ويبغونها عوجا) اي ويطلبون لسبيل الله زيغا عن الاستقامة وعدولا عن الصواب وقيل ان بغيهم العوج هي زيادتهم ونقصانهم في الكتاب ليتغير الأدلة ولا يستقيم صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما كان يفعلها اليهود وقيل هي ايرادهم الشبه وكتمانهم المراد وتحريفهم التأويل (وهم بالآخرة) أي بالقيامة والبعث والنشور والثواب والعقاب (هم كافرون) أي جاحدون غير مقرين (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدون عن سبيل الله بأنهم لم يكونوا فائتين في الأرض هربا فيها من الله تعالى إذا أراد اهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو قد جد في طلبه وإنما خص الأرض بالذكر وان كانوا لا يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته على كل حال لأن معاقل الأرض هي التي يهرب اليها البشر ويعتصمون بها عند المخاوف فكأنه سبحانه نفى ان يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه (وما كان لهم من دون الله من أولياء) معناه انه ليس لهم من ولي ولا ناصر ينصرونهم ويحمونهم من الله سبحانه مما يريد ايقاعه بهم في الدنيا من المكاره وفي الآخرة من انواع العذاب (يضاعف لهم العذاب) قيل في معناه وجوه * احدها * انه لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون عليه وعلى سائر المعاصي كما قال في موضع آخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون * وثانيها * ان معناه انه كلما مضى ضرب من العذاب يعقبه ضرب آخر من العذاب مثله أو فوقه كذلك دائما مؤبدا و كل ذلك على قدر الاستحقاق * وثالثها * انه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم وظلمهم انفسهم ولدعائهم الاتباع اليه وهو عذاب الضلال وعذاب الصد عن الدين (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) فيه وجوه * احدها * يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً وذهابا عن الحق فاسقطت الباء عن الكلام كما في قول الشاعر

نغالي اللحم للاضياف نيًّا ونبذله إذا نضج القدور

أراد نغالي باللحم عن الفراء والبلخي وهذا وجه رابع من معنى قوله يضاعف لهم العذاب * وثانيها * انه لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع وان ابصارهم لم تنفعهم مع اعراضهم عن تدبر الآيات فكأنهم لم يبصروا ومما يجري هذا المجرى قول الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقد علمنا ان الأعشى كان يقدر على الوداع وإنما نفى الطاقة عن نفسه من حيث الكراهية والاستثقال * وثالثها * انه انما عنى بذلك آلهتهم وأوثانهم وتقدير الكلام أولئك الكفار وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب وقال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وروي ذلك عن ابن عباس وفيه أدنى بعد * ورابعها * ان ما هنا ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك ما لاح نجم والمعنى انهم معذبون ما داموا أحياء (أولئك الذين خسروا انفسهم) من حيث فعلوا ما استحقوا به العقاب فهلكوا فذلك خسران انفسهم وخسران النفس اعظم الخسران لانه ليس عنها عوض (وضل عنهم ما كانوا يفترون) مضى بيانه مراراً (لاجرم) قال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم كأن المعنى لا ينفعهم ذلك جرم (انهم في الآخرة هم الأخسرون) اي كسب ذلك الفعل لهم الخسران وقال غيره معناه لا بد ولا محالة انهم وقيل معناه حقًّا ويستعمل في امر يقطع عليه ولا يرتاب فيه اي لا شك ان هؤلاء الكفار هم أخسر الناس في الآخرة

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأولى بقوله قل فأتوا بعشر سور مثله والمراد انهم إذا لم يأتوا بذلك فقل لهم أفمن كان على بينة كمن لا يكون معه بينة وقيل اتصلت بقوله من كان يريد الحياة الدنيا أي من كان مجتهداً في الدين كمن كان همه الحياة الدنيا وزينتها ووجه اتصال الآية الثانية وهي قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً انه سبحانه أراد ان يبين حال العاقل والغافل فكأنهم قالوا وما يضرنا ان لا نعرف ذلك فأجيبوا بأن من لا يعرف الله لا يأمن ان يكذب على الله ومن اظلم ممن كذب على الله

قوله تعالى (٢٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٤) مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ آيتان

﴿ اللغة ﴾

الإخبات الطمأنينة وأصله الاستواء من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة فكأن الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول والعمى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى يضاد الإبصار وكذلك الصمم عبارة عن فساد آلة السمع لأن الصحيح ان الادراك ايضاً ليس بمعنى

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الكفار وما اعد الله لهم من العذاب عقبه سبحانه بذكر المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله تعالى بها ورغبهم فيها (واخبتوا إلى ربهم) أي أنابوا وتضرعوا اليه عن ابن عباس وقيل معناه اطمأنوا إلى ذكره عن مجاهد وقيل خضعوا له وخشعوا اليه عن قتادة والكل متقارب وقيل ان معناه واخبتوا لربهم فوضع إلى موضع اللام كما قال سبحانه اوحى لها بمعنى اوحى اليها وقال ينادي للايمان (أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أي مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأن المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله إياها في الدين والكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه بمنزلة المعدوم وإنما دخل الواو ليبين ان حال الكافر كحال الأعمى على حدة وكحال الأصم على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعاً (هل يستويان مثلاً) اي هل يستوي حال الأعمى الأصم وحال البصير السميع عند عاقل فكما لا تستوي هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا تستوي حال الكافر والمؤمن (أفلا تذكرون) أي افلا تتفكرون في ذلك فتعلموا صحة ما ذكرناه

قوله تعالى (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٧) فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة إني لكم بكسر الهمزة والباقون أني بفتحها وقرأ ابو عمرو ونصير عن الكسائي بادئ الرأي بالهمزة وقرأ الباقون بادي الرأي بالياء غير مهموز وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون فعميت بفتح العين مخففاً

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من فتح اني فإنه يحملها على ارسلنا أي ارسلناه بأني لكم نذير مبين فإن قيل لو كان محمولاً عليه لكان انه لأن نوحاً اسم للغيبة قيل هذا لا يمتنع لأن الخطاب بعد الغيبة في نحو هذا سائغ الا ترى قوله وكتبنا له في الألواح ثم قال فخذها بقوة ومن كسر فالوجه فيه انه حمله على القول المضمر لأنه مما قد اضمر كثيراً في القرآن قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اي يقولون سلام وقال والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي قالوا ما نعبدهم فإن قلت فهلا رجحت قراءة من قرأ ان على قراءة من كسر لأن قوله ألا تعبدوا محمول على الإرسال وإذا فتحت ان كان اشكل بما بعدها لحملها جميعا على الإرسال يقال لك ان من كسر قال يجوز أن يكون قوله إني لكم وما بعده محمولا على الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده كما كان في قوله قل إن الهدى هدى الله اعتراضا بينهما في قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فكذلك قوله اني لكم نذير مبين لأن التقدير ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه ان لا تعبدوا إلا الله واما قوله بادي الرأي فقد حكى ابو علي عن الجبائي انه قال يقال انت بادي الرأي يريد ظاهر الرأي لا يهمز بادي وبادئ الرأي مهموز فمن لم يهمز اراد انت فيما بدا من الرأي اي انت ظاهر الرأي ومن همز اراد أنت اول الرأي ومبتداه قال ابو علي المعنى فيمن قال بادي الرأي بلا همز فجعله من بدا الشيء إذا ظهر اي ما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي إن لم يتعقبوه ينظر فيه ولا يبين لهم ومن همز أراد اتبعوك في اول الأمر من غير ان يتبعوا الرأي بفكر وروية فيه وهاتان الكلمتان يتقاربان في المعنى لأن الهمزة في اللام معناه ابتداء الشيء واوله واللام إذا كانت واوا كان المعنى الظهور وابتداء الشيء يكون ظهوراً وان كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء فلذلك يستعمل كل واحد مكان الآخر وجاز في اسم الفاعل ان يكون ظرفا كما جاز في فعيل نحو قريب وملي لأن فاعلا وفعيلا يتعاقبان على المعنى نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد وحسن ذلك اضافته إلى الرأي وقد اجروا المصدر ايضا في اضافته اليه في قولهم اما جهد رأي فإني منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفاً وفعل إذا كان مصدراً وفاعل قد يتفقان في اشياء وقد يجوز في قول من همز فقال بادي الرأي إذا خفف الهمز ان يقول بادي الرأي فيقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها فيكون كقولهم مير في جمع ميرة وذيب في جمع ذيبة والعامل في هذا الظرف هو قولك اتبعك التقدير ما اتبعك في اول رأيهم او فيما ظهر من رأيهم إلا اراذلنا فأخر الظرف واوقع بعد إلا الظرف ولو كان بدل الظرف غيره لم يجز ألا ترى انك لو قلت ما اعطيت احدا إلا زيداً درهماً فأوقعت بعد إلا اسمين لم يجز لأن الفعل او معنى الفعل في الاستثناء يصل إلى ما انتصب به بتوسط الحرف ولا يصل الفعل بتوسط الحرف إلى اكثر من مفعول ألا ترى انك إذا قلت استوى الماء والخشبة فنصبت الخشبة لم يجز أن تتبعه اسماً آخر تنصبه فكذلك المستثنى إذا ألحقته الا واوقعت بعدها اسما مفرداً لم يجز أن تتبعه آخر ولو قلت ما ضرب القوم إلا بعضهم بعضا لم يجز وتصحيحها ما ضرب القوم احداً إلا بعضهم بعضا تبدل الاسمين بعد إلا من الاسمين قبلها قال جامع العلوم البصير النحوي ان أبا علي حمل بادي الرأي هنا على انه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً او من وراء حجاب فحمله على فعل آخر دل عليه يكلمه على تقدير او يكلمه الله من وراء حجاب قال والظرف في الآيتين عندنا محمول على الفعل قبل إلا لأن الظرف قد يكتفى

فيه برائحة الفعل انتهى كلامه واقول ان ما قاله فيه نظر لأن ابا علي قال في تلك الآية لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاما تاما فيما بعده وليس ما قبل إلا في هذه الآية كلاما تاماً فإن قوله الذين هم اراذلنا فاعل لقوله اتبعك فلذلك فرق بين الموضعين رجع كلام ابي علي واما تحقيق الهمزة وتخفيفها في الرأي فأهل تحقيق الهمزة يخففونها وأهل التخفيف يبدلون منها الألف وكذلك ما اشبهه من نحو الباس والراس والفاس ومن قرأ فعميت بالتخفيف يقوي قوله احتجاجهم على التخفيف في قوله سبحانه فعميت عليهم الأنباء وهذه مثلها ويجوز في قوله فعميت أمران احدهما ان يكون عموهم عنها الآن والرحمة لا تعمي وإنما يعمى عنها فيكون كقولهم ادخلت القلنسوة في رأسي ونحو ذلك مما يقلب إذا لم يكن فيه اشكال وفي التنزيل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وقال الشاعر

ترى الثوب فيها مدخلا ظل رأسه   وسائره بادٍ الى الشمس اجمع

والآخر أن يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر

ومهمه اطرافه في مهمه   أعمى الهدى بالحائرين العمه

اي خفي الهدى لأن الهدى ليس بذي جارحة تلحقها هذه الآفة ومن هذا يقال للسحاب العماء لإخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هذا قول الشاعر «ولكنني عن علم ما في غد عم» قال وقولهم اتاني صكة عمي إذا أتى في الهاجرة وشدة الحر يحتمل عندنا تأويلين ❊ احدهما ❊ ان يكون المصدر أضيف إلى العمى كما قالوا ضرب التلف أي الضرب الذي يحدث عنه التلف ❊ والآخر ❊ ان يكون عمي تصغير اعمى على وجه الترخيم واضيف المصدر إلى المفعول به كقولك من دعاء الخير والتقدير صكة الحر الاعمى والمعنى ان الحر من شدته كأنه يعمي من اصابه والمصدر في الوجهين ظرف نحو مقدم الحاج وخفوق النجم ومن قرأ عميت اعتبر قراءة أبي والأعمش فعماها عليكم وإسناد الفعل إلى المفعول به في عميت قريب من عمي هنا في المعنى

❊ اللغة ❊

الرذل الخسيس الحقير من كل شيء والجمع ارذل ثم يجمع على أراذل كقولك كلب وأكلب وأكالب ويجوز ان يكون جمع الارذل فيكون مثل اكابر جمع الاكبر والرأي الرؤية من قوله يرونهم مثليهم رأي العين اي رؤية العين والرأي ايضا مايراه الإنسان في الأمر وجمعه آراء

❊ الإعراب ❊

ان لا تعبدوا إلا الله يحتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب نصبا بأن ويحتمل أن يكون جزما بالنهي وقوله عذاب يوم أليم يجوز ان يكون تقديره يوم أليم عذابه فحذف المضاف الذي هو عذاب واقيم المضاف اليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن في اليم ويجوز ان يكون وصف اليوم بالألم لأن الألم فيه يقع ويجوز في غير القراءة أليما فيكون صفة لعذاب وقوله اتبعك وفاعله الذي هو الذين هم اراذلنا في موضع نصب بأنه مفعول ثان لنريك إن كان بمعنى نعلمك وفي موضع الحال إن كان من رؤية العين وقوله انلزمكموها فيه ثلاث ضمائر ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب فجاءت على احسن ترتيب بدأ بالمتكلم لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ولو أتى بالمنفصل لجاز لتباعده من العامل بما فرق بينه وبينه فأشبه ما ضربت إلا إياك وما ضربني إلا انت واجاز الفراء انلزمكموها بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ولا يجوز ذلك عند البصريين وإنما يجيزون ذلك في ضرورة الشعر كقول امرئ القيس

فاليوم اشرب غير مستحقب   إثما من الله ولا واغل

وكقول الآخر

وناع يخبرنا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الأنامل

وقول الآخر «إذا اعوججن قلت صاحب قوم» يريد يا صاحب قوم

المعنى

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقب ذلك سبحانه بذكر اخبار الأنبياء تأكيدا لذلك وتخويفا للقوم وتسلية للنبي ﷺ وبدأ بقصة نوح «ع» فقال (ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه اني لكم نذير مبين) وقدم بيانه (أن لا تعبدوا إلا الله) اي انذركم ان لا تعبدوا إلا الله عن الزجاج يريد لأن توحدوا الله وتتركوا عبادة غيره وبدأ بالدعاء إلى الإخلاص في العبادة وقيل انه دعاهم إلى التوحيد لأنه من أهم الأمور إذ لا يصح شيء من العبادات إلا بعد التوحيد (إني اخاف عليكم عذاب يوم أليم) إنما قال اخاف مع ان عقاب الكفار مقطوع عليه لأنه لم يعلم ما يؤول اليه عاقبة امرهم من إيمان او كفر وهذا لطف في الاستدعاء واقرب الى الإجابة في الغالب (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) اي من قوم نوح لنوح «ع» (ما نراك إلا بشرا مثلنا) ظنا منهم ان الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل اليه ولم يعلموا ان البعثة من الجنس قد تكون أصلح ومن الشبهة أبعد (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) اي لم يتبعك الملأ والاشراف والرؤساء منا وإنما اتبعك اخساؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه (بادي الرأي) اي في ظاهر الأمر والرأي لم يتدبروا ما قلت ولم يتفكروا فيه وقال الزجاج معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ومن قرأ بالهمز فالمعنى انهم اتبعوك ابتداء الرأي أي حين ابتدأوا ينظرون ولو فكروا لم يتبعوك وقيل معناه ان في مبتدأ وقوع الرؤية عليهم يعلم انهم اراذلنا واسافلنا (وما نرى لكم علينا من فضل) اي وما نرى لك ولقومك علينا من فضل فإن الفضل إنما يكون في كثرة المال والمنزلة في الدنيا والشرف في النسب وانما قالوا ذلك لأنهم جهلوا طريقة الاستدلال ولو استدلوا بالمعجزات الدالة على نبوته لعلموا انه نبي وان من آمن به مؤمن ومن خالفه كافر وعرفوا حقيقة الفضل وهكذا عادة ارباب الدنيا يستحقرون ارباب الدين إذا كانوا فقراء ويسترذلونهم وإن كانوا هم الأكرمين الأفضلين عند الله سبحانه (بل نظنكم كاذبين) هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح قالوه لنوح ومن آمن به (قال) نوح لقومه (يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي) اي على برهان وحجة يشهد بصحة النبوة وهي المعجزة وقال ابن عباس على بينة اي على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته واختلف في قول نوح(ع) هذا انه جواب عماذا فقيل انه جواب عن قولهم بل نظنكم كاذبين فكأنه قال ان تظنوني كاذبا فما تقولون لو كنت على خلافه وعلى حجة من ربي واضحة ألا تصدقونني وقيل بل هو جواب عن قولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا اي وإن كنت بشرا فماذا تقولون إذا أتيتكم بحجة دالة على صدقي ألا تصدقونني وفيه بيان ان الرسالة إنما تظهر بالمعجزة فلا معنى لاعتبار البشرية وقيل هو جواب عن قولهم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا فكأنه قال إنهم اعتصموا بالله وبما آتاهم من البينة والرحمة فنالوا بذلك الرفعة والفضل وأنتم قنعتم بالدنيا الدنية الفانية فأنتم في الحقيقة الاراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكأنه قال لا تتبعوا المال والجاه فإن الواجب اتباع الحجة والدلالة ويجوز ان يكون جوابا عن جميع ذلك (وآتاني رحمة من عنده) رد عليهم بهذا جميع ما ادعوه والرحمة والنعمة هي ههنا النبوة اي واعطاني نبوة من عنده (فعميت عليكم) اي خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها (أنلزمكموها وانتم لها كارهون) اي أتريدون مني ان اكرهكم على المعرفة وألجئكم اليها على كره منكم هذا غير مقدور لي والهاء كناية عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وسائر النعم وقيل معناه انلزمكم قبولها فحذف المضاف ويجوز ان يكون الهاء كناية عن البينة ويكون المراد إن علي ان ادلكم بالبينة وليس علي

ان اضطركم الى معرفتها

قوله تعالى (٢٩) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٣٠) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣١) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ ثلاث آيات

اللغة

الطرد الابعاد على جهة الهوان وتطارد الأقوال حمل بعضها على بعض والازدراء الاحتقار افتعال من الزراية يقال زريت عليه إذا عبته وازرت به إذا قصرت به قال الشاعر

رأوه فازدروه وهو خرق ... وينفع أهله الرجل القبيح

ولم يخشوا مقالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبن الصريح

المعنى

ثم انكر نوح استثقالهم التكليف والعاقل إنما يستثقل الأمر إذا ألزمته مؤنة تثقله فقطع هذا العذر بقوله (ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا) اي لا اطلب منكم على دعائكم إلى الله اجرا فتمتنعون من إجابتي خوفا من اخذ المال (إن أجري إلا على الله) اي ما ثوابي وما اجري في ذلك إلا على الله (وما انا بطارد الذين آمنوا) اي لست اطرد المؤمنين من عندي ولا ابعدهم على وجه الإهانة وقيل انهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا له انفة من ان يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج (انهم ملاقوا ربهم) وهذا يدل على انهم سألوه طردهم فأعلمهم انه لا يطردهم لأنهم ملاقو ربهم فيجازي من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل معناه انهم ملاقو ثواب ربهم فكيف يكونون اراذل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلك عن الجبائي (ولكني أراكم قوما تجهلون) الحق واهله وقيل معناه تجهلون ان الناس إنما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا وقيل تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين (ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم) معناه من يمنعني من عذاب الله إن انا طردت المؤمنين فكانوا خصمائي عند الله في الآخرة (أفلا تذكرون) اي أفلا تتفكرون فتعلمون ان الأمر على ما قلته وفرق علي بن عيسى بين التفكر والتذكر بأن التذكر طلب معنى قد كان حاضرا للنفس والتفكر طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضرا للنفس وليست النصرة المذكورة في الآية من الشفاعة في شيء لأن النصرة هي المنع على وجه المغالبة والقهر والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع فلا دلالة في الآية على نفي الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم (ولا اقول لكم عندي خزائن الله) هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه ومعناه اني لا ارفع نفسي فوق قدرها فأدعي ان عندي مقدورات الله تعالى فأفعل ما أشاء وأعطي ما أشاء وأمنع من اشاء عن الجبائي وابي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا او قولهم وما نرى لكم علينا من فضل (ولا اعلم الغيب) اي ولا ادعي علم الغيب حتى أدلكم على منافعكم ومضاركم وقيل لا اعلم الغيب فأعلم ما تسرونه في نفوسكم فيكون جوابا لقولهم ان هؤلاء الذين آمنوا بك اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم اي فسبيلي قبول ايمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضمرونه إلا الله تعالى (ولا

اقول إني ملك) فأخبركم بخبر السماء من قبل نفسي وإنما انا بشر لا اعلم الأشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا اقول اني روحاني غير مخلوق من ذكر وأنثى بل انا بشر مثلكم خصني الله بالرسالة (ولا اقول للذين تزدري أعينكم) اي لا اقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلونهم وتستخفونهم وتحتقرهم أعينكم لما ترون عليهم من زي الفقراء (لن يؤتيهم الله خيراً) اي لا يعطيهم الله في المستقبل خيرا على اعمالهم ولا يثيبهم عليها بل اعطاهم الله كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الآخرة من الثواب (الله اعلم بما في أنفسهم) اي بما في قلوبهم من الإخلاص وغيره (اني اذاً لمن الظالمين) ان طردتهم تكذيبا لظاهر إيمانهم او قلت فيهم غير ما أعلم

قوله تعالى (٣٢) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٣) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٤) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٥) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ أربع آيات

اللغة

الجدال والمجادلة المقابلة بما يفتل الخصم من مذهبه بحجة أو شبهة وهو من الجدل شدة الفتل ويقال للصقر أجدل لأنه من أشد الجوارح والجدال والمراء بمعنى غير ان المراء مذموم لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره كمري الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو الفوت بالهرب والفرق بين افتراء الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الإنسان فيه لغيره وأما افتراء الكذب فهو افتعاله من قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال

طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني

المعنى

ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال (قالوا يا نوح قد جادلتنا) أي خاصمتنا وحاججتنا (فأكثرت جدالنا) أي زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية وفي بعض الروايات عن ابن عباس فأكثرت جدلنا والمعنى واحد (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في ان الله تعالى يعذبنا على الكفر اي فلسنا نؤمن بك ولا نقبل منك (قال) نوح (انما يأتيكم به الله ان شاء) أي لا يأتي بالعذاب إلا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فإن شاء عجل وان شاء أخر (وما أنتم بمعجزين) أي لا تفوتونه بالهرب (ولا ينفعكم نصحي إن اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) ذكر في تأويله وجوه ﴿ احدها ﴾ إن كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بأن يحرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم وقد سمى الله سبحانه العقاب غيا بقوله فسوف يلقون غيا ويشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر

فمن يلق خيراً يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

ولما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته وثوابه واعلم الله نوحا (ع) بذلك في قوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن قال لهم لا ينفعكم نصحي مع ايثاركم ما يوجب خيبتكم والعذاب الذي جره اليكم قبيح افعالكم واذا طرأ شرط على شرط كان الثاني مقدما على الاول في المعنى وان كان مؤخراً في اللفظ والتقدير ولا ينفعكم نصحي

ان كان الله يريد أن يغويكم ان اردت ان انصح لكم ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى ان كان الله يريد عقوبة اغوائكم الخلق واضلالكم اياهم اي يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب أن تسمي العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم وقد مر فيما مضى امثال ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه ان كان الله يريد ان يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتم قولي وآمنتم لأن الله تعالى حكم بأن لا يقبل الايمان عند نزول العذاب عن الحسن وقد حكي عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا بمعنى اهلكته ويقال غوي الفصيل اذا فسد من كثرة شرب اللبن ﴿ ورابعها ﴾ ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى يضل عباده عن الدين وان ما هم عليه بارادة الله ولولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم والانكار لذلك ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جعفر بن حرب وإنما شرط النصح بالارادة في قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا النصح استظهارا في الحجة عليهم لأنهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما نفع من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء في الآية فعل الكفر أو الدعاء الى الكفر والحمل عليه على ما يعتقده المجبرة لقيام الأدلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبائح كالأمر به وكما لم يجز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعله ويريده ولأنه لو جاز منه الإضلال لجاز منه ان يبعث من يدعو الى الضلال ويظهر المعجزات على يده وفي هذا ما فيه (هو ربكم واليه ترجعون) اي هو خالقكم ورازقكم والى حكمه وتدبيره تصيرون فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراه) قيل انه يعني بذلك محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والمراد ايؤمن كفار محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما اخبرهم به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من نبأ قوم نوح (ع) ام يقولون افتراه محمد صلى الله عليه وآله وسلم من تلقاء نفسه (فقل) لهم يا محمد (ان افتريته) واختلقته كما تزعمون (فعلي اجرامي) اي عقوبة جرمي لا تؤخذون به (وانا بريء مما تجرمون) اي لا اؤخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل يعني به نوحا (ع) وانه يقول على الله الكذب عن ابن عباس

﴿ النظم ﴾

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها على القول الاول انها تتصل بقوله ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله

قوله تعالى (٣٦) وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٧) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٨) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٩) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ

أربع آيات

(اللغة)

الابتئاس حزن في استكانة وانشد ابو عبيدة

ما يقسم الله إقبل غير مبتئس ... منه واقعد كريماً ناعم البال

وهو افتعال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر ايضا والصنع جعل الشيء موجودا بعد ان كان معدوما ومثله الفعل وينفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة يقتضي صانعا والفعل يقتضي فاعلا من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لأنه يفيد تجدد الوجود لاغير والصناعة الحرفة التي يكتسب بها والفلك السفينة ويكون واحدا

وجعا والسخرية اظهار خلاف الابطان على وجه يفهم منه استضعاف العقل ومنه التسخير التذليل يكون استضعافا بالقهر والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديعة واستنقاصا ولا يكون الا بحيوان وقد يكون اللعب بجماد والحلول النزول للمقام وهو من الحل خلاف الارتحال وحلول العرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيز والمصحح للحلول التحيز

= الإعراب =

سوف ينقل الفعل من الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور من يأتيه قيل في هذه قولان ﴿ احدهما ﴾ أن يكون بمعنى اي فكأنه قال اينا يأتيه عذاب يخزيه ﴿ والآخر ﴾ ان يكون بمعنى الذي والمعنى واحد ومن اذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة لأن البيان مطلوب من المسؤول دون السائل

المعنى

(واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اعلم الله سبحانه نوحاً انه لن يؤمن به احد من قومه في المستقبل (فلا تبتئس) اي لا تغتم ولا تحزن (بما كانوا يفعلون) والعقل لا يدل على ان قوما لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك السمع فلما علم ان احدا منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً فلما اراد الله سبحانه اهلاكهم امر نبيه باتخاذ السفينة له ولقومه فقال (واصنع الفلك) اي اعمل السفينة لتركبها أنت ومن آمن بك (باعيننا) اي بمرأى منا عن ابن عباس والتأويل بحفظنا اياك حفظ الرائي لغيره اذا كان يدفع الضرر عنه وذكر الاعين لتأكيد الحفظ وقيل اراد بالأعين الملائكة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون باعينهم اليك وإنما اضاف ذلك الى نفسه اكراما وتعظيما لهم وقوله (ووحينا) معناه وعلى ما اوحينا اليك من صفتها وحالها عن ابي مسلم وقيل المراد بوحينا اليك ان اصنعها وذلك انه (ع) لم يعلم صنعة الفلك فعلمه الله تعالى عن ابن عباس اي فإنا نوحي اليك بما تحتاج اليه من طوله وعرضه وهيأته (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) اي لا تسألني العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فإنهم مغرقون عن قريب وهذا غاية في الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه عنى به امرأته وابنه وانما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه وليصرف عنه مأثم الممالأة للطغاة (ويصنع الفلك) اي وجعل نوح (ع) يصنع الفلك كما امره الله تعالى وقيل واخذ نوح في صنعة السفينة بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قوله (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) اي كلما اجتاز به جماعة من اشراف قومه ورؤسائهم وهو يعمل السفينة هزؤا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون له يا نوح صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل إنما كانوا يسخرون من عمل السفينة لأنه كان يعملها في البر على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله (قال) أي كان يقول لهم (ان تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) والمراد ان تستجهلونا في هذا الفعل فإنا نستجهلكم عند نزول العذاب بكم كما تستجهلونا عن الزجاج وقيل معناه فإنا نجازيكم على سخريتكم عند الغرق والهلاك واراد به تعذيب الله اياهم فسمى الجزاء باسم المجزي به ويحتمل أن يريد فإنا نسخر منكم بعد الغرق على وجه الشماتة لا على وجه السفه (فسوف تعلمون) اينا احق بالسخرية او تعلمون عاقبة سخريتكم (من يأتيه عذاب يخزيه) هذا ابتداء كلام من نوح والأظهر أن يكون متصلا بما قبله اي فسوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يهينه ويفضحه في الدنيا ويكون يخزيه صفة العذاب (ويحل عليه عذاب مقيم)

اي وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة

القصة

قال الحسن كان طول السفينة الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال قتادة كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين ذراعاً وبابها في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات طبقة للناس وطبقة للأنعام والدواب وطبقة للهوام والوحش وجعل اسفلها للوحوش والسباع والهوام واوسطها للدواب والانعام وركب هو ومن معه في الأعلى معما يحتاج اليه من الزاد وكانت من خشب الساج وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال مكث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى اذا كان آخر زمانهم غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل على سفينته وقومه يمرون عليه فيسألونه فيقول اعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم احدا لرحم أم الصبي وروى علي بن ابرهيم عن ابيه عن صفوان عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لما اراد الله اهلاك قوم نوح عقم ارحام النساء اربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح من اتخاذ السفينة امره الله تعالى أن ينادي بالسريانية أن يجمع اليه جميع الحيوانات فلم يبق حيوان الا وقد حضر فادخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر والسنور وانهم لما شكوا اليه سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج فأرة فتناسل فلما كثروا وشكوا اليه منهم دعا بالأسد ومسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج سنور وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلا وفي حديث آخر انهم شكوا اليه العذرة فأمر الله الفيل فعطس فسقط الخنزير وروى الشيخ ابو جعفر في كتاب النبوة باسناده عن حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر

قوله تعالى (٤٠) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤١) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤٢) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٣) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ أربع آيات

القراءة

قرأ حفص عن عاصم من كل زوجين منونا وفي المؤمنين كذلك وقرأ الباقون من كل زوجين مضافا وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر مجريها بفتح الميم والباقون بضم الميم واتفقوا على ضم الميم في مرسيها الامايرى في الشواذ عن ابن محيصن انه فتح الميم فيهما وقرأ عاصم يا بني اركب معنا بفتح الباء والباقون بالكسر وروي عن علي بن ابي طالب (ع) وابي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنه وروي

عن عكرمة ابنها وعن السدي ابناه وعن ابن عباس ابنه على الوقف

الحجة

الوجه في قراءة حفص ما قاله ابو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين والمرأة زوج الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال للاثنين هما زوج قال لبيد

من كل محفوف يظل عصيه　　زوج عليه كلة وقرامها

قال ابو علي من قرأ من كلٍ زوجين كان قوله اثنين مفعول الحمل والمعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بهما الشياع وليس يراد بهما الناقص عن الثلاثة ومثل ذلك قول الشاعر

فاعمد لما يعلو فما لك بالذي　　لا تستطيع من الأمور يدان

إنما يريد تشديد انتفاء قوته عنه وتكثيره ويبين هذا المعنى قول الفرزدق

وكل رفيقي كل رحل وإن هما　　تعاطى القنا قوما هما اخوان

فرفيقان اثنان لا يكونان رفيقي كل رحل وإنما يريد الرفقاء إذا كانوا رفيقين ومن نوّن فقال من كلٍ زوجين فحذف المضاف اليه من كل ونون فالمعنى من كل شيءٍ ومن كل زوج زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين على انه صفة لزوجين فإن قلت فالزوجان قد فهم انهما اثنان فكيف جاز وصفهما بقوله اثنين فإنما جاز ذلك للتأكيد والتشديد كما قال لا تتخذوا إلهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه إلى التأكيد كقولهم أمس الدابر ونفخة واحدة ونعجة واحدة قال ومناة الثالثة الأخرى قال ابو علي ويجوز في قوله بسم الله مجريها ومرساها ان يكون حالا من شيئين من الضمير الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي في فيها فإن جعلت قوله بسم الله خبر مبتدا مقدما في قول من لم يرفع بالظرف او جعلت قوله مجريها مرتفعا بالظرف لم يكن قوله بسم الله مجريها إلا جملة في موضع الحال من الضمير الذي في فيها ولا يجوز أن يكون من الضمير الذي في قوله اركبوا لأنه لا ذكر فيها يرجع إلى الضمير ألا ترى ان الظرف في قول من رفع بالظرف قد ارتفع به الظاهر وفي قول من رفع في هذا النحو بالابتداء قد جعل في الظرف ضمير المبتدأ فإذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود إلى ذي الحال من الحال وإذا خلا من ذلك لم يكن إلا حالا من الضمير الذي في فيها ويجوز أن يكون بسم الله حالا من الضمير الذي في قوله اركبوا على أن لا يكون الظرف خبرا عن الاسم الذي هو مجريها على ما كان في الوجه الأول ويكون حالا من الضمير على حد قولك خرج بثيابه وركب في سلاحه والمعنى ركب مستعدا بسلاحه ومتلبسا بثيابه وفي التنزيل وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين بذكر اسم الله ويكون في باسم الله ذكر يعود إلى المأمورين فإن قلت فكيف يكون اتصال المصدر الذي هو مجريها بالكلام على هذا فإنه يكون متعلقا بما في باسم الله من معنى الفعل وجاز تعلقه به لأنه يكون ظرفا على نحو مقدم الحاج وخفوق النجم كأنهم كانوا متبركين بهذا الاسم او متمسكين به في وقت الجري او الاجراء والرسو او الارساء على حسب الخلاف بين القراء فيه ولا يكون الظرف متعلقا باركبوا لأن المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري والثبات انما المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين اللذين لا ينفك الراكبون فيها من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجريها نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه الأول رفع بالابتداء او بالظرف ويدل على انه في الوجه الأول رفع وإن كان ذلك الفعل الذي كان يتعلق به لا يعتبر به الآن قول الشاعر أنشده الأصمعي

بأبي أنت وفوك الأشنب　　كأنما زرّ عليه الزرنب

وحجة من فتح مجريها قوله وهي تجري بهم ولو كان مجريها لكان وهي تُجريهم وحجة من ضم ان جرت بهم وأجرتهم يتقاربان في المعنى يقال جرى الشيء وأجريته وجريت به واما قوله يا بني فقد قال ابو علي الكسر في الياء الوجه في يا بني وذلك ان اللام من ابن ياء او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم واثنين فاذا حقرت الحقت ياء التحقير فلزم ان ترد اللام الذي حذفت لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك بالتحقير بحركات الاعراب وتعاقبها عليها وهي لا تحرك ابدا بحركة الاعراب ولا غيرها ألا ترى ان من حذف الهمزة الساكن ما قبلها في نحو الخبء لم يفعل ذلك في الهمز نحو افياس(؟) إنما يبدل من الهمزة ياء ويدغم فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع ياء خطية وواو مقروة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك فاذا تبينت ان ياء التحقير اجريت هذا المجرى علمت انها لا تتحرك كما لا تتحرك حروف المد التي أجريت بالتحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع ياء التحقير وجعلتها محذوفة في التحقير كما حذفتها في التكبير للزم الياء التي للتحقير الانقلاب كما لزم سائر حروف الاعراب فيبطل دلالتها على التحقير كما ان الألف في التكسير لو حركتها لبطلت دلالتها على التكسير ولذلك رددت اللام فاذا رددت اللام وأضفتها إلى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات الأولى منها التي للتحقير والثانية لام الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذ بني فاذا ناديت جاز فيها وجهان اثبات الياء وحذفها فمن قال ياعبادي فأثبت فقياس قوله ان يقول بنيي ومن قال ياعباد قال يابني فحذف الياء التي للاضافة وأبقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه هو الجيد عندهم ومن قرأ يا بني بالفتح فالقول فيه انه أراد به الاضافة كما أرادها في قوله يا بني إذا كسر الياء التي هي لام الفعل كأنه قال يا بنيي باثبات ياء الاضافة ثم ابدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الألف فصار يا بنيا كما قال الشاعر « يا بنت عما لا تلومي واهجعي » ثم حذف الألف كما كان حذف الياء في يا بني وقد حذفت الياء التي للاضافة إذ أبدلت الألف منها أنشد ابو الحسن

فلست بمدرك ما فات مني   بلهف ولا بليت ولا لواني

انما هو بلهفا قال ابو عثمان ووضع الألف مكان الياء في الاضافة مطرد واجازيا زيدا اقبل إذا أردت الاضافة فقال وعلى هذا قراءة من قرأ يا أبت لم تعبد ويا قوم لا اسألكم وانشد «وهل جزع ان قلت وا ابتاها» واما من قرأ ونادى نوح ابنه فانه أراد ابنها كما روي عن عكرمة والمعنى ابن امرأته لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه وأهلك فحذف الألف تخفيفا كما قلناه في بني بالفتح ويا أبت واما قراءة السدي ابناه فانه يريد به الندبة وهو على الحكاية اي قال له يا ابناه ووا ابناه فأما ابنه بالسكون فعلى ما جاء في نحو قوله «ومطواي مشتاقان له ارقان»

❊ اللغة ❊

الفور الغليان واصله الارتفاع فار القدر يفور فورا وفؤرا وفورانا ارتفع ما فيه بالغليان ومنه قولهم فعل ذلك من فوره اي من قبل ان يسكن والإرساء امساك السفينة بما تقف عليه يقال ارساها الله فرست قال عنترة

فصبرت نفسا عند ذلك حرة   ترسو إذا نفس الجبان تطلع

والموج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير والعصمة المنع

ــ(الاعراب)ــ

حتى متعلقة بقوله واصنع الفلك بأعيننا. لاعاصم ركب عاصم مع لا فبني لأنهما بالتركيب صارا كاسم واحد وقيل انه بني لتضمنه معنى من لأن هذا جواب هل من عاصم وحق الجواب ان يكون وفق السؤال فكان يجب ان يقول لا من عاصم إلا ان من حذفت وتضمن الكلام معناه فبني الاسم لذلك وهذا وجه حسن واليوم خبر والعامل فيه المحذوف لا قوله عاصم لأنه لو عمل فيه عاصم لصار من صلته فكان يجب تنوينه لأنه يشبه المضاف كما تقول لا ضاربا زيدا في دارك ولم يقرأ احد لا عاصيا اليوم وقيل ان خبره قوله من امر الله والتقدير لا ذا عصمة

كائن من امر الله في اليوم واليوم معمول الظرف وان تقدم عليه كما جاز كل يوم لك ثوب ولا يجوز ان يتعلق اليوم بنفس امر لأن امرا مصدر فلا يتقدم عليه ما في صلته ومن رحم فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ ان يكون استثناء منقطعا لأن التقدير الا من رحمه الله فيكون من مفعولا واستثناء من عاصم وعاصم فاعل فكأنه قال لكن من رحمه الله معصوم ﴿ وثانيها ﴾ ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمنا فكأنه قال لا عاصم الا الله ﴿ والثالث ﴾ ان عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من امر الله إلا من رحمه الله وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول كقوله في عيشة راضية اي مرضية وماء دافق اي مدفوق وقال الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها … واقعد فإنك انت الطاعم الكاسي

اي المكسو وعلى القولين الأخيرين يكون الاستثناء متصلا وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم كان معناه لا معصوم لأن في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال إلا من رحم فاستثناه على المعنى فيكون متصلا

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم نوح فقال (حتى اذا جاء امرنا) والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى إذا جاء قضاؤنا بنزول العذاب (وفار التنور) بالماء اي ارتفع الماء بشدة اندفاع وفي التنور اقوال ﴿ اولها ﴾ انه تنور الخابزة وانه تنور كان لآدم فار الماء منه علامة لنوح(ع) اذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه عن ابن عباس والحسن ومجاهد ثم اختلف في ذلك فقال قوم ان التنور كان في دار نوح (ع) بعين وردة من ارض الشام وقال قوم بل كان في ناحية الكوفة وهو المروي عن أئمتنا (ع) وروي المفضل بن عمر عن ابي عبد الله (ع) في حديث طويل قال كان التنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة مسجد الكوفة قال قلت فكيف كان بدء خروج الماء من ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يري قوم نوح آية ثم ان الله سبحانه ارسل عليهم المطر يفيض فيضا وفاض الفرات فيضا وفاضت العيون كلها فيضا فغرقهم الله وانجى نوحا ومن معه في السفينة فقلت فكم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة ايام بلياليها فقلت له ان مسجد الكوفة لقديم فقال نعم هو مصلى الانبياء ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اسري به الى السماء قال له جبرائيل (ع) يا محمد هذا مسجد ابيك آدم ومصلى الانبياء فانزل فصل فيه فنزل فصلى فيه ثم ان جبرائيل (ع) عرج به الى السماء وفي رواية اخرى ان السفينة استقلت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوما بلياليها وروى ابو عبيدة الحذاء عن ابي جعفر (ع) قال مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنة الصلاة فيه بسبعين صلاة صلى فيه الف نبي وسبعون نبيا فيه فار التنور وجرت السفينة وهو سرة بابل ومجمع الانبياء عليهم السلام ﴿ وثانيها ﴾ ان التنور وجه الارض عن ابن عباس والزهري وعكرمة واختاره الزجاج ويؤيده قوله وفجرنا الارض عيونا ﴿ وثالثها ﴾ ان معنى قوله وفار التنور طلع الفجر وظهرت امارات دخول النهار وتقضي الليل من قولهم نور الصبح تنويرا وروي ذلك عن علي (ع) ﴿ ورابعها ﴾ ان التنور اعلى الارض واشرفها والمعنى نبع الماء من الامكنة المرتفعة فشبهت بالتنانير لعلوها عن قتادة ﴿ وخامسها ﴾ ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم ووقعت نقمته بهم كما تقول العرب حمي الوطيس اذا اشتد الحرب وفار قدر القوم اذا اشتد حربهم قال الشاعر

يفور علينا قدرهم فنديمها … ونفثاها عنا اذا حميها غلا

يريد بالقدر الحرب ونديمها نسكنها وهذا أبعد الاقوال من الاثر وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها الرواية اولى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) اي قلنا لنوح (ع) لما فار الماء من التنور احمل في السفينة من كل جنس من الحيوان زوجين اي ذكر وانثى وقد ذكرنا المعنى في حجة القراءتين (واهلك) اي واحمل اهلك وولدك (الا من سبق عليه القول) اي من سبق الوعد باهلاكه والاخبار بانه لا يؤمن وهي امرأته الخائنة واسمها

واغلة وابنها كنعان (ومن آمن) أي واحمل فيها من آمن بك من غير اهلك ثم اخبر سبحانه فقال (وما آمن معه الا قليل) اي الا نفر قليل وهم ثمانون انساناً في قول الاكثرين وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة وبنوه الثلاثة ونساؤهم فهم ثمانية وسبعون نفساً وحمل معه جسد آدم (ع) عن مقاتل وقيل عشرة انفس عن ابن اسحاق وقيل ثمانية انفس عن ابن جريج وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل سبعة انفس عن الاعمش وكان فيهم بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وثلاث كنائن لهم فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج ولد يافث (وقال اركبوا فيها) اي وقال نوح لمن آمن معه اركبوا في السفينة وفي الكلام حذف تقديره فلما فار التنور ووقف نوح على ما دله الله عليه من هلاك الكفار قال لأهله وقومه اركبوا فيها (بسم الله مجريها ومرسيها) اي متبركين باسم الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اي اثباتها وحبسها وقيل معناه بسم الله اجراؤها وارساؤها وقد ذكرنا تفسيره في الحجة وقال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة قالوا بسم الله مجريها فجرت واذا ارادوا ان تقف السفينة قالوا بسم مرسيها فوقفت (ان ربي لغفور رحيم) هذا حكاية عما قاله نوح لقومه ووجه اتصاله بما قبله انه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة لتجتلبا بالطاعة كما اجتلبت النجاة بركوب السفينة (وهي تجري بهم في موج كالجبال) معناه ان السفينة كانت تجري بنوح ومن معه على الماء في امواج كالجبال في عظمها وارتفاعها ودل بتشبيهها بالجبال على ان ذلك لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا وروي عن الحسن ان الماء ارتفع فوق كل شيء وفوق كل جبل ثلاثين ذراعا وقال غيره خمسة عشر ذراعا وقيل ان سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى طافت الارض كلها لا تستقر في موضع حتى اتت الحرم فطافت بموضع الكعبة اسبوعا وكان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم وروى اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ان نوحا ركب السفينة في اول يوم من رجب فصام وأمر من معه أن يصوموا ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل ان اسمه يام (وكان في معزل) اي في قطعة من الارض غير القطعة التي كان نوح فيها حين ناداه وقيل معناه كان في ناحية من دين أبيه اي قد اعتزل دينه وكان نوح يظن انه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان في معزل من السفينة (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ليسلم من الغرق قال الحسن كان ينافق اباه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم دعاه بشرط الايمان ومعناه يا بني آمن بالله ثم اركب معنا ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الأول يكون معناه لا تتخلف مع الكافرين فتغرق معهم فأجابه ابنه (قال سآوي إلى جبل) اي سأرجع إلى مأوى من جبل (يعصمني من الماء) ان يمنعني من آفات الماء (قال) نوح (لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم) اي لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله بإيمانه فآمن بالله يرحمك الله (وحال بينهما الموج فكان) اي فصار (من المغرقين)

قوله تعالى (٤٤) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ آية

❊ اللغة ❊

البلع اجراء الشيء في الحلق إلى الجوف والاقلاع اذهاب الشيء من اصله حتى لا يرى له أثر يقال اقلعت السماء إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شيء منه واقلع عن الأمر إذا تركه رأساً

❊ المعنى ❊

ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال (وقيل يا ارض ابلعي ماءك) اي قال الله سبحانه للارض

انشفي ماءك الذي نبعت به العيون واشربي ماءك حتى لا يبقى على وجهك شيءٌ منه وهذا اخبار عن ذهاب الماء عن وجه الارض بأوجز مدة فجرى مجرى ان قيل لها ابلعي فبلعت (ويا سماء اقلعي) اي وقال تعالى للسماء ياسماء امسكي عن المطر وهذا اخبار عن اقشاع السحاب وانقطاع المطر في اسرع زمان فكأنه قال لها اقلعي فأقلعت (وغيض الماء) اي ذهب به عن وجه الارض إلى باطنه والمعنى ونشفت الارض ماءها ويقال ان الارض ابتلعت جميع مائها وماء السماء لقوله وغيض الماء ويقال لم تبتلع ماء السماء لقوله ابلعي ماءك وان ماء السماء صار بحارا وانهارا وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام (وقضي الأمر) اي وقع اهلاك الكفار على التمام وفرغ من الأمر وقيل وقضي الأمر بنجاة نوح ومن معه (واستوت على الجودي) اي استقرت السفينة على الجبل المعروف قال الزجاج هو بناحية آمد وقال غيره بقرب جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل

سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبله سبح الجودي والجمد

وقال ابو مسلم الجودي اسم لكل جبل وارض صلبة وفي كتاب النبوة مسنداً إلى ابي بصير عن ابي الحسن علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام قال كان نوح لبث في السفينة ماشاء الله وكانت مأمورة فخلى سبيلها فأوحى الله إلى الجبال اني واضع سفينة نوح على جبل منكن فتطاولت الجبال وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل بالموصل فضرب جؤجؤ السفينة الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماريا اتقن وهو بالعربية يا رب اصلح وفي رواية أخرى يارهمان اتقن وتأويله يا رب احسن وقيل ارست السفينة على الجودي شهرا (وقيل بعدا للقوم الظالمين) اي قال الله تعالى ذلك ومعناه أبعد الله الظالمين من رحمته لإيرادهم أنفسهم مورد الهلاك و إنما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعاء ويجوز ان يكون هذا من قول الملائكة او من قول نوح والمؤمنين وفي هذه الآية من بدائع الفصاحة وعجائب البلاغة ما لا يقاربه كلام البشر ولا يدانيه منها انه خرج مخرج الأمر و إن كانت الارض والسماء من الجماد ليكون أدل على الاقتدار ومنها حسن تقابل المعنى وائتلاف الألفاظ ومنها حسن البيان في تصوير الحال ومنها الايجاز من غير اخلال إلى غير ذلك مما يعلمه من تدبره وله معرفة بكلام العرب ومحاوراتهم ويروى ان كفار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن فعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الخمر اربعين يوما لتصفو أذهانهم فلما أخذوا فيما أرادوا سمعوا هذه الآية فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبهه شيءٌ من الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين وتركوا ما أخذوا فيه وافترقوا

قوله تعالى (٤٥) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٦) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٨) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٩) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ الكسائي ويعقوب وسهل انه عمل غير صالح على الفعل ونصب غير والباقون عمل اسم مرفوع منون

غير بالرفع وقرأ ابن كثير فلا تسألن مشددة النون مفتوحة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألني خفيفة النون مثبتة الياء وقرأ اهل الكوفة خفيفة النون بغير ياء وقرأ أهل المدينة غير قالون فلا تسألني مشددة النون مثبتة الياء وقرأ ابن عامر وقالون فلا تسألن مشددة النون مكسورة بغير ياء

الحجة

قال ابو علي من قرأ انه عمل فنون فالمراد ان سؤالك ما ليس لك به علم عمل غير صالح ويحتمل ان يكون الضمير في انه لما دل عليه قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره إن كونك مع الكافرين وإنحيازك اليهم وتركك الركوب معنا والدخول في جملتنا عمل غير صالح ويجوز أن يكون الضمير لابن نوح كأنه جعل عملا غير صالح كما يجعل الشيء الشيء لكثرة ذلك منه كقولهم الشعر زهير او يكون المراد انه ذوعمل غير صالح فحذف المضاف ومن قرأ انه عمل غير صالح فيكون في المعنى كقراءة من قرأ انه عمل غير صالح وهو يجعل الضمير لابن نوح وتكون القراءتان متفقتين في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ ومن ضعف هذه القراءة بأن العرب لا تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عمل غير حسن فالقول فيه انهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا قال عمر بن ابي ربيعة

أيها القائل غير الصواب ... أخر النصح واقلل عتابي

وقال ايضا

وكم من قتيل ما يباء به دم ... ومن علق رهن إذا لفه منا

ومن مالئ عينيه من شيء غيره ... اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

اراد وكم من انسان قتيل ونظائره كثيرة ومن قرأ فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون عدى السؤال إلى مفعول واحد في اللفظ والمعنى على التعدي إلى مفعول ثان ومن كسر النون هاهنا فإنه يدل على تعدية السؤال إلى مفعولين ﴿احدهما﴾ اسم المتكلم والآخر اسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات كما حذفت النون من قولهم انى كذاك وكما حذفت النون من قوله « يسوء الفاليات إذا فليني » وأما اثبات الياء في الوصل فهو الأصل وحذفها اخف والكسرة تدل عليها

الاعراب

قوله ما ليس لك به علم يحتمل قوله به في الآية وجهين ﴿احدهما﴾ أن يكون كقوله «كان جزائي بالعصا ان اجلدا» إذا قدمت بالعصا وكقوله وكانوا فيه من الزاهدين و إني لكما لمن الناصحين وانا على ذلكم من الشاهدين وزعم ابو الحسن أن ذلك إنما يجوز في حروف الجر والتقدير فيه التعليق بمضمر يفسره هذا الذي ظهر بعد وإن كان لا يجوز تسلطه عليه ومثل ذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين فانتصب يوم يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد لا هذه ان يتسلط على يوم يرون وكذلك اني لكما لمن الناصحين متعلق بما دل عليه النصح المظهر والتقدير اني ناصح لكما لمن الناصحين وكذلك به في قوله ما ليس لك به علم يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر وان لم يجز أن يعمل فيه والوجه الآخر أن يكون متعلقا بالمستقر وهو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعاني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به في الآية بمنزلة فيه والعلم يراد به العلم المتيقن الذي يعلم به الشيء على الحقيقة ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله فإن علمتموهن مؤمنات ونحو ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين واقرار المقر بما يدعي ونحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذي يسع الحاكم الحكم بالشيء معه تلك من انباء الغيب تلك مبتدأ ومن انباء الغيب الخبر ونوحيها اليك خبر ثان وإن شئت كان في موضع الحال اي تلك كائنة من انباء الغيب موحاة اليك وان شئت كان تلك مبتدأ ونوحيها الخبر والجار

من صلة نوحيها اي تلك نوحيها اليك من انباء الغيب ولا يجوز أن يكون من زيادة على تقدير تلك انباء الغيب لأنها لا تزاد في الموجب ويجوز على قول الأخفش

«المعنى»

ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح (ع) فقال (ونادى نوح ربه) نداء تعظيم ودعاء (فقال رب إن ابني من اهلي و إن وعدك الحق) معناه يامالكي وخالقي ورازقي وعدتني بتنجية اهلي وان ابني من اهلي و إن وعدك الحق لا خلف فيه فنجه إن كان ممن وعدتني بنجاته (وأنت احكم الحاكمين) في قولك وفعلك (قال) الله سبحانه (يانوح انه ليس من اهلك) وقد قيل في معناه أقوال ﴿احدها﴾ انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك لان الله سبحانه قد استثنى من اهله الذين وعده ان ينجيهم من أراد اهلاكهم بالغرق فقال إلا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة واختاره الجبائي ﴿وثانيها﴾ ان المراد بقوله ليس من اهلك انه ليس على دينك فكأن كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله عن جماعة من المفسرين وهذا كما قال النبي عليه وآله السلام سلمان منا اهل البيت و إنما أراد على ديننا وروى علي بن مهزيار عن الحسن بن علي الوشا عن الرضا (ع) قال قال ابو عبد الله (ع) ان الله تعالى قال لنوح انه ليس من اهلك لأنه كان مخالفا له وجعل من اتبعه من اهله ويؤيد هذا التأويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل إنه عمل غير صالح فبين انه إنما خرج عن احكام اهله لكفره وسوء عمله وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفا له في العمل والنية فمن ثم قيل انه ليس من اهلك ﴿وثالثها﴾ انه لم يكن ابنه على الحقيقة و إنما ولد على فراشه فقال (ع) انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى أن الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد من حيث ان فيه منافاة القرآن لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعير وتشين وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك توقيرا لهم وتعظيما عما ينفر من القبول منهم وروي عن ابن عباس انه قال ما زنت امرأة نبي قط وكانت الخيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه إلى الجنون والخيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على أضيافه ﴿ورابعها﴾ انه كان ابن امرأته وكان ربيبه ويعضده قراءة من قرأ ابنه بفتح الهاء وابنها والمعتمد المعول عليه في تأويل الآية القولان الأولان (انه عمل غير صالح) قد ذكرنا الوجه في القراءتين واختار المرتضى (رض) في تأويله ان التقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الخنساء

ما ام سقب على بوّ تطيف به ... قد ساعدتها على التحنان اظئار

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وادبار

أرادت فإنما هي ذات اقبال وادبار قال ومن قال ان المعنى إن سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح فإن من امتنع من أن يقع على الأنبياء شيء من القبائح يدفع ذلك فإذا قيل له فلم قال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) وكيف قال نوح رب إني اعوذ بك أن اسألك ما ليس لي به علم قال لا يمتنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس لك به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك وان لم يوقعه كما نهى الله سبحانه نبيه عن الشرك في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وإنما يجز وقوع ذلك منه و إنما سأل نوح (ع) نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين الله تعالى ان المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السؤال وقوله (إني اعظك) اي احذرك والوعظ الدعاء إلى الحسن والزجر عن القبيح على وجه الترغيب والترهيب (أن تكون من الجاهلين) معناه لا تكن منهم قال الجبائي يعني اني اعظك لئلا تكون من الجاهلين ولا شك ان وعظه سبحانه يصرف عن الجهل وينزه عن القبيح (قال) نوح عند ذلك (رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس

لي به علم) اي اعتصم بك ان اسألك ما لا اعلم انه صواب وانك تفعله ومعنى العياذ بالله الاعتصام به طلبا للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوفقه ولا يكله إلى نفسه وإنما حذف يا من قوله رب واثبته في قوله يا نوح لأن ذلك نداء تعظيم وهذا نداء تنبيه فوجب ان يأتي بحرف التنبيه (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) إنما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانة لله تعالى وإن لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما أمر به نوحا حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال (قيل يا نوح اهبط) اي انزل من الجبل او من السفينة (بسلام منا) اي بسلامة منا ونجاة وقيل بتحية وتسليم منا عليك (وبركات عليك) اي ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالا بعد حال عليك (وعلى أمم ممن معك) يعني الأمم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين والأمة الجماعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى أمم من ذرية من معك وقيل يعني بالأمم سائر الحيوان الذين كانوا معه لأن الله تعالى جعل فيها البركة (وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) معناه انه يكون من نسلهم أمم سنمتعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون ونهلكهم ثم يمسهم بعد الهلاك عذاب مؤلم وإنما ارتفع أمم لأنه استأنف الاخبار عنهم وروي عن الحسن انه قال هلك المتمتعون في الدنيا لأن الجهل يغلب عليهم والغفلة فلا يتفكرون إلا في الدنيا وعمارتها وملاذها ثم اشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره من اخبار قوم نوح فقال (تلك) اي تلك الأنباء (من انباء الغيب) اي من اخبار ما غاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جائزا لأن المصادر قد يكنى عنها بالتذكير كما يكنى بالتأنيث يقولون قدم فلان ففرحت بها اي بقدمته وفرحت به اي بقدومه (نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) اي ان هذه الأخبار التي اعلمناكها لم تكن تعلمها انت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل إيحائنا اليك لأنهم لم يكونوا اهل كتاب وسير وقيل من قبل هذا القرآن وبيان القصص فيه (فاصبر) اي فاصبر على القيام بأمر الله وعلى أذى قومك يا محمد كما صبر نوح على أذى قومه وهذا أحد الوجوه التي لأجلها كرر الله قصص الأنبياء عليهم السلام ليصبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما كان يقاسيه من أمور الكفار الجهال حالا بعد حال (ان العاقبة للمتقين) اي ان العاقبة المحمودة وخاتمة الخير والنصرة للمتقين كما كانت لنوح (ع)

قوله تعالى (٥٠) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥١) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥٢) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٣) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٤) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٥) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ (٥٦) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٧) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٨) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٩) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ

وَٱتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٦٠) وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ احدى عشرة آية كوفي وعشر في الباقين عد الكوفي ما تشركون آية

﴿ اللغة ﴾

الفطر الشق عن أمر الله كما ينفطر الورق عن الشجر ومنه فطر الله الخلق لأنه بمنزلة ماشق عنه فظهر · المدرار الدار الكثير المتتابع على قدر الحاجة اليه دون الزائد المفسد المضر ومفعال للمبالغة كقولهم معطار ومقدام واعتراك من قولهم عراه يعروه إذا أصابه قال الشاعر [من القوم يعروه اجتراء ومأثم] والفرق بين الإنظار والتأخير ان الإنظار امهال لينظر صاحبه في امره والتأخير خلاف التقديم والناصية قصاص الشعر واصله الاتصال من قولهم مفازة تناصي مفازة إذا كانت الأخيرة متصلة بالأولى قال «في تناصيها بلادقي» وقال ابو النجم

ان يمس رأسي اشمط العناصي ... كأنما فرّقه المُناصي

أي يجاذب ليتصل به في مرة · العنيد العاتي الطاغي عند يعند عنوداً إذا تجبر وعند عن الأمر إذا حاد عنه فهو عاند وعنود

—(الاعراب)—

أخاهم نصب بتقدير ارسلنا كأنه قال وارسلنا إلى عاد أخاهم وهودا عطف بيان وعاد مصروف لأن المراد به الحي وقد يقصد به القبيلة فلا يصرف قال

لو شهد عاد في زمان عاد ... لابتزها مبارك الجلاد (?)

غيره من ضم الراء حمل الصفة على الموضع ومن جره حمله على اللفظ قوله ان نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وقال صاحب كتاب كشف الجامع النحوي ان حرف نفي لحقت تقول فنفت جميع القول إلا قولا واحداً وهو قولهم اعتراك بعض آلهتنا بسوء والتقدير ما نقول قولا إلا هذه المقالة والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف وعلى الحال ويجوز ان يذكر الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دل عليه من المصادر والظروف والأحوال فنقول اعتراك مستثنى من المصدر الذي دل عليه نقول كقوله تعالى أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى فنصب موتتنا على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دل عليه قوله بميتين ومما جاء من ذلك في الظروف قوله ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار فساعة استثناء مما دل عليه يلبثوا من الأوقات ومما جاء من ذلك في الحال قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله التقدير ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أينما ثقفوا إلا متمسكين بحبل اي بعهد من الله انتهى كلامه وقوله فإن تولوا تقديره فإن تتولوا فحذف احدى التائين لدلالة الكلام عليه وقوله بعداً لعاد منصوب على المصدر اي ابعدهم الله بعداً فوقع بعدا موقع ابعاد كما وقع نبات موقع انبات في قوله والله انبتكم من الارض نباتا

—(المعنى)—

ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال (وإلى عاد أخاهم هوداً) أراد أخاهم في النسب دون الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده وأطيعوه دون الأصنام (ما لكم من إله غيره) دخول من يفيد التعميم نفى ان يكون لهم معبود يستحق العبادة غير الله عز اسمه (إن أنتم إلا مفترون) اي ما انتم إلا كاذبون في قولكم إن الأصنام آلهة (يا قوم لا اسألكم عليه أجراً) اي لست اطلب منكم على دعائي إياكم إلى عبادة الله جزاء

(إن أجري إلا على الذي فطرني) اي ليس جزائي إلا على الله الذي خلقني (أفلا تعقلون) عني ما اقول لكم فتعلمون ان الأمر على ما اقوله (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبة في اول هذه السورة (يرسل السماء عليكم مدرارا) اي يرسل المطر عليكم متتابعاً متواترا داراً وقيل انهم كانوا قد اجدبوا فوعدهم هود انهم إن تابوا اخصبت بلادهم وامرعت وهادهم وأثمرت اشجارهم وزكت ثمارهم بنزول الغيث الذي يعيشون به وهذا مثل قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (ويزدكم قوة إلى قوتكم) فسرت القوة هنا بالمال والولد والشدة وكل ذلك مما يتقوى به الانسان قال علي بن عيسى يريد عزاً إلى عزكم بكثرة عددكم واموالكم وقيل قوة في إيمانكم الى قوة ابدانكم (ولا تتولوا) عما أدعوكم اليه (مجرمين) اي مشركين كافرين (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) اي بحجة ومعجزة تبين صدقك (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) اي لسنا بتاركي عبادة الأصنام لأجل قولك وقيل ان عن جعلت مكان الباء فمعناه بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين وإنما حملهم على دفع البينة مع ظهورها اشياء منها تقليد الآباء والرؤساء ومنها اتهامهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها ومنها انه دخلت عليهم الشبهة في صحتها ومنها اعتقادهم لأصول فاسدة دعتهم إلى جحدها وإنما حملهم على عبادة الأوثان اشياء منها اعتقادهم ان عبادتها تقربهم إلى الله زلفى ومنها أن الشيطان ربما القى اليهم أن عبادتها تحظيهم في الدنيا ومنها انهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهة فاتخذوا الأوثان على صورته عندهم فعبدوها (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) هذا تمام الحكاية عن قوم هود جوابا لهود والمعنى لسنا نقول فيك إلا انه اصابك بعض آلهتنا بسوء فخبل عقلك لشتمك لها وسبك اياها ذهب اليه ابن عباس ومجاهد (قال) أي قال هود لقومه (إني اشهد الله واشهدوا) أي وأشهدكم ايضا بعد اشهاد الله (إني بريء مما تشركون من دونه) اي إن كنتم تزعمون أن آلهتكم عاقبتني لطعني عليها فاني على بصيرة في البراءة مما تشركونه مع الله من آلهتكم التي تزعمون انها اصابتني بسوء وإنما اشهدهم على ذلك وإن لم يكونوا اهل شهادة من حيث كانوا كفارا فساقا إقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول اعذاراً وانذاراً وقيل انه أراد بقوله اشهدوا واعلموا كما قال شهد الله اي علم الله (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) اي فاحتالوا واجهدوا انتم وآلهتكم في انزال مكروه بي ثم لا تمهلوني قال الزجاج وهذا من اعظم آيات الأنبياء أن يكون الرسول وحده وامته متعاونة عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضره وكذلك قال نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الآية وقال نبينا ﷺ فإن كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا القول لا يصدر إلا عمن هو واثق بنصر الله وبأنه يحفظه عنهم ويعصمه منهم ثم ذكر هود (ع) هذا المعنى فقال (إني توكلت على الله ربي وربكم) أي فوضت امري إلى الله سبحانه متمسكا بطاعته تاركا لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي ما من حيوان يدب على وجه الأرض إلا وهو مالك لها يصرفها كيف يشاء ويقهرها وجعل الأخذ بالناصية كناية عن القهر والقدرة لأن من اخذ بناصية غيره فقد قهره وأذله (إن ربي على صراط مستقيم) اي انه سبحانه مع كونه قاهراً على عدل فيما يعامل به عباده والمعنى انه يعدل ولا يجور وقيل معناه إن ربي في تدبير عباده على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب ويفعل ما يقتضيه الحكمة (فإن تولوا) هذا حكاية عما قاله هود (ع) لقومه والمعنى فإن تتولوا ويجوز ان يكون حكاية عما قاله سبحانه لهود والمعنى فإن تولوهم (ف) قل لهم (قد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) أي ليس ذلك لتقصير مني في ابلاغكم وإنما هو لسوء اختياركم في اعراضكم عن نصحي فقد ابلغتكم جميع ما اوحي إلي (ويستخلف ربي قوماً غيركم) أي ويهلككم ربي بكفركم ويستبدل بكم قوماً غيركم يوحدونه ويعبدونه (ولا تضرونه شيئاً) يعني إذا استخلف غيركم فجعلهم بدلا منكم لا تقدرون له على ضر وقيل معناه لا تضرونه بتوليكم

واعراضكم شيئاً ولا ضرر عليه في اهلاككم لأنه لم يخلقكم لحاجة منه اليكم (إن ربي على كل شيء حفيظ) يحفظه من الهلاك إن شاء ويهلكه إذا شاء وقيل معناه إن ربي يحفظني عنكم وعن اذاكم وقيل معناه إن ربي على كل شيء من أعمال عباده حفيظ حتى يجازيهم عليها (ولما جاء امرنا) بهلاك عاد (نجينا هوداً والذين آمنوا معه) من الهلاك وقيل انهم كانوا اربعة آلاف (برحمة منا) أي بما أريناهم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا أي بنعمة منا وهي النجاة أي أنجيناهم برحمة ليعلم انه عذاب اريد به الكفار لا اتفاق وقع (ونجيناهم من عذاب غليظ)أي كما نجيناهم من عذاب الدنيا نجيناهم من عذاب الآخرة والغليظ الثقيل العظيم ويحتمل أن يكون هذا صفة للعذاب الذي عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفر عاد فقال (وتلك) أي وتلك القبيلة (عاد جحدوا بآيات ربهم) يعني معجزات هود الدالة على صحة نبوته (وعصوا رسله) إنما جمع الرسل وكان قد بعث اليهم هود لأن من كذب رسولا واحداً فقد كفر بجميع الرسل ولأن هوداً كان يدعوهم إلى الإيمان به وبمن تقدمه من الرسل وبما انزل عليهم من الكتب فكذبوا بهم جميعاً فلذلك عصوهم (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وقيل إن الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير العناد الذي لا يقبل الحق (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي واتبع عادا بعد اهلاكهم في الدنيا بالابعاد عن الرحمة فإن الله تعالى ابعدهم من رحمته وتعبد المؤمنين بالدعاء عليهم باللعن (ويوم القيامة) أي وفي يوم القيامة يبعدون من رحمة الله كما بعدوا في الدنيا منها ويلعنون بأن يدخلوا النار فإن اللعنة الدعاء بالإبعاد من قولك لعنه إذا قال عليه لعنة الله وأصله الإبعاد من الخير (ألا) ابتداء وتنبيه (إن عاداً كفروا ربهم) أراد بربهم فحذف الباء كما قالوا امرتك الخير اي بالخير (ألا بعداً لعاد قوم هود) أي أبعدهم الله من رحمته فبعدوا بعداً

قوله تعالى (٦١) وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦٢) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٣) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٤) وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٥) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٦) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٧) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٨) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ثماني آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة غير اسماعيل والكسائي والبرجمي والشموني عن ابي بكر عن عاصم ومن خزي يومئذ بفتح الميم ههنا وعذاب يومئذ في المعارج والباقون بكسر الميم على الإضافة وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب الا ان ثمود غير منون في جميع القرآن وقرأ الباقون ثموداً بالتنوين ههنا وفي الفرقان والعنكبوت والنجم لأنه مكتوب

بالألف في هذه المواضع وابو بكر عن عاصم يقرأ وثمود في والنجم بغير تنوين وينون الباقي وروى عنه البرجمي ومحمد بن غالب عن الأعشى في والنجم بالتنوين ايضا وقرأ الكسائي وحده ألا بعدا لثمود بالجر والتنوين والباقون لثمود بفتح الدال

—(الحجة)—

قال ابو علي قوله ومن خزي يومئذ يوم في قوله يومئذ ظرف فتحت او كسرت في المعنى إلا انه اتسع فيه فجعل اسماً كما اتسع في قوله بل مكر الليل والنهار فأضيف المكر اليهما وإنما هو فيهما فكذلك العذاب والخزي والفزع في قوله من فزع يومئذ اضفن إلى اليوم والمعنى على ان ذلك كله في اليوم كما ان المكر في الليل والنهار يدلك على ذلك قوله ولعذاب الآخرة أخزى وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقوله ففزع من في السموات ومن في الارض وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته واما من كسر الميم من يومئذ فلأن يوما اسم معرب فأضيف اليه ما أضيف من العذاب والخزي والفزع فانجر بالاضافة ولم يفتح اليوم فتبنيه لإضافته إلى المبني لأن المضاف منفصل من المضاف اليه ولايلزمه الإضافة فلما لم يلزم الاضافة المضاف لم يلزم فيه البناء يدلك على ذلك انك تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه إلا الاعراب وإن كان الاسمان جعلا بمعنى الحرف فلم يلزمها البناء كما يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو اين و كيف ومتى فلما لم يبن المضاف للاضافة وإن كان قد عمل عمل الحرف من حيث كان غير لازم كذلك لم يبن يوم للاضافة الى اذ لأن اضافته لم تلزم كما لم يبن المضاف وإن كان قد عمل في المضاف اليه بمعنى اللام او بمعنى من لما لم تلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن خزي يومئذ ففتح مع انه في موضع جر فلأن المضاف يكتسي من المضاف اليه التعريف والتنكير ومعنى الاستفهام والجزاء في نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضربه والنفي في نحو قولهم ما اخذت باب دار احد فلما كان يكتسي من المضاف اليه هذه الاشياء اكتسى منه الاعراب والبناء ايضا اذا كان المضاف من الأسماء الشائعة نحو يوم وحين ومثل ويشبه بهذا الشياع الأسماء الشائعة المبنية نحو اين و كيف ولو كان المضاف مخصوصا نحو رجل وغلام لم يكتس منه البناء كما اكتسى منه الاسماء الشائعة فمما جاء من ذلك قوله

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألما اصح والشيب وازع

ومن ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل في موضع رفع في قول سيبويه وقد جرى وصفاً على النكرة إلا انه فتح للإضافة إلى ما ومن ذلك قول الشاعر

وتداعى منخراه بدم ... مثل ما أثمر حماض الجبل

لما اضاف مثل إلى المبني وكان اسما شائعا بناه ولم يعربه وذهب ابو عثمان إلى انه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم واحد فبني مثلا على الفتح ولا دلالة قاطعة على هذا القول في هذا البيت وإن كان ما ذهب اليه مستقيما فاما الكسرة في إذ فلالتقاء الساكنين وذلك ان إذ من حكمها أن تضاف الى الجملة من الابتداء والخبر فلما اقتطعت عنها الاضافة نونت ليدل التنوين على ان المضاف اليه قد حذف فكسرت الذال لسكونها وسكون التنوين وقال في صرف ثمود وترك صرفه ان هذه الأسماء التي تجري على القبائل والاحياء على ضروب ❊ احدها ❊ أن يكون اسما للحي والاب ❊ والآخر ❊ ان يكون اسما للقبيلة ❊ والثالث ❊ ان يكون الغالب عليه الأب والحي والقبيلة ❊ والرابع ❊ أن يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا يكون لأحد الوجهين مزية على الآخر في الكثرة فمما جاء على انه اسم الحي قولهم ثقيف وقريش و كل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جاء اسما للقبيلة فنحو تميم قالوا تميم بنت مر قال سيبويه سمعناهم يقولون قيس ابنة غيلان وتميم صاحبة ذلك وقالوا تغلب ابنة وائل قال

لولا فوارس تغلب ابنة وائل نزل العدو عليك كل مكان

واماما غلب عليه اسم الحي او القبيلة فقد قالوا باهلة بن اعصر وقالوا يعصر وباهلة اسم امرأة قال سيبويه ولكنه جعل اسم الحي ومجوس لم يجعل إلا اسم القبيلة وتميم اكثرهم يجعله اسم القبيلة ومنهم من يجعله اسم الأب فأما ما استوى فيه ان يكون اسما للقبيلة وان يكون اسما للحي فقال سيبويه هو ثمود وسبأ فهما مرة للقبيلتين ومرة للحيين وكثرتها سواء قال وعاداً وثمودا وقال الا ان ثمودا كفروا ربهم وقال وآتينا ثمود الناقة فإذا استوى في ثمود ان يكون مرة للقبيلة ومرة للحي فلم يكن لحمله على أحد الوجهين مزية في الكثرة فمن صرف في جميع المواضع كان حسناً ومن لم يصرف في جميع المواضع كان حسناً وكذلك ان صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر إلا انه لا ينبغي أن يخرج عما قرأت به القراء فإن القراءة سنة متبعة ومن ذلك قول الشاعر

كسا الله حي تغلب ابنة وائل من اللؤم اظفارا بطيئا نصولها

فقال حي ثم قال ابنة وائل فجمع بين الحي والقبيلة وأما قوله ·

أولئك اولى من يهود لمدحة إذا انت يوماً قلتها لم تؤنب

فقد قامت الدلالة على أن يهود استعملت على انها للقبيلة وليس للحي في قوله اولئك أولى من يهود لأن يهود لو كان للحي لصرف وانشد ابو الحسن

فرت يهود واسلمت جيرانها صمى لما فعلت يهود صمام

وكذلك جاء في الحديث تقسم يهود ومثل يهود في هذا مجوس في قول الشاعر «كنار مجوس تستعر استعارا» إلا ترى انه لو كان للحي دون القبيلة لانصرف

❋ اللغة ❋

الإنشاء إيجاد ابتداء من غير استعانة بشيء من الاسباب وانشأ فلان حديثا او شعرا والاستعمار جعل القادر يعمر الأرض كعمارة الدار ومنه العمرى في الفقه وهو أن يقول اعطيتك هذه الدار عمري او عمرك والمس واللمس بمعنى وفرق علي بن عيسى بينهما بأن المس قد يكون بين جمادين واللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الادراك والجثوم السقوط على الوجه وقيل هو القعود على الركبة وغني بالمكان إذا أقام به والمغنى المنزل قال النابغة

غنيت بذلك إذهم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد

وأصل الغنى الاكتفاء ومنه الغنى بالمال والغناء بالمد الصوت الذي يكتفى به والغناء الاكتفاء بحال الشيء ومنه غني بالمكان لاكتفائه بالإقامة فيه

❋ الإعراب ❋

أرأيتم لا مفعول له ههنا لأنه معلق كما يعلق إذا دخل الجملة لام الابتداء في مثل قوله قد رأيت لزيد خير منك فكذلك الجزاء وجواب ان الأولى الفاء وجواب ان الثانية محذوف وتقديره ان عصيته فمن ينصرني إلا انه استغنى بالأول فلم يظهر ومن ينصرني صورته صورة الاستفهام ومعناه النفي فكأنه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته وإنما جاز الفاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انفردت عن غيرها وهو يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها وقوله فيأخذكم جواب النهي بالفاء ولذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم مسها بسوء فإن يأخذكم عذاب قريب أي فاخذ عذاب عاجل اياكم وايام أصله ايوام قلبت الواو ياء وادغمت الياء الأولى فيها

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح فقال (وإلى ثمود أخاهم صالحا) وكان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن عن الجبائي (فقال لهم) صالح (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) مضى تفسيره (هو انشأكم من الارض) أي ابتدأ خلقكم من الارض لأنه خلق آدم من الأرض ومرجع نسبكم اليه (واستعمركم فيها) أي جعلكم عمار الارض بأن مكنكم من عمارتها وأحوجكم إلى السكنى فيها وقيل معناه واعمرها لكم مدة اعماركم من العمرى عن مجاهد وقيل معناه وأطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم من ألف سنة الى ثلاثمائة ستة وقيل معناه امركم من عمارتها بما تحتاجون اليه من المساكن والزراعات وغرس الأشجار وفي هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لأنه سبحانه امتن على عباده بأن مكنهم من عمارة الارض ولو كان ذلك محرما لم يكن لذلك وجه (فاستغفروه ثم توبوا اليه) اي فاستغفروه من الشرك والذنوب ثم دوموا على التوبة (إن ربي قريب) برحمته لمن وحده (مجيب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الأحوال الجميلة قبل هذا القول فالآن يئسنا منك ومن خيرك بإبداعك ما أبدعت وقيل معناه كنا نرجوك ونظنك عونا لنا على ديننا (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) استفهام معناه الانكار كأنهم أنكروا أن ينهى الانسان عن عبادة ما عبده آباؤه (وإننا لفي شك مما تدعونا اليه) من الدين (مريب) موجب للريبة والتهمة إذ لم يكن آباؤنا في جهالة وضلالة (قال) صالح لهم (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) مر بيانه فيما قبل (وآتاني منه رحمة) اي وأعطاني الله منه نعمة وهي النبوة (فمن ينصرني من الله ان عصيته) أي فمن يمنع عذاب الله عني ان عصيته مع نعمته عليّ (فما تزيدونني غير تخسير) أي ما تزيدونني بقولكم أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا غير نسبتي إياكم إلى الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير قال ابن الاعرابي يريد غير تخسير لكم لا لي وقال ابن عباس ما تزيدونني إلا بصيرة في خسارتكم وقيل معناه ان أجبتكم إلى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أشار الى ناقته التي جعلها الله معجزته لأنه سبحانه أخرجها لهم من جوف صخرة يشاهدونها على تلك الصفة وخرجت كما طلبوه وهي حامل وكانت تشرب يوما جميع الماء فتنفرد به ولا ترد الماء معها دابة فإذا كان يوم لا ترد فيه وردت الواردة كلها الماء وهذا اعظم آية ومعجزة وانتصب آية على الحال من ناقة الله فكأنه قال انتبهوا اليها في هذه الحال والمعنى ان شككتم في نبوتي فهذه الناقة معجزة لي وأضافها الى الله تشريفا لها كما يقال بيت الله (فذروها تأكل في أرض الله) أي فاتركوها في حال أكلها فتكون تأكل في أرض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز أن يكون مرفوعا على الاستئناف والمعنى فإنها تأكل في أرض الله من العشب والنبات (ولا تمسوها) أي لا تصيبوها (بسوء) قتل اوجرح او غيره (فيأخذكم) ان فعلتم ذلك (عذاب قريب) اي عاجل فيهلككم (فعقروها) اي عقرها بعضهم ورضي به البعض وانما عقرها احمر ثمود وضربت به العرب المثل في الشؤم (فقال) صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) اي تلذذوا بما تريدون من المدركات الحسنة من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس في بلادكم ثلاثة أيام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك ويقال للبلاد دار لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار اهلها ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مضر وقيل في داركم يعني دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا في داركم عيشوا في بلدكم وعبر عن الحياة بالتمتع لأن الحي يكون متمتعا بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل ورغا ثلاث مرات فقال

صالح لكل رغوة اجل يوم فاصفرت الوانهم أول يوم ثم احمرت في الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله (ذلك وعد غير مكذوب) أي ان ما وعدتكم به من العذاب ونزوله بعد ثلاثة أيام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات فهؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم ان يبعث لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من مائها يوم غبها فعتوا عن أمر ربهم فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان وعدا من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلا كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى يقال له ابو رغال قيل له يا رسول الله من ابو رغال قال ابو ثقيف (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) مر تفسيره في قصة عاد (ومن خزي يومئذ) قال ابن الانباري هذا معطوف على محذوف تقديره نجيناهم من العذاب ومن خزي يومئذ اي من الخزي الذي لزمهم ذلك اليوم والخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحيي من مثله (ان ربك هو القوي) اي القادر على ما يشاء (العزيز) الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يمنع عما أراده (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) قيل ان الله سبحانه أمر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا عندها ويجوز ان يكون الله تعالى خلق تلك الصيحة التي ماتوا عندها (فأصبحوا في ديارهم) اي منازلهم (جاثمين) اي ميتين واقعين على وجوههم ويقال جاثمين اي قاعدين على ركبهم وإنما قال فأصبحوا لأن العذاب أخذهم عند الصباح وقيل أتتهم الصيحة ليلا فأصبحوا على هذه الصفة والعرب تقول عند الامر العظيم واسوء صباحاه (كأن لم يغنوا فيها) اي كأن لم يكونوا في منازلهم قط لانقطاع آثارهم بالهلاك إلا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزي الذي نزل بهم (الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود) قد سبق تفسيره

قوله تعالى (٦٩) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٧٠) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧١) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧٢) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٣) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٥) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٦) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ

سبع آيات عند البصريين ثمان عند غيرهم لم يعد البصري في قوم لوط آية

القراءة

قرأ حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين وسكون اللام هنا وفي الذاريات وقرأ الباقون قال سلام وقرأ يعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرأ الباقون ويعقوب بالرفع وفي الشواذ قراءة الاعمش وهذا بعلي شيخ بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اخبر ابو اسحاق عن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء منهـا مصدر سلمت والسلام شجر قال الإسلام وحرمل والسلام جمع سلامة والسلام اسم مـن اسماء الله تعالى وقوله دار السلام يحتمل أن يكون مضافة الى الله تعظيما لها ويحتمل أن يكون دار السلامة من العقاب فمن حصل فيها كان عـلى خلاف من وصف بقوله ويأتيه الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاما فلأنه لم يحك شيئا تكلموا به فيحكي كما يحكي الجمل ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القائل إذا قال لا إله إلا الله فقلت حقا او قلت اخلاصا أعملت القول في المصدرين لأنك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكى فكذلك نصب سلاما في قوله قالوا سلاماً لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس المقول بعينه فأمـا قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً قال سيبويـه زعم ابو الخطاب ان مثله يريد مثل قولك سبحان الله الذي تفسيره براءة الله من السوء وقولك للرجل سلاما تريد مسلما منك لا ابتلي بشيء من امرك فعـلى هذا المعنى وجه ما في الآية قال وزعم ان قول أمية

سلامك ربنـا في كل فجر   بريا ما يعيبك الذمـوم

على قوله برئك ربنا من كل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوع لأنه من جملة الجملة المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف مـن قوله فصبر جميل أي صبر جميل امثل او يكون المعنى أمري سلام وشأني سلام كما ان قوله فصبر جميل يصلح ان يكون المحذوف منـه المبتدأ ومثل ذلك قوله فاصفح عنهم وقل سلام على حذف المبتدأ الذي سلام خبره وا كثر ما يستعمل سلام بغير ألف ولام وذلك لأنه في معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك ولما كان في معنى المنصوب استجيز فيه الابتداء بالنكرة فمن ذلك قوله قال سلام عليك سأستغفرلك ربي وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم وسلام عـلى عباده الذين اصطفى وقد جاء بالألف واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام علي يوم ولدت وزعم ابو الحسن ان في العرب مـن يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين ألحقوا الألف واللام حملوه على المعهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير المعهود وزعم ان منهم من يقول سلام عليكم فلا ينون وحمل ذلك على وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل من نحو قولك لم يك ولا ادر ويوم يأت ﴿ والآخر ﴾ انه لما كثر استعمال هذه الكلمة وفيه الألف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال كما حـذفا من اللهم فقالوا «لاهم ان عامر الفجور * قد حبس الخيل على يعمور» واما من قال سلم فإن سلما يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم ويكون سلم في الآية بمعنى سلام كقولهم حـل وحلال وحرم وحرام فيكون على هذا قراءة من قرأ سلام وسلم بمعنى واحد وإن اختلف اللفظان ﴿ والآخر ﴾ أن يكون سلم خلاف العدو والحرب لأنهم لما كفوا عن تناول ما قدمه اليهم فنكرهم وأوجس الخيفة منهم قال انا سلم ولست بحرب ولا عدو فلا تمتنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدو ومن قرأ ومن وراء اسحاق يعقوب بالرفع كان رفعه بالابتداء او بالظرف في قول من رفع به ومـن فتح فقال يعقوب احتمل ثلاثة اضرب ﴿ احدها ﴾ أن يكون يعقوب في موضع جر أي فبشرناها باسحاق ويعقوب قال

ابو الحسن وهذا اقوى لأنها بشرت بها قال وفي اعمالها ضعف لأنك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف * والآخر * أن تحمله على موضع الجار والمجرور كقوله «اذا ما تلاقينا من اليوم او غداً» و كقراءة من قرأ وحورا عيناً بعد يطاف عليهم بكذا ومثله «ولسنا بالجبال ولا الحديدا» * والثالث * أن يحمل على فعل مضمر كأنه قال فبشرناها باسحاق ووهبنا له يعقوب فأما الأول فقد نص سيبويه على قبح مثله نحو مررت بزيد اول من أمس وأمس عمرو وكذلك قال ابو الحسن لو قلت مررت بزيد اليوم وأمس عمرو لم يحسن واما الحمل على الموضع على حد مررت بزيد وعمرو فالفصل فيه ايضا قبيح كما قبح الحمل على الجر وذلك ان الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول به كما يصل بحرف الجر ولو قال مررت بزيد قائما يجعل الحال من المجرور لم يجز التقديم عند سيبويه لأن الجار هو الموصل للفعل فكما قبح التقديم عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار في انه يشرك في الفعل كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعا وإذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف في العطف على الموضع وقبح ايضا الفصل في الرفع والنصب كما قبح في الجر لأن العاطف فيهما مثله في الجار وليس العامل في نفس الرافع والناصب كما ان العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجار إنما يشركه فيه العاطف وقد جاء ذلك في الشعر قال الأعشى

يوما تراها كشبه اردية الخمـ س ويوما أديمها نغلا

ففصل بالظرف بين المشترك في النصب وما اشركه فيه فإذا قبح الفصل في الحمل على الموضع كما قبح الفصل في الحمل على الجار فينبغي أن يحمل قراءة من قرأ يعقوب بالنصب على فعل آخر مضمر يدل عليه بشرنا كما تقدم ولا يحمل على الوجهين الآخرين واما الرفع في قوله شيخ ففيه وجوه * احدها * ان يكون بعلي خبر المبتدأ وشيخ بدل من بعلي فيكون كأنه قال هذا شيخ * والآخر * ان يكون شيخ خبر مبتدأ محذوف ويكون هذا بعلي كلاما تاما يحسن الوقف عليه و * الثالث * ان يكون بعلي بدلا من هذا وشيخ هو الخبر فيكون تقديره بعلي شيخ و * الرابع * ان يكون بعلي وشيخ جميعا خبرا عن هذا كقولك هذا حلو حامض اي قد جمع الحلاوة والحموضة فكذلك ههنا تقديره هذا جمع البعولة والشيخوخة قال ابن جني وهنا وجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائي وذلك انه يعتقد في خبر المبتدأ أبدا ان فيه ضميرا وإن لم يكن مشتقا من الفعل نحو زيد أخوك وهو يريد النسب فإذا كان كذلك فقياس مذهبه ان يكون شيخ بدلا من الضمير في بعلي لأنه خبر عن هذا

* اللغة *

العجل ولد البقرة والعجول لغة فيه وجمعه العجاجيل وسمي بذلك لتعجيل أمره بقرب ميلاده والحنيذ المشوي وهو المحنوذ فعيل بمعنى مفعول يقال حنذه يحنذه حنذا قال العجاج «ورهباً من حنذه أن تهرجا» يعني الحمر الوحشية قال الزجاج الحنيذ المشوي بالحجارة وقيل الحنيذ المشوي حتى يقطر والعرب تقول احنذ هذا الفرس أي احمل عليه الجبل حتى يقطر عرقا وقيل الحنيذ المشوي فقط وقيل هو السميط ويقال نكرته وانكرته بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغة وهي لغة هذيل والحجاز وانكرته لغة تميم قال الاعشى وجمع بين اللغتين

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وقال ابو ذويب

فنكرنه فنفرن فامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع

والايجاس الاحساس واوجس وتوجس أي أحس قال ذو الرمة

وقد توجس ركزا مغفر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

ويقال أوجس خوفا أي أضمروا لبعل الزوج وأصله القائم بالأمر يقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الأنهار والعيون بعل لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له ومنه قيل للرب والصاحب بعل والعجب يجري على المصدر وعلى المتعجب منه تقول هذا أمر عجب ولا يجوز العجب من أمر الله تعالى لأنه يجب ان يعلم انه قادر على كل شيء من الأجناس لا يعجزه شيء وما عرف سببه لا يتعجب منه والمجيد الكريم يقال مجد الرجل يمجد مجادة إذا كرم قال الشاعر

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطراف على العلياء بالعمد

والروع الافزاع يقال راعه يروعه إذا افزعه قال عنترة

ما راعني إلا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الخمخم

وارتاع ارتياعا إذا خاف والروع بضم الراء النفس يقال القي في روعي أي في نفسي وسميت بذلك لأنها موضع الروع والرد والدفع واحد ونقيضه الأخذ والفرق بين الرد والدفع ان الدفع قد يكون إلى جهة القدام والخلف والرد لا يكون إلا إلى جهة الخلف

--« الاعراب »--

فما لبث ان جاء اي ما أقام حتى جاء بعجل وان جاء في موضع نصب بوقوع لبث عليه كأنه قال فما أبطأ عن مجيئه بعجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال الفراء ويحتمل يكون موضعه رفعا بأن نجعل ان جاء فاعل لبث فكأنك قلت فما لبث مجيئه بعجل والف ياويلتي يحتمل ان يكون الف ندبة ويحتمل أن يكون ياء الإضافة فانقلبت الفا ومعناه الايذان بورود الأمر العظيم كما تقول العرب يا للدواهي أي تعالى فإنه من احيانك لحضور ما حضر من اشكالك ويجوز الوقف عليه بغير هاء والاختيار في الكلام ان يوقف عليه بالهاء يا ويلتاه قال الزجاج اما المصحف فلا يخالف ولا يوقف عليه فإن اضطر واقف إلى أن يقف وقف عليه بغير هاء بالاختيار واما الهمزتان في قوله أألد ففيه ثلاثة أوجه إن شئت خففت الأولى وحققت الثانية فقلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققت الاولى وخففت الثانية وهو الاختيار فقلت يا ويلتي أآلد وإن شئت حققتهما جميعا فقلت أألد وشيخا منصوب على الحال قال الزجاج الحال هاهنا نصبها من لطيف النحو وذلك انك إذا قلت هذا زيد قائما فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيدا انه زيد لم يجز أن تقول هذا زيد قائما لأنه يكون زيدا ما دام قائما فإذا زال عن القيام فليس بزيد وإنما تقول للذي يعرف زيداً هذا زيد قائما فيعمل في الحال التنبيه والمعنى انتبه لزيد في حال قيامه او اشير لك الى زيد في حال قيامه لأن هذا إشارة الى ما حضر وقال غيره إن شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه وإن شئت جعلت العامل فيه معنى الإشارة وان شئت اعملت فيه مجموعهما وكذا ما جرى مجراه تقول هذا زيد مقبلا ولا يجوز مقبلا هذا زيد لأن العامل ليس بفعل محض فإن قلت ها مقبلا ذا زيد وجعلت العامل معنى الإشارة

لم يجز وإن جعلت العامل معنى التنبيه جاز. يجادلنا في موضع نصب لأنه حكاية حال قد مضت وإلا فالجيد ان تقول لما قام قمت ويضعف ان تقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما محذوفا لدلالة الكلام عليه ويكون تقديره قلنا ان ابراهيم لحليم او ناديناه يا ابراهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره أخذ يجادلنا واقبل يجادلنا ويجوز أن يكون لما كان شرطا للماضي وقع المستقبل فيه في معنى الماضي كما أنَّ أنْ لما كان شرطا للمستقبل وقع الماضي فيه في معنى المستقبل

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم ولوط فقال سبحانه (ولقد جاءت رسلنا) يعني الملائكة وانما دخلت اللام لتأكيد الخبر ومعنى قد ههنا ان السامع لقصص الأنبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع فجاءت لتؤذن ان السامع في حال توقع واختلف في عدد الرسل فقيل كانوا ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن ابي عبد الله «ع» قال والرابع اسمه كروبيل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك وقيل احد عشر عن السدي وكانوا على صور الغلمان أتوا (ابراهيم) الخليل «ع» (بالبشرى) اي بالبشارة باسحاق ونبوته وانه يولد له يعقوب عن الحسن والسدي والجبائي وروي عن ابي جعفر «ع» ان هذه البشارة كانت باسماعيل «ع» من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) هذه حكاية ما قال رسل الله تعالى لابراهيم «ع» اي سلمنا سلاما بمعنى الدعاء له وقيل معناه أصبت سلاما اذا اعطاك الله سلاما اي سلامة كما يقال أهلا ومرحبا وكان تحية من الملائكة لابراهيم «ع» (قال) ابراهيم مجيبا لهم (سلام) وقد مر تفسيره (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) اي لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الأضياف وتقديم الطعام اليهم بعجل مشوي لأنه توهم انهم اضياف لكونهم على صورة البشر وكان ابراهيم يحب الضيفان فجاؤوه على احسن الوجوه اليه وصار لذلك من السنة أن يعجل للضيف الطعام وقيل ان معنى حنيذ نضيج بالحجارة المحماة في خد من الارض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل ان الحنيذ ما حفرت له في الارض ثم غممته وهو فعل أهل البادية عن الفراء وقيل حنيذ مشوي يقطر ماؤه عن ابن عطية (فلما رأى) ابراهيم (ايديهم) يعني ايدي الملائكة (لا تصل اليه) اي الى العجل (نكرهم) اي انكرهم (وأوجس منهم خيفة) اي اضمر منهم خوفا واختلف في سبب الخوف فقيل انه لما رآهم شبانا اقوياء وكان ينزل طرفا من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يأمن ان يكون ذلك لبلاء وذلك ان اهل ذلك الزمان إذا أكل بعضهم طعام بعض أمنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا اي أثبت الحرمة بيننا بأكله الطعام وقيل انه ظنهم لصوصا يريدون به سوءا وقيل انه ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤوا لأمر عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى (قالوا) له (لا تخف) يا ابراهيم (إنا ارسلنا الى قوم لوط) بالعذاب والإهلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فأحيا العجل الذي كان ذبحه ابراهيم وشواه فطفر ورعى فعلم حينئذ انهم رسل الله (وامرأته) سارة بنت هاران بن ياحور بن ساروع بن ارعوى بن فالغ وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم عن وهب وقيل انها كانت بنت خالته وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تصلي وكان ابراهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود وامرأته قائمة وهو جالس (فضحكت) قيل هو الضحك المعروف

الذي يعتري الانسان للفرح وقد يكون للتعجب فضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن قتادة وقيل تعجبا من امتناعهم عن الأكل وخدمتها إياهم بنفسها ولهذا يقال «وشر الشدائد ما يضحك» وقالت عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يتناولون من طعامنا وقيل ضحكت لأنها قالت لابراهيم اضمم لوطا ابن اختك اليك فإني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت عن الزجاج وقيل تعجبا وسروراً من البشارة باسحاق لأنها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان وتسعين سنة او تسع وتسعين سنة وكان قد شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يرزق لها ولد في حال شبابها وعلى هذا فيكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره فبشرناها باسحاق ويعقوب فضحكت بعد البشارة وروي ذلك عن ابي جعفر «ع» (فبشرناها باسحاق) اي بابن يسمى اسحاق نبيا (ومن وراء اسحاق يعقوب) يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وقيل الوراء ولد الولد عن ابن عباس اي فبشرناها بنبي بين نبيين وهو اسحاق ابوه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وروي عن الصادق «ع» ايضا يقال ضحكت الارنب أي حاضت والضحك بفتح الضاد الحيض وفي لغة ابي الحرث بن كعب ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع او البسر والضحك الطلع وأنشد بعضهم في الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر

وضحك الأرانب فوق الصفا   كمثل دم الجوف يوم اللقا

قال الفراء ولم اسمعه من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق الكناية قال الكميت

فأضحكت السباع سيوف سعد   لقتلى ما دفنّ ولا ودينا

(قالت) سارة (يا ويلتى أألد وانا عجوز) أي هذا شيءٌ عجيب ان ألد وقد شخت من زوج شيخ ولم تشك في قدرة الله تعالى ولكن إنما قالت ذلك لكونه خارجا عن العادة كما ولى موسى مدبراً حين انقلبت عصاه حية حتى قيل له اقبل ولا تخف وإلا فهي كانت عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك ولم ترد بقولها يا ويلتى الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجري على افواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه وقيل انها لم تتعجب من قدرة الله ولكنها أرادت أن تعرف هل تتحول شابة أم تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب (وهذا بعلي شيخا) اي هذا الذي تعرفونه بعلي وهو شيخ (إن هذا) الذي بشرت به (لشيءٌ عجيب قالوا) اي قالت الملائكة لها حين تعجبت من أن تلد بعد الكبر (أتعجبين من أمر الله) ومعنى الاستفهام ههنا التنبيه والتوقيف أي أتعجبين من ان يفعل الله تعالى ذلك بك ولزوجك (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي ليس هذا موضع تعجب لأن التعجب إنما يكون من الأمر الذى لا يعرف سببه ونعمة الله تعالى وكثرة خيراته النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكون اخباراً عن ثبوت ذلك لهم وتذكيرا بنعمة الله وبركاته عليهم ويحتمل أن يكون دعاءلهم بالرحمة والبركة من الملائكة فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل البيت كما يقال أتتعجب من كذا بارك الله فيك ويرحمك الله ويعني بأهل البيت أهل بيت ابراهيم «ع» وإنما جعلت سارة من أهل بيته لأنها كانت ابنة عمه ولا دلالة في الآية على ان زوجة الرجل من أهل بيته على ما قاله الجبائي وروي ان امير المؤمنين «ع» مر بقوم فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ومغفرته ورضوانه فقال «ع» لهم لا تجاوزوا بنا ماقالت الملائكة لأبينا ابراهيم «ع» رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (انه حميد) أي محمود على افعاله وقيل الحميد الذي يحمد عباده على الطاعات (مجيد) اي كريم وهو المبتدىء بالعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والنعمة عن ابي مسلم وروي ان سارة قالت لجبرئيل «ع» ما آية ذلك فأخذ بيده عوداً يابسا فلواه بين اصابعه فاهتز اخضر عن السدي (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أي الخوف والفزع الذي دخله من الرسل (وجاءته البشرى) بالولد (يجادلنا في قوم لوط) اي يجادل رسلنا ويسائلهم في قوم لوط وتلك المجادلة انه

قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونهم قالوا لا قال فأربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه وأهله عن قتادة وقيل انه جادلهم وقال بأي شيء استحقوا عذاب الاستئصال وهل ذلك واقع لا محالة أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة بأي شيء يهلكون وكيف يجيء الله المؤمنين عن الجاني ولما سألهم سؤال مستقص سمي ذلك السؤال جدالا لأنه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض (إن ابراهيم لحليم أواه) مر معناه في سورة براءة (منيب) راجع إلى الله تعالى في جميع اموره متوكل عليه وفي هذا اشارة إلى أن تلك المجادلة من ابراهيم (ع) لم تكن من باب ما يكره لأنه مدحه بالحلم وبأن ذلك كان في أمر يتعلق بالرحمة ورقة القلب والرأفة وذلك لأنه رأى الخلق الكثير في النار فتأوه لهم (يا ابراهيم اعرض عن هذا) هو حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم (ع) فإنها نادته بأن قالت يا ابراهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدال في قوم لوط وانصرف عنه بالذكر والفكر (انه قد جاء أمر ربك) بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) يعني غير مدفوع عنهم اي لايقدر أحد على رده عنهم

قوله تعالى (٧٧) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٨) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٩) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٨٠) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨١) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ سبع آيات بلا خلاف وتمام الآية السادسة عند المدني الأخير قوله سجيل وعند الباقين قوله منضود

(القراءة)

في الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن اطهرلكم بالنصب والقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة شيبة أوأوي بالنصب والقراءة العامة بالرفع وقرأ اهل الحجاز فاسر بأهلك وان اسر موصولة الهمز والباقون فاسر وان اسر بقطع الهمزة حيث كان وقرأ ابن كثير وابو عمرو إلا امرأتك بالرفع والباقون بالنصب

— الحجة —

أما قوله هن اطهر لكم فإن سيبويه ضعف هذه القراءة وقال فيها احتبى ابن مروان في لحنه قال ابن جني وإنما صح ذلك عنده لأنه ذهب إلى انه جعل هن فصلا وليست بين احد الجزأين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيداً هو خيراً منك وكان زيد هو العالم ويجوز أن يكون بناتي هن جملة من مبتدأ وخبر في موضع الخبر لهؤلاء كقولك زيد اخوك هو وأن يكون اطهر حالا من هن او من بناتي والعامل فيه معنى الإشارة كقولك

هذا زيد هو قائما ومن قرأ أو آوى بالنصب فيكون تقديره لو أن لي بكم قوة أو آويا إلى ركن شديد ويكون منتصباً بإضمار أن وعليه بيت الكتاب

فلولا رجال من كرام اعزة وآل سبيع او اسوأك علقما

والتقدير او ان اسوءك فكأنه قال أو اياك مسألتي ومن قرأ فأمر بأهلك بإثبات الهمزة في اللفظ او بغير الهمزة فإن سرى واسرى معناهما سار ليلا قال النابغة

اسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد

ويروى سرت وقال امرؤ القيس

سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

وقال سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده ومن قرأ إلا امرأتك نصباً فإنه جعل الكلام قبله مستقلا بنفسه فنصب مع النفي كما ينصب مع الإيجاب والوجه الأقيس الرفع على البدل من احد لأن معنى ما أتاني احد إلا زيد ما اتاني إلا زيد فكما اتفقوا فيما اتاني إلا زيد على الرفع وكان ما أتاني احد إلا زيد بمنزلته وبمعناه اختاروا الرفع مع ذكر احد وما يقوي ذلك انهم في الكلام وأكثر الاستعمال يقولون ما جاءني إلا امرأة فيذكرون حملا على المعنى ولا يكادون يؤنثون ذلك إلا في الشعر كما في قول الشاعر «فمابقيت إلا الضلوع الجراشع» وقول ذي الرمة «وما بقيت إلا النحيزة والألواح والعصب» وزعموا أن في حرف عبد الله او ابي فأسير بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وليس فيه ولا يلتفت منكم احد وهذا يقوي قول من نصب

اللغة

اصل سيء بهم سوئ بهم من السوء فاسكنت الواو ونقلت كسرتها إلى السين ويقال سوءته فسيء كما يقال شغلته فشغل وسررته فسر والفرق بين السوء والقبيح أن السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والقبيح ما ليس للقادر عليه أن يفعله ويقال ضاق فلان بأمره ذرعاً إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصاً والعصيب الشديد في الشر خاصة واصله من الشد يقال عصبت الشيء أي شددته وعصبت فخذ الناقة لتدر وناقة عصوب ويوم عصيب وعصبصب كأنه التف على الناس بالشر أو يكون التف شره بعضه ببعض قال الشاعر

فإنك إن لم ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب

وقال عدي بن زيد

وكنت لزاز خصمك لم أعرد وقد سلكوك في يوم عصيب

وقال الراجز

يوم عصيب يعصب الأبطالا عصب القوي السلم الطوالا

والإهراع الإسراع في المشي قال مهلهل

فجاؤا يهرعون وهم اسارى تقودهم على رغم الأنوف

وقال صاحب العين الإهراع السوق الحثيث قال ابومسلم والقرآن بالسوق اشبه والركن معتمد البناء بعد الأساس وركنا الجبل جانباه قال الراجز

يأوي إلى ركن من الأركان في عدد طلس ومجدبان

والشدة تجمع يصعب معه التفكك وقد تكون الشدة نقبضا يعسر معه التحلل والقطع القطعة العظيمة تمضي من

الليل وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين والالتفات افتعال من اللفت وهو اللي يقال لفت فلانا عن رأيه أي صرفته وامرأة لفوت لها ولد من غير زوجها وكأنها تلفت إلى ولدها ومنه الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان إذا التفت التفت معا أي كان لا يلوي عنقه يمنة ويسرة والسجيل فارسي معرب اي سنك وكل حجارة وطين وقال ابو عبيدة هو الحجارة الشديدة وانشد لابن مقبل

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصي به الأبطال سجينا

وسجين وسجيل بمعنى واحد والعرب تعاقب بين النون واللام فقلبت النون هاهنا لاما وقيل انه مشتق من اسجلته اي اعطيته فتقديره انها من مثل العطية في الادرار وقيل انه من السجل وهو الدلو العظيمة فتقديره انها من مثل السجل في الإرسال وقيل انه من اسجلته إذا ارسلته وكأنها مرسلة عليهم وقيل انه من السجل وهو الكتاب فكأنها سجلت لهم والمراد كتب الله عليهم ان يعذبهم بها والمنضود من نضدت الشيء بعضه على بعض والمسومة من السيماء وهي العلامة ومنه السائمة وهي المرسلة في المرعى وذلك أن الإبل السائمة تختلط في المرعى فيجعل عليها السيماء لتمييزها

الإعراب

يهرعون اليه في موضع نصب على الحال. من قبل ومن بعد مبنيان على الضم فإذا اضيفا اعربا. لو أن لي بكم قوة جواب لو محذوف يدل الكلام عليه وتقديره لحلت بينهم وبينكم. انه مصيبها ما اصابهم الهاء في انه ضمير الشأن والحديث ومصيبها مبتدأ وما أصابهم موصول وصلة في موضع الرفع بكونه فاعل مصيبها وقد سد مسد خبر المبتدأ. من سجيل في موضع نصب بكونه صفة لحجارة أي كائنة من سجيل. مسومة صفة اخرى لحجارة ويجوز ان يكون نصبا على الحال من الضمير المستكن في منضود

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن اتيان الملائكة لوطا بعد خروجهم من عند ابراهيم «ع» وما جرى بينهم وبين قوم لوط فقال (ولما جاءت رسلنا لوطا) أي لما جاؤه في صفة الآدميين (سيء بهم) اي ساءه مجيئهم لأنه خاف عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) أي ضاق بمجيئهم ذرعه أي قلبه لما رأى لهم من جمال الصورة وحسن الشارة وقد دعوه إلى الضيافة وقومه كانوا يسارعون الى امثالهم بالفاحشة وقيل معناه ضاق بحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلا الى حفظهم وكان قد علم عادة قومه من الميل الى الذكور وقد أتوه في صورة الغلمان المرد واصله ان الشيء اذا ضاق ذرعه لم يتسع له ما اتسع فاستعار ضيق الذرع عند تعذر الامكان كما استعار الاتساع (وقال هذا يوم عصيب) اي هائل شديد كثير الشر التف الشر فيه بالشر وإنما قال ذلك لأنه لم يعلم أنهم رسل الله وخاف عليهم من قومه ان يفضحوهم وقال الصادق (ع) جاءت الملائكة لوطا وهو في ذراعة قرب القرية فسلموا عليه ورأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمائم بيض فقال لهم المنزل فتقدمهم ومشوا خلفه فقال في نفسه اي شيء صنعت آتي بهم قومي وانا اعرفهم فالتفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله وكان قد قال الله لجبرائيل لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات فقال جبرائيل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرائيل (ع) هذه اثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرائيل هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله فلما رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلما رأوا الدخان اقبلوا يهرعون فذلك قوله (وجاءه قومه يهرعون اليه) اي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل معناه يساقون وليس هناك سائق غيرهم فكأن بعضهم يسوق بعضا عن ابي مسلم والهاء في اليه كناية عن لوط (ومن قبل) اي ومن قبل اتيان

الملائكة وقيل ومن قبل مجيء قوم لوط الى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم إلى داره عن الجبائي وقيل إنه من قبل بعثة لوط اليهم (كانوا يعملون السيئات) اي يعملون الفواحش مع الذكور (قال) لوط (يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) معناه أن لوطا لما هموا بأضيافه وجاهروا بذلك فالقوا جلباب الحياء فيه عرض عليهم نكاح بناته وقال هن أحل لكم من الرجال فدعاهم إلى الحلال واختلف في ذلك فقيل أراد بناته لصلبه عن قتادة وقيل أراد النساء من أمته لأنهن كالبنات له فإن كل نبي ابو أمته وازواجه أمهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف ايضا في كيفية عرضهن فقيل بالتزويج وكان يجوز في شرعه تجويز المؤمنة من الكافر وكذا كان يجوز ايضا في مبتدأ الإسلام وقد زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنته من أبي العاص بن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك وقيل أراد التزويج بشرط الإيمان عن الزجاج وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم وقيل انهم كان لهم سيدان مطاعان فيهم فأراد أن يزوجهما بنتيه زعوراء ورتياء (فاتقوا الله) اي فاتقوا عقاب الله في مواقعة الذكور (ولا تخزون في ضيفي) اي لاتلزموني عارا ولا تلحقوا بي فضيحة ولا تخجلوني بالهجوم على اضيافي فإن الضيف إذا نزل به معرة لحق عارها للمضيف (اليس منكم رجل رشيد) أي اليس في جملتكم رجل قد أصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم ويجوز ان يكون رشيد بمعنى مرشد اي يرشدكم الى الحق (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق) هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته ودعاهم إلى النكاح المباح أي ما لنا في بناتك من حاجة لأن ما لا يكون للانسان فيه حاجة فإنه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق له فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لأنا لا نتزوجهن وكانوا يقرون بأن من لم يتزوج بامرأة فإنه لا حق له فيها عن الجبائي وابن اسحاق فالقول الأول محمول على المعنى والقول الثاني على ظاهر اللفظ (وانك لتعلم ما نريد) أي تعلم ميلنا إلى الغلمان دون النساء فلما لم يقبلوا الموعظة تأسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بأن (قال لو ان لي بكم قوة) أي منعة وقدرة وجماعة أتقوى بها عليكم فأدفعكم عن أضيافي (أو آوي إلى ركن شديد) او أنضم الى عشيرة منيعة تنصرني وشيعة تمنعني لدفعتكم ولكن لا يمكنني ان افعل ذلك قال الصادق عليه السلام فقال جبرئيل لو يعلم اي قوة له قال فكابروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبرئيل بأصبعه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قوله فطمسنا اعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط إلا في عز من عشيرته ومنعة من قومه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد وهو معونة الله تعالى ولما رأت الملائكة ما لقيه لوط من قومه (قالوا يا لوط إنا رسل ربك) ارسلنا لهلاكهم فلا تغتم (لن يصلوا اليك) اي لاينالونك بسوء ابداً (فاسر بأهلك) اي سر بأهلك ليلا وقال السدي لم يؤمن بلوط إلا ابنتاه (بقطع من الليل) اي في ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل بعد طائفة من الليل عن قتادة وقيل في نصف من الليل عن الجبائي (ولا يلتفت منكم أحد) قيل في معناه وجوه * احدها * لا ينظر احد منكم وراءه عن مجاهد كأنهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة * والثاني * لا يلتفت احد منكم إلى ماله ولا متاعه بالمدينة وليس معنى يلتفت من الرؤية عن الجبائي كأنه أراد في ان النظر اليهم عبرة فلم ينهوا عنها * والثالث * ان معناه ولا يتخلف منكم احد عن ابن عباس * والرابع * انه امرهم أن لا يلتفتوا إذا سمعوا الوجبة والهدة (إلا امرأتك) وقيل انها التفتت حين سمعت الوجبة فقالت يا قوماه فأصابها حجر فقتلها وقيل إلا امرأتك معناه لا تسر بها (انه مصيبها ما أصابهم) أي يصيبها من العذاب ما اصابهم امروه ان يخلفها في المدينة (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) لما اخبر الملائكة لوطا بأنهم يهلكون قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعة لضيق صدوره بهم وشدة غيظه عليهم فقالوا ان موعد اهلاكهم الصبح لم يجعل الصبح ظرفا وجعله خبر إن لأن الموعد هو الصبح وإنما قالوا له أليس الصبح بقريب تسلية له وقيل انه انما قال لهم اهلكوهم الساعة فقالوا

ذلك وفي هذا دلالة على ان الله سبحانه إنما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وإن ضاق صدر الغير به ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقات اهلاكهم لأن النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع (فلما جاء أمرنا) فيه اقوال ❊ احدها ❊ جاء امرنا الملائكة باهلاك قوم لوط ❊ والثاني ❊ جاء العذاب كأنه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر

فقالت له العينان سمعا وطاعة ، وحدرتا كالدر لما يثقب

وعلى هذا فالأمر هو نفس العذاب ❊ والثالث ❊ جاء امرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) اي قلبنا القرية اسفلها اعلاها فإن الله تعالى امر جبرائيل «ع» فأدخل جناحه تحت الأرض فرفعها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الأرض فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة فعلى هذا يكون معنى جعلنا جعل بأمرنا وإنما اضافه إلى نفسه لانه امره به (وأمطرنا عليهم حجارة) أي وأمطرنا على القرية أي على الغائبين منها حجارة عن الجبائي وقيل امطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرائيل وقيل إنما امطرت عليهم الحجارة بعد ان قلبت قريتهم تغليظا للعقوبة وقيل كانت اربع مدائن وهي المؤتفكات سدوم وعاموراء ودوما وصبوايم واعظمها سدوم وكان لوط يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر في الرحمة وامطر في العذاب (من سجيل) اي سنك كل عن ابن عباس وسعيد بن جبير يبين بذلك صلابتها ومباينتها للبرد وانها ليست من جنس ما جرت به عادتهم في سقوط البرد من الغيوم وقيل ان السجين الطين عن قتادة وعكرمة ويؤيده قوله ليرسل عليهم حجارة من طين وروي عن عكرمة ايضا انه بحر معلق في الهواء بين الأرض والسماء منه انزلت الحجارة وقال الضحاك هو الآجر وقال الفراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الارحاء وقال كان اصل الحجارة طينا فشددت عن الحسن وقيل ان السجيل سماء الدنيا عن ابن زيد فكانت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا (منضود) هو من صفة سجيل اي نضد بعضها على بعض حتى صار حجراً عن الربيع وقيل مصفوف في تتابع أي كان بعضها في جنب بعض عن قتادة وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس (مسومة) هي من صفة الحجارة اي معلمة جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب وقيل مطوقة بها نضخ من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل كان مكتوبا على كل حجرة منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سيماء لاتشا كل حجارة الأرض عن ابن جريج وقيل مختومة عن الحسن والسدي وقيل مشهورة (عند ربك) أي في علم ربك وقيل في خزائن ربك التي لايملكها غيره ولا يتصرف فيها احد إلا بأمره (وماهي من الظالمين ببعيد) اي وما تلك الحجارة من الظالمين من امتك يامحمد ببعيد أراد بذلك ارهاب قريش وقال قتادة ما اجار الله منها ظالما بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم لوط يريد انها لم تكن تخطئهم وذكر أن حجراً بقي معلقاً بين السماء والأرض اربعين يوماً يتوقع به رجلا من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فأصابه قال قتادة وكانوا اربعة آلاف الف

قوله تعالى (٨٤) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٥) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٦) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٧) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ

ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٩) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٩٠) وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩١) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٣) وَيَا قَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَٱرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٤) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٥) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ اثنتاعشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر اصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون اصلواتك بالواو على الجمع وفي الشواذ قراءة السلمي بعدت ثمود بضم العين

الحجة

أما بعد فيكون في الخير والشر ومصدره البعد وبعد في الشر خاصة ومصدره البعد ومنه ابعده الله فإنه منقول من بعد لأنه دعاء عليه وقراءة السلمي متفقة الفعل مع مصدره وإنما السؤال عن قراءة الجماعة الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود وطريق ذلك أن يكون البعد بمعنى اللعنة فيكون ابعده الله بمعنى لعنه الله ومنه قوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

اي المبعد فالإبعاد للشيء نقص له فقد التقى معنى بعُد مع معنى بعد من هنا

اللغة

الوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقل بآلة التعديل وإذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض والتوفيق من الصواب إلا انه اخص بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده وليس ذلك جنسا بعينه وإنما هو بحسب مايعلم الله تعالى وإنما لم يكن الموفق للطاعة إلا الله تعالى لأن احدا لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواه سبحانه والشقاق والمشاقة المباعدة بالعداوة إلى جانب المباينة وشقها والفقه فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد صار علما لضرب من علوم الدين وهو علم بمدلول الدلائل السمعية واصول الدين علم بمدلول الدلائل العقلية والرهط عشيرة الرجل وقومه واصله الشد والترهيط شدة الأكل ومنه الراهطاء جحر اليربوع لشدته وتوسيعه لينجي فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والأعز الأقوى الأمنع والأعز نقيض الأذل والظهري جعل الشيء وراء الظهر حتى ينساه ويقال لكل من لا يعبأ بامر قد جعل فلان هذا الأمر بظهر قال

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها

الإعراب

أو ان نفعل موضع ان نصب على معنى أو تأمرك ان نترك او ان نفعل في اموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما يعبد آباؤنا والتقدير اصلاتك تأمرك ان نترك عبادة آبائنا او فعل ما نشاء في اموالنا ولا يجوز أن يكون قوله ان نفعل معطوفاً على قوله ان نترك لأن المعنى يصير فاسداً وأوهنا بمنزلتها في قولك جالس الحسن او ابن سيرين وقوله ان يكن غنياً او فقيراً فالله اولى بهما ولم يقل به وموضع من في قوله من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له وجهان من الاعراب احدهما أن يكون معلقاً بقوله تعلمون فيكون استفهاماً وتقديره فسوف تعلمون من المخزي ومن الكاذب ويجوز أن يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذي هو كاذب ويكون معطوفاً على الماء من يخزيه أي ويخزي الذي هو كاذب والثاني أن يكون من في قوله من يأتيه بمعنى الذي ويكون من هو كاذب عطفا عليه وادخلوا هو في قوله من هو كاذب لأنهم لا يقولون من قائم ولا من قاعد وإنما يقولون من قام ومن يقوم ومن القائم ومن القاعد وقد ورد ذلك في الشعر قال الشاعر

من شارب مربح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوّار

كأن لم يغنوا فيها يحتمل أن يكون كأن مخففة من الثقيلة على أن يضمر فيها كما يضمر في ان من قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ويجوز أن يكون ان التي تنصب الفعل ويكون مع الفعل بمعنى المصدر

المعنى

ثم عطف سبحانه قصة شعيب على ما تقدمها من قصص الأنبياء عليهم السلام فقال (وإلى مدين) اي وارسلنا إلى اهل مدين (أخاهم شعيبا) فحذف اهل واقام مدين مقامه ومدين اسم القبيلة او المدينة التي كانوا فيها فلذلك لم ينصرف عن الزجاج وقيل مدين بن ابراهيم نسبوا اليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) قد سبق تفسيره (ولا تنقصوا المكيال والميزان) اي ولا تنقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل والوزن (إني أراكم بخير) اي برخص السعر والخصب عن ابن عباس والحسن والمعنى انه حذرهم الغلاء وهو زيادة السعر وزوال النعمة وحلول النقمة إن لم يتوبوا وقيل أراد بالخير المال وزينة الدنيا عن قتادة وابن زيد والضحاك والمعنى اني أراكم في كثرة الأموال وسعة الارزاق فلا حاجة بكم إلى نقصان الكيل والوزن (واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) وصف اليوم بالإحاطة بمعنى انه يحيط عذابه بجميع الكفار ولا يفلت منه احد منهم واراد يوم القيامة عن الجبائي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لأن اليوم محيط بعذابه بدلا من احاطته بنعمته وذلك اظهر في الوصف وأهول في النفس (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) اي اوفوا حقوق الناس في المكيلات والموزونات بالمكيال والميزان بالعدل (ولا تبخسوا الناس) اي ولا تنقصوا الناس (اشياءهم) اي اموالهم في معاملاتهم (ولا تعثوا في الارض مفسدين) اي ولا تسعوا بالفساد ولا تضربوا في الارض (بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين) البقية بمعنى الباقي اي ما أبقى الله تعالى لكم من الحلال بعد اتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف وشرط الايمان في كونه خيرا لهم لأنهم ان كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس وقيل معناه ابقاء الله النعيم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطفيف عن ابن جبير وقيل معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا لأنها يبقى ثوابها أبدا والدنيا تفنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا الآية وقيل بقية الله رزق الله عن الثوري (وما انا عليكم بحفيظ) اي وما انا بحافظ نعم الله تعالى عليكم ان يزيلها عنكم وإنما يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاء نعمه بطاعته وقيل معناه وما انا بحافظ لأعمالكم وانما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه وما انا بحافظ عليكم كيلكم ووزنكم حتى توفوا

الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي ان انهاكم عنه (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) انما قالوا ذاك لأن شعيبا (ع) كان كثير الصلاة و كان يقول اذا صلى ان الصلاة رادعة عن الشر ناهية عن الفحشاء والمنكر فقالوا أصلاتك التي تزعم انها تأمر بالخير وتنهى عن الشر أمرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه أدينك يأمرك بترك دين السلف عن الحسن وعطا وابي مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلاة لأنها من أجل أمور الدين و إنما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء (أوأن نفعل في أموالنا ما نشاء) معناه اصلاتك تأمرك بترك عبادة ما يعبد آباؤنا اوبترك فعل ما نشاء في أموالنا من البخس والتطفيف (إنك لأنت الحليم الرشيد) قيل انهم قالوا ذلك على وجه الهزؤ والتهكم وأرادوا به ضد ذلك اي السفيه الغاوي عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق اي انك أنت الحليم في قومك فلا يليق بك ان تخالفهم والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد (قال) شعيب (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) مر تفسيره (ورزقني منه رزقا حسنا) قيل ان الرزق الحسن ههنا النبوة وقيل معناه هداني لدينه ووسع علي رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله سبحانه فهو رزق حسن وفي الكلام حذف اي أفاعدل مع ذلك عما انا عليه من عبادته وإنما حذف لدلالة ما ابقاه على ما القاه (وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه) اي لست انهاكم عن شيء وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختاره لنفسي ومعنى ما أخالفكم اليه اي ما اقصده بخلافكم الى ارتكابه عن الزجاج وهذا في معنى قول الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقيل معناه وما أريد اجترار منفعة الى نفسي بما انهاكم عنه اي لا آمركم بترك التطفيف في الكيل والوزن لتكون منفعة ما يحصل بالتطفيف لي (إن أريد إلا الاصلاح) اي لست اريد بما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاح أموركم في دينكم ودنياكم (ما استطعت) اي ما قدرت عليه وتمكنت منه (ومـا توفيقي إلا بالله) معناه وليس توفيقي في امتثال ما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه إلا بالله فلا يوفق غيره اي وليس ما افعله بحولي وقوتي بل بمعونة الله ولطفه وتيسيره (عليه توكلت) والتوكل على الله الرضا بتدبيره مع تفويض الأمور اليه والتمسك بطاعته (واليه أنيب) اي واليه ارجع في المعاد عن مجاهد وقيل اليه ارجع بعملي ونيتي عن الحسن ومعناه انى اعمل اعمالي كلها لوجه الله (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي) اي لا يكسبنكم خلافي ومعاداتي (أن يصيبكم) عذاب العاجلة عن الزجاج وقيل معناه لا تحملنكم عداوتي على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما اصاب من قبلكم عن الحسن وكان سبب هذه العداوة دعاؤه لكم إلى مخالفة الآباء والأجداد في عبادة الأوثان وما يثقل عليهم من الايفاء في الكيل والميزان (مثل ما أصاب قوم نوح) من الهلاك بالغرق (او قوم هـود) بالريح العقيم (او قوم صالح) بالرجفة (وما قوم لوط منكم ببعيد) اي هم قريب منكم في الزمان الذي بينه وبينكم عن قتادة وقيل معناه ان دارهم قريبة مـن داركم فيجب أن تتعظوا بهم (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) أي اطلبوا المغفرة من الله ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضي واعزموا في المستقبل وقيل استغفروا ثم دوموا على التوبة وقيل استغفروا في العلانية ثم اضمروا الندامة في القلب عـن الماضي (إن ربي رحيم) بعباده فيقبل توبتهم ويعفو عن معاصيهم (ودود) اي محب لهم ومعناه مريد لمنافعهم وقيل معناه متودد الى عباده بكثرة انعامه عليهم وقيل ودود بمعنى الواد أي يودهم إذا أطاعوه وروي عن النبي ﷺ انه قال كان شعيب خطيب الأنبياء (قالوا) اي قال قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف (يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) اي ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيرا منه ولا نعمل به وهذا كقولك إذا امرك إنسان بشيء لا تريد ان تفعله لا اعلم ما تقول وانت تعلم ذلك اي لا افعله و إنما قالوا ذلك بعدما الزمهم الحجة (و إنا لنراك فينا ضعيفا) اي ضعيف البدن عن الجبائي وقيل ضعيف البصر عن سفيان وقيل اعمى وكان شعيب اعمى

عن قتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج وحمير تسمي المكفوف ضعيفا وهذا كما قيل ضرير أي قد ضر بذهاب بصره وكذلك قد ضعف بذهاب بصره وكف عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لأن قوله فينا يرده ألا ترى انه لو قيل إنا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى قد يكون اعمى فيهم وفي غيرهم وقيل ضعيفا اي مهينا عن الحسن واختلف في ان النبي ﷺ هل يجوز ان يكون اعمى فقيل لا يجوز لأن ذلك ينفر وقيل يجوز ان لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض (ولولا رهطك لرجمناك) اي لولا حرمة عشيرتك وقومك لقتلناك بالحجارة وقيل معناه لشتمناك وسببناك (وما انت علينا بعزيز) أي لم تدع قتلك لعزتك علينا ولكن لأجل قومك قال الحسن وكان شعيب في عز من قومه وكان من اشرافهم وما بعث نبي بعد لوط إلا في عز من قومه (قال) شعيب (يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله) اي أعشيرتي وقومي اعظم حرمة عندكم من الله فتتركون أذاي لأجل عشيرتي ولا تتركونه لله الذي بعثني اليكم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) اي اتخذتم الله وراء ظهوركم يعني نسيتموه فالهاء عائدة إلى الله عن ابن عباس والحسن وقيل الهاء عائدة إلى ما جاء به شعيب عن مجاهد والمعنى ونبذتم ما ارسلت به اليكم وراء ظهوركم وقيل الهاء عائدة إلى امر الله عن الزجاج أي نبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه (إن ربي بما تعملون محيط) اي محص لأعمالكم لا يفوته شيء منها وقيل معناه خبير بأعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) اي اعملوا على حالتكم هذه والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها من عمل وهذا تهديد في صورة الأمر وتقديره كأنكم إنما امرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والطغيان وفي هذا نهاية الخزي والهوان وقيل معناه اعملوا على ما يمكنكم اي اعملوا انتم على ما تقولون واعمل انا على ما اقول وقيل معناه اعملوا على ما انتم عليه من دينكم ونحوه قوله لكم دينكم ولي دين وفي هذا دلالة على انه آيس من قومه (إني عامل) على ما امرني ربي وقيل اني عامل على ما انا عليه من الانذار (سوف تعلمون) اينا المخطئ الجاني على نفسه وقيل معناه سوف يتبين لكم وتعلمون في عاقبة الامر (من يأتيه عذاب يخزيه) اي يهينه ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق وتقديره ومن هو كاذب يخزى بعذاب الله فحذف (وارتقبوا اني معكم رقيب) اي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب إني معكم منتظر حلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا العذاب واللعنة وانا انتظر الرحمة والثواب والنصرة عن ابن عباس وقيل معناه انتظروا مواعيد الشيطان وانا انتظر مواعيد الرحمن وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال ما احسن الصبر وانتظار الفرج اما سمعت قول العبد الصالح وارتقبوا إني معكم رقيب (ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) مضى تفسيره (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا (فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها) مضى تفسيره قبل (الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) الا بعدوا من رحمة الله بعدا كما بعدت ثمود وقيل الا هلاكا لهم كما هلكت ثمود وتقديره الا اهلكهم الله فبعدوا بعدا قال البلخي يجوز ان تكون الصيحة صيحة على الحقيقة كما روي ويجوز ان تكون ضربا من العذاب اهلكهم الله به واصطلمهم تقول العرب صاح الزمان بهم إذا هلكوا وقال امرؤ القيس

فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل

ومعنى صيح في حجراته اذهب واهلك قالوا وإنما شبه حالهم بحال ثمود خاصة لأنهم أهلكوا بالصيحة كما اهلكت ثمود بمثل ذلك مع الرجفة

قوله تعالى (٩٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٧) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٨) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ

وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (١٠٠) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠١) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠٢) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ثماني آيات

اللغة

يقال قدمت القوم اقدمهم قدما إذا مشيت أمامهم واتبعوك الازهري قدم يقدم وتقدم وقدم واقدم واستقدم بمعنى والورد ورود الماء الذي يورد والإبل الواردة والجمع اوراد والايراد إيجاب الورود في الماء او ما يقوم مقامه قال الشاعر

يرد المياه حضيرة ونفيضة ورد القطاة إذا اسمأل التبّع

وقال لبيد

فوردنا قبل فرّاط القطا إن من وردي تغليس النهل

واصل الورود الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال عنترة

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

والرفد العون على الأمر يقال رفده يرفده رفدا ورفدا بفتح الراء وكسرها قال الزجاج كل شيء جعلته عونا لشيء او اسندت به شيئا فقد رفدته به يقال عمدت الحائط واسندته وارفدته ورفدته بمعنى واحد ويقال رفده وارفده إذا اعطاه والاسم الرفد لأن العطاء عون المعطي والحصيد بمعنى المحصود والحصد قطع الزرع من الأصل وهذا زمن الحصاد بفتح الحاء وكسرها ويقال حصدهم بالسيف إذا قتلهم وتتبيب من تبت يده اي خسرت قال جرير

عرابة من بقية قوم لوط ألا تبا لما فعلوا تبابا

والفرق بين العذاب والألم ان العذاب استمرار الألم قال عبيد

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

المعنى

ثم عطف سبحانه قصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء فقال (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) اي بحججنا ومعجزاتنا الدالة على نبوته (وسلطان مبين) اي وحجة ظاهرة مخلصة من تلبيس وتمويه على اتم ما يمكن فيه والسلطان وإن كان في معنى الآيات فإنما عطفه عليها لأن الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها والسلطان حجة من جهة القوة العظيمة على المبطل وكل عالم له حجة يقهر بها شبهة من نازعه من اهل الباطل فله سلطان وقد قيل ان سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة والسلطان متى كان محقا حجة وجب اتباعه و إذا كان بخلافه لا يجب اتباعه قال الزجاج السلطان إنما سمي سلطانا لأنه حجة الله في أرضه واشتقاقه من السليط الذي يستضاء به (إلى فرعون وملأه) اي قومه وقيل اشراف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم (فاتبعوا امر فرعون) وتركوا امر الله تعالى (وما أمر فرعون برشيد) اي مرشد ومعناه ما هو بهاد لهم إلى رشد ولا قائد إلى خير فأمر فرعون كان

على ضد هذه الحال لأنه داع إلى الشر وصاد عن الخير وفي هـذا دلالة على أن لفظة الأمر مشتركة بين القول والفعل والمراد هاهنا وما فعل فرعون برشيد (يقدم قومه يوم القيامة) يعني ان فرعون يمشي بين يدي قومه يوم القيامة على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما كان يقدمهم في الدنيا يدعوهم إلى طريق النار و إنما قال (فأوردهم) على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لأن ما عطفه عليه من قوله يقدم قومه يوم القيامة يدل عليه عن الجبائي وقيل انه معطوف على قوله فاتبعوا امر فرعون (وبئس الورد المورود) اي بئس الماء الذي يردونه عطاش الاحياء نفوسهم (النار) إنما اطلق سبحانه على النار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه اهل الجنة من الأنهار والعيون وقيل معناه بئس المدخل المدخول فيه النار وقيل بئس الشيء الـذي يرده النار وقيل بئس النصيب المقسوم لهم النار و إنما اطلق لفظ بئس و إن كان عدلا حسنا لما فيه من البؤس والشدة (واتبعوا في هذه) يعني الحقوا في الدنيا (لعنة) وهي الغرق (ويوم القيامة) يعني ولعنة يوم القيامـة وهي عذاب الآخرة وقيل معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنة بإبعادهم من الرحمة واتبعهم الأنبياء والمؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة ويتبعهم الله اللعنة في القيامة حتى لا تفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم (بئس الرفد المرفود) أي بئس العطاء المعطى النار واللعنة و إنما سماه رفدا لأنه في مقابلة ما يعطى اهل الجنة من انواع النعيم وقال قتادة ترافدت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله بئس الرفد المرفود قال هو اللعنة بعد اللعنة وقال الضحاك اللعنتان اللتان أصابتهم رفدت احداها الأخرى (ذلك) اي ذلك النبأ (من انباء القرى) اي من اخبار البلاد (نقصه عليك) اي نذكره لك ونخبرك به تذكرة وتسلية لك يا محمد (منها قائم وحصيد) اي من تلك الديار معمور وخراب قد اتى عليه الاهلاك ولم يعمر فيابعد وقيل معناه منها قائم على بنائه لم يذهب اصلا و إن كان خاليا من اهله وحصيد قد خرب وذهب واندرس اثره كالشيء المحصود عن قتادة وأبي مسلم وقيل منها قائم ينظرون اليها وحصيد قد هلك وباد اهله عن ابن عباس (وما ظلمناهم) باهلاكهم (ولكن ظلموا انفسهم) بأن كفروا وارتكبوا ما استحقوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لأنفسهم (فما اغنت عنهم آلهتهم) أي أوثانهم (التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك) اي عذاب ربك وقيل امر ربك باهلاكهم (وما زادوهم غير تتبيب) اي غير تخسير عن مجاهد وقتادة والمعنى لم يزيدوهم شيئا غير الهلاك والخسار وإنما اضاف الاهلاك إلى الأصنام لأنها السبب في ذلك ولو لم يعبدوهـا لم يهلكوا و إنما قال يدعون من دون الله لأنهم كانوا يسمونها آلهة ويطلبون الحوائج منها كما يطلبها الموحدون من الله (وكذلك اخذ ربك) اي وكما ذكر من اهـلاك الامم وأخذهم بالعذاب اخذ ربك (إذا اخذ القرى) اي اخذ اهلها وهو ان ينقلهم إلى العقوبة والهلاك (وهي ظالمة) من صفة القرى وهو في الحقيقة لأهلها وسكانها ونحوه وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى يمهل الظالم حتى إذا اخذه لم يفلته ثم قرأ هذه الآية (ان اخذه أليم شديد) معناه ان اخذ الله سبحانه الظالم مؤلم شديد الألم (إن في ذلك لآية) أي ان فيما قصصنا عليك من اهلاك من ذكرناه على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبرة وتبصرة وعلامة عظيمة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي لمن خشي عقوبة الله يوم القيامة وخص الخائف بذلك لأنه هو الذي ينتفع به بالتدبر والتفكر فيـه (ذلك يوم مجموع له الناس) اي يجمع فيه الناس كلهم الأولون والآخرون منهم للجزاء والحساب والهاء في له راجعة إلى اليوم (وذلك يوم مشهود) أي يشهده الخلائق كلهم من الجن والإنس وأهل السماء وأهل الأرض اي يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفي هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الخلق

قوله تعالى (١٠٤) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٥) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٦) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٧)

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٨) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ خمس آيات

=(القراءة)=

قرأ يعقوب وما يؤخره بالياء والباقون بالنون وقرأ يوم يأت بغير ياء ابن عامر وأهل الكوفة غير الكسائي والباقون يأتي بإثبات الياء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر سعدوا بضم السين والباقون سعدوا بالفتح

=(الحجة)=

من قرأ يؤخره بالياء فإنه رده إلى قوله اخذ ربك ومن قرأ بالنون فإنه ابتداء والياء في المعنى كالنون وقوله يوم يأت قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم يأتي وهذيل يحذف هذه الياءات كثيرا وقد حكى سيبويه والخليل أن العرب تقول لا ادر فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة إلا انهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال قال ابو علي من اثبت الياء في الوصل والوقف فهو القياس البين وأما من حذفها في الوقف إذا قال يوم يأت فلأنها وان لم تكن في فاصلة امكن ان تشبهها بالفاصلة لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة في الوصل بدلالة انهم حذفوها كما حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كان في حكمها فأما من حذفها في الوصل والوقف فلأنه جعلها في الوصل والوقف بمنزلة ما استعمل محذوفا مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو لم يك ولا أدر ومثله قول الشاعر

كفاك كف لا تبقي درهما جودا وأخرى تعط بالسيف الدما

حذف الياء من تعطي وليس هنا ما يوجب حذفها واما قوله سعدوا فقد قال ابو علي حكى سيبويه سعد يسعد سعادة فهو سعيد وينبغي ان يكون غير متعد كما ان خلافه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان ضم السين مشكلا إلا ان يكون سمع فيه لغة خارجة عن القياس او يكون من باب فعل وفعلته نحو غاض الماء وغضته وحزن وحزنته ولعلهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود وانه يدل على سعد ولا دلالة قاطعة في ذلك لأنه يجوز ان يكون مثل اجنه الله فهو مجنون وأحبه فهو محبوب فالمفعول جاء في هذا على انه حذفت الزيادة عنه كما حذف من اسم الفاعل في نحو قوله وارسلنا الرياح لواقح يعني ملاقح فجاء على حذف الزيادة فعلى هذا يكون اصله اسعد فحذف الزائد ومن الحذف قول الشاعر « يخرجن من اجواز ليل غاض » يريد مغض

✻ اللغة ✻

الشقاء والشقاوة والشقوة بمعنى والياء في شقي منقلبة عن واو والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نهاق الحمار والشهيق آخر نهاقه قال رؤبه

حشرج في الجوف صهيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق

والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع وأصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق مزفور والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدته والزفر السيد لانه يطيق حمل الشدائد وزفرت النار إذا سمع لها صوت من شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق والخلود الكون في الامر ابدا والدوام البقاء ابدا ولهذا يوصف سبحانه بأنه دائم ولا يوصف بأنه خالد والجذ القطع يقال جذه يجذه وجذ الله دابرهم قال النابغة

يجذ السلوقي المضاعف نسجه ويوقد بالصفاح نار الحباحب

ويقال جذها جذ العير الصليانة وهي بنت

❊ الاعراب ❊

يوم يأتي لا يخلو ان يكون فاعل يأتي ضمير اليوم المضاف الى يأتي واليوم المتقدم ذكره فلا يجوز ان يكون فاعله ضمير اليوم الذي أضيف الى يأتي لأنك لا تقول جئتك يوم يسرك سروره إياك ويكون الهاء عائدة الى يوم فيصير اليوم مضافا الى الفعل المسند الى ضميره وانما تعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كأنك انما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك قولك هذا يوم حره ويوم برده والهاء لليوم وهذا غير جائز وكذلك لا يجوز ان تضيف الظرف الى جملة معرفة بضميره وان كانت من مبتدأ وخبر مثل ان تقول آتيك يوم ضحوته باردة وليلة اولها مطير فإن نونت فقلت آتيك يوما ضحوته باردة او ليلة اولها مطير جاز لأنه خرج بالتنوين عن حد الإضافة وهذا قول ابي عثمان المازني واذ قد ثبت ذلك فقد ثبت ان في يأتي ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود اي يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدم ذكره لاتكلم نفس فاليوم في قوله يوم يأتي يراد به الحين والبرهة وليس على وضح النهار وقوله لا تكلم نفس الا بإذنه يجوز ان يكون هذه الجملة حالا من الضمير في يأتي ويجوز ان يكون صفة ليوم المضاف الى يأتي لأن يوم مضاف الى يأتي والفعل نكرة فلا تتعرف يوم بالإضافة اليه فجاز ان يوصف بالجملة كما توصف النكرات بالجمل والمعنى لا تكلم فيه نفس فحذف فيه او حذف الحرف وأوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف من الصلة ومثل ذلك قولهم الناس رجلان رجل أكرمت ورجل اهنت واذا جعلته حالا من الضمير في يأت وجب ان تقدر فيه ايضا ضميرا يعود الى ذي الحال وتقديره غير متكلم فيه هذا كله قول ابي علي وأقول ان الأظهر ان قوله يوم يأتي ظرف لقوله لاتكلم نفس إلا بإذنه ومعمول له وهذا الوجه لا يحتاج فيه الى تقدير محذوف كما في الوجهين اللذين ذكرناهما فيكون اولى وإنما يضاف يوم الى الفعل لأنه اسم زمان والفعل يناسب الزمان من حيث انه لا يخلو منه وانما يتصرف بتصرفه وانه لا يكون حادثا الا وقتا كما ان الزمان لا يبقى وقوله لا تكلم اي لا تتكلم فحذف احدى التائين كما في قول الشاعر

والعين ساكنة على اطلائها عوذا تأجل بالفضاء بهامها

اي تتأجل وعطا منصوب بما دل الكلام عليه فكأنه قال اعطاهم النعيم عطاء

❊ المعنى ❊

ثم اخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيامة فقال (وما نؤخره) اي وما نؤخر هذا اليوم (إلا لأجل معدود) وهو أجل قد عده الله تعالى لعلمه ان صلاح الخلق في ادامة التكليف عليهم الى ذلك الوقت وفيه إشارة الى قربه لأن ما يدخل تحت العد فكأن قد نفد وانما قال لأجل ولم يقل الى أجل لأن اللام يدل على الغرض وان الحكمة اقتضت تأخيره وإلى لا يدل على ذلك (يوم يأت) اي حين يأتي القيامة والجزاء (لاتكلم نفس إلا بإذنه) اي لا يتكلم أحد فيه الا بإذن الله تعالى وامره ومعناه انه لا يتكلم فيه الا بالكلام الحسن المأذون فيه لأن الخلق ملجأون هناك الى ترك القبائح فلا يقع منهم فعل القبيح وأما ما هو غير قبيح فإنه مأذون فيه عن الجبائي والاظهر ان يقال معناه انه لا يتكلم احد في الآخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة الا بإذنه فإن قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقوله فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان على انه سبحانه قال في موضع آخر وقفوهم إنهم مسؤلون وهل هذا الا ظاهر للتناقض فالجواب ان يوم القيامة يشتمل على مواقف قد أذن لهم في الكلام في بعض تلك المواقف ولم يؤذن لهم

في الكلام في بعضها عن الحسن وقيل ان معنى قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون لحجة وإنما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم الذنوب على بعض وهذا كما يقول القائل لمن تكلم بكلام كثير فارغ عن الحجة ماتكلمت بشيء ولا نطقت بشيء فسمي من يتكلم بما لا حجة فيه غير متكلم كما قال سبحانه صم بكم عمي وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويبصرون الا انهم في انهم لا يقبلون الحق ولا يتأملون بمنزلة الصم البكم العمي وكلا الوجهين حسن وأما قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فمعناه انهم لا يسألون عن ذنوبهم للتعرف من حيث ان الله سبحانه علم اعمالهم وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وتقرير لايجاب الحجة عليهم كما في قوله وقفوهم انهم مسؤلون فأثبت سبحانه سؤال التقريع في آية ونفى سؤال التعرف والاستعلام في أخرى فلا تناقض وقوله (فمنهم شقي وسعيد) إخبار منه سبحانه بأنهم قسمان اشقياء وهم المستحقون للعقاب وسعداء وهم المستحقون للثواب والشقاء قوة اسباب البلاء والسعادة قوة اسباب النعمة والشقي من شقي بسوء عمله في معصية الله والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله والضمير في قوله فمنهم يعود الى الناس في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وقيل انه يعود الى نفس في قوله لا تكلم نفس الا بإذنه لأن النفس اسم الجنس (فأما الذين شقوا ففي النار) يعني ان الذين شقوا باستحقاقهم العذاب جزاء على اعمالهم القبيحة داخلون في النار وانما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لأنهم على حال تؤديهم الى دخولها وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الشقي من شقي في بطن أمه فإن المراد بذلك ان المعلوم من حاله انه سيشقى بارتكاب القبائح التي تؤديه الى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم انه يتيم بمعنى انه سيتيم (لهم فيها زفير وشهيق) قال الزجاج الزفير والشهيق من اصوات المكروبين المحزونين والزفير من شديد الأنين وقبيحه بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا بمنزلة آخر صوت الحمار وعن ابن عباس قال يريد ندامة ونفسا عاليا وبكاء لا ينقطع (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) اختلف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وهما من المواضع المشكلة في القرآن والاشكال فيه من وجهين ﴿احدها﴾ تحديد الخلود بمدة دوام السماوات والأرض ﴿والآخر﴾ معنى الاستثناء بقوله إلا ما شاء ربك فالأول فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان المراد ما دامت السماوات والأرض مبدلتين اي ما دامت سماء الآخرة وارضها وهما لا يفنيان اذا أعيد ابعد الافناء عن الضحاك والجبائي ﴿وثانيها﴾ ان المراد ما دامت سماوات الجنة والنار وارضها وكل ما علاك فأظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وهذا مثل الأول او قريب منه ﴿وثالثها﴾ ان المراد ما دامت الآخرة وهي دائمة ابدا كما ان دوام السماء والارض في الدنيا قدر مدة بقائها عن الحسن ﴿ورابعها﴾ انه لا يراد به السماء والأرض بعينها بل المراد التبعيد فإن للعرب الفاظا للتبعيد في معنى التأبيد يقولون لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والأرض وما نبت النبت وما اطت الإبل وما اختلف الجرة والدرة وماذر شارق وفي اشباه ذلك كثيرة ظنا منهم ان هذه الاشياء لا تتغير ويريدون بذلك التأبيد لا التوقيت فخاطبهم سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون قال عمرو بن معديكرب .

وكل أخ مفارقه أخوه   لعمر ابيك الا الفرقدان

وقال زهير.

الا لا أرى على الحوادث باقيا   ولا خالدا الا الجبال الرواسيا

وإلا السماء والنجوم وربنا   وأيامنا معدودة واللياليا

لأنه توهم ان هذه الاشياء لا تفنى وتخلد واما الكلام في الاستثناء فقد اختلفت فيه اقوال العلماء على وجوه ﴿احدها﴾ انه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة والتقدير

إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين الذين اقرضتكها وقت كذا فالالفان زيادة على الألف بغير شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعلي بن عيسى وجماعة وعلى هذا فيكون الا بمعنى سوى اي سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان معنا رجل الا زيد اي سوى زيد ﴿وثانيها﴾ ان الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لأنهم حينئذ ليسوا في جنة ولا نار ومدة كونهم في البرزخ الذي هو ما بين الموت والحياة لأنه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لظن الظان أنهم يكونون في النار والجنة من لدن نزول الآية او من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة عن المازني وغيره واختاره البلخي فإن قيل كيف يستثنى من الخلود في النار ما قبل الدخول فيها فالجواب ان ذلك جائز اذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها ﴿وثالثها﴾ ان الاستثناء الأول يتصل بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقديره إلا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود وفي اهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكأنه قال لهم فيها نعيم إلا ما شاء ربك من انواع النعيم وانما دل عليه قوله عطاء غير مجذوذ عن الزجاج ﴿ورابعها﴾ ان يكون الا بمعنى الواو اي وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وأرى لها داراً باغدرة السيـ ... ـدان لم يدرس لها رسم

الا رماداً هامدا رفعت ... عنه الرياح خوالد سحم

قال والمراد بالا الواو ههنا وإلا كان الكلام متناقضا وهذا القول قد ضعفه محققو النحويين ﴿وخامسها﴾ ان المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل التوحيد الذين ضموا الى إيمانهم وطاعتهم ارتكاب المعاصي فقال سبحانه انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ان يريد بالذين شقوا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ممن استحق الثواب ولا بد ان يوصل اليه وتقديره الا ما شاء ربك ان يخرجه بتوحيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما بمعنى من قال سبحانه سبح لله ما في السماوات وقالت العرب عند سماع الرعد سبحان ما سبحت له وأما في اهل الجنة فهو استثناء من خلودهم ايضا لما ذكرناه لأن من ينقل إلى الجنة من النار وخلد فيها لا بد في الإخبار عنه بتأبيد خلوده ايضا من استثناء ما تقدم فكأنه قال خالدين فيها إلا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة فما في قوله ما شاء ربك ههنا على بابه والاستثناء من الزمان والاستثناء في الأول من الأعيان والذين شقوا على هذا القول هم الذين سعدوا بأعيانهم وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال الذي تليق به فإذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من أهل الشقاء وإذا نقلوا منها إلى الجنة فهم من أهل السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن عبدالله وابي سعيد الخدري وقتادة والسدي والضحاك وجماعة من المفسرين وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء في حال أخرى وقال قتادة الله اعلم بمشيئته ذكر لنا ان ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوبهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته يسمون الجهنميين وهم الذين أنفذ فيهم الوعيد ثم أخرجوا بالشفاعة قال وحدثنا أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يخرج قوم من النار قال ولا نقول ما يقوله أهل حروراء وهذا القول هو المختار المعول عليه ﴿وسادسها﴾ ان تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به فكأنه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لأنه لا يشاء أن يخرجهم منها ﴿وسابعها﴾ ما قاله الحسن ان الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله إن ربك فعال لما يريد انه أراد ان يخلدهم وقريب منه ما قاله الزجاج وغيره انه استثناء تستثنيه

العرب وتفعله كما تقول والله لاضربن زيداً إلا ان أرى غير ذلك وانت عازم على ضربه والمعنى في الاستثناء على هذا اني لو شئت أن لا اضربه لفعلت ﴿وثامنها﴾ قال يحيى بن سلام البصري انه يعني بقوله إلا ما شاء ربك ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم من الفريقين واحتج بقوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً قال ان الزمرة تدخل بعد الزمرة فلابد ان يقع بينهما تفاوت في الدخول والاستثناء ان على هذا من الزمان ﴿وتاسعها﴾ ان المعنى خالدون في النار دائمون فيها مدة كونهم في القبور ما دامت السماوات والارض في الدنيا وإذا فنيتا وعدمتا انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب وقوله إلا ما شاء ربك استثناء وقع على ما يكون في الآخرة اورده الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وقال ذكره قوم من اصحابنا في التفسير ﴿وعاشرها﴾ ان المراد إلا ما شاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لأهل التوحيد عن ابي مجلز قال هي جزاؤهم وإن شاء سبحانه تجاوز عنهم والاستثناء يكون على هذا من الأعيان (واما الذين سعدوا) أي سعدوا بطاعة الله وانتهائهم عن المعاصي (ففي الجنة) يكونون في الجنة (خالدين فيها ما دامت السماوات والارض) اي مدة دوام السماوات والارض (إلا ما شاء ربك) يتأتى فيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار إلا ما مضى ذكره من جواز اخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم وإخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فإن ذلك لا يتأتى ههنا لإجماع الأمة على ان من استحق الثواب فلا بد أن يدخل الجنة وانه لا يخرج منها بعد دخوله فيها (عطاءً غير مجذوذ) اي غير مقطوع

قوله تعالى (١٠٩) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١١) وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١٢) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وان كلا لما بتشديد النون والميم وقرأ اهل البصرة والكسائي وخلف وان كلا بتشديد النون لما بتخفيف الميم وقرأ نافع وابن كثير وان كلا خفيفة النون لما خفيفة الميم وقرأ ابو بكر عن عاصم وان كلا خفيفة النون لما مشددة الميم وفي الشواذ قراءة الزهري وسليمان بن ارقم لما بالتنوين وقراءة بن مسعود وان كل بالرفع إلا ليوفينهم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ وإن كلا لما بتشديد وتخفيف لما فوجهه بين وهو انه نصب كلا بأن وأن يقتضي ان يدخل على خبرها او اسمها لام فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله لما وقد دخلت في الخبر لام اخرى وهي التي تلقى بها القسم ويختص بالدخول على الفعل ويلزمها في اكثر الأمر احدى النونين فلما اجتمعت اللامان واتفقتا في تلقي القسم واتفقتا في اللفظ فصل بينهما بما كما فصلوا بين إن واللام فدخلت ما لهذا المعنى وإن كانت زائدة لتفصل كما جلبت النون وإن كانت زائدة في نحو واما ترين من البشر احدا وكما صارت عوضاً من الفعل في قولهم امالا بالامالة وفي قوله

ابا خراشة اما انت ذا نفر فإن قومي لم يأكلهم الضبع

ويلي هذا الوجه في البيان قول من خفف إن ونصب كلا وخفف لما قال سيبويه حدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول ان عمراً لمنطلق قال وأهل المدينة يقرأون كلا لما جميع لدينا محضرون يخففون وينصبون كما قالوا «كان ثدييه حقان» ووجه النصب بها مع التخفيف من القياس ان ان مشبهة في نصبها بالفعل والفعل يعمل محذوفا كما يعمل غير محذوف وذلك في نحو لم يك زيد منطلقا فلا تك في مرية وكذلك لا ادر فأما من خفف ان ونصب كلا وثقل لما فقراءته مشكلة وذلك ان انْ إذا نصب بها وإن كانت مخففة كانت بمنزلتها مثقلة ولما إذا شددت كانت بمنزلة إلا وكذلك قراءة من شدد لما وثقل ان مشكلة وذلك أن ان إذا ثقلت وإذا خففت ونصب بها فهي في معنى الثقيلة فكما لا يحسن تثقيل ان زيدا إلا منطلق كذلك لا يحسن تثقيل إن وتثقيل لما فأما مجيء لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول اقسمت عليك لتفعلن وأما دخول إلا ولما فلأن المعنى الطلب فكأنه اراد ما اسألك إلا فعل كذا ولم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مرادا كما جاء في قولهم شرا هر ذاناب اي ماأهره إلا شر وليس في الآية معنى نفي ولا طلب فإن قال قائل لمن ما فادغم النون في الميم بعد ما قلبها ميا فإن ذلك لا يسوغ ألا ترى أن الحرف المدغم إذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك لم يقو الإدغام فيه على ان تحرك الساكن الذي قبل الحرف المدغم فإذا لم يجز ذلك فيه وكان التغيير اسهل من الحذف فإن لا يجوز الحذف الذي هو اذهب في باب التغيير من تحريك الساكن اجدر على ان في هذه السورة ميات اجتمعت في الادغام اكثر مما كان يجتمع في لمن ماولم يحذف منها شيء وذلك قوله على امم ممن معك فإذا لم يحذف شيء من هذا فان لا يحذف ثم اجدر وقد روى انه قد قرأ وان كلا لما منونا كما قال وتأكلون التراث اكلا لما فوصف بالمصدر فإن قال أن لما فيمن ثقل إنما هو لما هذه وقف عليها بالألف ثم اجري في الوصل مجرى الوقف فذلك ما يجوز في الشعر ووجه الاشكال فيه ابين من هذا الوجه وقد حكى عن الكسائي انه قال لا اعرف وجه التثقيل في لما ولم يبعد فيما قال ولو خفف مخفف ان ورفع كلا بعدها لجاز تثقيل لما مع ذلك على أن يكون المعنى ما كان ليوفينهم فيكون ذلك كقوله وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ولكان ذلك ابين من النصب في كل والتثقيل للما وينبغي أن يقدر المضاف اليه كل نكرة ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر اضافته إلى معرفة فيمتنع أن يكون لما وصفاً له ولا يجوز ان يكون حالا لأنه لا شيء في الكلام عاملا في الحال هذا كله كلام ابي علي وقال غيره في معنى لما بالتشديد اربعة اوجه ❊ احدها ❊ قول الفراء انها بمعنى لمن ما فحذفت احدى الميمات الثلاث على ما تقدم ذكره وانشد الفراء

وإني لما اصدر الأمر وجهه ‍ ‍ ‍ ‍ إذا هو اعيا بالسبيل مصادره

❊ والثاني ❊ انها بمعنى إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت عن الزجاج وقال الفراء هذا لا يجوز إلا في اليمين كما قاله ابو علي ❊ والثالث ❊ انها مخففة شددت للتأكيد عن المازني قال الزجاج هذا لا يجوز لأنه إنما يجوز تخفيف المشدد عند الضرورة فأما تشديد المخفف فلا يجوز بحال ❊ والرابع ❊ انها من لممت الشيء إذا جمعته إلا انها بنيت على فعلى فلم تصرف مثل تترى فكأنه قال وان كلا جميعا ليوفينهم ويدل عليه قراءة الزهري لما بالتنوين وقال ابن جني تقدير هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم لماً اي توفية جامعة لاعمالهم جميعاً ومحصلا لأعمالهم تحصيلا فهو كقولك قياماً لأقومن وذكر الشيخ علي ابن ابي الطيب رحمة الله عليه فيه وجهاً آخر فقال هاهنا محذوف وتقديره وان كلا لما عملوا ليوفينهم ربك اعمالهم والحذف في الكلام كثير قال الشاعر

إذا قلت سيروا إن ليلى لعلها ‍ ‍ ‍ ‍ جرى دون ليلى مائل القرن اعضب

والمراد لعلها تلقاني او تصلني او نحو هذا فهذا وجه خامس فأما إذا خففت ان فانتصاب كلا مع حمل ان على النفي مشكل وقد ذكر فيه أن يكون التقدير وإن هم إلا ليوفينهم كلا او وإن هم اعني كلا إلا ليوفينهم وهذان

الوجهان مرغوب عنها وعلى الجملة فإن تشديد الميم من لما مع تشديد إن وتخفيفه مشكل عند المحققين اذ لا يتأتى في لما هذه معنى لم ولا معنى الحين ولا معنى إلا ولا يعرف لها معنى سوى هذه ومن قرأ وان كل الا ليوفينهم فمعناه ما كل الا والله ليوفينهم كقولك ما زيد الا لأضربنه أي ما زيد الا مستحق لأن يقال فيه هذا ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والا زائدة كما في قول الشاعر

أرى الدهر إلا منجنونا بأهله ... وما طالب الحاجات إلا معللا

أي ارى الدهر منجنونا بأهله وعلى ذلك تأولوا بيت ذي الرمة

حراجيج ما تنفك إلا مناخة ... على الخسف اويرمي بها بلدا قفرا

أي ما تنفك مناخة والا زائدة

﴿ اللغة ﴾

المرية بكسر الميم وضمها الشك مع ظهور الدلالة للتهمة وهي مأخوذة من مرى ضرع الناقة ليدر بعد دروره والنصيب الحظ وهو القسم المجعول له ومنه انصباء الورثة والاختلاف ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الآخر وهو على وجهين اختلاف النقيضين وهذا لا يجوز أن يصحا معا فإن ﴿ احدهما ﴾ مبطل لصاحبه والآخر اختلاف الجنسين كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة فهذا يجوز أن يصحا معا والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة وأن لا يعدل يمينا وشمالا والطغيان تجاوز المقدار في الفساد

—(الاعراب)—

ومن تاب موصول وصلة في موضع رفع بالعطف على الضمير المستكن في استقم يجوز أن يكون معطوفا على التاء من امرت ويكون التقدير في الأول استقم انت ومن تاب معك وفي الثاني كما امرت انت ومن تاب معك ويجوز أن يكون من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولا معه

﴿ المعنى ﴾

(فلا تك في مرية) أي في شك (مما يعبد هؤلاء) من دون الله تعالى انه باطل وانهم يصيرون بعبادتهم إلى عذاب النار (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعني مايعبدون غير الله تعالى الا على جهة التقليد كما كان آباؤهم كذلك (وإنا لموفوهم نصيبهم) أي إنا لمعطوهم جزاء أعمالهم وعقاب أعمالهم وافيا (غير منقوص) عن مقدار ما استحقوه آيسهم سبحانه بهذا القول عن العفو وقيل معناه انا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب بعد ان نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد (ولقد آتينا) أي اعطينا (موسى الكتاب) يعني التوراة (فاختلف فيه) يريد ان قومه اختلفوا فيه أي في صحة الكتاب الذي انزل عليه وأراد بذلك تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه اياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه فبين أن قوم موسى كذلك فعلوا بموسى فلا تحزن لذلك ولا تغتم له (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي لولا خبر الله السابق بأنه يؤخر الجزاء إلى يوم القيامة لما علم في ذلك من المصلحة (لقضي بينهم) اي لعجل الثواب والعقاب لأهله وقيل معناه لفصل الأمر على التمام بين المؤمنين والكافرين بنجاة هؤلاء وهلاك أولئك (وإنهم لفي شك منه مريب) يعني إن الكافرين لفي شك من وعد الله ووعيده مريب والريب اقوى الشك وقيل معناه إن قوم موسى لفي شك من نبوته (وإن كلا) من الجاحدين والمخالفين وقيل إن كلا من الفريقين المصدق والمكذب جميعا (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) أي يعطيهم ربك جزاء أعمالهم وافيا تاما إن خيرا فخير وإن شرا فشر (انه بما يعملون خبير) يعني انه عليم بأعمالكم وبما استحققتم من الجزاء عليها لا يخفى عليه شيء من ذلك (فاستقم) يا محمد (كما امرت) اي استقم على الوعظ والانذار والتمسك بالطاعة والأمر بها والدعاء عليها والاستقامة هو اداء المأمور به والانتهاء عن

المنهي عنه كما امرت في القرآن (ومن تاب معك) أي وليستقم من تاب معك من الشرك كما امروا عن ابن عباس وقيل معناه ومن رجع الى الله وإلى نبيه فليستقم ايضا اي فليستقم المؤمنون وقيل استقم انت على الأداء وليستقيموا على القبول (ولا تطغوا) أي لا تجاوزوا امر الله بالزيادة والنقصان فتخرجوا عن حد الاستقامة وقيل معناه ولاتطغينكم النعمة فتخرجوا عن حد الاستقامة عن الجبائي وقيل معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه (انه بما تعملون بصير) أي عليم بأعمالكم لا تخفى عليه منها خافية وروى الواحدي باسناده عن ابراهيم بن ادهم عن مالك بن دينار عن ابي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتاد ثم كان الاثنان احب اليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة وقال ابن عباس ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الآية ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له اسرع اليك الشيب يارسول الله شيبتني هود والواقعة

النظم

وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها انه لما قص نبأ الامم واهلاكهم بكفرهم اخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه وانه يوفيهم جزاء اعمالهم وقيل انه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الامم على انبيائهم تكذيباً لهم ثم بين في هذه الآية ان خلاف هؤلاء كخلاف اولئك خلاف كفر لا خلاف اجتهاد عن ابي مسلم وكذلك اتصال الآية الثانية فإنه بين فيها ان تكذيب هؤلاء الكفار بالذي آتيناك كتكذيب اولئك بالكتاب الذي آتيناه موسى

قوله تعالى (١١٣) وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ (١١٤) وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٥) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٦) فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٧) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وزلفا بضم اللام والباقون بفتح اللام

الحجة

من قرأ زلفا بفتح اللام فإنه جمع زلفة وهي المنزلة قال العجاج

ناج طواه الاين مما رجفا ... طي الليالي زلفاً فزلفا

ومن قرأ بضم اللام فإنه واحد مثل الحلم وجائز ان يكون جمعا على زليف من الليل فيكون مثل قريب وقرب قال الزجاج والزلف بالفتح اجود في الجمع وما علمت ان زليفا يستعمل في الليل وهو منصوب على الظرف

اللغة

الركون إلى الشيء هو السكون اليه بالمحبة له والانصات اليه ونقيضه النفور عنه والصبر حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق وضده الجزع قال

فإن تصبرا فالصبر خير مغبة وإن تجزعا فالأمر ما تريان

وهو مأخوذ من الصبر المر لأنه يجرع مرارة الحق بحبس النفس عن الخروج إلى المشتهى ومما يعين على الصبر شيئان ﴿ احدهما ﴾ العلم بما يعقب من الخير في كل وجه وعادة النفس له ﴿ والثاني ﴾ استشعار ما في لزوم الحق من العز والأجر بطاعة الله والبقية ما بقي من الشيء بعد ذهابه وهو الاسم من الابقاء ويقال في فلان بقية اي فضل مما يمدح به وخير كأنه قيل بقية خير من الخير الماضي واترفوا اي عودوا الترفه بالنعيم واللذة وذلك ان الترفه عادة النعمة قال

تهدى رؤوس المترفين الصداد إلى امير المؤمنين الممتاد

اي المسؤول وإنما قيل للمتنعم مترف لأنه مطلق له لا يمنع من تنعمه

﴿ الاعراب ﴾

فتمسكم منصوب لأنه جواب النهي بالفاء وتقديره لا يكن منكم ركون إلى الظالمين فمس النار إياكم ثم لاتنصرون ارتفع تنصرون على الاستئناف. طرفي النهار منصوب على الظرف وزلفاً معطوف عليه. إلا قليلا استثناء منقطع بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد

﴿ المعنى ﴾

ثم نهى الله سبحانه عن المداهنة في الدين والميل إلى الظالمين فقال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) اي ولا تميلوا إلى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس وقيل لا تداهنوا الظلمة عن السدي وابن زيد وقيل ان الركون إلى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار الرضا بفعلهم او إظهار موالاتهم فأما الدخول عليهم او مخالطتهم ومعاشرتهم دفعاً لشرهم فجائز عن القاضي وقريب منه ما روي عنهم «ع» ان الركون المودة والنصيحة والطاعة (فتمسكم النار) اي فيصيبكم عذاب النار (وما لكم من دون الله من أولياء) أي ما لكم سواه من انصار يدفعون عنكم عذاب الله وفي هذا بيان انهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا إلى الظالمين نالتهم النار ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبة لهم على ذلك (ثم لا تنصرون) اي لا تنصرون في الدنيا على اعدائكم لأن نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين (وأقم الصلاة) اي أدها وائت بأعمالها على وجه التمام في ركوعها وسجودها وسائر فروضها وقيل معناه اعملها على استواء وقيل أدم على فعلها (طرفي النهار وزلفاً من الليل) قيل أراد بطرفي النهار صلاة الفجر والمغرب وبزلف من الليل صلاة العشاء الآخرة والزلف اول ساعات الليل عن ابن عباس وابن زيد قالوا وترك ذكر الظهر والعصر لأحد امرين اما لظهورهما في انهما صلاتا النهار فكأنه قال وأقم الصلاة طرفي النهار مع المعروفة من صلاة النهار واما لأنها مذكورتان على التبع للطرف الأخير لأنها بعد الزوال فهما اقرب اليه وقد قال سبحانه أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ودلوك الشمس زوالها وهذا القول هو المروي عن ابي جعفر «ع» وقيل صلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر وصلاة زلف الليل المغرب والعشاء الآخرة عن الزجاج وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والحسن قالوا لأن طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار قال الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب والعشاء زلفتا الليل وقيل اراد بطرفي النهار صلاة الفجر وصلاة العصر (إن الحسنات يذهبن السيئات) قيل في معناه ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب لأنه عرف الحسنات بالألف واللام وقد تقدم ذكر الصلاة عن ابن عباس وأكثر المفسرين وذكر الواحدي باسناده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصناً يابساً منها فهزه حتى تحات ورقه ثم قال يا ابا عثمان ألا تسألني لم افعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابسا فهزه حتى تحات ورقه ثم قال

ألا تسألني يا سلمان لمَ افعل هذا قلت ولمَ فعلته قال ان المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق ثم قرأ هذه الآية وأقم الصلاة إلى آخرهـا وباسناده عن ابي امامة قال بينما رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اني اصبت حدا فأقمه علي فقال هل شهدت الصلاة معنا قال نعم يارسول الله قال فإن الله قد غفر لك حدك او قال ذنبك وباسناده عن الحرث عن علي ابن ابي طالب «ع» قال كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ننتظر الصلاة فقام رجل فقال يا رسول إني أصبت ذنبا فاعرض عنه فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام الرجل فأعاد القول فقال النبي ﷺ أليس قد صليت معنا هذه الصلاة وأحسنت لها الطهور قال بلى قال فإنها كفارة ذنبك وروى اصحابنا عن ابن محبوب عن ابراهيم الكرخي قال كنت عند ابي عبد الله «ع» إذ دخل عليه رجل من اهل المدينة فقال له من أين جئت ثم قال له تقول جئتك من ههنا وههنا لغير معاش تطلبه ولا لعمل اجر تكسبه أنظر بماذا تقطع يومك وليلتك واعلم ان معك ملكا كريما موكلا بك يحفظ عليك ما تصنع ويطلع على سرك الذي تخفيه من الناس فاستحي لا تستحقرن سيئة فإنها ستسؤك يوما ولا تحقرن حسنة وإن صغرت عندك وقلّت في عينك فإنها ستسرك يوما واعلم انه ليس شيء أضر عاقبة ولااسرع ندامة من الخطيئة وانه ليس شيء أشد طلبا ولا اسرع دركا للخطيئة من الحسنة أما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله فتجتذبه وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك قول الله سبحانه ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ورووا عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت احدهما عليهما السلام يقول ان عليا عليه السلام اقبل على الناس فقال أي آية في كتاب الله أرجى عندكم فقال بعضهم إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية فقال حسنة وليست إياها وقال بعضهم ومن يعمل سوءاً ويظلم نفسه قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم قل يا عبادي الذي اسرفوا لا تقنطوا من رحمة الله قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم والذين إذا فعلوا فاحشة الآية قال حسنة وليست إياها قال ثم احجم الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شيء قال سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول ارجى آية في كتاب الله وأقم الصلاة طرفي النهار وقرأ الآية كلها قال يا علي والذي بعثني في الحق بالحق بشيراً ونذيراً ان احدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه فإن أصاب شيئا بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب احدكم فما يظن احدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي وقيل ان الحسنات يذهبن السيئات معناه ان الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات فكأنها يذهبن بها وقيل ان المراد بالحسنات التوبة فإنها تذهب السيئات بأن تسقط عقابها لأنه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة (ذلك ذكرى للذاكرين) يعني انما ذكره من ان الحسنات تذهب السيئات فيه تذكار وموعظة لمن تذكر به وفكر فيه (واصبر) قيل معناه واصبر على الصلاة كما قال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) اي المصلين عن ابن عباس وقيل معناه اصبر يا محمد على أذى قومك وتكذيبهم إياك وعلى القيام بما افترضته عليك وعلى اداء الواجبات والامتناع عن المقبحات فإن الله لا يهمل جزاء المحسنين على إحسانهم ولا يبطله بل يكافيهم عليه أكمل الثواب (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية) اي هلا كان والا كان ومعناه النفي وتقديره لم يكن من القرون من قبلكم قوم باقون (ينهون عن الفساد في الارض) أي كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع انعام الله تعالى عليهم بكمال العقل وبعثة الرسل اليهم واقامة الحجج لهم وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود والقرون التي عدها

القرآن واخبر بهلاكها اي إن العجب منهم كيف لم تكن من جملتهم بقية في الارض يأمرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر وكيف اجتمعوا على الكفر حتى استأصلهم الله بالعذاب وانواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له وقيل أولو بقية معناه ذوو دين وخير وقيل معناه ذوو بركة وقيل ذوو تمييز وطاعة (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) المعنى أن قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم الأنبياء والصالحون الذين آمنوا مع الرسل فأنجيناهم من العذاب الذي نزل بقومهم وإنما جعلوا هذا الاستثناء منقطعا لأنه إيجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي وإنما تقدم تهجين خرج مخرج السؤال ولو رفع لجاز في الكلام (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) اي واتبع المشركون ما عودوا من التنعم والتنعم وإيثار اللذات على أمور الآخرة واشتغلوا بذلك عن الطاعات (وكانوا) اي وكان هؤلاء المتنعمون البطرون (مجرمين) مصرين على الجرم وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر لأنه سبحانه ذمهم بترك النهي عن الفساد واخبر بأنه أنجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك ونبه على انه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم اخبر سبحانه انه لم يهلك إلا بالكفر والفساد فقال (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وذكر في تأويله وجوه ❋ احدها ❋ ان المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ولكن إنما يهلكهم بظلمهم لأنفسهم كما قال ان الله لا يظلم الناس شيئا الآية ❋ وثانيها ❋ ان معناه لا يؤاخذهم بظلم واحدهم مع ان اكثرهم مصلحون ولكن إذا عم الفساد وظلم الأكثرون عذبهم ❋ وثالثها ❋ انه لا يهلكهم بشركهم وظلمهم لأنفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم اي ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة أن يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس في رواية عطا والواو في قوله وأهلها واو الحال وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال وأهلها مصلحون ينصف بعضها بعضهم

❋ النظم ❋

وجه اتصال قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اهلاك الأمم الماضية والقرون الخالية عقب ذلك بأنهم أتوا في اهلاكهم من قبل قومهم ولو كان فيهم مؤمنون يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد لما استأصلناهم رحمة منا ولكنهم لما عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستئصال

قوله تعالى (١١٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٢٠) وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢١) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢٢) وَٱنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٣) وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أربع آيات كوفي وبصري ست آيات عند غيرهم والخلاف في لا يزالون مختلفين وانا عاملون

❋ القراءة ❋

قرأ يرجع الأمر بضم الياء وفتح الجيم وكسرها نافع وحفص والباقون يرجع بفتح الياء وقرأ عما تعملون بالتاء هنا وفي آخر النمل اهل المدينة والشام ويعقوب وحفص والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

من ضم الياء من يرجع فلقوله ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق والمعنى رد أمرهم إلى الله ومن فتح الياء فلقوله والأمر يومئذ لله والمعنيان متقاربان ومن قرأ بالتاء في تعملون جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته وهو أعم فائدة ومن قرأ بالياء وجهه إلى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد

﴿ اللغة ﴾

القصص الخبر عن الأمور بما يتلو بعضه بعضا لأنه من قصه يقصه إذا اتبع أثره لأنه يتبع أثر من يخبر عنه والنبأ الخبر بما فيه عظيم الشأن يقولون لهذا الأمر نبأ والتثبيت تمكين اقامة الشيء من الثبوت يقال ثبته بتسكينه وثبته بتمكينه وثبته بالدلالة على ثبوته وثبته بالخبر عن وجوده والفؤاد القلب مأخوذ من المفتأد وهو المستوى قال

كأنه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد

والمكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها وله مكانة عند السلطان أي جاه وقدر والانتظار طلب الادراك لما يأتي من الأمر لأنه من النظر والفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي للخير خاصة والانتظار في الخير والشر

﴿ الاعراب ﴾

إلا من رحم ربك قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك فإنه غير مختلف وقوله لأملأن جهنم جواب القسم وتقديره يمينا لأملأن كما تقول حلفي لأضربنك وبدا لي لاضربنك و كل فعل كان تأويله كتأويل بلغني أوقيل لي او انتهى الي فإن اللام وان يصلحان فيه فتقول بدا لي لأضربنك وبدا لي ان اضربك ولو قيل وتمت كلمة ربك ان يملأ جهنم كان صوابا وكلا نقص عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وقيل انه نصب على الحال فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت القوم ويجوز أن يكون نصبا على انه مفعول به وتقديره وكل الذي يحتاج اليه نقص عليك ويكون ما نثبت به فؤادك بدلا منه قاله الزجاج وقوله إنا عاملون إنا منتظرون لو دخلت الفاء فقال فإنا لأفاد ان الثاني لأجل الأول وحيث لم يدخل لم يفد ذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) أي على ملة واحدة ودين واحد فيكونون مسلمين صالحين عن قتادة وذلك بأن يلجئهم إلى الإسلام بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه لكن ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لأن الغرض به استحقاق الثواب والالجاء يمنع من استحقاق الثواب فلذلك لم يشأ الله ذلك ولكنه شاء أن يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة في الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم اعلى الدرجتين فكلفهم ليستحقوا الثواب عن ابي مسلم وقيل معناه لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم (ولا يزالون مختلفين) في الأديان بين يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك عن مجاهد وقتادة وعطا والأعمش والحسن في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى عنه انهم مختلفون في الأرزاق والأحوال ولتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلف بعضهم بعضا في الكفر تقليدا من غير نظر فإن قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا سواء كما ان قولك قتل بعضهم بعضا وقولك اقتتلوا سواء عن ابي مسلم (إلا من رحم ربك) من المؤمنين فإنهم لا يختلفون ويجتمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى لا يزالون مختلفين بالباطل إلا من رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذي يؤمنون عنده ويستحقون به الثواب فإن من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل (ولذلك خلقهم) اختلف في معناه فقيل يريد وللرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك

وهذا هو الصحيح واعترض على ذلك بأن قيل لو أراد الله ذلك لقال ولتلك خلقهم لأن الرحمة مؤنثة وهذا باطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي فإذا ذكر فعلى معنى التفضل والانعام وقد قال سبحانه هذا رحمة من ربي وإن رحمة الله قريب ومثله قول امرئ القيس

برهرة رودة رخصة ... كخرعوبة البانة المنفطر

ولم يقل المتفطرة لأنه ذهب إلى الغصن وقال

قامت تبكيه على قبره ... من لي من بعدك ياعامر

تركتني في الدار ذا غربة ... قد ذل من ليس له ناصر

ولم يقل ذات غربة لأنه اراد شخصا ذا غربة وقالت الخنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

اراد الرزء وفي امثال ذلك كثرة على ان قوله إلا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على أن يرحم فلا يمتنع ان يكون المراد لأن يرحموا خلقهم وقيل ان المعنى ولاختلاف خلقهم واللام للعاقبة يريد أن الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم تؤول إلى الاختلاف المذموم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم عن الحسن وعطا ومالك ولا يجوز على هذا أن يكون اللام للغرض لأنه تعالى لا يجوز ان يريد منهم الاختلاف المذموم إذ لو أراد ذلك منهم لكانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف لأن الطاعة حقيقتها موافقة الإرادة والأمر ولو كانوا كذلك لما استحقوا عقابا وأما إذا حمل معنى الاختلاف على ما قاله ابو مسلم فيجوز أن تكون اللام للغرض وقيل إن ذلك اشارة إلى اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (وقال) المرتضى قدس الله روحه قد قال قوم أن معنى الآية ولو شاء ربك أن يدخل الناس بأجمعهم الجنة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم امة واحدة لفعل وأجروا هذه الآية مجرى قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه اراد هديها إلى طريق الجنة فعلى هذا التأويل يمكن أن يكون لفظة ذلك اشارة إلى ادخالهم اجمعين الجنة لأنه تعالى إنما خلقهم للمصير اليها والوصول إلى نعيمها (وتمت كلمة ربك) أي وصل وحيه ووعيده الذي لا خلف فيه بتمامه إلى عباده وقيل تمت كلمة ربك (صدقا) بأن وقع مخبرها على ما اخبر به عن الجبائي وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل مضى حكم ربك عن الحسن (لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) بكفرهم (وكلا) اي وكل القصص (نقص عليك من انباء الرسل) أي من اخبارهم (ما نثبت به فؤادك) أي ما نقوي به قلبك ونطيب به نفسك ونزيدك به ثباتا على ما انت عليه من الإنذار والصبر على اذى قومك الكفار (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه الدنيا عن قتادة وقيل في هذه الأنباء عن الجبائي والحق الصدق من الأنباء والوعد والوعيد وقيل معناه وجاءك في ذكر هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في أن الخلق يجازون بانصبائهم في قوله وإنا لموفوهم نصيبهم وإن كلا لما ليوفينهم وقد جاء في القرآن كله الحق ولكنه ذكرها هنا توكيدا وليس إذا قيل قد جاءك في هذا الحق وجب أن يكون لم يأتك الحق إلا فيه ولكن بعض الحق اوكد من بعض عن الزجاج (وموعظة) اي وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتزجر الناس عن المعاصي (وذكرى للمؤمنين) تذكرهم الآخرة (وقل) يامحمد للذين لا يؤمنون (اعملوا على مكانتكم) هذا مثل قوله اعملوا ما شئتم (إنا عاملون) على ما امرنا الله تعالى به وقد مر تفسير هذه الآية فيما مضى (وانتظروا) أي توقعوا ما يعدكم ربكم على الكفر من العقاب (إنا منتظرون) ما يعدنا على الايمان من الثواب وقيل انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور إنا منتظرون

ما بعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج (ولله غيب السماوات والأرض) معناه ولله علم ما غاب في السماوات والأرض لا يخفى عليه شيء منه عن الضحاك وقيل معناه والله مالك ما غاب في السماوات والأرض وقيل معناه ولله خزائن السماوات والأرض عن ابن عباس ووجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدوان والتشنيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل على ان الله سبحانه يختص بعلم الغيب خلافاً لما تقول الرافضة أن الائمة يعلمون الغيب ولا شك انه عني بذلك من يقول بإمامة الإثني عشر ويدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن هذا دأبه وديدنه فيهم يشنع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب القضائح والقبائح اليهم ولا نعلم احدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق فإنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيها احد من المخلوقين ومن اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الإسلام فأما ما نقل عن امير المؤمنين عليه السلام ورواه عنه الخاص والعام من الاخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها مثل قوله يومئ به إلى صاحب الزنج كأني به يا احنف وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا صهيل خيل يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام وقوله يشير إلى مروان اما إن له إمرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو الأكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده موتا احمر وما نقل من هذا الفن عن ائمة الهدى عليهم السلام من أولاده مثل ماقاله ابو عبد الله «ع» لعبد الله بن الحسن وقد اجتمع هو وجماعة من العلوية والعباسية ليبايعوا ابنه محمداً والله ما هي اليك ولا الى ابنيك ولكنها لهم وأشار الى العباسية وان ابنيك لمقتولان ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له أرأيت صاحب الرداء الأصفر يعني ابا جعفر المنصور قال نعم فقال انا والله نجده يقتله فكان كما قال ومثل قول الرضا «ع» بورك قبر بطوس وقبران ببغداد فقيل له قد عرفنا واحداً فما الآخر فقال ستعرفونه ثم قال قبري وقبر هارون هكذا وضم اصبعيه وقوله في القصة المشهورة لأبي حبيب النباجي وقد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزدناك وقوله في حديث علي بن احمد الوشا حين قدم مرو من الكوفة معك حلة في السفط القلاني دفعتها اليك ابنتك وقالت اشتر لي بثمنها فيروزجا والحديث مشهور إلى غير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام فإن جميع ذلك متلقى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما اطلعه الله عليه فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه الأخبار المشهورة الى انه يعتقد كونهم عالمين للغيب وهل هذا الاسب قبيح وتضليل لهم بل تكفير لا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير والله يحكم بينه وبينهم واليه المصير (واليه يرجع الأمر كله) أي الى حكمه يرجع في المعاد كل الأمور لأن في الدنيا قد يملك غيره بعض الأمر والنهي والنفع والضر (فاعبده وتوكل عليه) يريد أن من له ملك السماوات والأرض واليه يرجع جميع الامور فحقيق أن يعبد ويتذلل له ويتوكل عليه ويوثق به (وما ربك بغافل) أي بساه (عما تعملون) أي عن أعمال عباده بل هو عالم بها ومجاز كلا منهم عليها ما يستحقه من ثواب وعقاب فلا يحزنك يامحمد اعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروي عن كعب الاحبار انه قال خاتمة التوراة خاتمة هود

سورة يوسف

مكية وقال المعدل عن ابن عباس غير اربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من اولها والرابعة لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين

عدد آيها

مائة واحدى عشرة آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال علموا ارقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة يوسف في كل يوم او في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين وقال فيها انها كانت في التوراة مكتوبة وروى اسماعيل بن ابي زياد عن ابي عبد الله عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنزلوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف وعلموهن الغزل وسورة النور

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص أنباء الرسل افتتح هذه السورة بأن من تلك القصص قصة يوسف (ع) واخوته وانها من احسن القصص فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) آلر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ ثلاث آيات

— الاعراب —

قرآنا عربيا فيه وجهان ﴿احدهما﴾ قرآنا انتصب بأنه بدل من الهاء في أنزلناه فكأنه قال انا أنزلنا قرآنا ﴿والثاني﴾ انه توطئة للحال لأن عربيا حال وهذا كما تقول مررت بزيد رجلاً صالحا فتنصب صالحا على الحال وتجعل رجلا توطئة للحال وقوله بما أوحينا اليك هذا القرآن القرآن نصب وإنه وصف لمعمول أوحينا وهو هذا او بدل او عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعا في الكلام وإن لم يقرأ بهما أما الجر فعلى البدل مما أوحينا اليك اي بهذا القرآن وأما الرفع فعلى ترجمة ما اوحينا اليك كأن قائلا قال ما هو فقيل هذا القرآن

—(المعنى)—

(الر) قد سبق الكلام فيه في أول البقرة وإنما لم يعد آية لأنه على حرفين ولا يشاكل رؤوس الآي وعد طه آية لأنه يشبه رؤوس الآي (تلك آيات الكتاب) قيل في معنى الإشارة بتلك وجوه ﴿احدها﴾ انه اشارة الى ما سيأتي من ذكرها على وجه التوقع لها و﴿الثاني﴾ انه اشارة الى السورة اي سورة يوسف آيات الكتاب المبين ﴿والثالث﴾ ان معناه هذه الآيات تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة كما قال

الم ذلك الكتاب عن الزجاج و(المبين) المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة فيه عن مجاهد وقتادة والمبين والمبين واحد والبيان هو الدلالة (انا أنزلناه) يعني القرآن اي أنزلنا هذا الكتاب وقيل أنزلنا خبر يوسف وقصته عن الزجاج قال لأن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف (ع) فقال انا أنزلناه (قرآناً عربياً) على مجاري كلام العرب في محاوراتهم وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي (لعلكم تعقلون) اي لتعلموا جميع معانيه وتفهموا ما فيه وقيل معناه لتعلموا انه من عند الله اذ كان عربيا وعجزتم عن الإتيان بمثله وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث وانه غير الله لأنه وصفه بالإنزال وبأنه عربي ولا يوصف بذلك القديم سبحانه (نحن نقص عليك أحسن القصص) اي نبين لك أحسن البيان عن الزجاج وهذا كقولهم صمت أحسن الصيام وقمت أحسن القيام مما يكون انتصابه على انه قائم مقام المصدر فالمعنى نبين لك أحسن تبيين وأحسن ايضاح (بما اوحينا اليك) اي بوحينا اليك (هذا القرآن) ودخلت الباء لتبيين القصص اذ القصص تكون قرآناً وغير قرآن والقصص ههنا بوحي القرآن وقيل انما سمي القرآن أحسن القصص لأنه بلغ النهاية في الفصاحة وحسن المعاني وعذوبة الالفاظ مع التلاؤم المنافي للتنافر والتشاكل بين المقاطع والفواصل وقيل لأنه ذكر فيه أخبار الأمم الماضية وأخبار الكائنات الآتية وجميع ما يحتاج اليه العباد الى يوم القيامة بأعذب لفظ وتهذيب في احسن نظم وترتيب وقيل أراد بأحسن القصص قصة يوسف وحدها لأنها تتضمن من الفوائد والنكت والغرائب مالا يتضمنه غيرها ولأنها تمتد امتدادا لا يمتد غيرها مثلها وقوله احسن القصص يدل على ان الحسن يتفاضل ويتعاظم لأن لفظة افعل حقيقتها ذلك وإنما يتعاظم بكثرة استحقاق المدح عليه ويسأل عن هذا فيقال هل يجوز ان يسمى الله سبحانه قاصاً فيقال لا لأنه في العرف انما يستعمل فيمن تمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما أنه سبحانه لا يسمى معلما ولا مفتيا وان وصف نفسه بأنه علم القرآن وبأنه يفتيكم في النساء وقوله (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) معناه وما كنت من قبل ان أوحينا اليك هذا القرآن او من قبل نزول القرآن عليك إلا من الغافلين عن الحكم التي في القرآن لا تعلم شيئاً منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف وعن الحكم التي فيها

قوله تعالى (٤) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٥) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر يا أبت بفتح التاء والباقون بكسرها وابن كثير وقف على الهاء يا أبه والباقون بالتاء وروي في الشواذ عن ابي جعفر ونافع وطلحة بن سليمان أحد عشر بسكون العين والقراءة بفتحها وقرأ

الكسائي الاابا الحرث وقتيبة بإمالة رؤياك والرؤيا في جميع القرآن وروى ابو الحرث عنه فتح رؤياك وإمالة الباقي وقتيبة أمال للرؤيا تعبرون فقط وقرأ خلف في اختياره بإمالة ما فيه الف ولام والباقون بالتفخيم وخفف الهمزة في جميع ذلك ابوجعفر وورش وشجاع والترمذي الاانابا جعفر يدغم الواو في الياء فيجعلها ياء مشددة

=(الحجة)=

قال الزجاج من قرأ يا أبت بكسر التاء فعلى الإضافة الى نفسه وحذف الياء لأن ياء الإضافة تحذف في النداء وأما ادخال تاء التأنيث في الأب فإنما دخلت في النداء خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التأنيث ويوصف بما فيه تاء التأنيث فالاسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام يفعة ورجل ربعة فلزمت التاء في الأب عوضا من ياء الاضافة والوقف عليها يا أبه بالهاء وان كانت في المصحف بالتاء وزعم الفراء انك اذا كسرت وقفت بالتاء لا غير واذا فتحت وقفت بالتاء والهاء ولا فرق بين الكسر والفتح وأما يا أبت بالفتح فعلى أنه ابدل من ياء الاضافة الفا ثم حذفت الألف كما يحذف ياء الاضافة وبقيت الفتحة قال ابو علي من فتح فله وجهان ❊ احدهما ❊ ان يكون مثل يا طلحة اقبل ووجه قول من قال يا طلحة ان هذا النحو من الاسماء التي فيها تاء التأنيث أكثر ما يدعى مرخما فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة في الترخيم اليه وترك الآخر يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح فلم يعتد بالهاء واقحمها والوجه الآخر ان يكون أراد يا أبتا فحذف الالف كما يحذف التاء فتبقى الفتحة دالة على الالف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر « وهل جزع ان قلت وأبتاهما » وقول الاعشى

ويا ابتا لا تزل عندنا فإنا نخاف بأن تخترم

وقول رؤبة «ياابتاعلك اوعساكا» فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم الزموها القلب والحذف على ان اباعثمان قد رأى ذلك مطردا في جميع هذا الباب وأما وقف ابن كثير على الهاء فلأن التاء التي للتأنيث يبدل منها الهاء في الوقف فيغير الحرف بذلك في الوقف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بأن أبدل منه الألف ومن قرأ أحد عشر بسكون العين قال ابن جني سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد وبني الأول منهما لأنه كصدر الاسم من عجز جعل تسكين أول الثاني دليلا على انهما قد صارا كالاسم الواحد وكذلك بقية العدد الى تسعة عشر الا اثني عشر واثنتي عشر فإنه لا يسكن العين لسكون الألف والياء قبلها قال الزجاج الرؤيا فيها أربع لغات رؤيا بالهمزة وروبا بالواو من غير همز وريا على الادغام وريا بكسر الراء قال ابو علي الرؤيا مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى الا انه لما صار اسما لهذا التخيل في المنام جرى مجرى الاسماء كما ان دراً لما كثر في كلامهم في قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من حكم الاعمال فلا يعمل واحد منها اعمال المصادر ومما يقوي خروجه عن احكام المصادر تكسيرهم لها رؤى فصار بمنزلة ظلم والمصادر في الاكثر لا تكسر والرؤيا على تحقيق الهمز فإن خففت قلبتها في اللفظ واوا ولم تدغم الواو في الياء وان كانت قد تقدمتها ساكنة كما تقلب في نحو طي ولي لأن الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة فلا يقع الاعتداد بها وقد كسرا ولها قوم فقالوا ريا فهؤلاء قلبوا الواو قلبا على غير وجه التخفيف ومن ثم كسروا الفاء كما كسروا من قولهم قرن الوى وقرون لي

اللغة

الرؤيا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فإذا تصور الإنسان المعنى توهم انه يراه والكيد طلب الحيلة واللام في يكيدوا لك لام التعدية كما تقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيده كيداً وكاد له والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبي وأصله من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته

الإعراب

تقدير العامل في اذ يجوز ان يكون اذكر كأنه قال اذكر اذ قال يوسف قال الزجاج ويجوز ان يكون على نقص عليك اذ قال وقد غلط في هذا لأن الله تعالى لم يقص على نبيه ﷺ هذا القصص في وقت قول يوسف (ع) وكوكبا منصوب على التمييز وقوله رأيتهم كرر الرؤية توكيدا ولأن الكلام قد طال والمعنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر لي ساجدين ولم يقل ساجدات لأنه لما وصف هذه الاشياء بالسجود كما يوصف الآدميون بذلك اجرى فعلها مجرى فعل العقلاء وكما قال يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى ومثل ما رأيت يجتبيك ربك ويعلمك

(المعنى)

ثم ابتدأ سبحانه بقصة يوسف (ع) فقال (إذ قال يوسف لأبيه) يعقوب (ع) وهو اسرائيل الله ومعناه عبد الله الخالص ابن اسحاق نبي الله بن ابراهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي ﷺ قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) اي رأيت في منامي قال ابن عباس ان يوسف (ع) رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر أحد عشر كوكبا نزلن من السماء فسجدن له ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له قال فالشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر وقال السدي الشمس أبوه والقمر خالته وذلك أن أمه راحيل قد ماتت وقال ابن عباس الشمس أمه والقمر أبوه وقال وهب كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال له إياك ان تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت لها فقصها على أبيه (فقال) له لا تقصص رؤياك على إخوتك الآية وقيل انه كان بين رؤياه وبين مصيراً بيه وإخوته الى مصر اربعون سنة عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون سنة عن الحسن ولما طال الكلام كرر رؤيتهم وأعاده للتأكيد وقيل أراد بالرؤيا الأولى رؤية الأعيان والاشخاص وبالرؤية الثانية رؤية سجودهم واختلف في معنى هذا السجود فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لتكرمته لا لعبادته وقيل معناه الخضوع له عن الجبائي كما قال الشاعر « ترى الأكم فيه سجدا للحوافر » وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما رضي أن يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه (قال) يعقوب يا بني (لا تقصص رؤياك على اخوتك) اي لا تخبرهم بذلك (فيكيدوا لك كيدا) اي فيحسدوك او يقابلوك بما فيه هلاكك وذلك ان رؤيا الانبياء وحي وعلم يعقوب ان اخوة يوسف يعرفون تأويلها ويخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه ويبغونه الغوائل (ان الشيطان للإنسان عدو مبين) اي ظاهر

العداوة فيلقي بينهم العداوة ويحملهم على انزال المكروه بك (وكذلك) اي كما أريك هذه الرؤيا تكرمة لك وأبين ان اخوتك يخضعون لك او يسجدون لك (يجتبيك ربك) اي يصطفيك ربك ويختارك للنبوة عن الحسن وقيل الحسن الخلق والخلق (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل معناه ويعلمك من تعبير الرؤيا لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم وسماه تأويلا لأنه يؤول أمره الى ما رأى في المنام عن قتادة وقال ابن زيد كان أعبر الناس للرؤيا وقيل معناه ويعلمك عواقب الأمور بالنبوة والوحي اليك فتعلم الاشياء قبل كونها معجزة لك لأنه أضاف التعليم الى الله وذلك لا يكون الا بالوحي عن ابي مسلم وقيل تأويل أحاديث الأنبياء والأمم يعني كتب الله ودلائله على توحيده والمشروع من شرائعه وأمور دينه عن الحسن والجبائي والتأويل في الأصل هو المنتهى الذي يؤول اليه المعنى وتأويل الحديث فقهه الذي هو حكمه لأنه اظهار ما يؤول اليه أمره مما يعتمد عليه وفائدته (ويتم نعمته عليك) بالنبوة لأنها منتهى نعيم الدنيا وقيل اتمام النعمة هو ان يحكم بدوامها على تخليصها من شائب بها فهذه النعمة التامة وخلوصها مما ينقصها ولا يطلب ذلك الا من الله تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه وقيل معناه ويتم نعمته عليك بأن يحوج اخوتك اليك حتى تنعم عليهم بعد اساءتهم اليك (وعلى آل يعقوب) اي وعلى اخوتك بأن يثبتهم على الإسلام ويشرفهم بمكانك ويجعل فيهم النبوة وقيل يتم نعمته عليهم بإنقاذهم من المحن على يديك (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق) اي كما أتم النعمة على ابراهيم بالخلة والنبوة والنجاة من النار وعلى اسحاق بأن فداه عن الذبح بذبح عظيم عن عكرمة وقال انه الذبيح وقيل بإخراج يعقوب واولاده من صلبه عن أكثر المفسرين قالوا وليس هو الذبيح وانما الذبيح اسماعيل (ان ربك عليم) بمن يصلح للرسالة (حكيم) في اختيار الرسل وقيل عليم بأحوال خلقه حكيم في قضاياه

قوله تعالى (٧) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٨) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (١٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ أربع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير آية للسائلين والباقون آيات وقرأ اهل المدينة غيابات الجب والباقون غيابة الجب وفي الشواذ قراءة الاعرج غيابات مشددة وقراءة الحسن غيبة الجب وقرأ اهل المدينة والكسائي مبين اقتلوا بضم التنوين والباقون بالكسر

الحجة

قال ابو علي من قرأ آية على الافراد جعل شأنه كله آية ويقويه قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية فكل واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال فيه آية فأفرد مع ذلك ومن جمع جعل كل حال من احواله آية على ان المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالا على الكثرة كما يقع كذلك في غير الإيجاب قال الشاعر

فقتلا بتقتيل وضربا بضربكم جزاء العطاش لا ينام من الثار

واما الغيابة فكل شيء غيب شيئا عن ابي عبيدة وأنشد

فإن انا يوما غيبتني غيابة   فسيروا بسيري في العشيرة والأهل

والجب الركية التي لم تطو فمن أفرد فالوجه فيه ان الجب لا يخلو من أن يكون له غيابة واحدة أو غيابات وغيابة المفرد يجوز أن يعني به الجمع كما يعني به الواحد ومن جمع فإنه يجوز أن يكون له غيابة واحدة فجعل كل جزء منها غيابة كقولهم شابت مفارقه وبئر ذو غيابتين ويجوز ان يكون للبئر عدة غيابات فجمع لذلك واما غيابات بالتشديد فيكون اسما جاء على فعالة كما جاء التيار للموج والفياد للبوم الذكر والفخار للخزف وغير ذلك واما غيبته فيجوز ان يكون حدثا على فعلة من غاب فيكون بمعنى الظلمة ويجوز أن يكون موضعا على فعلة واما من ضم التنوين فلأنه التقى الساكنان التنوين والقاف في اقتلوا ولزم تحريك الأول منهما فحركه بالضم ليتبع الضمة الضم كما قيل سر ومد ومن كسر التنوين فإنه لم يتبع الضم كما ان من قال مد لم يتبع وكسر الساكن على ما يجري عليه أمر تحريك الساكن في الأمر الشائع

﴿ اللغة ﴾

الآية والعلامة والعبرة نظائر والعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ويقع على جماعة من عشرة الى خمس عشر وقيل ما بين العشرة الى الاربعين ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر والفرق بين المحبة والشهوة ان الانسان يحب ولده ولا يشتهيه بأن يميل طبعه اليه ويرق عليه ويريد له الخير والشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة وإنما سمي البئر جبا لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طي ومنه المجبوب قال الأعشى

وإن كنت في جب ثمانين قامة   ورقيت اسباب السماء بسلم

وكل ما غيب شيئا عن الحس بكونه فيه فهو غيابة فغيابة البئر شبه لحف او طاق فوق ما البئر والسيارة الجماعة المسافرون لأنهم يسيرون في البلاد وقيل هم مارة الطريق والالتقاط تناول الشيء من الطريق ومنه اللقطة واللقيط ومعناه أن يجده من غير ان يحسبه يقال وردت الماء التقاطا إذا وردته من غير أن تحسبه

﴿ الإعراب ﴾

العامل في قوله إذ قالوا اذكر وتقديره اذكر إذ قالوا ليوسف ويحتمل أن يكون العامل فيه ما في الآية التي قبله من قوله لقد كان في يوسف واخوته آيات إذ قالوا واللام في قوله ليوسف جواب القسم تقديره والله ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا يخل لكم جواب الأمر وتكونوا جزم لأنه معطوف عليه وروي عن الحسن تلتقطه بعض السيارة بالتاء وهذا كما يقال أذهبت بعض اصابعه وقال الشاعر

طول الليالي اسرعت في نقضي   طوين طولي وطوين عرضي

فقال اسرعت وطوين لتأنيث الليالي ولم يحمله على طول وهو مذكر

﴿ المعنى ﴾

ثم أنشأ سبحانه في ذكر قصة يوسف فقال (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) ومعناه لقد كان في حديث يوسف واخوته عبر للسائلين عنهم وأعاجيب فمنها انهم نالوه بالأذى ودبروا في قتله واجتمعوا على القائه في البئر للحسد مع انهم اولاد الأنبياء فصفح عنهم عليه السلام لما مكنه الله منهم وأحسن اليهم

ولم يعيرهم بما كان منهم وهذا خارج عن العادة وفيه عبرة لمن اعتبر فيها في منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمنحة بعد المحنة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه«ع» لم يقرأ كتابا فعلم انه لم يأته ذلك إلا من جهة الوحي فهو بصيرة للذين سألوه أن يخبرهم بذلك ومعجزة دالة على صدقه وأخوته هم أولاد يعقوب وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه وكانوا اولاد علة عن الجبائي وقيل اسماؤهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهودا وريالون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خالة يعقوب ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن يامين وولد له من سريتين له اسم احداهما زلفة والاخرى بلهة اربعة بنين دان ونفتالي وحاد وآشر وكانوا اثني عشر ثم اخبر سبحانه عما قالت أخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف وتأويل يعقوب إياه فقال (إذ قالوا) اي قال بعضهم لبعض (ليوسف وأخوه) لأبيه وأمه بنيامين (أحب الى أبينا) يعقوب (منا) وذلك أن يعقوب(ع) كان شديد الحب ليوسف وكان يوسف من أحسن الناس وجها وكان يعقوب يؤثره على اولاده فحسدوه ثم رأى الرؤيا فصار حسدهم له أشد وقيل انه«ع» كان يرحمه وأخاه ويقربهما لصغرهما فاستثقلوا ذلك وروى ابو حمزة الثمالي عن زين العابدين «ع» ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق به ويأكل هو وعياله منه وان سائلا مؤمنا صواما اعتر ببابه عشية جمعة عند أوان افطاره وكان مجتازا غريبا فهتف على بابه واستطعمهم وهم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما يئس أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكا جوعه الى الله تعالى وبات طاويا واصبح صائما صابرا حامدا لله وبات يعقوب وآل يعقوب بطانا واصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فابتلاه الله سبحانه بيوسف(ع) وأوحى اليه ان استعد لبلائي وارض بقضائي واصبر للمصائب فرأى يوسف الرؤيا في تلك الليلة والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وروي ذلك عن ابن عباس او قريب منه (ونحن عصبة) معناه ونحن جماعة يتعصب بعضنا لبعض ويعين بعضنا بعضا اي فنحن أنفع لأبينا وقيل يعني ونحن عصبة لا يعجزنا الاحتيال عليه (إن أبانا لفي ضلال مبين) اي في ذهاب عن طريق الصواب الذي هو التعديل بيننا في المحبة وقيل معناه انه في خطأ من الرأي في أمور الأولاد والتدبير الدنيوي ونحن اقوم بأمور مواشيه وامواله وسائر اعماله ولم يريدوا به الضلال عن الدين لأنهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفارا وذلك خلاف الاجماع ولأنهم بالاتفاق كانوا على دينه وكانوا يعظمونه غاية التعظيم ولذلك طلبوا محبته وأصل الضلال العدول وكل من ذهب عن شيء وعدل عنه فقد ضل واكثر المفسرين على ان اخوة يوسف كانوا أنبياء وقال بعضهم لم يكونوا أنبياء لأن الأنبياء لايقع منهم القبائح وقال المرتضى قدس الله روحه لم يقم لنا الحجة بأن اخوة يوسف الذين فعلوا ما فعلوه كانوا أنبياء ولايمتنع ان يكون الاسباط الذين كانوا انبياء غير هؤلاء الأخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم وليس في ظاهر الكتاب ان جميع اخوة يوسف وسائر الاسباط فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد وقيل يجوز أن يكون هؤلاء الاخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الأفعال ويعاتب على ذلك ويلام ويضرب وهذا الوجه قول البلخي والجبائي ويدل عليه قوله نرتع ونلعب وروى ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده عن محمد بن اسماعيل بن بزيغ عن حنان بن سدير قال قلت لأبي جعفر أكان اولاد يعقوب أنبياء فقال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولادا لأنبياء ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وقال الحسن كانوا رجالا بالغين ووقعت ذلك منهم صغيرة ثم اخبر سبحانه عنهم انهم قال بعضهم لبعض (اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا) اي اطرحوه في ارض بعيدة عن أبيه فلا يهتدي اليه وقيل معناه في ارض تأكله السباع او يهلك بغير ذلك (يخل لكم وجه ابيكم) عن يوسف

وتخلص لكم محبته والمعنى انكم متى قتلتموه او طرحتموه في ارض أخرى خلا لكم ابوكم وحن عليكم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) اي وتكونوا من بعد قتل يوسف او غيبته قوما تائبين والمعنى انكم إذا فعلتم ذلك وبلغتم اغراضكم تبتم مما فعلتموه وكنتم من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على انهم رأوا ذلك ذنبا يصح التوبة منه عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وتكونوا قوما صالحين في امر دنياكم اي يعود حالكم مع ابيكم إلى الصلاح عن الحسن ومتى يسأل ههنا على قول من جعلهم غير بالغين فقال أليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لعلمهم بالوعيد فالجواب ان المراهق قد يجوز أن يعلم ذلك خاصة إذا كان مربى في حجر الأنبياء ومن اولادهم واختلف فيمن قال ذلك من اخوته فقال وهب قاله شمعون وقال مقاتل قاله روبين ثم اخبر سبحانه عن واحد من جملة القوم بقوله (قال قائل منهم) اي من اخوة يوسف (لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) اي القوه في قعر البئر يتناوله بعض مارة الطرق والمسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى والقائل لذلك روبين وهو ابن خالة يوسف عن قتادة وابن اسحاق وكان احسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقيل هو يهوذا وكان اقدمهم في الرأي والفضل وأسنهم عن الاصم والزجاج وقيل هو لاوي رواه علي بن ابراهيم في تفسيره واختلفوا في ذلك الجب فقيل هو بئر بيت المقدس عن قتادة وقيل بارض الاردن عن وهب وقيل بين مدين ومصر عن كعب وقيل على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب عن مقاتل (إن كنتم فاعلين) معناه إن كنتم فاعلين شيئا مما تقولون في يوسف فليكن هذا فعلكم فانه دون القتل الصريح وقال ابن عباس يريد إن أضمرتم ما تريدون وقيل للحسن أيحسد المؤمن فقال ما أنساك حديث بني يعقوب

قوله تعالى (١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١٢) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ آيتان

(القراءة)

قرأ ابو جعفر والحلواني عن قالون لا تأمنا مشددة النون بلا اشمة وقرأ الباقون بالإشمام وهو الإشارة إلى النون المدغمة بالضمة وهو اختيار ابي عبيدة وقرأ ابو جعفر ونافع يرتع ويلعب بالياء فيهما وكسر العين من يرتع وقرأ ابن كثير نرتع ونلعب بالنون فيهما وكسر العين وقرأ ابو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب بالنون فيهما وجزم العين وقرأ اهل الكوفة ورويس عن يعقوب يرتع ويلعب بالياء فيهما وجزم العين وقرأ روح وزيد عن يعقوب نرتع بالنون وجزم العين ويلعب بالياء وقد روي ذلك عن ابي عمرو وهو قراءة الأعرج وابراهيم النخعي وفي الشواذ قراءة العلاء بن سيابة يرتع بالياء وكسر العين ويلعب رفعا وقراءة ابي رجا يرتع ويلعب

(الحجة)

قال الزجاج يجوز في تأمنا أربعة أوجه اشمام النون مع الادغام الضم وهو الذي حكاه ابن مجاهد عن الفراء والاشمار بالضمة والإدغام من غير اشمام لأن الحرفين من جنس واحد وتأمننا بالاظهار ورفع النون الاولى لأن النونين من كلمتين وتئمنا بكسر التاء لأن ماضيه على فعل كما قالوا تعلم ونعلم وهي قراءة يحيى بن وثاب وهذه القراءة مخالفة للمصحف وإن كانت في العربية جائزة وأما قوله نرتع ويلعب فقد قال ابو علي قراءة من قرأ نرتع بالنون وكسر العين ويلعب بالياء حسن لانه جعل الارتعاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر واسند اللعب إلى يوسف لصغره ولا لوم على الصغير في اللعب والدليل على صغر يوسف قول اخوته وانا له لحافظون ولو كان كبيرا لم يحتج إلى حفظهم ويدل على ذلك قول يعقوب وأخاف ان يأكله الذئب وإنما يخاف الذئب على من لا دفاع به من شيخ كبير او من صبي صغير قال

اصبحت لا احمل السلاح ولا　　املك رأس البعير إن نفرا
والذئب اخشاه إن مررت به　　وحدي واخشى الرياح والمطرا

وأما الارتعاء فهو افتعال من رعيت مثل شويت واشتويت وكل واحد منهما متعد إلى مفعول به قال الأعشى

ترتعي السفح فالكثيب فذاقار　　فروض القطا فذات الرمال

وقال آخر

رَعَتْ بارضَ البُهمَى جميماً وَبُسرةً　　وَصَمْعاء حتى آنفتها نِصالها

وقد يستقيم أن يقال نرتع وإنما ترتع ابلهم فيما قال ابو عبيدة ووجه ذلك انه كان الأصل يرتع ابلنا ثم حذف المضاف واسند الفعل إلى المتكلمين فصار نرتع وكذلك نرتعي على يرتعي ابلنا ثم حذف المضاف فيكون نرتع وقال ابوعبيدة نرتع نلهو وقد يكون هذه الكلمة على غير معنى اللهو ولكن على معنى النيل من الشيء كقولهم في المثل الصيد والرتعة وكان على هذا النيل والذلول مما يحتاج اليه الحيوان وقد قال الأعشى (صدر النهار يراعي ثيرة رتعا) وعلى هذا القول قالوا رأيت مرتع ابلك لمرادها الذي فيه فهذا لا يكون على اللهو لانه جمع ثور راتع اورتوع فاما من قرأ نرتع ونلعب بالنون فيكون نرتع على يرتع ابلنا او على انتنانا نال مما يحتاج اليه وينال معنا واما نلعب فحكي ان ابا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء فلو صحت هذه الحكاية عنه وصح عنده هذا التاريخ وإلا فقد قال الشاعر

جدت جداد بلاعب وتقشعت　　غمرات قالت ليته حيران

فكان اللاعب هاهنا الذي لم يتشمر في اهله فدخله بعض الهوينا فهذا اسهل من الوجه الذي قوبل به الحق وقد روي عن النبي ﷺ انه قال لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك فهذا كأنه يتشاغل بمباح وبنفس وجمام من الجد وقد روي عن بعض السلف انه كان إذا اكثر النظر في مسائل الفقه قال احمضوا فليس هذا اللعب كاللعب في قوله ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب وأما من قرأ بالياء فيهما فإن كان يرتع من اللهو كما فسره ابو عبيدة فلا يمتنع أن يخبر به عن يوسف اصغره كما لا يمتنع أن ينسب اليه اللعب لذلك وان كان يرتع من النيل من الشيء فذلك لا يمتنع عليه ايضا فوجههما بين وهذا ابين من قول من قال ونلعب بالنون لأنهم سألوا ارساله ليتنفس بلعبه ولم يسألوا إرساله ليلعبوا هم وأما من قرأ ويلعب بالرفع فإنه جعله استئنافا اي هو ممن يلعب كقولك زرني احسن اليك اي انا ممن يحسن اليك وأما من قرأ نرتع فمعناه يرتع ابله فحذف المفعول كما قال الحطيئة

منعمة تصون اليك منها　　كصونك من رداء شرعبي

اي تصون الحديث وقال الشنفري

كأن لها في الأرض نسيا تقصه　　على امها وان تكلمك تبلت

أي تقطع حديثها خفرا وحياء

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انهم عند اتفاق آرائهم فيما تآمروا فيه من امر يوسف كيف سألوا أباهم ﴿قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف﴾ اي ما لك لا تثق بنا ولا تعتمدنا في امر يوسف ﴿وإنا له لناصحون﴾ أي مخلصون في إرادة الخير به وفي هذا دلالة على انه عليه السلام كان يأبى عليهم ان يرسله معهم ﴿ارسله معنا غدا﴾ اي إلى الصحراء ﴿نرتع ونلعب﴾ الجزم على جواب الأمر والمعنى أن ترسله معنا نرتع ونلعب اي نذهب ونجيء وننشط ونلهو عن الكلبي والضحاك وقيل نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضا ونلهو من مجاهد وقيل نرعى ونتصرف والرتع هو التردد

يمينا وشمالا عن ابن زيد وأرادوا به اللعب المباح مثل الرمي والاستباق بالاقدام وقد روي أن كل لعب حرام إلا ثلاثة لعب الرجل بقوسه وفرسه وأهله (و إنا له) اي ليوسف (لحافظون) أي نحفظه لنرده اليك وقيل نحفظه في حال لعبه وقال مقاتل هاهنا تقديم وتأخير وذلك إن اخوة يوسف قالوا له ارسله فقال ابوهم إني ليحزنني أن تذهبوا به الآية فحينئذ قالوا ياأبانا ما لك لاتأمنا على يوسف وإنا له لناصحون و إذا صح الكلام من غير تقديم وتأخير فلا معنى لحمله عليه قال الحسن جعل يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في البلاء إلى أن وصل اليه ابوه ثمانين سنة ولبث بعد الاجتماع ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل انه كان ليوسف يوم القي في الجب عشر سنين وقيل كان له اثنتا عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين او تسع وجمع بينه وبين ابيه وهو ابن اربعين سنة عن ابن عباس وغيره وفي الآيات دلالة على ظهور حسدهم ليوسف لأنه كان يحرسه منهم ويمنعه عن الخروج معهم ولا يأمنهم عليه

قوله تعالى (١٣) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٤) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٥) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٦) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٧) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٨) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ست آيات

اللغة

الذئب أصله الهمز و إن خففت جاز وقراءة الكسائي وخلف وابو جعفر وورش والاعشى واليزيدي بتخفيف الهمزة في المواضع الثلاث والباقون بالهمز وجمع الذئب اذؤب وذئاب وذؤبان وتذاءبت الريح أتت من كل جهة وحزنت واحزنت لغتان والحزن ألم القلب بفراق المحبوب والشعور إدراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن والمجيء والمصير إلى الشيء واحد وقد يكون المصير بالانقلاب كمصير الطين خزفا وقد يكون بمعنى الانتقال والعشاء آخر النهار ومنه اشتق الاعشى لأنه يستضيء ببصر ضعيف ويقال العشاء اول ظلام الليل ويقال العشي من زوال الشمس إلى الصباح والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة والاستباق افتعال من السبق واستبقا تبادرا حتى يظهر الاقوى ومنه المسابقة وهو على ثلاثة أوجه سباق بالرمي وذلك جائز بالاتفاق وسباق على الخيل والإبل وذلك جائز عندنا وسباق على الاقدام وذلك غير جائز بعوض وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة يجوز بعوض وبلا عوض وبه قال قوم من اصحابنا وكذلك القول في الصراع ودم كذب اي مكذوب فيه وهو مصدر وصف به وقيل ان تقديره بدم ذي كذب قال الفراء يجوز أن يقع المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر في مثل قول الشاعر

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا

ولم يجزه سيبويه وقال المفعول لا يكون مصدرا ويتأول قولهم خذ ميسورة ودع معسورة وقال يعني به خذ ما يسر له ودع ما عسر عليه وكذلك ليس لفؤاده معقول اي ما يعقل به وروي عن عائشة انها قرأت بدم كدب بالدال اي دم طري والتسويل تزيين النفس ما ليس بحسن وقيل هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه

﴿ الاعراب ﴾

اللام في قوله لئن هي اللام التي يتلقى بها القسم وانا إذا لخاسرون جواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما محذوف وتقديره عظمت فتنتهم او كبر ما قصدوا له والكوفيون يقولون الواو في واجمعوا مقحمة وتقديره اجمعوا ولا يجيز البصريون اقحام الواو وقالوا لم يثبت ذلك بحجة ولا قياس ومما أنشده الكوفيون في ذلك قول الشاعر

حتى إذا قملت بطونكم ورأيتم ابناءكم شبوا
وقلبتم ظهر المجن لنا إن اللئيم العاجز الخب

وقول امرئ القيس

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

قالوا أراد انتحى والبصريون يحملون الجميع على حذف الجواب وقوله يبكون في موضع نصب على الحال وعشاء منصوب على الظرف وجائز أن يكون وهم لا يشعرون من صلة قوله لتنبئنهم وجائز أن يكون من صلة وأوحينا اي نبأناه بالوحي وهم لا يشعرون انه نبي قد أوحي اليه ونستبق في موضع نصب على الحال وصبر جميل مرفوع على احد وجهين على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فشأني صبر جميل او فصبري صبر جميل وهو قول قطرب او على انه مبتدء محذوف الخبر والتقدير فصبر جميل امثل وانشد

شكا إلي جملي طول السرى يا جملي ليس إلي المشتكى
صبر جميل فكلانا مبتلى

ويجوز في غير القرآن فصبرا جميلا وروي ذلك عن ابي ويكون معناه فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة

ألا إنما مي فصبرا بلية وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر

وقال الآخر

أبى الله أن يبقى لحي مجاشة فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه انهم لما اظهروا النصح والشفقة على يوسف هم يعقوب ان يبعثه معهم وحثهم على حفظه فقال (اني ليحزنني) اي يغمني (ان تذهبوا به) وتغيبوه عني وقيل معناه يحزنني مفارقته إياي (واخاف) عليه إذا ذهبتم به إلى الصحراء (أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) فهذه جملة في موضع الحال وتقديره اخاف ان يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض اشغالكم قالوا وكانت ارضهم مذأبة وكانت الذئاب ضارية في ذلك الوقت وقيل ان يعقوب رأى في منامه كأن يوسف قد شد عليه عشرة اذوءب ليقتلوه و إذا ذئب منها يحمي عنه فكأن الارض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة ايام فمن ثم قال هذا فلقنهم العلة وكانوا لا يدرون وروي عن النبي ﷺ انه قال لا تلقنوا الكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم ابوهم وهذا يدل على ان الخصم لا ينبغي أن يلقن حجة وقيل انه خاف عليه أن يقتلوه فكنى عنهم بالذئب مسايرة لهم قال ابن عباس سماهم ذئابا (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) اي جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده ولا نمنعه منه (إنا إذا لخاسرون) أي نكون كالذين تذهب عنه رؤوس اموالهم على رغم منهم وقيل معناه إنا إذاً عجزة ضعفة قال الحسن والله لقد كانوا اخوف عليه من الذئب وقيل معناه إنا إذا لمضيعون بلغة قيس عيلان عن المؤرج وههنا حذف والتقدير انه ارسله معهم إجابة لما سألوه ليؤدي ذلك إلى الالفة والمحبة (فلما ذهبوا به وأجمعوا) اي عزموا جميعا (أن يجعلوه في غيابة الجب) اي قعر

البئر واتفقت دواعيهم عليه فإن من دعاه داع واحد إلى الشيء لا يقال فيه انه اجمع عليه فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعي ويدل الألف واللام على انه كان بئرا معروفة معهودة عندهم تجيئها السيارة وقيل انهم طلبوا بئرا قليلة الماء تغيبه ولا تغرقه فجعلوه فيها وقيل بل جعلوه في جانب منها وقيل ان يعقوب ارسله معهم فأخرجوه مكرما فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يغيثه وكان يقول يا أبتاه فهموا بقتله فمنعهم يهوذا منه وقيل منعهم لاوي رواه بعض اصحابنا عنهم عليهم السلام فانطلقوا به إلى الجب فجعلوا يدلونه في البئر وهو يتعلق بشفير البئر ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول لاتفعلوا ردوا علي القميص أتوارى به فيقولون ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا يؤنسنك فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وكان يهوذا يأتيه بالطعام عن السدي وقيل ان الجب اضاء له وعذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام والشراب وقيل كان الماء كدرا فصفا وعذب ووكل الله به ملكا يحرسه ويطعمه عن مقاتل وقيل ان جبرائيل كان يؤنسه وقيل ان الله تعالى أمر بصخرة حتى ارتفعت من اسفل البئر فوقف يوسف عليها وهو عريان وكان ابراهيم الخليل (ع) حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأتاه جبرائيل (ع) بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك عند ابراهيم (ع) فلما مات ورثه اسحاق فلما مات اسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه فكان لا يفارقه فلما ألقي في البئر عريانا جاءه جبرئيل وكان عليه ذلك التعويذ فأخرج منه القميص فألبسه إياه وروى ذلك مفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال وهو القميص الذي وجد يعقوب ريحه ولما فصلت العير من مصر وكان يعقوب بفلسطين فقال إني لأجد ريح يوسف وفي كتاب النبوة عن الحسن بن محبوب عن الحسن بن عمارة عن مسمع ابي سيار عن الصادق (ع) قال لما القي اخوة يوسف يوسف في الجب نزل عليه جبرئيل فقال له يا غلام من طرحك هنا فقال اخوتي لمنزلتي من ابي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني فقال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال ذلك إلى إله ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال له جبرئيل فإن إله ابراهيم واسحاق ويعقوب يقول لك قل اللهم إني اسألك بأن لك الحمد لا إله إلا انت بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أن تصلي على محمد وآل محمد وان تجعل لي في امري فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا احتسب فجعل الله له من الجب يومئذ فرجا ومخرجا ومن كيد المرأة مخرجا وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب وروى علي بن ابراهيم ان يوسف (ع) قال في الجب يا إله ابراهيم واسحاق ويعقوب ارحم ضعفي وقلة حيلتي وصغري وقوله (وأوحينا اليه) يعني إلى يوسف (ع) قال الحسن اعطاه الله النبوة وهو في الجب والبشارة بالنجاة والملك (لتنبئنهم بأمرهم هذا) أي لتخبرنهم بقبيح فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه في آخر السورة من قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه (وهم لا يشعرون) انك يوسف وكان الوحي اليه كالوحي الى سائر الأنبياء وقال مجاهد وقتادة اوحى الله اليه ونبأه وهو في الجب وكان فيما اوحى اليه ان اكتم حالك واصبر على ما اصابك فإنك ستخبر إخوتك بما فعلوا بك في وقت لا يعرفونك وقيل يريد وهم لا يشعرون بأنه اوحي اليه وقيل ان معنى قوله لتنبئنهم لتجازينهم على فعلهم تقول العرب للرجل يتوعده بمجازاة سوء فعله لأنبئنك ولأعرفنك اي لأجازينك وقيل أراد بذلك انهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فأخذ الصاع ونقره فطن فقال ان هذا الجام ليخبرني أنه كان لكم أخ من أبيكم القيتموه في الجب وبعتموه بثمن بخس فهذا معنى قوله لتنبئنهم بأمرهم هذا عن ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجعوا الى ابيهم فقال (وجاؤا اباهم) يعني وانقلب اخوة يوسف الى أبيهم (عشاء) اي ليلا او في آخر النهار ليلبسوا على أبيهم وليكونوا اجرأ على الاعتذار (يبكون) وانما أظهروا البكاء ليوهموا انهم صادقون وفي هذا دلالة على ان البكاء لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه قال السدي لما سمع

بكاءهم فزع فقال ما بالكم (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) اي نشتد ونعدو على الاقدام لننظر اينا اعدى واسبق لصاحبه عن الجبائي والسدي وقيل معناه نتنصل ونترامى فننظر اي السهام اسبق الى الغرض عن الزجاج وفي قراءة عبد الله ننتصل (وتركنا يوسف عندمتاعنا) اي تركناه عند الرحل ليحفظه (فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا) اي ما انت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) جواب لو محذوف اي ولو كنا صادقين ما صدقتنا لاتهامك لنا في أمر يوسف ودل الكلام عليه ولم يصفوه بأنه لا يصدق الصادق لأن المعنى لا يصدقهم لاتهامه لهم وسوء ظنه بهم لما ظهر له من امارات حسدهم ليوسف وشدة محبته ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) معناه ان أخوة يوسف جاؤا اباهم ومعهم قميص يوسف ملطخا بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب وقيل انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميصه عن ابن عباس ومجاهد وقيل ظبيا ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطر ببالهم ان الذئب اذا أكل إنسانا فإنه يمزق ثوبه وقيل ان يعقوب قال لهم اروني القميص فاروه إياه فقال لهم لما رأى القميص صحيحا يا بني والله ما عهدت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق قميصه عن الحسن وروي انه القى ثوبه على وجهه وقال يا يوسف لقد أكلك ذئب رحيم أكل لحمك ولم يشق قميصك ومعنى قوله بدم كذب مكذوب عليه او فيه كما يقال ماء سكب اي مسكوب وشراب صب اي مصبوب قال الشاعر

تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا

اراد نائحة عليهم وقيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قد من دبر وحين القي على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه يعقوب على ان الذئب لو أكله لمزق قميصه عن الشعبي وقيل انه لما قال لهم يعقوب ذلك قالوا بل قتله اللصوص فقال (ع) فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أحوج منهم الى قتله (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) اي قال يعقوب لهم اذ اتهمهم في يوسف لم يأكله الذئب ولم يقتله اللصوص ولكن زينت لكم انفسكم امرا عملتموه عن قتادة وقيل سهل بعضكم لبعض امرا في يوسف غير الذي فعلتموه حتى سهل عليكم فقتلتموه عن ابي مسلم والجبائي وانما رد يعقوب عليهم بوحي من الله عز اسمه وقيل كان ذلك حدثا بصائب رأيه وصادق ذهنه (فصبر جميل) اي فصبري صبر جميل لا جزع فيه ولاشكوى إلى الناس وقيل فصبر جميل احسن واولى من الجزع الذي لا يغني شيئا وقيل انما يكون الصبر جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي وجب فلما كان الصبر في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك ذكره المرتضى قدس الله روحه وقيل ان البلاء نزل بيعقوب على كبره وبيوسف على صغره بلا ذنب كان منهما فأكب يعقوب على حزنه وانطلق يوسف في رقه وكل ذلك بعين الله يرى ويسمع حتى أتى بالمخرج وكل ذلك امتحان (والله المستعان على ما تصفون) اي بالله أستعين على دفع ما تصفون او به استعين على تحمل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف في الجب ثلاثة أيام

قوله تعالى (١٩) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ آيتان

القراءة

قرأ أهل الكوفة يا بشرى بالف بغير ياء الاان حمزة والكسائي وخلف يميلون الراء وعاصم لا يميل والباقون يا بشراي بفتح الياء واثبات الالف وفي الشواذ قراءة الجحدري وابن ابي اسحاق والحسن يابشرى

الحجة

قال ابو علي من قرأ يا بشراي فأضاف الى الياء التي للمتكلم كان للالف التي هي حرف الاعراب عنده موضعان من وجهين (احدهما) ان الألف في موضع نصب من حيث كان نداء مضافا (والآخر) ان يكون في موضع كسر من حيث كان بمنزلة حرف الاعراب الذي في غلامي والدليل على استحقاقها لهذا الموضع قولهم كسرت في فلولا ان حرف الاعراب الذي ولي ياء الإضافة في موضع كسر ما كسرت الفاء من في فلما كسرت كما كسرت من قولهم بفيك وكما فتحت من قولهم رأيت فاك لما كانت في موضع الفتحة التي في قولك رأيت غلامك وانضمت في قولك هذا فوك لاتباعه الضمة المقدرة فيها كالتي في قولك هذا غلامك كذلك كسرت في قولهم كسرت في وهذا يدلك على انه ليس بعرب من مكانين الا ترى انها تبعت حركة غير الاعراب في قولك كسرت فيّ ياهذا كما تبعت حركة الاعراب في رأيت فاك ومن قال يابشرى احتمل وجهين (احدهما) ان يكون في موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه بالنداء (والآخر) ان يكون في موضع نصب وذلك لأنك اشيعت النداء ولم تختص به كما فعلت في الوجه الأول فصار كقوله ياحسرة على العباد الا ان التنوين لم يلحق بشرى لأنها لا تنصرف فأما من قرأ يا بشري فإن تلك لغة هذيل. قال ابو ذؤيب

سبقوا هويّ واعنقوا لسبيلهم   فتخرموا ولكل جنب مهجع

وقال آخر

يطوّف بي به عكبٌ في سعد   ويطعن بالصُّملة في قفيا

فإن لم تثأرا لي من عكبٍ   فلا رويتما أبدا صدينا

وامثاله كثيرة

اللغة

الوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء ليستقي وتقول ادليت الدلو اذا ارسلتها في البئر لتملأها ودلوتها اذا اخرجتها ملأى والبضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعته ومنه المبضع لأنه يبضع به العرق والشرى البيع قال الشاعر « وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه » والثمن بدل الشيء من العين او الورق ويقال في غيرهما ايضا مجازا والبخس النقص من الحق يقال بخسه في الكيل او الوزن اذا نقصه من حقه فيهما

الاعراب

قال الزجاج معنى النداء في يا بشرى وما في معناها مما لا يجيب ولا يعقل فإنه على تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة اذا قلت يا عجباه فكأنك قلت اعجبوا يا أيها العجب هذا من حينك وكذلك اذا قلت يابشرى فكأنك قلت ابشروا يا أيتها البشرى هذا من آيانك وبضاعة منصوب على الحال وتقديره وأسروه جاعليه بضاعة ودراهم في موضع جر بأنه بدل من ثمن ومعدودة صفة الدراهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة الزاهدين والمعنى وكانوا من الزاهدين ثم بين في أي شيء زهدوا فقال فيه فكأنه قال زهدوا فيه وهذا في الظروف جائز ولا يجوز ذلك في المفعولات لو قلت كنت زيدا من الضاربين لم يجز لأن زيدا من صلة الضاربين ولا تتقدم الصلة على الموصول

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد القائه في الجب فقال (وجاءت سيارة) اي جماعة مارة قالوا وانما جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريبا من الجب

وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فعذب وقيل كان الجب بظهر الطريق (فأرسلوا واردهم) اي فبعثوا من يطلب لهم الماء يقال بعثوا رجلا يقال له مالك بن زعر ليطلب لهم الماء (فأدلى دلوه) اي ارسل دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف (ع) بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعطي يوسف شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس وقال كعب الاحبار وكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوى الخلق ابيض اللون غليظ الساقين والعضدين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور في ضواحكه واذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يلتهب عن ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم (ع) يوم خلقه الله عز وجل وصوره ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما رآه المدلي (قال يا بشرى هذا غلام) عن قتادة والسدي وقيل انه نظر في البئر لما ثقل عليه الدلو فرآى يوسف (ع) فقال هذا غلام فأخرجوه عن الجبائي وقيل ان بشرى رجل من اصحابه ناداه عن السدي (وأسروه بضاعة) اي وأسر يوسف الذين وجدوه من رفقائهم من التجار مخافة ان يطلبوا منهم الشركة معهم في يوسف فقالوا هذا بضاعة لأهل الماء دفعوه الينا لنبيعه لهم عن مجاهد والسدي وقيل معناه وأسر اخوته يكتمون انه اخوهم فقالوا هو عبد لنا قد أبق واختفى منا في هذا الموضع وقالوا له بالعبرانية لئن قلت انا أخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس (والله عليم بما يعملون) اي بما يعمل اخوة يوسف (وشروه بثمن بخس) اي باعوه بثمن ناقص قليل عن عكرمة والشعبي وقيل حرام لأن ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدي وسمي الحرام بخسا لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة (دراهم معدودة) اي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل انهم كانوا لا يزنون من الدراهم ما دون الاوقية وكانوا يزنون الاوقية وهي الاربعون فما زاد عليها وكانت الدراهم عشرين درهما عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين (ع) قال وكانوا عشرة فاقتسموها درهمين درهمين وقيل كانت اثنين وعشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت اربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن ابي عبد الله (ع) واختلف فيمن باعه فقيل ان اخوة يوسف باعوه وكان يهوذا منتبذا ينظر الى يوسف فلما اخرجوه من البئر أخبر أخوته فأتوا مالكا وباعوه منه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقيل باعه الواجدون بمصر عن قتادة وقيل ان الذين أخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الأصم والأصح الأول وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن زعر وأصحابه يتعرفون من الله الخير في سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك قال وتحرك قلب مالك ليوسف فأتاه فقال اخبرني من انت فانتبه له يوسف ولم يكن مالك يعرفه فقال أنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فالزمه مالك وبكي وكان مالك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك ان يهب لي ولدا فدعا يوسف ربه ان يجعل له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا في كل بطن غلامان (وكانوا فيه من الزاهدين) قيل يعني به ان الذين اشتروه كانوا من الزاهدين في شرائه لأنهم وجدوا علامة الاحرار وأخلاق أهل البر والنبل فلم يرغبوا فيه مخافة ان يلحقهم تبعة في استعباده وقيل معناه وكانوا من الزاهدين في نفس يوسف لم يشروه للفجور وإنما اشتروه للربح وقيل المراد به الذين باعوه من اخوته كانوا غير راغبين في يوسف ولا في ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبعيده وقيل كانوا من الزاهدين في يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه ولاتنافي بين هذه الاقوال فيجوز حمل الآية على جميعها وقيل ان الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين في ثمنه لأنهم علموا انه لقطة وليست ببضاعة

قوله تعالى (٢١) وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ

نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٢) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ آيتان

(اللغة)

الثواء الإقامة والمثوى موضع الإقامة والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو يتعاظم فأعلاه منزلة مايستحق بالنبوة وادناه ما يستحق بخصلة من الطاعات وأشد جمع لاواحد له وقيل هو واحد وان كان على وزن الجمع فهو مثل الآنك وهو الرصاص وقيل انه جمع واحده شد كما ان واحد الاشر شر قال الشاعر

هل غير أن كثر الاشر واهلكت حرب(؟) الملوك أكاثر الاموال

(الاعراب)

مصر لا ينصرف لأنه مؤنث معرفة وان ينفعنا في موضع رفع لكونه فاعل عسى وعسى هذه تامة لأنها تمت بفاعلها واللام في قوله ولنعلمه محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه ولنعلمه

(المعنى)

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد ان بيع فقال (وقال الذي اشتراه) اي اشترى يوسف (من مصر) اي من أهل مصر (لامرأته أكرمي مثواه) اي مقام يوسف وموضع نزوله اي هيئي له موضعا كريما شريفا وتقدير الآية فحملوه الى مصر وباعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشتري خازن فرعون مصر وخليفته وصاحب جنوده واسمه قطفير وكان لا يأتي النساء وقيل ان اسمه أظفير وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه يسمى بالعزيز ومن يسمى بالعزيز ممن لم يكن بمكانه نزع لسانه فلما عبر يوسف رؤيا الملك سمي العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن زعر منه بأربعين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين عن ابن عباس وقيل انه عرضه على البيع في سوق مصر فتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا وحريرا عن وهب فاشتراه العزيز بهذا الثمن وقال لامرأته راعيل ولقبها زليخا أكرمي مثواه (عسى ان ينفعنا) اي عسى ان نبيعه فنربح على ثمنه (او نتخذه ولدا) فإنه لا ولد لنا وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال والعقل والهداية في الأمور وعلى هذا فالعزيز هو خازن الملك وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف بعده حي فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى ان يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك مصر وكذلك هو في حديث علي بن الحسين عليه السلام (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) أي كما أنعمنا على يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكناه في الأرض بأن عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الأمر والنهي في الأرض التي كان يستولي عليها الملك وهي أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) وقد مضى معناه في أول السورة (والله غالب على امره) أي على أمر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قدر له من الملك والنبوة ولا يكله إلى غيره وقيل معناه والله غالب على أمر نفسه لا يعجزه شيء من تدابيره وأفعاله فهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان الله غالب على امر نفسه او أمر يوسف وقيل معناه لا يعلمون ما يصنع الله بيوسف وما يؤول اليه حاله (ولما بلغ) يوسف (اشده) أي منتهى شبابه وقوته وكمال عقله وقيل الاشد من ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة عن ابن عباس وقيل ان أقصى الأشد أربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الأكثرين ويؤيده الحديث من عمره الله ستين سنة فقد اعذر

اليه وقيل ان ابتداء الأشد من ثلاث وثلاثين سنة عن مجاهد وكثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك (آتيناه حكما) أي اعطيناه القول الفصل الذي يدعو إلى الحكمة (وعلما) وهو تبيين الشيء على ما هو به بما يحل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء إلى دين الله والعلم علم الشرع وقيل أراد الحكم بين الناس والعلم بوجوه المصالح فإن الناس كانوا إذا تحاكموا على العزيز أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله واصابته في الرأي وقيل هو العلم والعمل به وهو الحكم (وكذلك نجزي المحسنين) اي مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزي كل من أحسن أي فعل الأفعال الحسنة من الطاعات وقيل ان المحسنين الصابرون على النوائب عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل أراد محمداً ﷺ أي كما فعلنا بيوسف واعطيناه الملك بعد مقاساته البلاء والشدة كذلك نفعل بك يا محمد عن ابن جريج

قوله تعالى (٢٣) وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ آية

القراءة

قرأ أهل المدينة والشام هيت لك بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وضم التاء وقرأ الباقون هيت لك بفتح الهاء والتاء وروي عن علي (ع) وابي رجاء وابي وائل ويحيى بن وثاب هئت لك بالهمزة وضم التاء وروي ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس أيضاً هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء وروي ذلك عن ابي الاسود وابن ابي اسحق وابن محيصن وعيسى الثقفي وروي أيضاً عن ابن عباس هئت لك ايضا

الحجة

قال الزجاج في هيت لك لغات أجودها هيت لك بفتح الهاء والتاء قال الشاعر

ابلغ أمير المؤمنين ... أخا العراق إذا اتيتا
ان العراق واهله ... عنق اليك فهيت هيتا

أي فاقبل وتعال وحكى قطرب انه انشده بعض أهل الحجاز لطرفة

ليس قومي بالابعدين إذا ما ... قال داع من العشيرة : هيت
هم يجيبون ذا هلم سراعاً ... كالأبابيل لا تغادر بيتا

فهذا شاهد لابن كثير وكلها اسماء سمي بها الفعل بمنزلة صه ومه وايه والحركات في أواخرها لالتقاء الساكنين وأما الفتح فلأن قبل التاء ياء فهو كما قيل أين وكيف والكسر لأن الأصل في التقاء الساكنين حركة الكسر وأما الضم فلأنها في معنى الغايات كأنها قالت دعائي لك فلما حذفت الاضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ واما هئت بالهمزة وضم التاء فعل تقول هئت أهيء هيئة أي تهيأت وقالوا أيضاً هئت أهاء كخفت أخاف وأما هيئت لك ففعل صريح كقولك اصلحت لك واللام تتعلق بنفس هيتَ وهيتُ وهيتِ وهئت كما يتعلق بنفس هلم في قولك هلم لك

اللغة

المراودة المطالبة بأمر بالرفق واللين ليعمل به ومنه المرود لأنه يعمل به ولا يقال في المطالبة بالدين راوده وأصله من راد يرود إذا طلب المرعى وفي المثل الرائد لا يكذب أهله وهو في الآية كناية عما تريده النساء

من الرجال والتغليق إطباق الباب بما يعسر فتحه وإنما شدد ذلك لتكثير الاغلاق أو للمبالغة في الإيثاق

﴿ الاعراب ﴾

معاذ الله نصب على المصدر على تقدير أعوذ بالله معاذاً تقول عذت بالله عوذا ومعاذاوعياذا ومعاذة

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عن امرأة العزيز وما همت به فقال (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه)أي وطالبت يوسف المرأة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي زليخا والمعنى طلبت منه ان يواقعها (وغلقت الأبواب) على نفسها وعليه بابا بعد باب قالوا وكانت سبعة ابواب وقيل أراد باب الدار وباب البيت (وقالت هيت لك) أي هلم لك عن ابن عباس والحسن ومعناه أقبل وبادر إلى ما هو مهيأ لك (قال) يوسف (معاذ الله) أي اعتصم بالله واستجير به مما دعوتني اليه وتقديره عياذا بالله ان أجيب إلى هذا فكان(ع) أظهر الإباء وسأل الله سبحانه ان يعيذه ويعصمه من فعل ما دعته اليه (انه ربي أحسن مثواي) الهاء عائدة إلى زوجها عند أكثر المفسرين ومعناه ان العزيز زوجك مالكي أحسن تربيتي واكرامي وبسط يدي ورفع منزلتي فلا أخونه وانما سماه ربا لما كان ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل ان الهاء عائد إلى الله سبحانه والمعنى ان الله ربي رفع من محلي واحسن إلي وجعلني نبيا فلا اعصيه أبداً (انه لا يفلح الظالمون) دل بهذا على انه لو فعل ما دعته اليه لكان ظالما وفي هذه الآية دلالة على ان يوسف لم يهم بالفاحشة ولم يردها بقبيح لأن من هم بالقبيح لا يقول مثل ذلك

قوله تعالى (٢٤) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام والباقون بكسر اللام في جميع القرآن

(الحجة)

قال ابو علي حجة من كسر اللام قوله أخلصوا دينهم لله ومن فتح اللام فيكون بنى الفعل للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحد فإذا اخلصوا دينهم فهم مخلصون وإذا اخلصوا فهم مخلصون

﴿ اللغة ﴾

الهم في اللغة على وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم أي أرادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول ضابئ البرجمي

همت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

وقول حاتم طيء

ولله صعلوك يشاور همه ويمضي على الأيام والدهر مقدما

وقول الخنساء

وفضل مرداسا على الناس جملة وان كل هم همه فهو فاعله

ومنها خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه كقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما يعني ان الفشل خطر ببالهم ولو كان الهم ههنا عزما لما كان الله وليهما لأن العزم على المعصية معصية ولا يجوز ان يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرة نبيه عليه وآله السلام ويقوي ذلك قول كعب بن زهير

فكم فيهم من فارس متوسع ومن فاعل للخير ان همّ او عزم

ففرق بين الهم والعزم ومنها ان يكون بمعنى المقاربة قالوا همّ فلان ان يفعل كذا اي كاد يفعله قال ذوالرمة

أقول لمسعود بجرعاء مالك وقد همّ دمعي ان تلج اوائله

والدمع لايجوز عليه العزم ومعناه كاد وقارب وقال ابو الاسود الدئلي

وكنت متى تهمم بيمينك مرة لتفعل خيرا تقتفيها شمالكا

وعلى هذا جاء قوله جدرا يريد ان ينقض اي يكاد وقال الحارثي

يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل

ومنها الشهوة ونيل الطباع بقول القائل فيما يشتهيه ويميل طبعه اليه هذا أهم الاشياء الي وفي ضده ليس هذا من همي واذا كانت معاني الهم في اللغة مختلفة يجب ان ينفي عن نبي الله يوسف (ع) ما لا يليق به وهو العزم على القبيح لأن الدليل قد دل على ان الأنبياء لا يجوز المعاصي والقبائح عليهم واجزنا عليهم ما سواه من معاني الهم لأن كل واحد من ذلك يليق بحاله

المعنى

(ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) اختلف العلماء فيه على قولين احدهما انه لم يوجد من يوسف ذنب كبير ولا صغير والآخر انه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه فأما الاولون فإنهم اختلفوا في تأويل الآية على وجوه احدها ان الهم في ظاهر الآية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم به على الحقيقة لأنه قال ولقد همت بـه وهم بها فعلق الهم بها وذاتاها لا يجوز ان يرادا ويعزم عليهما لأن الموجود الباقي لا يصح ان يراد ويعزم عليه فإذا حملنا الهم في الآية على العزم فلابد من تقدير أمر محذوف يتعلق العزم به وقد امكن ان نعلق عزمه (ع) بغير القبيح ونجعله متناولا لضربها اودفعها عن نفسه فكأنه قال ولقد همت بالفاحشة منه وأرادت ذلك وهم يوسف (ع) بضربها ودفعها عن نفسه كما يقال هممت بفلان اي بضربه وايقاع مكروه به وعلى هذا فيكون معنى رؤية البرهان ان الله سبحانه اراه برهانا على انه ان أقدم على ما هم به اهلكه أهلها اوقتلوه او ادعت عليه المراودة على القبيح وقذفته بأنه دعاها اليه وضربها لامتناعها منه فأخبر سبحانه انه صرف عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل وظن اقتراف الفاحشة به ويكون التقدير لولا ان رأى برهان ربه لفعل ذلك ويكون جواب لولا محذوف كما حذف فيه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين اي لولا فضل الله لهلكتم ولو تعلمون علم اليقين لم يلهكم التكاثر ومثله قول امرئ القيس

ولو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

يريد فلو انها نفس تموت سوية لنقضت وفنيت فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون جواب لولا محذوفا يدل عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها جوابا بلولا لأن جواب لولا لايتقدم عليه وثانيها ان يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها ولما رأى برهان ربه لم يهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تدار كتك وقد كنت قلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تدار كي لهلكت ولولا تخليصي إياك لقتلت وان كان لم يقع هلاك وقتل ومثله قول الشاعر

فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل

وقال آخر

فلا يدعني قومي صريحاً لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر

وفي القرآن ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب من الأول ﴿ وثالثها ﴾ ان معنى قوله هم بها اشتهاها ومال طبعه الى مادعته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة هما على سبيل التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبح بالمشتهي وقد روي هذا التأويل عن الحسن قال أما همها فكان اخبث الهم وأما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال همها القصد وهمه انه تمناها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب ان يكون قوله لو لا ان رأى برهان ربه متعلقا بمحذوف ايضا كأنه قال لولا ان رأى برهان ربه لعزم اوفعل ﴿ سؤال ﴾ قالوا ان قوله ولقد همت به وهم بها خرجا مخرجا واحداً فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بغير القبيح وجوابه ان الظاهر لا يدل على ما تعلق به الهم فيهما جميعاً وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة القرآن والآثار به ولأنها ممن يجوز عليه فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين وقوله حكاية عنها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والشاهد من الآثار اجماع المفسرين على انها همت بالمعصية والفاحشة وأما يوسف عليه السلام فقد دلت الأدلة العقلية التي لايتطرق اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه فأما الشاهد من القرآن على انه ما هم بالفاحشة فقوله سبحانه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء وأما الفرقة الأخرى فإنهم قالوا فيه ما لا يجوز نسبته الى الأنبياء فقال بعضهم انه قعد بين رجليها وحل تكة سراويله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ الثنن وجلس منها مجلس الرجل من امرأته وقد نزهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وأمثال ذلك مما عددناه فأما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه حجة الله سبحانه في تحريم الزنا والعلم بالعذاب الذي يستحقه الزاني عن محمد بن كعب والجبائي ﴿ وثانيها ﴾ انه ما آتاه الله سبحانه من آداب الأنبياء واخلاق الاصفياء في العفاف وصيانة النفس عن الادناس عن ابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ انه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصارفة عن القبائح روي ذلك عن الصادق عليه السلام ﴿ ورابعها ﴾ انه كان في البيت صنم فألقت المرأة عليه ثوبا فقال (ع) ان كنت تستحيين من الصنم فأنا أحق ان استحي من الواحد القهار عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ﴿ وخامسها انه اللطف الذي لطف الله تعالى به في تلك الحال او قبلها فاختار عنده الامتناع عن المعاصي وهو ما يقتضي كونه معصوماً لأن العصمة هي اللطف الذي يختار عنده التنزه عن القبائح والامتناع من فعلها ويجوز ان يكون الرؤية ههنا بمعنى العلم كما يجوز ان يكون بمعنى الادراك فأما ما ذكر في البرهان من الأشياء البعيدة بأن قيل انه سمع قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فإذا زنا ذهب ريشه وقيل انه رأى صورة يعقوب عاضاً على أنامله وقيل انه رأى كفاً بدت فيما بينهما مكتوبا عليها النهي عن ذلك فلم ينته فأرسل الله سبحانه جبرئيل (ع) وقال ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فرآه عاضاً على اصبعه فكل هذا سوء ثناء على الانبياء مع ان ذلك ينافي التكليف ويقتضي ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحاً ولا ثوابا وهذا من أقبح القول فيه (ع) (كذلك لنصرف عنه السوء) أي كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه السوء أي الخيانة (والفحشاء) أي ركوب الفاحشة وقيل السوء الإثم

والفحشاء الزنا (انه من عبادنا المخلصين) أي المصطفين المختارين للنبوة وبكسر اللام المخلصين في العبادة والتوحيد أي من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله واخلصوا انفسهم له وهذا يدل على تنزيه يوسف وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه

قوله تعالى (٢٥) وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٦) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ (٢٧) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (٢٨) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٩) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ خمس آيات

القراءة

في الشواذ قراءة ابن يعمر وابن ابي اسحق ونوح القارئ من قبل ومن دبر بثلاث ضمات من غير تنوين

(الحجة)

قال ابن جني ينبغي ان يكونا غايتين كقوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد كأنه يريد وقدت قميصه من دبره وإن كان قميصه قد من قبله فلما حذف المضاف اليه أعني الهاء وهي مرادة صار المضاف غاية بعد ما كان المضاف اليه غاية له.

اللغة

القد شق الشيء طولاً مثل قد الأديم يقال قده يقده قداً فهو مقدود إذا كان ذاهباً في الطول على استواء وفي الحديث كانت ضربات علي بن ابي طالب عليه السلام ابكاراً كان إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط والقد بكسر القاف السير المقطوع طولاً والالفاء المصادفة قال ذو الرمة

ومطعم الصيد هبال لبغيته   الفى أباه بذاك الكسب يكتسب

أي وجد أباه والكيد طلب الشيء بما يكرهه كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه ويأباه والخطيئة العدول عما تدعو اليه الحكمة إلى ما تزجر عنه ويقال لصاحبه خطأ يخطأ خطأ فهو خاطئ إذا وقع ذلك منه عن قصد فإذا وقع من غير قصد قيل أخطأ المقصد فهو مخطئ فاصل الخطأ العدول عن الغرض الحكمي بقصد أو غير قصد قال امية

عبادك يخطأون وأنت رب   بكفيك المنايا والحتوم

الإعراب

إنما عطف قوله عذاب اليم على الفعل لأن تقديره إلا السجن أو عذاب ومن في قوله قد من دبر ومن قبل لابتداء الغاية لأن ابتداء القد كان منها ومن في قوله من الكاذبين للتبعيض لأنه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد انه ان كان لأنه ذهب مذهب القول في الحكاية كما ان قوله يوصيكم الله في أولادكم كذلك والتقدير يوصيكم الله ان المال للذكر مثل حظ الانثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو العباس المبرد معناه ان يكن وجاز ذلك في كان لأنها ام الباب كما جاز في التعجب ما كان احسن زيداً ولم يجز ما اصبح احسنه وقال أبو بكر السراج ان يكن بمعنى ان يصبح قد قميصه من دبر وقوله فلما رأى الرؤية ههنا تحتمل أمرين أحدهما

ان تكون بمعنى رؤية العين فلا تكون رؤية العين رؤية للقد ويكون قوله قد من دبر في موضع الحال وانما يكون رؤية للقميص ﴿والآخر﴾ ان يكون بمعنى العلم وتكون رؤية للقد وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث

﴿ المعنى ﴾

(واستبقا الباب) يعني تبادرا الباب أي طلب كل واحد من يوسف وامرأة العزيز السبق إلى الباب أما يوسف فانه كان يقصد ان يهرب منها ومن ركوب الفاحشة وأما هي فإنما كانت تطلب يوسف لتقضي حاجتها منه وتقصد أن تغلق الباب وتمنعه من الخروج وتراوده ثانياً عن نفسه (وقدت قميصه من دبر) أي لحقت يوسف فجذبت قميصه وشقته طولا من خلفه لأن يوسف كان هارباً وهي تعدو من خلفه وقيل ان يوسف رأى الأبواب قد انفتحت فعلم ان الصواب هو الخروج فخرج هاربا وقيل بل أخذ يفتح الأبواب وادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فشقته (والفيا سيدها لدى الباب) أي فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب وسماه سيدها لأنه مالك أمرها (قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءاً إلا ان يسجن او عذاب اليم) يعني ان المرأة سبقت بالكلام لتورك الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء من أراد بأهلك خيانة إلا أن يسجن أو ان يضرب بالسياط ضرباً وجيعاً عن ابن عباس قالوا ولو صدق حبها لم تقل ذلك ولآثرته على نفسها ولكن خبها إياه كان شهوة (قال هي راودتني عن نفسي) لما ذكرت المرأة ذلك لم يجد يوسف بداً من تنزيه نفسه بالصدق ولو كفت عن الكذب عليه لكف عليه السلام عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذي نسبتني اليه (وشهد شاهد من أهلها) قال ابن عباس وسعيد ابن جبير انه صبي في المهد وقيل كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلاثة أشهر وروي عن ابن عباس أيضاً في رواية أخرى وعن الحسن وقتادة وعكرمة انه شهد رجل حكيم من أهلها بتبرئة يوسف واختاره الجبائي قال لو كان طفلا لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه إلى البيان وقيل كان الرجل ابن عم زليخا وكان جالساً مع زوجها عند الباب عن السدي (ان كان قميصه قد) اي شق (من قبل فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين) فيما قال يعني يوسف لأنه كان هو القاصد وهي الدافعة (وإن كان قميصه قد من دبر) أي من خلف (فكذبت) المرأة (وهو) أي يوسف (من الصادقين) لأنه الهارب وهي الطالبة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح (فلما رأى قميصه قد من دبر) أي فلما رأى زوجها قميص يوسف شق من خلف عرف خيانة المرأة (فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) وقيل هو من قول الشاهد وانما وصف كيدهن بالعظم لأنها حين فاجأت زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولم تتحير في امرها وورّكت الذنب على يوسف(ع) ولأن قليل حيل النساء اسبق إلى قلوب الرجال من كثير حيل الرجال (يوسف اعرض عن هذا) يعني ان الشاهد قال ليوسف يا يوسف امسك عن هذا الحديث اي عن ذكرها حتى لا يفشو في البلد عن ابن عباس وقيل إنما قاله زوجها وقيل معناه لا تلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك عن ابي مسلم والجبائي ثم اقبل على زليخا فقال (واستغفري لذنبك) اي سلي زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك (انك كنت من الخاطئين) اي من المذنبين وقيل انه لم يكن غيوراً سلبه الله الغيرة لطفاً منه بيوسف حتى كفي شره ولذلك قال ليوسف اعرض عن هذا واقتصر على هذا القدر وقيل معناه استغفري الله من ذنبك وتوبي اليه فإن الذنب كان منك لامن يوسف فإنهم كانوا يعبدون الله تعالى مع عبادتهم الأصنام

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣١) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا

وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هٰذَا بَشَراً إِنْ هٰذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣٢) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٣) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٤) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ست آيات

القراءة

روي عن علي (ع) وعن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعن الحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف ومجاهد بخلاف وابن محيصن قد شعفها بالعين وروي عن ابي جعفر متكا بغير همز مشدد التاء والباقون متكأً بالهمز والتشديد وروي في الشواذ قراءة مجاهد متكا خفيفة ساكنة التاء وروي ذلك عن ابن عباس وقرأ ابو عمرو وحاشى لله والباقون حاش لله وروي عن ابن مسعود وابي بن كعب حاش الله وعن الحسن حاش الإله وفي رواية أخرى عنه حاش لله بسكون الشين وقرا يعقوب وحده السجن احب إلي بفتح السين والباقون بكسرها

الحجة

قال الزجاج معنى شعفها بالعين ذهب بها كل مذهب مشتق من شعفات الجبال أي رؤوس الجبال يقال فلان مشعوف بكذا أي قد ذهب به الحب أقصى المذاهب وقال ابن جني معناه وصل حبه إلى قلبها فكاد يحرقه لحدته وأصله من البعير يهنأ بالقطران فتصل حرارة ذلك إلى قلبه قال امرؤ القيس

لتقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

وأما القراءة المشهورة شغفها بالغين فمعناه انه خرق شغاف قلبها وهو غلافه فوصل إلى قلبها وأما المتكأ فهو ما يتكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث واصله موتكأ مفتعل من وكات مثل مؤتزن من الوزن وأما من قرأ متكا فيجوز ان يكون مفتعلا من قوله

إذا شرب المرضة قال اوكي على ما في سقائك قد روينا

يقال اوكيت السقا إذا شددته وأما متكاً فإنهم قالوا المتك الاترج واحدته متكة وقيل هو الزماورد واما حجة أبي عمرو في قوله حاشى لله فقول الشاعر

حاشى ابي ثوبان إن به ضنا عن الملحاة والشتم

وقال ابو علي لا يخلو قولهم حاش لله من ان يكون الحرف الجار في الاستثناء كما ذكرناه في البيت أو فاعلا من قولهم حاش يحاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل على مثله ولأن الحرف لا يحذف إذا لم يكن فيها تضعيف فإذا بطل ذلك ثبت انها فاعل مأخوذ من الحشاء الذي هو الناحية والمعنى انه صار في حشاء أي في ناحية مما قذف به وفاعله يوسف والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به. لله أي لخوفه من الله ومراقبته أمره ومن حذف الألف فكما حذف من لم يك ولا أدر وإذا أريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش وحشا ثلاث لغات قال الشاعر

حشا رهط النبي فإن فيهم بحوراً لا تقطعها الدلاء

وأما من قرأ حاش الله فعلى أصل اللغة يكون حرف جر كما جاء في البيت «حاشى ابي ثوبان» وأما حاش الإله فمحذوف من حاشا تخفيفاً وهو كقولك حاش المعبود ومنه قول الشاعر

لعن الإله وزوجها معها هند الهنود طويلة النعل

وأما حاش الله فضعيف لالتقاء الساكنين فيه ولإسكان الشين بعد حذف الألف ولا موجب لذلك وأما من فتح السين من السجن فجعله مصدراً ومعناه ان اسجن احب إليّ ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى نزول السجن احب إلي

اللغة

العزيز المنيع بقدرته عن ان يضام في امره وسمي بذلك لأنه كان ملكا ممتنعاً بملكه واتساع مقدرته وقال ابو داود

درة غاص عليها تاجر جلبت عند عزيز يوم ظل

والفتى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال ابو مسلم والزجاج وتسمي العرب العبد فتى والمكر الفتل بالحيلة إلى ما يراد من الطلبة وجارية ممكورة الساقين أي مفتولة الساقين وأعتدت مأخوذة من العتاد ومثله اعدت والمتكأ الوسادة وهو النمرق الذي يتكأ عليه وقيل هو الاترج وانكر ذلك ابو عبيدة قال ولا يمتنع أن يقال قد كان في ذلك المجلس فواكه واترج فاما ان يعرف ذلك من هذا القول فلا والاكبار الاعظام والاجلال وقال قوم معنى أكبرنه انهن حضن حين رأينه وأنشدوا قول الشاعر

يأتي النساء على اطهارهن ولا يأتي النساء إذا أكبرن اكبارا

وأنكر ذلك ابو عبيدة وقال لا نعرف ذلك في اللغة ولكنه يجوز ان يكن قد حضن من شدة اعظامهن إياه والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر والسجن المنع عن التصرف بالحبس سجن يسجن سجنا والاعتصام الامتناع عن طلب المعصية والاستعصام طلب العصمة من الله تعالى والصاغرين من الصغار صغر يصغر صغاراً وهو الذل والهوان والصبا رقة القلب يقال صبا يصبو صبا فهو صاب قال

إلى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي

وقال

صبا صبوة بل لج وهو لجوج وزالت له بالانعمين حدوج

الاعراب

وقال نسوة انما حذف فيه حرف التأنيث لأنه تأنيث جمع وتأنيث الجمع تأنيث لفظ يبطل تأنيث المعنى لانه لا يجتمع في اسم واحد تأنيثان وكذلك يبطل تذكير المعنى في رجال وإذا صار كذلك جاز فيه الحمل على اللفظ والحمل على المعنى فيؤنث ويذكر وقوله ما هذا بشراً نصب بشراً على مذهب اهل الحجاز في اعمال ما عمل ليس في رفع الاسم ونصب الخبر فأما بنو تميم فلا يعملونها قال

لشتان ما أنوي وينوي بنو ابي جميعاً فما هذان مستويان

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى وكل فتى والموت يلتقيان

وروي عن الحسن انه قرأ ما هذا بشراي أي ليس هو بمملوك وهو شاذ وذلك كن للخطاب لا للضمير فلا

موضع له من الاعراب والاسم ذا وهو في موضع رفع على الابتداء والذي لمتنني فيه موصول وصلة في موضع خبره وليكونن من الصاغرين هذه النون الخفيفة التي يتلقى بها القسم وإذا وقفت عليها وقفت بالالف تقول وليكونا وهي بمنزلة التنوين الذي يوقف عليه بالالف في نحو قولك رأيت رجلا قال الاعشى

وصل على حين العشيات والضحى ... ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

اي فاعبدن فأبدل في الوقف من النون الفاً ثم بدا لهم فاعله مصدر مضمر على تقدير بدا لهم بداء وقد اظهره الشاعر في قوله

لعلك والموعود حق لقاؤه ... بدا لك من تلك القلوص بداء

ولا يجوز ان يكون ليسجننه في موضع الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلاً

❊ المعنى ❊

ثم ذكر سبحانه شياع هذه القصة فقال (وقال نسوة في المدينة) اي جماعة من النساء في المصر الذي كان فيه الملك وزوجته ويوسف (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) اي امرأة العزيز تدعو مملوكها إلى نفسها ليفجر بها (قد شغفها حباً) أي أحبته حباً دخل شغاف قلبها (انا لنراها في ضلال مبين) أي في خطأ بين وذهاب عن طريق الرشد بدعائها مملوكها إلى الفجور بها قال الكلبي هن اربع نسوة امرأة ساقي الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وقال مقاتل كن خمساً وزاد امرأة الحاجب (فلما سمعت بمكرهن) اي لما سمعت المرأة بتعييرهن إياها وقصدهن اشاعة امرها وسماه مكراً لأن قصدهن من هذا القول كان ان تريهن يوسف لما وصف لهن من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمي ذلك مكراً وقيل لأنها اظهرت لهن حبها إياه واستكتمتهن ذلك فأظهرنه فسمي ذلك مكراً (ارسلت اليهن) فاستضافتهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت اربعين امرأة منهن (واعتدت لهن متكأً) اي واعدّت لهن وسائد يتكين عليها عن ابن عباس والاتكاء الميل إلى احد الشقين وقيل اراد بقوله متكأ الطعام من قول العرب اتكأنا عند فلان اي اطعمنا عنده واصله ان من دعي إلى طعام يعد له المتكأ فيسمي الطعام متكأ على الاستعارة وقال الضحاك كان ذلك الطعام الزماورد وقال عكرمة هو كل ما يجز بالسكين لانه يؤكل في الغالب على متكأ وقال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وبه قال الحسن واما المتك فقد قيل فيه انه الاترج على ما تقدم بيانه وقال السدي بل هو المجلس وكل شيء يجز بالسكين يقال له متك (وآتت كل واحدة منهن سكيناً) اي واعطت كل واحدة من تلك النسوة سكينا لتقطع به الفواكه والاترج على ما هو العادة بين الناس (وقالت اخرج عليهن) اي وقالت امرأة الملك ليوسف (ع) وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فأمرته بالخروج عليهن في هيأته اما للخدمة واما للسلام او لتريهن ولم يكن يتهيأ له ان لا يخرج لانه بمنزلة العبد لها عن الزجاج (فلما رأينه اكبرنه) اي اعظمنه وتحيرن في جماله إذ كان كالقمر ليلة البدر (وقطعن ايديهن) بتلك السكاكين على جهة الخطأ بدل قطع الفواكه فما احسسن إلا بالدم ولم يجدن الم القطع لاشتغال قلوبهن بيوسف (ع) عن مجاهد والمعنى جرحن ايديهن وهذا مستعمل في الكلام تقول للرجل قد قطعت يدي تريد قد خدشتها وقيل انهن ابنّ ايديهن حتى القينها عن قتادة (وقلن حاش لله) وحاشى لله اي صار يوسف في حشا اي ناحية مما قذف به اي لم يلابسه والمعنى بعد يوسف عن هذا الذي رمي به الله اي لخوفه ومراقبته امر الله هذا قول اكثر المفسرين قالوا هذا تنزيه ليوسف عما رمته به امرأة العزيز وقال آخرون هذا تنزيه له من شبه البشر لفرط جماله ويدل على هذا سياق الآية (ما هذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم) أي رفع الله منزلته عن منزلة البشر فنعوذ بالله ان نقول انه بشر ومعناه انه منزه ان يكون بشراً وليس صورته صورة البشر ولا خلقته خلقة البشر ولكنه ملك كريم لحسنه ولطافته وروي عن ابي سعيد الخدري قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلا صورته صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف وقيل معناه ليس هذا إلا ملك كريم في عفته قال الجبائي وهذا يدل على ان الملك افضل من بني آدم لأنهن ذكرن من هو في نهاية الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن وهذا من ركيك الاستدلال لأنه سبحانه انما حكى عن النساء اعظامهن ليوسف حين رأين جماله وبعده عن السوء فشبهنه بالملك ولم يقصدن كثرة الثواب الذي هو حقيقة الفضل وانما لم ينكره سبحانه عليهن لأنه علم انهن لم يقصدن في كلامهن ما حمله عليه الجبائي على ان الظاهر يقتضي انهن نفين ان يكون يوسف من البشر وقطعن على انه ملك وهذا كذب ولم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من انهن يقصدن بذلك تشبيه حاله بحال الملائكة (قالت) امرأة العزيز للنسوة التي عذلنها على محبتها ليوسف (فذلكن الذي لمتنني فيه) اي هذا هو ذلك الذي لمتنني في امره وفي حبه وشعفني به جعلت اعظامهن إياه عذراً لها والمعنى هذا الذي اصابكن في رؤيته مرة واحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عذلتنني في حبي إياه وأنا أنظر اليه آناء ليلي ونهاري ثم اعترفت ببراءة يوسف وأقرت على نفسها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع عنه وقيل معناه امتنع بالله وسأله العصمة من فعل القبيح وفي هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبيح ثم توعدته بايقاع المكروه به ان لم يطعها فيما تدعوه اليه فقالت (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) أي وان لم يجبني إلى ما أدعوه اليه ليحبس في السجن وليكون من الأذلاء فلما رأى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية (فقال رب السجن احب إليّ مما يدعونني اليه) معناه يا رب ان السجن احب إليّ واسهل عليّ مما يدعونني اليه من الفاحشة وفي هذا دلالة على ان النسوة دعونه إلى مثل ما دعته اليه امرأة العزيز وفي حديث ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سراً من صاحبتها تسأله الزيارة وقيل انهن قلن له اطع مولاتك واقض حاجتها فإنها المظلومة وانت ظالم وقيل انهن لما رأين يوسف استأذن امرأة العزيز بأن تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه إلى ما ارادته منه إلى طاعتها فلما خلون به دعته كل واحدة منهن إلى نفسها فلذلك قال مما يدعونني اليه ويسأل فيقال كيف قال يوسف السجن احب إليّ مما يدعونني اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذي هو المكان وان عني به السجن الذي هو المصدر فإن السجن معصية كما ان ما دعونه اليه معصية فلا يجوز ان يريده فالجواب انه لم يرد المحبة التي هي الارادة وانما اراد ان ذلك اخف علي واسهل ووجه آخر ان المعنى لو كان مما اريده لكان ارادتي له اشد وقيل ان معناه توطيني النفس على السجن احب إليّ من توطيني النفس على الزنا عن ابي علي الجبائي (وإلا تصرف عني كيدهن) بألطافك لأن كيدهن قد وقع وحصل (اصب اليهن) امل اليهن او إلى قولهن بهواي والصبوة لطافة الهوى (واكن من الجاهلين) اي المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلين في فعلي (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) اي فأجاب له ربه فيما دعاه فعصمه من مكرهن فإن قيل ما معنى سؤال يوسف اللطف من الله وهو عالم بأن الله يفعله لا محالة . فالجواب انه يجوز ان تتعلق المصلحة بالالطاف عند الدعاء المجدد ومتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لركب الفاحشة وإذا وجد اللطف امتنع قلنا لما وجد في نفسه من الشهوة وعلم انه لولا لطف الله لارتكب القبيح وعلم ان الله سبحانه يعصم انبياءه بالالطاف وان من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبياً قال الجبائي في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله تعالى انه يكون لأن يوسف كان عالما بأنه ان كان له لطف فلا بد ان يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا سأله ذلك ولا تدل الآية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان يكون سأله لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفاً فما سأل إلا ما جوز ان لا يكون لو لم يدع (انه هو السميع العليم) اي السميع لدعاء الداعي العليم بإخلاصه في دعائه وبما يصلحه من الإجابة او يفسده (ثم بدا لهم) اي ظهر لهم (من

بعد ما رأوا الآيات) وانما لم يقل لهن مع تقدم ذكر النسوة لأنه اراد به الملك وقيل اراد به زليخا واغوانها فغلب المذكر واراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص من دبره وجز الأيدي عن قتادة وغيره وقيل يريد بالآيات العلامات الدالة على الاياس منه وقوله بدا فاعله مضمر وتقديره ثم بدا لهم بداء (ليسجننه حتى حين) ودل ليسجننه عليه فان السجن هو الذي بدا لهم قال السدي وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد قد فضحني في الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري فإما ان تأذن لي فأخرج واعتذر وإما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له لأنه انما يحبس المجرم وقيل كان الحبس قريباً منها فأرادت ان يكون بقربها حتى إذا اشرفت عليه رأته وقوله حتى حين قيل إلى سبع سنين عن عكرمة وقيل إلى خمس سنين عن الكلبي وقيل إلى وقت ينسى حديث المرأة معه وينقطع فيه عن الناس خبره عن الجبائي

قوله تعالى (٣٦) وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ ٱلآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٧) قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٨) وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآءِيۤ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ثلاث آيات .

اللغة

قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى فجائز أن يكون الفتيان حدثين أو شيخين وقال غيره يقال للعبد فتى وللامة فتاة وفي الحديث لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن فتاي وفتاتي والتأويل الخبر عما حضر بما يؤول اليه امره فيما غاب ولذلك قال قبل ان يأتيكما تأويل القرآن ما يؤول اليه من المعنى اي يرجع اليه والتعليم تفهيم الدلالة المؤدية إلى العلم بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى في القلب والاتباع اقتفاء الاثر وهو طلب اللحاق بالأول

— الاعراب —

هم الثانية دخلت للتوكيد لأنه لما دخل بينهما قوله بالآخرة صارت الأولى كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية كما قال وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قال ايعدكم انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاماً انكم مخرجون

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف (ع) في الحبس فقال (ودخل معه السجن فتيان) والتقدير فسجن يوسف ودخل معه السجن فتيان أي شابان حدثان وقيل انهما مملوكان للملك مصر الأكبر واسمه وليد بن ريان وكان احدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه فنمى اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه وظن ان الآخر ساعده على ذلك ومالأه عليه عن قتادة والسدي (قال احدهما اني أراني اعصر خمراً) هو من رؤيا المنام كان يوسف (ع) لما دخل السجن قال لأهله اني اعبر الرؤيا فقال احد العبدين لصاحبه هلم فلنجربه فسألاه من غير ان يكونا رأيا شيئاً عن ابن مسعود وقيل بل رؤياهما على صحة وحقيقة ولكنهما كذبا في الانكار عن مجاهد والجبائي وقيل ان

المصلوب منهما كان كاذبا والآخر صادقاً عن ابي مجلز ورواه علي بن ابراهيم أيضاً في تفسيره عنهم (ع) والمعنى قال احدهما وهو الساقي رأيت اصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته اياها وتقديره اعصر عنب خمر اي العنب الذي يكون عصيره خمراً فحذف المضاف قال الزجاج وابن الانباري العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول اليه إذا وضح المعنى ولم يلتبس يقولون فلان يطبخ الآجر ويطبخ الدبس وانما يطبخ اللبن والعصير وقال قوم ان بعض العرب يسمون العنب خمرا حكى الاصمعي عن المعتمر بن سليمان انه لقي اعرابيا معه عنب فقال له ما معك قال خمر وهو قول الضحاك فيكون معناه اني اعصر عنبا وروي في قراءة عبد الله وابي جميعا اني رأيتني اعصر عنبا (وقال الآخر اني أراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) معناه وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منه (نبئنا بتأويله) أي أخبرنا بتعبيره وما يؤول اليه امره (انا نراك من المحسنين) أي تؤثر الاحسان والافعال الجميلة قال الضحاك كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له وان احتاج جمع له وان مرض قام عليه وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقال الزجاج جاء في التفسير انه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود العليل قال وقيل من المحسنين أي ممن يحسن تأويل الرؤيا قال وهذا دليل على ان امر الرؤيا صحيح وانها لم تزل في الأمم السالفة وفي الحديث ان الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وتأويله ان الأنبياء يخبرون بما سيكون والرؤيا تدل على ما سيكون فيكون المعنى في الآية انا نعلمك او نظنك ممن يعرف تعبير الرؤيا ومن ذلك قول امير المؤمنين (ع) قيمة كل امرئ ما يحسنه وقال ابو مسلم نراك من المحسنين الينا ان فسرت لنا الرؤيا وهو قول ابن ابي اسحاق ثم ذكر لهما يوسف (ع) ما يدل على انه عالم بتفسير الرؤيا (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) في منامكما (إلا نبأتكما بتأويله) في اليقظة (قبل ان يأتيكما) التأويل وذلك انه كره ان يخبرهما بالتأويل لما على احدهما فيه من البلاء فأعرض عن سؤالهما واخذ في غيره عن السدي وابن اسحق وقيل انه انما قدم هذا ليعلمهما ماخصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا عنه فقال لا يأتيكما طعام من منزلكما إلا اخبرتكما بصفة ذلك الطعام وكيفيته قبل ان يأتيكما كما قال عيسى بن مريم (ع) وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم عن الحسن والجبائي (ذلكما مما علمني ربي) كأنهما قالا له كيف عرفت تأويل الرؤيا ولست بكاهن ولا عراف فأخبرهما انه رسول الله وانه تعالى علمه ذلك وتعليمه تعالى قد يكون بأن يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي وقد يكون بنصب الادلة التي يدرك بها العلم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) معناه انه لا يستحق هذه الرتبة الخطيرة إلا المؤمنون المخلصون واني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصني الله بهذه الكرامة (واتبعت ملة آبائي) اي شريعة آبائي (ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء) اي لا ينبغي لنا ونحن معدن النبوة واهل بيت الرسالة ان ندين بغير التوحيد (ذلك) أي التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وقيل النبوة والعلم (من فضل الله علينا) بأن خصنا بها وعلى الناس ايضا بإرسالنا اليهم واتباعهم ايانا واهتدائهم بنا (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) نعم الله تعالى وقد كان يوسف (ع) فيما بينهم زمانا ولم يحك الله سبحانه انه دعا إلى الدين وكانوا يعبدون الأصنام لأنه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول فلما رآهم عارفين بإحسانه مقبلين عليه رجا منهم القبول منه فدعاهم إلى التوحيد على ما امر الله سبحانه له في قوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقد روي ان صاحبي السجن قالا له لقد احببناك حين رأيناك فقال لا تحباني فوالله ما احبني احد الا دخل علي من حبه بلاء احبتني عمتي فنسبت إلى السرقة واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امرأة العزيز فالقيت في السجن

قوله تعالى (٣٩) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤٠)

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤١) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤٢) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ أربع آيات

اللغة

الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص وهو خلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعي واصحاب ابي حنيفة واصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لملازمتهم له وكونهم معه في حروبه وصاحبا السجن هما الملازمان له بالكون فيه والقيم المستقيم واصله من قام يقوم والاستفتاء طلب الفتيا والبضع القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة القطعة من اللحم ومنه الحديث فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها

(المعنى)

(يا صاحبي السجن)هذا حكاية نداء يوسف للمستفتين له عن تأويل رؤياهما اي يا ملازمي السجن (أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) اي أملاك متباينون من حجر وخشب لا تضر ولا تنفع خير لمن عبدها ام الله الواحد القهار الذي اليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والزام الحجة والقاهر هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء (ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان)ابتدأ بخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لأنه قصد جميع من هو في مثل حالهما وقيل انه خطاب لجميع من في الحبس ومعناه ان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتموها بأسماء يعني الارباب والآلهة هي اسماء فارغة عن المعاني لا حقيقة لها ما انزل الله من حجة بعبادتها (ان الحكم الا لله) اي ما الحكم والامر الا لله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله (أمر أن لا تعبدوا الا اياه) اي وقد أمركم ان لا تعبدوا غيره (ذلك) اي ذلك الذي بينت لكم من توحيده وعبادته وترك عبادة غيره (الدين القيم) اي الدين المستقيم الذي لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) قال ابن عباس ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب وقيل لا يعلمون صحة ما أقوله لعدولهم عن النظر والاستدلال ثم عبر (ع) رؤياهما فقال (يا صاحبي السجن أما احدكما فيسقي ربه خمرا) بدأ بما هو الأهم وهو الدعاء الى توحيد الله وعبادته واظهار معجزته ثم بتعبير رؤيا الساقي فروي انه قال أما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك اليوم الرابع وتعود الى ما كنت عليه واجرى على مالكه صفة الرب لأنه عبده فأضافه اليه كما يقال رب الدار ورب الضيعة (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) يريد بالآخر صاحب الطعام روي انه قال بئس ما رأيت أما السلال الثلاث فإنها ثلاثة ايام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك فقال عند ذلك ما رأيت شيئا وكنت العب فقال يوسف (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) اي فرغ من الأمر الذي تسألان وتطلبان معرفته وما قلته لكما فإنه نازل بكما وهو كائن لا محالة وفي هذا دلالة على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار من الغيب بما يوحى اليه لا كما يعبر احدنا الرؤيا على جهة التأويل (وقال) يوسف (للذي ظن انه ناج منهما) معناه للذي علم من طريق الوحي انه ناج اي متخلص كما في قوله تعالى إني ظننت اني ملاق حسابيه هذا قول الأكثرين واختيار الجبائي وقال قتادة الذي ظنه ناجيا لأنه لم يحكم بصدقه فيما قصه من الرؤيا والأول اصح (اذكرني عند ربك) اي اذكرني عند سيدك بأني

محبوس ظلما (فأنساه الشيطان ذكر ربه) يعني انسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجي منهما ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل في ذلك على الله سبحانه (فلبث في السجن بضع سنين) اي سبع سنين عن ابن عباس وروي ذلك عن علي بن الحسين(ع) وابي عبد الله (ع) وقيل معناه فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث في السجن عن الحسن ومحمد بن اسحاق والجبائي وابي مسلم وعلى هذا فتقديره فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال عجبت من اخي يوسف (ع) كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروي انه (ع) قال لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال انا اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وروي عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل (ع) فقال يا يوسف من جعلك احسن الناس قال ربي قال فمن حببك الى ابيك دون اخوانك قال ربي قال فمن ساق اليك السيارة قال ربي قال فمن صرف عنك الحجارة قال ربي قال فمن انقذك من الجب قال ربي قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال ربي قال فإن ربك يقول ما دعاك الى ان تنزل حاجتك بمخلوق دوني البث في السجن بما قلت بضع سنين وعنه في رواية اخرى قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبكائه الحيطان فتأذى ببكائه اهل السجن فصالحهم على ان يبكي يوما ويسكت يوما فكان في اليوم الذي يسكت اسوء حالا والقول في ذلك ان الاستعانة بالعباد في دفع المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب ذلك وكان نبينا (صلى الله عليه وآله) يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والانصار وغيرهم ولو كان قبيحا لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فإنما عوتب يوسف عليه السلام في ترك عادته الجميلة في الصبر والتوكل على الله سبحانه في كل أموره دون غيره وقتا ما ابتلاء وتشديدا وانما كان يكون قبيحا لو ترك التوكل على الله سبحانه واقتصر على غيره وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله تعالى والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدائد وان جاز ايضا أن يستعان بغيره واختلف في البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلاث إلى الخمس عن ابي عبيدة وقيل الى السبع عن قطرب وقيل الى التسع عن الاصمعي ذكره الزجاج وقول قطرب مروي عن مجاهد وقول الاصمعي مروي عن قتادة وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في الآية سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك وروي عن ابي عبد الله (ع) قال علم جبرائيل (ع) يوسف في حبسه فقال قل في دبر كل صلاة فريضة اللهم اجعل لي فرجا ومخرجا وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وروى شعيب العقرقوفي عنه (ع) قال لما انقضت المدة واذن له في دعاء الفرج وضع خده على الأرض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فإني اتوجه اليك بوجوه آبائي الصالحين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ففرج الله عنه قال فقلت له جعلت فداك اندعو نحن بهذا الدعاء فقال ادعوا بمثله اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فإني اتوجه اليك بوجه نبيك نبي الرحمة وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام

قوله تعالى: (٤٣) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٤) قَالُوٓا۟ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٥) وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٦) يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٧) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ

(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٩) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ سبع آيات

(القراءة)

قرأ حفص دأباً بفتح الهمزة والباقون بسكونها وقرأ تعصرون بالتاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن عمر بخلاف والضحاك وقتادة وزيد بن علي (ع) وادكر بعد امه بالهاء وقراءة الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام وسبع سنابل وقرأ ايضاً ما قرأتم وقرأ هو والاعرج وعيسى بن عمر وفيه يعصرون بياء مضومة وصاد مفتوحة

(الحجة)

قال ابو علي انتصب دأبا بدأل عليه تزرعون وفيه علاج ودؤوب فكأنه قال تدءبون فانتصب دأبابه لا بالمضمر ولعل الفتح لغة فيه فيكون كشمع وشمع ونهر ونهر ويعصرون يحتمل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي يلحق ما فيه دهن او ماء نحو الزيتون والسمسم والعنب ليخرج ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تأويل الآية عليه لأن من المتأولين من يحكى انهم لم يعصروا اربع عشر سنة زيتا ولا عنبافيكون المعنى تعصرون للخصب الذي اتاكم كما كنتم تعصرون ايام الخصب من قبل الجدب الذي دفعتم اليه ويكون يعصرون من العصر الذي هو الالتجاء الى ما يقدر به من النجاة قال ابن مقبل

وصاحبي قهوة مستوهل زعل يحول بين حمار الوحش والعصر

اي يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدر به النجاة وقال ابو زيد الطائي

صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

قال ابو عبيدة يعصرون ينجون وانشد للبيد

فبات واسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافا بدار معصر

فأما من قال يعصرون بالياء فانه جعل الفاعلين الناس لأن ذكرهم قد تقدم ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المستفتين الذين قالوا افتنا ويجوز ان يريدهم وغيرهم الا انه غلب الخطاب على الغيبة كما يغلب التذكير على التأنيث واما الأمه فهو النسيان يقال أمه يأمه اذا نسي انشد ابوعبيده

امهت وكنت لا انسى حديثا كذاك الدهر يوذي بالعقول

والأمة النعمة فيكون المراد بعد ان انعم عليه بالنجاة واما يعصرون بضم الياء فيجوز ان يكون من العصرة والعصر للنجاة ويجوز ان يكون من عصرت السحابة ماءها عليهم وفي كتاب علي بن ابراهيم عن ابي عبد الله (ع) قال قرأ رجل على امير المؤمنين علي (ع) هذه الآية فقال يعصرون بالياء وكسر الصاد فقال ويحك واي شيء يعصرون ايعصرون الخمر فقال الرجل يا امير المؤمنين فكيف اقرأها قال عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون مضمومة الياء مفتوحة الصاد اي يمطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا

(اللغة)

الملك القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير والرؤيا ما يراه النائم ويرجع الى الاعتقاد ثم يكون على وجوه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تعبير وتأويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تأويل له ومنها ما يكون من جهة النائم واعتقاداته او يكون بقية اعتقاد كان اعتقده والعجف ذهاب السمن

والذكر اعجف والانثى عجفاء وجمعها عجاف ولا يجمع افعل على فعال الا هذا والعبر والتعبير تفسير الرؤيا وهو من عبور النهر ونحوه والاضغاث الاحلام الملتبسة والضغث الحزمة من كل شيء وقال الترمذي الضغث ملء اليد من الحشيش ومنه وخذ بيدك ضغثاً اي قبضة والفعل منه اضغث وقيل الضغث خلط قش المد وهو غير متشاكل ولا متلائم فشبهوا به تخليط المنام والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا في النوم ويقال حلم يحلم حلما واحتلم فهو حالم والحلم بكسر الحاء ضد الطيش وهو الاناءة وكأن اصل حلم النوم من هذا لأنه حال اناءة وسكون وتأويل الرؤيا تفسير ما يؤول اليه معناه وتأويل كل شيء تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من الذكر واصله اذتكار لكن التاء ابدل منها الدال وادغمت الذال في الدال ويجوز اذكر بالذال ايضا الا ان الاجود الدال وهو طلب الذكر ونظيره الاستذكار والتذكر والامة الجماعة تؤم امرا والامة المدة وهي الجملة من الحين والصديق الكثير التصديق للحق وقيل هو الكثير الصدق وفعيل بناء المبالغة والكثرة والفتيا الجواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون فتيا والزرع القاء البذر في الارض للنبات ومنه المزارعة بالثلث او الربع وتسمى المخابرة ايضا وهي مأخوذة من فعل اهل خيبر والدأب العادة يقال دأب يدأب دأبا ويقال دأب في عمله يدأب دءوبا اجتهد وادأبته انا ادآبا وذر ودع بمعنى لم يجئ منهما لفظة الماضي استغني عن ذلك بترك والشدة والصلابة والصعوبة نظائر وقيل الشدة تكون في سبعة اصناف في العقد والمد والزمان والغضب والالم والشراب والبدن والاحصان مثل الاحراز احصنه احصانا جعله في حرز والغوث هو نفع يأتي على شدة حاجة ينفي المضرة ومنه الغيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة قال الازهري غاث الله البلاد يغيثها وقد غيثت الارض فهي مغيثة ومغيوثة والغيث الكلأ ينبت من ماء السماء وجمعه غيوث والغياث اصله الواو ومنه الغوث وغوث تغويثا اذا قال واغوثاه من يغيثني ويغاث يحتمل ان يكون من الواو ويحتمل ان يكون من الياء

الاعراب

ان كنتم للرؤيا تعبرون هذه اللام دخلت للتبيين المعنى ان كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال للرؤيا عن الزجاج وهذه اللام تزاد في المفعول به اذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت وقد جاء مثله في قوله الذين هم لربهم يرهبون وقد جاء فيما ليس بمقدم من المفعول نحو قوله ردف لكم وآخر لا ينصرف لأنه صرف عن جهة صواحبها التي جاءت بالألف واللام وهذه جاءت خاصة بغير الف ولام فكأنها عدلت عن وجهها تقول هذه النسوة الوسط والكبر ولا تقول وسط وكبر وتقول نسوة اخر فلما خالفت اخواتها ترك صرفها وموضعها في الآية الرابعة جر تقديره وفي أخر اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام يوسف المراد به يا يوسف ويجوز حذف حرف النداء في المنادى المفرد العلم تقول يازيد اقبل وزيد اقبل قال

محمد تفد نفسك كل نفس   اذا ما خفت من امر وبالا

ويروى تبالا اراد يا محمد

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن سبب نجاة يوسف من السجن وهو انه لما قرب الفرج رأى الملك رؤيا هالته واشكل تعبيرها على قومه حتى عبرها يوسف فقال سبحانه (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان) يعني وقال ملك مصر وهو الوليد بن ريان والعزيز وزيره فيما رواه الاكثرون اني ارى في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع اي سبع بقرات اخر (عجاف) اي مهازيل فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ار منهن شيئاً

(وسبع سنبلات خضر) اي وارى في منامي سبع سنبلات قد انعقد حبها (واخر) أي وسبعاً اخر (يابسات) قد احتصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها (يا ايها الملأ) اي جمع الاشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقص روءياه عليهم وقال يا ايها الاشراف او الجماعة (افتوني في روءياي) اي عبروا ما رأيت في منامي وبينوا لي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة (ان كنتم للروءيا تعبرون) معناه ان كنتم عابرين للروءيا وقيل ان اللام تفيد معنى الى اي ان كنتم توجهون العبارة الى الروءيا (قالوا اضغاث احلام) اي هذه اباطيل احلام عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة والمعنى هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها (وما نحن بتأويل الاحلام) التي هذه صفتها (بعالمين) وانما نعلم تأويل ما يصح وكان جهل الملأ بتأويل روءيا الملك سبب نجاة يوسف لأن الساقي تذكر حديث يوسف فجثا بين يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فخبر بتأويلهما وصدق في جميع ما وصف فإن اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتفسير هذه الروءيا فذلك قوله (وقال الذي نجا منهما واد كر بعد أمة انا انبئكم بتأويله فأرسلون) عن الكلبي وقوله واذكر بعد امة معناه تذكر شأن يوسف وما وصاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وههنا حذف يدل الكلام عليه وهو فارسلون الى يوسف فارسل فاتى يوسف في السجن وقال له (يوسف) اي يا يوسف (ايها الصديق) اي الكثير الصدق فيما تخبر به (افتنا في سبع بقرات سمان) الى قوله (يابسات) فإن الملك رأى هذه الروءيا واشتبه تأويلها (لعلي ارجع الى الناس) يعني الملك واصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير روءياه (لعلهم يعلمون) فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تأويل روءيا الملك قال يوسف في جوابه معبرا ومعلما اما البقرات السبع العجاف والسنابل السبع اليابسات فالسنون الجدبة واما السبع السمان والسنابل السبع الخضر فإنهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وانتم تزرعون فيها فذلك قوله (تزرعون سبع سنين دأبا) اي فازرعوا سبع سنين متوالية عن ابن عباس اي زراعة متوالية في هذه السنين على عادتكم في الزراعة سائر السنين وقيل دأبا اي بجد واجتهاد في الزراعة ويجوز ان يكون حالا فيكون معناه تزرعون دائبين (فما حصدتم) من الزرع (فذروه) اتركوه (في سنبله) لا تذروه ولا تدوسوه (الا قليلا مما تأكلون) وانما امرهم بذلك ليكون ابقى وابعد من الفساد يعني ان ما اردتم اكله فدوسوه واتركوا الباقي في السنبل وقيل انما امرهم بذلك لأن السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي مدة من الزمان واذا صفي اسرع اليه الهلاك (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) اي سبع سنين مجدبات صعاب تشد على الناس (يأكلن ما قدمتم لهن) معناه تأكلون فيها ما قدمتم في السنين المخصبة لتلك السنين وانما اضاف الاكل الى السنين لأنه يقع فيها كما قال الشاعر

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

وسعيك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وقيل اراد بالاكل الافناء والاهلاك كما يقال اكل السير لحم الناقة اي ذهب به قال زيد بن اسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقربه الى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم قربه اليه فأكله كله فقال هذا اول يوم من السبع الشداد (الا قليلا مما تحصنون) معناه الا شيئا قليلا مما تحرزون وتدخرون (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) معناه ثم يأتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يمطر الناس من الغيث وقيل

يغاثون من الغوث والغياث اسي ينقذون وينجون من القحط (وفيه يعصرون) الثمار التي تعصر في الخصب كالعنب والزيت والسمسم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه ينجون من الجدب من العصرة والعصر والاعتصار الالتجاء قال عدي بن زيد

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وهذا القول من يوسف اخبار بما لم يسألوه منه ولم يكن في رؤيا الملك بل هو مما اطلعه الله تعالى عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوته (ع) قال البلخي وهذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول ان الرؤيا على ماعبرت اولا لأنهم كانوا قالوا هي اضغاث احلام فلو كان ما قالوه صحيحا لكان يوسف لا يتأولها

قوله تعالى (٥٠) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥١) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥٢) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ (٥٣) وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ أربع آيات

القراءة

قرأ ما بال النسوة بضم النون الاعشى والبرجمي عن ابي بكر عن عاصم والباقون بكسر النون وهما لغتان وقد تقدم ذكر قراءة ابي عمرو حاشا لله بالألف ومربيانه

اللغة

الخطب الأمر الذي يعظم شأنه فيخاطب الانسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل قال الزجاج حصحص الحق اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة الحق وجهته من حصة الباطل وقال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره اذا استأصل قطعه وازاله عن الرأس فيكون معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومثله كبوا وكبكبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق قال

قد حصت البيضة رأسي فما اطعم يوما غير تهجاع

وخصحص البعير بثفناته في الارض اذا حرك حتى تستبين آثارها فيه قال حميد

وحصحص في صم الحصا ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما

والكيد الاحتيال سراً لإيصال الضرر الى الغير

الإعراب

ذلك مرفوع بالابتداء وان شئت على خبر الابتداء كأنه قال امري ذلك وموضع مارحم ربي نصب على الاستثناء

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن اخراج يوسف من السجن فقال (وقال الملك أئتوني به) وفي الكلام حذف يدل ظاهره عليه و هو فلما رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك الى الملك بجواب يوسف وتعبيره رؤياه قال الملك ائتوني به اي بيوسف الذي عبر رؤياي (فلما جاءه الرسول) اي لما جاء يوسف رسول الملك فقال له اجب الملك. ابى يوسف ان يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما قذف به و(قال) للرسول (ارجع الى ربك) اي سيدك وهو الملك (فسئله ما بال النسوة) اي ما حالهن وما شأنهن والمعنى فاسأل الملك ان يتعرف حال النسوة (اللاتي قطعن ايديهن) ليعلم صحة براءتي ولم يفرد امرأة العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك او زوجة خليفة الملك فخلطها بالنسوة وقيل انه أرادهن دونها لانهن الشاهدات له عليها الا ترى انها قالت الآن حصحص الحق وهذا يدل على ان النسوة كن ادعين عليه نحو ما ادعته امرأة العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك بشأنه مازالت في نفس العزيز منه حالة يقول هذا الذي راود امرأتي وقيل اشفق يوسف من ان يراه الملك بعين مشكوك في امره متهم بفاحشة فأحب ان يراه بعد ان يزول عن قلبه ما كان فيه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لقد عجبت من يوسف و كرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني من السجن ولقد عجبت من يوسف وصبره و كرمه والله يغفر له حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان حليما ذا اناة (ان ربي بكيدهن عليم) اي ان الله عالم بكيدهن قادر على اظهار براءتي وقال ان سيدي الذي هو العزيز عليم بكيدهن استشهده فيما علم من حاله عن ابي مسلم والاول هو الوجه (قال ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه) معناه ان الرسول رجع الى الملك واخبره بما قاله يوسف (ع) فارسل الى النسوة ودعاهن وقال لهن ما شأنكن وما امركن اذا طلبتن يوسف عن نفسه ودعوتنه الى انفسكن (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) هذه كلمة تنزيه اي نزهن يوسف مما اتهم به فقلن معاذ الله وعياذا بالله من هذا الأمر وما علمنا عليه من سوء وخيانة وما فعل شيئا مما نسب اليه واعترفن ببراءته وبأنه حبس مظلوما (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) اي ظهر وتبين وحصل على امكن وجوهه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وكأن معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتهم يوسف به وانما حملها على الصدق انقطاع طمعها منه فجمع الله ليوسف في اظهار براءته. ونزاهته عما قذف به بين الشهادة والاقرار حتى لا يبقى موضع شك (ذلك ليعلم) هذا من كلام يوسف اي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه في شأن النسوة ليعلم الملك او العزيز (اني لم اخنه بالغيب) في زوجته اي في حال غيبته عني عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابي مسلم واتصل كلام يوسف بكلام امرأة العزيز لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة و كذلك يفعلون وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو من كلام الملأ ثم قال فماذا تأمرون وهو حكاية عن قول فرعون قال الفراء وهذا من اغمض ما يأتي في الكلام ان يحكي عن واحد ثم يعدل الى شيء آخر من قول آخر لم يجر له ذكر وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك

الاقرار ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبته بتوريك الذنب عليه وان خنته بحضرته وعند مشاهدته عن الجبائي (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) اي لا يهديهم في كيدهم ومكرهم (وما ابرئ نفسي) هذا من كلام يوسف عند اكثر المفسرين وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز عن الجبائي اي ما ابرئ نفسي عن السوء والخيانة في امر يوسف (إن النفس لأمارة بالسوء) اي كثيرة الامر بالسوء والشهوة قد تدعو الانسان الى المعصية والالف واللام للجنس فيكون المعنى ان كل النفوس كذلك ويجوز ان يكون للعهد فيكون المعنى ان نفسي بهذه الصفة (الا مارحم ربي) اي الا من رحمه الله تعالى فعصمه بأن لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم ويجوز ان يكون معناه الا مدة ما عصم ربي ومن قال انه من كلام يوسف قال انه اراد الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية اي لا ابرئ نفسي مما لا تعرى منه طباع البشر وانما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسي قال الحسن انما قال وما ابرئ نفسي لانه كره ان يكون قد زكى نفسه (ان ربي غفور) بعباده (رحيم) بهم

قوله تعالى (٥٤) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٥) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٦) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٧) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ أربع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون والباقون بالياء

(الحجة)

قال ابو علي من قرأ بالياء فيشاء مسند الى الغائب كما ان يتبوء كذلك ويقوي ذلك قوله واورثنا الجنة نتبوأ منها حيث نشاء فكما ان قوله نشاء وفق لفعل المتبوئين كذلك قوله حيث يشاء وفق لقوله يتبوأ ومن قرأ بالنون فإنه على احد وجهين اما ان يكون اسند المشيئة اليه وهو ليوسف في المعنى لأن مشيئته لما كانت بقوته واقداره عليها جاز ان ينسب الى الله وان كانت ليوسف في المعنى كما قال سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاضيف الرمي الى الله لما كان بقوته وان كان الرمي للنبي ﷺ والآخر ان يكون الموضع المتبوأ موضع نسك وقرب فالمكث فيه قربة الى الله تعالى فهو يشاؤه ويريده فأما اللام في قوله مكنا ليوسف وقوله انا مكنا له في الارض فيجوز ان يكون على حد التي في قوله ردف لكم وللرؤيا تعبرون يدل على ذلك قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وقوله يتبوأ في موضع نصب على الحال تقديره مكناه متبوءا حيث يشاء واما قوله حيث يشاء فيحتمل موضعه امرين احدهما ان يكون في موضع نصب بأنه ظرف والآخر ان يكون في موضع نصب بانه مفعول به ويدل على جواز هذا الوجه قول الشماخ

وخلاءها عن ذي الاراكة عامر اخو الخضر يرمي حيث تكبو النواجز

(اللغة)

الاستخلاص طلب خلوص الشئ من شائب الاشتراك كأنه يريد ان يكون خالصا له وفي حديث

سلمان الفارسي (رض) انه كاتبه أهله على أربعين اوقية خلاص اي ما اخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة والمكين من المكانة واصله التمكن في الامر يقال مكن مكانة فهو مكين اذا كان له قدر وجاه يتمكن بهما مما يروم والتبوء اتخاذ منزل يرجع اليه وأصله من باء يبوء اذا رجع

﴿ المعنى ﴾

(وقال الملك أئتوني به) معناه ان الملك لما تبين له أمانة يوسف وبراءته من السوء وعلمه أمر باحضاره فقال أئتوني به (استخلصه لنفسي) اي اجعله خالصا لنفسي ارجع اليه في تدبير مملكتي واعمل على إشارته في مهات أموري (فلما كلمه) ههنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف ودعاه خرج من السجن ودخل على الملك وكلمه وعرف فضله وأمانته وعقله لأنه استدل بكلامه على عقله وبعفته على أمانته (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) اي انك عندنا ذو مكانة متمكن في المنزلة والقدر نافذ القول والأمر ظاهر الأمانة مأمون ثقة قال ابن عباس يريد مكنتك من ملكي وجعلت سلطانك فيه كسلطاني وأئتمنتك فيه قال الكلبي ان رسول الملك جاءه فقال له قم فإن الملك يدعوك والق ثياب السجن عنك والبس ثيابا جددا فأقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه وأتى الملك وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك شابا حدث السن قال يا غلام هذا تأويل رؤياي ولم يعلمه السحرة ولا الكهنة قال نعم فأقعده قدامه وقص عليه رؤياه وروي ان يوسف لما خرج من السجن دعا لاهله وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فلذلك يكون أصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار في كل بلدة وكتب على باب السجن هذا قبور الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء قال وهب ولما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ولما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ولما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه فقال له اني أحب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينا تنظر اليهن ويعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدأ يبسه فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترستهن افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر واخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا انت تقول في نفسك أنى هذا وهؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت الارفات من اليابسات السود على الثمرات الخضر فاشتعلت فيهن النار واحرقتهن وصرن سوداً متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ماشأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الاهراء والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه

وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك بحكمك ويجتمع عندك من الكنوز مالم يجتمع لاحد ذلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فعند ذلك (قال) يوسف (اجعلني على خزائن الأرض) الالف واللام في الارض للعهد دون الجنس يعني اجعلني على خزائن ارضك حافظا وواليا واجعل تدبيرها اليّ (فإني حفيظ) اي حافظ لما استودعتني لحفظه عن ان تجري فيه خيانة (عليم) بمن يستحق منها شيئا ومن لا يستحق فأضعها مواضعها عن قتادة وابن اسحاق والجبائي وقيل حفيظ عليم اي كاتب حاسب عن وهب وقيل حفيظ للتقدير في هذه السنين الجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبي وقيل حفيظ للحساب عالم بالالسن وذلك ان الناس يفدون من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة عن السدي وفي هذا دلالة على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فإنه عرف الملك حاله ليقيمه في الامور التي في ايالتها صلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم قالوا فقال الملك ومن احق به منك فولاه ذلك وقيل ان الملك الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال اليس هذا خيراً مما كنت تريدين وولدت له افرائيم وميشا واستوثق ليوسف ملك مصر وقيل انه لم يتزوجها يوسف وانها لما رأته في موكبه بكت وقالت الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فضمها اليه وكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين الجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها مايضرك لو قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت استحي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له فأقبل يوسف في موكبه فقامت اليه زليخا وقالت سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف أأنت تيك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك في قالت دعني بعد ما يئست أتهزأ بي قال لا قالت نعم قال فأمر بها فحولت الى منزله وكانت هرمة فقال لها يوسف الست فعلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلمني فإني بليت في بلاء لم يبل به احد قال وما هو قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيرا في الدنيا وبليت بأنه لم تكن بمصر امرأة اجمل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزوج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله ان يرد علي شبابي فسأل الله فردعليها فتزوجها وهي بكر وروي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ انه قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لولاه من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة قال ابن عباس فأقام في بيت الملك سنة فلما انصرمت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الأمير فتوجه ورداه بسيفه وأمر بأن يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم أمره ان يخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل بين الناس فأحبه الرجال والنساء وذلك قوله عز اسمه (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه اقدرنا يوسف على مايريد في الارض يعني ارض مصر (يتبوأ منها حيث يشآء) اي

يتصرف فيها حيث يشآء وينزل منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) اي نخص بنعم الدين والدنيا من نشاء (ولا نضيع اجر المحسنين) اي المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الإسلام فأسلم عن مجاهد وغيره قالوا واسلم ايضاً كثير من الناس فهذا في الدنيا (ولاجر الآخرة) اي ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) لخلوصه عن الشوائب والاقذار وفي هذه اشارة الى انه سبحانه يؤتي يوسف في الآخرة من الثواب والدرجات ماهو خير مما آتاه الله في الدنيا من الملك والنعمة ❊ سؤال ❊ قالوا كيف جاز ليوسف ان يطلب الولاية من قبل الكفرة الظلمة وجوابه لانه علم انه يتمكن بذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبيا إماما وكان يفعل ذلك من قبل الله تعالى وانما سأل الولاية ليتمكن من الأمور التي له ان يفعلها وايضاً فإنه علم انه سبب يتوصل به الى الدعاء الى الخير والى رؤية والديه واخوته وفي الآية دلالة على ان ذلك التمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله وفيها دلالة ايضا على جواز تولي القضاء من جهة الباغي والظالم اذا يتمكن بذلك من إقامة احكام الدين وفي قوله يتبوأ منها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه كان باختياره من غير رجوع الى الملك وانه صار بحيث لا أمر عليه وفي كتاب النبوة بالاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن بنت الياس قال سمعت الرضا (ع) يقول وأقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن فلما مضت تلك السنون وأقبلت المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم الاصار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جوهر الا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية الا صارت في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق بمصر عبد ولا أمة الا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار الا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة الا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبد يوسف فملك احرارهم وعبيدهم وأموالهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكما وعلما وتدبيرا ثم قال يوسف للملك أيها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر وأهلها أشر علينا برأيك فإني لم اصلحهم لأفسدهم ولم انجهم من البلاء لأكون بلاء عليهم ولكن الله تعالى انجاهم على يدي قال له الملك الرأي رأيك قال يوسف اني اشهد الله واشهدك أيها الملك اني قد اعتقت أهل مصر كلهم ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم ورددت عليك أيها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتي ولا تحكم الا بحكمي قال له الملك ان ذلك لزيني وفخري ان لا أسير إلا بسيرتك ولا احكم إلا بحكمك ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطانا عزيزا لا يرام وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسوله فأقم على ما وليتك فإنك لدينا مكين أمين وقيل ان يوسف (ع) كان لا يمتلي شبعا من الطعام في تلك الأيام المجدبة فقيل له تجوع وبيدك خزائن الأرض فقال (ع) أخاف ان أشبع فأنسى الجياع

قوله تعالى (٥٨) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٩) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ

ٱلْمُنْزِلِينَ (٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦١) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦٢) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ ٱجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا ٱنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر لفتيانه والباقون لفتيته

الحجة

قال ابو علي الفتية جمع فتى في العدد القليل والفتيان في الكثير ومثل فتية إخوة وولدة في جمع أخ وولد ونيرة وقيعة في جمع نار وقاع ومثل فتيان برقان وخربان في جمع برق وخرب وجيران وتيجان في جمع جار و تاج وقد يقوم البناء الذي للقليل مقام الذي للكثير وكذلك يقوم الكثير مقام القليل حيث لا قلب ولا اعلال وذلك نحو ارجل واقدام وارسان وفي الكثير قولهم ثلاثة شسوع فإذا فعل ذلك فيما لا اعلال فيه فأن يرفض فيما يؤدي الى الإعلال والقلب اولى

اللغة

جهاز البيت متاعه وجهزت فلانا هيأت جهاز سفره ومنه جهاز المرأة والرحال اراد به الاوعية واحدها رحل وجمعها القليل ارحل قال ابن الانباري يقال للوعاء رحل وللمسكن رحل وأصله الشيء المعد للرحيل من وعاء المتاع ومركب البعير وحلس ورسن

المعنى

ثم اخبر سبحانه انه لما تمكن يوسف بمصر واصاب الناس ما أصابهم من القحط وقصدوا مصر نزل بآل يعقوب ما نزل بالناس فجمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني انه يباع الطعام بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فإنه سيحسن اليكم ان شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف فذلك قوله (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اي جاؤوا ليمتاروا من مصر كما امتار غيرهم ودخلوا عليه وهم عشرة وامسك ابن يامين اخا يوسف لأمه فعرفهم يوسف وانكروه قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في الجب وبين ان دخلوا عليه اربعين سنة فلذلك انكروه ولأنهم رأوه ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوك ولم يكن يخطر ببالهم انه يصير الى تلك الحالة وكان يوسف ينتظر قدومهم عليه فكان اثبت لهم فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم وما امركم فإني انكر شأنكم وفي تفسير علي بن ابراهيم فلما جهزهم واعطاهم واحسن اليهم في الكيل قال لهم من أنتم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن إخوة بنو أب واحد وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن ولو تعلم بأبينا لكرمنا عليك فإنه نبي الله وابن انبيائه وانه لمحزون قال وما الذي احزنه فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجهلكم قالوا يا أيها الملك لسنا بسفهاء ولا جهال ولا أتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن كان اصغرنا سنا وانه خرج يوما معنا الى الصيد فأكله الذئب فلم يزل بعده حزينا كئيبا باكيا فقال لهم يوسف كلكم من أب وأم قالوا أبونا واحد وأمهاتنا شتى قال فما حمل أباكم على ان سرحكم كلكم ألا حبس واحدا منكم يستأنس به قالوا قد فعل حبس منا واحدا وهو اصغرنا سنا لأنه أخو الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولونه حق قالوا يا أيها الملك إنا ببلاد

لايعرفنا أحد فقال يوسف فائتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين وأنا أرضى بذلك قالوا إن أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وقيل ان يوسف اختار شمعون لأنه كان احسنهم رأيا فيه فخلفوه عنده فذلك قوله(ولما جهزهم بجهازهم) يعني حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني ابن يامين (الا ترون إني أوف الكيل) اي لا ابخس الناس شيئا وأتم لهم كيلهم (وانا خير المنزلين) اي المضيفين مأخوذ من النزل وهو الطعام وقيل خير المنزلين للأمور منازلها فتدخل فيه الضيافه وغيرها مأخوذ من المنزل وهو الدار(فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) اي ليس لكم عندي طعام اكيله عليكم والمراد بالكيل المكيل (ولا تقربون) اي ولاتقربوا داري وبلادي خلط عليه السلام الوعد بالوعيد (قالوا سنراود عنه أباه) اي نطلبه ونسأله ان يرسله معنا قال ابن عباس معناه نستخدعه عنه حتى يخرجه معنا (وإنا لفاعلون) ما أمرتنا به قال وكان يوسف أمر ترجمانا يعرف العبرانية ان يكلمهم وكان لا يكلمهم بنفسه ليشبه عليهم فإنهم لو عرفوه ربما كانوا يهيمون في الارض حياء من أبيهم فيتركون خدمته وكان في معرفتهم إياه مفسدة(وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) اي قال يوسف لعبيده وغلمانه الذين يكيلون الطعام عن قتادة وغيره وقيل لأعوانه اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاؤا به في اوعيتهم وقيل كانت بضاعتهم النعال والأدم وقيل كانت الورق عن قتادة(لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا الى أهلهم) اي لعلهم يعرفون متاعهم اذا رجعوا الى اهلهم (لعلهم يرجعون) بعد ذلك لطلب الميرة مرة أخرى وانما فعل ذلك ليعرفوا ان يوسف انما فعل ذلك إكراما لهم ليرجعوا اليه وقيل انه خاف ان لا يكون عندهم من الورق ما يرجعون به مرة أخرى عن الكلبي وقيل انه رأى لؤما أخذ ثمن الطعام من ابيه وإخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تفضلا وكرما وقيل فعل ذلك لأنه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد بضاعتهم إذا وجدوها في رحالهم ولا يعرفون ان الملك أمر بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف نفسه مع علمه بشدة حزن أبيه وقلقه واحتراقه على ألم فراقه فالجواب انه لم يؤذن له في التعريف استتماما للمحنة عليه وعلى يعقوب ولما علم الله تعالى من الحكمة والصلاح في تشديد البلية تعريضا للمنزلة السنية وقيل انما لم يعرفهم بنفسه لأنهم لو عرفوه ربما لم يرجعوا اليه ولم يحملوا أخاه اليه والأول هو الوجه الصحيح

قوله تعالى (٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٤) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٦) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٦) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ أربع آيات

القراءة

قرأ يكتل بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالنون وقرأ خير حافظا بالألف اهل الكوفة غير ابي بكر والباقون حفظا بغير الف وفي الشواذ قراءة علقمة ويحيى ردت الينا بكسر الراء

الحجة

قال ابو علي يدل على النون في نكتل قوله ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير الا ترى انهم انما يميرون

اهلهم بما يكتالون فيكون نكتل مثل نمير وايضا فإذا قالوا نكتل جاز أن يكون اخوهم داخلا معهم واذا كان بالياء لم يدخلوهم فيه وزعموا ان في قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان النون لقولهم منع منا الكيل لغيبة اخينا فارسله نكتل ما منعناه لغيبته ووجه الياء انه يكتل حمله كما نكتال نحن احمالنا ووجه من قرأ خير حفظا انه قد ثبت من قوله ونحفظ اخانا وقوله وانا له لحافظون انهم قد اضافوا الى انفسهم حفظا فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفريط في حفظهم ليوسف كما ان قوله اين شركائي لم يثبت لله شريكا وانما المعنى على الشركاء الذين نسبتموهم الي فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفريط فيه فإذا كان كذلك كان المعنى فالله خير حفظا من حفظكم الذي نسبتموه الى انفسكم وان كان منكم فيه تفريط واضافة خير الى حفظ محال ولكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرأ حافظا فيكون حافظا منتصبا على التمييز دون الحال كما كان حفظا كذلك ولا يستحيل الاضافة في فالله خير حافظ وخير الحافظين كما يستحيل في خير حفظا فإن قلت فهل كان ثم حافظ كما ثبت انه كان حفظ لما قدمته فالقول انه قد ثبت انه كان ثم حافظ لقوله وانا له لحافظون ولقوله يحفظونه من امر الله فتقول حافظ الله خير من حافظكم كما كان حفظ الله خير من حفظكم لأن الله سبحانه حافظه كما ان له حفظا فحافظه خير من حافظكم كما كان حفظه خيرا من حفظكم وتقول هو احفظ حافظ كما تقول هو ارحم راحم لأنه سبحانه من الحافظين كما كان من الراحمين واما قوله ردت فإن فعل من المضاعف والمعتل العين يجيء على ثلاثة اوجه عندهم لغة فاشية واخرى تليها وثالثة قليلة فاقوى اللغات في المضاعف ضم اوله كشد وعد ورد ثم يليه الاشمام وهو بين ضم الأول وكسره ثم قولهم رِشد ورِد باخلاص الكسرة وهو الاقل واقوى اللغات في المعتل العين كسر اوله نحو قيل وبيع ثم يليه الاشمام بين الضمة والكسرة والثالثة اخلاص الضمة نحو قول وبوع وانشد لذي الرمة

دنا البين من مي فردت جمالها ... وهاج الهوى تقويضها واحتمالها

﴿ اللغة ﴾

يقال كلت فلانا اي اعطيته الشيء كيلا واكتلت عليه أخذت منه والأمن اطمئنان القلب الى سلامة الأمر يقال أمنه يأمنه أمنا والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد إلى بلد ويقال مرتهم أميرهم ميرا اذا أتيتهم بالميرة ومثله امترتهم امتيارا قال

بعثتك مائرا فمكثت حولا ... متى يأتي غياثك من يغيث

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج حفظا منصوب على التمييز وحافظا على الحال ويجوز ان يكون حافظا على التمييز وما في قوله ما نبغي استفهام موضعه نصب والمعنى اي شيء تريد ويكون المراد به الجحد ويجوز ان يكون ما ايضا نفيا كأنهم قالوا ما نبغ شيئا وموضع ان يحاط بكم نصب والمعنى الا الاحاطة بكم اي لا تمتنعوا من الاتيان به الا لهذا وهذا يسمى مفعولا له قال الزجاج والا هذه بمعنى تحقيق الجزاء تقول ما تأتينا الا لأخذ الدراهم والا ان تاخذ الدراهم

﴿ المعنى ﴾

(فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل) قيل انهم لما دخلوا على يعقوب وسلموا عليه سلاما ضعيفا فقال لهم يا بني مالكم تسلمون سلاما ضعيفا ومالي لا اسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا ابانا انا جئناك من عند اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينة ووقارا ولئن كان لك شبيه فإنه يشبهك ولكنا اهل بيت خلقنا للبلاء انه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بابن يامين برسالة منك اليه ليخبره من حزنك وما الذي احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل معناه منا فيما يستقبل ان لم نأته

بأخينا لقوله فلا كيل لكم عندي (فأرسل معنا اخانا) ابن يامين (نكتل) اي نأخذ الطعام بالكيل ان ارسلته اكتلنا والا فمنعنا الكيل ومن قرأ يكتل بالياء فالمعنى يأخذ أخونا ابن يامين وقر بعير يكتال له (وإنا له لحافظون) من ان يصيبه سوء ومكروه (قال) يعقوب (هل امنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل) اي لا آمنكم على ابن يامين في الذهاب به الا كأمني على يوسف ضمنتم لي حفظه ثم ضيعتموه او اهلكتموه او غيبتموه عني وانما قرعهم بحديث يوسف والا فقد كان يعلم انهم في هذه الحال لا يفعلون ما لا يجوز (فالله خير حافظا) اي حفظ الله خير من حفظكم (وهو أرحم الراحمين) يرحم ضعفي و كبر سني ويرده علي وورد في الخبر ان الله سبحانه قال فبعزتي لأردنها اليك من بعد ما توكلت علي (ولما فتحوا متاعهم) يعني اوعية الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) اي ما نطلب في منع أخينا عنه وقيل معناه ما نطلب بما اخبرناك عن ملك مصر الكذب وقيل معناه اي شيء نطلب وراء هذا أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتادة وأراد ان تطيب نفس يعقوب فيبعث ابنه معهم وتم الكلام ثم قالوا ابتداء (هذه بضاعتنا ردت الينا) اي فلا ينبغي ان نخاف على أخينا ممن قد احسن الينا هذا الاحسان وقيل المراد ما نريد منك دراهم تعطيناها نرجع بها اليه بل تكفينا في الرجوع اليه بضاعتنا هذه فإن الملك إذا فعلنا ما أمرنا به في أخينا يفي بما وعدنا وأرسله معنا (ونمير أهلنا) اي نجلب اليهم الطعام (ونحفظ أخانا) في السفر حتى نرده اليك (ونزداد كيل بعير) لأجله لأنه كان يكال لكل رجل وقر بعير (ذلك كيل يسير) اي ذلك كيل سهل اي يسهل على الذي يمضي اليه عن الزجاج والمعنى انه هين على الملك لا يصعب عليه ولا يظهر في ماله وقيل معناه ان الذي جئناك به كيل قليل لايقنعنا فنحتاج ان نضيف اليه كيل بعير أخينا عن الجبائي وقيل يسير على من يكتاله لا مؤنة فيه ولا مشقة عن الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب في إرساله معهم فلما رأى يعقوب (ع) رده البضاعة وتحقق عنه اكرام الملك إياهم وعزم على ارسال ابن يامين معهم (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) اي تعطوني ما يوثق به من يمين او عهد من الله (لتأتنني به) اي لتردنه الي قال ابن عباس يعني حتى تحلفوا الي بحق محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم وسيد المرسلين اي لا تغدروا بأخيكم ولتأتنني به اللام فيه لجواب القسم (الا ان يحاط بكم) اي الا ان تهلكوا جميعاً عن مجاهد وقيل الا ان تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك عن قتادة والمعنى الا ان يحال بينكم وبينه حتى لا تقدروا على الاتيان به عن الزجاج (فلما آتوه موثقهم) اي أعطوه عهودهم وحلفوا له بحق محمد ومنزلته من ربه عن ابن عباس (قال) يعقوب (الله على ما نقول وكيل) اي شاهد حافظ ان اخلفتم انتصف لي منكم وفي هذا دلالة على وجوب التوكل على الله سبحانه في جميع المهمات والتفويض اليه في كل الأمور وفيها دلالة ايضا على ان يعقوب (ع) انما ارسل ابن يامين معهم لأنه علم انهم لما كبروا ندموا على ما كان فرط منهم في أمر يوسف ولم يصروا على ذلك ولهذا وثق بهم وانما عيرهم بحديث يوسف حثا لهم على حفظ أخيهم

قوله تعالى (٦٧) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ آيتان

= اللغة =

الغنى الكفاية في المال لأنه اكتفى به وربما مد لضرورة الشعر والغناء بكسر الغين المد من الصوت يقال

منه غنى يغني غناء والغناء بالفتح والمد الكفاية وغني عن كذا فهو غان وغني القوم في دارهم أقاموا والمغاني المنازل لأنهم اكتفوا بها والغانية المرأة لأنها تكتفي بزوجها عن غيره او بجمالها عن التزين

المعنى

(و) لما تجهزوا للمسير (قال) يعقوب (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكمال وهم أخوة اولاد رجل واحد عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي مسلم وقيل خاف عليهم حسد الناس إياهم وان يبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم او يقتلهم خوفا على ملكه عن الجبائي وانكر العين وذكر انه لم يثبت بحجة وجوزه كثير من المحققين وروا فيه الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان العين حق والعين تستنزل الحالق والحالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل (ع) العين كأنها تحط ذروة الجبل من قوة أخذها وشدة بطشها وورد في الخبر انه عليه وآله السلام كان يعوذ الحسن والحسين عليهما السلام بأن يقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروي ان ابراهيم (ع) عوذ ابنيه وان موسى عوذ ابني هارون بهذه العوذة وروي ان بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت اسماء بنت عميس يا رسول الله ان العين اليهم سريعة افاسترقي لهم من العين فقال صلى الله عليه وآله وسلم نعم وروي ان جبرائيل (ع) رقى رسول الله وعلمه الرقية وهي بسم الله أرقيك من كل عين حاسد الله يشفيك وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين ثم اختلفوا في وجه الإصابة بالعين فروي عن عمرو بن بحر الجاحظ انه قال لا ينكر ان ينفصل من العين الصائبة الى الشيء المستحسن اجزاء لطيفة فتتصل به وتؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصية في بعض الاعين كالخواص في الاشياء وقد اعترض على ذلك بأنه لو كان كذلك لما اختص ذلك ببعض الاشياء دون بعض ولأن الاجزاء تكون جواهر والجواهر متماثلة ولا يؤثر بعضها في بعض وقال ابو هاشم انه فعل الله بالعادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضي ورأيت في شرح هذا للشريف الأجل الرضي الموسوى قدس الله روحه كلاماً احببت ايراده في هذا الموضع قال ان الله تعالى يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك الافعال التي يفعلها فغير ممتنع ان يكون تغييره نعمة زيد مصلحة لعمرو واذا كان يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب زيدا نعمته اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة بعطفه واذا سلب نعمة زيد للعلة التي ذكرناها عوضه فيها واعطاه بدلا منها عاجلا او آجلا فيمكن ان يتأول قوله (ع) العين حق على هذا الوجه على انه قد روي عنه (ع) ما يدل على ان الشيء اذا عظم في صدور العباد وضع الله قدره وصغر أمره واذا كان الأمر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الاشياء عند نظر بعض الناظرين اليه واستحسانه له وعظمه في صدره وفخامته في عينه كما روي انه قال لما سبقت ناقته العضباء وكانت إذا سوبق بها لم يسبق ما رفع العباد من شيء الاوضع الله منه ويجوز ان يكون ما أمر به المستحسن للشيء عند رؤيته من تعويذه بالله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا يغير عند ذلك لأن الرائي لذلك قد اظهر الرجوع إلى الله تعالى والاعاذة به فكأنه غير راكن الى الدنيا ولامغتر بها انتهى كلامه رضي الله عنه (وما أغني عنكم من الله من شيء) اي وما ادفع من قضاء الله من شيء ان كان قد قضى عليكم الإصابة بالعين او غير ذلك (إن الحكم الا لله عليه توكلت) فهو القادر على ان يحفظكم من العين او من الحسد ويردكم علي سالمين (وعليه فليتوكل المتوكلون) اي وليفوضوا أمورهم اليه وليثقوا به (ولما دخلوا مصر من حيث أمرهم أبوهم) اي من ابواب متفرقة كما أمرهم يعقوب وقيل كان لمصر اربعة ابواب فدخلوها من ابوابها الاربعة متفرقين (ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) اي لم يكن دخولهم مصر كذلك يغني عنهم او يدفع عنهم شيئا اراد الله تعالى إيقاعه بهم من حسد او اصابة عين وهو (ع) كان عالما

انه لاينفع حذر من قدر ولكن كان ماقاله لبنيه حاجة في قلبه فقضي يعقوب تلك الحاجة اي أزال به اضطراب قلبه لأن لايحال على العين مكروه يصيبهم وقيل معناه ان العين لو قدر ان تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين عن الزجاج قال وحاجة استثناء ليس من الأول بمعنى لكن حاجة (وانه لذو علم) اي ذو يقين ومعرفة بالله (لما علمناه) اي لأجل تعليمنا اياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل له العلم بتعليمنا إياه وقيل وانه لذو علم لما علمناه اي يعلم ما علمناه فيعمل به لأن من علم شيئا ولا يعمل به كان كمن لا يعلم فعلى هذا يكون اللام في قوله لما علمناه كاللام في قوله للرؤيا تعبرون (ولكن اكثر الناس لايعلمون) مرتبة يعقوب في العلم عن الجبائي وقيل لا يعلم المشركون ما الهم الله أولياءه عن ابن عباس

قوله تعالى (٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧٠) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧١) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧٢) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٣) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٤) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٥) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ثماني آيات

القراءة

في الشواذ قراءة أبي رجاء صواع الملك بفتح الصاد وقراءة أبي عبد الله بن عوف صوع بضم الصاد بغير الف وقراءة يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمة وقراءة أبي هريرة ومجاهد بخلاف صاع الملك والقراءة المشهورة صواع الملك وقراءة الحسن من وعاء اخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبير اعاء اخيه بالهمزة وقرأ يعقوب وسهل يرفع ويشاء بالياء والباقون بالنون وقرأ اهل الكوفة درجات بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود فوق كل ذي عالم عليم

الحجة

الصواع والصاع والصوع والصوع واحد وهو مكيال واما الصوع فمصدر وضع موضع اسم المفعول اي المصوع وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد ومن قرأ أعاء فاصله وعاء ابدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا في وسادة اسادة وفي رجاح للستر اجاح ومن قرأ وعاء بالضم فإنه يكون لغة والهمزة فيه اقيس كما قالوا اعدفي وعد واجوه في وجوه ومن قرأ درجات بالتنوين فإن من يكون في موضع نصب على معنى نرفع من نشاء درجات ومن قرأها بغير تنوين فإن من يكون في موضع جر بالاضافة وقال ابن جني ان قراءة من قرأ وفوق كل ذي عالم عليم يحتمل ثلاثة أوجه احدها ان يكون من باب اضافة المسمى الى الاسم اي وفوق كل شخص يسمى عالما او يقال له عالم عليم مثل قول الكميت

اليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء والبب

اي اليكم يا آل النبي اي يا اصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي وعليه قول الاعشى

فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا

اي صبحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثاني ان يكون عالم مصدراً كالباطل وغيره والثالث ان يكون على مذهب من اعتقد زيادة ذي فكأنه قال وفوق كل عالم عليم

—(اللغة)—

يقال آوى الى منزله يأوي اويا اذا صار اليه واوتيه انا ايواء والابتئاس الاغتنام واجتلاب البؤس والحزن والسقاية الإناء التي يسقى منها وهو من السقي وقيل السقاية والصواع واحد والاذان والتأذين واحد وهو النداء يسمع بالاذن ويقال اذنته بالشيء اي اعلمته واذنته اكثرت اعلامه والعير القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التي فيها الاحمال والأصل للحمير ثم كثر فسمي كل قافلة عيراً وقيل العير الإبل السائرة المركوبة والجمع عيران والحمل بالكسر لما انفصل وبالفتح لما اتصل وجمعه احمال وحمول والزعيم والكفيل والضمين نظائر والزعيم ايضاً القائم بأمر القوم وهو الرئيس قالت ليلى الاخيلية

حتى اذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

—(الاعراب)—

تالله معناه والله الا ان التاء تختص باسم الله لا يجوز تالرحمن وتربي وهو بدل من الواو كما ابدل من الواو في تراث وتجاه وتخمة قالوا جزاؤه من وجد في رحله ذكر في اعرابه وجهان ﴿ احدها ﴾ ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله الخبر ويكون المعنى جزاء السرق الإنسان الموجود في رحله السرق ويكون قوله فهو جزاؤه جملة أخرى ذكرت زيادة في الإبانة كما يقال جزاء السارق القطع فهو جزاؤه وفهذا جزاؤه زيادة في البيان وعلى هذا تكون من موصولة ويكون تقديره استرقاق الذي وجد في رحله السرق فحذف المضاف ﴿ والآخر ﴾ ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله فهو جزاؤه جملة شرطية في موضع الخبر والعائد على المبتدأ الأول من الجملة الأولى جزاؤه من قوله فهو جزاؤه فكأنه قال فهو هواي فهو الجزاء والاظهار ههنا احسن لئلا يقع في الكلام لبس قال الزجاج ان العرب اذا فخمت أمر الشيء جعلت العائدة اليه اعادة اللفظ بعينه وانشد

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

وعلى هذا فيكون المعنى قالوا جزاء السرق ان وجد في رحل رجل منا فالموجود في رحله السرق جزاؤه استرقاق وقال صاحب الكشف تقديره جزاء المسروق من وجد في رحله اي انسان وجد الصاع في رحله فمن نكرة وهو مبتدأ ثان وقوله وجد في رحله صفة لمن وقوله فهو جزاؤه خبر لمن والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدير جزاؤه انسان وجد في رحله الصاع فهو هو الا انه وضع الظاهر موضع المضمر قال وليس في التنزيل من نكرة الا في هذا الموضع وموضع الكاف من كذلك كدنا نصب بأنه صفة مصدر محذوف وموضع ان يشاء الله نصب لما سقطت الباء افضى الفعل اليها فنصب والتقدير الا بمشيئة الله

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن دخولهم عليه فقال (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) اي لما دخل اولاد يعقوب على يوسف ضم اليه أخاه من أبيه وأمه ابن يامين وانزله معه عن الحسن وقتادة وقيل انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا أخونا الذي امرتنا ان نأتيك به فقال أحسنتم ثم أنزلهم واكرمهم ثم أضافهم وقال ليجلس كل بني أم على مائدة فجلسوا فبقي ابن يامين قائماً فردا فقال له يوسف مالك لا تجلس قال انك قلت ليجلس كل بني أم على مائدة

وليس لي فيهم ابن أم فقال يوسف افما كان لك ابن أم قال بلى قال يوسف فمافعل قال زعم هؤلاء ان الذئب أكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي احد عشر ابنا كلهم اشتققت له اسما من اسمه فقال له يوسف أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده قال ابن يامين ان لي أبا صالحا وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح فقال له يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف وأخاه حتى ان الملك قد اجلسه معه على مائدته روي ذلك عن الصادق (ع) (قال اني انا أخوك) اي اطلعه على انه أخوه وقيل انه قال انا أخوك مكان أخيك الهالك ولم يعترف له بالنسبة ولم يطلعه على انه اخوه ولكنه أراد ان يطيب نفسه (فلا تبتئس بما كانوا يعملون) اي فلا تسكن ولا تحزن لشيء سلف من اخوتك اليك عن وهب والشعبي (فلما جهزهم بجهازهم) اي فلما اعطاهم ما جاؤا لطلبه من الميرة وكال لهم الطعام الذي جاؤا لأجله وجعل لكل منهم حمل بعير ويسمى حمل التاجر جهازا (جعل السقاية في رحل أخيه) معناه أمر حتى جعل الصاع في متاع أخيه وانما أضاف الله تعالى ذلك اليه لوقوعه بأمره وقيل إن السقاية هي المشربة التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعا في السنين الشداد القحاط يكال به الطعام وقيل كان من ذهب عن ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل كان من فضة وذهب عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضة مرصعة بالجواهر عن عكرمة ثم ارتحلوا وانطلقوا (ثم أذن مؤذن) اي نادى مناد مسمعا معلما (أيتها العير) اي القافلة والتقدير يا أهل العير وقيل كانت القافلة من الحمير عن مجاهد(انكم لسارقون) قيل انما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير امره ولم يعلم بما أمر به يوسف من جعل الصاع في رحالهم عن الجبائي وقيل ان يوسف أمر المنادي بأن ينادي به ولم يرد به سرقة الصاع وانما عنى به انكم سرقتم يوسف عن أبيه والقيتموه في الجب عن ابي مسلم وقيل ان الكلام يجوز ان يكون خارجا مخرج الاستفهام كأنه قال أئنكم لسارقون فأسقط همزة الاستفهام كما في قول الشاعر

كذبتك عينك أم رأيت بواسط   غلس الظلام من الرباب خيالا

ويؤيده ماروى هشام بن الحكم عن ابي عبد الله (ع) انه قال ما سرقوا ولا كذب ومتى قيل كيف جاز ليوسف (ع) ان يحزن والده وأخوته بهذا الصنيع ويجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب ان الغرض فيه التسبب الى احتباس أخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بأمر الله تعالى وروي انه اعلم اخاه بذلك ليجعله طريقا الى التمسك به واذا كان ادخال هذا الحزن سببا مؤديا الى إزالة غموم كثيرة عن الجميع ولا شك انه يتعلق به المصلحة فقد ثبت جوازه فأما التعريض للتهمة بالسرقة فغير صحيح لأن وجود السقاية في رحله يحتمل أمورا كثيرة غير السرقة فعلى هذا من حمله على السرقة مع علمه بأنهم اولاد الأنبياء توجهت اللائمة عليه (قالوا) اي قال اصحاب العير (وأقبلوا عليهم) اي على اصحاب يوسف (ماذا تفقدون) اي ما الذي فقدتموه من متاعكم (قالوا نفقد صواع الملك) اي صاعه وسقايته (ولمن جاء به حمل بعير) اي وقال المنادي من جاء بالصاع فله حمل بعير من الطعام (وانا به زعيم) اي كفيل ضامن (قالوا) اي قال اخوة يوسف (تالله لقد علمتم) أيها القوم (ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) قط وانما أضافوا العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموه لأن معنى هذا القول انكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد أخرى ما تعلمون به انه ليس من شأننا السرقة وقيل انهم قالوا ذلك لأنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير إذن يوسف اي فإذا كنا تحرجنا عن هذا فقد علمتم انا لا نسرق لأن من رد ما وجد لا يكون سارقا عن الكلبي وقيل انهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا أفواه دوابهم كي لا تتناول الحرث والزرع وفي هذا دلالة على ان ما فعله أخوة يوسف به انما كان في حال الصغر وعدم كمال العقل لنفيهم عن انفسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح (قالوا فما جزاؤه)

اي قال الذين نادوهم فما جزاء السرق (ان كنتم كاذبين) في قولكم إنا لم نسرق وظهرت السرقة وقيل معناه فما جزاء من سرق (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) أي قال اخوة يوسف جزاء السرق السارق وهو الإنسان الذي وجد المسروق في رحله وقد بينا تقديره فيما قبل ومعناه ان السنة في بني اسرائيل وعند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن اسحاق والجبائي وكان يسترق سنة وقيل كان حكم السارق في آل يعقوب ان يستخدم ويسترق على قدر سرقته وفي دين الملك الضرب والضمان عن الضحاك وقيل ان يوسف سألهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا ان يؤخذ بسرقته (كذلك نجزي الظالمين) اي مثل ما ذكرنا من الجزاء نجزي السارقين يعني اذا سرق استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف (ع) لقول اخوته ان جزاء السارق استرقاقه (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) اي بدأ يوسف في التفتيش بأوعيتهم لإزالة التهمة (ثم استخرجها) يعني السقاية (من وعاء أخيه) وانما بدأ بأوعيتهم لأنه لو بدأ بوعاء أخيه لعلموا انه هو الذي جعلها فيه وانما قال استخرجها لأنه أراد به السقاية وحيث قال ولمن جاء به اراد به الصاع وقيل ان الصاع يذكر ويؤنث قالوا فأقبلوا على ابن يامين وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم (كذلك كدنا ليوسف) اي مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيدهم بتهيأ له ان يحبس أخاه ليكون ذلك سببا لوصول خبره الى أبيه اي الهمنا يوسف هذا الكيد والحيلة فجازيناهم على كيدهم بيوسف اي كما فعلوا في الابتداء فعلنا بهم وقيل ان معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وقيل الهمنا عن الربيع وقيل دبرنا بيوسف بدلالة قوله وفوق كل ذي علم عليم على انه سبحانه علم من صلاح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن القتيبي (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا ان يشاء الله) اي ما كان يمكنه ان يأخذ أخاه في حكم الملك وقضائه وان يحبسه اذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر وأهله عن قتادة وقيل في دين الملك في سلطانه عن ابن عباس وقيل في عادته في جزاء من سرق ان يستعبد وقيل انه كان عادلا ولولا هذه الحيلة لما كان يمكنه من أخذ أخيه الا ان يشاء الله ان يجعل ليوسف عذرا فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان يأمره بذلك لأنه كان لا يمكنه ان يقول هذا أخي وكان لا يمكنه حبسه من غير حيلة لأنه كان يكون فعله ظلما وكان من سنة آل يعقوب ان يسترق وفي حكم الملك وأهل مصر ان يضرب ويغرم وحبسه يوسف على قولهم والتزم حكمهم الذي جرى على لسانهم مبالغة في نفي السرقة عن انفسهم وكان ذلك مراده وقد شاء الله لأنه بأمره عن الحسن وانما سماه كيدا لأنه لولا هذا السبب لم يتهيأ له أخذه والكيد ما يفعله فاعله ليوصل به الى غيره ضررا من حيث لا يعلمه اولينال منه شيئا من غير ان يعلمه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقيل بالتقوى والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة (وفوق كل ذي علم عليم) يعني ان كل عالم فإن فوقه عالما اعلم منه حتى ينتهي الى الله تعالى العالم بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه ولا يتعداه وفي هذا دلالة على بطلان قول من يقول ان الله سبحانه عالم بعلم قديم لأنه لو كان كذلك لكان فوقه عليم على ما يقتضيه الظاهر

قوله تعالى (٧٧) قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٨) قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٧٩) قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ (٨٠) فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ

لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أربع آيات

﴿ اللغة ﴾

اليأس قطع الطمع من الأمر يقال يئس ييأس وأيس يأبس لغة واستفعل مثل استيأس واستأيس وروى ابو ربيعة عن البزي عن ابن كثير استيأسوا منه واستيأس الرسل ويئس واستيأس بمعنى مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب والنجي القوم يتناجون الواحد والجمع فيه سواء قال سبحانه وقربناه نجيا وانما جاز ذلك لأنه مصدر وصف به والمناجاة المسارة وأصله من النجوة وهو المرتفع من الأرض فإنه رفع السر من كل واحد الى صاحبه في خفية والنجوى يكون اسما ومصدرا قال سبحانه واذ هم نجوى أي يتناجون وقال في المصدر إنما النجوى من الشيطان وجمع النجي انجية قال «اني اذا ما القوم كانوا انجيه» ويرح الرجل براحا اذا تنحى عن موضعه

— الاعراب —

قوله فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال الزجاج هذا اضار على شريطة التفسير لأن قوله تعالى انتم شر مكانا بدل من ها في اسرها والمعنى فأسرها يوسف في نفسه قوله انتم شر مكانا قال ابو علي ان الاضار على شريطة التفسير يكون على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يفسر بفرد نحو نعم رجلا زيد فقولك رجلا تفسير للرجل الذي هو فاعل نعم وقد اضمر ﴿ والآخر ﴾ ان يفسر بجملة وأصل هذا يقع في الابتداء كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله أحد المعنى القصة ابصار الذين كفروا شاخصة والامر الله أحد ثم تدخل عوامل المبتدأ عليه نحو كان واخواتها وإن واخواتها فينتقل هذا الضمير من الابتداء بها كما ينتقل سائر المبتدآت كقوله انه من يأت ربه مجرما فإنها لا تعمى الابصار وقول الشاعر « وليس منها شفاء الداء مبذول» والذي ذهب أبو اسحاق فيه الى انه مضمر على شريطة التفسير ليس بمبتدأ فيلزمه التفسير بالجملة الا ترى انها فضلة مذكورة بعد فعل وفاعل وهو قوله اسر فإذا كان مباينا لما اصله المبتدأ لم يجز ان يفسر تفسيره وايضا فإن المضمر على شريطة التفسير لا يكون الا متعلقا بالجملة التي يفسرها ولا يكون منقطعا عنها ولا متعلقا بجملة غيرها وما ذكره ابو اسحاق فالتفسير فيه منفصل عن الجملة التي فيها الضمير الذي زعم انه اضار على شريطة التفسير فخرج بذلك عما يكون عليه الاضار قبل التفسير فإن قلت فعلى م تحمل الضمير في اسرها قلنا يحتمل ان يكون اضار اللاجابة كأنهم لما قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل أسر يوسف اجابتهم في نفسه ولم يبدها لهم في الحال وجاز اضار ذلك لأنه دل ما تقدم من مقالتهم عليه وجاز ان يكون اضمارا للمقالة كأنه أسر يوسف مقالتهم لأن القول والمقالة واحد ويكون معنى المقالة المقول كما ان الخلق عبارة عن المخلوق اي اكنها في نفسه واوعاها ولم يطرحها ارادة للتوبيخ عليها والمجازاة بها انتهى تلخيص كلام ابي علي وقوله شيخا صفة الأب والكبير صفة الشيخ ومعاذ الله منصوب على المصدر والعرب تقول معاذ الله ومعاذة الله وعوذنا الله وعوذة الله وعياذ الله ويقولون اللهم عائذا بك اي ادعوك عائذا بك وان تأخذ في موضع نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد الا من وجدنا متاعنا عنده فلما سقطت من افضى الفعل فنصب عن الزجاج وقوله انا إذاً لظالمون فيه معنى الجزاء أي إن اخذنا غيره فنحن ظالمون ونجيا نصب على الحال وما في قوله ما فرطتم لغواي ومن قبل فرطتم ويجوز أن تكون مصدرية في موضع رفع بمعنى تفريطكم واقع من قبل فيكون ما فرطتم في يوسف في موضع رفع بالابتداء ومن قبل خبره ويجوز أن يكون في موضع نصب عطفا على ان فيكون المعنى ألم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا وتفريطكم في يوسف · ويحكم عطف على يأذن ويجوز ان يكون بمعنى الاان اي لن ابرح الأرض الا ان يحكم الله لي

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن اخوة يوسف انهم (قالوا) ليوسف (ان يسرق) ابن يامين (فقد سرق اخ له) من امه

(من قبل) فليست سرقته بأمر بديع فإنه اقتدى بأخيه يوسف واختلف فيما وصفوه به من السرقة على اقوال فقيل ان عمة يوسف كانت تحضنه بعد وفاة امه وتحبه حبا شديداً فلما ترعرع اراد يعقوب ان يسترده منها وكانت اكبر ولد اسحاق وكانت عندها منطقة اسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف وادعت انه سرقها وكان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب عندها عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقد روي ذلك عن أئمتنا عليهم السلام وقيل إنه سرق صنما لجده من قبل امه فكسره والقاه على الطريق عن سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد وقيل إنه سرق دجاجة كانت في بيت يعقوب اوبيضة فأعطاها سائلا فعيروه بها عن سفيان بن عيينة ومجاهد (فأسرها يوسف في نفسه) أي فأخفى يوسف تلك الكلمة التي قالوها (ولم يبدها لهم) اي لم يظهرها (قال انتم شر مكانا) في السرق لأنكم سرقتم اخاكم من ابيكم (والله أعلم بما تصفون) اي والله اعلم اسرق اخ له ام لا عن الزجاج ويكون المعنى انتم اسوء حالا من يوسف فإنه لم يكن له صنيع في المنطقة وكان يتصدق باذن ابيه ولم تكونوا براء مما عاملتموه به وقيل معناه انتم شر صنيعا بما اقدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فأنتم شر مكانا عند الله منه اي اسر هذه المقالة في نفسه ثم جهر بقوله والله اعلم بما تصفون قال الحسن لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم لم يكونوا انبياء لأن النبي عندنا لا يجوز ان يقع منه فعل القبيح اصلا وقال البلخي انهم كذبوا في هذا القول ولم يصح انهم كانوا انبياء وجوز أن يكون الاسباط غيرهم اوأن يكونوا من اولادهم (قالوا ياايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه) اي بدلا عنه انما قالوا هذا لما علموا انه استحقه فسألوه ان يأخذ عنه بدلا شفقة على والدهم ورققوا في القول على وجه الاسترحام ومعناه كبيرا في السن وقيل كبيرا في القدر لا يحبس ابن مثله (انا نراك من المحسنين) إلى الناس وقيل من المحسنين الينا في الكيل ورد البضاعة وفي الضيافة ونحن نأمل هذا منك لإحسانك الينا وقيل ان فعلت هذا فقد احسنت الينا فأجابهم يوسف بأن (قال معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) اي اعوذ بالله أن آخذ البريء بجرم السقيم وقال من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزاً من الكذب (انا إذاً لظالمون) اي لو فعلنا ذلك لكنا ظالمين وفي هذا دلالة على ان اخذ البريء بالمجرم ظلم ومن فعله كان ظالما والله يتعالى ويجل عن ذلك علوا كبيراً (فلما استيأسوا منه) اي فلما يئس اخوة يوسف من يوسف ان يجيبهم إلى ماسألوه من تخلية سبيل ابن يامين معهم (خلصوا نجيا) اي انفردوا عن الناس من غير أن يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون في ذهابهم الى ابيهم من غير اخيهم ويتدبرون في أنهم يرجعون ام يقيمون وتلخيصه اعتزلوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ القرآن التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة والايجاز في اللفظ مع كثرة المعنى (قال كبيرهم) وهو روبين وكان اسنهم وهو ابن خالة يوسف وهو الذي نهي اخوته عن قتله عن قتادة والسدي والضحاك وكعب وقيل شمعون وهو كبيرهم في العقل والعلم لا في السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل يهوذا وكان اعقلهم عن وهب والكلبي وقيل لاوي عن محمد بن اسحاق وعن علي بن ابراهيم بن هاشم (ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) اراد به الوثيقة التي طلبها منهم يعقوب حين قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به فذكرهم ذلك (ومن قبل مافرطتم في يوسف) اي قصرتم في أمره وكنتم قد عاهدتم اباكم ان تردوه اليه سالما فنقضتم العهد (فلن ابرح الأرض) اي لا ازال بهذه الأرض ولا ازول عنها وهي ارض مصر (حتى يأذن لي ابي) في البراح والرجوع اليه (او يحكم الله لي) بالخروج وترك اخي هاهنا وقيل بالموت وقيل بما يكون عذرا لنا عند ابينا عن ابي مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخي عن الجبائي (وهوخير الحاكمين) لا يحكم إلا بالحق قالوا انه قال لهم انا اكون هاهنا واحملوا انتم الطعام اليهم فأخبروهم بالواقعة

قوله تعالى (٨١) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨٢) وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٨٤) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٥) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٧) يَا بَنِيَّ ٱذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ

سبع آيات

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس سرق بضم السين وتشديد الراء وكسرها وقراءة الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز من روح الله بضم الراء

الحجة

معنى سرق بضم السين نسب الى السرقة فيكون من باب فسقه وفجره وشجعه اذا نسبه الى هذه الخلال وأما روح الله فيمكن ان يكون من الروح الذي هو من عند الله وبلطفه وهدايته ونعمته

اللغة

القرية الارض الجامعة لمساكن كثيرة وأصله من القري وهو الجمع يقال قريت الماء في الحوض ونظيره البلدة والمدينة والعير قد مضى ذكر معناه والكظم اجتراع الحزن وهو ان يمسكه في قلبه ولا يبثه الى غيره ويقال ما زلت افعل كذا وما فتئت افعله افتاء فتأ قال اوس بن حجر يصف حرباً

فما فتأت خيل تثوب وتدعي ... ويلحق منها لاحق وتقطع

والحرض المشرف على الهلاك يقال رجل حرض وحارض اي فاسد في جسمه وعقله ومنه حرضته على كذا أمرته به لأنه إذا خالف الأمر فكأنه هلك واحرضه اي افسده قال العرجي

إني امرؤ لج بي حب فأحرضني ... حتى بليت وحتى شفني السقم

والحرض لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر والشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوته الى فلان شكوى وشكاية وشكواء فأشكاني اي أعتبني من شكواي واشكاني ايضا اخرجني الى الشكوى والبث الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه اي يفرقه وكل شيء فرقته فقد بثثته ومنه قوله وبث فيها من كل دابة والتحسس طلب الشيء بالحاسة والتجسس نظيره وفي الحديث لا تحسسوا ولا تجسسوا وقيل ان معناهما واحد ونسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر «متى أدن منه ينأ عني ويبعد» وقيل التجسس بالجيم البحث عن عورات الناس وبالحاء الاستماع لحديث قوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينهما قال لا يبعد احدهما عن الآخر التحسس في الخير والتجسس في الشر والروح الراحة والروح الرحمة وأصل الباب من الريح التي تأتي بالرحمة

الإعراب

اسأل القرية اي اهل القرية واهل العير فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه يا اسفى معناه ياحسرتي والأصل يا اسفي إلا ان ياء الإضافة يجوز أن يبدل الفاء لخفة الألف والفتحة ويجوز أن يكون الف الندبة

ويكون معناه البيان ان الحال حال حزن فكأنه قال يا اسف هذا من اوانك وقوله على يوسف من صلة المصدر تفتأ معناه لا تفتأ حذف حرف النفي لعلم السامع به كما في قول امرئ القيس .

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولوضربوا رأسي لديك واوصالي

وإنما جاز ذلك لأنه لا يجوز في القسم تالله تفعل حتى تقول تالله لتفعلن او تقول لا تفعل

المعنى

ثم اخبر سبحانه انه قال لهم كبيرهم في السن او في العلم (ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) في الظاهر (وما شهدنا) عندك بهذا (إلا بما علمنا) أي بما شهدنا من ان الصاع استخرج من رحله في الظاهر وبين بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على انه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق إلا بما علمنا ان الحكم ذلك ولم نعلم ان ابنك سرق أم لا إلا انه وجد الصاع عنده فحكم بأنه السارق في الظاهر وإنما قالوا ذلك حين قال يعقوب«ع» لهم ما يدري الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته ويسترق وإنما علم ذلك بقولكم (وما كنا للغيب حافظين) أي انا لم نعلم الغيب حين سألناك أن تبعث ابن يامين معنا ولم ندر ان امره يؤول إلى هذا وإنما قصدنا به الخير ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد وقتادة والحسن وقال علي بن عيسى علم الغيب هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيده والعالم بهذا المعنى هو الله وحده جل اسمه وقيل معناه ما كنا لسر هذا الأمر حافظين وبه عالمين فلا ندري انه سرق أم كذبوا عليه وإنما اخبرناك بما شاهدنا عن عكرمة وقيل معناه ما كنا لغيب ابنك حافظين أي انا كنا نحفظه في محضره وإذا غاب عنا ذهب عن حفظنا يعنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو الليل بلغة حمير عن ابن عباس قال أي انا لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره ومجيئه وذهابه (واسئل القرية) أي أهل القرية (التي كنا فيها) والقرية مصر عن ابن عباس والحسن وقتادة ومعناه سل من شئت من أهل مصر عن هذا الأمر فإن هذا أمر شائع فيهم يخبرك به من سألته وإنما قالوا ذلك لأن بعض أهلها كانوا قد صاروا إلى الناحية التي كان فيها أبوهم والعرب تسمي الامصار والمدائن قرى (والعير التي اقبلنا فيها) اي وسل أهل القافلة التي قدمنا فيها وكانوا من ارض كنعان من جيران يعقوب وإنما حذف المضاف للايجاز ولأن المعنى مفهوم وقيل انه ليس في الكلام حذف لأن يعقوب«ع» نبي صاحب معجز يجوز أن تكلمه القرية والعير على وجه خرق العادة وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا أهل تهمة عند يعقوب (وإنا لصادقون) فيما اخبرناك به (قال بل سولت لكم أنفسكم امراً) ههنا حذف كثير يدل الحال عليه تقديره فلما رجعوا إلى أبيهم وقصوا عليه القصة بطولها قال لهم ما عندي ان الأمر على ما تقولونه بل سولت لكم أنفسكم أمراً فيما أظن (فصبر جميل) أي فأمري صبر جميل لا جزع معه (عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً) أي عسى الله أن يأتيني بيوسف وابن يامين وروبيل او شمعون او لاوي او يهوذا (انه هو العليم) بعباده (الحكيم) في تدبير الخلق (وتولى عنهم) أي انصرف واعرض عنهم بشدة الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين وهاج ذلك وجده بيوسف لأنه كان يتسلى به (وقال يا أسفى على يوسف) أي يا طول حزني على يوسف عن ابن عباس وروي عن سعيد بن جبير انه قال لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط لأنبياء قبلهم إنا لله وإنا اليه راجعون ولو اعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب إذ يقول يا أسفي على يوسف (وابيضت عيناه من الحزن) والبكاء ولما كان البكاء من أجل الحزن أضاف بياض البصر اليه وسئل الصادق « ع » ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال حزن سبعين حرى ثكلى قيل كيف وقد أخبر انه يرد عليه فقال أنسي ذلك وقيل انه عمي ست سنين عن مقاتل وقيل انه اشرف على العمى فكان لا يرى إلا شيئاً يسيراً (فهو كظيم) والكظيم ههنا بمعنى الكاظم وهو المملوء من الهم والحزن الممسك للغيظ لا يشكوه لأهل زمانه ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى بن جعفر عليهما السلام

الكاظم لكثرة ما كان يتجرع من الغيظ والغم طول ايام خلافته لأبيه في ذات الله تعالى وقال ابن عباس هو المغموم المكروب (قالوا) اي قال ولد يعقوب لأبيهم (تالله تفتؤ تذكر يوسف) اي لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) اي دنفا فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحاق وقيل قريباً من الموت عن مجاهد وقيل هرما باليا عن قتادة والضحاك (او تكون من الهالكين) أي الميتين وإنما قالوا ذلك اشفاقا عليه وتعطفا ورحمة له وقيل أنهم قالوا ذلك تبرما ببكائه إذ تنغص عيشهم بذلك (قال) يعقوب في جوابهم (إنما اشكو بثي) أي همي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن (وحزني إلى الله) المعنى إنما اشكو حزني وحاجتي واختلال حالي وانتشارها إلى الله في ظلم الليالي واوقات خلواتي لا اليكم وقيل البث ما أبداه والحزن ما أخفاه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان جبرائيل اتاه فقال يا يعقوب ان الله يقرأ عليك السلم ويقول ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتها لك اصنع طعاما للمساكين فإن أحب عبادي إلى المساكين او تدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك لأنكم ذبحتم شاة واتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء امر مناديا ينادي ألا من اراد الغذاء من المساكين فليتغذ مع يعقوب وإذا كان صائما امر مناديا فنادى ألا من كان صائما فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم ابو عبدالله الحافظ في صحيحه (واعلم من الله ما لا تعلمون) اي واعلم صدق رؤيا يوسف واعلم انه حي وانكم ستسجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته (ما لا تعلمون) عن عطا وفي كتاب النبوة بالاسناد عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر الباقر «ع» قال ان يعقوب دعا الله سبحانه في ان يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال اخبرني هل مر بك روح يوسف في الأرواح فقال لا فعلم انه حي فقال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) ابن يامين وقيل انهم لما اخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ابن يامين اي استخبروا من شأنهما واطلبوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر ما اسمه وعلى أي دين هو فإنه القي في روعي ان الذي حبس ابن يامين هو يوسف وإنما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالا في حبس اخيه عند نفسه (ولاتيأسوا من روح الله) اي لا تقنطوا من رحمته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله (انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) قال ابن عباس يريد ان المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد والبلاء ويشكره ويحمده في الرخاء والكافر ليس كذلك وفي هذا دلالة على ان الفاسق الملي لا يأس عليه من رحمة الله بخلاف ما يقوله اهل الوعيد

❊ سؤال ❊ كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب في المدة الطويلة مع قرب المسافة وكيف لم يعلمه يوسف بخبره لتسكن نفسه ويزول وجده

❊ الجواب ❊ قال الجبائي العلة في ذلك انه حمل إلى مصر فبيع من عزيز فألزمه داره ثم لبث في السجن بضع سنين فانقطعت اخبار الناس عنه فلما تمكن احتال في إيصال خبره بأبيه على الوجه الذي امكنه وكان لا يأمن لو بعث رسولا اليه ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله روحه يجوز ان يكون ذلك له ممكنا وكان عليه قادراً لكن الله سبحانه أوحى اليه بأن يعدل عن اطلاعه على خبره تشديداً للمحنة عليه ولله سبحانه ان يصعب التكليف وان يسهله

قوله تعالى (٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٩٠) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ

مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩١) قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ (٩٢) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٩٣) ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ

ست آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن كثير انك لأنت يوسف بكسر الهمزة وقرأ نافع ويعقوب غير زيد وسهل انك بفتح الهمزة غير ممدود وقرا ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب اآنك بالمد وقرأ الباقون أأنك بهمزتين وفي الشواذ قراءة ابي انك او انت يوسف وقرأ ابن كثير وحده من يتقي بياء في الوصل والوقف والباقون بغير ياء فيهما

الحجة

يدل على الاستفهام قوله انا يوسف وإنما أجابهم عما استفهموا عنه قال ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي انه على الاستفهام كأنه قال او تلك نعمة فيجوز أن يكون من قرأ انك على هذا فيكون القراءتان متفقتين وقلما يحذف حرف الاستفهام فأما في القراءات فإنه يجري على مذهبهم في اجتماع الهمزتين وقد تقدم القول في ذلك واما قراءة ابي فيكون على حذف خبر ان كأنه قال ءانك لغير يوسف أو انت يوسف قال ابن جني فكأنه قال بل انت يوسف فلما خرج مخرج التوقف قال انا يوسف وقد جاء عنهم حذف خبر ان قال الاعشى

ان محلا وان مرتحلا وان في السفر إذ مضوا مهلا

أراد ان لنا محلا وان لنا مرتحلا قال ابو علي قوله من يتقي لا يحمل على نحو قول الشاعر «ألم يأتيك والأنباء تنمي» لأن هذا ونحوه إنما يجيء في الشعر ولكن تجعل من موصولة فيكون بمنزلة الذي يتقي ويحمل المعطوف على المعنى لأن من يتقي إذا كان من منزلة الذي بمنزلة الجزء الجازم بدلالة ان كل واحد منها يصلح دخول الفاء في جوابه فإذا اجتمعا في ذلك جاز أن يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلته فمما ذكرناه ومثل ذلك قوله فأصدق واكن حملت واكن على موضع الفاء ومثله قول من قرأ ويذرهم في طغيانهم جزما ويجوز أن تقدر الضمة في قوله ويصبر وتحذفها للاستخفاف كما يخفف نحو عضد وسبع وجاز هذا في حركة الاعراب كجوازه في حركة البناء وزعم ابو الحسن انه سمع رسلنا لديهم يكتبون باسكان اللام من رسلنا ويقوي ذلك قراءة من قرأ ويتقه ألا ترى انه جعل تقه بمنزلة كتف وعلم فاسكن فكذلك يسكن على هذا ويصبر

اللغة

الازجاء في اللغة السوق والدفع قليلا قليلا ومنه قوله يزجي سحابا قال النابغة

وهبت الريح من تلقاء ذي ارك تزجي مع الليل من صرادها صرما

وفلان يزجي العيش أي يدفع بالقليل ويكتفي به قال الاعشى

الواهب المائة الهجان وعبدها عوذا يزجي خلفها اطفالها

أي يدفع وقال آخر «وحاجة غير مزجاة من الحاج» وإنما قيل بضاعة مزجاة لأنها يسيرة ناقصة وإنما يجوز ذلك على دفع من أخذها والمن النعمة وأصله القطع لأنها تقطع المنعم عليه من حال بؤسه والإيثار تفضيل احد الشيئين على الآخر ونظيره الاختيار والاجتباء ونقيضه الإيثار عليه وأصله من الأثر فإنه يؤثر من له أثر جميل والأثر الاخبار يقال أثر يأثر والمأثرة المكرمة لأنها تؤثر والخطأ ضد الثواب يقال خطأ الرجل يخطأ

خطأ وخطا فهو خاطئ واخطئ يخطأ اخطاء فهو مخطئ قال امرؤ القيس

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلا حلا

التثريب التوبيخ يقال ثرب وأثرب وثرّب عن ابن الأعرابي وقيل التثريب اللوم والافساد والتقرير بالذنب قال ابو عبيدة وأصله الافساد وأنشد

فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وقال ثعلب ثرب وأثرب فلان على فلان أي عدد عليه ذنوبه وقال ابو مسلم هو مأخوذ من الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والبلوغ بذلك إلى اقصى غاياته

﴿ الاعراب ﴾

هل علمتم استفهام والمراد به التقرير ما فعلتم بيوسف تقديره أي شئ فعلتم بيوسف فكأن ما في موضع نصب والجملة معلقة بعلمتم وقوله فإن الله لا يضيع أجر المحسنين في موضع الجزم بأنه جواب الشرط وذكر المحسنين ناب عن الضمير العائد إلى من لأن الاتقاء والصبر في معنى الإحسان فكأنه قال لا يضيع جزاءه لأنت يوسف هذه لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان ويجوز ان يكون انت فصلا كما علمت فيما تقدم وقوله لا تثريب عليكم تثريب نكرة مفردة مبنية مع لا على الفتح ولا يجوز أن يتعلق عليكم به إذ لو كان كذلك لكان مشتبها بالمضاف من حيث يكون عاملا فيما بعده ويكون عليكم من تمامه وكان يجب أن يكون منصوبا منونا كما تقول لا مرورا بزيد عندك وإذا عرفت هذا فإن عليكم ههنا فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون في موضع الخبر على تقدير لا تثريب يثبت عليكم او ثابت عليكم ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه إلى عليكم حيث سد مسده ﴿ والآخر ﴾ أن يتعلق بمضمر ذلك المضمر وصف لتثريب وعلى هذا فيجوز فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ أن يكون في محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول لا رجل ظريف ﴿ والآخر ﴾ أن يكون في محل نصب تقديره لا تثريب ثابتاً عليكم كما تقول لا رجل ظريفا ثم حذفت الصفة وقام الظرف مقامه ويكون اليوم على هذا الوجه خبر لا وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون خبرا بعد خبر ويجوز أن يكون متعلقا بالضمير الذي في الخبر ويجوز ان يكون قد تم الكلام عند قوله عليكم وتعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره اليوم يغفر الله لكم وهذا اختيار الأخفش وهكذا الكلام في قوله لا ريب فيه

—(المعنى)—

ولما قال يعقوب لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه خرجوا إلى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أي اصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجة والشدة من السنين الشداد القحاط وقيل انهم شكوا ما نالهم من هلاك مواشيهم والبلاء الذي اصابهم (وجئنا ببضاعة مزجاة) اي تدافع بها الأيام وتتقوتها وليست مما يتسع به وقيل رديئة لا تؤخذ إلا بوكس عن ابن عباس والجبائي وقيل قليلة عن الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وابي مسلم واختلف في تلك البضاعة فقيل كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق في ثمن الطعام عن عكرمة عن ابن عباس وقيل كانت خلق الغرارة والحبل ورث المتاع عن ابن ابي مليكة عنه وقيل كانت متاع الاعراب الصوف والسمن عن عبد الله بن الحرث وقيل الصنوبر والحبة الخضراء عن الكلبي ومقاتل وقيل دراهم فسول عن سعيد بن جبير وقيل كانت اقطا عن الحسن وقيل النعال والأدم عن الضحاك وعنه ايضا انها سويق المقل (فأوف لنا الكيل) كما كنت توفي في السنين الماضية ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا في هذه السنة (وتصدق علينا) اي سامحنا بما بين النقدين وسعر لنا بالردئ كما تسعر بالجيد وقيل معناه تصدق علينا برد اخينا عن ابن جريج والضحاك (إن الله يجزي المتصدقين) اي يثيبهم على صدقاتهم بأفضل منها وفي كتاب النبوة

عنكم ماتقدم من ذنبكم وقيل في صنيعه بي حتى جعلني ملكا وقيل اراد باليوم الزمان فتدخل فيه الاوقات كلها كما قال الشاعر

فاليوم يرحمنا من كان يغبطنا … واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

وقيل ان الكلام قد تم عند قوله لاتثريب عليكم ثم ابتدأ بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو دعاء لهم (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه ابي يأت بصيرا) قيل انه «ع» لما عرفهم نفسه سألهم عن ابيه فقال ما فعل ابي بعدي قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا واطرحوه على وجهه يعد مبصرا كما كان من قبل قال ابن عباس يأت بصيرا يرتد بصيرا ويذهب البياض الذي على عينيه (وأتوني بأهلكم أجمعين) إذا عاد بصيرا وهذا كان معجزا منه إذ لا يعرف انه يعود بصيرا بإلقاء القميص على وجهه إلا بالوحي وقيل ان يوسف قال إنما يذهب بقميصي من ذهب به اولا فقال يهوذا انا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فأخبرته انه أكله الذئب قال فاذهب بهذا ايضا واخبره انه حي وافرحه كما حزنته فحمل القميص وخرج حافيا حاسرا حتى اتاه وكان معه سبعة ارغفة وكانت مسافة بينهما ثمانين فرسخا فلم يستوف الأرغفة في الطريق وقد ذكرنا شأن القميص من قبل وروى ايضا الواحدي باسناده يرفعه إلى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان نمرود الجبار لما القى ابراهيم في النار نزل اليه جبرائيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحاق وكساه اسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فألقي في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا وقال ابن عباس اخرج لهم قصبة من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها اخوته فيها قميص وهو الذي نزل به جبرائيل على ابراهيم وذكر القصة وقال مجاهد امره جبرائيل ان ارسل اليه قميصك فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا صح وعوفي

قوله تعالى (٩٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٥) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٧) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٨) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ خمس آيات

اللغة

الفصل أصله القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لأنه يقطع الأمور والتفنيد تضعيف الرأي قال

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي … فليس ما فات من أمر بمردود

والفند ضعف الرأي وقيل ان أصله الفساد قال النابغة

إلا سليمان إذ قال المليك له … قم في البرية فاحددها عن الفند

أي امنعها عن الفساد

المعنى

(ولما فصلت العير) اي لما خرجت القافلة وانفصلت من مصر متوجهة نحو الشام (قال ابوهم) يعقوب لأولاد أولاده الذين كانوا عنده (إني لأجد ريح يوسف) روي عن ابي عبد الله (ع) قال وجد يعقوب ريح قميص يوسف حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين من مسيرة عشر ليال وقيل من مسيرة ثماني ليال عن ابن عباس وقيل من ثمانين فرسخا عن الحسن وقيل مسيرة شهر عن الأصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت بريح قميص يوسف

بالاسناد عن الحسن بن محبوب عن ابي اسماعيل الفراء عن طربال عن ابي عبد الله (ع) في خبر طويل أن يعقوب كتب إلى يوسف بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صاحب نمرود الذي جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداوسلاما وانجاه منها اخبرك ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء الينا سريعا من الله ليبلونا عند السراء والضراء وأن المصائب تتابعت علي عشرين سنة اولها انه كان لي ابن سميته يوسف وكان سروري من بين ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي وأن اخوته من غير امه سألوني أن ابعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكرة فجاؤني عشاء يبكون وجاءوا على قميصه بدم كذب وزعموا أن الذئب اكله فاشتد لفقده حزني وكثر عن فراقه بكائي حتى ابيضت عيناي من الحزن وانه كان له اخ وكنت به معجبا وكان لي انيسا وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري فسكن بعض ما اجد في صدري وأن اخوته ذكروا لي انك سألتهم عنه وأمرتهم ان يأتوك به فإن لم يأتوك به منعتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحا فرجعوا الي وليس هو معهم وذكروا انه سرق مكيال الملك ونحن اهل بيت لا نسرق وقد حبسته عني وفجعتني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوس لذلك ظهري وعظمت به مصيبتي مع مصائب تتابعت علي فمنّ علي بتخلية سبيله واطلاقه من حبسك وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر واوف لنا الكيل وعجل سراح آل ابراهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر إلى آخر الآية وتصدق علينا بأخينا ابن يامين وهذا كتاب ابينا يعقوب اليك في امره يسألك تخلية سبيله فمن به علينا فأخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضع على عينيه وبكى وانتحب حتى بلت دموعه القميص الذي عليه ثم اقبل عليهم (وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) ومعناه انه قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف من اذلاله وابعاده عن ابيه والقائه في البئر والاجتماع على قتله وبيعه بثمن وكس وما فعلتم بأخيه من افراده عن يوسف والتفريق بينهما حتى صار ذليلا فيما بينكم لا يكلمكم إلا كما يكلم الذليل العزيز وإنما لم يذكر اباه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم لفراقه تعظيما له ورفعا من قدره وعلما ان ذلك كان بلاء له ليزداد به علو الدرجة ورفعة المنزلة عند الله تعالى قال ابن الانباري هذا استفهام يعني به تعظيم القصة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم وما أقبح ما اتيتم من قطيعة الرحم وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من عصيت وفي هذه الاية مصداق قوله لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله (إذ انتم جاهلون) اي صبيان عن ابن عباس وقيل شبان عن الحسن ومعناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبي في عنفوان الشباب حين يغلب على الانسان الجهل ولم ينسبهم إلى الجهل في حال الخطاب لانهم كانوا تائبين نادمين في تلك الحال وكان هذا تلقينا لهم لما يعتذرون به اليه وهذا هو الغاية في الكرم إذ صفح عنهم ولقنهم وجه العذر وقالوا أإنك لأنت يوسف قيل ان يوسف لما قال لهم هل علمتم الآية تبسم فلما ابصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف (وقالوا) له (إإنك لأنت يوسف) عن ابن عباس وقيل رفع التاج عن رأسه فعرفوه (قال أنا يوسف) اظهر الاسم ولم يقل انا هو تعظيما لما وقع به من ظلم اخوته فكأنه قال انا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني عن ابن الانباري قال ولهذا قال (وهذا اخي) لأن قصده وهذا المظلوم كظلمي (قد من الله علينا) بالاجتماع بعد طول الفرقة وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والآخرة (انه من يتق) اي يتق الله (ويصبر) على المصائب وعن المعاصي (فإن الله لا يضيع اجر المحسنين) اي اجر من كان هذا حاله والضياع ذهاب الشيء من غير عوض (قالوا تالله) اي اقسموا بالله سبحانه (لقد آثرك الله علينا) اي فضلك واختارك الله علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن والملك (وإن كنا لخاطئين) اي ما كنا إلا مخطئين آثمين فيما فعلنا وهذا يدل على انهم ندموا على ما فعلوا ولم يصروا عليه (قال) يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) اي لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع عليكم الآن فيما فعلتم (يغفر الله لكم) ذنوبكم فإني استغفر الله لكم (وهو ارحم الراحمين) في عفوه

إلى يعقوب وذكر في القصة ان الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وقد اكثر الشعراء من ذكرها فمن ذلك قولهم

فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت   على نفس مهموم تجلت همومها

وقول ابي الصخر الهذلي

إذا قلت هذا حين اسلو يهيجني   نسيم الصبا من حيث أن يطلع الفجر

وقوله (لولا أن تفندون) معناه لولا أن تسفهوني عن ابن عباس ومجاهد وقيل لولا أن تضعفوني في الرأي عن ابن اسحاق وقيل لولا أن تكذبوني والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروي ذلك ايضا عن ابن عباس وقيل لولا ان تهرموني عن الحسن وقتادة أي تقولون انه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره اني اقطع انها ريح يوسف لولا أن تفندون (قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم) اي قالوا له اشفاقا عليه وترحما انك لفي ذهابك القديم عن الصواب في حب يوسف (ع) وانه كان عندهم ان يوسف قد مات منذ سنين ولم يريدوا بذلك الضلال عن الدين وانما ارادوا به المبالغة في حب يوسف والأماني الفاسدة فيما كان يرجو من عوده بعد موته عن قتادة والحسن وقيل معناه انك لفي شقائك القديم عن مقاتل وفي هذا دلالة على ان لفظ القديم قد يطلق في اللغة على المتقدم في الوجود (فلما ان جاء البشير) وهو يهوذا عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انه مالك بن ذعر (القاه على وجهه فارتد بصيرا) اي القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيرا قال الضحاك عاد اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما أدري ما أثيبك به هون الله عليك سكرات الموت (قال) يعقوب لهم (ألم أقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون) اي اني كنت اعلم ان الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف الشدائد عن أنبيائه بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن كان الله سبحانه أعلمه بحياته ولم يعلمه بمكانه (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) فيما فعلنا (قال) يعقوب (سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) إنما لم يستغفر لهم في الحال لأنه أخرهم إلى سحر ليلة الجمعة عن ابن عباس وطاوس وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل أخرهم إلى وقت السحر لأنه اقرب إلى إجابة الدعاء عن ابن مسعود وابراهيم التيمي وابن جريج وروي ايضا عن ابي عبد الله (ع) وقيل انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة عن وهب وقيل انه كان يقوم ويصف اولاده خلفه عشرين سنة يدعو ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم وروي ان جبرائيل (ع) علم يعقوب هذا الدعاء يارجاء المؤمنين لا تخيب رجائي ويا غوث المؤمنين أغثني ويا عون المؤمنين اعني ويا حبيب التوابين تب علي واستجب لهم

قوله تعالى (٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (١٠٠) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠١) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠٢) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ   أربع آيات

﴿ الإعراب ﴾

دخول من في قوله من الملك ومن تأويل الأحاديث جائز أن يكون للتبعيض فيكون المراد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعض تأويل الأحاديث وجائز أن يكون للتبيين هذا الجنس من سائر الاجناس فيكون المعنى آتيتني الملك وعلمتني التأويل عن الزجاج قال وقوله تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ويدل على ان من هاهنا لتبيين الجنس ومثله قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان اي الرجس الذي هو وثن فاطر السماوات والأرض منصوب على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون على الصفة لقوله رب لأن المعنى يا ربي فهو نداء مضاف في موضع نصب فيكون فاطر السماوات صفة له وجائز أن ينتصب على انه نداء ثان على تقدير يافاطر السماوات وذلك في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره من انباء الغيب ويكون نوحيه اليك خبراً ثانيا و إن شئت جعلت نوحيه هو الخبر وجعلت ذلك في معنى الذي وقوله من انباء الغيب صلته

— المعنى —

(فلما دخلوا على يوسف) هاهنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب وأهله من ارضهم واتوا مصر دخلوا على يوسف وفي حديث ابن محبوب باسناده عن ابي جعفر (ع) أن يعقوب قال لولده تحملوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهليكم اجمعين فساروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف ام يامين فحثوا السير فرحا وسرورا تسعة أيام إلى مصر فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق اباه وقبله وبكى ورفعه ورفع خالته على سرير الملك ثم دخل منزله واكتحل وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما رأوه سجدوا جميعا اعظاما له وشكراً لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين ابيه واخوته وقيل أن يوسف بعث مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر وسألهم أن يأتوه بأهلهم اجمعين فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر فقال يعقوب يايهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكلبي على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يامذهب الأحزان وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال لما أقبل يعقوب إلى مصر خرج يوسف ليستقبله فلما رآه يوسف هم بأن يترجل له ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرائيل فقال له يايوسف إن الله جل جلاله يقول منعك ان تنزل إلى عبدي الصالح ما انت فيه ابسط يدك فبسطها فخرج من بين اصابعه نور فقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا انه لا يخرج من صلبك نبي ابداً عقوبة بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل اليه وقوله (آوى اليه ابويه) اي ضمهما اليه وأنزلهما عنده وقال اكثر المفسرين انه يعني بأبويه اباه وخالته فسمى الخالة أما كما سمى العم ابا في قوله وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق وذلك ان أمه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوجها ابوه وقيل يريد اباه وأمه وكانا حيين عن ابن اسحاق والجبائي وقيل ان راحيل أمه نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا عن الحسن (وقال) لهم قبل دخولهم مصر (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) والاستثناء يعود الى الأمن وإنما قال آمنين لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجوازهم قال وهب انهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون إنسانا وخرجوا مع موسى وهم ستمائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا (ورفع ابويه على العرش) أي رفعهما على سرير ملكه اعظاما لهما والعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقتادة (وخروا له سجداً)

اي انحطوا على وجوههم وكان تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانحناء والتكفير عن قتادة ولم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة عجلها لهم قال اعشي بن ثعلبة

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

وكان من سنة التعظيم يومئذ ان يسجد للمعظم عن الزجاج وقيل كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الأعاجم عن الكلبي وقيل ان السجود كان لله تعالى شكراً لله كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم والهاء في قوله له عائدة الى الله تعالى اي سجدوا لله تعالى على هذه النعمة وتوجهوا في السجود اليه كما يقال صلى للقبلة ويراد به استقبالها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال علي بن ابراهيم وحدثني محمد بن عيسى بن عبيد ابن يقطين ان يحيى بن اكثم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على ابي الحسن علي بن محمد (ع) فكان احداها ان قال اخبرني اسجد يعقوب وولده ليوسف وهم انبياء فأجاب ابو الحسن عليه السلام اما سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وانما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف كما ان السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحية لآدم فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى لاجتماع شملهم الم تر انه يقول في شكره في ذلك الوقت رب قد آتيتني من الملك الآية الخبر بتمامه (وقال) يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياي) اي هذا تفسير رؤياي وتصديق رؤياي التي رأيتها (من قبل قد جعلها ربي حقاً) اي صدقاً في اليقظة وقيل كان بين الرؤيا وتأويلها ثمانون سنة عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شوذب وقيل اربعون سنة عن سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد وقيل اثنتان وعشرون سنة عن الكلبي وقيل ثماني عشرة سنة عن ابن اسحق قال ابن اسحق وولد ليوسف من امرأة العزيز افرايم وميشا ورحمة امرأة ايوب وكان بين يوسف وبين موسى اربعمائة سنة (وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن) اي وقد احسن ربي الي حيث اخرجني من السجن وانعم علي به (وجاء بكم من البدو) اي من البادية فإنهم كانوا يسكنون البادية ويرعون اغنامهم فيها فكانت مواشيهم قد هلكت في تلك السنين بالقحط فأغناهم الله تعالى بتصيرهم الى يوسف وانما بدأ (ع) بالسجن في تعداد نعم الله دون اخراجه من الجب كرماً لئلا يبدأ بصنيع اخوته به وقيل لأن نعم الله تعالى في اخراجه من السجن كانت اكثر ولأن السجن طالت مدته وكثرت محنته (من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) اي من بعد ان افسد الشيطان بيني وبين اخوتي وحرش بيني وبينهم وقال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) اي لطيف في تدبير عباده يدبر امرهم على ما يشاء ويسهل لهم العسير وبلطفه حصلت هذه النعم علينا من الاجتماع وغيره قال الازهري اللطيف من اسماء الله سبحانه معناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان لطفاً اذا رفق وقال غيره اللطيف الذي يوصل اليك اربك في رفق وقيل اللطيف العالم بدقائق الأمور (انه هو العليم) بجميع الاشياء (الحكيم) في كل التدابير وفي كتاب النبوة بالاسناد عن ابي عبد الله (ع) قال قال يعقوب ليوسف يا بني حدثني كيف صنع بك اخوتك قال يا أبه دعني فقال اقسمت عليك الا اخبرتني فقال له أخذوني واقعدوني على رأس الجب ثم قالوا لي انزع قميصك فقلت لهم إني اسألكم بوجه ابي يعقوب ان لا تنزعوا قميصي ولا تبدوا عورتي فرفع فلان السكين علي وقال انزع فصاح يعقوب فسقط مغشياً عليه ثم أفاق فقال له يا بني كيف صنعوا بك فقال يوسف إني اسألك بآله ابراهيم واسماعيل واسحق الا اعفيتني قال فتركه وروي ايضاً ان يوسف قال ليعقوب (ع) يا أبه لا تسألني عن صنيع اخوتي بي وسل عن صنع الله بي قال ابو حمزة بلغنا ان يعقوب عاش مائة وسبعاً واربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة وكان عند يوسف

بمصر سبع عشرة سنة وقال ابن اسحق أقام يعقوب بمصر اربعا وعشرين سنة ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب الى بيت المقدس في تابوت من ساج ووافق ذلك يوم مات عيصو فدفنا في قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موتاهم الى بيت المقدس وولد يعقوب وعيصو في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا واربعين سنة ثم رجع يوسف الى مصر بعد ان دفن اباه في بيت المقدس عن وصية منه اليه وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة وكان اول رسول في بني اسرائيل ثم مات واوصى ان يدفن عند قبور آبائه وقيل دفن بمصر ثم اخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند أبيه وقيل افضت النبوة بعده الى روعبيل ثم الى يهوذا وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حولين قلت فمن كان الحجة لله في الأرض يعقوب أم يوسف قال كان يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت الى ارض الشام فدفنه في بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحجة قلت وكان يوسف رسولا نبيا قال نعم اما تسمع قوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاسناد عن ابي خالد عن ابي عبد الله (ع) قال دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومكث فيها ثماني عشرة سنة وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشر سنين قالوا ولما جمع الله سبحانه ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له رؤياه ووسع عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيما لا يفنى وتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن ذلك نبي قبله ولا بعده تمنى أحد فقال (رب قد آتيتني من الملك) اي اعطيتني ملك النبوة وملك مصر (وعلمتني من تأويل الأحاديث) اي تأويل الرؤيا (فاطر السماوات والارض) اي خالق السماوات والارض ومنشئها لا على مثال سبق (انت وليي) اي ناصري ومدبري وحافظي (في الدنيا والآخرة) تتولى فيها اصلاح معاشي ومعادي (توفني مسلما) قال ابن عباس ما تمنى نبي تعجيل الممات الا يوسف لما انتظمت اسباب مملكته اشتاق الى ربه وقيل معناه ثبتني على الايمان الى وقت الممات وأمتني مسلما (والحقني بالصالحين) اي بأهل الجنة من الانبياء والاولياء والصديقين وقيل لما جمع الله سبحانه بينه وبين ابويه واخوته احب ان يجتمع مع آبائه في الجنة فدعا بهذا الدعاء والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلته لما كانوا يرجون من بركته فرأوا ان يدفنوه في النيل فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعا سواء فكان قبره في النيل الى ان حمله موسى (ع) حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بعد تمام القصة الى خطاب النبي ﷺ فقال (ذلك) اي الذي قصصت عليك من قصة يوسف يامحمد (من انباء الغيب) اي من جملة اخبار الغيب (نوحيه اليك) على السنة الملائكة لتخبر به قومك ويكون دلالة على اثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك (وما كنت لديهم) اي وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب (اذ اجمعوا امرهم) اذ عزموا على القائه في البئر واجتمعت آراؤهم عليه (وهم يمكرون) اي يحتالون في أمر يوسف حتى القوه في الجب عن الجبائي وقيل يمكرون بيوسف عن ابن عباس والحسن وقتادة

قوله تعالى (١٠٣) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٦) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٧) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة عكرمة وعمرو بن فائد والارض يمرون عليها بالرفع وقراءة السدي والارض نصبا والقراءة المشهورة بالجر

﴿ الحجة ﴾

من رفع او نصب وقف على السماوات ثم ابتدأ والأرض فالرفع على الابتداء والجملة بعدها خبره والعائد الى المبتدأ الهاء من عليها والضمير في عنها عائد الى الآية وأما النصب فبفعل مضمر تقديره ويطأون الأرض ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود يمشون عليها فلما اضمر الفعل الناصب فسره بقوله يمرون عليها ومن جر الأرض على قراءة القراء فإن شاء وقف على الأرض وإن شاء وقف آخر الآية

﴿ اللغة ﴾

الحرص طلب الشيء باجتهاد في إصابته والعالم الجماعة من الحيوان التي من شأنها ان تعلم مأخوذ من العلم وقيل لما حواه الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذي ينتفع به وهو مخلوق لأجله والغاشية المجللة للشيء بانبساطها عليه وغشيه يغشاه اذا غطاه والغشاء الغطاء والبغتة الفجأة وهو مجيء الشيء من غير توقع

﴿ الاعراب ﴾

وكأين في معنى كم واصلها اي دخلت عليها الكاف وبغتة مصدر وضع موضع الحال تقول لقيته بغتة وفجاءة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الآيات والمعجزات التي لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا بيّن عقيبها ان التقصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل وليس من جهته سبحانه لأنه نصب الأدلة والبينات ولا من جهتك لأنك دعوتهم فقال (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) اي وليس اكثر الناس بمصدقين ولو حرصت على ايمانهم وتصديقهم واجتهدت في دعائهم اليه وارشادهم اليه لأن حرص الداعي لا يغني شيئا اذا كان المدعو لا يجيب (وما تسألهم عليه من أجر) اي ولا تسألهم على تبليغ الرسالة وبيان الشريعة اجرا فيصدهم ذلك عن القبول ويمنعهم من الايمان ويثقل عليهم ما يلزمهم من الغرامة فأعذارهم منقطعة (ان هو الا ذكر للعالمين) اي ما القرآن الا موعظة وعبرة وتذكير للخلق اجمعين فلست بنذير لهؤلاء خاصة (وكأين من آية) اي كم من حجة ودلالة (في السماوات والأرض) تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم في السماء ومن الجبال والشجر والوان النبات واحوال المتقدمين وآثار الأمم السالفة في الأرض (يمرون عليها) ويبصرونها ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) اي هم عن التفكر فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها يعني الكفار (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) اختلف في معناه على أقوال ﴿ احدها ﴾ انهم مشركو قريش كانوا يقرون بالله خالقا ومحييا ومميتا ويعبدون الاصنام ويدعونها آلهة مع انهم كانوا يقولون الله ربنا وإلهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي ﴿ وثانيها ﴾ انها نزلت في مشركي العرب اذ سألوا من خلق السماوات والأرض وينزل المطر قالوا الله ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك عن الضحاك ﴿ وثالثها ﴾ انهم اهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والإنجيل ثم اشركوا بانكار القرآن وانكار نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصة عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جده عن ابي عبد الله (ع) ﴿ ورابعها ﴾ انهم المنافقون يظهرون الإيمان ويشركون في السر عن البلخي ﴿ وخامسها ﴾ انهم المشبهة آمنوا في الجملة واشركوا في التفصيل وروي ذلك عن ابن عباس ﴿ وسادسها ﴾

ان المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مما اوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره عن ابي جعفر (ع) وروي عن ابي عبد الله انه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع عيالي جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقيل له لو قال لولا أن منّ الله علي بفلان لهلكت فقال لا بأس بهذا وفي رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحمران عنهما (ع) انه شرك النعم وروى محمد بن الفضيل عن ابي الحسن الرضا (ع) قال انه شرك لا يبلغ به الكفر (أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) اي أفأمن هؤلاء الكفار ان يأتيهم عذاب من الله سبحانه يعمهم ويحيط بهم وهي من غاشية السرج لأنها تعمه بالستر وانما اتى بلفظة التأنيث على تقدير العقوبة اي عقوبة مجللة لجميعهم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستئصال عن مجاهد وابي مسلم وقيل هي الصواعق والقوارع عن الضحاك (او تأتيهم الساعة) يعني القيامة (بغتة) اي فجأة على غفلة منهم (وهم لا يشعرون) بقيامها قال ابن عباس تهجم الصيحة بالناس وهم في اسواقهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٩) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ آيتان

القراءة

قرأ حفص عن عاصم إلا رجالا نوحي اليهم بالنون حيث كان وقرأ الباقون يوحى بالياء وفتح الحاء افلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الأنعام

الحجة

قال ابو علي الوجه في النون قوله إنا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح والوجه في الياء قوله وأوحي إلى نوح وقل اوحي إلي

اللغة

السبيل الطريق وهو المكان المهيأ للسلوك ودين الإسلام طريق يؤدي إلى الجنة والسبيل يذكر ويؤنث قال

فلا تبعد فكل بني اناس سيصبح سالكا تلك السبيلا

والبصيرة ما يبصر به الشيء أي يعرف والسير المرور الممتد في جهة ومنه السير واحد السيور لامتداده في جهة

المعنى

ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين للمشركين ما يدعو اليه فقال (قل) يا محمد لهم (هذه سبيلي) اي طريقي وسنتي ومنهاجي عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة التي ادعو اليها ديني وطريقي عن مقاتل والجبائي ثم فسر ذلك بقوله (ادعو إلى الله على بصيرة) أي ادعو إلى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد (انا ومن اتبعني) اي ادعوكم انا ويدعوكم ايضا اليه من آمن بي ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله قال ابن الانباري ويجوز أن يتم الكلام عند قوله ادعو إلى الله ثم ابتدأ وقال على بصيرة أنا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس انه يعني اصحاب محمد كانوا على احسن طريقة (وسبحان الله) معناه تنزيها

لله عما اشركوا وتقديره قل هذه سبيلي وقل سبحان الله وقيل انه اعتراض بين الكلامين والواو فيه مثل قولك قال الله وهو منزه عن الشركاء سبحان الله (وما انا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ندا وكفوا وولدا وفي هذه الآية دلالة على فضل الدعاء إلى الله سبحانه وإلى توحيده وعدله ويعضد ذلك الحديث عنه ﷺ انه قال العلماء امناء الرسل على عباده وفيها دلالة ايضا على انه (ع) كان يدعو إلى الله في كل اوقاته وإن كان يبين الشرائع في اوقات ما وفيها دلالة ايضا على أن الواجب في الداعي أن يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك يوجب فساد التقليد (وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى) بين سبحانه انه إنما ارسل الرسل من أهل الأمصار لأنهم ارجح عقلا وعلما من أهل البوادي لبعد اهل البوادي عن العلم وأهله عن قتادة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا قط من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وذلك أن أهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء وأهل الأمصار أحد فطنا (افلم يسيروا في الأرض) اي افلم يسر هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك يامحمد في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المكذبين لرسلهم وكيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما اصابهم (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يقول هذا صنيعنا بأهل الإيمان والطاعة في دار الدنيا اذ أهلكنا عدوهم ونجيناهم من شرهم ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها وروى ابو سعيد الخدري عن النبي ﷺ انه قال لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع والدار الآخرة. فالآخرة نعت للدار لأن لجميع الخلق دارين الدار التي خلقوا فيها وهي الدنيا والدار الآخرة هي التي يعادون فيها خلقا جديدا فإذا قال دار الآخرة فكأنه قال دار الحال الآخرة لأن للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة ومثل هذا في الكلام الصلاة الاولى وصلاة الاولى فمن قال الصلاة الاولى جعل الاولى نعتا للصلاة ومن قال صلاة الاولى أراد صلاة الفريضة الاولى والساعة الاولى (أفلا تعقلون) اي أفلا يفهمون ما قيل لهم فيعلمون

قوله تعالى (١١٠) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١١) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آيتان

(القراءة)

قرأ اهل الكوفة وابو جعفر كذبوا بالتخفيف وهي قراءة علي وزين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وزيد بن علي وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والأعمش وغيرهم وقرأ الباقون كذبوا بالتشديد وهي قراءة عائشة والحسن وعطا والزهري وقتادة وروي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل فنجي من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء وقرأ الباقون فننجي من نشاء بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء وفي الشواذ عن ابن محيصن فنجا بفتح النون والجيم والتخفيف وعن عيسى الثقفي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة برفع الاحرف الثلاثة والقراءة بنصبها

(الحجة)

قال ابو علي الضمير في ظنوا في قول من شدد كذبوا للرسل تقديره ظن الرسل اي تيقنوا اوظنوا الظن

الذي هو حسبان ومعنى كذبوا تلقوا بالتكذيب كقولهم جبنته خطأته وتكذيبهم اياهم يكون بأن يلقوا بذلك كقولهم له وان نظنك لمن الكاذبين او بما يدل عليه وان خالفه في اللفظ ومن حجة التثقيل قوله فقد كذبت رسل من قبلك وقوله كذبوا رسلي وقوله الا كذب الرسل وأما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك وفي التنزيل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وقياسه إذا اعتبر بالخلاف ان يتعدى إلى مفعولين كما تعدى صدق في قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الأعشى (فصدقته وكذبته* والمرء ينفعه كذابه) قال سيبويه كذب يكذب كذبا وقالوا كذابا فجاءوا به على فعال وقد خففه الأعشى وقال ذو الرمة

وقد حلفت بالله مية ما الذي اقول لها إلا الذي انا كاذبه

والضمير الذي في قوله وظنوا انهم كذبوا للمرسل اليهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يؤمنوا انزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما شاهدوه من امهال الله اياهم وامـلائه لهم فإن قلت كيف يجوز أن يحمل الضمير في ظنوا على انه للمرسل اليهم الرسل والذين قد تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل إن ذلك لا يمتنع لأن ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم لمقاربة احدى الاسمين الآخر ولما في لفظ الرسل من الدلالة على المرسل اليهم وقد قال الشاعر

امنك البرق ارقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلاجا

اي بت اخال الرعد صوت دهم فاضمر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقاربة لفظ كل واحـد منهما للآخر وفي التنزيل سرابيل تقيكم الحر واستغنى عن ذكر البرد لدلالة الحر عليه وإن شئت قلت أن ذكرهم قد جرى في قوله أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي رسل الله فإن ذهب ذاهب إلى ان المعنى ظن الرسل أن الذي وعد الله سبحانه اممهم على لسانهم قد كذبوا به فقد اتى عظيما لا يجوز أن ينسب مثله إلى الانبياء ولا إلى صالحي عباد الله تعالى وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب إلى أن الرسل قد ضعفوا فظنوا انهم قد اخلفوا لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا احمد بن محمد قالا حدثنا المؤمل قال حـدثنا اسماعيل بن علية عن ابي المعلى عن سعيد بن جبير في قوله حتى إذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال ان الرسل يئسوا من قومهم ان يؤمنوا وأن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما قالوا لهم اتاهم نصر الله عند ذلك وأما قوله فنجي من نشاء فإن ننجي حكاية للحال لأن القصة مما قد مضى وإنما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله وان ربك ليحكم بينهم حكاية للحال الكائنة وكما أن قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين جاء على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله وكلبهم باسط ذراعيـه بالوصيد فلولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لانه إذا مضى اختص وصار معهودا فخرج بذلك من شبه الفعل ألا ترى أن الفعل لا يكون معهودا فكما أن اسم الفاعل إذا وصف أو حقر لم يعمل عمـل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الذي يحدثه فيه التحقير والوصف كذلك إذا كان ماضيا واما النون الثانية من ننجي فهي مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع سائر حروف الفم لا تكون إلا مخفاة قال ابو عثمان تبيينها معها لحن وللنون مـع الحروف ثلاث احوال الادغام والاخفاء والبيان وإنما تدغم إذا كانت مـع مقاربها كما يدغم سائر المقاربة فيما يقاربه والاخفاء فيها مع حروف الفم التي لا تقاربها والبيان فيها مع حروف الحلق فأما حذف النون الثانية من الخط فيشبه أن يكون لكراهة اجتماع المثلين فيه ألا ترى انهم كتبوا مثل العليا والدنيا ويحيا ونحو ذلك بالألف فلولا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حبلى ويخشى وما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء فكأنهم لما كرهوا اجتماع المثلين في الخط حـذفوا النون وقوى ذلك انه لا يجوز فيها إلا الاخفاء ولا يجوز فيها البيان

فاشبه بذلك الادغام لأن الاخفاء لايبين فيه الحرف المخفي كما أن الادغام لا يبين فيه الحرف المدغم بيانه في غير الادغام فلما وافق النون المدغم في هذا الوجه استجيز حذفه من الخط ومن ذهب إلى أن النون الثانية مدغمة في الجيم فقد غلط لأنها ليست مثل الجيم ولا مقاربة لها وإذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما اجتمع معه ومن قرأ فنجي فإنه اتى على لفظ الماضي لأن القصة ماضية ويقوي ذلك انه عطف عليه فعل مستند إلى المفعول به وهو قوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ولو كان نجي مسندا إلى الفاعل كقول من خالفه لكان لا نرد بأسنا اشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرأ تصديق الذي بين يديه وما بعده بالرفع فيكون التقدير لكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء فحذف المبتدأ وبقي الخبر

=(اللغة)=

استيأس بمعنى يئس كأنه طلب اليأس لعلمه بامتناع الأمر والبأس الشدة وهو شدة الأمر على النفس ومنه البؤس الفقر ومنه لا بأس عليك والقصص الخبر يتلو بعضه بعضاً من اخبار من تقدم والعبرة الدلالة التي تعبر إلى البغية والالباب العقول واحدها لب وإنما سمي بذلك لأنه اقس شيء في الإنسان ولب كل شيء خياره

❊ المعنى ❊

ثم اخبر سبحانه وتعالى عن حال الرسل مع اممهم تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (حتى إذا استيأس الرسل) وهاهنا حذف يدل الكلام عليه وتقديره إنا اخرنا العقاب عن الامم السالفة المكذبة لرسلنا كما اخرناه عن امتك يا محمد حتى إذا بلغوا إلى حالة يأس الرسل عن إيمانهم وتحقق يأسهم باخبار الله تعالى إياهم (وظنوا انهم قد كذبوا) اي تيقن الرسل ان قومهم كذبوهم تكذيبا عاماً حتى انه لا يصلح واحد منهم عن عائشة والحسن وقتادة وابي علي الجبائي ومن خفف فمعناه ظن الامم ان الرسل كذبوهم فيما اخبروهم من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وأبي مسلم وقيل يجوز أن يكون الضمير في ظنوا راجعا إلى الرسل ايضا ويكون معناه وعلم الرسل ان الذين وعدوهم الإيمان من قومهم اخلفوهم او كذبوا فيما اظهروه من الإيمان وروي أن سعيد بن جبير والضحاك اجتمعا في دعوة فسئل سعيد بن جبير في هذه الآية كيف يقرأها فقال وظنوا انهم قد كذبوا بالتخفيف بمعنى وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوهم فقال الضحاك ما رأيت كاليوم قط لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلا وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس قال كانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا انهم قد اخلفوا ثم تلا قولة تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الآية وهذا بعيد وقد بينا ما فيه (جاءهم) اي جاء الرسل (نصرنا) حين يأسوا بارسال العذاب على الكفار (فنجي من نشاء) اي نخلص من نشاء من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا (عن القوم المجرمين) اي المشركين (لقد كان في قصصهم) أي في قصص يوسف واخوته (عبرة)اي فكرة وبصيرة من الجهل وموعظة وهو ما اصابه (ع) من ملك مصر والجمع بينه وبين ابويه واخوته بعد القائه في الجب وبيعه وحبسه وقيل في قصصهم عبرة لأن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً ولاخالط اهله ثم حدثهم به في حسن معانيه وبراعة الفاظه ومبانيه بحيث لم يرد عليه أحد من ذلك شيئاً فهذا من ادل الدلائل على صدقه وصحة نبوته (لاولي الالباب) أي لذوي العقول (ما كان حديثاً يفترى) اي ما كان ما اداه محمد او انزل عليه حديثاً يختلق كذباً (ولكن تصديق الذي بين يديه) اي ولكن كان تصديق الكتب الذي بين يديه لأنه جاء كما بشر به في الكتب عن الحسن وقتادة (وتفصيل كل شيء) اي وبيان كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام وشرائع الإسلام (وهدى) اي ودلالة (ورحمة) أي ونعمة ينتفع بها المؤمنون علما وعملا (لقوم يؤمنون) إنما خصهم بذلك لأنهم المنتفعون به دون غيرهم وبالله التوفيق والعصمة وهو حسبنا ونعم الوكيل

تم الجزء الخامس من كتاب

مجمع البيان في علوم القرآن

﴿ الجزء السادس ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الرعد)

مكية كلها عن ابن عباس وعطاء وقال الكلبي ومقاتل مكية إلا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام وقال سعيد بن جبير كيف تكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بعدها

﴿ عدد آيها ﴾

اربعون وسبع آيات شامي وخمس بصري اربع حجازي ثلاث كوفي

﴿ اختلافها ﴾

خمس آيات لفي خلق جديد الظلمات والنور غير الكوفي الأعمى والبصير وسوء الحساب شامي من كل باب عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى وقال ابو عبد الله (ع) من اكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة ابدا وإن كان مؤمنا أدخل الجنة بغير حساب وشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته واخوانه

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء افتتح هذه السورة بأن جميع ذلك آيات الكتاب وأن الذي أنزله هو الحق تعالى فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) آلمر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ وَٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٢) ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ آيتان

ولم يعد أحد آلر آية وعد الكوفيون طه وحم آية لأن طه مشاكلة لرؤس الآي التي بعدها بالألف مع انه لا يشبه الاسم المفرد كما اشبه صاد وقاف ونون لأنها بمنزلة باب ونوح

﴿ اللغة ﴾

العمد والعمد جميعا بمعنى واحد وهما جمع عمود وعماد إلا ان عمدا جمع عمود وعماد وعمدا اسم للجمع ومثله اديم وادم مثل هاب وأهب وافيق وأفق

﴿ الاعراب ﴾

الذي أنزل يجوز أن يكون موضعه رفعا على الابتداء ويجوز أن يكون موضعه بالعطف على آيات الكتاب ويكون الحق مرفوعا على اضمار هو ويجوز أن يكون في موضع جر بالعطف على الكتاب وتقديره تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك من ربك ويكون الحق مرفوعا على الاضمار ويجوز أن يكون الحق مجرورا صفة للذي إذا جعلته عطفا على الكتاب ولكنه لم يقرأ به أحد من القراء

﴿ المعنى ﴾

الٓمٓر قد فسرناه في اول البقرة وبينا ما قيل فيه وروي ان معناه انا الله اعلم وأرى (تلك آيات الكتاب) أي هذه السورة هي آيات الكتاب التي تقدم الوعد بها ليست بمفتريات ولا بسحر والكتاب القرآن عن ابن عباس والحسن وقيل ان الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل عن مجاهد وقتادة ويكون تقديره تلك الاخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقدمة والآيات الدلالات العجيبة المؤدية إلى المعرفة بالله سبحانه وانه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق فاعتصم بالله واعمل بما فيه وعلى القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين احداهما بأنه كتاب والأخرى بأنه منزل (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) اي لا يصدقون بأنه منزل وانه حق مع وضوحه (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) لما ذكر الله سبحانه انهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ويريد بالعمد السواري والدعائم وقيل فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان المراد رفع السماوات بغير عمد وانتم ترونها كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة والجبائي وابي مسلم وهو الأصح قال ابن عباس يعني ليس من دونها دعامة يدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها قال الزجاج وفي ذلك من القدرة والدلالة ما لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالارض متبرية منها بغير عمد ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ترونها من نعت العمد فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعلى هذا تعمدها قدرة الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد (ثم استوى على العرش) قد مضى تفسيره وإذا حملنا الاستواء على معنى الملك والاقتدار فالوجه في ادخال ثم فيه ولم يزل سبحانه كذلك ان المراد اقتداره على تصريفه وتقليبه وإذا كان كذلك فلا يكاد القديم سبحانه يوصف به إلا وقد وجد نفس العرش (وسخر الشمس والقمر) أي ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده (كل يجري لأجل مسمى) اي كل واحد منهما يجري إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي تكور عندها الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم عن الحسن وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وللشمس مائة وثمانون منزلا تنزل كل يوم منزلا حتى تنتهي إلى آخر المنازل فلا تجاوزه وترجع إلى اول المنازل وينزل القمر كل ليلة منزلا حتى ينتهي إلى آخر منازله (يدبر الأمر) أي يدبر الله كل أمر من أمور السماوات والارض وأمور الخلق على وجه توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة (يفصل الآيات) اي يأتي بآية في اثر آية فصلا فصلا مميزا بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار والتفكر وقيل معناه يبين الدلائل بما يحدثه في السماوات والارض (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) اي لكي توقنوا بالبعث والنشور وتعلموا أن القادر على هذه الأشياء قادر على البعث بعد الموت وفي هذا دلالة على وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى وعلى بطلان التقليد ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى

قوله تعالى (٣) وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱللَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤) وَفِي ٱلْأَرْضِ

قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ آيتان

القراءة

قد ذكرنا الاختلاف في قوله يغشي الليل النهار في سورة الاعراف وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان أو غير صنوان جميعها بالرفع والباقون بالجر في الجميع وقرأ حفص صنوان بضم الصاد وكذلك رواية الحلواني عن القواس وقرأ الباقون بكسر الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن وقتادة صنوان وقرأ يسقي بالياء ابن عامر وزيد ورويس عن يعقوب وقرأ الباقون تسقى بالتاء وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وروح عن يعقوب ويفضل بالياء والباقون بالنون

الحجة

قال ابو علي من رفع قوله وزرع فتقديره وفي الارض زرع ونخيل صنوان فجعله محمولا على قوله وفي الارض قطع ولم يجعله محمولا على ما في الجنات من الأعناب والجنة على هذا تقع على الارض التي فيها الأعناب دون غيرها كما تقع على الارض التي فيها الأعناب والنخيل دون غيرها ويقوي ذلك قول زهير

كأن عيني في غربي مقتلة ... من النواضح تسقي جنة سحقا

فالمعنى تسقي نخيل جنة فأما من قرأ بالجر فإنه حمل النخيل والزرع على الأعناب فكأنه قال جنات من اعناب من زرع ونخيل والدليل على ان الارض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة قوله جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا فكما سميت الارض ذات العنب والنخل والزرع جنة كذلك يكون النخيل والزرع محمولين على الأعناب فتكون الجنة من هذه الأشياء ويقوي ذلك قوله

أقبل سيل جاء من امر الله ... يحرد حرد الجنة المغله

والغلة إنما هي ما يكال بالقفيز في اكثر الأمر قال والصنوان فيما يذهب اليه ابو عبيدة صفة للنخيل والمعنى أن يكون من أصل واحد ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلا ونخلين قال وقال يسقى بماء واحد لأنها تشرب من أصل واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل وهي التمر وأجاز غيره أن يكون الصنوان من صفة الجنات وكأنه يكون يراد به في المعنى ما في الجنات وإن جرى على لفظ الجنات وعلى هذا يجوز أن ترفع وإن جررت النخيل لأن الجنات مرفوعة ولم يحك هذا في قراءة السبعة واما الكسرة التي في صنوان فليست التي كانت في صنو كما ان الكسرة التي في قنو ليست التي في قنوان لأن تلك قد حذفت في التكسير وعاقبتها الكسرة التي يجتلبها التكسير وكذلك الكسرة التي في هجان وانت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت في الواحد ولكنه مثل الكسرة التي في ظراف إذا جمعت عليه ظريفا واما من ضم الصاد من صنوان فإنه جعله مثل ذئب وذؤبان وربما تعاقب فعلان وفعلان على البناء الواحد نحو حش وحشان وحشان واما صنوان بفتح الصاد فليست من أمثلة الجمع المكسر فإن صح ذلك فإنه يكون اسما للجمع لا مثالا له من أمثلة التكسير فيكون بمنزلة الجامل والسامر ومثله قولهم السعدان والضمران في الجمع ومن قرأ تسقي بالتاء فالمراد تسقى هذه الأشياء ومن قرأ بالياء حمله على الزرع وحده

المعنى

لما ذكر سبحانه وتعالى في الآية من نعمائه وآلائه على عباده في رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر ودل بذلك على وحدانيته عقبه بذكر الارض وما فيها من الآيات فقال (وهو الذي مدّ الارض) اي بسطها طولا

وعرضا ليتمكن الحيوانات من الثبات فيها والاستقرار عليها (وجعل فيها رواسي) اي جبالا ثوابت لتمسك الارض ولو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل إلا انه أمسكها بالرواسي لأن ذلك اقرب إلى افهام الناس وادعى لهم إلى الاستدلال والنظر (وانهارا) اي وشق فيها انهارا تجري فيها المياه ولولا الانهار لضاع اكثر المياه ولما امكن الشرب والسقي (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) اي وجعل في الارض من كل الثمرات لمأكولهم ومطعومهم صنفين اسود وأبيض وحلوا وحامضا وصيفيا وشتويا ورطبا ويابسا عن ابن عباس وقيل الزوج قد يكون واحداً وقد يكون اثنين يقال زوج نعل وزوج نعلين عن ابي عبيدة وإنما قال اثنين للتأكيد والزوج في الحيوانات عبارة عن الذكر والانثى وفي الثمار عبارة عن لونين وقال الماوردي واحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل واناثها وكذلك كل جنس من النبات وإن خفي الزوج الآخر حلو وحامض او عذب ومالح أو أبيض واسود او احمر واصفر فإن كل جنس من النبات ذو نوعين فصارت كل ثمرة زوجين هما اربعة انواع (يغشي الليل النهار) اي يلبس ظلمة الليل ضياء النهار عن الحسن وقيل يدخل الليل في النهار والنهار في الليل عن ابن عباس وقيل معناه يأتي بالليل ليذهب بضياء النهار ويستره ليسكن الحيوانات فيه ويأتي بضياء النهار ليمحو ظلام الليل وينصرف الناس فيه لمعايشهم (إن في ذلك) اي فيما سبق ذكره (لآيات) اي لدلالات واضحات على وحدانية الله تعالى (لقوم يتفكرون) فيها فيستدلون منها على ان لهم صانعا (وفي الارض قطع متجاورات) أي ابعاض متقاربات مختلفات في التفاضل منها جبل صلب لا ينبت شيئا ومنها سهل حر ينبته ومنها سبخة لا تنبت عن ابن عباس ومجاهد والضحاك بين الله سبحانه باختلاف هذه الارضين مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض في الهيئة والمنظر انه قادر على كل شيء من الأصناف المختلفة والمؤتلفة «وقيل» انها متجاورات بعضها عامر وبعضها غير عامر عن الزجاج (وجنات) اي بساتين (من اعناب وزرع ونخيل صنوان) اي نخلات من أصل واحد (وغير صنوان) اي نخلات من أصول شتى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والصنو الأصل يقال هذا صنوه أي أصله عن ابن الانباري وقيل ان الصنوان النخلة تكون حولها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب وسعيد بن جبير وقيل الصنو المثل والصنوان الامثال ومنها قوله ﷺ عم الرجل صنو أبيه عن الجبائي (يسقى بماء واحد) اي يسقى ما ذكرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المختلفة بماء الأنهار او بماء السماء (ونفضل بعضها على بعض في الأكل) اي ويفضل الله ومن قرأ بالنون فالمعنى نفضل نحن بعضها على بعض في الطعم واللون والطبع مع أن البئر واحدة والشرب واحد والجنس واحد حتى يكون بعضها حامضا وبعضها حلوا وبعضها مرا فلو كانت بالطبع لما اختلف الوانها وطعومها مع كون الارض والماء والهواء واحدا وفي هذا أوضح دلالة على ان لهذه الأشياء صانعا قادرا أحدثها وأبدعها ودبرها على ما تقتضيه حكمته والأكل الثمر الذي يؤكل (إن في ذلك) اي في اختلاف الوانها وطعومها عن ابن عباس وقيل ان فيما تقدم ذكره (لآيات) اي حججا ودلالات (لقوم يعقلون) دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها ويستدلون بها وروي عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول لعلي (ع) الناس من شجر شتى وانا وانت من شجرة واحدة ثم قرأ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب الآية

قوله تعالى (٥) وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ثلاث آيات عند الكوفي اربع آيات عند غيرهم

عدوا لفي خلق جديد آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر إذا كنا بغير استفهام انا بهمزة واحدة مطولة وكذلك يفعل بكل استفهامين يجتمعان في القرآن يستفهم بالثاني ولا يستفهم بالأول الا في سورة الصافات والواقعة واما نافع ويعقوب وسهل فإنهم يستفهمون بالاول بهمزة واحدة غير مطولة ولا يستفهمون بالثاني إلا في سورة النمل والعنكبوت إلا ان قالون عن نافع وزيدا عن يعقوب يمدان الهمزة مثل ابي جعفر والكسائي ايضا يستفهم بالاول ولا يستفهم بالثاني إلا في سورة النمل غير انه يهمز بهمزتين وابن عامر مثل ابي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعة فإنه يستفهم في أئذا وأئنا جميعا بهمزتين همزتين بينهما مد آإنا يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن عاعنا ولا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا وفي سورة النمل يستفهم أإذا بهمزتين أئنا بنونين والكسائي مثله في هذا الموضع وابو عمرو يستفهم فيهما جميعا وفي جميع اشباههما بهمزة واحدة مطولة وابن كثير يستفهم فيهما جميعا بهمزة واحدة غير مطولة وعاصم وحمزة وخلف يستفهمون فيهما بهمزتين همزتين كل القرآن وخالف ابن كثير وحفص عن عاصم في حرف واحد في العنكبوت وسنذكره هناك إن شاء الله

(الحجة)

قال ابو علي من استفهم في الجملتين فموضع إذا نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله أإنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نبعث ونحشر فكأنه قال انبعث إذا كنا ترابا ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا ايضا نصبا بما دل عليه قوله أإنا لفي خلق جديد فكأنه قال انبعث إذا كنا ترابا وما بعد أن في انه لا يجوز أن يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام فكما قدرت هذا الناصب لإذا مع الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله كذلك تقدره في ان لأن ما بعدها ايضا لا يعمل فيما قبلها ومن قرأ إذا كنا من غير استفهام أئنا ينبغي ان يكون على مضمر كما حمل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع مما قبله

اللغة

العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس والغل طوق تشد به اليد الى العنق والاستعجال طلب التعجيل بالأمر والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته والسيئة خصلة تسوء النفس ونقيضها الحسنة وهي خصلة تسر النفس والمثلات العقوبات واحدها مثلة بفتح الميم وضم الثاء ومن قال في الواحد مثلة بضم الميم وسكون الثاء قال في الجمع مثلات بضمتين نحو غرفة وغرفات وقيل في جمعها مثلات ومثلات ايضا قال الشاعر

ولما رأونا باديا ركباتنا ... على موطن لا يخلط الجد بالهزل

رووه بفتح الكاف في ركبات

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الأدلة على انه سبحانه قادر على الانشاء والاعادة عقبه بالتعجب من تكذيبهم بالبعث والنشور فقال (وان تعجب) يامحمد من قول هؤلاء الكفار في انكارهم البعث مع اقرارهم بابتداء خلق الخلق فقد وضعت التعجب موضعه لأن هذا قول عجب ومعناه عجب للمخلوقين فإن معنى العجب في صفات الله لا يجوز لأن العجب ان يشتبه عليه سر امره فيستطرفه (فعجب قولهم) اي فقولهم عجب (أإذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) أي انبعث ونعاد بعد ما صرنا ترابا هذا مما لا يمكن وهذا منهم نهاية في الاعجوبة فإن الماء إذا حصل في الرحم استحال علقة ثم مضغة ثم لحما فإذا مات ودفن استحال ترابا فإذا جاز أن يتعلق الإنشاء بالاستحالة الاولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحالة الثانية وسمى الله تعالى الاعادة خلقا جديدا واختلف المتكلمون فيما يصح

عليه الاعادة فقال بعضهم كلما يكون مقدورا للقديم سبحانه خاصة ويصح عليه البقاء يصح عليه الإعادة ولايصح الإعادة على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى وهذا قول ابي علي الجبائي وقال آخرون كلما كان مقدوراً له وهومما يبقى يصح عليه الاعادة وهو قول ابي هاشم ومن تابعه فعلى هذا يصح اعـادة اجزاء الحياة ثم اختلفوا فيما يجب اعادته من الحي فقال ابو القسم البلخي يعاد جميع اجزاء الشخص وقال ابو هاشم يعاد الاجزاء التي بها يتميز الحي من غيره ويعاد التأليف ثم رجع عن ذلك وقال تعاد الحياة مع البنية وقال القاضي ابو الحسن تعاد البنية وما عـدا ذلك يجوز فيه التبديل وهذا هو الاصح (اولئك) المنكرون للبعث (الذين كفروا بربهم) اي جحدوا قدرة الله تعالى على البعث (واولئك الاغلال في اعناقهم) في الآخرة وقيل اراد به اغلال الكفر اي كفرهم اغلال في اعناقهم (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مضى تفسيره (ويستعجلونك) اي يستعجلك يامحمد هؤلاء المشركون (بالسيئة قبل الحسنة) أي بالعذاب قبل الرحمة عن ابن عباس ومجاهد أي بالعقاب الذي توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الايمان وذلك حين قالوا فأمطر علينا حجارة من السماء وقيل يستعجلونك بالعذاب الذي توعدهم به قبل الإحسان بالانظار فإن انظار من وجب عـليه العقاب احسان اليه كانذار من وجب عليه الدين وسماها سيئة لانها جزاء السيئة (وقد خلت من قبلهم) اي مضت من قبلهم (المثلات) اي العقوبات التي يقع بها الاعتبار وهو ما حل بهم من المسخ والخسف والغرق وقد سلك هؤلاء طريقتهم فكيف يتجاسرون على استعجالها وقيل هي العقوبة الفاضحة التي تسير بها الامثال وتقديره وقد خلت المثلات باقوام او خلا اصحاب المثلات فحذف المضاف (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال المرتضى (ره) في هذه الآية دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من اهل القبلة لانه سبحانه دلنا على انه يغفر لهم مع كونهم ظالمين لأن قوله على ظلمهم اشارة إلى الحال التي يكونون عليها ظالمين ويجري ذلك مجرى قول القائل أنا اود فلانا على غدره وأصله على هجره (وان ربك لشديد العقاب) لمن استحقه وروي عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احداً العيش ولولا وعيد الله وعقابه لاتكل كل واحد وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت اعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله وبأس الله ونكال الله ونقمة الله ما رقأ لهم دمع ولا قرت اعينهم بشيء (ويقول الـذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) مثل الناقة والعصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي اتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فاعلم الله أن لكل قوم هاد والمعنى انه سبحانه بين سوء طريقتهم في اقتراح الآيات كما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهبا حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو اجاب اولئك لاقترح قوم آخرون آية اخرى و كذلك كل كافر فكان يؤدي إلى غير نهاية (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فيه أقوال ﴿احدها﴾ ان معناه إنما انت منذر اي مخوف وهاد لكل قوم وليس إليك انزال الآيات عن الحسن وابي الضحى وعكرمة والجبائي وعلى هـذا فيكون انت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصل بـين الواو والمعطوف بالظرف ﴿والثاني﴾ ان المنذر هو محمد والهادي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد ﴿والثالث﴾ أن معناه إنما أنت منذر يامحمد ولكل قوم هاد نبي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة والزجاج وابن زيد ﴿والرابع﴾ أن المراد بالهادي كل داع الى الحق وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال لما نزلت الآية قال رسول الله انا المنذر وعلي الهادي من بعدي ياعلي بك يهتدي المهتدون وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالاسناد عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير عن ابيه عن حكم بن جبير عن ابي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطهور وعنده علي بن ابي طالب فأخذ رسول الله بيد علي بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال انما أنت منذر ثم ردها الى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد ثم قال انك منارة

الأنام وغاية الهدى وامير القرى واشهد على ذلك انك كذلك وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ ولكل قوم خبره على قول سيبويه ويكون مرتفعاً بالظرف على قول الأخفش

قوله تعالى (٨) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٩) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (١٠) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١١) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ اربع آيات

(القراءة)

في الشواذ قراءة ابي ابراهيم(١) له معاقيب من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله وروي عن ابي عبد الله (ع) له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله وروي عن علي (ع) وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بأمر الله

— الحجة —

يجب أن يكون معاقيب تكسير معقبة غير انه لما حذف احد القافين عوض منها الياء وقوله يحفظونه بأمر الله فمعناه يحفظونه مما يحاذره بأمر الله والمفعول هنا محذوف قال ابن جني وأما قراءة الجماعة يحفظونه من امر الله فتقديره له معقبات من امر الله يحفظونه مما يخافه فمن على هذا مرفوعة الموضع لأنها صفة للمرفوع الذي هو معقبات وليس هذا على معنى يحفظونه من امر الله ان ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع كقولك حفظت زيداً من الاسد والذي ذكرته رأي ابي الحسن فإن قلت فهلا كان تقديره على يحفظونه من امر الله بامر الله ويستدل على ارادة الباء هنا بقراءة علي (ع) يحفظونه بأمر الله وجاز أن يكون يحفظونه بامر الله لأن هذه المصائب كلها في علم الله وبإقداره فاعليها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل ابي الحسن اذهب في الاعتداد عليهم وذلك لأنه سبحانه وكل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر ومخاوفه التي لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا اسهل طريقاً وارسخ في الاعتداد بالنعمة عليهم عرفا

اللغة

الغيض ذهاب المائع في جهة العمق وغاضت المياه نقصت وغيضته نقصته قال

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

المتعالي والعالي واحد وتعالى اي جل عن كل ثناء وقيل المتعالي المقتدر على وجه يستحيل ان يساويه غيره والسارب الساري الجاري بسرعة والسرب بفتح السين والراء الماء السائل من المزادة قال ذو الرمة

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

وقيل السارب الذاهب في الأرض ومنه قول قيس بن الخطيم (اني سربت وكنت غير سروب) ويقال خل سربه اي طريقه والمعقبات المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلا منه وأصل التعقيب أن يكون الشيء عقيب آخر والمعقب الطالب دينه مرة بعد مرة قال الشاعر

حتى تهجر في الرواح وهاجه طلب المعقب حقه المظلوم

(١) في نسخة اخرى ابي البر هشام

ومنه العقاب لأنه يستحق عقيب الجرم والعقاب لأنها تعقب الصيد تطلبه مرة بعد مرة وقيل إن واحد المعقبات معقب والجمع معقبة ومعقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن الفراء

= الإعراب =

ما في قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد استفهامية وموضعها نصب بالفعل الذي بعدها معناه اي شيءٌ تحمل والجملة معلقة بيعلم قال الزجاج سواء منكم من اسر القول ومن جهر به موضع من رفع بسواء وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً بسواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمرو في معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز ان يرتفع ما بعده إلا على الحذف تقول عدل زيد وعمرو والمعنى ذو عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست باسماء الفاعلين وإنما ترفع الاسماء أوصافها فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هي اقبال وادبار

أي ذات اقبال وادبار وكذلك زيد اقبال وادبار وهذا مما كثر استعماله اعني سواء فجرى مجرى اسماء الفاعلين ويجوز إن يرتفع على أن يكون في موضع مستوى الا أن سيبويه يستقبح ذلك لا يجيز مستو زيد وعمرو لأن اسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضعفها عن الفعل فلا يبتدأ بها ويجريها مجرى الفعل

❋ المعنى ❋

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر او أنثى تام او غير تام ويعلم لونه وصفاته (وما تغيض الارحام) اي يعلم الوقت الذي تنقصه الارحام من المدة التي هي تسعة اشهر (وما تزداد) على ذلك عن اكثر المفسرين وقال الضحاك الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك ان النساء لايلدن لأجل واحد وقيل يعني بقوله ما تغيض الارحام الولد الذي تأتي به المرأة لأقل من ستة اشهر وما تزداد الولد الذي تأتي به المرأة لأقصى مدة الحمل عن الحسن وقيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد (وكل شيءٌ) أي وكل شيءٌ من الرزق او الأجل او ما سبق ذكره من الحمل (عنده بمقدار) أي بقدر واحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه على ما توجبه الحكمة (عالم الغيب والشهادة) أي عالم بما غاب عن حس العباد وبما يشاهده العباد لا يغيب عنه شيءٌ وقيل عالم بالمعدوم والموجود والغيب هو المعدوم وقيل عالم السر والعلانية عن الحسن والأولى أن يحمل على العموم ويدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم نبه سبحانه بذلك على انه عالم بجميع المعلومات الموجودات منها والمعدومات منها (الكبير) وهو السيد الملك القادر على جميع الأشياء وقيل هو الذي كل شيءٌ دونه لكمال صفاته ولكونه عالما لذاته قادرا لذاته حيا لذاته وقيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين (المتعال) وهو الذي علا كل شيءٌ بقدرته فلا يساويه قادر وقيل هو المنزه عما لا يجوز عليه في ذاته وفعله وعما يقوله المشركون (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) معناه سواء عند الله وفي علمه من أسر القول في نفسه وأخفاه ومن اعلنه وأبداه ولم يضمره في نفسه (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) أي ومن هو مستتر متوار بالليل ومن هو سالك في سربه أي في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه انه يرى ما اخفته ظلمة الليل كما يرى ما اظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أحوال أهله وقال الحسن معناه ومن هو مستتر بالليل ومن هو مستتر بالنهار وصحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كناسه (له معقبات) اختلف في الضمير الذي في له على وجوه ❋ احدها ❋ انه يعود إلى من في قوله من أسر القول ومن جهر به ❋ والآخر ❋ انه يعود إلى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة ❋ وثالثها ❋ انه يعود إلى النبي ﷺ في قوله إنما انت منذر عن ابن زيد واختلف في المعقبات على اقوال ❋ احدها ❋ انها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار

ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والجبائي وقال الحسن هم اربعة املاك يجتمعون عند صلاة الفجر وهو معنى قوله إن قرآن الفجر كان مشهودا وقد روي ذلك عن أئمتنا «ع» ايضا ﴿ والثاني ﴾ انهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحيلون بينه وبين المقادير عن علي «ع» وابن عباس وقيل هم عشرة املاك على كل آدمي يحفظونه ﴿ والثالث ﴾ انهم الأمراء والملوك في الدنيا الذين يمنعون الناس عن المظالم وتكون لهم الاحراس والشرط والمواكب يحفظونه عن عكرمة والضحاك وروي ايضا عن ابن عباس وتقديره ومن هو سارب بالنهار له احراس وأعوان قدر انهم يحرسونه ولم ينجه احراسه من الله (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) اي يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظة وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن وقيل يحفظونه من وجوه المهالك والمعاطب ومن الجن والإنس والهوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدر بطل الحفظ وقيل من امر الله أي بأمر الله عن الحسن ومجاهد والجبائي وروي ذلك عن ابن عباس وهذا كما يقال هذا الامر بتدبير فلان ومن تدبير فلان وقيل معناه يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عن كما في قوله وآمنهم من خوف أي عن خوف قال كعب : لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن (إن الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والحال الجميلة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الطاعة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضاً قال ابن عباس إذا انعم الله على قوم فشكروها زادهم وإذا كفروها سلبهم اياها وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) بقوله إذا اقبلت عليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر (وإذا أراد الله بقوم سوء) أي عذابا وإنما سماه سوءا لأنه يسوء (فلا مرد له) أي لا مدفع له وقيل معناه إذا أراد الله بقوم بلاء من مرض وسقم فلا مرد لبلائه (وما لهم من دونه من وال) يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الاولى بقوله وإن تعجب الآية فإنه احتجاج للبعث والمعنى أن من كان بهذه الصفة في القدرة والعلم فإنه يقدر على البعث وقيل انها اتصلت بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقوله لولا انزل عليه آية من ربه يعني ان من يعلم غوامض الامور فهو اعلم بالمصالح ولو علم الصلاح في انزال العذاب أو الآية لفعل عن البلخي وأبي مسلم وقوله له معقبات يتصل بقوله وسارب بالنهار عن الجبائي وقيل يتصل بقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم ما تحمل كل انثى أي كما يعلمهم جعل عليهم حفظة يحفظونهم وقيل يتصل بقوله إنما انت منذر يعني انه (ع) محفوظ بالملائكة واتصل قوله إن الله لا يغير ما بقوم إلى آخره بقوله ويستعجلونك بالعذاب يعني انه لا ينزل العذاب إلا بمن يعلم من جهتهم التغير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن في المستقبل او يعقب مؤمناً لا ينزل العذاب وقيل بل اتصلت بالسارب بمعنى انه إذا اتى بالمعصية بطل به حفظه وحاق به عقابه وقيل بل هو على الاطلاق والعموم

قوله تعالى (١٢) هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ (١٣) وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَٱلْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ (١٤) لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٥) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الأعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة ابي مجلز بالغدو والايصال

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني المحال مفعل من الحيلة قال ابو زيد يقال ما له حيلة ولا محالة فيكون تقديره شديد الحيلة وتفسيره قوله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقوله ومكروا ومكر الله والايصال مصدر آصلنا أي دخلنا في وقت الأصيل ونحن موصلون

﴿ اللغة ﴾

يقال اره يريه اراءة وهو أن يجعله على صفة الرؤية باظهار المرئي له او يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابة ولذلك قال الثقال ولو قيل الثقيل لجاز والصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء والرعد والبرق ذكرنا معناها في اول البقرة والمحال الأخذ بالعقاب هاهنا فقال ماحله مماحلة ومحالا إذا قاواه حتى يتبين ايهما اشد ومحلت به محلا قال الاعشى

فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال

والاستجابة والإجابة بمعنى غير ان في الاستجابة معنى الطلب قال (فلم يستجبه عند ذاك مجيب) والظلال جمع الظل وهو ستر الشخص ما بازائه والظل الظليل وهو ستر الشمس اللازم واما الفيء فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ومنه الظلة لسترها والآصال جمع اصل واصل جمع اصيل فهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكأنه اصل الليل الذي ينشأ منه وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس وقد يقال في جمعه اصائل قال ابو ذؤيبة

لعمري لأنت البيت اكرم اهله واقعد في افنائه بالأصائل

—(الاعراب)—

خوفاً وطمعا لا ينتصبان على الغرض لأن ما ينتصب لذلك يجب أن يكون فاعله وفاعل الفعل الأول واحدا وهاهنا الخائف والطامع ليسا بالذي يرى البرق وهما في قوله يدعون ربهم خوفا وطمعاً ينتصبان على الغرض لأن الخائف والطامع هناك هو الداعي فاعلمة فإنه جيد مفيد والمعنى هاهنا يخوفكم بما يريكم خوفاً ويطمعكم طمعاً فالمصدر وقع موقع الحال وهم يجادلون في الله جاز أن تكون هذه الواو والحال أي يصيب بها من يشاء في حال جدالهم في الله لأنه جاء في التفسير أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فجادله فقال يامحمد مم ربك أمن نحاس ام من حديد ام من لؤلؤ أم من ياقوت أم من ذهب أم من فضة فأرسل الله عليه صاعقة ذهبت بقحفه وهو قول انس بن مالك ومجاهد ويجوز أن يكون لما تمم الله اوصاف ما يدل على توحيده وقدرته قال بعد ذلك وهم يجادلون والكاف من قوله كباسط كفيه يتعلق بصفة مصدر تقديره إلا استجابة كائنة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف حرفاً وإذا كان اسماً محضاً فالتقدير إلا استجابة مثل استجابة باسط كفيه إلى الماء فلا يكون في الكاف ضمير اي كما يستجيب الماء باسط كفيه اليه واللام في قوله ليبلغ فاه يتعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه أي ما الماء ببالغ فاه وقيل ما فوه ببالغ الماء وقيل ما باسط كفيه إلى الماء ببالغ الماء وطوعاً وكرهاً مصدران وضعا موضع الحال

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) أي تخويفاً واطماعاً فأقام الخوف والطمع مقام التخويف والاطماع وذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ أن المعنى خوفاً من الصواعق التي يكون معها وطمعا في الغيث الذي يزيل القحط عن الحسن وابي مسلم ﴿ والثاني ﴾ خوفا للمسافر من

ابن يضل الطريق فلا يمكنه المسير وطمعا للمقيم في نمو الزرع والخير الكثير عن قتادة والضحاك والجبائي ﴿ الثالث ﴾ خوفا لمن يخاف ضرر المطر لأنه ليس كل بلد ينتفع فيه بالمطر وطمعا لمن يرجو الانتفاع به عن الزجاج (وينشئ السحاب الثقال) أي ويخلق السحاب الثقال بالماء يرفعها من الأرض فيجريها في الجو (ويسبح الرعد بحمده) تسبيح الرعد دلالته على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكأنه هو المسبح وقيل إن الرعد هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته وهو يسبح الله تعالى ويحمده وروي عن النبي ﷺ انه قال إن ربكم سبحانه يقول لو أن عبادي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وكان ابن عباس يقول سبحان الذي سبحت له وروى سالم بن عبدالله عن ابيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فإن أصابته صاعقة فعلي ديته (والملائكة من خيفته) أي ويسبح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شئ (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) ويصرفها عمن يشاء إلا انه حذف وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام أن الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذاكرا (وهم يجادلون في الله) يعني ان هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون اهل التوحيد ويحاولون فتلهم عن مذاهبهم بجدالهم لأن معنى الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه عنى بذلك ان زيد بن قيس اخا لبيد بن ربيعة العامري لامه وعامر بن طفيل وذلك انهما اتيا النبي ﷺ يجادلانه ويريدان الفتك به وكان عامر اوصى إلى زيد إذا رأيتني اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه الكلام فدار زيد خلف رسول الله ﷺ ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى زيدا وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بماشئت فأرسل الله على زيد صاعقة في يوم صاح صائف فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يامحمد دعوت ربك فقتل زيدا والله لأملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فقال ﷺ الله يمنعك من ذلك فنزل بيت امرأة من سلول وخرج على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية حتى قتلته وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة يرثي اخاه زيدا

اخشى على زيد الحتوف ولا ارهب نوء السماك والاسد
فجعني البرق والصواعق بال فارس يوم الكريهة النجد

(وهو شديد المحال) أي شديد الأخذ عن علي (ع) وقيل شديد القوة عن قتادة ومجاهد وقيل شديد النقمة عن الحسن وقيل شديد القدرة والعذاب عن الزجاج وقيل شديد الكيد للكفار عن الجبائي (له دعوة الحق) أي لله سبحانه دعوة الحق واختلف في معنى دعوة الحق على أقوال ﴿ احدها ﴾ انها كلمة الإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ﴿ والثاني ﴾ أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوة الحق ومن دعاه دعا الحق عن الحسن ﴿ والثالث ﴾ انها الدعوة التي يدعى بها الله على اخلاص التوحيد عن الجبائي والمعنى أن من دعاه على جهة الاخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوة الحق (والذين يدعون من دونه)) أي والذين يدعوهم المشركون من دون الله لحاجاتهم من الاوثان وغيرها (لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ودعاه رجاء أن ينفعه

يقول ان مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ فاه لبعد المسافة بينهما فكذلك ما كان يعبده المشركون من الاصنام لا يصل نفعها اليهم ولا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس وقيل كباسط كفيه إلى الماء أي كالذي يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده فلا يأتيه الماء عن مجاهد وقيل كالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فمات قبل أن يبلغ الماء فاه عن الحسن وقيل انه تمثيل العرب لمن يسعى فيما لا يدركه فيقول هو كالقابض على الماء عن ابي عبيدة والبلخي وابي مسلم قال الشاعر

فاصبحت مما كان بيني وبينها ... من الود مثل القابض الماء باليد

وقال الآخر

فإني وإياكم وشوقا اليكم ... كقابض ماء لم تسعه انامله

(وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أي ليس دعاؤهم الاصنام من دون الله إلا في ذهاب عن الحق والصواب وقيل في ضلال من طريق الإجابة والنفع ثم بين سبحانه كمال قدرته وسعة مملكته فقال (ولله يسجد من في السماوات والأرض) يعني الملائكة وسائر المكلفين (طوعا وكرها) اختلف في معناه على قولين ﴿ احدهما ﴾ ان معناه انه يجب السجود لله تعالى إلا ان المؤمن يسجد له طوعا والكافر يسجد له كرها بالسيف عن الحسن وقتادة وابن زيد ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى ولله يخضع من في السماوات والأرض إلا ان المؤمن يخضع له طوعا والكافر يخضع له كرها لأنه لا يمكنه ان يمتنع من الخضوع لله لما يحل به من الآلام والاسقام عن الجبائي (وظلالهم) اي ويسجد ظلالهم لله (بالغدو والآصال) اي العشيات قيل ان المراد بالظل الشخص فإن من يسجد يسجد ظله معه قال الحسن يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه عند اهل التحقيق انه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عبادة ربه من حيث انه يسجد للخوف وقيل إن الظلال على ظاهرها والمعنى في سجودها تمايلها من جانب إلى جانب وانقيادها بالتسخير بالطول والقصر

قوله تعالى (١٦) قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَاتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ آية في الكوفي آيتان مدني وبصري ثلاث آيات شامي لم يعد الكوفي الظلمات والنور وعد الشامي وحده الاعمى والبصير

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص أم هل يستوي الظلمات بالياء والباقون بالتاء.

-(الحجة)-

من قرأ بالتاء فإنه مسند إلى مؤنث لم يفصل بينه وبين فاعله بشيء كقوله وقالت اليهود وقالت الاعراب وقد جاء في مثل ذلك التذكير كقوله وقال نسوة ومن قرأ بالياء فإنه مؤنث غير حقيقي

-(المعنى)-

لما بين سبحانه في الآية الأولى انه المستحق للعبادة وان له من في السماوات والارض عقبه بما يجري مجرى الحجة على ذلك فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (من رب السماوات والارض) أي من مدبرهما ومصرفهما على

ما فيها من البدائع فإذا استعجم عليهم الجواب ولا يمكنهم أن يقولوا الأصنام (فقل) انت لهم رب السماوات والارض وما بينها من انواع الحيوان والنباتات والجماد (الله) فإذا أقروا بذلك (قل) لهم على وجه التبكيت والتوبيخ لفعلهم (أفاتخذتم من دونه اولياء) توجهون عبادتكم اليهم فالصورة صورة الاستفهام والمراد به التقريع ثم بين ان هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه أولياء (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) ومن لا يملك لنفسه ذلك فالأولى والأحرى أن لا يملك لغيره ومن كان كذلك فكيف يستحق العبادة وإذا قيل كيف يكون هو السائل والمجيب والملزم بقوله قل أفاتخذتم من دونه اولياء. فالجواب انه إذا كان القصد بالحجاج ماينبه من بعد من بعد لم يمتنع ذلك فكأنه قال الله الخالق فلماذا اتخذتم من دون الله اولياء لأن الأمر الظاهر الذي لا يجيب الخصم إلا به لايمتنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تفاديا من التطويل ويكون تقدير الكلام أليس الله رب السماوات والارض فلم اتخذتم من دونه اولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلا بعد الزام الحجة فقال (قل هل يستوي الأعمى والبصير) اي كما لا يستوي الأعمى والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر لأن المؤمن يعمل على بصيرة ويعبد الله الذي يملك النفع والضر والكافر يعمل على عمى ويعبد من لا يملك النفع والضر ثم زاد في الايضاح فقال (أم هل تستوي الظلمات والنور) أي هل يستوي الكفر والإيمان او الضلالة والهدى او الجهل والعلم (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه) أي هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا افعالا مثل خلق الله تعالى من الأجسام والألوان والطعوم والأراييح والقدرة والحياة وغير ذلك من الأفعال التي يختص سبحانه بالقدرة عليها (فتشابه الخلق عليهم) اي فاشتبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله وما الذي خلق الأوثان فظنوا ان الأوثان تستحق العبادة لأن افعالها مثل افعال الله فإذا لم يكن ذلك مشتبها إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبق شبهة انه الإله لا يستحق العبادة سواه (فقل) لهم (الله خالق كل شيء) يستحق به العبادة من أصول النعم وفروعها (وهو الواحد) ومعناه انه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حي لذاته غني لا مثل له ولا شبه وقيل الواحد وهو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض وقيل هو الواحد في الإلهية لا ثاني له في القدم (القهار) الذي يقهر كل قادر سواه ولا يمتنع عليه شيء واستدلت المجبرة بقوله الله تعالى خالق كل شيء على ان افعال العباد مخلوقة لله لأن ظاهر العموم يقتضي دخول افعال العباد فيه وبقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خلق كخلقه وأجيب عن ذلك بأن الآية وردت حجة على الكفار إذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ إلى الكفار ولا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا انك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا على فعل فعلته فينا فيبطل حينئذ فائدة الآية وايضا فإن اكثر اصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه انه يخلق أصلا فضلا عن أن يقولوا انه يخلق كخلق الله ولكن يقولون ان العباد يفعلون ويحدثون ومعنى الخلق عندهم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جوز منهم إطلاق لفظ الخلق في افعال العباد فإنه يقول انه سبحانه إنما نفى أن يكون احد يخلق مثل خلقه ونحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع وابداع وافعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها مباشرا او متولدا في الغير بسبب حال في محل القدرة ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذي ابدع السماوات والارض وما فيهما وينشىء الأجناس من الاعراض التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع هذا التمييز الظاهر على أن عندهم كل حركة هي كسب للعبد وفعل لله تعالى ولا يتميز فقد حصل التشابه هنا ونحن نقول ان احدنا يفعل بقدرة محدثة يفعلها الله تعالى فيه والله يفعل لكونه قادرا لذاته فالفرق والتمييز ظاهر فعلمنا ان المراد بقوله خالق كل شيء ما قدمناه من انه خالق كل شيء يستحق لخلقه العبادة

قوله تعالى (١٧) أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا

وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ (١٨) لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ آيتان

القراءة

قرأ أهل الكوفة إلا ابا بكر يوقدون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب وهو قوله قل أفاتخذتم ويجوز أن يكون خطابا عاما يراد به الكافة كأن المعنى ومما توقدون عليه ايها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله أم جعلوا لله شركاء ويجوز أن يراد به جميع الناس ويقوي ذلك قوله واما ما ينفع الناس فكما ان الناس يعم المؤمنين والكافرين كذلك الضمير في يوقدون وقال ومما يوقدون عليه في النار فجعل الظرف متعلقا بيوقدون لأنه قد يوقد على ما ليس في النار كقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فهذا ايقاد يقال على ما ليس في النار وإن كان يلحقه وهجها ولهبها

اللغة

الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ومنه اشتقاق الدية لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدى عن القتيل والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فإذا كان مساويا فهو القدر وقرأ الحسن بقدرها بسكون الدال وهما لغتان يقال أعطى قدر شبر وقدر شبر والمصدر بالتخفيف لا غير وهم يختصمون في القدر معا بالسكون والحركة قال

ألا يا لقوم للنوائب والقدر ... وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري

والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يغضبه والزبد وضر الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل والجفاء ممدود مثل الغثاء وأصله الهمز يقال جفا الوادي جفاء قال ابو زيد يقال جفأت الرجل إذا صرعته واجفأت القدر بزبدها إذا القيت زبدها عنها قال الفراء كل شيء ينضم بعضه إلى بعض فإنه يجيء على فعال مثل الحطام والقماش والغثاء والجفاء والإيقاد القاء الحطب في النار واستوقدت النار واتقدت وتوقدت والمتاع ما تمتعت به والمكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث ومكث وتمكث أي تلبث

الإعراب

قال جامع العلوم البصير قوله في النار متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله عليه أي ومما توقدون عليه ثابتا في النار ابتغاء حلية أي مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون ولا يجوز أن يكون قوله في النار من صلة يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى انهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام أبي علي ولم يهتد اليه غيره وقوله زبد مبتدأ ومثله نعت له والظرف الذي هو قوله مما توقدون خبره على قول سيبويه وهو مرتفع بالظرف على قول الاخفش وموضع جفاء نصب على الحال اي يذهب على هذه الحالة قال الشاعر

إذا أكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا

أي ذهبت على هذه الحالة والفرض نوع من التمر

« المعنى »

ثم ضرب سبحانه مثلين للحق والباطل ﴿ احدهما ﴾ الماء وما يعلوه من الزبد ﴿ والآخر ﴾ ماتوقد عليه النار من الذهب والفضة وغيرها وما يعلوه من الزبد على ما رتبه فقال (أنزل من السماء ماء) أي مطرا (فسالت أودية بقدرها) يعني فاحتمل الانهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره والكبير على قدر كبره فسالت كل نهر بقدره عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج (فاحتمل السيل زبدا رابيا) أي طافيا عاليا فوق الماء شبه سبحانه الحق والإسلام بالماء الصافي النافع للخلق والباطل بالزبد الذاهب باطلا وقيل انه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحتمل القلوب حظها من اليقين والشك على قدرها فالماء مثل اليقين والزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال (ومما توقدون عليه في النار) وهو الذهب والفضة والرصاص وغيره مما يذاب (ابتغاء حلية) اي طلب زينة يتخذ منه كالذهب والفضة (أو متاع)معناه او ابتغاء متاع ينتفع به وهو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني وغيرها (زبد مثله) اي مثل زبد الماء فإن هذه الاشياء التي تستخرج من المعادن وتوقد عليها النار ليتميز الخالص من الخبيث لها ايضا زبد وهو خبثها (كذلك يضرب الله الحق والباطل) اي مثل الحق والباطل وضرب المثل تسييره في البلاد حتى يتمثل به في الناس (فأما الزبد فيذهب جفاء)أي باطلا متفرقا بحيث لا ينتفع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والاعيان التي ينتفع بها (فيمكث في الأرض) فينتفع به الناس فمثل المؤمن واعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الارض وحياة كل شيء به وكمثل نفع الذهب والفضة وسائر الأعيان المنتفع بها ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الذهب والفضة الذي لا ينتفع به (كذلك يضرب الله الامثال للناس) في امر دينهم قال قتادة هذه ثلاثة امثال ضربها الله تعالى في مثل واحد شبه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء وشبه القلوب بالأودية والأنهار فمن استقصى في تدبره وتفكر في معانيه اخذ حظا عظيما منه كالنهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير ومن رضي بها اداه إلى التصديق بالحق على الجملة كان اقل حظا منه كالنهر الصغير فهذا مثل ثم شبه الخطرات ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذلك من خبث التربة لا عين الماء كذلك ما يقع في النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباء باطلا ويبقى الحق فهذا مثل ثان والمثل الثالث قوله ومما توقدون عليه في النار إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذي لا ينتفع به والايمان مثل الماء الصافي الذي ينتفع به وتم الكلام عند قوله يضرب الله الأمثال ثم استأنف بقوله (للذين استجابوا لربهم الحسنى) عن الحسن والبلخي وقيل بل يتصل بما قبله لأن معناه ان الذي يبقى مثل الذين استجابوا لربهم والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب والمراد به للذين استجابوا دعوة الله وآمنوا به وأطاعوه الحسنى وهي الجنة عن الحسن والجبائي وقيل معناه الخصلة الحسنى والحالة الحسنى وهي صفة الثواب والجنة ايضا عن ابي مسلم (والذين لم يستجيبوا له) اي لله فلم يؤمنوا به (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) اي جعلوا ذلك فدية أنفسهم من العذاب لم يقبل ذلك منهم (اولئك لهم سوء الحساب) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلها من دون ان يغفر لهم شيء منها عن ابراهيم النخعي ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث ومن نوقش الحساب عذب فيكون سوء الحساب المناقشة ﴿ والثاني ﴾ هو ان يحاسبوا للتقريع والتوبيخ فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه والمؤمن يحاسب ليسر بما اعد الله تعالى له عن الجبائي ﴿ والثالث ﴾ هو ان لا يقبل لهم حسنة ولا يغفر لهم سيئة عن الزجاج

وروي ذلك عن ابي عبدالله(ع) ﴿ والرابع ﴾ ان سوء الحساب هو سوء الجزاء فسمي الجزاء حسابا لأن فيه اعطاء المستحق حقه (ومأواهم جهنم) اي مصيرهم الى جهنم (وبئس المهاد) اي وبئس ما مهدوا لأنفسهم والمهاد الفراش الذي يوطأ لصاحبه وتسمى النار مهاداً لأنها موضع المهاد لهم

قوله تعالى (١٩) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٠) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢١) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢٢) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٣) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٤) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ست آيات

اللغة

الالباب العقول ولب الشيء اجل ما فيه واخلصه واجوده ولب الانسان عقله لأنه أجل ما فيه ولب النخلة قلبها والميثاق العهد الواقع على احكام والوصل ضم الثاني الى الأول من غير فاصلة والخوف والخشية والفزع نظائر وهو انزعاج النفس بما لا يأمن منه من الضرر والسوء ورود ما يشق على النفس والحساب احصاء ما على العامل وله وهو هاهنا احصاء ما على المجازى وله والسر هو اخفاء المعنى في النفس ومنه السرور لأنه لذة تحصل للنفس ومنه السرير لأنه مجلس سرور والدرء الدفع والعدن الإقامة الطويلة وعدن بالمكان يعدن عدنا ومنه المعدن والصلاح استقامة الحال والمصلح من فعل الصلاح الذي يدعو اليه العقل والشرع والصالح المستقيم الحال في نفسه والعقبى فعلى من العاقبة وهو الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خير او شر

الإعراب

موضع الذين يوفون رفع لأنه صفة لقوله أولو الالباب وقيل انه صفة لمن يعلم وابتغاء نصب لأنه مفعول له وجنات عدن بدل من عقبى ومن صلح موضعه رفع عطفا على الواو في قوله يدخلونها وجائز ان يكون نصبا بأنه مفعول معه كما تقول قد دخلوا وزيدا اي مع زيد والباء في قوله بما صبرتم يتعلق بمعنى سلام لأنه دل على السلامة لكم بما صبرتم ويحتمل ان يتعلق بمحذوف على تقدير هذه الكرامة لكم بما صبرتم وما في قوله بما صبرتم مصدرية تقديره بصبركم وقيل انه بمعنى الذي كأنه قال بالذي صبرتم على فعل طاعاته وتجنب معاصيه

المعنى

ثم بين سبحانه الفرق بين المؤمن والكافر فقال (أفمن يعلم انما أنزل اليك) يا محمد (من ربك الحق كمن هو اعمى) عنه اخرج الكلام مخرج الاستفهام والمراد به الانكار اي لا يكونان مستويين فان الفرق بينهما هو الفرق بين الاعمى والبصير لأن المؤمن يبصر ما فيه رشده فيتبعه والكافر يتعامى عن الحق فيتبع ما فيه هلاكه (انما يتذكر أولوا الالباب) اي انما يتفكر فيه ويستدل به ذوو العقول والمعرفة قال علي بن عيسى وفي هذا حث على طلب العلم والزام له لأنه اذا كانت حال الجاهل كحال الاعمى وحال العالم كحال البصير وأمكن هذا الاعمى ان يستفيد بصرا فما الذي يقعده عن طلب العلم الذي يخرجه عن حال العمى بالجهل الى حال البصير (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) اي يؤدون ما عهد الله اليهم والزمهم اياه عقلا وسمعا فالعهد العقلي ما جعله في عقولهم من اقتضاء صحة أمور وفساد أمور أخر كاقتضاء الفعل للفاعل وان الصنائع لا بد ان ترجع

الى صانع غير مصنوع والا ادى الى ما لا يتناهى وان للعالم مدبرا لا يشبهه والعهد الشرعي ما أخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين ان يطيعوه ولا يعصوه ولا يرجعوا عما التزموه من اوامر شرعه ونواهيه وانما كرر ذكر الميثاق وان دخل جميع الأوامر والنواهي في لفظ العهد لئلا يظن ظان أن ذلك خاص فيما بين العبد وربه فأخبر ان ما بينه وبين العباد من المواثيق كذلك في الوجوب واللزوم وقيل انه كرره تأكيدا (والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل) قيل المراد به الايمان بجميع الرسل والكتب كما في قوله لا نفرق بين أحد من رسله وقيل هو صلة محمد وموازرته ومعاونته والجهاد معه عن الحسن وقيل هو صلة الرحم عن ابن عباس وروى اصحابنا ان ابا عبد الله (ع) لما حضرته الوفاة قال اعطوا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين وهو الافطس سبعين دينارا فقالت له أم ولد له أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة فقال لها ويحك أما تقرئين قوله تعالى والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل الآية وقيل هو ما يلزم من صلة المؤمنين بأن يتولوهم وينصروهم ويذبوا عنهم ويدخل فيه صلة الرحم وغير ذلك عن الجبائي وابي مسلم وروى جابر عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بر الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية روى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم (ع) في هذه الآية قال صلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وهي تجري في كل رحم وروى الوليد بن ابان عن ابي الحسن الرضا (ع) قال قلت له هل على الرجل في ماله سوى الزكاة قال نعم اين ما قال الله والذين يصلون الآية (ويخشون ربهم) اي ويخافون عقاب ربهم في قطعها (ويخافون سوء الحساب) قد بينا ما قيل فيه وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال سوء الحساب ان يحسب عليهم السيئات ولا يحسب لهم الحسنات وهو الاستقصاء وروى حماد بن عثمان عن ابي عبد الله (ع) انه قال لرجل يا فلان مالك ولأخيك قلت جعلت فداك لي عليه شيء فاستقصيت حقي عنه قال ابو عبد الله (ع) اخبرني عن قول الله سبحانه ويخافون سوء الحساب أتراهم خافوا ان يجور عليهم او يظلمهم لا والله ولكن خافوا الاستقصاء والمداقة (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) اي الذين صبروا على القيام بما اوجبه الله عليهم وعلى بلاء الله من الامراض والعقوبة وغير ذلك وعن معاصي الله سبحانه لطلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله وابتغاء الله يكون ابتغاء ثوابه تقول العرب في تعظيم الشيء هذا وجه الرأي وهذا نفس الرأي للرأي المعظم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المعظم فلا شيء اعظم منه ولا شيء يساويه في العظم وقيل ان ذكر الوجه هنا عبارة عن الاخلاص وترك الرياء (وأقاموا الصلاة) اي أدوها بحدودها وقيل داموا على فعلها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) اي ظاهرا وباطنا (ويدرؤن بالحسنة السيئة) اي يدفعون بفعل الطاعة المعصية قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيىء من العمل كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل معناه يدفعون اساءة من أساء اليهم بالاحسان والعفو ولا يكافئون كقوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن السيئة عن قتادة وابن زيد والقتيبي قال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا و إذا قطعوا وصلوا وقيل معناه يدفعون بالتوبة معرة الذنب عن ابن كيسان (أولئك) يعني ان هؤلاء الذين هذه صفاتهم (لهم عقبى الدار) اي ثواب الجنة فالدار الجنة وثوابها عقباها التي هي العاقبة المحمودة عن ابن عباس والحسن ثم وصف الدار فقال (جنات عدن) اي بساتين إقامة تدوم ولا تفنى وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهداء والصديقون عن ابن عباس وقيل هي مدينة في الجنة فيها الأنبياء والأئمة والشهداء عن الضحاك وقيل قصر من ذهب لا يدخله الا نبي اوصديق اوشهيد او حاكم عدل عن الحسن وعبد الله ابن عمر ثم بين سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال (يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) اي اولادهم يعني من آمن منهم وصدق بما صدقوا به وذلك ان الله سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله من الحاقهم به في الجنة كرامة له كما قال الحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس ومجاهد

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الجنة الثمانية وقيل من كل باب من ابواب البر كالصلاة والزكاة والصوم وقيل من ابواب قصورهم وبساتينهم بالتحية من الله سبحانه والتحف والهدايا عن ابن عباس ويقولون (سلام عليكم بما صبرتم) والقول محذوف لدلالة الكلام عليه والسلام والتحية والبشارة منهم بالسلامة والكرامة وانتفاء كل امر تشوبه مضرة اي سلمكم الله من الاهوال والمكاره بصبركم على شدائد الدنيا ومحنها في طاعة الله تعالى (فنعم عقبى الدار) اي نعم عاقبة الدار ما انتم فيه من الكرامة

قوله تعالى (٢٥) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٦) اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ خمس آيات

اللغة

الانابة الرجوع الى الحق بالتوبة انتاب فلان القوم أتاهم مرة بعد مرة ويقال ناب ينوب نوبة اذا رجع مرة بعد مرة وطوبى فعلى من الطيب وهو تأنيث الاطيب ولم يغيروا طوبى بأن يقولوا طيبى كما قالوا ضيزى فقلبوا الواو ياء والضمة كسرة لأن طوبى اسم وضيزى صفة فرقوا بين الاسم والصفة

الإعراب

الذين آمنوا في موضع نصب ردا على من . المعنى يهدي اليه الذين آمنوا وألا حرف تنبيه وابتداء وحسن مآب عطف على طوبى لأن طوبى في موضع رفع

— المعنى —

لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله ووصفهم بالصفات التي يستحقون بها الجنة عقبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل) قد ذكرنا معنى عهد الله وميثاقه وصلة ما أمر الله به ان يوصل (ويفسدون في الأرض) بالدعاء الى غير الله عن ابن عباس وقيل بقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين عن الحسن وقيل بالعمل فيها بمعاصي الله والظلم لعباده واخراب بلاده وهذا اعم (أولئك لهم اللعنة) وهي الابعاد من رحمة الله والتبعيد من جنته (ولهم سوء الدار) اي عذاب النار والخلود فيها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحة ويضيقه على آخرين إذا كانت المصلحة في التضييق (وفرحوا بالحياة الدنيا) اي فرحوا بما أوتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناءه وبقاء امر الآخرة وتقديره وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحياة الدنيا (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) اي ليست هذه الحياة الدنيا بالاضافة الى الحياة الآخرة الا قليل ذاهب لأن هذه فانية وتلك دائمة باقية عن مجاهد وقيل انه مذكور على وجه التعجب اي عجباً لهم ان فرحوا بالدنيا الفانية وتركوا النعيم الدائم والدنيا في جنب الآخرة متاع لا خطر له ولا بقاء له مثل القدح والقصعة والقدر يتمتع به زمانا ثم ينكسر عن ابن عباس (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) اي هلا انزل على محمد معجزة من ربه يقترحها ويجوزانهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا انه لم ينزل عليه آية ولم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا

القول جهلا منهم بها (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن طريق الجنة بسوء افعاله وعظم معاصيه وقدمضى القول في وجوه الإضلال والهدى فلا معنى لإعادته (ويهدي اليه من اناب) أي رجع اليه بالطاعة (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس اليه والذكر حصول المعنى للنفس وقد يسمى العلم ذكراً والقول الذي فيه المعنى الحاضر للنفس ايضا يسمى ذكراً وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه الى ذكر الله ووصفه في موضع آخر بأنه اذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول انه يذكر ثوابه وانعامه وآلاءه التي لا تحصى واياديه التي لا تجازى فيسكن اليه وبالثاني انه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه (الا بذكر الله تطمئن القلوب) وهذا حث للعباد على تسكين القلب الى ما وعد الله به من النعيم والثواب والطمأنينة اليه فإن وعده سبحانه صادق ولا شيء تطمئن النفس اليه ابلغ من الوعد الصادق وهو اعتراض وقع بين الكلامين اذا كان قوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله في موضع رفع بالابتداء ويكون قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدلا منه وقوله طوبى لهم وحسن مآب جملة في موضع الرفع بانه خبر المبتدأ واذا كان الذين آمنوا الاول في موضع نصب على ما تقدم ذكره فيكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ مستأنفا وطوبى لهم خبره ومعناه ان الذين يؤمنون بالله ويعملون ما يجب عليهم من الطاعات (طوبى لهم) وفيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه فرح لهم وقرة عين عن ابن عباس ﴿ والثاني ﴾ غبطة لهم عن الضحاك ﴿ والثالث ﴾ خير لهم وكرامة عن ابراهيم النخعي ﴿ والرابع ﴾ الجنة لهم عن مجاهد ﴿ والخامس ﴾ معناه العيش المطيب لهم عن الزجاج والحال المستطابة لهم عن ابن الانباري لأنه فعلى من الطيب وقيل اطيب الاشياء لهم وهو الجنة عن الجبائي ﴿ والسادس ﴾ هنيئا بطيب العيش لهم ﴿ السابع ﴾ حسنى لهم عن قتادة ﴿ الثامن ﴾ نعم ما لهم عن عكرمة ﴿ التاسع ﴾ طوبى لهم دوام الخير لهم ﴿ العاشر ﴾ ان طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير ووهب وابي هريرة وشهر بن حوشب ورواه عن ابي سعيد الخدري مرفوعا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال لو ان راكبا مجدا سار في ظلها مائة عام ما خرج منها ولو ان غرابا طار من أصلها ما بلغ اعلاها حتى يبيض هرما الا في هذا فارغبوا ان المؤمن نفسه منه في شغل والناس منه في راحة إذا جن عليه الليل فرش وجهه وسجد لله يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته الا فهكذا فكونوا وروى علي بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن ابي عبيدة الحذاء عن ابي عبد الله (ع) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر تقبيل فاطمة (ع) فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم إنه لما اسري بي الى السماء دخلت الجنة وأدناني جبرائيل (ع) من شجرة طوبى وناولني منها تفاحة فأكلتها فحول الله ذلك في ظهري ماء فهبطت الى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فكلما اشتقت الى الجنة قبلتها وما قبلتها الا وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء انسية وروى الثعلبي باسناده عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال طوبى شجرة اصلها في دار علي (ع) في الجنة وفي دار كل مؤمن منها غصن ورواه ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طوبى قال شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة ثم سئل عنها مرة أخرى فقال في دار علي (ع) فقيل في ذلك فقال ان داري ودار علي في الجنة بمكان واحد (وحسن مآب) اي ولهم حسن مآب اي مرجع

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر الآية بما قبله انه بين ان نقضهم للعهد انما كان لحب الرئاسة

والمنافسة في الدنيا وزهدهم في المنافسة وأخبر بأنه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه ويرزق مقدار الكفاية من علم ان صلاحه فيه ثم لما ذكر سبحانه سوء عاقبة الكفار عقب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات وترك تفكرهم فيما أنزل من الآيات الخارقة للعادات فقال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه ولما استعجلوا العذاب بين سبحانه أنه يضل من يشاء أي يهلك من يشاء معجلا ويؤخر عذاب من يشاء عن ابي مسلم قال والمراد بقوله آية آيات العذاب وقيل انهم لما اقترحوا الآيات بين انهم انما لم يجابوا الى ذلك لأن في المعلوم انهم لا يؤمنون وأنه يهلكهم

قوله تعالى (٣٠) كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣١) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

آيتان

✻ القراءة ✻

قرأ علي وابن عباس وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد وابن ابي مليكة وعكرمة والجحدري وابو يزيد المزني افلم يتبين والقراءة المشهورة ييأس

—(الحجة)—

قال ابن جني هذه القراءة فيها تفسير قوله أفلم ييأس الذين آمنوا وروي عن علي بن عياش انها لغة فخذ من النخع قال

ألم ييأس الأقوام اني انا ابنه . وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

وقال سحيم بن وثيل

أقول لأهل الشعب اذ يأسرونني ألم ييأسوا اني ابن فارس زهدم

وروي اذ ييسرونني اي يقسمونني اي ألم يعلموا قال ويشبه عندي ان يكون هذا ايضا راجعا الى معنى اليأس وذلك ان المتأمل للشيء المتطلب لعلمه ذاهب بفكره في جهات تعرفه إياه فإذا ثبت نفسه على شيء اعتقده واضرب عما سواه فلم ينصرف اليه كما ينصرف اليائس عن الشيء عنه ولا يلتفت اليه هذا طريق الصنعة فيها

✻ اللغة ✻

المتاب التوبة تاب يتوب توبا ومتابا والتوبة الفعلة الواحدة والتسيير تصيير الشيء بحيث يسير يقال سار يسير سيرا وسيره غيره والتقطيع تكثير القطع والقطع تفصيل المتصل والحلول حصول الشيء في الشيء كحصول العرض في الجوهر وحصول الجوهر في الوعاء والأصل الأول والثاني مشبه به والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومنه سميت القيامة قارعة واصله من القرع وهو الضرب ومقارعة الابطال ضرب بعضهم بعضا وقوارع القرآن الآيات التي من قرأها أمن من الشيطان كأنها تضرب الشياطين اذا قرئت

✻ النزول ✻

نزلت الآية الأولى في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (ع) اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ثم قال رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح محمد بن عبدالله فقال اصحاب رسول الله ﷺ دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون فأنزل الله عز وجل كذلك ارسلناك في أمة الآية عن قتادة ومقاتل وابن جريج وقيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن عن الضحاك عن ابن عباس ونزلت الآية الأخرى في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي أمية المخزومي جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله بن أمية إن سرك ان نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسح فإنها ارض ضيقة واجعل لنا فيها عيونا وانهارا حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت اهون على ربك من داود (ع) حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام فنقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا فلست اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فإن عيسى (ع) كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه ولو ان قرآنا الآية

المعنى

لما ذكر سبحانه النعمة على من تقدم ذكره بالثواب وحسن المآب عقبه بذكر النعمة على من أرسل اليه النبي ﷺ فقال (كذلك ارسلناك) اي كما انعمنا على المذكورين بالثواب في الجنة انعمنا على المرسل اليهم بإرسالك وقيل ان معنى التشبيه انا كما ارسلنا الانبياء في الأمم قبلك ارسلناك (في أمة قد خلت من قبلها أمم) اي في جماعة قد مضت من قبلها قرون وجماعات (لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك) بين الغرض في ارساله وهو ان يقرأ عليهم القرآن ليتدبروا آياته ويتعظوا بها (وهم يكفرون بالرحمن) اي وقريش يكفرون بالرحمن اي ويقولون قد عرفنا الله ولا ندري ما الرحمن كما اخبر عنهم بأنهم قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا عن الحسن وقتادة وقيل معناه انهم يجحدون بالوحدانية (قل) يا محمد (هو ربي) اي الرحمن الذي انكرتموه ربي اي خالقي ومدبري (لا إله إلا هو عليه توكلت) اي اليه فوضت امري متمسكا بطاعته راضيا بحكمه (واليه متاب) اي مرجعي وقيل معناه الى الرحمن توبتي (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) اي تجعل به الجبال سائرة فأذهبت من مواضعها وقلعت من أماكنها (او قطعت به الأرض) او شققت فجعلت انهارا وعيونا (او كلم به الموتى) او احيي به الموتى حتى يعيشوا ويتكلموا وحذف جواب لولأن في الكلام دليلا عليه والتقدير لكان هذا القرآن لعظم محله وعلو امره وجلالة قدره قال الزجاج والذي اتوهم وقد قاله بعضهم ان المعنى لو ان قرآنا سيرت به الجبال اوقطعت به الأرض او كلم به الموتى لما آمنوا ودليله قوله ولو انزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وحذف جواب لو يكثر في الكلام قال امرؤ القيس

فلو انها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط انفسا

وهو آخر القصيدة وقال

وجدك لو شيء أتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

(بل لله الأمر جميعا) معناه ان جميع ما ذكر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض واحياء الموتى وكل تدبير يجري هذا المجرى لله لأنه لا يملكه سواه ولا يقدر عليه غيره ولكنه لا يفعل لأن فيما أنزل من الآيات مقنعا وكفاية للمنصفين والامر ما يصح ان يؤمر به وينهى عنه وهو عام وأصله الأمر نقيض النهي (أفلم ييأس الذين

آمنوا) اي أفلم يعلموا ويتبينوا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابي مسلم وقيل معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علما ييأسوا معه من ان يكون غير ما علموه عن الفراء وقيل معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لأنه قال (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) اي ان الله لو أراد ان يهدي الخلق كلهم الى جنته لهداهم لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق وقيل أراد به مشيئة الالجاء أي لو أراد ان يلجئهم إلى الاهتداء لقدر على ذلك لكنه ينافي التكليف ويبطل الغرض به (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم واعمالهم الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تقرعهم ومصيبة شديدة من الحروب والجدب والقتل والاسر عليهم على جهة العقوبة للتنبيه والزجر وقيل أراد بالقارعة سرايا النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعثها اليهم وقيل أراد بذلك ما مر ذكره من حديث زيد وعامر (أو تحل قريباً) من دارهم وقيل ان التاء في تحل للتأنيث والمعنى أو تحل تلك القارعة قريباً من دارهم فتجاورهم حتى يحصل لهم المخافة منه عن الحسن وقتادة وابي مسلم والجبائي وقيل ان التاء للخطاب والمعنى أو تحل انت يا محمد بنفسك قريباً من دارهم (حتى يأتي وعد الله) أي ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال وهذه الآية مدنية وقيل حتى يأتي يوم القيامة عن الحسن (ان الله لا يخلف الميعاد) ظاهر المعنى

النظم

اتصلت الآية الأخيرة بقوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه والتقدير ان مثل هذا القرآن أنزل عليهم وهم يطلبون آيات اخر عن الجبائي وقيل اتصلت بقوله كذلك أرسلناك الاية لأن المفهوم من قوله لتتلو عليهم انه قرأ عليهم القرآن وانهم كفروا به

قوله تعالى (٣٢) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٣) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٤) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ثلاث آيات

(القراءة)

قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصدوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن والباقون وصدوا بفتح الصاد

— الحجة —

قال ابو الحسن صد وصددته مثل رجع ورجعته قال

صدت كما صد عما لا يحل له ساقي نصارى قبيل الفصح صوام

قال عمرو بن كلثوم

صددت الكأس عنا ام عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وحجة من اسند الفعل إلى الفاعل قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفي موضع آخر ويصدون عن سبيل الله وصدوكم عن المسجد الحرام فلما اسند الفعل إلى الفاعل في هذه الآية فكذلك في هذه الآية أي صدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم والعتاة منهم في كفرهم وقد يكون على نحو ما يقال صد

فلان عن الخير وصد عنه بمعنى انه لم يفعل خيراً ولا يراد به ان مانعاً منعه

﴿ اللغة ﴾

الاستهزاء طلب الهزؤ والهزؤ اظهار خلاف الاضمار للاستصغار والاملاء التأخير وهو من الملاوة والملوان الليل والنهار قال ابن مقبل

ألا يا ديار الحي بالسبعان ألح عليها بالبلى الملوان

وقال في التهنئة البس جديداً وتمل حبيباً أي لتطل أيامك معه والواقي المانع فاعل من الوقاية وهو الحجر بما يدفع الأذى والمكروه

﴿ المعنى ﴾

ثم عزى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزأ هؤلاء بك (فأمليت للذين كفروا) أي فأمهلتهم وأطلت مدتهم ليتوبوا ولتتم عليهم الحجة (ثم أخذتهم) أي أهلكتهم وأنزلت عليهم عذابي (فكيف كان عقاب) أي فكيف حل عقابي بهم وهو إشارة إلى تفخيم ذلك العقاب وتعظيمه ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) معناه أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس وحافظ على كل نفس اعمالها يجازيها وقيل أفمن هو قائم عليها برزقها وحفظها والدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ويدل على هذا المحذوف قوله (وجعلوا لله شركاء) يعني ان هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء في العبادة من الأصنام التي لا تقدر على شيء مما ذكرنا (قل) يا محمد (سموهم) أي سموهم بما يستحقون من الصفات واضافة الأفعال اليهم ان كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ويعود المعنى إلى ان الصنم لو كان إلهاً لتصور منه ان يخلق الرزق فيحسن حينئذ أن يسمى بالخالق والرازق وقيل سموهم بالأسماء التي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عباداتهم واتخاذهم آلهة وقيل معناه انه ليس لهم اسم له مدخل في استحقاق الإلهية وذلك استحقار لهم وقيل سموهم ماذا خلقوا وهل ضروا أو نفعوا وهو مثل قوله أروني ماذا خلقوا من الأرض عن الحسن . (أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض) هذا استفهام منقطع مما قبله أي بل أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه على معنى انه ليس ولو كان لعلم (ام بظاهر من القول)أي أم تقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له عن مجاهد وقتادة والضحاك وعلى هذا فالمعنى انه كلام ظاهر ليس له في الحقيقة باطن ومعنى فهو كلام فقط وقيل ام بظاهر كتاب انزل الله تعالى سميتم الاصنام آلهة فبين انه ليس هاهنا دليل عقلي ولا سمعي يوجب استحقاق الأصنام الإلهية عن الجبائي ثم بين سبحانه بطلان قولهم فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) أي دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لهم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس وقيل بل زين لهم الرؤساء والغواة كذبهم وزورهم (وصدوا عن السبيل) اي وصدوا الناس عن الحق أو صدوا بأنفسهم عن الحق وعن دين الله (ومن يضلل الله فما له من هاد) سبق معناه في مواضع (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والسبي والأسر وقيل بالمصائب والأمراض (ولعذاب الآخرة أشق) أي أغلظ وأبلغ في الشدة على النفس لدوامه وخلوصه وكثرته (وما لهم من الله من واق) أي مالهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٣٥) مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَعُقْبَى ٱلْكَافِرِينَ ٱلنَّارُ (٣٦) وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ

إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ (٣٧) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ . ثلاث آيات

= اللغة =

الأنهار جمع نهر ونهر كفرد وافراد وجمل واجمال والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء على وجه الأرض واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع الضياء فيه وانهرت الدماء وسعت مجراها وقال « ملكت بها كفي فانهرت فتقها» أي وسعته والأكل بضم الهمزة المأكول والأحزاب جمع الحزب وهم الجماعة التي تقوم بالنائبة يقال تحزب القوم إذا صاروا حزبا وحزبهم الأمر يحزبهم أي نالهم بمكروه

❋ الاعراب ❋

مثل الجنة التي، فيه اقوال ❋ أحدها ❋ انه بمعنى الشبه وخبره محذوف وتقديره مثل الجنة التي هي كذا اجل مثل ❋ والثاني ❋ ان تقديره فيما نقص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع أيضاً على الابتداء وخبره محذوف وهو قول سيبويه واختاره ابو علي الفارسي ❋ والثالث ❋ ان معناه صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار فتجري من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذي هو مثل الجنة قالوا وقوله سبحانه ولله المثل الأعلى معناه الصفة العليا ولم يرتض ابو علي هذا القول

❋ المعنى ❋

لما تقدم ذكر ما اعد الله للكافرين عقبه سبحانه بذكر ما اعده للمؤمنين فقال (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي شبهها عن مقاتل وقيل صفتها وصورتها عن الحسن قال ابن قتيبة المثل الشبه في أصل اللغة ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته يقال مثلت لك كذا أي صورته ووصفته وقيل ان مثل مقحم والتقدير الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الانهار أكلها دائم) يعني ان ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا وظلها لا يزول ولا تنسخه الشمس عن الحسن وقيل معناه نعيمها لا ينقطع بموت ولا آفة عن ابن عباس وقيل لذتها في الافواه باقية عن ابراهيم التيمي (وظلها) ايضاً دائم لا يكون مرة شمساً ومرة ظلا كما يكون في الدنيا (تلك عقبى الذين اتقوا) أي تلك الجنة عاقبة المتقين فالطريق اليها التقوى (وعقبى الكافرين النار) أي وعاقبة أمر الكفار النار ولما تقدم ذكر الوعد والوعيد اخبر سبحانه عن المتقين والكافرين فقال (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) يريد اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين آمنوا به وصدقوه اعطوا القرآن وفرحوا بانزاله (ومن الاحزاب من ينكر بعضه) يعني اليهود والنصارى والمجوس انكروا بعض معانيه وما يخالف احكامهم عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه فرحوا بالقرآن لأنهم يصدقون به والاحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين عن ابن عباس قال لأن عبد الله بن سلام واصحابه أساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فأنزل الله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ففرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة ويريد بالأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمعاداة ومن ينكر بعضه يعني ذكر الرحمن وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن (قل) يا محمد (إنما أمرت ان اعبد الله ولا اشرك به) اي أمرت ان اوجه عبادتي إلى الله ولا اشرك به في عبادته احداً (اليه ادعو) يعني إلى الله أو إلى الاقرار بتوحيده وصفاته وتوجيه العبادة اليه وحده أدعو (واليه مآب) أي اليه مرجعي ومصيري أي أرجع واصير إلى حيث لا يملك الضر والنفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة الأمر أحداً من عباده كما ملكهم في الدنيا (وكذلك أنزلناه حكما عربياً) اي كما أنزلنا الكتب إلى من تقدم

من الأنبياء بلسانهم انزلنا اليك حكمة عربية اي جارية على مذاهب العرب في كلامهم يعني القرآن فالحكم هاهنا بمعنى الحكمة كما في قوله وآتيناه الحكم والنبوة وقيل إنما سماه حكماً لما فيه من الأحكام في بيان الحلال والحرام وسماه عربياً لأنه اتى به نبي عربي (ولئن اتبعت اهواءهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به الأمة اي لئن وافقت وطلبت اهواء الذين كفروا والاهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع إلى شيء بالشهوة (بعد ما جاءك من العلم) بالله تعالى لأن ما آتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي يزول معه الشبهات (ما لك من الله من ولي) أي ناصر يعينك عليه ويمنعك من عذابه (ولا واق) يقيك منه من ولي في موضع رفع ومن مزيدة

قوله تعالى (٣٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٩) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٤٠) وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ

ثلاث آيات

القراءة

قرأ أهل البصرة وابن كثير وعاصم يثبت بالتخفيف وقرأ الباقون يثبت بالتشديد

الحجة

قال ابو علي المعنى يمحو ما يشاء ويثبته فاستغني بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني ومثل ذلك والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وزعم سيبويه ان العرب من يعمل الأول من الفعلين ولا يعمل الثاني في شيء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً قال الكميت

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً علي وتحسب

فلم يعمل الثاني وهذا والله اعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فأما غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل وحجة من قال يثبت قوله واشد تثبيتاً وحجة من قرأ يثبت ما روي عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى صلاة اثبتها وقوله ثابت لأن ثبت مطاوع اثبت

النزول

قال ابن عباس عيروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة تزويج النساء وقالوا لو كان نبياً لشغلته النبوة عن تزويج النساء فنزلت الآية ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك

المعنى

(ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) يا محمد (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) أي نساء وأولاداً أكثر من نسائك واولادك وكان لسليمان (ع) ثلاث مائة امرأة مهيرة وسبعمائة سرية ولداود (ع) مائة امرأة عن ابن عباس أي فلا ينبغي أي يستنكر منك ان تتزوج ويولد لك وروي ان ابا عبد الله (ع) قرأ هذه الآية ثم اومى إلى صدره فقال نحن والله ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله) اي لم يكن لرسول يرسله الله ان يجيء بآية ودلالة إلا بعد ان يأذن الله في ذلك ويطلق له فيه (لكل أجل كتاب) ذكر فيه وجوه (احدها) ان معناه لكل اجل مقدر كتاب اثبت فيه ولا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب على وجه ما يوجبه التدبير فالآية التي اقترحوها لها وقت اجله الله لا على شهواتهم واقتراحاتهم عن البلخي (والثاني) لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياة والموت وغير ذلك عن ابي علي الجبائي (والثالث)

انه من المقلوب والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل به فللتوراة وقت وللانجيل وقت وكذلك القرآن (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) قيل في المحو والاثبات أقوال (احدها) ان ذلك في الاحكام من الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج وهو اختيار ابي علي الفارسي (والثاني) انه يمحو من كتاب الحفظة المباحات وما لا جزاء فيه ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصي عن الحسن والكلبي والضحاك عن ابن عباس والجبائي (والثالث) انه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلا فيسقط عقابها ويثبت ذنوب من يريد عقابه عدلاً عن سعيد بن جبير (الرابع) انه عام في كل شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الاجل ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابي وائل وقتادة وأم الكتاب أصل الكتاب الذي اثبت فيه الحادثات والكائنات وروى ابو قلابة عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الاشقياء واثبتني في السعداء فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروي مثل ذلك عن أئمتنا (ع) في دعواتهم المأثورة وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب لا يغير منه شيء ورواه عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال سألته عن ليلة القدر فقال ينزل الله فيها الملائكة والكتبة الى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة وما يصيب العباد وأمر ما عنده موقوف له فيه المشيئة فيقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب وروى الفضيل قال سمعت اباجعفر (ع) يقول العلم علمان علم علمه ملائكته ورسله وانبياءه وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء وروى زرارة عن حمران عن ابي عبد الله (ع) قال هما امران موقوف ومحتوم فما كان من محتوم امضاه وما كان من موقوف فله فيه المشيئة يقضي فيه ما يشاء (والخامس) انه في مثل تقتير الارزاق والمحن والمصائب يثبته في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء والصدقة وفيه حث على الانقطاع اليه سبحانه (والسادس) إنه يمحو بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات يبينه قوله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن عكرمة (والسابع) إنه يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ثم انشأنا من بعدهم قرناً آخرين وقوله كم أهلكنا قبلهم من القرون وروي ذلك عن علي (ع) (والثامن) إنه يمحو ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس وبيانه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة عن السدي وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل لأن الكتب المنزلة انتسخت منه فالمحو والاثبات إنما يقع في الكتب المنتسخة لا في أصل الكتاب عن اكثر المفسرين وقيل ان ابن عباس سأل كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا وقيل انما سمي أم الكتاب لأنه الأصل الذي كتب فيه اولا سيكون كذا وكذا لكل مايكون فإذا وقع كتب انه قد كان ما قيل انه سيكون والوجه في ذلك ما فيه من المصلحة والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه اذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلموا ان ما يحدث على كثرته قد احصاه الله تعالى وعلمه قبل ان يكون مع ان ذلك اهول في الصدور وأعظم في النفوس حتى كان من تصوره وفكر فيه شاهدا له (واما نرينك) يا محمد (بعض الذي نعدهم) اي نعد هؤلاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم بتمكينك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال (ونتوفينك) اي ونقبضنك الينا قبل ان نريك ذلك وبين بهذا انه يكون بعض ذلك في حياته وبعضه بعد وفاته اي فلا تنتظر ان يكون جميع ذلك في أيام حياتك وان يكون مما لا بد ان تراه (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) اي عليك ان تبلغهم ما ارسلناك به اليهم وتقول بما أمرناك بالقيام به وعلينا حسابهم ومجازاتهم والانتقام منهم إما عاجلا وإما آجلا وفي هذه دلالة على ان الاسلام سيظهر على سائر

الاديان ويبطل الشرك في أيامه وبعد وفاته وقد وقع المخبر به على وفق الخبر

النظم

اتصلت الآية الاولى بما تقدمها من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فبين سبحانه انه بشر كما ان الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشرا والبشر لا يقدر على الآيات بل إنما لا يأتي الله سبحانه بها اذا اقتضت المصلحة ذلك عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر ارساله بين سبحانه انه ارسل قبله بشرا كما ارسله فحاله مثل حالهم عن القاضي وإنما اتصلت الآية الثانية بقوله لكل اجل كتاب لأن الظاهر اقتضى ان يكون كل مكتوب لا يجوز محوه فبين سبحانه انه يمحو ما يشاء ويثبت لئلا يتوهم ان المعصية مثبتة مع التوبة كما انها كذلك قبل التوبة عن علي ابن عيسى وقيل لما نزلت وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله قالت قريش ما نراك يامحمد تملك شيئا فلقد فرغ من الأمر فانزل هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم انا لو شئنا احدثنا من امرنا ما شئنا ونمحو ونثبت في ليلة القدر ما نشاء من ارزاق الناس ومصائبهم عن مجاهد وانما اتصل قوله واما نرينك الآية بما قبله من وعيد الله بالعذاب فبين سبحانه انه يفعل ذلك لا محالة امافي حياته او بعد وفاته بشارة له وقيل انه لما تقدم ان لكل أجل كتابا بين ان لعذابهم وقتا سيفعله فيه لا محالة اما في حياته او بعد وفاته

قوله تعالى (٤١) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤٢) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٣) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ثلاث آيات

(القراءة)

قرأ أهل الحجاز وابو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ الواحد والباقون الكفار على الجمع وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن ابي اسحاق والضحاك والحكم بن عيينة ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وقراءة علي والحسن وابن السميقع ومن عنده عُلِمَ الكتاب

الحجة

قال ابو علي العلم في قوله وسيعلم الكافر هو المتعدي الى مفعولين بدلالة تعليقه ووقوع الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلامُ فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غيره في نحو فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وموضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام الذي هو فيه مسد المفعولين لا من حيث حكمت في نحو مررت بزيد بأن موضعه نصب ولكن اللام الجارة كانت متعلقة في الأصل بفعل فكان مثل علمت بمن تمر في ان الجار يتعلق بالمرور والجملة التي هي منها في موضع نصب وقد علق الفعل عنها فاما من قرأ الكافر فإنه جعل الكافر اسما شائعا كالانسان في قوله ان الانسان لفي خسر وزعموا ان لا الف فيه وهذا الحذف إنما يقع في كل فاعل نحو خالد وصالح ولا يكاد الحذف في فعال وزعموا ان في بعض الحروف وسيعلم الذين كفروا فهذا يقوي الجمع قد جاء فاعل يراد به اسم الجنس انشد ابو زيد

ان تبخلي يا جمل او تعتلي وتصبحي في الظاعن المولي

فهذا انما يكون في الكسرة وليس المراد على كل كافر واحد والجمع الذي هو الكفار المراد في الآية لا اشكال فيه فأما من قرأ ومن عنده علم الكتاب فمعناه ومن فضله ولطفه ام الكتاب ومن قرأ من عنده عُلم الكتاب

فالمعنى مثل ذلك الا ان الجار ههنا يتعلق بعلم وفي الاول بمحذوف وعلم الكتاب مبتدأ ومرفوع بالظرف على ماتقدم ذكره في قوله ومنهم اميون

﴿ اللغة ﴾

النقص اخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في نقصان المنزلة والطرف منتهى الشيء وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه واطراف الارض نواحيها والتعقيب رد الشيء بعد فصله ومنه عقب العقاب على صيده اذا رد الكرور عليه بعد فصله عنه ومنه قول لبيد «طلب المعقب حقه المظلوم» والمكر الفتل عن البغية بطريق الحيلة والشهيد والشاهد واحد الا ان في شهيد مبالغة والشهادة البينة على صحة المعنى من طريق المشاهدة

﴿ الاعراب ﴾

ننقصها من اطرافها جملة منصوبة والموضع على الحال وكذلك قوله لا معقب لحكمه والباء في قوله كفى بالله زائدة قال علي بن عيسى دخلت لتحقيق الاضافة من وجهين جهة الفاعل وجهة حرف الاضافة وذلك ان الفعل لما جاز ان يضاف الى غير فاعله بمعنى انه امر به ازيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد ونظيره في تأكيد الإضافة قوله لما خلقت بيدي

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما يكون الكفار كالبينة على الاعتبار فقال (او لم يروا انا نأتي الارض ننقصها) اي نقصدها (من أطرافها) واختلف في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ او لم ير هؤلاء الكفار انا ننقص اطراف الارض بإماتة اهلها ومجازه ننقص اهلها من اطرافها كقوله واسأل القرية اي افلا يخافون ان نفعل مثل ذلك بهم عن ابن عباس وقتادة وعكرمة ﴿ وثانيها ﴾ ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار اهلها عن عطا ومجاهد والبلخي وروي نحو ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابي عبد الله (ع) قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد نقصد الارض ننقصها من اطرافها بالفتوح على المسلمين معناه فننقص من اهل الكفر ونزيد في المسلمين يعني ما دخل في الاسلام من بلاد الشرك عن الحسن والضحاك ومقاتل قال الضحاك او لم ير اهل مكة انا نفتح لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما حولها من القرى وقال الزجاج علم الله تعالى ان بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر اي افلا يخافون ان نفتح لمحمد ارضهم كما فتحنا له غيرها وقد روي ذلك ايضا عن ابن عباس قال القاضي وهذا القول اصح لأنه يتصل بما وعده من اظهار دينه ونصرته ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه اولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والنقصان بعد الزيادة عن الجبائي (والله يحكم) اي يفصل الامر لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه عن ابن عباس ومعناه لا يعقب احد حكمه بالرد والنقض (وهو سريع الحساب) اي سريع المجازاة على افعال العباد على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم بين سبحانه ان مكرهم يضمحل عند نزول العذاب بهم فقال (وقد مكر الذين من قبلهم) يريد ان الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم ودبروا في تكذيب الرسل بما في وسعهم فابطل الله مكرهم كذلك يبطل مكر هؤلاء (فلله المكر جميعا) اي له الأمر والتدبير جميعا فيرد عليهم مكرهم بنصب الحجج لعباده وقيل معناه فالله يملك الجزاء على المكر عن ابي مسلم وقيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائي (يعلم ما تكسب كل نفس) فلا يخفى عليه ما يكسبه الانسان من خير وشر لأنه عالم بجميع المعلومات وقيل يعلم ما يمكرونه في امر الرسول فيبطل امرهم ويظهر امره ودينه (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) هذا تهديد لهم بانهم سوف يعلمون من تكون له عاقبة الجنة حين يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار وقيل معناه وسيعلمون لمن العاقبة المحمودة لكم ام لهم

اذا اظهر الله دينه (ويقول الذين كفروا) لك يا محمد (لست مرسلا) من جهة الله تعالى الينا (قل) لهم (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) اي كفى الله شاهداً بيني وبينكم بما اظهر من الآيات وابان من الدلالات على نبوتي (ومن عنده علم الكتاب) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان من عنده علم الكتاب هو الله عن الحسن والضحاك وسعيد بن جبير واختاره الزجاج قال ويدل عليه قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب ﴿ والثاني ﴾ ان المراد به مؤمنو اهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري عن ابن عباس وقتادة ومجاهد واختاره الجبائي وانكر الأولون هذا القول بأن قالوا السورة مكية وهؤلاء اسلموا بعد الهجرة ﴿ والثالث ﴾ ان المراد به علي بن ابي طالب وأئمة الهدى (ع) عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وروي عن بريد بن معاوية عن ابي عبد الله انه قال ايانا عنى وعلي اولنا وافضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه عبد الله بن كثير انه وضع يده على صدره ثم قال عندنا والله علم الكتاب كملا ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي انه قال ما احد اعلم بكتاب الله بعد النبي من علي بن ابي طالب (ع) ومن الصالحين من اولاده وروى عاصم بن ابي النجود عن ابي عبد الرحمن السلمي قال ما رأيت احدا اقرأ من علي بن ابي طالب (ع) للقرآن وروى ابو عبد الرحمن ايضا عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت اعلم أن احداً اعلم بكتاب الله مني لأتيته قال فقلت له فعلي قال اولم آته

(سورة ابراهيم)

قال ابن عباس وقتادة والحسن هي مكية إلا آيتان نزلتا في قتلى بدر من المشركين الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً الى قوله فبئس القرار

﴿ عدد آيها ﴾

خمس وخمسون آية شامي اربع حجازي آيتان كوفي آية بصري

﴿ اختلافها ﴾ سبع آيات الى النور في الموضعين حجازي شامي وعاد وثمود حجازي بصري وخلق جديد كوفي شامي والمدني الاول وفرعها في السماء غير المدني الاول والليل والنهار غير البصري عما يعمل الظالمون شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة ابراهيم (ع) والحجر اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وبعدد من لم يعبدها وروى عيينة بن مصعب عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة ابراهيم والحجر في ركعتين جميعا في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الرعد باثبات الرسالة وانزال الكتاب افتتح هذه السورة ببيان الغرض في الرسالة والكتاب فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (١) آلر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (٢) ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٣) ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ثلاث آيات عراقي واربع آيات حجازي شامي

القراءة

الله الذي بالرفع مدني شامي والباقون بالجر

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالجر جعله بدلا من الحميد ولم يكن صفة لأن الاسم وان كان مصدرا في الأصل والمصادر يوصف بها كما يوصف باسماء الفاعلين فكذلك كان هذا الاسم في الاصل الإله ومعناه ذو العبادة اي العبادة تجب له قال ابو زيد التأله التنسك وانشد لرؤبة « سبحن واسترجعن عن تألهي » فهذا في انه في الاصل مصدر قد وصف به مثل السلام والعدل الا ان هذا الاسم غلب حتى صار في الغلبة لكثرة استعمال هذا الاسم كالعلم وقد يغلب ما اصله الصفة فيصير بمنزلة العلم قال

ونابغة الجعدي بالرمل بيته عليه صفيح من تراب وجندل

والأصل النابغة ولما غلب نزع منه الألف واللام كما ينزع من الاعلام نحو زيد وجعفر وربما استعمل في هذا النحو الوجهان قال

تقعدهم اعراق حذيم بعدما رجا الهتم ادراك العلى والمكارم

وقال « وجلت عن وجوه الأهاتم » ومن قرأ بالرفع قطعه من الأول وجعل الذي الخبر او جعله صفة واضمر الخبر ومثل ذلك في القطع قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب من قطع ورفع جعل قوله لا يعزب عنه خبرا لقوله عالم الغيب والشهادة ومن جر اجرى عالم الغيب صفة على الاول وعلى هذا يجوز من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن اي ان شئت جعلت هذا صفة لقوله من مرقدنا واضمرت خبرا لقوله ما وعد الرحمن وان شئت جعلت قوله هذا ابتداء وما وعد الرحمن خبرا

اللغة

العزيز القادر على الاشياء الممتنع بقدرته من ان يضام والحميد المحمود على كل حال والاستحباب طلب محبة الشيء بالتعرض لها والمحبة ارادة منافع المحبوب وقد يستعمل بمعنى ميل الطباع والشهوة والبغية والابتغاء الطلب

المعنى

(آلر) قد ذكرنا معاني الحروف المقطعة في اوائل السور وذكرنا اختلاف الاقاويل فيه في اول البقرة (كتاب انزلناه اليك) يعني القرآن نزل به جبرئيل (ع) من عند الله تعالى اي هذا كتاب منزل اليك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليس بسحر ولا بشعر (لتخرج الناس) اي جميع الخلق (من الظلمات الى النور) اي من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الايمان (بإذن ربهم) اي باطلاق الله ذلك وامره به وفي هذا دلالة على انه سبحانه

يريد الإيمان من جميع المكلفين لأن اللام لام الغرض ولا يجوز ان يكون لام العاقبة لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين والمعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما النور فقال (الى صراط العزيز الحميد) اي يخرجهم من ظلمات الكفر الى طريق الله المؤدي الى معرفة الله المنيع في سلطانه المحمود في فعاله ونعمه التي انعم بها على عباده (الله الذي له ما في السماوات وما في الارض) اي له التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه (وويل للكافرين من عذاب شديد) اخبر ان الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله ولا يعترفون بوحدانيته من عذاب تتضاعف الآمه ثم وصف الكافرين بقوله (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) اي يختارون المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة وإنما دخلت على لهذا المعنى وذمهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار انتقال وفناء والآخرة دار مقام وبقاء (ويصدون عن سبيل الله) اي يمنعون غيرهم من اتباع الطريق المؤدي الى معرفة الله ويجوز ان يريد انهم يعرضون بنفوسهم عن اتباعها (ويبغونها عوجاً) اي يطلبون للطريق عوجا اي عدولا عن الاستقامة والسبيل يذكر ويؤنث وقيل معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد الا بطاعته دون معصيته (أولئك في ضلال بعيد) اي في عدول عن الحق بعيد عن الاستقامة والصواب

قوله تعالى (٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٦) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ثلاث آيات عراقي وأربع في غيرهم

اللغة

التذكير التعريض للذكر الذي هو خلاف السهو والصبار كثير الصبر

الإعراب

ان اخرج يحتمل ان تكون ان بمعنى اي على وجه التفسير ويصلح ان تكون ان التي توصل بالافعال الا انها وصلت ههنا بالأمر والتأويل الخبر كما تقول انت الذي فعلت والمعنى انت الذي فعل. يسومونكم سوء العذاب جملة في موضع الحال

المعنى

ثم بين سبحانه انه إنما يرسل الرسل الى قومهم بلغتهم ليكون اقرب الى الفهم واقطع للعذر فقال (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) اي لم يرسل فيما مضى من الازمان رسولا الا بلغة قومه حتى اذا بين لهم فهموا عنه ولا يحتاجون الى من يترجمه عنه وقد ارسل الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب بدلالة قوله وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا قال الحسن امتن الله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه لم يبعث رسولا الا الى قومه وبعثه خاصة الى جميع الخلق وبه قال مجاهد وقيل ان معناه انا كما ارسلناك الى العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم انهم يبينونه للناس كذلك ارسلنا كل رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال (فيضل الله من يشاء) عن طريق الجنة اذا كانوا مستحقين للعقاب (ويهدي من يشاء) الى طريق الجنة وقيل يلطف لمن يشاء ممن له لطف ويضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر وتدبر اهتدى وثبته

الله ومن اعرض عنه خذله الله (وهو العزيز الحكيم) ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه ارساله موسى فقال (ولقد ارسلنا موسى (ع) فقال (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) اي بالمعجزات والدلالات (ان اخرج قومك) اي بأن اخرج قومك (من الظلمات الى النور) مر معناه اي امرناه بذلك وانما اضاف الاخراج اليه لأنهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر الى الإيمان (وذكرهم بايام الله) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه وامرناه بأن يذكر قومه وقائع الله في الأمم الخالية واهلاك من اهلك منهم ليحذروا ذلك عن ابن زيد والبلخي ويعضده قول عمرو بن كلثوم

وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا

فيكون المعنى الايام التي انتقم الله فيها من القرون الاولى ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى ذكرهم بنعم الله سبحانه في سائر ايامه عن ابن عباس وابي بن كعب والحسن ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) ﴿ والثالث ﴾ انه يريد بايام الله سننه وافعاله في عباده من انعام وانتقام وكنى بالأيام عنهما لأنها ظرف لهما جامعة لكل منهما عن ابي مسلم وهذا جمع بين القولين المتقدمين (ان في ذلك) التذكير (لآيات لكل صبار شكور) اي دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله والشكر على نعمائه وإنما جمع بينهما لأن حال المؤمن لا يخلو من نعمة يجب شكرها او محنة يجب الصبر عليها فالشكر والصبر من خصال المؤمنين فكأنه قال لكل مؤمن ولأن التكليف لا يخلو من الصبر والشكر (وإذ قال موسى لقومه) والتقدير واذكر يا محمد اذ قال موسى لهم (اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم) اي في الوقت الذي انجاكم (من آل فرعون يسومونكم) اي يذيقونكم سوء العذاب (ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) اي يستبقونهن احياء للاسترقاق (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) والآية مفسرة في سورة البقرة قال الفراء وإنما دخلت الواو هنا للعطف لأنهم كانوا يعذبون انواعاً من العذاب سوى الذبح فجاز العطف فإذا سدلنا الواو كان يذبحون تفسيرا للعذاب

قوله تعالى (٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٨) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٩) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (١٠) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ اربع آيات في الكوفي خمس آيات في غيرهم لم يعد الكوفي ثمود آية

﴿ اللغة ﴾

التأذن الاعلام يقال أذن وتأذن ومثله اوعد توعد قال الحرث بن حلزة

أذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

والنبأ الخبر عما يعظم شأنه يقال لهذا الأمر نبأ عظيم اي شأن ونبأ الله محمداً أو تنبأ مسيلمة الكذاب ادعى

النبوة والريب أخبث الشك والمريب المتهم وهو الذي يأتي بما فيه التهمة يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبة

الاعراب

قوم نوح وما بعده مجرور بأنه بدل من قوله الذين من قبلكم وفاطر مجرور بأنه صفة لله في قوله أفي الله شك ومن في قوله من ذنوبكم للتبعيض وقيل ان من زائدة عن ابي عبيدة وانكر سيبويه زيادتها في الإيجاب

المعنى

لما تقدم ذكر النعمة اتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال (وإذ تأذن ربكم) التقدير واذكر إذ أعلم ربكم عن الحسن والبلخي وقيل معناه وإذ قال لكم ربكم عن ابن عباس وقيل اخبر ربكم عن الجبائي (لئن شكرتم لأزيدنكم) أي لئن شكرتم لي على نعمي لأزيدنكم في النعم (ولئن كفرتم) أي جحدتم نعمتي (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي وقال ابو عبد الله (ع) في هذه الآية ايما عبد انعمت عليه نعمة فأقر بها بقلبه وحمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزيادة (وقال موسى ان تكفروا) أي تجحدوا نعم الله سبحانه (انتم ومن في الأرض جميعاً) من الخلق لم تضروا الله شيئاً وإنما يضركم ذلك بان تستحقوا عليه العقاب (فإن الله) سبحانه (لغني) عن شكركم (حميد) في افعاله وقد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجور في حكمه او يرد على نبي من انبيائه فإن الله سبحانه قد انعم على خلقه في جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على صحته وعرض بالنظر فيها للثواب الجزيل (ألم يأتكم) قيل ان هذا الخطاب متوجه إلى أمة نبينا ﷺ فذكرت باخبار من تقدمها من الأمم وقيل انه من قول موسى «ع» لأنه متصل به في الآية المتقدمة والمعنى ألم يجئكم (نبأ الذين من قبلكم) أي أخبار من تقدمكم (قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات إلا الله قال ابن الانباري ان الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها فانقطعت اخبارهم وعفت آثارهم فليس يعرفهم احد إلا الله وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون وقيل ان النبي ﷺ كان لا يجاوز في انتسابه معد بن عدنان فعلى هذا يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله مبتدأ وخبراً (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالأدلة والحجج والأحكام والحلال والحرام (فردوا أيديهم في افواههم) اختلفوا في معناه على أقوال ﴿ أحدها ﴾ ان معناه عضوا على اصابعهم من شدة الغيظ لأنه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود وابن عباس والجبائي ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه جعلوا أيديهم في افواه الأنبياء تكذيبا لهم وردا لما جاؤوا به فالضمير في ايديهم للكفار وفي أفواههم للأنبياء فكأنهم لم يسمعوا وعظ الأنبياء وكلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تسكيتا لهم عن الحسن ومقاتل ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه وضعوا أيديهم على أفواههم مومين بذلك إلى الرسل ان اسكتوا عما تدعوننا اليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيته عن الكلبي فيكون على هذا القول الضميران للكفار ﴿ ورابعها ﴾ ان كلا الضميرين للرسل أي أخذوا أيدي الرسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم لما يئسوا منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي والأفواه على الحقيقة ومن حملها على التوسع والمجاز فاختلفوا في معناه فقيل المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج والمعنى فردوا حججهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الافواه عن ابي مسلم وقيل ان المعنى ردوا ما جاءت به الرسل وكذبوهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه تركوا ما امروا به وكفروا عن قبول الحق عن ابي عبيدة والأخفش قال القتيبي ولم يسمع احد ان العرب تقول رد يده في فيه بمعنى ترك ما امر به وانما المعنى انهم عضوا على الأيدي حنقا وغيظا كقول الشاعر « يردون في فيه عشر الحسود » يعني انهم يغيظون الحسود حتى

يعض على اصابعه العشر وقال آخر

قد افنى أنامله ازمه فأضحى يعض علي الوظيفا

وقيل المعنى ردوا بأفواههم نعم الرسل أي وعظهم وبيانهم فوقع في موقع الباء عن مجاهد قال الفراء انشدني بعضهم

وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست ارغب

قال أراد ارغب بها يعني بنتاله يقول ارغب بها عن لقيط وقبيلته (وقالوا إنا كفرنا) أي جحدنا (بما أرسلتم به) أي برسالاتكم (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه) من الدين (مريب) متهم أي يوقعنا في الريب بكم انكم تطلبون الرئاسة وتفترون الكذب (قالت رسلهم) حينئذ لهم (أفي الله شك) مع قيام الأدلة على وحدانيته وصفاته (فاطر السموات والأرض) أي خالقها ومنشئها لا يقدر على ذلك غيره فوجب ان يعبد وحده ولا يشرك به من لا يقدر على اختراع الأجسام (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي يدعوكم إلى الايمان به لينفعكم لا ليضركم وقال من ذنوبكم بمعنى ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنه يغفر ما دون الشرك ولا يغفر الشرك وقال الجبائي دخلت من للتبعيض ووضع البعض موضع الجميع توسعا (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يؤخركم إلى الوقت الذي ضربه الله لكم أن يميتكم فيه ولا يؤاخذكم بعاجل العقاب (قالوا) أي قال لهم قومهم (ان انتم) أي ما انتم (إلا بشر مثلنا) أي خلق مثلنا (تريدون أن تصدونا) أي تمنعونا (عما كان يعبد آباؤنا) من الأصنام والاوثان (فأتونا بسلطان مبين) أي بحجة واضحة على صحة ما تدعونه وبطلان ما نحن فيه وانما قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا ان جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزة ولا دلالة وقيل انهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيما بينهم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر والشرك وانما يريد الخير والايمان وانه انما بعث الرسل إلى الكفار رحمة وفضلا وانعاما عليهم ليؤمنوا فانه قال يدعوكم ليغفر لكم

قوله تعالى (١١) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ آيتان

(المعنى)

ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال (قالت لهم رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم) في الصورة والهيئة ولسنا ملائكة (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) أي ينعم عليهم بالنبوة وينبئهم بالمعجزة فلقد منَّ الله علينا واصطفانا وبعثنا أنبياء (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان) أي بحجة على صحة دعوانا (إلا باذن الله) أي بأمره واطلاقه لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) المصدقون به وبأنبيائه (وما لنا الا نتوكل على الله) معناه واي شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوض أمورنا اليه وعلى هذا تكون ما للاستفهام وقيل ان معناه ولا وجه لنا ولا عذر لنا في ان لا نتوكل على الله ولا نثق به فتكون ما للنفي وإذا كانت للاستفهام فمعناه النفي أيضا (وقد هدانا سبلنا) أي عرفنا طريق التوكل وقيل معناه هدانا إلى سبيل الايمان ودلنا على معرفته ووفقنا لتوجيه العبادة اليه وان لا نشرك به شيئا وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب والمراد انا إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا ان لا نتوكل على الله (ولنصبرن على ما آذيتمونا) فانه تعالى يكفينا امركم وينصرنا عليكم (وعلى الله

فليتوكل المتوكلون) وانما قص هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ليقتدي بمن كان قبله من المرسلين في تحمل اذى المشركين والصبر على ذلك والتوكل وروى الواقدي باسناده عن ابي مريم عن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من الماء فاقرأ عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقل فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فإنك تبيت تلك الليلة آمنا من شرها

قوله تعالى (١٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٤) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٥) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٦) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٧) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٨) مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . خمس آيات

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن واستفتحوا وقراءة ابن ابي اسحاق في يوم عاصف بالاضافة

الحجة

قوله واستفتحوا معطوف على ما سبق من قوله فأوحى اليهم ربهم أي وقال لهم استفتحوا أي استنصروا الله عليهم واستقضوه بينكم وفي الحديث كان (ص) يستفتح بصعاليك المهاجرين أي يستنصر بهم وقيل معناه انه يقدمهم ويبدأ امره بهم وكأنهم انما سموا القاضي فتاحا لأنه يفتح باب الحق الذي هو منسد فيعمل عليه واما قوله في يوم عاصف فمعناه في يوم ريح عاصف فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وكذلك في قراءة الجماعة في يوم عاصف العاصف هو الريح لا اليوم

اللغة

الاستفتاح طلب الفتح بالنصر . والخيبة اخلاف ما قدر به المنفعة وضده النجاح وهو ادراك الطلبة والجبرية طلب علو المنزلة بما ليس له غاية في الوصف وإذا وصف العبد بأنه جبار كان ذما واذا وصف الله سبحانه به كان مدحا لأن له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة والعنيد مبالغة العاند والعناد الامتناع من الحق مع العلم به كبرا وبغيا قال

إذا نزلت فاجعلاني وسطا ... اني كبير لا اطيق العندا

والوراء والخلف واحد وهو الجهة المقابلة لجهة القدام وقد يكون وراء بمعنى قدام قال

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا

قال الزجاج الوراء ما يوارى عنك وليس من الاضداد قال النابغة

حلفت ولم اترك لنفسي ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

والصديد القيح يسيل من الجرح أخذ من انه يُصد عنه تكرها له والقيح دم مختلط بمدة وقوله صديد بيان للماء الذي يسقون فلذلك اعرب باعرابه والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار والإساغة اجراء الشراب

في الحلق يقال ساغ الشيء واسغته انا والاشتداد الاسراع بالحركة على أعظم القوة يقال اشتد به الوجع من هذا لأنه اسرع اليه على قوة ألمه ويوم عاصف شديد الريح والعصف شدة الريح وانما جعل العصف صفة لليوم لأنه يقع فيه كما يقال ليل نائم ويوم ماطر ويجوز ان يكون المراد يوم عاصف ريحه ومثله جحر ضب خرب أي خرب جحره

﴿ الإعراب ﴾

أو في قوله او لتعودن بمعنى إلا ان كما يقال لا اكلمك اوتدعوني وقال الفراء لا يكاد يستعمل فيما يقع وفيما لا يقع فما يقع مثل قوله ولا يكاد يسيغه وما لم يقع مثل قوله لم يكد يراها لأن المعنى لم يرها . مثل الذين كفروا تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء ويجوز أن يكون مثل مقحما كأنك قلت الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء واعمالهم رفع على البدل وهو بدل الاشتمال وكرماد الخبر

﴿ المعنى ﴾

(وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا) أي من بلادنا (او لتعودن في ملتنا) اي الا ان ترجعوا إلى ادياننا ومذاهبنا التي نحن عليها (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) أي فأوحى الله إلى رسله لما ضاقت صدورهم بما لقوا من قومهم انا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي نسكننكم ارضهم من بعدهم يريد اصبروا فاني اهلك عدوكم واورثكم أرضهم وفي معناه ماجاء في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك لمن خاف مقامي) أي ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب والجزاء بين يدي في الموضع الذي اقيمه فيه واضاف المقام إلى نفسه لأنهم يقومون بأمره (وخاف وعيد) أي عقابي وانما قالوا أو لتعودن في ملتنا وهم لم يكونوا على ملتهم قط اما لأنهم توهموا على غير حقيقة انهم كانوا على ملتهم واما لانهم ظنوا بالنشوء انهم كانوا عليها (واستفتحوا) أي طلبت الرسل الفتح والنصر من قبل الله تعالى على الكفار عن مجاهد وقتادة وقيل هو سؤالهم ان يحكم الله بينهم وبين اممهم لأن الفتح الحكم والفتاح الحاكم عن الجبائي (وخاب كل جبار عنيد) أي خسر كل متكبر معاند مجانب للحق دافع له وقيل معناه واستفتح الكفار العذاب الذي توعدهم به الأنبياء على جهة التكذيب لهم (من ورائه جهنم) أي جهنم بين يدي هذا الجبار عن الزجاج أي له مع الخيبة نار جهنم بين يديه وقيل معناه من خلفه وانما جاز في الزمان ان يسمى الأمام وراء وان لم يجز في غيره لأن الزمان المستقبل كأنه خلفهم لأنه يأتي فيلحقهم كما يلحق الإنسان من خلفه (ويسقى من ماء صديد) أي ويسقى مما يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النار عن ابي عبد الله (ع) واكثر المفسرين أولونه لون الماء وطعمه طعم الصديد وروى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد قال يقرب اليه فيكرهه فإذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين يوما فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقا على الله ان يسقيه من طينة خبال وهو صديد اهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه أهل النار فيصهر به ما في بطونهم والجلود رواه شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق(ع) عن آبائه(ع) عنه صلى الله عليه وآله وسلم (يتجرعه) اي يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقارب أن يشربه تكرها له وهو يشربه والمعنى ان نفسه لا تقبل لحرارته ونتنه ولكن يكره عليه (ويأتيه الموت من كل مكان) أي تأتيه شدائد الموت وسكراته من كل موضع من جسده ظاهره وباطنه حتى تأتيه من اطراف شعره عن ابراهيم التيمي وابن جريج وقيل يحضره الموت من كل موضع ويأخذه من كل جانب من فوقه ومن تحته وعن يمينه

وشماله ومن قدامه وخلفه عن ابن عباس والجبائي (وما هو بميت) أي ومع اتيان أسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وانواع العذاب التي كان يموت بدونها في الدنيا لا يموت فيستريح وهذا كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا (ومن ورائه) أي وراء هذا الكافر (عذاب غليظ) وهو الخلود في النار وقيل معناه ومن بعد هذا العذاب الذي سبق ذكره عذاب أشد وأوجع مما تقدم عن الكلبي ثم اخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسرة فيما تكلفوه من الاعمال فقال (مثل الذين كفروا بربهم) وقيل ان معناه مثل اعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه عن الفراء وقيل معناه مما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيبويه (أعمالهم) في قلة انتفاعهم بها (كرماد اشتدت به الريح) اي ذرته ونسفته (في يوم عاصف) اي شديد الريح فكما لا يقدر احد على جمع ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار (لايقدرون مما كسبوا على شيء) اي لا يقدرون على الانتفاع باعمالهم ومثل قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ان عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النفع وقيل الخطأ البعيد عن الصواب عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة لأنه أضاف العمل اليهم ولو كان مخلوقا له سبحانه لما صح اضافته اليهم

قوله تعالى (١٩) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (٢٠) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢١) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ثلاث آيات في الكوفي والمدني الاول آيتان عند غيرهم

القراءة

قرأ خالق السموات ههنا وفي النور اهل الكوفة غير عاصم والباقون خلق

الحجة

قال ابو علي من قرأ خلق فلأن ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضي ومن قرأ خالق على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السموات لأن فاطر بمعنى خالق

اللغة

البروز خروج الشيء عما كان ملتبسا به إلى حيث يقع عليه الحس يقال برز للقتال إذا ظهر له . الضعفاء جمع ضعيف والضعف نقصان القوة يقال اضعفه فضعف والاستكبار والتكبر والتجبر واحد وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف والتبع جمع تابع كالغيب جمع غائب قال الزجاج ويجوز ان يكون مصدرا وصف به فيكون بمعنى ذوي تبع واغنى عنه اي دفع عنه فأغناه اي نفى الحاجة عنه بما فيه كفايته وحاص يحيص حيصا وحيوصا مثل حاد والحيد الزوال عن المكروه والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر قال

فإن تصبرا فالصبر خير مغبة وإن تجزعا فالأمر ما تريان

المعنى

ثم بين سبحانه انه إنما خلق الخلق ليعبدوه وليؤمنوا به لا ليكفروا فقال (ألم تر) اي ألم تعلم لأن الرؤية قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الادراك للبصر وههنا لا يمكن ان يكون بمعنى الرؤية بالبصر والخطاب

للنبي ﷺ والمراد به الأمة (ان الله خلق السموات والارض) على ما تقتضيه الحكمة والخلق فعل الشيء على تقدير وترتيب (بالحق) أي بقوله الحق وقيل اراد للحق اي للغرض الصحيح والامر الحق وهو الدين والعبادة أي ليعبدوه فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس والجبائي (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي ان يشأ يهلككم ويفنكم ويخلق قوما آخرين مكانكم لأن من قدر على بناء الشيء كان على هدمه اقدر إذ لم يخرج عن كونه قادرا (وما ذلك على الله بعزيز) أي وما اهلاككم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر على الله تعالى (وبرزوا لله جميعا) أخبر سبحانه ان الخلق يبرزون يوم القيامة لله أي يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله فاللفظ للماضي والمراد به الاستقبال للتحقيق وصحة الوقوع وقيل معناه سيبرزون لله جميعا القادة والأتباع عن ابن عباس وهو يتصل بقوله ولا يكاد يسيغه . لما تقدم ذكر الوعيد بين صفة ذلك اليوم وما يجري بين الاتباع والمتبوعين من المجادلة وقال (فقال الضعفاء للذين استكبروا) اي تكبروا عن الايمان فلم يؤمنوا وهم القادة في الدنيا الذين هم الأكابر والرؤساء والقادة في الدين الذين هم علماء السوء (انا كنا لكم تبعا) في الكفر على وجه التقليد (فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) اي هل انتم دافعون عنا شيئا من عذاب الله الذي قد نزل بنا ان لم تقدروا على دفع الكل ومن للتبعيض (قالوا لو هدينا الله لهديناكم) اي قال المتبوعون للاتباع لو هدانا الله الى طريق الخلاص من العقاب والوصول الى النعيم والثواب لهديناكم الى ذلك والمعنى لو خلصنا لخلصناكم ايضا لكن لا مطمع فيه لنا ولكم عن الجبائي وابي مسلم وقيل معناه لو هدانا الله الى الرجعة الى الدنيا فنصلح ما افسدناه لهديناكم وقيل لو هدانا الله باجابتنا الى الطلب لهديناكم بالمسألة له سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضي عبد الجبار في تفسيره (سواء علينا اجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) يعني ان الصبر والجزع سيان مثلان ليس لنا محيص ولا مهرب من عذاب الله اي انقطعت حيلتنا ويئسنا من النجاة . حث الله سبحانه في هذه الآية على النظر وحذر من التقليد والى هذا اشار امير المؤمنين علي (ع) في قوله للحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله تعالى (٢٢) وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية

القراءة

قرأ حمزة وحده بمصرخي بكسر الياء والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي قال الفراء في كتابه في التصريف هو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب قال وزعم القاسم بن معن انه صواب قال وكان ثقة بصيرا وزعم قطرب انه لغة من بني يربوع يزيدون على ياء الاضافة ياء وانشد

ماض اذا ما هم بالمضي قال لها هل لك يا تافي قالت له ما انت بالمرضي

وانشد الفراء ذلك ايضا ووجه ذلك من القياس ان الياء ليست تخلو من ان تكون في موضع النصب او الجر فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما وكالكاف في اكرمتك وهذا لك فكما ان الهاء قد لحقتها الزيادة في هذا لهو واكرمتهو ولحقت ايضا الكاف الزيادة في قول من قال اعطيتكاه واعطيتكيه فيما حكاه سيبويه وهما اختا الياء

كذلك الحقوا الياء الزيادة في المد فقالوا فييّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال له ارّقان وزعم ابو الحسن انها لغة فكما حذفت الزيادة من الكاف في قول من قال اعطيتكه واعطيتكه كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء وبالجملة حذفت الزيادة من الياء كما حذفت من اختيها واقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليها من الكسرة وكما لحقت الكاف والهاء والياء الزيادة كذلك لحقت التاء الزيادة نحو «رميتيه فاصميتيه وما اخطأت رَّميتَهُ» فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة وإن كان غيرها افشى منها وعضده من القياس ما ذكرناه لم يجز لقائل ان يقول ان القراءة بذلك لحن لاستفاضة ذلك في السماع والقياس قال البصير كسر الياء ليكون طبقا لكسرة همزة قوله اني كفرت لأنه اراد الوصل دون الوقف والابتداء باني كفرت لأن الابتداء بأني كفرت محال فلما اراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها

❋ اللغة ❋

الاصراخ الاغاثة باجابة الصارخ ويقال استصرخني فلان فاصرخته أي استغاث بي فأغثته

— المعنى —

لما تقدم وعيد الكافر وصفة يوم الحشر وما يجري فيه من الجدال بين الاتباع والمتبوعين عقب ذلك سبحانه بكلام الشيطان في ذلك اليوم فقال (وقال الشيطان) وهو ابليس باتفاق المفسرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه (لما قضي الأمر) أي فرغ من الحكم بين الخلائق ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن ابن عباس والحسن وقالا انه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن وهو احقر واذل من ان يخاطب لولا ان الله اذن فيه توبيخا لأهل النار وقيل انه يوضع له منبر في النار فيرقاه ويجتمع الكفار عليه باللائمة عن مقاتل (ان الله وعدكم وعد الحق) من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب (ووعدتكم) ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وقيل ووعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي (فأخلفتكم) أي كذبتكم وقيل لم اوف لكم بما وعدتكم (وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم) اي وما كان لي عليكم سلطان بالاكراه والاجبار على الكفر والمعاصي وانما كان لي سبيل الوسوسة والدعوة (فاستجبتم لي) بسوء اختياركم وقيل معناه ما اظهرت لكم حجة احتج بها عليكم إلا ان دعوتكم فيكون هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه لكن دعوتكم إلى الضلال واغويتكم فصدقتموني واجبتموني وقبلتم مقالتي بسوء اختياركم لأنفسكم فلا تلوموني على ما حل بكم من العقاب بسوء اختياركم (ولوموا أنفسكم) حيث عدلتم عن امر الله إلى اتباعي من غير دليل وبرهان (ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي) اي ما انا بمغيثكم ولا معينكم وما انتم بمغيثي ولا معيني (اني كفرت بما اشركتمون من قبل) أي كفرت الآن بما كان من اشراككم اياي مع الله في الطاعة اي جحدت ان اكون شريكا لله تعالى فيما اشركتموني فيه من قبل هذا اليوم وقال الفراء وجماعة تقديره اني كفرت بما اشركتموني به اي بالله ويعني بقوله من قبل في وقت آدم (ع) حين امر بالسجود فأبى واستكبر (ان الظالمين لهم عذاب اليم) قيل انه من تمام قول الشيطان لأهل النار وقيل انه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم وهو الأظهر وفي هذه الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على اكثر من الدعاء والاغواء وانه ليس عليه إلا عقاب الدعوة فحسب

قوله تعالى (٢٣) وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٤) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ (٢٥) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ

رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٦) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ اربع آيات في الكوفي والبصري وثلاث آيات عند الباقين وتمام الثانية في السماء

(القراءة)

في الشواذ قراءة الحسن وادخل الذين آمنوا برفع اللام

— الحجة —

قال ابن جني هذه القراءة على ان ادخل من كلام الله كأنه قطع الكلام واستأنف فقال الله وانا ادخل المؤمنين جنات وعلى هذا فقوله باذن ربهم أي باذني إلا انه اعاد ذكر الرب ليضيفه اليهم فيكون اذهب في الاكرام والتقريب منه لهم

= اللغة =

التحية التلقي بالكرامة في المخاطبة واما قوله التحيات لله فإن في ذلك ثلاثة أقوال ﴿ اولها ﴾ المعنى ان الملك لله يقال حياك الله أي ملكك ﴿ وثانيها ﴾ البقاء لله يقال حياك الله أي ابقاك الله فيكون بمعنى احياك الله كما يقال وصى واوصى ومهل وامهل ﴿ وثالثها ﴾ ان ذلك بمعنى السلام قال القتيبي وانما جمع لأنه كان في الارض ملوك يحيون بتحيات مختلفة فيقال لبعضهم أبيت اللعن ولبعضهم اسلم وانعم ولبعضهم عش الف سنة فقيل لنا قولوا التحيات لله اي كل الالفاظ التي يحيا بها الملوك هي لله والاجتثاث اقتلاع الشيء من اصله يقال جثه واجتثه والجثة اخذت منه

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال (وادخل الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات) اي الطاعات (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) قد سبق معناه (باذن ربهم) أي بأمر ربهم واطلاقه (تحيتهم فيها سلام) مر تفسيره في سورة يونس ثم ضرب الله سبحانه مثلا يقرب من افهام السامعين ترغيبا للخلق في اتباع الحق فقال (ألم تر) اي ألم تعلم يا محمد (كيف ضرب الله مثلا) اي بين الله شبها ثم فسر ذلك المثل فقال (كلمة طيبة) وهي كلمة التوحيد شهادة ان لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل هي كل كلام امر الله تعالى به من الطاعات عن ابي علي قال وانما سماها طيبة لأنها زاكية نامية لصاحبها بالخيرات والبركات (كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء) اي شجرة زاكية نامية راسخة اصولها في الأرض عالية أغصانها وثمارها في السماء واراد به المبالغة في الرفعة والاصل سافل والفرع عال الا انه يتوصل من الاصل إلى الفرع وروى انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان هذه الشجرة الطيبة هي النخلة وقيل انها شجرة في الجنة عن ابن عباس وروى ابن عقدة عن ابي جعفر (ع) ان الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرعها علي (ع) وعنصر الشجرة فاطمة وثمرتها اولادها واغصانها واوراقها شيعتنا ثم قال (ع) ان الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وان المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة وروي عن ابن عباس قال قال جبريل (ع) للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. انت الشجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها وقيل اراد بتلك شجرة هذه صفتها وان لم يكن لها وجود في الدنيا لكن الصفة معلومة وقيل ان المراد بالكلمة الطيبة الإيمان وبالشجرة الطيبة المؤمن (تؤتي اكلها) أي تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها (كل حين) أي في كل ستة اشهر عن ابن عباس وابي جعفر (ع) وقال الحسن وسعيد بن جبير أراد بذلك انه يؤكل ثمرها في الصيف وطلعها في الشتاء. وما بين صرام النخلة إلى حملها

ستة اشهر وقال مجاهد وعكرمة كل حين اي كل سنة لأنها تحمل في كل سنة مرة وقال سعيد بن المسيب في كل شهرين لأن من وقت ما يطعم النخل إلى صرامه يكون شهرين وقيل لأن من وقت ان يصرم النخل إلى حين يطلع يكون شهرين وقال الربيع عن انس كل حين اي كل غدوة وعشية وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وقيل معناه في جميع الأوقات لأن ثمر النخل يكون اولا طلعا ثم يصير بلحا ثم بسرا ثم رطبا ثم تمرا فيكون ثمره موجودا في كل الاوقات ويدل على ان الحين بمنزلة الوقت قول النابغة في صفة الحية والملدوغ

يبادرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه حيناً وحيناً تراجع

يعني ان السم يخف ألمه وقتا ويعود وقتا وقيل انه سبحانه شبه الايمان بالنخلة لثبات الايمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في منبتها وشبه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النخلة وشبه ما يكسبه المؤمنون من بركة الايمان وثوابه في كل وقت وحين بما ينال من ثمرة النخلة في اوقات السنة كلها من الرطب والتمر وقيل ان معنى قوله تؤتي اكلها كل حين (باذن ربها) ما يفتي به الأئمة من آل محمد ﷺ وشيعتهم في الحلال والحرام (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) أي لكي يتدبروا فيعرفوا الغرض بالمثل (ومثل كلمة خبيثة) وهي كلمة الكفر والشرك عن ابن عباس وغيره وقيل هو كل كلام في معصية الله تعالى عن ابي علي (كشجرة خبيثة) غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عباس وانس ومجاهد وقيل انها شجرة هذه صفتها وهو انه لا قرار لها في الارض عن الحسن وقيل انها الكشوث عن الضحاك وروى ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) ان هذا مثل بني امية (اجتثت من فوق الأرض) اي اقتطعت واستؤصلت واقتلعت جثته من الارض (ما لها من قرار) اي ما لتلك الشجرة من ثبات فإن الريح تنسفها وتذهب بها فكما ان هذه الشجرة لا ثبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها احد فكذلك الكلمة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب وروي عن ابن عباس ايضا انها شجرة لم يخلقها الله بعد وانما هو مثل ضربه بهذا وهذا القول حسن لأن الحنظل وغيره قد ينتفع بذلك في الأدوية

قوله تعالى (٢٧) يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ (٢٩) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٣٠) وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ أربع آيات

اللغة

الاحلال وضع الشيء في محل اما بمجاورة ان كان من قبيل الاجسام أو بمداخلة ان كان من قبيل الاعراض والبوار الهلاك يقال بار الشيء يبور بوراً إذا هلك ورجل بور أي هالك وقوم بور ايضاً قال ابن الزبعرى

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

والانداد الامثال المنادون قال

تهدى رؤوس المترفين الانداد ... إلى امير المؤمنين الممتاد

الإعراب

جهنم انتصب على البدل من قوله دار البوار ويصلونها في موضع نصب على الحال من قومهم وان شئت كان حالا من جهنم وان شئت فمنها كقوله تحمله بعد قوله فأتت به قومها

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبة والكرامة فقال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اي يثبتهم في كرامته وثوابه بالقول الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالحجج والأدلة وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الحق ويثبتهم بها حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الجنة وقيل معناه يثبتهم بالتمكين في الارض والنصرة والفتح في الدنيا وباسكانهم الجنة في الآخرة عن ابي مسلم وقال اكثر المفسرين ان المراد بقوله في الآخرة في القبر والآية وردت في سؤال القبر وهو قول ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن أئمتنا (ع) وروى محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي باسناده عن سويد بن غفلة عن امير المؤمنين علي (ع) قال ان ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول والله اني كنت عليك لحريصاً شحيحاً فمالي عندك فيقول خذمني كفنك فيلتفت إلى ولده فيقول والله اني كنت لكم لمحبا وعليكم لمحامياً فماذا لي عندكم فيقولون نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها قال فيلتفت إلى عمله فيقول والله اني كنت فيك لزاهدا وإن كنت علي لثقيلا فماذا لي عندك فيقول أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى اعرض أنا وأنت على ربك قال فإن كان لله ولياً اتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً فقال أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح أرتحل من الدنيا إلى الجنة وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان يعجله فاذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الارض بأنيابهما أصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ فيقولان ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا إلى الجنة ثم يقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا قال وإذا كان لربه عدوا فإنه يأتيه أقبح خلق الله زيا وأنتنه ريحاً فيقول أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وانه ليعرف غاسله ويناشد حملته ان يحتبسوه فإذا ادخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا أكفانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربان نافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله من دابة إلا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار ثم يقولان له نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القناة من الزج حتى ان دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر نعوذ بالله من عذاب القبر (ويضل الله الظالمين) أي ويضلهم عن هذا التثبيت في الدنيا وفي الآخرة (ويفعل الله ما يشاء) من الامهال والانتقام وضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير لا اعتراض عليه في ذلك ولا قدرة لأحد على منعه وهذا من تمام الترغيب والترهيب ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) يحتمل ان يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد ﷺ أي عرفوا محمداً ثم كفروا به فبدلوا مكان الشكر كفراً وروي عن الصادق (ع) انه قال نحن والله نعمة الله التي انعمها أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز. ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره ويحتمل ان يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوها أقبح التبديل إذ جعلوا مكان شكرها الكفر بها واختلف في المعنى بالآية فروي عن امير المؤمنين علي «ع» وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد انهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة وسأل رجل امير المؤمنين علياً «ع» عن هذه الآية فقال هم الافجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين واما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وقيل انهم جبلة بن الايهم ومن اتبعوه من

العرب تنصروا ولحقوا بالروم (واحلوا قومهم دار البوار) أي أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن اخرجوهم إلى بدر وقيل معناه أنزلوهم دار الهلاك وهي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي واغوائهم اياهم (جهنم يصلونها وبئس القرار) وهذا تفسير لدار البوار يعني ان تلك الدار هي جهنم يدخلونها وبئس القرار قرار من قراره النار (وجعلوا لله أنداداً) أي وجعل هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمة الله كفراً لله نظراء وامثالاً في العبادة زيادة على كفرهم وجحدهم (ليضلوا عن سبيله) اي ليكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذي هو الهلاك وليست هذه اللام لام الغرض لأنهم لم يعبدوا الأوثان من دون الله وغرضهم ان يهلكوا ومن قرأ ليضلوا بضم الياء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل) لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم (تمتعوا) وانتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا والمراد به التهديد وان كان بصورة الامر (فإن مصيركم) أي مرجعكم ومآلكم (إلى النار) والكون فيها وكان قد يكون

قوله تعالى (٣١) قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣٢) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٣) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٤) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

أربع آيات في الكوفي والمدني ثلاث في غيرهم

﴿ القراءة ﴾

قرأ زيد عن يعقوب من كل ما سألتموه بالتنوين وهو قراءة ابن عباس والحسن ومحمد بن علي الباقر (ع) وجعفر ابن محمد الصادق (ع) والضحاك وعمرو بن قائد وقرأ سائر القراء من كل ما سألتموه بالإضافة

(الحجة)

اما القراءة بالتنوين فإن المفعول فيها ملفوظ به اي واتاكم ما سألتموه من كل شيء سألتموه أن يؤتيكم منه وقال الضحاك ان ما للنفي معناه وآتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه أما القراءة على الإضافة فالمفعول فيها محذوف اي وآتاكم سؤلكم من كل شيء سألتموه

﴿ اللغة ﴾

الخلال مصدر خاللته مخاللة وخلالا أي صادقته قال امرؤ القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ... ولست بمقلي الخلال ولا قال

وقد يكون الخلال جمع خلة ويكون مثل قلة وقلال والدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه يقال دأب يدأب دأبا ودؤوبا فهو دائب

﴿ الاعراب ﴾

يقيموا جزم من ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ انه جواب الأمر الذي هو قل لأن المعنى في قل ان تقل لهم يقيموا الصلاة ﴿ والثاني ﴾ انه جواب امر محذوف وتقديره قل لعبادي أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة ﴿ والثالث ﴾ انه على حذف لام الأمر كأنه قال قل لعبادي ليقيموا الصلاة وإنما جاز حذف اللام هنا لأن في الكلام دليلا

على المحذوف ألا ترى ان لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمراً وان شئت قلت قل لزيد يضرب عمراً ولا يجوز ان تقول يضرب زيد عمراً بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هنا عوض منها إذا حذفتها وقوله لا بيع فيه ولا خلال ان شئت رفعت البيع والخلال جميعاً وان شئت فتحتهما وان شئت فتحت احدهما ورفعت الآخر. وقد شرحنا ذلك فيما مضى

المعنى

(قل) يا محمد (لعبادي الذين آمنوا) اي اعترفوا بتوحيد الله وعدله عنى به أصحاب النبي ﷺ عن ابن عباس وقيل اراد به جميع المؤمنين عن الجبائي (يقيموا الصلاة) اي يؤدوا الصلوات الخمس لمواقيتها فإن الصلاة لا تصير قائمة إلا باقامتهم (وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي وقل لهم ينفقوا من اموالهم في وجوه البر من الفرائض والنوافل ينفقون في النوافل سراً ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الرياء وفي الفرائض علانية ليدفعوا تهمة المنع (من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه) يعني يوم القيامة والمراد بالبيع اعطاء البدل ليتخلص به من النار لا ان هناك مبايعة (ولا خلال) أي ولا مصادقة وهذا مثل قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ثم بين سبحانه انه المستحق للإلهية فقال (الله الذي خلق السموات والأرض) اي انشأهما من غير شيء وبدأ بذكرهما لعظم شأنهما في القدرة والنعمة (وأنزل من السماء ماء) اي غيثاً ومطراً (فأخرج به) اي بذلك الماء (من الثمرات رزقاً لكم) يعني ان الغرض في ذلك ان يؤتيكم أرزاقكم (وسخر لكم الفلك) اي السفن والمراكب (لتجري في البحر بأمره) أي بأمر الله لأنها تسير بالرياح والله هو المنشئ للرياح (وسخر لكم الأنهار) التي تجري بالمياه التي ينزلها من السماء ويجريها في الأودية وينصب منها في الانهار (وسخر لكم الشمس والقمر) اي ذلل لمنافعكم الشمس والقمر في سيرهما لتنتفعوا بضوء الشمس نهاراً وبضوء القمر ليلا وليبلغ بها الثمار والنبات في النضج الحد الذي عليه تتم النعمة فيهما (دائبين) اي دائمين لا يفتران في صلاح الخلق والنباتات ومنافعهم (وسخر لكم الليل والنهار) أي ذللهما لكم ومهدهما لمنافعكم لتسكنوا في الليل ولتبتغوا في النهار من فضله (وآتاكم من كل ما سألتموه) معناه ان الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى ويسأله النجاة فيعطى ويسأله الغنى فيعطى ويسأله الولد والعز فيعطى ويسأله تيسير الأمور وشرح الصدور فيعطى فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التي لا تحصى كثرة عن الله الذي هو في كل حال محتاج اليه وهو مظاهره بالنعم عليه ودخلت من للتبعيض لأنه لو قال وآتاكم كل ما سألتموه لاقتضى ان جميع ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى والامر بخلافه لأن ما فيه مفسدة لا يعطيه الله اياه وتقديره وآتاكم من كل ما سألتم شيئاً وقيل معناه وآتاكم من كل ما بكم اليه حاجة فما من شيء يحتاج اليه العباد الا وهو موجود فيما بينهم وهو كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا ولم يخصص كل واحد من الخلق بإيتاء كل ما سأله وقيل معناه وآتاكم من كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما ههنا نكرة موصوفة والجملة صفة له وحذف الجملة المعطوفة وهي لم تسألوه كقوله سرابيل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد وان فيما أبقى دليلاً على ما ألقى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) اي لا تقدروا على احصائها لكثرتها والنعمة هنا اسم اقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع فبين سبحانه انه هو المنعم على الحقيقة وانه المستحق للعبادة ويروى عن طليق بن حبيب انه قال ان حق الله تعالى اثقل من ان يقوم به العباد فإن نعم الله اكثر من ان تحصيها العباد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين (ان الانسان لظلوم) اي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كثير الكفران لنعم ربه وقيل معناه ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ولم يرد بالإنسان هاهنا العموم بل هو مثل ما في قوله والعصر ان الإنسان لفي خسر

النظم

اتصل قوله سبحانه قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة بما تقدم من قوله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى

النار فانه عقب ذلك بالأمر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم ومرافقة الأبرار ليكون قد عقب الوعيد بالوعد والعقاب بالثواب واتصلت الآية الثانية بقوله وجعلوا لله أنداداً فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الانداد لله سبحانه بين بعده ان واجب الوجود المستحق للإلهية الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السموات والأرض الآية

قوله تعالى (٣٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٦) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٧) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٨) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٩) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٤٠) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤١) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ سبع آيات

القراءة

في الشواذ قراءة الجحدري والثقفي وابي الجحجاح واجنبني بقطع الهمزة وقرأ امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» وابو جعفر الباقر (ع) وجعفر بن محمد «ع» ومجاهد تهوى اليهم بفتح الواو وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وهبيرة عن حفص وتقبل دعائي ربنا بإثبات الياء في الوصل وفي رواية البزي عن ابن كثير انه يصل ويقف بياء وقال قيل انه يشم الياء في الوصل ولا يثبتها ويقف عليها بالألف والباقون دعاء بغير ياء وقرأ الحسن بن علي «ع» وابو جعفر محمد بن علي «ع» والزهري وابراهيم النخعي ولولديّ وقرأ يحيى بن يعمر ولَوَلَدي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي

(الحجة)

يقال جنبت الشيء اجنبه جنوباً ومن العرب من يقول اجنبته اجنبه أي تجنبته عن الشيء وكأن معنى قوله اجنبني وبني ان نعبد الأصنام اصرفني وإياهم عن عبادة الأصنام ومعنى اجنبني اجعلني كالجنيب عن ذلك واما قوله تهوى اليهم بفتح الواو فهو من هويت الشيء أهواه إذا احببته وإنما جاز تعديته بإلى لأن معنى هويت الشيء ملت اليه فكأنه قال تميل اليهم فهو محمول على المعنى ومثله قوله سبحانه احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم فعدى الرفث بإلى وانت لاتقول رفثت إلى فلانة وإنما تقول رفثت بها او معها ولكنه لما كان معنى الرفث هنا معنى الإفضاء عداه بإلى فكأنه قال أحل لكم الافضاء إلى نسائكم قال ابن جني المعنى في قراءة الجماعة تهوى اليهم تميل اليهم أي تحبهم فهذا في المعنى كقولهم هو ينحط في هواك اي يخلد اليه ويقيم عليه وذلك ان الانسان إذا أحب الشيء اكثر من ذكره واقام عليه وإذا كرهه خف إلى سواه وقولهم هويت فلانا من لفظ هوى إلى الشيء يهوي إلا انهم خالفوا بين المثالين لاختلاف ظاهر الأمرين وإن كانا على معنى واحد متلاقيين واما من وصل دعائي بياء فهو القياس من شم الياء في الوصل ولا يثبتها فلدلالة الكسرة على الياء قال ابو علي حذف الياء في الوقف اقيس من حذفها في الوصل لأن الوقف موضع تغيير يغير فيه الحرف الموقوف عليه كثيراً قال الاعشى

فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان يأتين

وقال

ومن شانئ كاسف وجهه إذا ما انتسبت له انكرن

ومن قرأ لولدي فإنه يعني اسماعيل واسحاق ومن قرأ لوُلدي فإن الولد قد يكون واحداً وجمعاً تقول العرب ولدك من دمّي عقبيك ومعناه ولدك من ولدته فسال دمك على عقبيك عند ولادته لا من اتخذته ولداً وإذا كان جمعاً فيجوز ان يكون جمع ولد فهو كأُسد وأَسد ويجوز ان يكون جمع ولد أيضاً فيكون مثل الفلك في انه جمع الفلك

اللغة

الوادي سفح الجبل العظيم ومنها قيل للأنهار العظام أودية لأن حافاتها كالجبال لها ومنه الدية لأنه مال عظيم يحتمل في امر عظيم

المعنى

(وإذ قال ابراهيم) معناه واذكر يا محمد إذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمنا) يعني مكة وما حولها من الحرم وقيل ان ابراهيم(ع) لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة وإنما قال هناك بلداً آمناً وقال هنا هذا البلد آمناً معرفا لأن النكرة إذا تكررت وأعيدت صارت معرفة ومثله في التنزيل فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب فاستجاب الله دعاء ابراهيم«ع» حتى كان الإنسان يرى قاتل أبيه فيها فلا يتعرض له ويدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم (واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) أي والطف لي ولبني لطفاً نتجنب به عن عبادة الأصنام ودعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجابا فعلى هذا يكون سؤاله ذلك مخصوصاً بمن علم الله من حاله ان يكون مؤمنا لا يعبد إلا الله ويكون الله سبحانه قد أذن له في الدعاء لهم واستجاب دعاءه فيهم (رب انهن أضللن كثيراً من الناس) معناه ضل بسببهن وعبادتهن كثير من الناس كما يقال فتنتني فلانة يعني افتتنت بحبها لا لأنها عملت شيئاً وكما في قول الشاعر

هبوني امرأ منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير

وإنما اراد ضل بعيره لأن احدالا يضل بعيره قاصدا الى اضلاله (فمن تبعني فإنه مني) يريد فمن تبعني من ذريتي الذين اسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فإنه من جملتي وحاله كحالي (ومن عصاني فإنك غفور رحيم) اي ساتر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع احوالهم منعم عليهم ثم حكى سبحانه تمام دعاء ابراهيم (ع) وانه قال (ربنا اني اسكنت من ذريتي) أي اسكنت بعض اولادي ولا خلاف انه يريد اسماعيل (ع) مع امه هاجر وهو اكبر ولده وروي عن الباقر«ع» انه قال نحن بقية تلك العترة وقال كانت دعوة ابراهيم «ع» لنا خاصة (بواد غير ذي زرع) يريد وادي مكة وهو الابطح وانما قال غير ذي زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ولم يذكر مفعول اسكنت لأن من يفيد بعض القوم كما يقال قتلنا من بني فلان واكلنا من الطعام وكما قال سبحانه افيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله وتقديره اسكنت من ذريتي اناساً أو ولداً عن البلخي (عند بيتك المحرم) انما اضاف البيت اليه سبحانه لأنه مالكه لا يملكه احد سواه وما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد ويسأل فيقال كيف سماه بيتاً ولم يبنه ابراهيم «ع» بعد والجواب من وجهين ﴿احدهما﴾ انه لما كان من المعلوم انه يبنيه سماه بيتاً والمراد عند بيتك الذي مضى في سابق علمك كونه ﴿والثاني﴾ ان البيت قد كان قبل ذلك وانما خربه طسم وجديس وقيل انه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان وإنما سماه المحرّم لأنه لا يستطيع أحد الوصول اليه إلا بالاحرام وقيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع والملابسة بشيء من الاقذار والدماء وقيل معناه العظيم الحرمة (ربنا

ليقيموا الصلاة) أي اسكنتهم هذا الوادي ليداوموا على الصلاة ويقيموا بشرائطها واللام تتعلق بقوله اسكنت وفصل بينه وبين ما تعلق بقوله ربنا لأن الفصل بالنداء مستحب في هذا وإذا جاء نحو قوله

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب

أي اندل المال يا زريق ففصل بالنداء بين المصدر وما تعلق به كان هذا أولى (فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم) هذا سؤال من ابراهيم «ع» ان يجعل الله قلوب الخلق تحن إلى ذلك الموضع ليكون في ذلك انس لذريته بمن يرد عليهم من الوفود وليدر أرزاقهم على مرور الأوقات ولولا لطفه سبحانه بامالة قلوب الناس اليه اما للدين كالحج والعمرة واما للتجارة لما صح ان يعيش ساكنوه قال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال من الناس فهم المسلمون وروى مجاهد انه قال ان ابراهيم «ع» لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وروى الفضل بن يسار وغيره عن الباقر «ع» انه قال إنما امر الناس ان يطوفوا بهذه الاحجار ثم ينفروا الينا فيُعلمونا ولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآية وقيل ان معنى تهوي اليهم ينزع اليهم ويميل عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه وينزل ويهبط اليهم لأن مكة في غور عن ابي مسلم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) أي لكي يشكروا لك ويعبدوك (ربنا انك تعلم مانخفي ومانعلن) هذا اعتراف من ابراهيم «ع» لله سبحانه بأنه يعلم ما يبطن الخلق وما يظهرونه وانه لا يخفى عليه شيء مافي الارض والسماء وقيل ان قوله (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) إنما هو اخبار منه سبحانه بذلك وابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن ابراهيم«ع» بل هو اعتراض عن الجبائي قال ثم عاد إلى حكاية كلام ابراهيم«ع» فقال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق) وهذا اعتراف منه بنعم الله سبحانه وحمد له على احسانه بأن وهب له على الكبر كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم «ع» إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) اي قابله ومجيبه عن ابن عباس ويؤيده قوله سمع الله لمن حمده (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) تقديره واجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفعل لأن ما قبله يدل عليه وهذا سؤال من ابراهيم (ع) من الله تعالى بأن يلطف له اللطف الذي عنده يقيم الصلاة ويتمسك بالدين وان يفعل مثل ذلك بجماعة من ذريته وهم الذين اسلموا منهم فسأل لهم مثل ما سأل لنفسه (ربنا وتقبل دعاء) اي واجب دعائي فإن قبول الدعاء انما هو الاجابة وقبول الطاعة الاثابة (ربنا اغفر لي ولوالدي) واستدل اصحابنا بهذا على ما ذهبوا اليه من ان ابوي ابراهيم (ع) لم يكونا كافرين لأنه انما يسأل المغفرة لهما يوم القيامة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لأنه قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فصح ان أباه الذي كان كافرا انما هو جده لأمه او عمه على الخلاف فيه ومن قال انما دعا لأبيه لأنه كان وعده ان يسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه على ما روى الحسن فقوله فاسد لأن ابراهيم (ع) انما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر وبعد ان وهب له اسماعيل واسحاق وقد تبين له في هذا الوقت عداوة أبيه الكافر لله فلا يجوز ان يقصده بدعائه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) اي واغفر للمؤمنين ايضا يوم يقوم الخلق للحساب وقيل معناه يوم يظهر وقت الحساب كما يقال قامت السوق

النظم

اتصلت الآيات بما قبلها لأن النهي عن عبادة الأصنام والأمر بعبادة الله سبحانه قد تقدم فبين الله سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه ابراهيم (ع) من التشدد في انكار عبادة الأصنام والدعاء بما دعا به وقيل إنه معطوف على ما تقدم من قوله ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وقيل إنه لما قال وآتاكم من كل ما سألتموه بين

عقيبه ما دعا به ابراهيم (ع) وسأله اياه واجابته لدعائه وسؤاله

قوله تعالى (٤٢) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (٤٣) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (٤٤) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٥) وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ

أربع آيات

❋ اللغة ❋

الاهطاع الاسراع قال

في مهطع سرع كأن زمامه ... في رأس جذع من أراك مشذب

وقال آخر

بدجلة أهلها ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين الى السماع

اي مسرعين وقيل ان الاهطاع مد العنق والمهطع طول العنق قال احمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع لا يقلع بصره والاقناع رفع الرأس وقال الزجاج المقنع الرافع والمقنع المرتفع قال الشماخ

يباكرن العضاه بمقنعات ... نواجذهن كالحدإ الوقيع

اي كالفؤوس المحدبة يصف ابلا ترعى الشجر والطرف مصدر طرفت عين فلان اذا نظرت وهو ان ينظر ثم يغمض والطرف العين ايضا وأفئدتهم هواء اي متجوفة لا تعي شيئا للخوف والفزع شبهها بهواء الجو قال حسان

الا ابلغ ابا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواء

وقال زهير

كأن الرحل منها فوق صعل ... من الظلمان جؤجؤه هواء

والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد

❋ الإعراب ❋

يوم يأتيهم نصب على انه مفعول به والعامل فيه أنذرهم ولا يكون على الظرف لأنه لم يؤمر بالانذار في ذلك اليوم. فيقول عطف على يأتيهم وليس جواب الأمر لأنه لو كان جوابا له لجاز فيه النصب والرفع فالنصب مثل قول الشاعر

يا ناق سيري عنقا فسيحا ... الى سليمان فنستريحا

والرفع على الاستئناف وتبين لكم كيف فعلنا بهم فاعل تبين محذوف اي تبين لكم فعلنا بهم ولا يكون الفاعل كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولأن كيف لا يخبر عنه وانما يخبر به و كيف هنا منصوب بقوله فعلنا

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه وبين انه لا يهمل الظالمين عن غفلة لكن لتأكيد الحجة قال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) وفي هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ومعناه ولا تظنن الله ساهيا عن مجازاة الظالمين على اعمالهم وقيل ان تقديره ولا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على افعالهم ولا ينتصف للمظلومين منهم (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) ومعناه انما يؤخر عقابهم ومجازاتهم الى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون فيه الابصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف عن الجبائي وقيل تشخص ابصارهم الى اجابة الداعي حين يدعوهم عن الحسن وقيل تبقى ابصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير والرعب (مهطعين) اي مسرعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وقيل يريد دائمي النظر الى ما يرون لا يطرفون عن ابن عباس ومجاهد (مقنعي رؤوسهم) اي رافعي رؤوسهم الى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيامة وقال مؤرج معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش (لا يرتد اليهم طرفهم) اي لا ترجع اليهم اعينهم ولا يطبقونها ولا يغمضونها وانما هو نظر دائم (وأفئدتهم هواء) اي قلوبهم خالية من كل شيء فزعا وخوفا عن ابن عباس وقيل خالية من كل سرور وطمع في الخير لشدة ما يرون من الاهوال كالهواء الذي بين السماء والارض وقيل معناه وأفئدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت الى حلوقهم لا تخرج ولا تعود الى اماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل معناه خالية عن عقولهم عن الأخفش (وانذر الناس) معناه ودم يا محمد على انذارك الناس وهو عام في كل مكلف عن الجبائي وابي مسلم وقيل معناه وخوف أهل مكة بالقرآن عن ابن عباس والحسن (يوم يأتيهم العذاب) وهو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل هو يوم المعاينة عند الموت والأول اظهر (فيقول الذين ظلموا) نفوسهم بارتكاب المعاصي (ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك) اي ردنا الى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة نجب دعوتك فيها (ونتبع الرسل) اي نتبع رسلك فيما يدعوننا اليه فيقول الله تعالى مخاطبا لهم او يقول الملائكة بأمره (او لم تكونوا اقسمتم) اي حلفتم (من قبل) في دار الدنيا (ما لكم من زوال) اي ليس لكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة عن مجاهد وقيل معناه من زوال من الراحة الى العذاب عن الحسن وفي هذه دلالة على ان أهل الآخرة غير مكلفين خلافا لما يقول النجار وجماعة لأنهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم اخرنا الى أجل قريب وجه ولكان ينبغي لهم أن يؤمنوا فيتخلصوا من العقاب اذا كانوا مكلفين (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) هذا زيادة توبيخ لهم وتعنيف اي وسكنتم ديار من كذب الرسل قبلكم فاهلكهم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب المعجل عن ابن عباس والحسن ومساكنهم دورهم وقراهم وقيل أنهم عاد وثمود وقيل هم المقتولون ببدر (وضربنا لكم الامثال) وبينا لكم الاشباه واخبرناكم باحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بها فلم تعتبروا ولم تتعظوا وقيل الامثال ما ذكر في القرآن مما يدل على انه تعالى قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء والابتداء وقيل هي الامثال المنبهة على الطاعة الزاجرة عن المعصية عن الجبائي وفي هذه الآيات دلالة على ان الايمان من فعل العبد اذ لو كان من فعل الله تعالى لم يكن لتمني العود الى الدنيا معنى

قوله تعالى (٤٦) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٧) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٨) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٩) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٥٠) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٢) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥٢) هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ سبع آيات

القراءة

قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية والباقون لتزول بكسر اللام الأولى ونصب الثانية وفي الشواذ عن علي(ع) وعمرو بن مسعود وابي بن كعب وان كاد مكرهم لتزول وقرأ زيد عن يعقوب من قطر ان على كلمتين منونتين وهو قراءة ابي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي وقتادة وعيسى الهمداني والربيع وقرأ سائر القراء قطران

(الحجة)

قال ابو علي من قرأ لتزول بالنصب فإنّ ان هي النافية فيكون مثل قوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب فمعناه وما كان مكرهم لتزول منه الجبال والجبال كأنه أمر النبي ﷺ واعلامه ودلائله اي ماكان مكرهم لتزول منه ماهو مثل الجبال في امتناعه ممن أراد ازالته ومن قرأ لتزول كانت ان هي المخففة من الثقيلة على تعظيم امر مكرهم بخلاف القراءة الاولى فيكون كقوله ومكروا مكرا كبارا اي قد كان مكرهم لعظمه و كبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من أراد ازالتها وثباتها ومثل هذا في التعظيم للأمر قول الشاعر

ألم تر صدعا في السماء مبينا ... على ابن لبينى الحارث بن هشام

وقال

بكى الحارث الجولان من خوف ربه ... وحوران منه خاشع متضائل

وقال اوس

ألم تكسف الشمس شمس النهار ... مع النجم والقمر الواجب

ويدل على ان الجبال يعني بها أمر النبي ﷺ قوله بعد فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي فقد وعد الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله ليظهره على الدين كله وقوله للذين كفروا ستغلبون وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا الموضع في تعظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل

إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى ... لها شاعرا مثلي اطبّ واشعرا

واكثر بيتا شاعراً ضربت به ... بطون جبال الشعر حتى تيسرا

ومن قرأ وإن كاد مكرهم لتزول فهي مخففة من الثقيلة ايضا فتقديره وانه كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال ابن جني القطر الصفر والنحاس وهو ايضا الفلز رويناه عن قطرب وهو ايضا الصاد ومنه قدور

الصاد أي قدور الصفر والآني الذي قد أنى وأدرك انى الشيء يأني أنيا وأناً مقصور ومنه قوله عز سبحانه غير ناظرين اناه أي بلوغه وادراكه قال ابو علي ومنه الاناء لأنه الظرف الذي قد بلغ غايته المرادة منه من حرز وصياغة ونحو ذلك قال أمية

وسليمان إذ يسيل له القطـ ـر على ملكه ثلاث ليال

وأما القطران ففيه ثلاث لغات قطران على فلان وقطران بفتح القاف واسكان الطاء وقطران بكسر القاف واسكان الطاء والأصل فيها قطران فاسكنا على ما يقال في كلمة كلمة وكلمة لغة تميمية قال ابو النجم

جون كأن العرق المنتوحا ألبسه القطران والمسوحا

وقال

كأن قطران إذا تلاها ترمي به الريح إلى مجراها

﴿ اللغة ﴾

البروز الظهور والأصفاد جمع الصفد وهو الغل الذي يقرن به اليد الى العنق ويجوز أن يكون السلسلة التي يقع بها التقرين والتقرين جمع الشيء الى نظيره والقران الحبل يقرن بـه شيئان يقال صفدته بالحديد واصفدته وصفدته قال عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

ومنه اصفدته اصفادا إذا اعطيته مالا والصفد العطية وهو من الأول لأن العطية تصفد المودة وتقيدها والى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله «ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا» والاختيار في الحديد صفدته وفي العطية اصفدته قال الأعشى

تضيفته يوما فقرب مجلسي واصفدني على الزمانة قائدا

ومعناه واعطاني قايدا وقال النابغة في الصفد الذي هو العطية

هذا الثناء فإن تسمع لقائله فما عرضت ابيت اللعن للصفد

والسربال القميص قال امرؤ القيس

ومثلك بيضاء العوارض طفلة لعوب تنسيني إذا قمت سربالي

والبلاغ الكفاية ومنه البلاغة وهو البيان الكافي والبليغ هو الذي يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره

﴿ الإعراب ﴾

مخلف وعده رسله اضافة مخلف الى وعده اضافة غير محضة لأنها في تقدير الانفصال ووعده وإن كان مجروراً في اللفظ فإنه منصوب في المعنى لأنه مفعول في المعنى فإن الإخلاف يقتضي مفعولين يقال اخلفت زيدا وعده فعلى هذا يكون تقديره مخلفا وعده رسله وقيل انه قرأ في الشواذ مخلف وعـده بالنصب رسله بالجر وهي رديئة للفصل بين المضاف والمضاف اليه وأنشدوا في ذلك « فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مراده» ومعناه فزججتها زج ابي مرادة القلوص والعامل في قوله يوم تبدل الارض قوله مخلف وعده او انتقام أي ينتقم ذلك اليوم او يكون محذوفا على تقدير واذكر يوم تبدل الارض وإن شئت جعلته نعتا لقوله يوم يقوم

الحساب والارض مرفوعة على ما لم يسم فاعله وغير منصوب على انه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم خاتما آخر إذا كسر وصيغ صيغة أخرى وقد تقول بدل زيد إذا تغير حاله

﴿ المعنى ﴾

ثم ابان سبحانه عن مكر الكفار ودفعه ذلك عن رسله «ع» تسلية لنبينا ﷺ فقال (وقد مكروا مكرهم) أي وقد مكروا بالأنبياء قبلك ما أمكنهم من المكر كما مكروا بك فعصمهم الله من مكرهم كما عصمك وقيل عنى به كفار قريش الذين دبروا في أمر النبي ﷺ واحتالوا عليه ومكروا بالمؤمنين وخدعوهم (وعند الله مكرهم) أي جزاء مكرهم فحذف المضاف كما حذف من قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم أي جزاؤه يريد وقد عرف الله مكرهم فهو يجازيهم عليه (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) اى ولم يكن مكرهم ليبطل حجج القرآن وما معك من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليل والبرهان والمعنى لا تزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذي هو أثبت من الجبال وعلى القراءة الأخرى فالمعنى ان مكرهم وإن بلغ كل مبلغ فلا يزيل دين الله تعالى على ما تقدم بيانه ولا يضر ذلك أنبياءه ولا يزيل امرهم ولاسيما امر محمد ﷺ فإنه أثبت من الجبال وقد قيل ان المراد به نمرود بن كوش بن كنعان حين أخذ التابوت وأخذ اربعة من النسور فأجاعها اياما وعلق فوقها لحما وربط التابوت اليها وطارت النسور بالتابوت وهو ووزيره فيه الى أن بلغت حيث شاء الله تعالى وظن انه بلغ السماء ففتح باب التابوت من اعلاه فرأى بعد السماء منه كبعدها حين كان في الارض وفتح بابا من اسفل التابوت فرأى الارض قد غابت عنه فهاله الأمر فصوب النسور وسقط التابوت وكانت له وجبة عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) اي فلا تظنن الله عز اسمه مخلفا رسله ما وعدهم به من النصر والظفر بالكفار والظهور عليهم (إن الله عزيز) اي ممتنع بقدرته من ان ينال باهتضام وهو من الكفار (ذوانتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) قيل فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان المعنى تبدل صورة الارض وهيئتها عن ابن عباس فقد روي عنه انه قال تبدل آكامها وآجامها وجبالها واشجارها والارض على حالتها وتبقى ارضا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وتبدل السماوات فيذهب بشمسها وقمرها ونجومها وكان ينشد

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف

ويعضده ما رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ قال يبدل الله الارض غير الارض والسماوات فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها ﴿والآخر﴾ أن المعنى تبدل الارض وتنشأ ارض غيرها والسماوات كذلك تبدل بغيرها وتفنى هذه عن الجبائي وجماعة من المفسرين وفي تفسير أهل البيت «ع» بالاسناد عن زرارة ومحمد بن مسلم وحمران بن أعين عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السلام قالا تبدل الارض خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وهو قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وروى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ﷺ انه قال يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد

وروي عن ابن مسعود انه قال تبدل الارض بنار فتصير الارض كلها يوم القيامة نارا والجنة من ورائها يرى كواعبها واكوابها ويلجم الناس العرق ولم يبلغ الحساب بعد وقال كعب تصير السماوات جنانا ويصير مكان البحر النار وتبدل الارض غيرها وروي عن ابي ايوب الانصار قال أتى النبي ﷺ حبر من اليهود فقال أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات فأين الخلق عند ذلك فقال اضياف الله فلن يعجزهم ما لديه وقيل تبدل الارض لقوم بأرض الجنة ولقوم بأرض النار وقال الحسن يحشرون على الارض الساهرة وهي ارض غير هذه وهي ارض الآخرة وفيها تكون جهنم وتقدير الكلام وتبدل السماوات غير السماوات إلا انه حذف لدلالة الظاهر عليه (وبرزوا لله) اي يظهرون من ارض قبورهم للمحاسبة لا يسترهم شيء وجعل ذلك بروزا لله لأن حسابهم معه وإن كانت الأشياء كلها بارزة له لا يسترها عنه شيء (الواحد) الذى لا شبه له ولا نظير (القهار) المالك الذي لا يضام يقهر عباده بالموت الزؤام (وترى المجرمين) يعني الكفار عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر لأنه تقدم ذكرهم (يومئذ) أي يوم القيامة (مقرنين في الأصفاد) اي مجمعين في الاغلال قرنت ايديهم بها الى اعناقهم وقيل يقرن بعضهم الى بعض عن الجبائي وقيل مشدودين في قرن اي حبل من الأصفاد والقيود عن ابي مسلم وقيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضله في غل من حديد عن ابن عباس والحسن ويبينه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم اي قرناءهم من الشياطين وقوله وإذا النفوس زوجت (سرابيلهم) اي قمصهم (من قطران) وهو ما يطلى به الابل شيء اسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم لتكون اسرع اليهم وابلغ في الاشتعال وأشد في العذاب عن الحسن والزجاج وقيل نحاس او صفر مذاب قد انتهى حره عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وجوز الجبائي على القراءتين ان يسربلوا سربالين احدهما من القطران والآخر من القطر الآني (وتغشى وجوههم النار) اي وتصيب وجوههم النار لا قطران عليها (ليجزي الله كل نفس بما كسبت) اللام تعلقت بما تقدم اخبر سبحانه انه إنما فعل ذلك بهم لتجزى كل نفس بما كسبت ان كسبت خيرا بأن آمنت وأطاعت أثابها الله بالنعيم المقيم وان كسبت شرا بأن كفرت وجحدت عاقبها بالعذاب الأليم في نار الجحيم (إن الله سريع الحساب) اي سريع المجازاة وقد سبق بيانه (هذا بلاغ للناس) هو اشارة الى القرآن عن ابن عباس والحسن وابن زيد وغيرهم أي هذا القرآن عظة للناس بالغة كافية وقيل هو اشارة الي ما تقدم ذكره اي هذا الوعيد كفاية لمن تدبره من الناس والاول هو الصحيح (ولينذروا به) اي أنزل ليبلغوا وينذروا به وليخوفوا بما فيه من الوعيد (وليعلموا انما هو إله واحد) لاشريك له بالنظر في أدلة التوحيد التي بيّنها الله في القرآن (وليذكر أولوا الألباب) اي وليتعظ به أهل العقول وذوو النهى وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس اليه في أمور الدين لأن جميع أمور الدين جملها وتفاصيلها يعلم بالقرآن اما بنفسه واما بواسطة فيجب على المؤمن المجتهد المهتم بأمور الدين أن يشمر عن ساق الجد في طلب أمور القرآن ويصدق عنايته بمعرفة ما فيه من بدائع الحكمة ومواضع البيان مكتفيا به عما سواه لينال السعادة في دنياه وعقباه وفي قوله وليعلموا انما هو إله واحد دلالة على انه سبحانه أراد من الناس علم التوحيد خلافا لأهل الجبر في قولهم انه سبحانه أراد من النصارى اثبات التثليث ومن الزنادقة القول بالتثنية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفي قوله ليذكر دلالة على انه اراد من

الجميع التدبر والتذكر وعلى ان العقل حجة لأن غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الثانية بقوله وعند الله مكرهم اي فلا تحسبوا ان الله يخلف وعده بل يجازيهم وينصر رسله وقيل اتصلت بقوله إنما يؤخرهم اي فلا تحسبوه مخلف وعده في العقوبة للكفار بل ان شاء أخر وإن شاء عجل واتصل قوله يوم تبدل الارض غير الارض بقوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي لا يخلفهم وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل المراد به انه ذو انتقام من الكفار ذلك اليوم واتصل قوله ليجزي الله كل نفس بما كسبت بقوله يوم تبدل الارض

(سورة الحجر)

مكية في قول قتادة ومجاهد وقال الحسن إلا قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين وهي تسع وتسعون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

أبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة ابراهيم «ع» بذكر القرآن وانه بلاغ وكفاية لأهل الإسلام افتتح هذه السورة بذكر القرآن وانه مبين للأحكام فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (٢) رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٣) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٤) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٥) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وعاصم ربما يود خفيفة الباء والباقون بالتشديد وروى محمد بن حبيب الشموني عن الاعشى عن ابي بكر ربتما بالتاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي انشد ابو زيد

ماوي بل ربتما غارة شعواء كاللذعة بالميسم

وأنشد ايضا

يا صاحبا ربت إنسان حسن يسأل عنك اليوم أو تسأل عن

وقال السكري ربما وربما وربتما وربتما ورب ورب ست لغات قال سيبويه رب حرف ويلحقها ما على وجهين * احدهما * ان يكون نكرة بمعنى شيء وذلك كقوله

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

فما في هذا البيت اسم لما يقدر من حذف الضمير اليه من الصفة والمعنى رب شيء تكرهه النفوس وإذا عاد اليه الهاء كان اسما ولم يجز أن يكون حرفا كما ان قوله أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين لما عاد اليه الذكر علمت بذلك انه اسم وقوله فرجة يرتفع بالظرف في قول الناس جميعا ولا يرتفع بالابتداء وقد يقع ايضا لفظة من بعد رب في مثل قوله

الا رب من تغتشه لك ناصح ومؤتمن بالغيب غير امين

فكما دخلت رب على من وكانت نكرة في معنى شيء كذلك تدخل على ما والآخر ان تدخل كافة كما في الآية ونحو قول الشاعر

ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات

والنحويون يسمون ما هذه كافة يريدون انها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذي كان له وهيأته لدخوله على ما لم يكن يدخل عليه الا ترى ان رب انما تدخل على الاسم المفرد نحو رب رجل كريم يقول ذلك وربه رجلا يقول ذلك ولا يدخل على الفعل فلما دخلت ما عليها سوغت لها الدخول على الفعل فمن ذلك قوله ربما يود الذين كفروا فوقع الفعل بعدها في الآية وهو على لفظ المضارع ووقع في قوله ربما اوفيت في علم على لفظ الماضي وهكذا ينبغي في القياس لأنها تدل على أمر قد مضى وإنما وقع في الآية على لفظ المضارع لأنه حكاية لحال آتية كما ان قوله ان ربك ليحكم بينهم حكاية لحال آتية ومن حكاية الحال قول القائل

جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث بالإيماض

ومن زعم ان الآية على اضمار كان وتقديره ربما كان يود فقد خرج بذلك عن قول سيبويه ألا ترى ان كان لا يضمره ولم يجز عبد الله المقتول وانت تريد كن عبد الله المقتول فأما اضمارها بعد ان في قولهم ان خيرا فخير فإنما جاز ذلك لاقتضاء الحرف له فصار اقتضاء الحرف له كذكره فأما ما أنشده ابن حبيب لنبهان ابن مسور

لقد رزيت كعب بن عوف وربما فتى لم يكن يرضى بشيء يضيمه

فإن قوله فتى في ربما فتى يحتمل ضروبا * احدها * ان يكون لما جرى ذكر رزيت استغنى بجري ذكره من ان يعيده فكأنه قال ربما رزيت فتى فيكون انتصاب فتى برزيت هذه المضمرة كقوله آلآن وقد عصيت قبل فاستغنى بذكر آمنت له المتقدم عن اظهاره بعد وقد يجوز أن ينتصب فتى برزيت هذه المذكورة كأنه قال لقد رزيت كعب بن عوف فتى وربما لم يكن يرضى اي رزئت فتى لم يكن يضام ويكون هذا الفصل في انه أجنبي بمنزلة قوله «ابو أمه حي ابوه يقاربه» وقد يجوز أن يكون مرتفعا بفعل مضمر كأنه قال ربما لم يرض فتى كقوله «وقلما. وصال على طول الصدود يدوم» ويجوز أن يكون ما نكرة بمنزلة شيء فيكون فتى وصفا

لها لأنها لما كانت كالأسماء المبهمة في إبهامها وصفت بأسماء الأجناس كأنه قال رب شيء فتى لم يكن كذا فهذه الأوجه كلها ممكنة ويجوز في الآية أن يكون ما بمنزلة شيء ويود صفة له لأن مـا لعمومها يقع على كل شيء فيجوز أن يعنى بها الرد كأنه قال رب ودٍّ يوده الذين كفروا ويكون يود في هذا الوجه ايضاً حكاية حال ألا ترى انه لم يكن بعد وهذه الآية في المعنى كقوله ارجعنا نعمل صالحا وكقوله حـتى إذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون وكتمنيهم الرد في قوله يا ليتنا نرد ولا نكذب واما قول من قال ربما بالتخفيف فلأنـه حرف مضاعف والحروف المضاعفة قد تحذف وإن لم يحذف غير المضاعف فمن المضاعف الذي حذف أن وإن ولكن وليس كل المضاعف يحذف لم اعلم الحذف في ثم واما دخول التاء في ربتما فإن من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيث نحو ثم وثمت ولا ولات قال

ثمت لا يجزونني عند ذاكم ولكن سيجزيني المليك فيعقبا

فكذلك ألحقت التاء في قولهم ربتا وأنشد الزجاج في تخفيف رب قول الحادرة

أسُمَيّ ما يدريكَ أَنْ رُبَّ فتيةٍ باكرتُ لذَّتهمْ بأدكن مترع

قال وقد يسكنون في التخفيف يقولون رب رجل جاءني وأنشدوا بيت الهذلي

أزهير إن شب القذال فإنني رب هيضل مرس لففت بهيضل

ويقولون ربت رجل وربت رجل بفتح الراء ورب رجل وربما رجل جاءني وربتما رجـل فيفتحون حكى ذلك قطرب

—(الاعراب)—

قرآن عطف على الكتاب و إنما عطفه عليه و إن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف اللفظين وما فيهما مـن الفائدتين و إن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيدانه مما يكتب ويدون ووصفه بالقرآن يفيدانه ممـا يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض كما قال الشاعر

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذي الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللجم

ويقال لم جاز ربما يود الذين كفروا ورب للتقليل وجوابه على وجهين احدهما انـه ابلغ في التهديد كما تقول ربما ندمت على هذا وانت تعلم انه يندم ندما طويلا أي يكفيك قليل الندم فكيف كثيره ﴿ والثاني ﴾ انه يشغلهم العذاب عن تمني ذلك إلا في اوقات قليلة

— المعنى —

(آلر) قد تقدم الكلام في هذه الحروف واقوال العلماء فيها (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أي هـذه آيات الكتاب وآيات قرآن يميز بين الحق والباطل وقيل المبين البين الواضح عن ابي مسلم وقيل هو المبين للحلال والحرام والأوامر والنواهي والأدلة وغير ذلك وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل عن مجاهد وقيل المراد به الكتب المنزلة قبل القرآن عن قتادة (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) اي ربما يتمنى الكفار الإسلام في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنة والكفار إلى النار ويجوز أن يتمنوا ذلك وقت اليأس وروى مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الصادق (ع) ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق انه لا يدخل الجنة إلا مسلم فثم يود سائر الخلائق انهم كانوا مسلمين وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا اجتمع أهـل النار في النار

ومنهم من يشاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عزوجل ما قالوا فأمر من كان في النار من أهل الإسلام فأخرجوا منها فحينئذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) معناه دعهم يأكلوا في دنياهم أكل الأنعام ويتمتعوا فيها بما يريدون والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال (ويلههم الأمل) اي وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن يقال الهاه الشيء اي شغله وانساه (فسوف يعلمون) وبال ذلك فيما بعد حين يحل بهم العذاب يوم القيامة وصاروا إلى ما يجحدون به وفي هذه الآية اشارة إلى ان الانسان يجب أن يكون مقصور الهمة على أمور الآخرة مستعدا للموت مسارعا إلى التوبة ولا يأمل الآمال المؤدية إلى الصد عنها وقد روي عن امير المؤمنين (ع) انه قال ان اخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) معناه ولم نهلك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلا وكان لهم أجل مكتوب لا بد ان سيبلغونه يريد فلا يغرن هؤلاء الكفار امهالي إياهم إنما ينزل العذاب بهم في الوقت المكتوب المقدر لذلك (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) اي لم تكن أمة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخر عن أجلها الذي قدر لها بل إذا استوفت أجلها اهلكها الله

قوله تعالى (٦) وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٧) لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (٨) مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ (٩) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٠) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ (١١) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (١٢) كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٣) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٤) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٥) لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٦) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٧) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٨) إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ثلاث عشرة آية

(القراءة)

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ما ننزل بنونين الملائكة بالنصب وقرأ ابو بكر عن عاصم ما تنزل بضم التاء الملائكة بالرفع وقرأ الباقون ما تنزل بفتح التاء والزاي الملائكة بالرفع وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وفي الشواذ قراءة الزهري سكرت

— الحجة —

قال ابو علي حجة من قرأ تنزل قوله تنزل الملائكة والروح فيها وحجة من قرأ ننزل قوله ونزل الملائكة تنزيلا وحجة من قرأ ننزل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة ووجه التثقيل في سكرت ان الفعل مسند إلى جماعة فهو مثل مفتحة لهم الأبواب ووجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند إلى جماعة قد يخفف قال «ما زلت افتح ابوابا واغلقها»

اللغة

الشيع الفرق عن الزجاج وكل فرقة شيعة واصله من المشايعة وهي المتابعة يقال شايع فلان فلانا على امره اي تابعه عليه ومنه شيعة علي(ع) وهم الذين تابعوه على امره ودانوا بإمامته وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة وسلك واسلك بمعنى والمصدر السلك والسلوك قال عدي بن زيد

و كنت لزاز خصمك لم اعرد — وقد سلكوك في يوم عصيب

وقال آخر

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة — شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

والعروج الصعود في الدرج والمضارع يعرج ويعرج ابو عبيدة سكرت ابصارنا غشيت قال ابو علي فكأن معناه لاينفذ نورها ولا يدرك الاشياء على حقيقتها ومعنى الكلمة انقطاع الشيء عن سننه الجاري فمن ذلك سكر الماء وهو رده عن سننه في الجري وقالوا التسكير في الرأي قبل ان يعزم على الشيء وإذا عزم على امر ذهب التسكير ومنه السكر في الشراب إنما هو ان ينقطع عما هو عليه من المصافي حال الصحو فلا ينفذ رأيه ونظره على حد نفاذه في صحوه وقالوا سكران لايبت فعبروا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج فسروا سكرت أغشيت وسكرت تحيرت وسكنت عن ان تنظر والعرب تقول سكرت الريح سكنت وكذلك سكر الحر قال الشاعر

جاء الشتاء واجثأل القبر — وجعلت عين الحرور تسكر

والبرج اصله الظهور ومنه البرج من بروج السماء وبرج الحصن ويقال تبرجت المرأة إذا اظهرت زينتها والرجيم المرجوم والرجم الرمي بالشيء بالاعتماد من غير آلة مهيأة للاصابة فإن القوس يرمى عنها ولا يرجم بها ورجمته شتمته والشهاب القطعة من النار قال الزجاج والشهب المنقضة من آيات النبي ﷺ والدليل على انها كانت بعد مولد النبي ﷺ ان شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالاشياء المسرعة لم يوجد في اشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية — مسوم في سواد الليل منقضب

الاعراب

لو ما دعاء إلى الفعل وتحريض عليه وهو بمعنى لولا وهلا وقد جاءت لو ما في معنى لولا التي لها جواب قال ابن مقبل

لوما الحياء ولولا الدين عبتكما — ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

الا من استرق السمع استثناء منقطع والمعنى لكن من استرق السمع يتبعه شهاب وقال الفراء هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظ السماء ممن يصعد اليها ليسترق السمع لكن إذا سمعه واداه إلى الكهنة اتبعه شهاب

المعنى

(وقالوا) أي قال المشركون للنبي ﷺ (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن في زعمه ودعواه (إنك لمجنون) في دعواك انه نزل عليك وفي توهمك انا نتبعك ونؤمن بك (لوما تأتينا بالملائكة) يشهدون لك على صدق قولك (إن كنت من الصادقين) فيما تدعيه عن ابن عباس والحسن ثم أجابهم سبحانه بالجواب المقنع فقال (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) اي لا ننزل الملائكة الا بالحق الذي هو الموت لا يقع فيه تقديم وتأخير فيقبض أرواحهم عن ابن عباس وقيل لا ينزلون إلا بعذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا عن الحسن ومجاهد والجبائي وقيل ما ينزلون في الدنيا إلا بالرسالة عن مجاهد (وما كانوا إذا) اي حين ننزل الملائكة (منظرين) مؤخرين ممهلين اي لا يمهلون ساعة ثم زاد سبحانه في البيان فقال (إنا نحن نزلنا الذكر) اي القرآن (وإنا له لحافظون)

عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة وتحفظه عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن وقيل يحفظه من كيد المشركين ولا يمكنهم ابطاله ولا يندرس ولا ينسى عن الجبائي وقال الفراء يجوز ان يكون الهاء في له كناية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه قال إنا نزلنا القرآن وإنا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لحافظون وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث اذ المنزل والمحفوظ لا يكون إلا محدثا (ولقد أرسلنا من قبلك) يامحمد رسلا عن ابن عباس فحذف المفعول لدلالة الإرسال عليه (في شيع الاولين) اي في فرق الاولين عن الحسن والكلبي وقيل في الأمم الأولين عن عطا عن ابن عباس (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن) وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ اخبره ان كل رسول كان مبتلى بقومه واستهزاؤهم بالرسل انما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعوهم اليه واستيحاشهم منه واستنكارهم له حتى توهموا انه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه اسلافهم (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه إنا نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار باخطاره عليها والقائه فيها وبأن نفهمهم إياه وانهم مع ذلك (لا يؤمنون به) ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البلخي والجبائي والمراد ان اعراضهم عن القرآن لايمنعنا من ان ندخله في قلوبهم تأكيدا للحجة عليهم ﴿ والآخر ﴾ ان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم والأول هو الصحيح وقد رووا عن جماعة من المفسرين ان المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار وذلك لا يصح لأنه لم يجر للشرك ذكر وقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن ولأنه قال لا يؤمنون به ولو عاد الضمير في قوله به الى الشرك لكان الكفار محمودين إذا كانوا لايؤمنون بالشرك ولا خلاف ان الآية وردت على سبيل الذم لهم ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم ولما جاز ان يقول لهم كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله لقد جئتم شيئا ادا تكاد السماوات يتفطرن منه وكيف ينكر عليهم هذا الانكار وهو الواضع لذلك في قلوبهم وكيف يأمرهم باخراجه من حيث وضعه فيه تعالى وتقدس عن ذلك (وقد خلت سنة الأولين) أي مضت طريقة الأمم المتقدمة بأن كانت رسلهم تدعوهم إلى كتب الله المنزلة ثم لايؤمنون وقيل مضت سنة الأولين بأن عوجلوا بعذاب الاستئصال عند الاتيان بالآيات المقترحة مع اصرارهم على الكفر عن ابي مسلم وقيل مضت سنتهم في التكذيب كما أن قومك كذبوك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم للآيات (ولو فتحنا عليهم) اي على هؤلاء المشركين (بابا من السماء) ينظرون اليه (فظلوا فيه يعرجون) اي فظلت الملائكة تصعد وتنزل في ذلك الباب عن ابن عباس وقتادة وقيل فظل هؤلاء المشركون يعرجون الى السماء من ذلك الباب وشاهدوا ملكوت السموات عن الحسن والجبائي وابي مسلم (لقالوا انما سكرت ابصارنا) اي سدت وغطيت عن مجاهد وقيل اغشيت وعميت عن ابن عباس والكلبي وابي عمرو والكسائي وقيل تحيرت وسكنت عن ان تنظر (بل نحن قوم مسحورون) سحرنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا ننظر ببصر ويخيل الاشياء الينا على خلاف حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه (ولقد جعلنا) اي خلقنا وهيأنا (في السماء بروجا) اي منازل الشمس والقمر (وزيناها للناظرين) بالكواكب النيرة عن ابي عبد الله (ع) وهي اثنا عشر برجا وقيل البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقتادة (وحفظناها) أي وحفظنا السماء (من كل شيطان رجيم) اي مرجوم مرمي بالشهب عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وقيل رجيم ملعون مشؤوم عن ابن عباس وحفظ الشيء جعله على ما ينفي عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لاينسى وحفظ المال باحرازه حتى لا يضيع وحفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ الى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما اعد له من الشهاب (الا من استرق السمع) والسرقة عند العرب ان يأتي الإنسان الى حرز خفية فيأخذ ما ليس له والمراد بالسمع هنا المسموع والمعنى

الا من حاول أخذ المسموع من السماء في خفية (فأتبعه) أي لحقه (شهاب مبين) اي شعلة نار ظاهر لأهل الارض بين لمن رآه ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم والشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدة ضيائه وروي عن ابن عباس انه قال كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن فيفشيه الكاهن الى الناس فلما بعث الله عيسى (ع) منعوا من ثلاث سموات ولما بعث محمد ﷺ منعوا من السموات كلها وحرست السماء بالنجوم فالشهاب من معجزات نبينا محمد ﷺ لأنه لم ير قبل زمانه وقيل ان الشهاب يحرق الشياطين ويقتلهم عن الحسن وقيل انه يخبل ويحرق ولا يقتل عن ابن عباس

قوله تعالى (١٩) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (٢٠) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢١) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٣) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٤) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٥) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ سبع آيات.

القراءة

قرأ حمزة وحده الريح لواقح والباقون الرياح لواقح

الحجة

قال ابو عبيدة لا اعرف لذلك وجها إلا ان يريد ان الريح تأتي مختلفة من كل وجه فكانت بمنزلة الرياح وحكى الكسائي ارض اغفال وارض سباسب قال المبرد يجوز ذلك على أن يجعل الريح جنسا وليس بجيد لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض ومعروفة كل واحدة منها والارض ليست كذلك لأنها بساط واحد

اللغة

الرواسي الثوابت واحدها راسية والمراسي ما يثبت به والوزن وضع احد الشيئين بازاء الآخر على ما يظهر به مساواته في المقدار وزيادته والمعايش جمع معيشة وهي طلب اسباب الرزق مدة الحياة وقد يطلبها الانسان لنفسه بالتصرف والتكسب وقد يطلب له فإن أتاه اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهني واللواقح الرياح التي تلقح السحاب حتى يحمل الماء أي يلقى اليه ما يحمل به الماء يقال لقحت الناقة إذا حملت والقحها الفحل فاللواقح في معنى الملقحات وقيل في علة ذلك قولان ﴿احدهما﴾ انه في معنى ذات لقاح ومثله هم ناصب اي ذو نصب قال النابغة

كليني لهمّ يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

اي منصب وقال نهشل بن جري

ليبك يزيد ضارع لخصومة ... ومختبط مما تطيح الطوائح

اي المطاوح ﴿ والآخر ﴾ ان الرياح لاقحة بحملها الماء ملقحة بالقائها إياه الى السحاب ويقال سقيته فيما يشربه بشفته واسقيته بالألف فيما تشربه ارضه قال علي بن عيسى وقد يجيء احدهما بمعنى الآخر كقوله نسقيكم مما في بطونه وقال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني احجاره وملاعبه

اي ادعو له بالسقيا

﴿ الإعراب ﴾

والارض منصوب بفعل مضمر تقديره ومددنا الارض مددناها كقوله والقمر قدرناه اي وقدرنا القمر قدرناه ومن لستم له برازقين من في موضع نصب عطفا على معايش والمراد به العبيد والاماء والانعام والدواب عن مجاهد وقال الفراء العرب لا تكاد تجعل من إلا في الناس خاصة فإن كان مع الدواب العبيد حسن حينئذ قال وقد يجوز ان يكون من في موضع جر عطفا على الكاف والميم في لكم وقال المبرد والظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بك وزيد إلا أن يضطر شاعر وأنشد الفراء

تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف

فرد الكعب على الهاء في بينها وقال

هلا سألت بذي الجماجم عنهم وأبي نعيم ذي اللواء المحدق

فرد ابا نعيم على هم في عنهم قال ويجوز أن يكون من في موضع رفع لأن الكلام قد تم ويكون التقدير على قوله ولكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج والأجود من الاقوال الاول وجاز أن يكون عطفا على تأويل لكم لأن معنى قوله ولكم فيها معايش اعشناكم ومن لستم له برازقين اي رزقناكم ومن لستم له برازقين وان من شيء من مزيدة وشيء مبتدأ وعندنا خبر له وخزائنه مرفوع بالظرف لأن الظرف جرى خبرا على المبتدء لاخلاف في هذا بين سيبويه والاخفش

« المعنى »

لما تقدم ذكر السماء وما فيها من الأدلة والنعم اتبعه بذكر الارض فقال (والارض مددناها) اي بسطناها وجعلنا لها طولا وعرضا (والقينا فيها رواسي) اي طرحنا فيها جبالا ثابتة (وأنبتنا فيها) اي في الارض (من كل شيء موزون) اي مقدر معلوم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل من كل شيء يوزن في العادة كالذهب والفضة والصفر والنحاس ونحوها عن الحسن وقيل يعني بذلك كل ما تخرجه الارض عن ابي مسلم قال وإنما خص الموزون بالذكر دون المكيل لوجهين ﴿ احدهما ﴾ ان غاية المكيل تنتهي إلى الوزن لأن جميع المكيلات إذا صار طعاما دخل في الوزن فالوزن أهم ﴿ والآخر ﴾ ان في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب المساواة وهذا المعنى ثابت في الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل ورد عليه السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بغير ما قاله فإن المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة داخلة في باب العبث ونظير ذلك قولهم كلام فلان موزون وافعاله موزونة والمراد ما ذكرناه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على احد التأويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب (وجعلنا لكم فيها معايش) اي خلقنا لكم في الارض معايش من زرع او نبات عن ابن عباس والحسن وقيل معايش اي مطاعم ومشارب تعيشون بهما وقيل هي التصرف في اسباب الرزق مدة الحياة (ومن لستم له برازقين) يعني العبيد والدواب يرزقهم الله ولا ترزقونهم ومعناه يدور على ما تقدم ذكره في الاعراب وأتى بلفظة من دون لفظة ما لأنه غلب العقلاء على غيرهم (وان من شيء) اي وليس من شيء ينزل من السماء وينبت من الارض (إلا عندنا خزائنه) معناه إلا ونحن مالكوه والقادرون عليه

وخزائن الله سبحانه مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس ويقدر من كل جنس على ما لا نهاية له وقيل المراد به الماء الذي منه النبات وهو مخزون عنده إلى ان ينزله ونبات الارض وثمارها إنما تنبت بماء السماء وقال الحسن المطر خزائن كل شيء (وما ننزله) اي وما ننزل المطر (إلا بقدر معلوم) تقتضيه الحكمة وقيل انه سبحانه استعار الخزائن للقدرة على إيجاد الأشياء وعبر عن الايجاد بالانزال لأن الانزال في معنى الاعطاء والرزق والمعنى ان الخير كله من عند الله لا يوجد ولا يعطى إلا بحسب المصلحة والحاجة ثم بين سبحانه كيفية الإنزال فقال (وارسلنا الرياح لواقح) اي اجرينا الرياح لواقح اي ملقحة للسحاب محملة بالمطر (فأنزلنا من السماء ماء) اي مطرا (فأسقيناكموه) اي فأسقيناكم ذلك الماء ومكناكم منه (وما انتم له بخازنين) اي وما انتم ايها الناس له بحافظين ولا محرزين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه في الارض ثم يخرجه من العيون بقدر الحاجة ولا يقدر احد على احراز ما يحتاج اليه من الماء في موضع (وانا لنحن نحيي ونميت) اخبر سبحانه انه يحيي الخلق إذا شاء ويميتهم إذا أراد (ونحن الوارثون) الارض ومن عليها اخبر انه يرث الارض لأنه إذا أفنى الخلق ولم يبق احد كانت الاشياء كلها راجعة اليه يتفرد بالتصرف فيها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه ولقد علمنا الماضين منكم ولقد علمنا الباقين عن مجاهد والضحاك وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ علمنا الأولين منكم والآخرين عن الشعبي ﴿ وثالثها ﴾ علمنا المستقدمين في صفوف الحرب والمتأخرين عنها عن سعيد بن المسيب ﴿ ورابعها ﴾ علمنا المتقدمين في الخير والمبطئين عنه عن الحسن ﴿ وخامسها ﴾ علمنا المتقدمين إلى الصف الأول في الصلاة والمتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الاول ليدركوا فضيلته وكان يتأخر بعضهم لينظروا إلى اعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس ﴿ وسادسها ﴾ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حث الناس على الصف الأول في الصلاة وقال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم فازدحم الناس وكانت دور بني عذرة بعيدة عن المسجد فقالوا لنبيعن دورنا ولنشترين دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فعلى هذا يكون المعنى انا نجازي الناس على نياتهم (وان ربك هو يحشرهم) معناه ان ربك يا محمد او ايها السامع هو الذي يجمعهم يوم القيامة ويبعثهم بعد إماتتهم للمجازاة والمحاسبة (انه حكيم) في افعاله (عليم) بما استحق كل منهم

﴿ النظم ﴾

إنما اتصل قوله وانا لنحن نحيي ونميت وما بعده بما ذكره فيما قبل من انواع النعم فبين سبحانه انه يرثهم كل ما خولهم من ذلك تزهيدا في الدنيا وترغيبا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل انه لما بين انواع نعمه عرفهم بعد انه لم يخلق ذلك للبقاء وإنما أنعم به عليهم ليكون طريقا إلى نعم الآخرة عن القاضي وقيل انه لما ذكرهم نعم الدنيا نبه بالاحياء والاماتة وعلمه بجميع الأشياء وحشر الخلق على وجوب الانقطاع اليه والعبادة والطاعة له

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٧) وَٱلْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٩) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٣٠) فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣١) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ (٣٣) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ

مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٤) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٥) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ عشر آيات

اللغة

الصلصال الطين اليابس اخذ من الصلصلة وهي القعقعة ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصلة وهي صوت شديد متردد في الهواء وصلّ يصل اذا صوت قال

رجعت إلى صوت كجرة حنتم اذا قرعت صفرا من الماء صلت

ويقال الصلصال المنتن اخذ من صل اللحم واصل اذا انتن والحمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير الى السواد يقال حمئت البئر وا حمأتها انا والمسنون المصبوب من سننت الماء على وجهه اي صببته ويقال سننت بالسين غير معجمة ارسلت الماء وشننت بالشين معجمة صببت وقيل انه المتغير من قولهم سننت الحديد على المسن اذا غيرتها بالتحديد واصلها الاستمرار في جهة من قولهم هو على سنن واحد والسنة الطريقة وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

يريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب

قال سيبويه جمع الجان جنان فهو مثل حائط وحيطان وراع ورعيان والسموم الريح الحارة اخذ من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم القاتل يقال سم يومنا يسم اذا هبت فيه ريح السموم

«الاعراب»

من جعل الجان جمعا قال ولم يقل خلقناها كما قال مما في بطونه ومما في بطونها وقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين ما مبتدأ ولك خبره والتقدير اي شيء ثابت لك والا تكون تقديره في ان لا تكون فحذف في وهي متعلقة بالخبر ايضا فلما حذفت في انتصب موضع ان لا تكون على قول سيبويه وبقي على الجر على قول الخليل وابو الحسن حمل ان على الزيادة ولا تكون في موضع الحال قال وتقديره مالك خارجا عن الساجدين

المعنى

لما ذكر سبحانه الاحياء والإماتة والنشأة الثانية عقبه ببيان النشأة الأولى فقال (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم (من صلصال) اي من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة اي صوت عن ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين وقيل طين صلب يخالطه الكثيب عن الضحاك وقيل منتن عن مجاهد واختاره الكسائي (من حمأ) أي من طين متغير (مسنون) اي مصبوب كانه افرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل انه الرطب عن ابن عباس وقيل مسنون مصور عن سيبويه قال اخذ من سنة الوجه (والجان) وهو ابليس عن الحسن وقتادة وقيل هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر عن ابن عباس وقيل هم الجن نسل ابليس وهو منصوب بفعل مضمر معناه وخلقنا الجان (خلقناه من قبل) اي من قبل خلق آدم (من نار السموم) اي من نار لها ريح حارة تقتل وقيل هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وقيل السموم النار الملتهبة عن ابي مسلم وفي هذا اشارة الى أن الانسان لا يفضل باصله وانما يفضل بدينه وعلمه وصالح عمله واصل آدم (ع) كان من تراب وذلك قوله خلقه من تراب ثم جعل التراب طينا وذلك قوله وخلقته من طين ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخى وذلك قوله من حمأ مسنون ثم ترك حتى جف وذلك قوله من صلصال فهذه الاقوال لا تناقض فيها اذ هي اخبار عن حالاته المختلفة (وإذ قال ربك للملائكة) تقديره واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة (اني خالق) اي سأخلق (بشراً) اي آدم وسمي

بشراً لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوف (من صلصال من حمأ مسنون) مر معناه (فإذا سويته) بإتمام خلقته واكمال خلقه وقيل معناه عدلت صورته (ونفخت فيه من روحي) والنفخ اجراء الريح في الشيء باعتماد فلما اجرى الله سبحانه الروح في آدم على هذه الصفة كان قد نفخ الروح فيه وانما اضاف روح آدم الى نفسه تكرمة له وتشريفاً وهي اضافة الملك (فقعوا له ساجدين) اي اسجدوا له قال الكلبي اي فخروا له ساجدين (فسجد الملائكة اجمعون) هذا توكيد بعد توكيد عند سيبويه وقال المبرد وبدل قوله اجمعون على اجتماعهم في السجود اي فسجدوا كلهم في حالة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه اجود لأن اجمعون معرفة فلا يكون حالا (إلا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين) اي امتنع ان يكون معهم فلم يسجد معهم وقد سبق القول في ان ابليس هل كان من الملائكة او لم يكن واختلاف العلماء فيه وما لكل واحد من الفريقين من الحجج وذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام في سورة البقرة فلا معنى للإعادة وان يكون في محل نصب اي ابى الكون مع الساجدين (قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين) قال الزجاج معناه اي شيء يقع لك في ان لاتكون مع الساجدين فموضع ان نصب باسقاط في وافضاء الناصب الى ان وهذا خطاب من الله سبحانه لابليس ومعناه لم لا تكون مع الساجدين فتسجد كما سجدوا وانما قال سبحانه بنفسه على جهة الاهانة له كما يقول لأهل النار اخسأوا فيها ولا تكلمون وقال الجبائي انما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف (قال) اي قال ابليس مجيباً لهذا الكلام (لم اكن لأسجد) اي ما كنت لاسجد وقيل معناه ما كان ينبغي ان اسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) لأني اشرف اصلاً منه ولم يعلم ان التفاضل بالدين والاعمال لا بالأصل (قال فاخرج منها) اي من الجنة (فإنك رجيم) اي مشؤوم مطرود ملعون وقيل معناه اخرج من السماء عن ابي مسلم وقيل من الارض فألحقه بالبحار لا يدخل الارض إلا كالسارق وقيل رجيم مرجوم أي إن رجعت إلى السماء رجمت بمثل الشهب التي يرجم به الشياطين عن الجبائي (وان عليك اللعنة) وان عليك مع ذلك اللعنة أي الابعاد من رحمة الله ولذلك لا يجوز أن يلعن بهيمة (إلى يوم الدين) أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمراد ان الله سبحانه قد لعنك وأهل السماء والارض يلعنونك لعنة لازمة لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار وفيه بيان انه لا يؤمن قط وقال بعض المحققين إنما قال سبحانه هنا وان عليك اللعنة بالألف واللام وقال في سورة ص لعنتي بالاضافة لأن هناك يقول لما خلقت بيدي مضافا فقال وان عليك لعنتي على المطابقة وقال هنا مالك ألا تكون مع الساجدين وساق الآية على اللام في قوله ولقد خلقنا الانسان وقوله والجان فأتى باللام ايضا في قوله وان عليك اللعنة

قوله تعالى (٣٦) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٧) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٨) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٩) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤١) قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٣) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٤) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ تسع آيات.

القراءة

قرأ يعقوب صراط علي بالرفع وهي قراءة ابي رجاء وابن سيرين وقتادة والضحاك ومجاهد وقيس بن عبادة وعمرو بن ميمون وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) والباقون من القراء قرأوا علي

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني علي هنا كقولهم كريم شريف وليس المراد به علو الشخص والنصبة وقال ابو الحسن في قراءة الجماعة هذا صراط علي مستقيم هو كقولك الدلالة اليوم علي اي هذا صراط في ذمتي وتحت ضماني كقولك صحة هذا المال علي وتوفية عدته علي وليس معناه عنده مستقيم علي كقولنا قد استقام على الطريق واستقر على كذا وما أحسن ما ذهب اليه ابو الحسن فيه

﴿ اللغة ﴾

الإغواء الدعاء إلى الغي والاغواء خلاف الارشاد وهذا أصله وقد يكون بمعنى الحكم بالغي على وجه الذم والتزيين جعل الشيء متقبلا في النفس من جهة الطبع او العقل بحق او بباطل واغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما سأله إبليس عند اياسه من الآخرة فقال عز اسمه (قال رب فأنظرني) أي فامهلني وأخرني (إلى يوم يبعثون) اي يحشرون للجزاء استنظره إبليس إلى يوم القيامة لئلا يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه احد فلم يجبه الله تعالى الى ذلك بل (قال) له (فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) الذي هو آخر ايام التكليف وهو النفخة الأولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس وقيل الوقت المعلوم يوم القيامة انظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن والجبائي وابي مسلم وقيل هو الوقت الذي قدر الله أجله فيه وهو معلوم لله سبحانه غير معلوم لإبليس فأبهم ولم يبين لأن في بيانه اغراء بالمعصية عن البلخي واختلف في تجويز إجابة دعاء الكافر وقال الجبائي لا يجوز لأن في إجابة الدعاء تعظيما له وقال ابن الاخشيد يجوز ذلك لأن الإجابة كالنعمة في احتمالها ان يكون ثوابا وتعظيما وان يكون استصلاحا ولطفا (قال) ابليس (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الاغواء الأول والثاني بمعنى الاضلال اي كما أضللتني لأضلنهم وهذا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا ان يحمل على أن إبليس كان معتقداً للجبر ﴿ وثانيها ﴾ ان الاغواء الاول والثاني بمعنى التخييب اي بما خيبتني من رحمتك لأخيبنهم بالدعاء إلى معصيتك عن الجبائي ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه بما أضللتني عن طريق جنتك لأضلهم بالدعاء إلى معصيتك ﴿ ورابعها ﴾ بما كلفتني السجود لآدم الذي غويت عنده فسمي ذلك غواية كما قال فزادتهم رجسا إلى رجسهم لما ازدادوا عندها عن البلخي والباء في قوله بما أغويتني قيل ان معناها القسم هنا عن ابي عبيدة وقيل هي بمعنى السبب اي بكوني غاويا لأزينن كما يقال بطاعته لندخلن الجنة وبمعصيته لندخلن النار ومفعول التزيين محذوف وتقديره لأزينن الباطل لهم اي لأولاد آدم حتى يقعوا فيه ثم استثنى من جملتهم فقال (إلا عبادك منهم المخلصين) وهم الذين أخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان وانتهوا عما نهاهم الله عنه ومن قرأ المخلصين بفتح اللام فهم الذين أخلصهم الله بأن وفقهم لذلك ولطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل (قال) الله سبحانه (هذا صراط علي مستقيم) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ انه على وجه التهديد له كما تقول لغيرك افعل ما شئت وطريقك علي اي لا تفوتني عن مجاهد وقتادة ومثله قوله إن ربك لبالمرصاد ﴿ وثانيها ﴾ معناه ان ما نذكره من امر المخلصين والغاوين طريق ممره علي أي ممر من مسلكه علي مستقيم لا عدول فيه عني وأجازي كلا من الفريقين بما عمل ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه هذا دين مستقيم علي بيانه والهداية اليه (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) هذا اخبار منه تعالى بأن عباده الذين يطيعونه وينتهون إلى أوامره لا سلطان للشيطان عليهم ولا قدرة له على ان يكرههم على المعصية ويحملهم عليها ولكن من يتبعه فإنما يتبعه باختياره قال الجبائي وذلك يدل على ان

الجن لا يقدرون على الاضرار بني آدم لأنه على عمومه ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يتبع إبليس على اغوائه وينقاد له ويقبل منه فقال (إلا من اتبعك من الغاوين) لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهدى الى ما يدعوه اليه من اتباع الهوى وقيل ان الاستثناء منقطع والمراد لكن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطانا (وان جهنم لموعدهم اجمعين) أي موعد إبليس ومن تبعه (لها سبعة ابواب) فيه قولان ﴿احدهما﴾ ما روي عن امير المؤمنين «ع» ان جهنم لها سبعة ابواب اطباق بعضها فوق بعض ووضع احدى يديه على الأخرى فقال هكذا وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية وفي رواية الكلبي اسفلها الهاوية واعلاها جهنم وعن ابن عباس ان الباب الأول جهنم والثاني سعير والثالث سقر والرابع جحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية اختلفت الروايات في ذلك كما ترى وهو قول مجاهد وعكرمة والجبائي قالوا ان ابواب النيران كاطباق اليد على اليد ﴿والآخر﴾ ما روي عن الضحاك قال للنار سبعة ابواب وهي سبعة ادراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر اعمالهم واعمارهم في الدنيا ثم يخرجون والثاني فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون وذلك قوله ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو قول الحسن وابي مسلم والقولان متقاربان (لكل باب منهم) اي من الغاوين (جزء مقسوم) أي نصيب مفروض عن ابن عباس

قوله تعالى (٤٥) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٦) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٧) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٨) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٩) نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٠) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ

ست آيات

﴿ اللغة ﴾

الغل الحقد الذي ينغل في القلب ومنه الغل الذي يجعل في العنق والغلول الخيانة التي يطوق عارها صاحبها والسرير المجلس الرفيع موطأً للسرور وجمعه الأسرة والسرر والنصب التعب والوهن الذي يلحق من العمل مشتق من الانتصاب لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذي يلحقه

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه عبادة المخلصين عقبه بذكر حالهم في الآخرة فقال (ان المتقين) الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه (في جنات) أي في بساتين خلقت لهم (وعيون) من ماء وخمر وعسل يفور من الفوارة ثم يجري في مجاريها (ادخلوها بسلام) أي يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامة من الآفات وبراءة من المكاره والمضرات (آمنين) من الاخراج منها ساكني النفس إلى انتفاء الضرر فيها (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي وأزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من اسباب العداوة من الغل أي الحقد والحسد والتنافس والتباغض (اخوانا) منصوب على الحال أي وهم يكونون اخوانا متوادين يريد مثل الاخوان فيصفو لذلك عيشهم (على سرر) أي كائنين على مجالس السرور (متقابلين) متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل في الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الأسرة تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين في عموم احوالهم وقيل متقابلين في الزيارة إذا تزاوروا استوت مجالسهم ومنازلهم وإذا افترقوا كانت منازل بعضهم ارفع من بعض (لا يمسهم فيها) اي في الجنة (نصب) اي عناء وتعب لأنهم لا يحتاجون إلى إتعاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم

إذ جميع النعم حاصلة لهم (وما هم منها بمخرجين) أي يبقون فيها مؤبدين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخبر عباده بكثرة عفوه ومغفرته ورحمته لأوليائه وشدة عذابه لأعدائه فقال (نبئ) يا محمد (عبادي أني انا الغفور) اي كثير الستر لذنوب المؤمنين (الرحيم) كثير الرحمة لهم (وان عذابي هو العذاب الأليم) فلا تعولوا على محض غفراني ورحمتي وخافوا عقابي ونقمتي

قوله تعالى (٥١) وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٣) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٤) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٥) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٦) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٧) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٨) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٩) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٦٠) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ عشر آيات

القراءة

قرأ نافع وحده فبم تبشرون خفيفة النون مكسورة وقرأ ابن كثير وحده فبم تبشرون مشددة النون مكسورة وقرأ الباقون تبشرون مفتوحة النون خفيفة وروى ابو علي الضرير عن روح وغيره عن يعقوب فبم تبشروني بإثبات الياء وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط ويقنطوا بكسر النون حيث كان والباقون بفتح النون وقرأ لمنجوهم خفيفة اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب والباقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف ابو بكر عن عاصم وكذلك في النمل والباقون بالتشديد

الحجة

قال ابو علي الوجه في قراءة نافع انه أراد تبشرونني إلا انه حذف النون الثانية استثقالا لأن التكرير بها وقع ولم يحذف النون الأولى التي هي علامة الرفع وقد حذفوا هذه النون في كلامهم لأنها زائدة ولأن علامة الضمير الياء من دونها قال

أبالموت الذي لا بد اني ملاق لا اباك تخوفيني

وقال

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات إذا فليني

والوجه في تشديد ابن كثير النون انه أدغم النون الأولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي هي المضمر المنصوب المتكلم ومن فتح النون فلأنه لم يعد الفعل إلى المفعول به كما عدى غيره وحذف المفعول به كثير والنون علامة الرفع وقنط يقنط وقنط يقنط لغتان وكان قنط يقنط اعلى ويدل على ذلك اجماعهم في قوله قنطوا وحكى ان يقنُط لغة وهذا يدل على ان يقنط اكثر لأن مضارع فعل يجيء على يفعل ويفعل وحجة من قرأ لمنجوهم قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة من قرأ بالتخفيف قوله فأنجاه الله من النار وقدرت بالتخفيف لغة في قدرت يدل على ذلك قول الهذلي

ومفرهة عنس قدرت لساقها فخرت كما تتايع الريح بالقفل

والمعنى قدرت ضربتي لساقها فضربتها فحذف لدلالة الكلام عليه فمن قرأ قدرنا مخففا كان في معنى التشديد

اللغة

الضيف هو المنضوي إلى غيره لطلب القرى وهو يقع على الواحد والاثنين والجمع لأنه في الأصل مصدر وصف به وقد يجمع بالاضياف والضيوف والضيفان والوجل الخوف يقال وجل يوجل وياجل وييجل وييجَل إذا خاف والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة والخطبة والمجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل وهو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى القبائح والغابر الباقي فيمن يهلك قال الشاعر

فما وني محمد مذ ان غفر   له الإله ما مضى وما غبر

(الاعراب)

سلاماً منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول وقوله الا امرأته استثناء من الهاء والميم في قوله إنا لمنجوهم وقوله قدرنا انها لمن الغابرين في معنى علمنا انها لمن الغابرين قال ابو عبيدة في الآية معنى فقهي كان ابو يوسف يتأوله فيها وهو ان الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى امرأة لوط من آل لوط فرجعت امرأته في التأويل إلى القوم المجرمين وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد استثناء آخر دعا المعنى إلى اول الكلام كقول الرجل لفلان علي عشرة دراهم إلا اربعة إلا درهما فإنه يكون اقرارا بسبعة وكذلك لو قال له علي خمسة إلا درهما إلا ثلثا كان اقرارا باربعة وثلث

المعنى

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقبه بذكر قصة ابراهيم (ع) وقوم لوط مصدقا لما ذكره وارشادا إلى الدلالة بالعاجل على الآجل فقال (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) اي وأخبرهم عن اضياف ابراهيم (إذ دخلوا عليه) يعني الملائكة وإنما سماهم ضيفا لأنهم جاءوه في صورة الاضياف (فقالوا سلاما) اي سلموا عليه سلاما على وجه الدعاء والتحية وبشروه بالولد وباهلاك قوم لوط (قال) ابراهيم (إنا منكم وجلون) أي خائفون (قالوا لا توجل) أي لا تخف (إنا نبشرك) أي نخبرك بما يسرك (بغلام عليم) اي بولد يكون غلاماً إذا ولد ويكون عليما إذا بلغ (قال) ابراهيم (ابشرتموني) بالمولود (على أن مسني الكبر) أي في حال الكبر الذي يوجب اليأس عن الولد (فبم تبشرون) أبأمر الله تعالى فأثق به ام من جهة انفسكم ومعنى مسني الكبر غيرني الكبر عن حال الشباب الذي يطمع في الولد إلى حال الهرم وقيل معناه عن رأس الكبر (قالوا بشرناك بالحق) أي قالت الملائكة لابراهيم إنا بشرناك بذلك على وجه الحقيقة بأمر الله (فلا تكن من القانطين) اي اليائسين فأجابهم ابراهيم (ع) بأن (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) أي ومن الذي ييأس من رحمة الله وحسن انعامه إلا العادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير وهذا القول من ابراهيم (ع) يدل على انه لم يكن قانطاً ولكنه استبعد ذلك فظنت الملائكة قنوطا فنفى ذلك عن نفسه (قال) ابراهيم «ع» بعد ذلك للملائكة (فما خطبكم ايها المرسلون) أي ما الأمر الجليل الذي بعثتم له وما شأنكم وسماهم مرسلين لما علم انهم ملائكة (قالوا إنا ارسلنا إلى قوم مجرمين) أي مذنبين وقيل كافرين اخبروه بهلاكهم واقتصروا على هذا لأن من المعلوم ان الملائكة إنما يرسلون إلى المجرمين للهلاك (إلا آل لوط) استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته وإنما استثناهم منهم وإن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط وممن بعث اليهم وقيل إن معناه لكن آل لوط (إنا لمنجوهم اجمعين) أي نخلصهم اجمعين من العذاب (إلا امرأته) استثنى امرأة لوط من آل لوط لأنها كانت كافرة (قدرنا إنها لمن الغابرين) اي من الباقين في المدينة مع المهلكين اي قضينا انها تهلك كما يهلكون

قوله تعالى (٦١) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦٢) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٣) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٤) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٥) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٦) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٧) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٨) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٩) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٧٠) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧١) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧٢) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ اثنتا عشرة آية

﴿ اللغة ﴾

الاسراء سير الليل يقال سرى يسري سرى وأسرى إسراء لغتان قال امرؤ القيس

سريت بهم حتى تكل مطيهم ... وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

والقطع كأنه جمع قطعة مثل بسرة وبسر وتمرة وتمر والاتباع اقتفاء الأثر والاتباع في المذهب والاقتداء بمعنى وخلافه الابتداع والادبار جمع دبر وهو جهة الخلف والقبل جهة القدام وقد يكنى بهما عن الفرج والدابر الاصل وقيل ان الدابر الآخر وعقب الرجل دابره والعمر والعمر واحد غير انه لا يجوز في القسم إلا بالفتح لأن الفتح اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمري ولعمرك فلزموا الأخف

﴿ الاعراب ﴾

ان دابر هؤلاء مقطوع موضع ان نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره ويجوز أن يكون نصباً على حذف الجار فكأنه قال وقضينا اليه بأن دابرهم مقطوع وقوله مصبحين نصب على الحال ويستبشرون أيضاً في موضع نصب على الحال. لعمرك مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير لعمرك قسمي او لعمرك مااقسم به ولا يستعمل اظهار هذا الخبر قال الزجاج إن باب القسم يحذف معه الفعل تقول والله لأفعلن وبالله لأفعلن والمعنى احلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلالة الكلام عليه

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه ان الملائكة لما خرجوا من عند ابراهيم «ع» اتوا لوطاً «ع» يبشرونه بهلاك قومه فقال (فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون) وإنما قال لهم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفة المرد على هيئة وجمال لم ير مثلهم قط فأنكر شأنهم وهيأتهم وقيل انه اراد اني انكركم فعرفوني انفسكم ليطمئن قلبي (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه إذا خوفتهم به (وأتيناك بالحق) أي بالعذاب المستيقن به (وإنا لصادقون) فيما اخبرناك به وقيل معناه وأتيناك بأمر الله تعالى ولا شك ان امره سبحانه حق (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ومعناه سر بأهلك بعد ما يمضي اكثر الليل ويبقى قطعة منه (واتبع ادبارهم) اي اقتف اثرهم وكن وراءهم لتكون عينا عليهم فلا يتخلف احد منهم (ولا يلتفت منكم احد) أي لا يلتفت احد منكم إلى ما خلف وراءه في المدينة وهذا كما يقول القائل امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل لا ينظر احد منكم وراءه لئلا يروا العذاب فيفزعوا ولا يحتمل قلبهم، ذلك عن الحسن وابي مسلم (وامضوا حيث تؤمرون) أي اذهبوا إلى الموضع الذي امركم الله بالذهاب اليه وهو الشام عن السدي (وقضينا اليه ذلك الامر)

اي أعلمنا لوطا وأخبرناه واوحينا اليه ما تنزل به من العذاب (أن دابر هؤلاء مقطوع) يعني أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح وهو قوله مصبحين أي داخلين في وقت الصبح والمراد انهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا يبقى منهم اثر ولا نسل ولا عقب (وجاء اهل المدينة يستبشرون) يبشر بعضهم بعضاً بنزول من هو في صورة الاضياف بلوط وإنما فرحوا طمعا في ان ينالوا الفجور منهم (قال) لوط لهم (إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) فيهم والفضيحة الزام العار والشنار بالانسان ومعناه لا تلزموني فيهم عاراً بقصدكم اياهم بالسوء (واتقوا الله) باجتناب معاصيه (ولا تخزون) في ضيفي والخزي الاتضاع بالعيب الذي يستحيي منه (قالوا اولم ننهك عن العالمين) معناه اولم ننهك ان تجير احداً او تضيف احدا قال الجبائي وهذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم انهم ملائكة بعثوا لإهلاك قومه وإنما ذكر مؤخراً وهو في المعنى مقدم كما ذكر في غير هذه السورة (قال) لوط لهم وأشار إلى بناته لصلبه (هؤلاء بناتي) فتزوجوهن إن كان لكم رغبة في التزويج عن ابن عباس والحسن وقتادة وقوله (إن كنتم فاعلين) كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين قيل وإنما قال ذلك للرؤساء الذين يكفون الاتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك ايضا جائزا في صدر شريعتنا ثم حرم عن الحسن والجبائي وقيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج والاستغناء بهن عن الذكران والأول اوضح (لعمرك) أي وحياتك يا محمد ومدة بقائك حيا وقال المبرد هو دعاء ومعناه اسأل الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز وجل ولا ذرأ ولا برأ نفساً اكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله اقسم بحياة احد إلا بحياته فقال لعمرك (إنهم لفي سكرتهم يعمهون) ومعناه انهم لفي غفلتهم يتحيرون ويترددون فلا يبصرون طريق الرشد

قوله تعالى (٧٣) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٤) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٦) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٩) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (٨٠) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨١) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨٢) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٣) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٤) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ اثنتا عشرة آية

(القراءة)

قرأ جميع القراء الأيكة هاهنا لأنها مكتوبة بالألف الا ورشا عن نافع فإنه يترك الهمزة ويرد حركتها إلى اللام

(الحجة)

إذا خففت الهمزة في الأيكة وقد ألحقتها الألف واللام حذفتها وألقيت حركتها على اللام ويجوز فيه إذا استأنف لغتان فمن قال الحمر قال الايكة ومن قال احمر قال ايكة

(اللغة)

الايكة الشجر الملتف وجمعها ايك مثل شجرة وشجر قال امية

كبكا الحمام على فرو ع الأيك في الطير الجوانح

وقيل الأيكة الغيضة والمتوسم الناظر في السمة الدالة وهي العلامة ويقال وسمت الشيء وسما إذا أثرت فيه بسمة

ومنه الوسمي اول المطر لأنه يسم الارض بالنبات وتوسم الرجل طلب كلأ الوسمي قال

وأصبحن كالدوم النواعم غدوة ... على وجهة من طاعن متوسم

وتوسم فيه الخير إذا عرف سمة ذلك فيه والأمام الطريق والإمام المبين اللوح المحفوظ والإمام في اللغة هو المتقدم الذي يتبعه من بعده. الحجر اخذ من الحجر الذي هو المنع ومنه سمي العقل حجرا لأنه يمنع من القبائح

﴿ الاعراب ﴾

انتصب قوله مشرقين ومصبحين على الحال يقال اشرقوا وهم مشرقون اذا صادفوا شروق الشمس وهو طلوعها كما يقال اصبحوا اذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس وان في قوله وان كان اصحاب الايكة مخففة من الثقيلة آمنين منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال (فأخذتهم الصيحة مشرقين) اي اخذهم الصوت الهائل في حال شروق الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) مضى تفسيره في سورة هود (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) معناه ان فيما سبق ذكره من اهلاك قوم لوط لدلالات للمتفكرين المعتبرين عن قتادة وابن زيد وقيل للمتفرسين عن مجاهد وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقال إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره. (وانها لبسبيل مقيم) معناه ان مدينة لوط لبطريق مسلوك يسلكها الناس في حوائجهم فينظرون إلى آثارها ويعتبرون بها لأن الآثار التي يستدل بها مقيمة ثابتة بها وهي مدينة سدوم وقال قتادة ان قرى قوم لوط بين المدينة والشام (إن في ذلك لآيات) أي عبرة ودلالة (للمؤمنين) وخص المؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا بها (وإن كان اصحاب الأيكة لظالمين) واصحاب الأيكة هم اهل الشجر الذين ارسل اليهم شعيب(ع) وارسل الى أهل مدين فأهلكوا بالصيحة واما اصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بنارها عن قتادة وجماعة من المفسرين ومعنى الآية انه كان اصحاب الايكة لظالمين في تكذيب رسولهم وكانوا اصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى بالحر سبعة ايام ثم أنشأ سبحانه سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما اجتمعوا تحتها ارسل منها صاعقة فأحرقتهم جميعا (فانتقمنا منهم) أي من قوم شعيب ومن قوم لوط أي عذبناهم بما انتقمناه منهم والانتقام هو المجازاة على جناية سابقة وفرق علي بن عيسى بين الانتقام والعقاب بأن الانتقام هو نقيض الانعام والعقاب هو نقيض الثواب (وانهما لبإمام مبين) معناه وان مدينتي قوم لوط واصحاب الأيكة بطريق يؤم ويتبع ويهتدى به عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسمي الطريق إماما لأن الإنسان يؤمه وقيل معناه وان حديث مدينتيهما لمكتوب مذكور في اللوح المحفوظ او حديث لوط وحديث شعيب عن الجبائي فيكون نظير قوله وكل شيء أحصيناه في إمام مبين والمبين الظاهر ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم صالح فقال (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) والحجر اسم البلد الذي كان فيه ثمود وإنما سموا اصحاب الحجر لأنهم كانوا سكانه كما يسمى الاعراب الذين يسكنون البوادي اصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها وقيل ان الحجر اسم لواد كان يسكنها هؤلاء عن قتادة وإنما قال تعالى المرسلين لأن في تكذيب صالح تكذيب المرسلين لأنه كان يدعوهم الى ما دعا اليه المرسلون والى الإيمان بالمرسلين فكان في تكذيب احدهم تكذيب الجميع وقيل بعث الله اليهم رسلا منهم صالح عن الجبائي (وآتيناهم آياتنا) اي آتينا اصحاب الحجر الحجج والمعجزات والدلالات الدالة على صدق الأنبياء وقيل آتينا الرسل الآيات عن الحسن (فكانوا عنها) اي عن الآيات (معرضين) اعرضوا عن التفكر فيها

والاستدلال بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) اي وكان قوم صالح في القوة بحيث ينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها وكانوا آمنين من خرابها وسقوطها عليهم وقيل كانوا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الموت لطول اعمارهم (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي فأهلكوا بالصيحة في وقت دخولهم في الصباح (فما اغنى عنهم) اي فما دفع عنهم العذاب ولم يغنهم (ما كانوا يكسبون) اي يجمعون من المال والاولاد وانواع الملاذ

قوله تعالى (٨٥) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ (٨٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ (٨٧) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ (٨٨) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٩) وَقُلْ إِنِّي أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ (٩٠) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ (٩١) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ سبع آيات

اللغة

عضين جمع عضة واصله عضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عضين بالنون كما قال عزة وعزون والأصل عزوة والتعضية التفريق مأخوذ من الاعضاء يقال عضيت الشيء أي فرقته وبعضته قال روبة « وليس دين الله بالمعضي» وقال آخر

تلك ديار تأزم المآزما وعضوات تقطع اللهازما

وقيل أصل عضة عضهة فحذفت الهاء كما حذفت من شفة وشاة وأصلها شفهة وشاهة بدلالة ان الجمع شفاه وشياه بالهاء والتصغير شفيهة وشويهة

المعنى

(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) معناه وما خلقناها عبثا بل لما اقتضته الحكمة وهي انا قد تعبدنا اهلها ثم نجازيهم بما عملوا (وإن الساعة) وهي يوم القيامة (لآتية) اي جائية بلا شك بعذابهم وقيل بمجازاة الخلائق كلهم وقيل هو تفسير قوله الا بالحق (فاصفح الصفح الجميل) اي فأعرض يا محمد عن مجازاة المشركين وعن مجاوبتهم واعف عنهم عفواً جميلا واختلف في الآية فقيل انها منسوخة بآية القتال عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وقيل لا نسخ فيه بل هو فيما بين النبي ﷺ وبينهم لا فيما أمر به من جهة جهادهم. أمره بالصفح عنهم في موضع الصفح لقوله فاعرض عنهم وعظهم عن الحسن قال القاضي والصفح ممدوح في سائر الحالات وهو كالحلم والتواضع وقد يلزمنا الصفح الجميل مع لزوم التشدد في أمر الجهاد وحكي عن علي بن ابي طالب (ع) إن الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب وقيل هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ (ان ربك هو الخلاق) للاشياء (العليم) بتدبير خلقه فلا يخفى عليه ما يجري بينكم ويجوز ان يريد ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اصلح الآن إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خص به نبيه ﷺ من النعم فقال (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) وقد تقدم الكلام فيه وإن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب وهو قول علي (ع) وابن عباس والحسن وابي العالية وسعيد بن جبير وابراهيم ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله وابي جعفر عليهما السلام وقيل هي السبع الطوال وهي السور السبع من أول القرآن وانما سميت مثاني لأنه يثني فيها الاخبار والعبر عن ابن عباس في رواية أخرى وابن مسعود وابن عمر والضحاك وقيل المثاني القرآن كله لقوله كتابا متشابها مثاني عن ابي مالك وطاوس وروي نحو ذلك عن عباس ومجاهد ومن قال هي فاتحة الكتاب

اختلفوا في سبب تسميتها مثاني فقيل لأنها تثنى قراءتها في الصلاة عن الحسن وابي عبد الله (ع) وقيل لأنها تثنى بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزجاج وقيل لأن فيها الثناء مرتين وهو الرحمن الرحيم وقيل لأنها مقسومة بين الله وعبده على ما روي في الخبر وقيل لأن نصفها ثناء ونصفها دعاء وقيل لأنها نزلت مرتين تعظيما وتشريفا لها وقيل لأن حروفها كلها مثناة نحو الرحمن الرحيم إياك وإياك والصراط والصراط وصراط وقيل لأنها تثني أهل الفسق عن الفسق ومن قال المراد بالمثاني القرآن كله فإن من في قوله من المثاني يكون للتبعيض ومن قال انها الحمد كان من للتبيين وقال الراجز

نشدتكم بمنزل القرآن ... أم الكتاب السبع من مثاني

ثنتين من آي من القرآن ... والسبع سبع الطول الدواني

(والقرآن العظيم) تقديره وآتيناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج اليه من أمور الدين بأوجز لفظ واحسن نظم وأتم معنى (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم) اي لا ترفعن عينيك من هؤلاء الكفار الى ما متعناهم وانعمنا عليهم بامثالا في النعم من الاموال والاولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا فإنها في معرض الزوال والفناء مع ما يتبعها من الحساب والجزاء وعلى هذا فيكون ازواجا منصوبا على الحال والمراد به الاشباه والامثال وقيل ان معناه لا تنظرن إلى ما في أيديهم من النعم التي هي اشباه يشبه بعضها بعضا فإن ما انعمنا عليك وعلى من اتبعك من انواع النعم وهي النبوة والقرآن والإسلام والفتوح وغيرها اكثر واوفر مما آتيناهم وقيل ان معناه ولا تنظرن ولا تعظمن في عينيك ولا تمدهما إلى ما متعنا به اصنافا من المشركين والأزواج الاصناف ويكون على هذا مفعولا به نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه اليها وكان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا (ولا تحزن عليهم) أي على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب عن الكلبي وقيل لا تحزن عليهم بما يصيرون اليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن وقيل لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك عن الجبائي (واخفض جناحك للمؤمنين) أي ألن لهم جانبك وارفق بهم عن ابن عباس والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقورا حليما وأصله ان الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفضه فالمعنى تواضع للمؤمنين لكي يتبعك الناس في دينك (وقل اني انا النذير المبين) معناه وقل اني انا المعلم بموضع المخافة ليتقى المبين لكم ما تحتاجون اليه وما ارسلت به اليكم (كما أنزلنا على المقتسمين) قيل فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن عضين) أي فرقوه وجعلوه اعضاء كأعضاء الجزور فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه عن قتادة قال آمنوا بما وافق دينهم وكفروا بما خالف دينهم وقيل سماهم مقتسمين لأنهم اقتسموا كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها عن ابن عباس ﴿والآخر﴾ ان معناه اني انذركم عذابا كما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان به قال مقاتل وكانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فأنزل الله بهم عذابا فماتوا شر ميتة ثم وصفهم فقال الذين جعلوا القرآن عضين أي جزأوهم اجزاء فقالوا سحر وقالوا اساطير الأولين وقالوا مفترى عن ابن عباس

﴿النظم﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها هو ان الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا لأن الله تعالى ما خلق السماوات والارض إلا بالحق و ان الساعة آتية للجزاء وان جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم بديره واتصل قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني بقوله فاصفح الصفح الجميل فإنه سبحانه لما أمره بالصفح عن أذاهم بين ما خصه الله به من النعم وما له من الحجة عليهم واتصل قوله كما أنزلنا على القول الأول بهذا اي كما أنزلنا عليهم أنزلنا اليك القرآن وعلى

القول الثاني يتصل بقوله انا النذير

قوله تعالى (٩٢) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٤) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٦) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٨) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٩) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ثماني آيات

اللغة

الصدع والفرق والفصل نظائر وصدع بالحق إذا تكلم به جهارا قال ابو ذؤيب

كأنهن ربابة وكأنه ... يسر يفيض على القداح ويصدع

والصديع الصبح قال «كأن بياض غرته الصديع»

الإعراب

فاصدع بما تؤمر ان جعلت ما بمعنى الذي كان العائد من الصلة إلى الموصول محذوفا ويكون تقديره على استعمال الصيغة فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم تحذف الباء التي في به فيصير بالصدعه ولا يجوز الاضافة مع لام المعرفة فتحذف لام المعرفة توصلا بحذفه إلى الاضافة فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف المضاف ويقيم المضاف اليه مقامه فيبقى بما تؤمر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك امرتك الخير في امرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر وهذا من لطائف اسرار النحو وإن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجبت مما فعلت والتقدير عجبت من فعلك ولا يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف وحكي يونس النحوي عن رؤبة انه قال في هذه اللفظة افصح ما في القرآن

المعنى

لما بين سبحانه كفرهم بالقرآن وتعضيتهم له بين عقيب ذلك لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم انه يسألهم عما فعلوه ويجازيهم عليه فقال (فوربك) يا محمد (لنسئلنهم اجمعين) اقسم بنفسه وأضاف نفسه إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم تشريفا له وتنبيها للخلق على عظيم منزلته عنده لنسألن هؤلاء الكفار سؤال توبيخ وتقريع بأن نقول لهم لم عصيتم وما حجتكم في ذلك فيظهر عند ذلك خزيهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب (عما كانوا يعملون) معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفيان بن عيينة وقيل عن لا إله إلا الله والإيمان برسله عن الكلبي وقيل عما كانوا يعبدون وبماذا أجابوا المرسلين عن ابي العالية (فاصدع بما تؤمر) أي اظهر واعلن وصرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وابن زيد وقيل معناه فافرق بين الحق والباطل بما أمرت به عن الجبائي والأخفش وقيل أبن ما تؤمر به وأظهره عن الزجاج قال وتأويل الصدع في الزجاج وفي الحائط ان تبين بعض الشيء عن بعض (واعرض عن المشركين) اي لا تخاصمهم إلى أن تؤمر بقتالهم وقيل معناه لا تلتفت اليهم ولا تخف عنهم عن ابي مسلم وقيل واعرض عن مجاوبتهم إذا آذوك عن الجبائي (إنا كفيناك المستهزئين) اي كفيناك شر المستهزئين واستهزاءهم بأن اهلكناهم وكانوا خمسة نفر من قريش العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وابو زمعة وهو الاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن قيس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمد بن ثور وسادسهم الحارث بن الطلاطلة وأمه عيطلة قالوا وأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمستهزؤون يطوفون بالبيت فقام جبرائيل ورسول الله إلى

جنبه فمر به الوليد بن المغيرة المخزومي فأومى بيده إلى ساقه فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضا حتى مات ومر به العاص بن وائل السهمي فأشار جبرائيل إلى رجله فوطئ العاص على شوكة فدخلت في اخمص رجله فقال لدغت فلم يزل يحكها حتى مات ومر به الاسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمي وقيل رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات وقيل اصابه السموم فصار اسود فاتى اهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر به الحارث بن الطلاطلة فاومى الى رأسه فامتخط قيحاً فمات وقيل ان الحرث بن قيس أكل حوتا مالحاً فأصابه العطش فما زال يشرب حتى انقدّ بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال (الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) أي اتخذوا معه إلهاً يعبدونه (فسوف يعلمون) هذا وعيد لهم وتهديد (ولقد نعلم انك) يا محمد (يضيق صدرك) اي قلبك (بما يقولون) من تكذيبك والاستهزاء بك وهذا تعزية من الله تعالى لنبيه وتطييب لقلبه (فسبح بحمد ربك) أي قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) اي المصلين عن الضحاك وابن عباس قال وكان رسول الله ﷺ إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة وقيل معناه احمد ربك على نعمه اليك وكن من الذين يسجدون لله ويوجهون بعبادتهم اليه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي إلى أن يأتيك الموت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل حتى يأتيك اليقين من الخير والشر عند الموت عن قتادة وسمي الموت يقينا لأنه موقن به ويحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول معه التكليف قال الزجاج المعنى اعبد ربك ابد الآبدين ولو قال اعبد ربك بغير توقيت لجاز أن يكون الانسان مطيعا إذا عبد الله مرة فإذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامة على العبادة ابدا ما دام حياً

(سورة النحل)

اربعون آية من أولها مكية والباقي من قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم إلى آخر السورة مدنية عن الحسن وقتادة وقيل مكية كلها غير ثلاث آيات نزلت في انصراف النبي ﷺ من أحد وإن عاقبتم فعاقبوا إلى آخر السورة نزلت بين مكة والمدينة عن ابن عباس وعطا والشعبي وفي إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكي وبعضها مدني فالمكي من أولها إلى قوله ولكم عذاب عظيم والمدني قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله بأحسن ما كانوا يعملون

﴿ عدد آيها ﴾

مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها اختلاف

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية وإن مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر «ع» قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من انواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص وكان مسكنه في جنة عدن وهي وسط الجنان

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة بوعيدهم ايضا فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ آيتان

﴿ القراءة ﴾

تشركون بالتاء كوفي غير عاصم والباقون بالياء تنزل الملائكة بفتح التاء والزاي والتشديد ورفع الملائكة روح وزيد عن يعقوب وسهل وهي قراءة الحسن والباقون ينزل بالياء بكسر الزاي ونصب الملائكة وابن كثير وابو عمرو يخففان ينزل على أصلها وكذلك رويس عن يعقوب والباقون يشددون

﴿ اللغة ﴾

قيل ان التسبيح بالتشديد في اللغة على اربعة اقسام ﴿ الاول ﴾ التنزيه كقوله سبحان الذي أسرى ﴿ والثاني ﴾ بمعنى الاستثناء كقوله لولا تسبحون أي تستثنون بقولكم إن شاء الله ﴿ والثالث ﴾ بمعنى الصلاة كقوله فلولا انه كان من المسبحين ﴿ والرابع ﴾ بمعنى النور كما جاء في الحديث فلولا سبحات وجهه أي نوره والروح يأتي على عشرة اقسام الروح حياة النفوس بالارشاد والروح الرحمة كما ورد في القراءة فروح وريحان والروح النبوة كقوله يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده والروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر وقيل من غير فحل وقيل لكونه رحمة على عباده بما يدعوهم إلى الله والروح جبرائيل(ع) والروح النفخ يقال أحييت النار بروحي أي بنفخي قال ذو الرمة يصف الزند والزندة

فلما بدت كفيتها وهي طفلة ... بطلساء لم تكمل ذراعاً ولا شبرا
وقلت له ارفعها اليك وأحيها ... بروحك واقتته لها قيتة قدرا

والروح الوحي في قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقيل انه جبرائيل والروح ملك في السماء من اعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف صفاً والملائكة كلهم صفا والروح روح الانسان وقال ابن عباس في الانسان روح ونفس فالنفس هي التي يكون فيها التمييز والكلام والروح هو الذي يكون به الغطيط والنفس فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه وإذا مات خرجت نفسه وروحه معا

﴿ المعنى ﴾

(أتى أمر الله) فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه قرب أمر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين المقيمين على الكفر والتكذيب عن الحسن وابن جريج قال الحسن ان المشركين قالوا للنبي ﷺ ائتنا بعذاب الله فقال سبحانه ان أمر الله آت وكل ما هو آت قريب دان ﴿ وثانيها ﴾ ان امر الله احكامه وفرائضه عن الضحاك ﴿ وثالثها ﴾ ان امر الله هو يوم القيامة عن الجبائي وروي نحوه عن ابن عباس وعلى هذا الوجه فيكون أتى بمعنى يأتي وجاء وقوع الماضي ههنا لصدق المخبر بما اخبر به فصار بمنزلة ماقد مضى ولأن سبحانه قرب أمر الساعة فجعله اقرب من لمح البصر وقال اقتربت الساعة (فلا تستعجلوه) خطاب للمشركين المكذبين بيوم القيامة ولعذاب الله المستهزئين به وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وتقديره قل لهؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منهما في وقته وحينه

كما تقتضيه حكمته (سبحانه وتعالى عما يشركون) هذه كلمة تنزيه لله تعالى عما لا يليق به وبصفاته وتنزيه له من أن يكون له شريك في عبادته أي جل وتقدس وتنزه من أن يكون له شريك تعالى وتعظم وارتفع من جميع صفات النقص (ينزل الملائكة) أي ينزل الله الملائكة او تنزل الملائكة (بالروح من أمره) أي بالوحي عن ابن عباس وقيل بالقرآن عن ابن زيد وهما واحد وسمي روحا لأنه حياة القلوب والنفوس بالارشاد إلى الدين وقيل بالنبوة عن الحسن وقوله من أمره أي بأمره ونظيره قوله يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله لأن أحدا لا يحفظه عن أمره (على من يشاء من عباده) ممن يصلح للنبوة والسفارة بينه وبين خلقه (ان انذروا انه لا إله إلا انا فاتقون) هذا تفسير للروح المنزل وبدل منه فإن المعنى تنزل الملائكة بأن انذروا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا انا أي مروهم بتوحيدي وبأن لا يشركوا بي شيئاً ومعنى فاتقون فاتقوا مخالفتي وفي هذا دلالة على ان الغرض من بعثة الأنبياء الانذار والدعاء إلى الدين

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله سبحانه وتعالى بما تقدم ان الكفار كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به ويكذبون البعث والقيامة فبين سبحانه انه منزه عما يصفون به فإن الحكيم إذا كلف وجب أن يجازي المكلف فترك المجازاة قبيح وقيل انهم كانوا ينكرون قدرة الله تعالى سبحانه على اعادة الخلق فنزه نفسه عن قولهم واتصل قوله ينزل الملائكة بما تقدم فإنه سبحانه لما أوعدهم بالعذاب بين انه ينزل الملائكة للتخويف وانه لا يأخذ أحداً من المشركين حتى يحتج عليه بالنذر وقيل انه سبحانه بين ان الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب وان الصلاح الآن انزال الملائكة الى النبي ﷺ بالوحي والكتاب للانذار وبيان الأدلة ولذلك اتبعه بذكر الأدلة

قوله تعالى (٣) خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤) خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٥) وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٦) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٧) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر بشق الأنفس بفتح الشين والباقون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

الشق والشق بكسر الشين وفتحها بمعنى وكلاهما المشقة قال عمرو بن ملقط وهو جاهلي « والخيل قد تجشم اربابها الشق » وقد تعسف الراوية والرواية بفتح الشين

=(اللغة)=

الانعام جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم سميت بذلك لنعمة مشيها بخلاف الحافر الذي يصلب مشيها والدفء ما استدفأت به ودفؤ يومنا دفأ فهو دفيء والاراحة رد الماشية بالعشي من مراعيها إلى مباركها والمكان الذي يراح فيه مراح والسروح خروج الماشية الى المرعى بالغداة يقال سرحت الماشية سرحا وسروحا وسرحها أهلها قال

كأن بقايا الاثر فوق متونه مدب الدبا فوق النقا وهو سارح

والاثقال جمع الثقل وهو المتاع الذي يثقل حمله

﴿ الاعراب ﴾

والانعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده والتقدير وخلق الانعام خلقها وقوله لكم فيها دفء جملة منصوبة الموضع على الحال من الانعام والتقدير كائنة بهذه الصفة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر بعث الملائكة للانذار وبيان التوحيد وشرائع الاسلام اتبعه سبحانه بالاحتجاج على الخلق بالخلق وتعداد صنوف الانعام فقال (خلق السماوات والارض بالحق) ومعناه انه خلقهما ليستدل بهما على معرفته ويتوصل بالنظر فيهما إلى العلم بكمال قدرته وحكمته وقيل خلقهما لينتفع بهما في الدين والدنيا وليعمل بالحق (تعالى عما يشركون) اي تقدس عن ان يكون له شريك ثم بين سبحانه دلالة اخرى فقال (خلق الإنسان من نطفة) والنطفة الماء القليل غير انه بالتعارف صار اسما لماء الفحل (فإذا هو خصيم مبين) اختصرها هنا ذكر تقلب احوال الإنسان لذكره ذلك في امكنة كثيرة من القرآن فالمعنى انه خلق الانسان من نطفة سيالة ضعيفة مهينة دبرها وصورها بعد ان قلبها حالا بعد حال حتى صارت انسانا يخاصم عن نفسه ويبين عما في ضميره فبين سبحانه انقص احوال الإنسان واكملها منبها على كمال قدرته وعلمه وقيل خصيم مجادل بالباطل مبين ظاهر الخصومة عن ابن عباس والحسن فعلى هذا يكون المعنى انه خلقه ومكنه فأخذ يخاصم في نفسه وفيه تعريض افاحش ما ارتكبه الإنسان من تضييع حق نعمة الله عليه ثم بين سبحانه نعمته في خلق الانعام فقال (والانعام خلقها) معناه وخلق الأنعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله والله خلق كل دابة من ماء واكثر ما يتناول الأنعام الابل ويتناول البقر والغنم ايضا وفي اللغة هي ذوات الاخفاف والأظلاف دون ذوات الحوافر (لكم فيها دفء) اي لباس عن ابن عباس ومجاهد وقيل ما يستدفأ به مما يعمل من صوفها ووبرها وشعرها عن الحسن فيدخل فيه الاكسية واللحف والملبوسات وغيرها قال الزجاج اخبر سبحانه أن في الأنعام ما يدفئنا ولم يقل ولكم فيها ما يكنكم من البرد لأن ما ستر من الحر ستر من البرد وقال في موضع آخر سرابيل تقيكم الحر فعلم انها تقي البرد ايضا فكذلك هاهنا وقيل ان معناه وخلق الانعام لكم اي لمنافعكم ثم ابتدأ وأخبر وقال فيها دفء عن الحسن وجماعة (ومنافع) معناه ولكم فيها منافع اخر من الحمل والركوب واثارة الأرض والزرع والنسل (ومنها تأكلون) اي ومن لحومها تأكلون (ولكم فيها جمال) اي حسن منظر وزينة (حين تريحون) اي حين تردونها إلى مراحها وهي حيث تأوي اليه ليلا (وحين تسرحون) اي حين ترسلونها بالغداة إلى مراعيها واحسن ما يكون النعم إذا راحت عظاما ضروعها ممتلئة بطونها منتصبة اسنمتها وكذلك إذا سرحت إلى المراعي رافعة رؤوسها فيقول الناس هذه جمال فلان ومواشيه فيكون له فيها جمال (وتحمل اثقالكم) اي امتعتكم (إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) أي وتحمل الإبل وبعض البقر احمالكم الثقيلة إلى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأحمال إلا بكلفة ومشقة تلحق انفسكم فكيف تبلغونه مع الاحمال لولا أن الله تعالى سخر هذه الانعام لكم حتى حملت اثقالكم إلى اين شئتم وقيل إن الشق معناه الشطر والنصف فيكون المراد الا بأن يذهب شطر قوتكم اي نصف قوة الأنفس وقيل معناه تحمل اثقالكم الى مكة لأنها من بلاد الفلوات عن ابن عباس وعكرمة (إن ربكم لرؤوف) أي ذو رأفة (رحيم) أي ذو رحمة ولذلك انعم عليكم بخلق هذه الانعام ابتداء منه بهذه الانعام

قوله تعالى (٨) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٠) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١١) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ

وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٣) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ست آيات

القراءة

قرأ حماد ويحيى عن ابي بكر عن عاصم ننبت بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع وقرأ حفص عن عاصم والشمس والقمر بالنصب والنجوم مسخرات بالرفع وقرأ الباقون كل ذلك بالنصب

(الحجة)

من قرأ ينبت بالياء فلما تقدم من قوله هو الذي انزل فالياء اشكل بما تقدم من الافراد والنون لا يمتنع ايضا ويقال نبت البقل وأنبته الله قال ابو علي والنصب في قوله والشمس والقمر احسن ليكون معطوفا على ما قبله وداخلا في اعرابه ألا ترى أن ما في التنزيل من نحو قوله وكلا ضربنا له الامثال والظالمين اعد لهم عذابا اليما يختار فيه النصب ليكون مثل ما يعطف عليه ومشاكلا له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التسخير كان اشبه فإن قلت فقد جاء مسخرات بعد هذه الاشياء المنصوبة المحمولة على سخر فإن ذلك لا يمتنع لان الحال تكون مؤكدة ومجيء الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير كقوله وهو الحق مصدقا وانا ابن دارة معروفا « وكفى بالنأي من اسماء كاف» ويقوي النصب قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فكما حمل هنا على التسخير كذلك في الاخرى وكذلك النجوم قد حملت على التسخير في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وكأن ابن عامر قطعه عن سخر لئلا يجعل الحال مؤكدة فابتدأ الشمس والقمر والنجوم وجعل مسخرات خبرا عنها ويدل على جواز ذلك انه إذا جاء سخر لكم الشمس والقمر والنجوم علم من هذا انها مسخرات فجاز الإخبار بالتسخير عنها لذلك وأما حفص فإنما رفع والنجوم مسخرات لانه لا يصح أن يقال وسخر النجوم مسخرات فقطعها عما قبلها فعلى هذا يكون حجة من نصب أن يقدر فعلا آخر وتقديره وجعل النجوم مسخرات

اللغة

القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا قصد إلى ما يريد والجائر المائل عن الحق والشجر ما ينبت من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه اشجار ومنه المشاجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر وقال الازهري الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقم تسيمون من الاسامة يقال أسمت الابل إذا رعيتها واطلقتها فترعى متصرفة حيث شاءت وسامت هي إذا رعت وهي تسوم و إبل سائمة ويقال سمتها إذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل سيم فلان خسفا إذا ذل واهتضم قال الكميت في الاسامة

راعيا كان مسجحا ففقدناه وفقد المسيم هلك السوام

وقال آخر

وأسكن ما سكنت ببطن وادٍ وأظعن إن ظعنت فلا اسيم

وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن اونقصانه إلى ما يهواه كما تذهب السائمة حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على أن

المواشي لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وحمله آخرون على أن البيع في ذلك الوقت مكروه لأن المبيع لا تنتشر عيوبه فيدخل في بيع الغرر المنهي عنه والذرأ اظهار الشيء بايجاده يقال ذرأه يذرأه وذرأه وفطره وانشأه نظائر وملح ذرءاني ظاهر البياض

﴿ الاعراب ﴾

نصب الخيل والبغال والحمير على انها مفعول في المعنى أي وخلق الخيل والبغال والحمير ونصب زينة لأنها مفعول لها والمعنى وخلقها زينة وما ذرأ ما بمعنى الذي وموضعه نصب على تقدير وخلق ما ذرأ لكم وقيل هو في موضع الجر بالعطف على ذلك أي أن في ذلك وفي ما ذرأ لكم . مختلفا نصب على الحال والواو انه فاعله

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما عدده من صنوف انعامه فقال (والخيل) اي وخلق لكم الخيل (والبغال والحمير لتركبوها) في حوائجكم وتصرفاتكم (وزينة) أي ولتتزينوا بها منّ الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجملون به وليس في هذا ما يدل على تحريم اكل لحومها وقد روى البخاري في الصحيح مرفوعا إلى اسماء بنت ابي بكر قالت أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ويخلق مالا تعلمون) من انواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم (وعلى الله قصد السبيل) اي بيان قصد السبيل عن ابن عباس ومعناه واجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم وهو بيان الهدى من الضلالة والحلال من الحرام ليتبع الهدى والحلال ويجتنب الضلالة والحرام وهذا مثل قوله إن علينا للهدى (ومنها جائر) معناه من السبيل ما هو جائر أي عادل عن الحق (ولو شاء لهداكم اجمعين) إلى قصد السبيل بالالجاء والقهر فانه قادر على ذلك وقيل معناه لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلا عن الجبائي وأبي مسلم وقيل إن معنى الآية وعلى الله الممر . ومن الطريق التي الممر فيها على الله جائر وكلاهما على الله لا يخرج احدا عن قبضته وحكمه كقوله إن ربك لبالمرصاد وقيل على الله ممر في السبيل القصد والسبيل الجائر واليه مرجع كل واحد منها لا يخرج واحد عن سلطانه ولو أراد ان يحمل الجميع على الحق لفعل ومن عدل عن الطريق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عد سبحانه نعمة اخرى دالة على وحدانيته فقال (هو الذي انزل من السماء ماء) اي مطرا (لكم منه شراب) اي لكم من ذلك الماء شراب تشربونه (ومنه شجر) فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المراد ومنه شرب شجر أوسقي شجر فحذف المضاف والآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر فحذف المضاف الى الهاء في منه كما قال زهير

أمن ام اوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم

أي امن ناحية ام اوفى وقال ابو ذؤيب

امنك البرق ارقبه فهاجا ... فبت اخاله دهما خلاجا

اي أمن جهتك وقال الجعدي

لمن الديار عفون بالتهطال ... بقيت على حجج خلون طوال

أي على مر حجج والمعنى وينبت منه شجر ونبات (فيه تسيمون) أي ترعون انعامكم من غير كلفة والتزام مؤنة لعلفها (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) أي ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء التي عددها لتنتفعوا بها (ان في ذلك لآية) اي دلالة وحجة واضحة (لقوم

يتفكرون) فيه فيعرفون الله تعالى به وخص المتفكرين فيه لأنهم المنتفعون به (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر) قد مضى بيانه والتسخير في الحقيقة للشمس والقمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس والليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الفجر الا انه سبحانه اجرى التسخير على الليل والنهار على سبيل التجوز والاتساع (والنجوم مسخرات بأمره) مضى بيانه (إن في ذلك) التسخير (لآيات) أي دلالات (لقوم يعقلون) عن الله ويتبينون ان المسخر لذلك على هذا تقدير الذي لا يختلف لأجل منافع خلقه ومصالحهم والمدبر لذلك قادر عالم حكيم (وما ذرء لكم في الأرض) اي سخر لكم ما خلقه لكم في الأرض أي لقوام ابدانكم من الملابس والمطاعم والمناكح من انواع الحيوان والنبات والمعادن وسائر النعم (مختلفا الوانه) لا يشبه بعضها بعضا (ان في ذلك لآية) أي دلالة (لقوم يذكرون) أي يتفكرون في الادلة فينظرون فيها ويتعظون ويعتبرون بها

قوله تعالى (١٤) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٥) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٦) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٧) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٨) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

❋ القراءة ❋

في الشواذ قراءة الحسن وبالنجم بضم النون

❋ الحجة ❋

هو جمع نجم مثل سقف وسقف ورهن ورهن

❋ اللغة ❋

المخر شق الماء من عن يمين وشمال مخرت السفينة الماء تمخر مخرا فهي ماخرة والمخر ايضا صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها ومخر الأرض شقها للزراعة ومخرها بالماء اذا ارسل عليها الماء لتطيب والميد الميل يمينا وشمالا وهو الاضطراب ماد يميد ميدا والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقد تكون وضعية وقد تكون برهانية

❋ الاعراب ❋

قوله أن تميد بكم في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان تميد بكم وانتصب قوله وانهارا وسبلا بمحذوف تقديره وجعل لكم انهارا لدلالة قوله القى عليه لأنه لا يجوز ان يكون عطفا على القى ومثله قوله «علفتها تبنا وماء باردا» وقول الآخر

تسمع في اجوافهن صردا وفي اليدين جسأة وبردا

أي وترى في اليدين يبسا وتفرقا وعلامات منصوب عطف على قوله وانهارا وسبلا وقيل وخلق لكم علامات

المعنى

ثم عدد سبحانه نوعا آخر من انواع نعمه فقال (وهو الذي سخر البحر) اي ذلله لكم وسهل لكم الطريق الى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع (لتأكلوا منه لحما) اي لتصطادوا منه انواع السمك وتأكلوا لحمه (طريا) ولا يجوز ان يهمز طريا لأنه من الطراوة (وتستخرجوا منه حلية) يعني اللآلئ التي تخرج من البحر بالغوص (تلبسونها) وتتزينون بها وتلبسونها نساءكم ولولا تسخيره سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الدنو منه والغوص فيه (وترى الفلك مواخر فيه) اي وترى أيها الإنسان السفن شواق في البحر وقواطع لمائه عن عكرمة وقيل جواري عن ابن عباس (ولتبتغوا من فضله) اي ولتركبوه للتجارة وتطلبوا من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) اي ولكي تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها ويثيبكم والواو انما دخلت في ذلك للدلالة على ان الله سبحانه أراد جميع ماذكره إنعاما منه على عباده (والقى في الأرض رواسي) اي جبالا عالية ثابتة واحدها راسية (ان تميد بكم) الأرض اي كراهة ان تميد بكم أولئلا تميد بكم اي تتحرك وتضطرب (وانهارا) اي وجعل فيها انهارا (وسبلا) اي طرقا لكي تجروا الماء في الانهار إلى بساتينكم وحيث تريدون وتهتدوا بالطرق إلى حيث شئتم من البلاد وقيل اراد بالأنهار النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وأمثالها (لعلكم تهتدون) قد ذكرنا معناه وقيل لتهتدوا بها الى توحيد الله (وعلامات) وجعل لكم علامات اي معالم تعلم بها الطرق وقيل العلامات الجبال يهتدى بها نهارا (وبالنجم هم يهتدون) ليلا عن ابن عباس والمراد بالنجم الجنس اي جميع النجوم الثابتة وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ وبالنجم هم يهتدون وقيل ان العلامات هي النجوم ايضا لأن من النجوم ما يهتدى بها ومنها ما يكون علامات لا يهتدى بها عن قتادة ومجاهد وقيل أراد به الاهتداء في القبلة قال ابن عباس سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه فقال الجدي علامة قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم وقال ابو عبد الله (ع) نحن العلامات والنجم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال ان الله جعل النجوم أمانا لأهل السماء وجعل أهل بيتي أمانا لأهل الأرض (أفمن يخلق كمن لا يخلق) معناه أفمن يخلق هذه الأشياء في استحقاق العبادة والإلهية كالاصنام التي لا تخلق شيئا حتى يسوى بينها في العبادة وبين خالق جميع ذلك (أفلا تذكرون) اي أفلا تتذكرون أيها المشركون فتعتبرون وتعرفون ان ذلك من الخطأ الفاحش وجعل من فيما لا يعقل لما اتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكر كثرة نعمه فقال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) معناه وإن أردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها لم يمكنكم احصاؤها ولا تعديدها وإنما يمكنكم ان تعرفوا جملها بين سبحانه ان من وراء النعم التي ذكرها نعما له لا تحصى (ان الله لغفور) لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها

قوله تعالى (١٩) وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٠) وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢١) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢٢) إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٣) لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ خمس آيات

القراءة

والذين يدعون بالياء عاصم غير الاعشى والبرجمي عن ابي بكر ويعقوب وسهل والباقون بالتاء.

— الحجة —

من قرأ بالتاء فلأن مابعده وماقبله خطاب ومن قرأ بالياء وجه الخطاب الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويكون الخبر عن المشركين

المعنى

لما قدم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه وكمال قدرته عقبه ببيان علمه بسريرة كل أحد وعلى نيته ثم ذكر بطلان الإشراك في عبادته فقال (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أخبر سبحانه انه يعلم ما يسرونه وما يظهرونه فيجازيهم على افعالهم إذلا يخفى عليه الجلي والخفي من أحوالهم (والذين يدعون من دون الله) إلها (لايخلقون شيئا وهم يخلقون) يعني الاصنام لا يمكنها خلق شيء بل هي مخلوقة مربوبة منحوتة من الحجر والخشب ونحوهما مما هو مخلوق لله تعالى ثم قال (اموات) اي هي اموات (غير احياء) اكد كونها امواتا بقوله غير احياء لنفي الحياة عنها على الاطلاق فإن من الاموات من سبقت له حالة في الحياة وله حالة منتظرة في الحياة بخلاف الاصنام فإنه ليس لها حياة سابقة ولا منتظرة وقال موات ولم يقل اموات وان كان الاموات جمع الميت الذي كان فيه حياة فزالت لأنهم صور والاصنام على صور العقلاء وهيئاتهم وعاملوها معاملة العقلاء تسمية واعتقادا ولذلك قال لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (وما يشعرون أيان يبعثون) معناه وما تشعر هذه الاصنام متى تبعث عن الفراء وقيل في الآية ان معناه هم اموات يعني ان الكفار في حكم الاموات لذهابهم عن الحق والدين ولا يدرون متى يبعثون وقيل أن المعنى ولا تدري الاصنام متى يبعث الخلق عن الجبائي وأيان في موضع نصب بيبعثون وقرئ في الشواذ ايان بكسر الهمزة والفتح افصح واصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال (إلهكم إله واحد) لايقدر على ما يستحق به العبادة من خلق أصول النعم سواه فاثبتوا على عبادته (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) اي جاحدة للحق تستبعد ما يرد عليها من المواعظ (وهم مستكبرون) عن الانقياد للحق ذاهبون عنه دافعون له من غير حجة والاستكبار طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال سبحانه (لا جرم) اي حقا وهو بمنزلة اليمين قال الخليل وهو كلمة تحقيق ولا يكون إلا جوابا تقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون وقال الزجاج معناه حق ان الله ووجب ان الله ولا رد لفعلهم قال الشاعر

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

المعنى احقت فزارة بالغضب وقال ابو مسلم أصله من الكسب فكأنه قال لايحتاج في معرفة هذا الامر الى اكتساب علم بل هو معلوم (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) وهذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع احوالهم فيجازيهم على اقوالهم وافعالهم (انه لا يحب المستكبرين) اي المتعظمين الذين يأنفون ان يكونوا اتباعا للانبياء اي لا يريد ثوابهم وتعظيمهم

قوله تعالى (٢٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٦) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٧) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٨) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ

ست آيات

=(القراءة)=

قرأ نافع وحده تشاقون بكسر النون والباقون بفتحها وقرأ حمزة وخلف في الموضعين يتوفاهم بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة مجاهد عليهم السقف بضم السين وروي عن أهل البيت (ع) فأتى بنيتهم من القواعد

=(الحجة)=

قد تقدم الوجه في قراءة نافع في سورة الحجر عند قوله فبم تبشرون فأما قراءة حمزة يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم والامالة حسنة في هذا النحو من الفعل ومن قرأ بالتاء فلأن الجماعة مؤنثة كما جاء وإذ قالت الملائكة

❋ اللغة ❋

قد مضى معنى الأساطير والاوزار في سورة الانعام والقواعد الاساس والواحدة القاعدة وقواعد الهودج خشبات اربع معترضات في اسفله والشقاق الخلاف في المعنى وتشاقون تكونون في جانب والمسلمون في جانب ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الإمام وعن جماعة المسلمين شق عصا المسلمين اي صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعا معهم في كلمتهم وهو مأخوذ من الشق الذي هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم

--« الاعراب »--

ما أنزل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والمعنى مالذي أنزل ربكم وأساطير مرفوعة على الجواب كأنهم قالوا الذي انزل اساطير الأولين وتقديره واذا قيل لهم هذا القول فالذي قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة والفاعل يجوز اضماره والمضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم من زيادة على قول الاخفش اي واوزار الذين يضلونهم وعلى قول سيبويه هو صفة مصدر محذوف وتقديره واوزارا من اوزار الذين يضلونهم وما يزرون في موضع رفع كما يرفع بعد بئس ونعم وتقديره وبئس الشيء وزرهم فما حرف موصول ويزرون صلته وظالمي انفسهم نصب على الحال اي في حال ظلمهم انفسهم

=« المعنى »=

ثم ابان سبحانه عن احوال المشركين واقوالهم فقال (وإذا قيل لهم) اي لمشركي قريش (ماذا انزل ربكم) على محمد صلى الله عليه وآله وسلم (قالوا أساطير الأولين) اي أجابوا فقالوا هذا المنزل في زعمكم هو عندنا لحاديث الأولين الكاذبة عن ابن عباس وغيره ويروى انها نزلت في المقتسمين وهم ستة عشر رجلا خرجوا إلى عقاب مكة ايام الحج على طريق الناس على كل عقبة اربعة منهم ليصدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و إذا سألهم الناس عما انزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا أحاديث الأولين واباطيلهم عن الكلبي وغيره (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام للعاقبة والمعنى كان عاقبة امرهم حين فعلوا ذلك ان حملوا أوزار كفرهم تامة يوم القيامة (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أي ويحملون مع أوزارهم بعض أوزار الذين أضلوهم عن سبيل الله واغووهم عن اتباع الحق وهو وزر الاضلال والاغواء ولم يحملوا وزر غوايتهم وضلالهم وقوله بغير علم معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به وعلى هذا ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ايما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيئا وايما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليه فإن عليه مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من أوزارهم شيئا (ألا ساء ما يزرون) أي بئس الحمل حملهم وهو ما يحملونه من الآثام لأنه إذا تحمل اثمه ودخل النار كان سببا فكيف إذا تحمله بسبب فعل غيره (قد مكر الذين من قبلهم) أي من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهة التكذيب وغيره وهذا على سبيل التسلية لنبينا صلى الله عليه وآله والوعيد لقومه (فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي أتى امر الله بنيانهم التي بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعني نمرود بن كنعان بنى صرحا طويلا ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل اهلها بزعمه فأرسل الله ريحا فألقت رأس

الصرح في البحر وخر عليهم الباقي وقال الزجاج من القواعد يريد من اساطين البناء التي تعمده وقيل هو بخت نصر وقيل ان هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستئصالهم ولا قاعدة هناك ولا سقف والمعنى فأتى الله مكرهم من أصله أي عاد ضرر المكر عليهم وبهم عن الزجاج وابن الانباري وهذا الوجه أليق بكلام العرب كما قالوا أتي فلان من مأمنه أي أتاه الهلاك من جهة مأمنه وانما أسند سبحانه الاتيان إلى نفسه من حيث كان تخريب قواعدهم من جهته (فخر عليهم السقف من فوقهم) انما قال من فوقهم مع حصول العلم بان السقف لا يكون إلا من فوق لأخذ وجوه ﴿ منها ﴾ انه للتوكيد كما تقول لمن خاطبته قلت انت كذا وكذا وكما يقال مشيت برجلي وتكلمت بلساني ﴿ ومنها ﴾ انما قال ذلك ليدل على انهم كانوا تحته فإن الإنسان قد يقول بيتي قد تهدم عليّ وان لم يكن هو تحته ﴿ ومنها ﴾ ان يكون على في قوله فخر عليهم بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم اي خر عن كفرهم وجحدهم بالله وآياته والمراد من اجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه اي من اجل الدواء قال الشاعر « ارمي عليها وهي فرع اجمع » اراد ارمي عنها ولو قال على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز ان يتوهم متوهم ان السقف خر وليس هم تحته والعرب لا تستعمل لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) اي جاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا انهم على حق فكانوا لا يتوقعون العذاب وهذا مثل قوله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) معناه ثم انه تعالى مع ذلك يذلهم ويفضحهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق ويهينهم بالعذاب اي لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا (ويقول) على سبيل التوبيخ لهم والتهجين (أين شركائي) الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة على زعمكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أي تعادون المؤمنين على قراءة فتح النون وعلى الكسر تعادونني فيهم (قال الذين أوتوا العلم) بالله تعالى وبدينه وشرائعه من المؤمنين وقيل هم الملائكة عن ابن عباس (ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين) أي ان الهوان اليوم والعذاب الذي يسوء على الجاحدين لنعم الله المنكرين لتوحيده وصدق رسله (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الذين في موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفة لهم ومعناه الذين يقبض ملك الموت واعوانه ارواحهم ففارقوا الدنيا وهم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر (فألقوا السلم) أي استسلموا للحق وانقادوا حين لا ينفعهم الانقياد والإذعان (ماكنا نعمل من سوء) اي يقولون ما كنا نعمل عند انفسنا من سوء أي من معصية فكذبهم الله تعالى وقال بلى قد فعلتم (ان الله عليم بما كنتم تعملون) في الدنيا من المعاصي وغيرها وقيل انه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم والملائكة (فادخلوا أبواب جهنم) أي طبقات جهنم ودركاتها (خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) أي بئس منزل المتعظمين عن قبول الحق واللام للتوكيد

قوله تعالى (٣٠) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣١) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣٢) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٣) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٤) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

خمس آيات

﴿ الإعراب ﴾

ماذا انزل ربكم ما وذا هنا كالشيء الواحد وتقديره أي شيء أنزل ربكم وخيرا منصوب على انه جواب ماذا أي انزل خيرا وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يجوز ان يكون تفسيرا لقوله خيرا ويجوز ان يكون ابتداء كلام ولنعم دار المتقين المخصوص بالمدح محذوف المعنى ولنعم دار المتقين دار الآخرة والمبين لقوله دار المتقين جنات عدن وتقديره هي جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون جنات عدن مرتفعة بالابتداء وتكون المخصوصة بالمدح والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين

ـ(المعنى)ـ

لما قدم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما انزله على نبيه ﷺ عقبه بذكر أقوال المؤمنين في ذلك فقال (وقيل للذين اتقوا) الشرك والمعاصي وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي انزل الله خيرا لأن القرآن كله هدى وشفاء وخير (للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة) ويجوز ان يكون هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه للمحسنين في هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم وهي الثناء والمدح على ألسنة المؤمنين والهدى والتوفيق للإحسان (ولدار الآخرة خير) اي وما يصل اليهم من الثواب في الآخرة خيرا ما يصل اليهم في الدنيا ويجوز ان يكون الجميع من كلام المتقين واجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين وقوله (ولنعم دار المتقين) اي والآخرة نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقيل معناه ولنعم دار المتقين الدنيا لأنهم نالوا بالعمل فيها الثواب والجزاء عن الحسن وقيل معناه ولنعم دار المتقين (جنات عدن يدخلونها) كما يقال نعم الدار دار ينزلها (تجري من تحتها الأنهار) سبق معناه (لهم فيها مايشاؤون) اي يشتهون من النعم (كذلك يجزي الله المتقين) اي كذلك يجازي الله الذين اتقوا معاصيه (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) اي طيبي الأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك وقيل معناه طيبة نفوسهم بالمصير اليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب وقيل طيبين اي صالحين بأعمالهم الجميلة وقيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعوبة فيها (يقولون سلام عليكم) اي تقول الملائكة سلام عليكم اي سلامة لكم من كل سوء (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) قيل انهم لما بشروهم بالسلامة صارت الجنة كأنها دارهم وهم فيها فقولهم ادخلوا الجنة بمعنى حصلت لكم الجنة وقيل انما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك) قد مضى تفسيره في سورتي البقرة والانعام (كذلك فعل الذين من قبلهم) اخبر سبحانه ان الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل وجحد التوحيد فأهلكهم الله فما الذي يؤمن هؤلاء من ان يهلكهم الله (وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك (فأصابهم سيئات ماعملوا) اي عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئة كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) اي وحل بهم جزاء (ما كانوا يستهزؤون)

قوله تعالى (٣٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٣٦) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة لا يهدي بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الدال ولم يختلفوا في يضل انها مضمومة الياء مكسورة الضاد

=(الحجة)=

قال ابو علي الراجع على اسم ان هو الذكر الذي في قوله يضل في قراءة من قرأ يهدي ومن قرأ يهدي فمن جعل يهدي من هديته جاز ان يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم ان ومن جعل يهدي في معنى يهتدي وجعل من يضل مرتفعا به فالراجع إلى اسم ان الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدى والراجع إلى الموصول الذي هو من الهاء المحذوفة من الصلة تقديره يضله والمعنى ان من حكم باضلاله لكفره وتكذيبه فلا يهدى ومثل هذا المعنى قوله فمن يهديه من بعد الله تقديره من بعد اضلال الله إياه والمفعول محذوف أي من بعد حكمه بإضلاله ومن قرأ لا يهدي فهو في المعنى كقوله من يضلل الله فلا هادي له وهذا كقوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقوله وما يضل به إلا الفاسقين فموضع من نصب بيهدي وقد قيل ان يهدي في معنى يهتدي بدلالة قوله لا يهدّي الا ان يهدى فموضع من على هذا رفع كما انه لو قال يهتدي كان كذلك وقوله لا يضل من قولك ضل الرجل واضله الله اي حكم باضلاله كقولك كفر زيد وكفره الناس اي نسبوه إلى الكفر فقالوا انه كافر كما ان اسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة

واسقيه حتى كاد مما ابثه   تكلمني احجاره وملاعبه

= اللغة =

البلاغ والابلاغ ايصال المعنى إلى الغير والحرص طلب الشيء بجد واجتهاد يقال حرص يحرص حرصا وحرص يحرص بكسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل لغة وقد روي في الشواذ عن الحسن وابراهيم ان تحرص بفتح الراء والأول لغة أهل الحجاز والأصل من السحابة الحارصة وهي التي تقشر وجه الأرض وشجة حارصة التي تقشر جلدة الرأس وكذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشدة اهتمامه بما هو حريص فيه

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال (وقال الذين اشركوا) مع الله إلها آخر (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) اي لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئاً من الأصنام والأوثان (نحن ولا آباؤنا) الذين اقتدينا بهم (ولا حرمنا من دونه من شيء) من البحيرة والسائبة وغيرهما بل شاء ذلك منا وأراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال (كذلك) اي مثل ذلك (فعل الذين من قبلهم) من الكفار والضلال كذبوا رسل الله وجحدوا آياته قالوا مثل قولهم وفعلوا مثل فعلهم (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس عليهم إلا إبلاغ الرسالة وقد سبق بيان مثل هذه الآية في سورة الانعام (ولقد بعثنا في كل امة) اي في كل جماعة وقرن (رسولا) كما بعثناك يا محمد رسولا الى امتك (ان اعبدوا الله) اي ليقول لهم اعبدوا الله (واجتنبوا الطاغوت) اي عبادة الطاغوت وأن هذه هي المفسرة ويعني بالطاغوت الشيطان وكل داع يدعو الى الضلالة (فمنهم من هدى الله) معناه فمنهم من هداه الله بأن لطف له بما علم انه يؤمن عنده فآمن فسمي ذلك اللطف هداية ويجوز ان يريد فمنهم من هداه الله الى الجنة بإيمانه ولا يجوز ان يريد بالهداية هنا نصب الادلة كما في قوله فأما ثمود فهديناهم لأنه سبحانه سوى في ذلك بين المؤمن والكافر (ومنهم من حقت عليه الضلالة) معناه ومنهم من اعرض عما دعاه اليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلالة ولزمته فلا يؤمن قط وقيل معناه وجبت عليه الضلالة وهي العذاب والهلاك وقيل معناه ومنهم من حقت عليه عقوبة الضلالة عن الحسن وقد سمى الله سبحانه العقاب ضلالا بقوله ان المجرمين في ضلال وسعر (فسيروا في الأرض) أي ارض المكذبين الذين

عاقبهم الله ان لم تصدقوني (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي فانظروا كيف حقت عليهم العقوبة وحلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بكم مثل ما نزل بهم (ان تحرص على هداهم) أي على ان يؤمنوا بك فإن الله لا يهدي من يضل) هذا تسلية للنبي ﷺ في دعائه لمن لا يفلح بالإجابة لانهماكه في الكفر واشارة الى ان ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ﷺ واعلام له انهم لا يؤمنون أبداً واذا كانوا هكذا فإن الله لا يهديهم بل يضلهم على المعنى الذي فسرناه قبل (وما لهم من ناصرين) اي ليس لهم من ناصر ينصرهم ويخلصهم من العقاب وفي هذا بيان انه الاضلال في الآية ليس المراد به ما ذكره اهل الجبر

قوله تعالى (٣٨) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٤٠) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب وفي يس مثله والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

من نصب فإنه يحمله على ان قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى ان ما أراد الله فهو يكون فالنصب على ضربين ﴿ احدها ﴾ ان يكون عطفا على ان تقول ﴿ والآخر ﴾ ان يكون نصبا على جواب كن قال ابو علي اعلم ان الذي أجازه من النصب على ان يكون جواب كن لم يجزه أحد من اصحابنا غيره لأن كن وان كان على لفظ الأمر فليس القصد به هنا الأمر انما هو والله اعلم الإخبار عن كون الشيء وحدوثه

﴿ الاعراب ﴾

جهد ايمانهم مصدر وضع موضع الحال والتقدير يجتهدون اجتهادا في ايمانهم وهذا مثل قولهم طلبته جهدك اي تجهد جهدك وعداً منصوب لتوكيد المعنى فإن المعنى بلى يبعثهم الله وعد الله ذلك وعدا. وقوله ليبين اللام فيه يتعلق بالبعث ايضا اي يبعثهم ليبين لهم وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ويجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا اي ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليبين لهم اختلافهم وقولنا مرفوع بالابتداء وخبره ان تقول والمعنى انما قولنا لكل مراد قولنا له كن

= النزول =

قالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه فوقع في كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزل الله الآية عن ابي العالية

— المعنى —

ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعاً آخر من كفرهم فقال (وأقسموا بالله جهد ايمانهم) اي حلفوا بالله مجتهدين في ايمانهم والمعنى انهم قد بلغوا في القسم كل مبلغ (لا يبعث الله من يموت) اي لا يحشر الله أحدا يوم القيامة ولا يحيي من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى في ذلك فقال (بلى) يحشرهم الله ويبعثهم (وعدا) وعدهم به (عليه) انجازه وتحقيقه من حيث الحكمة (حقاً) ذلك الوعد ليس له خلف اذ لولا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف انما يحسن لإثابة من عوض به (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم نبوة أنبيائه وقيل لا يعلمون وجه الحكمة في البعث فلا يؤمنون به (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) هذا بيان من الله تعالى انه انما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون فيه في دار الدنيا

لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في الدنيا في قولهم ان الله لايبعث احدا بعد موته واذا تعلق اللام بقوله ولقد بعثنا فالمعنى بعثنا إلى كل أمة رسولا ليبين لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه ويهديهم إلى طريق الحق وينبههم عليه (انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) قد ذكرنا تفسيره في سورة البقرة والمراد به هاهنا بيان انه قادر على البعث لا يتعذر عليه ذلك فإنه اذا أراد شيئاً كونه

قوله تعالى (٤١) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٤٢) ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٤) بِٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أربع آيات

القراءة

قرأ حفص نوحي بالنون وقد تقدم ذكره في سورة يوسف وروي عن علي (ع) لنثوينهم بالثاء والقراءة لنبوءنهم بالباء

(الحجة)

قال ابن جني نصب حسنة ههنا اي نحسن اليهم احسانا ووضع حسنة موضع الاحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه ودل قوله لنبوئنهم على ذلك الفعل لأنه إذا اقرهم على الفعل بإطالة مدتهم فقد احسن اليهم كما قال ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وذلك ضد ما يعمل بالعاصين الذين يصطلمهم بذنوبهم وجرائم أفعالهم

النزول

الآية الأولى نزلت في المعذبين بمكة مثل صهيب وعمار وبلال وخباب وغيرهم مكنهم الله بالمدينة وذكر ان صهيبا قال لأهل مكة انا رجل كبير ان كنت معكم لم ينفعكم وان كنت عليكم لم يضركم فخذوا مالي ودعوني فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر ربح البيع يا صهيب ويروى ان عمر بن الخطاب كان إذا اعطى احداً من المهاجرين عطاء قال له خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا وما أخره لك أفضل ثم تلا هذه الآية

المعنى

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) معناه والذين فارقوا أوطانهم وديارهم واهليهم فراراً بدينهم واتباعاً لنبيهم في الله أي في سبيله لابتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون وعذبوهم بمكة وبخسوهم حقوقهم (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) أي بلدة حسنة بدل أوطانهم وهي المدينة عن ابن عباس وقيل لنعطينهم حالة حسنة وهي النصر والفتح وقيل هي ما استولوا عليه من البلاد وفتح لهم من الولايات (ولأجر الآخرة أكبر) مما اعطيناهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي لو كان الكفار يعلمون ذلك وقيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعد الله لهم في الجنة لازدادوا سروراً وحرصاً على التمسك بالدين (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) هذا وصف لهؤلاء المهاجرين أي صبروا في طاعة الله على اذى المشركين وفوضوا امورهم إلى الله تعالى ثقة به ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (وما أرسلنا من قبلك) إلى الأمم الماضية (إلا رجالا) من البشر (نوحي اليهم) أي

أوحينا اليهم كما اوحينا اليك وأرسلناهم إلى أممهم كما أرسلناك إلى أمتك وذلك ان مشركي مكة كانوا ينكرون أن يرسل اليهم بشر مثلهم فبين سبحانه انه لا يصلح ان يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه وانه لا وجه لاقتراحهم ارسال الملك (فاسألوا أهل الذكر) فيه أقوال * أحدها * ان المعنى بذلك أهل العلم باخبار من مضى من الأمم سواء أكانوا مؤمنين أو كفاراً وسمي العلم ذكراً لأن الذكر منعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل فحسن ان يقع موقعه وبنيء عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج والأزهري * وثانيها * ان المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد أي فاسألوا أهل التوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) يخاطب مشركي مكة وذلك انهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبي ﷺ لشدة عداوتهم له * وثالثها * ان المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر(ع) انه قال نحن أهل الذكر وقد سمى الله رسوله ذكراً في قوله ذكراً رسولاً على احد الوجهين وقوله (بالبينات والزبر) العامل فيه قوله أرسلنا والتقدير وما أرسلنا بالبينات والزبر أي بالبراهين والكتب الا رجالا نوحي اليهم وقيل ان في الكلام اضماراً وحذفاً والتقدير أرسلناهم بالبينات كما قال الأعشى

وليس مجيرا ان أتى الحي خائف ولا قائلا الا هو المتعبا

اي اعني المتعبا ونظير الأول قول الشاعر

نبأتهم عذبوا بالنار جارتهم وهل يعذب الا الله بالنار

(وانزلنا اليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) فيه من الاحكام والشرائع والدلائل على توحيد الله (ولعلهم يتفكرون) في ذلك فيعلموا انه حق وفي هذا دلالة على ان الله تعالى أراد من جميعهم التفكر والنظر المؤدي الى المعرفة بخلاف ما يقوله أهل الجبر

* النظم *

قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها وجوه * احدها * انها اتصلت بقوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه فيكون المعنى ليبين لهم وليعلم الكافرين كونهم كاذبين وليجزي المؤمنين المهاجرين على ما فعلوه من الهجرة وقيل لما تقدم ذكر الكفار وما أعد لهم من الدمار ودخول النار عقبه بذكر المؤمنين المهاجرين والانصار تحريضاً لغيرهم في الاقتداء بهم فاتصل به اتصال النقيض بالنقيض وقيل انه لما تقدم ذكر البعث بين بعده حكم يوم البعث وانه ينتصف فيه للمظلوم من الظالم

قوله تعالى (٤٥) أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٧) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٨) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ (٤٩) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٥٠) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ست آيات

=(القراءة)=

قرأ اولم تروا بالتاء أهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وكذلك في العنكبوت وقرأ أهل البصرة تتفيوء بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

حجة الياء ان ما قبله غيبة وهو قوله ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم اويأخذهم اولم يروا ومن قرأ بالتاء أراد جميع الناس والتأنيث والتذكير في قوله يتفيوء ظلاله حسنان وقد تقدم ذكر ذلك في عدة مواضع

﴿ اللغة ﴾

التخوف التنقص وهو ان يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقي منهم أحد وتلك حالة يخاف معها الفناء ويتخوف الهلاك يقال تخوفه الدهر قال الشاعر

تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

أي ينقص السير سنامها بعد تموكه وقال آخر

تخوف عدوهم مالي واهدى سلاسل في الحلوق لها صليل

قال الفراء تحوفته وتخوفته بالحاء والخاء اذا تنقصته من حافاته قال المبرد لا يقال تحوفته وانما يقال تحيفته بالياء والتفيوء التفعل من الفيىء يقال فاء الفيء يفيىء اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه ومنه فيء المسلمين لما يعود عليهم وقتا بعد وقت من الخراج والغنائم وبعدى فاء بزيادة الهمزة نحو أفاء وبالتضعيف نحو فاء الظل وفيأه الله فتفيأ والفيء ما نسخه ضوء الشمس والظل ما كان قائما لم تنسخه الشمس قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من بعد العشي تذوق

فجعل الظل وقت الضحى لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت وجمع الفيء افياء وفيوء قال

ارى المال افياء الظلال فتارة يؤوب وأخرى يحبل المال حابله

وقال النابغة الجعدي

فسلام الإله يغدو عليهم وفيوء الفردوس ذات الظلال

وانما قال عن اليمين على التوحيد والشمائل على الجمع لأنه أراد باليمين الإيمان كما قال الشاعر

بفي الشامتين الصخر ان كان هدني رزية شبلي مخدر في الضراغم

والمعنى بأفواه وقال آخر

الواردون وتيم في ذرى سبأ قد عض اعناقهم جلد الجواميس

والداخر الخاضع الصاغر قال

فلم يبق إلا داخر في مخيس ومنجحر في غير أرضك في جحر

﴿ المعنى ﴾

ثم اوعد سبحانه المشركين فقال (افأمن الذين مكروا السيئات) فاللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الانكار ومعناه اي شيء امن هؤلاء القوم الذين دبروا التدابير السيئة في توهين امر النبي ﷺ واطفاء نور الدين وايذاء المؤمنين من (ان يخسف الله بهم الارض) من تحتهم عقوبة لهم كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) قال ابن عباس يعني يوم بدر وذلك انهم اهلكوا يوم بدر وما كانوا يقدرون ذلك ولا يتوقعونه

(او يأخذهم في تقلبهم) يعني او ان يأخذهم العذاب في تصرفهم في اسفارهم وتجاراتهم وقيل يريد في تقلبهم في كل الاحوال ليلا ونهارا فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يمينا وشمالا عن مقاتل (فما هم بمعجزين) اي فليسوا بفائتين وما يريده الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه (او يأخذهم على تخوف) قال اكثر المفسرين معناه على تنقص اما بقتل او بموت اي ينقص من اطرافهم ونواحيهم فيأخذ منهم الاول فالاول حتى يأتي على جميعهم وقيل معناه في حال تخوفهم من العذاب اي يعذب اهل قرية ويخوف به اهل قرية اخرى فيتخوفون ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالاولى عن الحسن وقيل معناه على تنقص من الاموال والانفس بالبلايا والاسقام ان لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينبه غيرهم ويزجرهم عن الجبائي (فإن ربكم لرؤف رحيم) بكم ومن رأفته ورحمته بكم انه امهلكم لتتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ثم بين سبحانه دلائل قدرته فقال (اولم يروا الى ما خلق الله من شيء) معناه ألم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذبوا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم الى ما خلق الله من شيء له ظل من شجر وجبل وبناء وجسم قائم (يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله) اي يتميل ظلاله عن جانب اليمين وجانب الشمال واضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال لأن الذي يعود اليه الضمير واحد يدل على الكثرة وهو قوله ما خلق الله ومعنى تفيؤ الظلال يميناً وشمالاً ان الشمس اذا طلعت وانت متوجه الى القبلة كان الظلال قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك فإذا كان قبل ان تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤه عن اليمين والشمائل عن الكلبي ومعنى سجود الظل لله دورانه من جانب الى جانب لأنه مستسلم منقاد مطيع للتسخير وهذه الآية كقوله وظلالهم بالغدو والآصال وقد مر تفسيره وقيل ان المراد بالظل هو الشخص بعينه ويدل على ذلك قول علقمة

لما نزلنا رفعنا ظل اخبية وفار للقوم باللحم المراجيل

ألا ترى انهم لا ينصبون الظل وانما ينصبون الأخبية ويقوي ذلك قول عمارة

كأنهن الفتيات اللعس كأن في اظلالهن الشمس

اي في اشخاصهن وقول الآخر

يتبع افياء الظلال عشية على طرق كأنهن سبوب

اي افياء الشخوص فعلى هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الاجسام التي عنها الظلال (وهم داخرون) اي اذلة صاغرون قد نبه الله بهذا على ان جميع الاشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذله ثم قال سبحانه (ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة) اي يسجد لله جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ومعنى من في قوله من دابة تبيين الصفة اي الذي هو دابة تدب على وجه الأرض (والملائكة) اي وتسجد له الملائكة وتخضع له بالعبادة وإنما خص الملائكة بالذكر تشريفا لهم ولأن اسم الدابة يقع على ما يدب ويمشي وهم اولو الأجنحة فصفة الطيران اغلب عليهم (وهم لا يستكبرون) عن عبادة الله تعالى وهذا من صفة الملائكة لأنه قال (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وإنما قال من فوقهم لوجهين ﴿ احدهما ﴾ ان المراد يخافون عقاب ربهم واكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق والآخر ان الله سبحانه لما كان موصوفا بأنه عال متعال بمعنى انه قادر على الكمال حسن ان يقال من فوقهم ليدل على انه في اعلى مراتب القادرين وعلى هذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال ذلك مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلين ومثله في المعنى قوله وهو القاهر فوق عباده وقوله اخبارا عن فرعون وانا فوقهم قاهرون وذهب بعضهم الى ان قوله من فوقهم من صفة الملائكة والمعنى ان الملائكة من فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من

دابة يخافون الله مع علو رتبتهم فلأن يخافه من دونهم اولى وقد صح عن النبي ﷺ انه قال ان لله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجودا منذ خلقهم الى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله تعالى لا تقطر من دموعهم قطرة الا صارت ملكا فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك اورده الكلبي في تفسيره

قوله تعالى (٥١) وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٥٢) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٣) وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٤) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٥٥) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ

خمس آيات .

﴿ اللغة ﴾

وصب الشيء وصوباً إذا دام ووصب الدين وجب وقال ابو الاسود

لا تبتغي الحمد القليل بقاؤه ... يوماً يذم الدهن اجمع واصبا

والوصب الألم الذي يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة قال

لا يغمز الساق من أين ومن وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

والجؤار الاستغاثة برفع الصوت ويقال جأر الثور يجأر جؤاراً إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الاعشى

وما ايبلي على هيكل ... بناه وصلب فيه وصارا

يراوح من صلوات المليك ... طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

وبناء الأصوات على فعال وفعيل نحو الصراخ والبكاء والعويل والصفير والفعال أكثر

﴿ الاعراب ﴾

ذكر اثنين توكيداً لقوله إلهين كما ذكر الواحد في قوله إله واحد واصباً نصب على الحال ومابكم موصول وصله في موضع الرفع بالابتداء ودخلت الفاء في خبره وهو قوله فمن الله تقديره فهو من الله ولا فعل هاهنا لأن قوله بكم قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى وما حل بكم من نعمة

— المعنى —

لما بين سبحانه دلائل قدرته وإلهيته عقبه بالتنبيه على وحدانيته فقال (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) أي لا تعبدوا مع الله إلهاً آخر فتشركوا بينهما في العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواه وذكر اثنين كما يقال فعلت ذلك لأمرين اثنين وقيل ان تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يريد به نفسه وغيره (إنما هو إله واحد) وانما لإثبات المذكور ونفي ما عداه فكأنه قال هو إله واحد لا إله غيره (فإياي فارهبون) اي ارهبوا عقابي وسطواتي ولا تخشوا غيري وورد عن بعض الحكماء انه قال نهاك ربك أن تتخذ إلهين فاتخذت آلهة عبدت نفسك وهواك ودنياك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق فأنى تكون موحداً (وله ما في السموات والأرض) ملكا وملكا وخلقا (وله الدين واصباً) أي وله الطاعة دائمة واجبة على الدوام عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومعناه انه سبحانه الذي يعبد دائما وغيره انما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه وله الدين خالصاً عن الفراء أي يجب على العبد ان يطيعه مخلصاً وقيل معناه وله الملك دائماً لا يزول (أفغير الله تتقون) أي أفغير الله تخشون

وهو استفهام فيه معنى التوبيخ أي فكيف تعبدون غيره ولا تتقونه (وما بكم من نعمة فمن الله) معناه ان جميع ما بكم وما لكم من النعم مثل الصحة في الجسم والسعة في الرزق ونحوهما فكل ذلك من عند الله ومن جهته (ثم إذا مسكم الضر) مثل المرض والشدة والبلاء وسوء الحال (فإليه تجئرون) أي فإليه تتضرعون في كشفه واليه ترفعون اصواتكم بالدعاء والاستغاثة لصرفه (ثم إذا كشف الضر عنكم) معناه ثم إذا دفع ما حل بكم من الضر ودفع ما مسكم من المرض والفقر (إذا فريق منكم بربهم يشركون) أي دعا طائفة منكم إلى الشرك بربهم في العبادة جهلاً منهم بربهم ومقابلة لنعمه بالكفران والعصيان وهذا عجب من فعل العاقل المميز (ليكفروا بما آتيناهم) معنى اللام هاهنا هو البيان عن العلة التي لأجلها وقع الفعل والمعنى انهم بمنزلة من اشرك في عبادة ربه ليكفر بما آتاه من النعمة كأنه كان لا غرض له في شركه إلا هذا والمعنى لأن يكفروا بانعامنا عليهم ورزقنا إياهم وقيل ان اللام للأمر على وجه التهديد أي ليفعلوا ما شاؤوا فانه ينزل الله بهم عاقبة كفرهم ويوافق هذا القول ما رواه مكحول عن ابي رافع قال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمتعوا فسوف يعلمون بالياء فيهما فإن يمتعوا يكون معطوفاً مجزوماً ويجوز ايضا ان يكون معطوفاً منصوبا والمعنى لأن يكفروا فيمتعوا فقوله (فتمتعوا فسوف تعلمون) يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد والوعيد يقول فتمتعوا ايها الكفار في الدنيا قليلاً فسوف تعلمون ما يحل بكم في العاقبة من العقاب واليم العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى ((٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٧) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٨) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٩) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٦٠) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

يقال ظل يفعل كذا إذا فعله في صدر النهار ويقال ظللت اظل ظلولاً ومثله اضحى غير انه كثر حتى صار بمنزلة أخذ يفعل والكظيم المغموم الذي يطبق فاه لا يتكلم للغم الذي به مأخوذ من الكظامة وهي اسم لما يشد به فم القربة والكظامة ايضاً العقب على رؤوس القذذ والكظامة ايضاً البئر ومنه الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتى كظامة فتوضأ ومسح على قدميه وجمعها كظائم والهون الهوان والمشقة وهي لغة قريش قال الحطيئة

فلما خشيت الهون والعين ممسك ... على رغمه ما اثبت الخيل حافره

ودسست الشيء في التراب أدسه دساً إذا أخفيته والدساسة حية صماء تندس تحت التراب

﴿ الإعراب ﴾

ولهم ما يشتهون ان شئت جعلت ما في موضع نصب بمعنى يجعلون لهم البنين الذين يشتهون هم ويكون قوله سبحانه اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وان شئت جعلته في موضع رفع على الاستئناف فيكون مرفوعاً على الابتداء ولهم خبره أو مرفوعاً على ان الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى والهاء في يمسكه يعود إلى قوله ما بشر به فلذلك ذكر وقيل معناه ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون ولا يجعلون نصيباً من الانعام والزرع فكنى عن لفظة ما في قوله لما لا يعلمون بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا بمنزلة العقلاء عن ابي علي الفارسي وقال ايضاً يجوز ان يكون تقديره ويجعلون لما لا يعلمونه إلهاً نصيباً ويكون الضميران

في يجعلون ويعلمون للمشركين وحذف المفعولان

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه فعلاً آخر من افعال المشركين دالاً على جهلهم فقال (ويجعلون لما لا يعلمون) والواو في يعلمون تعود إلى المشركين أي لما لا يعلمون انه يضر وينفع (نصيباً مما رزقناهم) يتقربون بذلك اليه كما يجب ان يتقرب إلى الله تعالى وهو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث وغير ذلك وقولهم هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا عن مجاهد وقتادة وابن زيد ثم أقسم تعالى فقال (تالله لتسألن) في الآخرة (عما كنتم تفترون) أي تكذبون به في دار الدنيا لتلزموا به الحجة وتعاقبوا بعد اعترافكم على انفسكم ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من جهالاتهم فقال (ويجعلون لله البنات) أي ويثبتون لله البنات ويضيفون اليه البنات وهو قولهم الملائكة بنات الله كما قال سبحانه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ثم نزه سبحانه نفسه عما قالوا فقال (سبحانه) اي تنزيها له عن اتخاذ البنات (ولهم ما يشتهون) اي ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ويحبونه من البنين دون البنات وعلى الوجه الآخر ولهم ما يحبونه يعني البنين (واذا بشر أحدهم بالانثى) اي واذا بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت (ظل وجهه مسوداً) أي صار لون وجهه متغيراً إلى السواد لما يظهر فيه من اثر الحزن والكراهة فقد جعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم وهذا غاية الجهل (وهو كظيم) اي ممتلئ غيظاً وحزناً (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني ان هذا الذي بشر بالبنت يستخفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له استنكافاً منه وخجلا وحياء من سوء ما بشر به من الانثى وقبحه عنده (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) يعني يميل نفسه ويدبر في امر البنت المولودة له أيمسكه على ذل وهوان أم يخفيه في التراب ويدفنه حياً وهو الوأد الذي كان من عادة العرب وهو ان احدهم كان يحفر حفيرة صغيرة وإذا ولد له انثى جعلها فيها وحثا عليها التراب حتى تموت تحته وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر عليهن فيطمع غير الاكفاء فيهن (ألا ساء ما يحكمون) أي بئس الحكم ما يحكمونه وهو ان يجعلوا لنفوسهم ما يشتهون ولله ما يكرهون وقيل معناه ساء ما يحكمونه في قتل البنات مع مساواتهن للبنين في حرمة الولادة ولعل الجارية خير من الغلام وروي عن ابن عباس انه قال لو عطاء الله الناس في الناس لما كان الناس لأنه ليس احد الا ويحب ان يولد ذكر ولو كان الجميع ذكوراً لما كان لهم أولاد فيفنى الناس ثم قال سبحانه (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى) اي لهؤلاء الكفار الذين وصف الله بالولد صفة السوء أي الصفة القبيحة التي هي سواد الوجه والحزن ولله الصفة العليا من السلطان والقدرة وقيل له صفات النقص من الجهل والكفر والضلال والعمى وصفة الحدوث والضعف والعجز والحاجة إلى الابناء وقتل البنات خوف الفقر ولله صفات الإلهية والاستغناء عن الصاحبة والولد والربوبية واخلاص التوحيد ويسأل فيقال كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه وتعالى ولله المثل الأعلى وقوله فلا تضربوا لله الامثال والجواب ان المراد بالامثال هناك الاشباه أي لا تشبهوا الله بشيء والمراد بالمثل الاعلى هنا الوصف الأعلى الذي هو كونه قديماً قادراً عالماً حيا ليس كمثله شيء وقيل ان المراد بقوله المثل الاعلى المثل المضروب بالحق وبقوله فلا تضربوا لله الأمثال الأمثال المضروبة بالباطل (وهو العزيز) أي القادر الذي لايمتنع عليه شيء (الحكيم) الذي يضع الأشياء مواضعها على ما هو حكمة وصواب وفي الآية دلالة على انه لا يضاف لله تعالى الأدون فإن الله سبحانه قد عاب المشركين باضافتهم اليه ما لا يرضونه لأنفسهم فاذا كره الانسان اضافة القبيح الى نفسه للنقص الذي فيه فكيف يجوز ان يضيفه الى الله تعالى

قوله تعالى (٦١) وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦٢) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ

مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٣) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٤) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٥) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ نافع وقتيبة عن الكسائي مفرطون ساكنة الفاء مكسورة الراء خفيفة وقرأ ابو جعفر«ع» مفرطون مفتوحة الفاء مكسورة الراء مشددة والباقون مفرطون ساكنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة وروي عن الأعرج بفتح الراء وتشديده

الحجة

قال الزجاج اما تفسير مفرطون فجاء عن ابن عباس متروكون وقيل معجلون ومعنى الفرط في اللغة التقدم وقد فرط مني قول أي تقدم فمعنى مفرطون مقدمون إلى النار وكذلك مفرطون بالتشديد ومن فسر متروكون فهو كذلك أي قد جعلوا مقدمين في العذاب أبداً متروكين فيه ومن قرأ مفرطون فالمعنى انه وصفهم الله بأنهم فرطوا في الدنيا ولم يعملوا فيها للآخرة وتصديقه قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ومن قرأ مفرطون فالمراد انهم أفرطوا في معصية الله كما تقول افرط فلان في مكروهي وتأويله انه آثر العجز وقدمه قال ابو علي وكأنه من افرط أي صار ذا فرط مثل أقطف وأجرب فهو مقطف ومجرب فمعناه انهم ذوو فرط إلى النار وسبق اليها

الاعراب

الكذب مفعول تصف وان لهم الحسنى بدل من الكذب وتقديره وتصف ألسنتهم ان لهم الحسنى أي تصفون ان لهم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن وان لهم النار في موضع نصب بجرم والمعنى جرم فعلهم هذا أي كسب ان لهم النار وقيل انّ ان في موضع رفع عن قطرب قال معناه انه وجب ان لهم النار وانهم مفرطون فيها. لتبين لهم أي لان تبين لهم الجار والمجرور في محل النصب بأنه مفعول له وكذلك قوله وهدى ورحمة وكلاهما معطوف على ما قبله بأنه مفعول له ايضاً أي أنزلنا عليك الكتاب بيانا وهدى ورحمة قال الزجاج ويجوز في هذا الموضع وهدى ورحمة بالرفع فيكون المعنى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للبيان وهو مع ذلك هدى ورحمة

المعنى

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) أخبر سبحانه انه لو كان ممن يؤاخذ الكفار والعصاة بذنوبهم ويعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحداً ممن يستحق ذلك من الظالمين وإنما قال عليها ولم يجر ذكر للأرض في الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكونون على ظهر الأرض ومثله كثير في محاورات العرب يقولون ما بين لابتيها مثل فلان يعنون المدينة واصبحت باردة يريدون الغداة إذ اللابتان بالمدينة والاصباح لا يكون إلا غدوة وقوله (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي يمهلهم إلى وقت معلوم مسمى وهو يوم القيامة وقيل إلى وقت يعلمه الله تعالى انه لا يكون في بقائهم فيه مصلحة لأنهم لا يؤمنون ولا يخرج من نسلهم مؤمن وإنما يؤخرهم تفضلا منه سبحانه ليراجعوا التوبة أو لما في ذلك من المصلحة واختلف أهل العدل

في من المعلوم من حاله انه لا يؤمن فيما بعد هل يجوز اخترامه فقال بعضهم يجوز لأن التكليف تفضل فلا تجب التبقية وهو قول ابي هاشم واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وقال آخرون لا يجوز اخترامه ويجب تبقيته وهو قول البلخي وابي علي الجبائي وان اختلفا في علته فقال الجبائي لأنه مفسدة وقال البلخي لأنه الأصلح واليه ذهب الشيخ المفيد ابو عبد الله وقيل ان معنى الآية لو يؤاخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابة عن السدي وعكرمة « سؤال » متى قيل ان المكلف الظالم يستحق العقوبة بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم « فجوابه » ان العذاب للظالم عقوبة ولغير الظالم عبرة ومحنة فيكون كالأمراض النازلة بالأولياء وغير المكلفين فيعوضون عنها وقيل معناه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء وقيل انه إذا هلك الظلمة ولم يبق مكلف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لأنها انما خلقت للمكلفين فلا فائدة في بقائها بعدهم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قد سبق معناه فيما مضى ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال (ويجعلون لله ما يكرهون) يعني البنات أي يحكمون لله بما يكرهونه لأنفسهم (وتصف ألسنتهم الكذب) أي وتخبر ألسنتهم بالكذب وهو ما يقولون (ان لهم الحسنى) وهي البنون عن مجاهد وقيل معناه تصفون ان لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن والمثوبة الحسنى وهي الجنة عن الزجاج وغيره فإن المشركين كانوا يقولون إن كان ما يقوله محمد من امر البعث والآخرة حقاً فنحن من أهل الجنة وروي عن معاذ انه قرأ وتصف السنتهم الكذب بضم الذال والباء فعلى هذا يكون الكذب وصفاً للألسنة جمع كاذب او كذوب ثم رد سبحانه قولهم فقال (لا جرم ان لهم النار) أي ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم وقولهم اي كسب ان لهم النار والمفسرون يقولون معناه حقاً ان لهم النار او لابد أن لهم النار (وانهم مفرطون) اي مقدمون أي معجلون إلى النار ثم اقسم سبحانه فقال (تالله لقد أرسلنا إلى امم من قبلك) يا محمد (فزين لهم الشيطان اعمالهم) اي كفرهم وضلالهم وتكذيبهم الرسل (فهو وليهم اليوم) معناه ان الشيطان وليهم اليوم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه فأما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض عن ابي مسلم وقيل معناه فهو وليهم يوم القيامة اي يكلهم الله تعالى إلى الشيطان اياساً لهم من رحمته (ولهم عذاب اليم) أي وللتابع والمتبوع عذاب مؤلم وجيع ثم بين سبحانه انه قد أقام الحجة وازاح العلة واوضح المحجة فقال (وما انزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) معناه إلا وقد اردنا منك ان تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد والعدل وتبين لهم الحلال والحرام (وهدى) أي وانزلناه دلالة على الحق (ورحمة لقوم يؤمنون) ثم اخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال (والله انزل من السماء ماء) أي غيثا ومطراً (فأحيا به) أي بذلك الماء (الأرض بعد موتها) أحياها بالنبات بعد جدوبها وقحطها (ان في ذلك لآية) أي حجة ودلالة (لقوم يسمعون) اي يستصغون ادلة الله ويتفكرون فيها ويعتبرون بها

قوله تعالى (٦٦) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٧) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٨) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٩) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٧٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ خمس آيات

القراءة

قرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وسهل نسقيكم بفتح النون هاهنا وفي المؤمنين والباقون نسقيكم بضمها في الموضعين وقرأ ابو جعفر في المؤمنين تسقيكم بالتاء

الحجة

قيل بين سقيت واسقيت فرق وهو ان سقيته معناه ناولته ليشرب واسقيته معناه جعلت له ماء يشربه وقيل سقيته ماء واسقيته سألت الله ان يسقيه وعليه بيت ذي الرمة

واسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني احجاره وملاعبه

وقيل إذا سقاه مرة يقول سقيته وإذا سقاه دائما يقال أسقيته عن ابي عبيدة وقيل هما بمعنى واحد واستدل بيت لبيد

سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل من هلال

فانه اتى باللغتين

اللغة

العبرة والعظة من النظائر وهو ما يعتبر به والفرث الثفل الذي ينزل إلى الكرش وساغ الطعام في الحلق وسوغته واسغته . السكر في اللغة على اربعة اوجه الاول ما اسكر من الشراب والثاني ماطعم من الطعام قال الشاعر «جعلت عيب الاكرمين سكرا» أي جعلت ذمهم طعما لك والثالث السكون ومنه ليلة ساكرة أي ساكنة قال الشاعر «وليست بطلق ولا ساكره» ويقال سكرت الريح سكنت قال «وجعلت عين الحرور تسكر» والرابع المصدر من قولك سكر سكراً ومنه التسكير التحيير في قوله سكرت ابصارنا والذلل جمع الذلول يقال دابة ذلول بين الذل ورجل ذلول بين الذل والذلة والرذل الدون الرديء وكذلك الرذال يقال رذل الشيء يرذل رذالة وارذلته انا

الإعراب

الهاء في بطونه إلى ماذا يعود اختلف فيه فقيل ان الأنعام جمع والجمع يذكر ويؤنث فجاء هاهنا على لغة من يذكر وجاء في سوره المؤمنين على لغة من يؤنث وقيل انه رد على واحد الانعام وانشد للراجز «وطاب البان اللقاح فبرد» رده إلى اللبن عن الفراء وقيل ان الانعام والنعم سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبدي

ان السماحة والمروءة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح

فكأنه قال شيئان ضمنا وقال الاعشى

فإن تعهديني ولي لمة فان الحوادث اودى بها

حمله على الحدثان ويجوز ان يكون التقدير نسقيكم مما في بطون المذكور وقيل ان من يدل على التبعيض فكأنه قال نسقيكم مما في بطون بعض الانعام لأنه ليس لجميعها لبن وقوله تتخذون منه الضمير في منه إلى ماذا يعود فيه وجهان احدهما انه يعود إلى المذكور والثاني انه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات والثمر سواء وكذا الهاء في قوله فيه شفاء للناس قيل يعود إلى الشراب وهو العسل وقيل يعود إلى القرآن فإذا عاد الضمير إلى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين وتقديره شراب ثابت فيه شفاء وإذا عاد الضمير إلى القرآن ففي رفع شفاء خلاف فإن الظرف لم يجر على مذكور قبله لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ان نصبت شيئاً بعلم وهو مذهب سيبويه كنت قد اعملت الثاني واضمرت المفعول في يعلم على شريطة التفسير وان اعملت يعلم وهو مذهب الفراء

اضمرت لعلم مفعولا وفصلت بين المعمول والعامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيبويه

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد وعجائب الصنعة وبدائع الحكمة بقوله (وان لكم في الأنعام) يعني الابل والبقر والغنم (لعبرة) اي لعظة واعتبار أو دلالة على قدرة الله تعالى (نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً) وروى الكلبي عن ابن عباس قال إذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دماً ووسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك قوله من بين فرث ودم لبناً خالصاً لا يشوبه الدم ولا الفرث (سائغاً للشاربين) أي جائزا في حلوقهم والكبد مسلطة على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذي اقتضاه التدبير الإلهي بيّن سبحانه لمن ينكر البعث ان من قدر على إخراج لبن أبيض سائغ من بين الفرث والدم من غير ان يختلط بهما قادر على اخراج الموتى من الأرض من غير ان يختلط شيء من ابدانهم بأبدان غيرهم ثم قال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً) قيل معناه ولكم عبرة فيما اخرج الله لكم من ثمرات النخيل والاعناب عن الحسن وقيل معناه من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكراً والعرب تضمر ما الموصولة كثيراً قال سبحانه وإذا رأيت ثم رأيت نعيما أي ما ثم وقيل ان تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكراً (ورزقاً حسناً) فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه والأعناب عطف على الثمرات أي ومن الاعناب شيء تتخذون سكراً وهو كل ما يسكر من الشراب كالخمر . والرزق الحسن ما أحل منها كالخل والزبيب والرب والرطب والتمر عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وروى الحاكم في صحيحه بالاسناد عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما احل من ثمرها قال قتادة نزلت الآية قبل تحريم الخمر ونزل تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة قال ابو مسلم ولا حاجة إلى ذلك سواء كان الخمر حراماً أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين وعدد انعامه عليهم بهذه الثمرات والخمر من أشربتهم فكانت نعمة عليهم وقيل ان المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربة مما يحل والرزق الحسن مايؤكل والحسن اللذيذ عن الشعبي والجبائي فالمعنى تتخذون منه اصنافاً من الأشربة والأطعمة وقد أخطأ من تعلق بهذه الآية في تحليل النبيذ لأنه سبحانه انما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه فأي رخصة في هذا اللفظ والوجه فيه انه سبحانه اخبر انه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم ولا فرق بين قوله هذا وبين قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم (إن في ذلك لآية) أي دلالة ظاهرة (لقوم يعقلون) عن الله تعالى ذلك ويتفكرون فيه بيّن الله سبحانه بذلك انكم تستخرجون من الثمرات عصيراً يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستخلص ما تبدد من الميت مما هو مختلط به من التراب (وأوحى ربك إلى النحل) أي ألهمها إلهاماً عن الحسن وابن عباس ومجاهد وقيل جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال ابو عبيدة الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة ومنها الإلهام ومنها الاشارة ومنها الكتاب ومنها الاسرار فوحي النبوة في قوله أو يرسل رسولا فيوحي باذنه والإلهام في قوله وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى ام موسى والاشارة في قوله فأوحى اليهم أن سبحوا قال مجاهد معناه أشار اليهم وقال الضحاك كتب لهم والاسرار في قوله يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصل الوحي عند العرب ان يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والاخفاء وأما ما روي عن ابن عباس انه قال لا وحي إلا القرآن فإن المراد به ان القرآن هو الوحي الذي نزل به جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم دون ان يكون أنكر ما قلناه ويقال أوحي له واوحي اليه قال العجاج «أوحي لها القرار فاستقرت» والمعنى ان الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل والمساكن والاوكار والبيوت في الجبال والشجر وغير ذلك وتقديره (أن اتخذي من الجبال بيوتا) للعسل ولا يقدر على مثلها أحد (ومن الشجر ومما يعرشون) أي ومن الكرم لأنه

الذي يعرش ويتخذ منه العريش وفيه لغتان يعرشون ويعرشون بضم الراء وكسرها وقد قرئ بهما وقيل معنى يعرشون يبنون والعرش سقف البيت عن الكلبي والمعنى ما يبني الناس لها من خلاياها التي تعسل فيها ولولا إلهام الله إياها ما كانت تأوي إلى ما بني لها من بيوتها وإنما أتى بلفظ الأمر وإن كانت النحل لاتعقل الامر ولاتكون مأمورة لأنه لما اتى بلفظ الوحي اجرى عليه لفظ الأمر اتساعاً (ثم كلي من كل الثمرات)أي من انواع الثمرات من اي ثمرة شئت (فاسلكي سبل ربك) أي فادخلي سبل ربك التي جعلها الله لك (ذللا) أي مذللة موطأة للسلوك واسعة يمكن سلوكها فيكون قوله ذللاً صفة للسبل وهي منصوبة على الحال وهو قول مجاهد وقيل ذللا أي مطيعة لله منقادة مسخرة ويكون من صفة النحل عن قتادة (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه)وهو العسل فإن الوانه مختلفة لأن منه ما هو شديد البياض ومنه ما هو اصفر ومنه ما يضرب إلى الحمرة وذلك ان النحل تتناول ألوانا مختلفة من النبات والزهر فيجعلها الله تعالى عسلا على ألوان مختلفة يخرج من بطونها إلا انها تلقيه من افواهها كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم وإنما قال سبحانه من بطونها ولم يقل من فيها لئلا يظن انها تلقيه من فيها ولم يخرج من بطنها (فيه شفاء للناس) من الادواء عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال عليكم بالشفاءين القرآن والعسل.وقيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدي والحسن وروي عن مجاهد ان الهاء في فيه راجعة إلى القرآن أي القرآن فيه شفاء للناس يعني ما فيه من الحلال والحرام والفتيا والاحكام والأول قول اكثر المفسرين وهو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر وفي النحل والعسل وجوه من الاعتبار منها اختصاصه بخروج العسل من فيه ومنها جعل الشفاء من موضع السم فإن النحل يلسع ومنها ماركب الله من البدائع والعجائب فيه وفي طباعه ومن اعجبها ان جعل سبحانه لكل فئة يعسوبا هو أميرها يقدمها ويحامي عنها ويدبر أمرها ويسوسها وهي تتبعه وتقتفي اثره ومتى فقدته انحل نظامها وزال قوامها وتفرقت شذر مذر وإلى هذا المعنى فيما قال اشار امير المؤمنين(ع) في قوله أنا يعسوب المؤمنين (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) معناه ان فيما ذكرناه من بدائع صنع الله تعالى دلالة بينة لمن تفكر فيه ثم بين نعمته علينا في خلقنا واخراجنا من العدم إلى الوجود فقال (والله خلقكم) أي أوجدكم وانعم عليكم بضروب النعم الدينية والدنيوية (ثم يتوفاكم) ويقبضكم أي يميتكم (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي أدون العمر وأوضعه أي يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخرف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله ورووا عن علي (ع) ان ارذل العمر خمس وسبعون سنة وروي مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن قتادة تسعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) أي ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علمه وقيل ليقل علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه (إن الله عليم) بمصالح عباده (قدير) على ما يشاء من تدبيرهم وتقدير احوالهم

قوله تعالى (٧١) وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧٢) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٣) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٤) فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أربع آيات.

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر عن عاصم تجحدون بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

الوجه في القراءة بالياء انه يراد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب المسلم بجحود نعم الله والوجه في القراءة بالتاء قل لهم أفبنعمة الله التي تقدم اقتصاصها تجحدون ويقوي الياء قوله وبنعمة الله هم يكفرون

—(اللغة)—

الحفدة جمع حافد واصل الحفد الاسراع في العمل ومنه ما جاء في الدعاء واليك نسعى ونحفد ومرّ البعير يحفد حفداً أنا إذا مر يسرع في سيره قال الراعي

كلفت مجهولها نوقاً يمانية ... إذا الحداة على اكسائها حفدوا

ومنه قيل للاعوان حفدة لإسراعهم في الطاعة قال جميل

حفد الولائد حولها واستسلمت ... بأكفهنّ أزمة الاجمال

—(الاعراب)—

فهم فيه سواء جملة اسمية وقعت موقع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء والتقدير فيستووا شيئاً انتصب على احد وجهين اما ان يكون بدلاً من رزقاً بمعنى انه لا يملك لهم رزقاً قليلا ولا كثيراً وهو قول الاخفش واما ان يكون مفعولاً لقوله رزقاً فكأنه قال ما لا يملك لهم ان يرزق شيئاً وهو مما اعمل من المصادر المنونة

﴿ المعنى ﴾

ثم عدد سبحانه نعمة منه أخرى فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فوسع على واحد وقتر على آخر على ما توجبه الحكمة (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء) اختلف في معناه على قولين ﴿ احدهما ﴾ انهم لا يشركون عبيدهم في اموالهم وأزواجهم حتى يكونوا فيه سواء ويرون ذلك نقصاً فلا يرضون لأنفسهم به وهم يشركون عبيدي في ملكي وسلطاني ويوجهون العبادة والقرب اليهم كما يوجهونها إليّ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال ابن عباس يقول إذا لم ترضوا ان تجعلوا عبيدكم شركاءكم فكيف جعلتم عيسى إلهاً معه وهو عبده ونزلت في نصارى نجران ﴿ والثاني ﴾ ان معناه فهؤلاء الذين فضلهم الله في الرزق من الأحرار لا يرزقون مماليكهم بل الله تعالى رازق الملاك والمماليك فإن الذي ينفقه المولى على مملوكه إنما ينفقه مما رزقه الله تعالى فالله تعالى رازقهم جميعاً فهم سواء في ذلك (أفبنعمة الله يجحدون) أي أفبهذه النعمة التي عددتها واقتصصتها يجحد هؤلاء الكفار ثم عدد سبحانه نعمة أخرى فقال (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي جعل لكم من جنسكم ومن الذين تلدونهم نساء جعلهن ازواجا لكم لتسكنوا اليهن وتأنسوا بهن (وجعل لكم من أزواجكم) يعني من هؤلاء الأزواج (بنين) تسرون بهم وتزينون بهم (وحفدة) اختلف في معناه فقيل هم الخدم والأعوان عن ابن عباس والحسن وعكرمة وفي رواية الوالبي هم اختان الرجل على بناته وهو المروي عن ابي عبد الله وعن ابن مسعود وابراهيم وسعيد بن جبير وقيل هم البنون وبنو البنين عن ابن عباس في رواية أخرى ونصه عنه ايضاً انهم بنو امرأة الرجل من غيره في رواية الضحاك وقيل البنون الصغار من الاولاد والحفدة الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل (ورزقكم من الطيبات) أي الأشياء التي تستطيبونها قد أباحها لكم وانما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيبه الإنسان رزقاً له وإنما يكون رزقه ماله التصرف فيه وليس لأحد منعه

منه (أفبالباطل يؤمنون) يريد بالباطل الأوثان والأصنام وما حرم عليهم وزينه الشيطان من البحائر وغيرها أي أفبذلك يصدقون (وبنعمة الله) التي عددها (هم يكفرون) أي يجحدون ويريد بنعمة الله التوحيد والقرآن ورسول الله ﷺ عن ابن عباس (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً) أي لا يملك ان يرزقهم (من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون) شيئاً مما ذكرناه وقيل ان رزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ورزق الأرض النبات والثمار وغير ذلك من انواع النعم التي تخرج من الأرض (فلا تضربوا لله الأمثال) أي لا تجعلوا لله الأشباه والأمثال في العبادة فإنه لا شبه له ولا مثل ولا أحد يستحق العبادة سواه وإنما قال ذلك في اتخاذهم الأصنام آلهة عن ابن عباس وقتادة (ان الله يعلم) ان من كان إلهاً فإنه منزه عن الشركاء (وانتم لا تعلمون) ذلك بل تجهلونه ولو تفكرتم لعلمتم وقيل معناه والله يعلم ما عليكم من المضرة في عبادة غيره وانتم لا تعلمون ولو علمتم لتركتم عبادتها

قوله تعالى (٧٥) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٦) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٧) وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ثلاث آيات

القراءة

في الشواذ قراءة ابن مسعود وعلقمة والحسن ومجاهد اينما يوجه وروي عن علقمة يوجه بفتح الجيم

(الحجة)

قال ابن جني اما يوجه بكسر الجيم فعلى حذف المفعول أي أينما يوجه وجهه فحذف للعلم به وأقول ان نظيره ما جاء في المثل « أينما اوجه الق سعداً » ومعناه أينما اوجه وجوه ركابي وسعد قبيلته أي كل الناس مثل قبيلتي في التحاسد وأما يوجه بفتح الجيم فمعناه اينما يرسل أو يبعث لا يأت بخير

اللغة

الابكم الذي يولد اخرس لا يفهم ولا يفهم وقيل الابكم الذي لا يمكنه أن يتكلم والكل الثقل يقال كل عن الأمر يكل كلا إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه وكلت السكين كلولا إذا غلظت شفرتها وكل لسانه إذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده فالاصل فيه الغلظ المانع من النفوذ والتوجيه الارسال في وجه من الطريق يقال وجهته إلى موضع كذا فتوجه اليه

الاعراب

ومن رزقناه منا رزقاً حسناً رزقاً مفعول ثان لرزقناه وفي هذا دليل على ان رزق يتعدى إلى مفعولين ألا ترى ان قوله رزقاً حسناً لو كان مصدراً لما جاز ان يقول فهو ينفق منه لأن الانفاق إنما يكون من المال لا من الحدث الذي هو المصدر

المعنى

ثم بين سبحانه للمشركين أمر ضلالتهم فقال (ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء) أي بين الله مثلا فيه بيان المقصود تقريبا للخطاب إلى أفهامهم ثم ذكر ذلك المثل فقال عبدا مملوكا لا يقدر من امره على شيء (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) يريد وحرا رزقناه وملكناه مالا ونعمة (فهو ينفق منه سرا وجهرا) لا يخاف من احد (هل يستون) ولم يقل يستويان لأنه أراد بقوله ومن رزقناه وقوله عبدا مملوكا الشيوع في الجنس لا التخصيص يريد ان الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان احدهما مالكا قادرا على الانفاق والآخر عاجزا عن الانفاق لا يستويان فكيف يستوي بين الحجارة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء الخالق الرازق لجميع خلقه وهذا معنى قول المجاهد والحسن وقيل ان هذا المثل للكافر والمؤمن فان الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير عن ابن عباس وقتادة نبَّه الله سبحانه بذلك على اختلاف حاليهما ودعا إلى حال المؤمن وصرف عن حال الكافر (الحمد لله) أي الشكر لله على نعمه وفيه اشارة إلى ان النعم كلها منه وقيل معناه قولوا الحمد لله الذي دلنا على توحيده ومعرفته وهدانا إلى شكر نعمته واوضح لنا السبيل إلى جنته (بل اكثرهم لا يعلمون) يعني ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ان الحمد لي وان جميع النعمة مني ثم ضرب سبحانه مثلا آخر فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه وقيل معناه لا يقدر ان يدبر امر نفسه (وهو كل على مولاه) أي ثقل ووبال على وليه الذي يتولى أمره (أينما يوجهه لا يأت بخير) معناه انه لا منفعة لمولاه فيه أينما يرسله في حاجة لا يرجع بخير ولا يهتدي إلى منفعة (هل يستوي هو) اي هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة (ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو فصيح يأمر بالعدل والحق ويدعو إلى الثواب والبر (وهو على صراط مستقيم) أي على دين قويم وطريق واضح فيما يأتي به ويذر والمراد انهما لا يستويان قط لأنه لا جواب لهذا الكلام إلا النفي وهذا كما قال أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقيل في معنى هذا المثل أيضا قولان احدهما انه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل منه واصل الخير كله من الله تعالى فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة والآخر انه مثل للكافر والمؤمن فالأبكم الكافر والذي يأمر بالعدل المؤمن عن ابن عباس وقيل ان الابكم ابي بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون عن عطاء وقيل ان الابكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاتل ثم وصف سبحانه نفسه مؤكدا لما قدم ذكره من اوصاف الكمال فقال (ولله غيب السموات والأرض) ومعناه انه المختص بعلم الغيب وهو ما غاب عن جميع الخلائق ما يصح ان يكون معلوما قال الجبائي ويمكن ان يكون المعنى ولله ما غاب عنكم مما في السموات والارض ثم قال (وما امر الساعة) في قدرته (إلا كلمح البصر) اي كطرف العين وقيل كرد البصر قال الزجاج وما امر اقامة الساعة في قدرته إلا كلمح البصر أي لا يتعذر عليه شيء (او هو أقرب) من ذلك وهو مبالغة في ضرب المثل به في السرعة ودخول أو هنا لأحد امرين اما للابانة على انه على إحدى هاتين المنزلتين واما لشك المخاطب وقيل معناه بل هو اقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو قادر على اقامة الساعة وعلى كل شيء يريده لأن القدير مبالغة في صفة القادر

النظم

وجه اتصاله بما قبله ان امر القيامة من الأمور الغائبة ومن اعظمها واهمها لما فيه من الثواب والعقاب والانصاف والانتصاف والساعة اسم لإماتة الخلق واحيائهم

قوله تعالى (٧٨) وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ

ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٩) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٠) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ ٱلْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ثلاث آيات

(القراءة)

قد ذكرنا القراءة في امهاتكم في سورة النساء وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وسهل وخلف ألم تروا بالتاء والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة وابن عامر ظعنكم ساكنة العين والباقون بفتح العين.

(الحجة)

من قرأ ألم تروا بالتاء فإنه يدل عليه ما قبله من قوله وجعل لكم السمع ولعلكم تشكرون ومن قرأ بالياء فانه على وجه التنبيه لمن تقدم ذكرهم من الكفار والظعَن والظعن بفتح العين وسكونها لغتان ومثله النهر والنهر والشمع والشمع قال الاعشى

فقد اشرب الراح قد تعلمين يوم المقام ويوم الظعن

قال ابو علي ولا يجوز ان يكون الظعن مخففا عن الظعن كما ان عضدا مخفف عن عضد وكتفا مخففا عن كتف الا ترى ان من قال ذلك لم يخفف نحو جمل ورسن كما ان الذي يقول والليل إذا يسر وذلك ما كنا نبغ لا يقول والليل إذا يغش وحرف الحلق وغيره في ذلك سواء

❊ اللغة ❊

الامهات اصله الامات ولكن الهاء زيدت مؤكدة كما زادوها في أهرقت الماء والاصل أرقت والأفئدة جمع فؤاد كما يقال غراب واغربة ولم يجمع الفؤاد على اكثر العدد لم يقل فيه فئدان كما قالوا غربان. الجو الهواء البعيد من الأرض وابعد منه السكاك واللوح وواحد السكاك سكاكة عن الزجاج قال الشاعر

ويلمها في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب

والسكن كل ما يسكن اليه والسكن ايضا المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار وبسكونها أهل الدار ومنه الحديث ان الرمانة لتشبع السكن واصله من السكون الذي هو ضد الحركة وهما من جنس الاكوان التي يكون الجسم بها كائنا في الجهات ومنه السكين لأنه يسكن حركة المذبوح والأثاث متاع البيت الكثير من قولهم شعر أثيث أي كثير او اث البنت يأث اثا إذا كثر والتف وكذلك الشعر ولا واحد للأثاث كما انه لا واحد للمتاع قال الشاعر

أهاجتك الظعائن يوم بانوا بذي الزي الجميل من الأثاث

« الاعراب »

قوله لا تعلمون شيئا في موضع نصب على الحال من الكاف والميم وقوله شيئا يجوز ان يكون منتصبا على المصدر أي لا تعلمون علما ويجوز ان يكون مفعولا ويكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد واثاثا ومتاعا نصب بجعل اي يجعل لكم اثاثا ومتاعا

« المعنى »

ثم عدد سبحانه نعما له أخر فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) منعما عليكم بذلك وانتم (لا تعلمون

شيئا) من منافعكم ومضاركم في تلك الحال (وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة) أي تفضل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي طرق إلى العلم بالمدركات وتفضل عليكم بالقلوب التي تفقهون بها الأشياء اذ هي محل المعارف (لعلكم تشكرون) اي لكي تشكروه على ذلك وتحمدوه ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلائل بدلالة اخرى فقال (ألم تروا) اي ألم تتفكروا وتنظروا (إلى الطير مسخرات في جو السماء) اي كيف خلقها الله خلقة يمكنها معها التصرف في جو السماء صاعدة ومنحدرة وذاهبة وجائية مذللات للطيران في الهواء بأجنحتها تطير من غير ان تعتمد على شيء (ما يمسكهن الا الله) اي ما يمسكهن من السقوط على الارض من الهواء إلا الله فيمسك الهواء تحت الطير حتى لا ينزل فيه كامساك الماء تحت السائح في الماء حتى لا ينزل فيه فجعل امساك الهواء تحتها امساكا لها على التوسع فإن سكونها في الجو إنما هو فعلها فالمعنى ألم تنظروا في ذلك فتعلموا ان لها مسخرا ومدبرا لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه شيء وانه إنما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذي عرضهم له ولو كان فعل ذلك لمجرد الانعام على العبيد لكان حسنا لكنه سبحانه وتعالى ضم إلى ذلك التعريض للثواب (ان في ذلك لآيات) أي دلالات على وحدانية الله تعالى وقدرته (لقوم يؤمنون) لأنهم الذين انتفعوا به ثم عدد سبحانه نعما اخر في الآية الأخرى فقال (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) اي موضعا تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدر وذلك انه سبحانه خلق الخشب والمدر والآلة التي يمكن بها تسقيف البيوت وبناؤها (وجعل لكم من جلود الأنعام) يعني الانطاع والادم (بيوتا تستخفونها) اي قبابا وخياما يخف عليكم حملها في اسفاركم (يوم ظعنكم) اي ارتحالكم من مكان إلى مكان وقيل معنى الظعن سير اهل البوادي لنجعة أو حضور ماء أو طلب مرتع (ويوم اقامتكم) أي اليوم الذي تنزلون موضعا تقيمون فيه أي لا يثقل عليكم في الحالتين (ومن أصوافها) وهي للضأن (وأوبارها) وهي للابل (وأشعارها) وهي للمعز (اثاثا) أي مالا عن ابن عباس وقيل نوعا من متاع البيت من الفراش والاكسية وقيل طنافس وبسطا وثيابا وكسوة والكل متقارب (ومتاعا) تتمتعون به ومعاشا تتجرون فيه (إلى حين) أي إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل إلى وقت الموت عن الكلبي ويحتمل ان يكون أراد به موت المالك أو موت الأنعام وقيل إلى وقت البلى والفناء وفيه إشارة إلى انها فانية فلا ينبغي للعاقل ان يختارها على نعيم الآخرة

قوله تعالى (٨١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٣) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٤) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٥) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ خمس آيات

اللغة

الأكنان جمع كن وهو الموضع الذي يستتر صاحبه فيه ويقال كننت الشيء في كنه أي صنته واكننته أي أخفيته وكل ما لبسته من قميص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كن قال الزجاج والعتب الموجدة يقال عتب عليه يعتب إذا وجد عليه فإذا فاوضه ما عتب عليه قالوا عاتبه وإذا رجع إلى مسرته قيل اعتب والاسم العتبى وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب واستعتبه طلب منه ان يعتب قال ابو مسلم الاستعتاب مأخوذ من العتاب

والعتب واصله دبغ الاديم وهو عتابه وفي المثل إنما يعاتب الاديم ذو البشرة يقال عتبت على فلان واستعتبته إذا أنكرت منه فعلا واستزلته عنه واردت اصلاحه. واعتبك فلان إذا صار الك إلى ما تحب وزال عما تكره

الإعراب

فإن تولوا شرط وتقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من اجل توليهم فإن الذي عليك هو البلاغ إلا انه حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه. للذين كفروا في محل الرفع لوقوع الاذن عليه

(المعنى)

ثم عدد سبحانه نعما اخر أضافها إلى ما عدده قبل من نعمه فقال (والله جعل لكم مما خلق) من الاشجار والابنية (ظلالا) أي أشياء تستظلون بها في الحر والبرد (وجعل لكم من الجبال اكنانا) أي مواضع تسكنون بها من كهوف وثقوب وتأوون اليها (وجعل لكم سرابيل) أي قميصا من القطن والكتان والصوف عن ابن عباس وقتادة (تقيكم الحر) ولم يقل وتقيكم البرد لأن ما وقى الحر وقى البرد وانما خص الحر بذلك مع ان وقايتها للبرد اكثر لأن الذين خوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحر اكثر عن عطا على ان العرب تكتفي بذكر احد الشيئين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر

وما ادري إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني

فكنى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه ذكره الفراء (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعني دروع الحديد تقيكم شدة الطعن والضرب وتدفع عنكم سلاح اعدائكم (كذلك) اي مثل ما جعل لكم هذه الاشياء وانعم بها عليكم (يتم نعمته عليكم) يريد نعمة الدنيا ويدل عليه قوله (لعلكم تسلمون) قال ابن عباس معناه لعلكم يا أهل مكة تعلمون انه لا يقدر على هذا غيره فتوحدوه وتصدقوا رسوله (فإن تولوا فانما عليك البلاغ المبين) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه فان اعرضوا عن الايمان بك يا محمد والقبول عنك وعن التدبر لما عددته في هذه السورة من النعم وبنيت فيها من الدلالات فلا عتب عليك ولا لوم فانما عليك البلاغ الظاهر وقد بلغت كما امرت والبلاغ الاسم والتبليغ المصدر مثل الكلام والتكليم ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) اي يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم واكمال عقولهم وخلق انواع المنافع التي ينتفعون بها لهم ثم انهم مع ذلك ينكرون تلك النعم ان تكون من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان ويشكرون الاوثان عليها يقولون رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا فيشركونهم معه فيها وقيل ان معناه يعرفون محمدا صلى الله عليه وآله وهو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه ويجحدونه عن السدي (واكثرهم الكافرون) إنما قال اكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف لصغره أو كان ناقص العقل مأوفا او لم تبلغه الدعوة فلا يقع عليه اسم الكفر وقيل انما ذكر الاكثر لأنه علم سبحانه ان فيهم من يؤمن وقيل انه من الخاص في الصيغة العام في المعنى عن الجبائي وقريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون وانما عدل عن البعض احتقارا له ان يذكره وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة انه ليس لله تعالى على الكافر نعمة وان جميع ما فعله بهم إنما هو خذلان ونقمة لأنه سبحانه نص في هذه الآية على خلاف قولهم (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) يعني يوم القيامة بين سبحانه انه يبعث فيه من كل امة شهيدا وهم الأنبياء والعدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم وقال الصادق (ع) لكل زمان وأمة إمام تبعث كل امة مع إمامها وفائدة بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك ان ذلك اهول في النفس واعظم في تصور الحال وأشد في الفضيحة إذا قامت الشهادة بحضرة الملأ مع جلالة الشهود وعدالتهم عند الله تعالى ولأنهم إذا علموا ان العدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإن ذلك يكون زجرا لهم عن المعاصي وتقديره واذكر يوم نبعث (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أي لا يؤذن لهم

في الكلام والاعتذار عن ابن عباس كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا وقيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال أذنت له أي استمعت كما قال عدي بن زيد

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ما ذي مشار

عن ابي مسلم (ولا هم يستعتبون) اي لا يسترضون ولا يستصلحون كما كان يفعل بهم في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف ومعناه لا يسألون ان يرضوا الله بالكف عن معصية يرتكبونها (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) معناه إذا رأى الذين اشركوا بالله تعالى النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولا هم ينظرون) أي لا يمهلون ولا يؤخرون بل عذابهم دائم في جميع الأوقات فإن وقت التوبة والندم قد فات

النظم

وجه اتصال قوله فان تولوا بما قبله انه سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يذكرهم بهذه النعم ويحتج عليهم بهذه الحجج فان اسلموا فذاك وان اعرضوا فلا شيء على الرسول فانما عليه البلاغ المبين فقط ووجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها وهي قوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا انها تتصل بقوله فإنما عليك البلاغ لأن المعنى انا نجازيهم على اعمالهم يوم نبعث من كل امة شهيدا وقال ابو مسلم انه عطف على قوله والله خلقكم ثم يتوفاكم يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل امة شهيدا

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٧) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٨) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٩) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٩٠) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ خمس آيات

اللغة

تقول القيت الشيء إذا طرحته والقى الشيء الملقى والقيت اليه مقالة أي قلتها له وتلقاها إذا قبلها والسلم الاستسلام والانقياد والتبيان والبيان واحد. الازهري قال العرب تقول بينت الشيء تبيينا وتبيانا

المعنى

ثم ابان سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال (و إذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) يعني الاصنام والشياطين الذين اشركوهم مع الله في العبادة وقيل سماهم شركاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع والانعام فهم إذا شركاؤهم على زعمهم (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) اي يقولون هؤلاء شركاؤنا التي اشركناها معك في الالهية والعبادة واضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا (فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون) معناه فقالت الأصنام وسائر ما كانوا يعبدونه من دون الله بانطاق الله تعالى إياهم لهؤلاء انكم لكاذبون في انا امرناكم بعبادتنا ولكنكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لأنفسكم وقيل انكم لكاذبون في قولكم انا آلهة والقاء المعنى إلى النفس اظهاره لها حتى تدركه متميزا عن غيره (والقوا إلى الله يومئذ السلم) معناه

واستسلم المشركون وما عبدوهم من دون الله لأمر الله وانقادوا لحكمه يومئذ عن قتادة وقيل معناه ان المشركين زال عنهم نخوة الجاهلية وانقادوا قسرا لا اختيارا واعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي بطل ما كانوا يأملونه ويتمنونه من الأماني الكاذبة من ان آلهتهم تشفع لهم وتنفع (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي اعرضوا عن دين الله وقيل صدوا غيرهم عن اتباع الحق الذي هو سبيل الله وقيل صد المسلمين عن البيت الحرام عن ابي مسلم (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) أي عذبناهم على صدهم عن دين الله زيادة على عذاب الكفر وقيل زدناهم الأفاعي والعقارب في النار لها انياب كالنخل الطوال عن ابن مسعود وقيل هي انهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس ومقاتل وقيل زيدوا حيات كأمثال الفيلة والبخت وعقارب كالبغال الدلم عن سعيد بن جبير (ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) أي من امثالهم من البشر ويجوز ان يكون ذلك الشهيد نبيهم الذي ارسل اليهم ويجوز ان يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي وفي هذا دلالة على ان كل عصر لا يجوز ان يخلو ممن يكون قوله حجة على أهل عصره وهو عدل عند الله تعالى وهو قول الجبائي واكثر اهل العدل وهذا يوافق ما ذهب اليه اصحابنا وان خالفوهم في ان ذلك العدل والحجة منه هو (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يريد على قومك وامتك وانما افرده بالذكر تشريفا له وتم الكلام هاهنا ثم قال سبحانه (ونزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شيء) أي بيانا لكل امر مشكل ومعناه ليبين كل شيء يحتاج اليه من امور الشرع فإنه ما من شيء يحتاج الخلق اليه في امر من امور دينهم إلا وهو مبين في الكتاب اما بالتنصيص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحجج القائمين مقامه أو اجماع الأمة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفادا من القرآن (وهدى ورحمة) أي ونزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشد ونعمة على الخلق لما فيه من الشرائع والاحكام ولأنه يؤدي إلى نعم الآخرة (وبشرى للمسلمين) اي بشارة لهم بالثواب الدائم والنعيم المقيم (ان الله يأمر بالعدل) وهو الانصاف بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج (والاحسان) إلى الناس وهو التفضل ولفظ الاحسان جامع لكل خير والاغلب عليه استعماله في التبرع بايتاء المال وبذل السعي الجميل وقيل العدل التوحيد والاحسان أداء الفرائض عن ابن عباس وعطاء وقيل العدل في الأفعال والاحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن وقيل العدل ان ينصف وينتصف والاحسان ان ينصف ولا ينتصف (وإيتاء ذي القربى) أي ويأمركم باعطاء الأقارب حقهم بصلتهم وهذا عام وقيل المراد بذي القربى قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين ارادهم الله بقوله فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى على ما مر تفسيره وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال نحن هم (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) انما جمع بين الأوصاف الثلاثة في النهي مع ان الكل منكر فاحش ليبين بذلك تفصيل ما نهى عنه لأن الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره والمنكر ما يظهره للناس مما يجب عليهم انكاره والبغي ما يتطاول به من الظلم لغيره وقيل ان الفحشاء الزنا والمنكر ما ينكره الشرع والبغي الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل ان العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان ان تكون السريرة أحسن من العلانية والفحشاء والمنكر ان تكون العلانية أحسن من السريرة عن سفيان بن عيينة (يعظكم لعلكم تذكرون) معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآية من مكارم الأخلاق لكي تتذكروا وتتفكروا وترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود هذه الآية أجمع آية في كتاب الله للخير والشر قال قتادة أمر الله سبحانه بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سفاسف الاخلاق وجاءت الرواية ان عثمان بن مظعون قال كنت اسلمت استحياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكثرة ما كان يعرض علي الإسلام ولم يقر الإسلام في قلبي فكنت ذات يوم عنده حال تأمله فشخص بصره نحو السماء كأنه يستفهم شيئا فلما سري عنه سألته عن حاله فقال نعم بينا أنا أحدثك إذ رأيت جبرائيل في الهواء فأتاني بهذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقرأها علي إلى آخرها فقر

الاسلام في قلبي واتيت عمه ابا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمدا ﷺ ترشدوا فانه لا يأمركم إلا بمكارم الأخلاق وأتيت الوليد بن المغيرة وقرأت عليه هذه الآية فقال ان كان محمد قاله فنعم ما قال وان قاله ربه فنعم ما قال قال فأنزل الله أفرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى يعني قوله فنعم ما قال ومعنى قوله واكدى انه لم يقم على ما قاله وقطعه وعن عكرمة قال ان النبي ﷺ قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو قول البشر

النظم

وجه اتصال قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بما قبله انه سبحانه لما بين ان الانبياء تشهد على أممهم يوم القيامة بين عقيبه انه سبحانه قد كلف الجميع وازاح عللهم في التكليف بأن أنزل القرآن بما فيه من البيان والهداية والرحمة والبشارة لأهل الإيمان وانهم إذا عوقبوا فانما اتوا في ذلك من قبل نفوسهم وهذا كله مما يدخل في الشهادة ووجه اتصال قوله ان الله يأمر بالعدل الآية بما قبله انه سبحانه لما ذكر القرآن بين عقيبه ما يأمر به وينهى عنه فيه وقيل انه يتصل بقوله ويوم نبعث كأنه قال بعد ذكر القيامة والشهود انه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم فاعلموا انه سبحانه لا يظلم احدا بل يعدل ويتفضل ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على اممهم انهم اتوا فيما لاقوه من العذاب من قبل انفسهم

قوله تعالى (٩١) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩٢) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٣) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ أربع آيات

اللغة

التوكيد التشديد واوكد عقدك أي شده وهي لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون اكدت تأكيدا والانكاث الانقاض واحدها نكث والنكث المصدر وهذا قول لا نكثة فيه أي لا خلف وكل شيء نقض بعد الفتل فهو انكاث حبلا كان او غزلا والحبل منتكث أي منتقض ومنه سموا من تابع الإمام طائعا ثم خرج عليه ناكثا لأنه نقض ما وكد على نفسه بالأيمان والعهود كفعل الناكثة غزلها والدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقيل الدخل الدغل والخديعة وانما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل وكل ما دخله عيب فهو مدخول واربى افعل من الربا وهو الزيادة ومنه الربوة والربا في المال واربى فلان للزيادة التي تريدها على غزية في رأس ماله قال الشاعر

واسمر خطي كأن كعوبه نوى القسب قد اربى ذراعا على العشر

الاعراب

انكاثا منصوب لأنه في معنى المصدر دخلا بينكم منصوب لأنه مفعول له والمعنى تتخذون ايمانكم للدخل

والغش وقوله ان تكون امة على تقدير بأن تكون أمة وهي أربى موضع أربى رفع مبتدأ وخبر وكلاهما في محل النصب بانه خبر كان وقال الفراء ان موضع اربى نصب وهي عماد وهذا لا يجوز لأن الفصل الذي يسميه الكوفيون عمادا لا يدخل بين النكرة وخبره وقد اخطأ أيضا بأن شبه ذلك بقوله تجدوه عند الله هو خيرا فإن الهاء في تجدوه معرفة وهاهنا امة نكرة فلا يشبه ذلك ويجوز ان تكون الجملة صفة لأمة ولا يحتاج تكون إلى خبر لأنه بمعنى يحدث ويقع وامة فاعله وتقديره كراهة ان تكون فهو مفعول له ولئلا يكون عند الكوفيين

— المعنى —

لما تقدم ذكر الأمر بالعدل والاحسان والنهي عن المنكر والعدوان عقبه سبحانه بالأمر بالوفاء بالعهد والنهي عن نقض الأيمان فقال (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) قال ابن عباس الوعد من العهد وقال المفسرون العهد الذي يجب الوفاء به والوعد هو الذي يحسن فعله وعاهد الله ليفعلنه فإنه يصير واجبا عليه (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) هذا نهي منه سبحانه عن نكث الأيمان وهو ان ينقضها بمخالفة موجبها وارتكاب ما يخالف عقدها وقوله بعد توكيدها أي بعد عقدها وابرامها وتوثيقها باسم الله تعالى وقيل بعد تشديدها وتغليظها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغو اليمين عن ابي مسلم (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي حسيبا فيما عاهدتموه عليه وقيل كفيلا بالوفاء وذلك ان من حلف بالله فكأنه اكفل الله بالوفاء بما حلف وقيل انه قولهم الله علي كفيل أو وكيل وقيل أراد به ان الكفيل بالشيء يكون حفيظا له والإنسان انما يؤكد الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهة اليمين ليحفظ سبحانه ذلك الامر (ان الله يعلم ما تفعلون) من نقض العهد والوفاء به فإياكم ان تلقوه وقد نقضتم وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا النبي ﷺ على الاسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنكم قلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة فإن الله حافظكم أي اثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول واكدتموه بالأيمان وقيل نزلت في قوم حالفوا قوما فجاءهم قوم وقالوا نحن أكثر منهم واعز واقوى فانقضوا ذلك العهد وحالفونا (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي لا تكونوا كالامرأة التي غزلت ثم نقضت غزلها من بعد امرار وفتل للغزل وهي امرأة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن ان ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها واسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وكانت تسمى خرقاء مكة عن الكلبي وقيل انه مثل ضربه الله تعالى شبه فيه حال ناقض العهد بمن كان كذلك (انكاثا) جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض ليغزل ثانية (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) اي دغلا وخيانة ومكرا وذلك انهم كانوا يحلفون في عهودهم ويضمرون الخيانة وكان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اتخذوا ايمانهم مكرا وخيانة (ان تكون امة هي اربى من امة) اي لا تنقضوا العهد بسبب ان يكون قوم اكثر من قوم وامة اعلى من امة ولاجل ذلك وتقديره ولا تنكثوا ايمانكم متخذيها دغلا وغدرا وخديعة لمداراتكم قوما هم اكثر عددا ممن حلفتم له ولقلتكم وكثرتهم بل عليكم الوفاء بما حلفتم والحفظ لما عاهدتم عليه (انما يبلوكم الله به) اي انما يختبركم الله بالأمر بالوفاء والهاء في به عائدة على الامر وتحقيقه انه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بحسب العمل (وليبين) اي وليفصلن (لكم يوم القيامة ما كنتم فيه) اي في صحته (تختلفون) وليظهرن لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل (ولو شاء لجعلكم امة واحدة) اي لجعلكم مهتدين يعني به مشيئة القدرة كما قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان او بالحكم عليه بالضلال (ويهدي من يشاء) بالتوفيق وبالحكم عليه بالهداية وقد ذكرنا معاني الضلال والهدى في سورة البقرة (ولتسئلن عما كنتم تعملون) من الطاعات والمعاصي فستجازون على كل منها بقدرة (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) نهي سبحانه عن الحلف على امر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمر خلاف ما يظهر أي يضمر الخلف

والحنث فيه (فتزل قدم بعد ثبوتها) هذا مثل ضربه الله تعالى ومعناه فتضلوا عن الرشد بعد ان تكونوا على هدى يقال زل قدم فلان في امر كذا إذا عدل عن الصواب وقيل معناه فيسخط الله عليكم بعد رضاه عنكم لأن ثبات القدم تكون برضاء الله سبحانه وزلة القدم تكون بسخطه وقيل انها نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نصرة الإسلام وأهله فنهوا عن نقض ذلك (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله) أي تذوقوا العذاب بما منعتم الناس عن اتباع دين الله (ولكم) مع ذلك (عذاب عظيم) يريد عذاب الآخرة وروي عن سلمان الفارسي «ره» انه قال تهلك هذه الأمة بنقض مواثيقها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال نزلت هذه الآيات في ولاية علي (ع) وما كان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلموا على علي بامرة المؤمنين

النظم

وجه اتصال قوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة الآية بما قبله انه اخبر في الآية المتقدمة انه يبين لهم في الآخرة الحق من الباطل والمحق من المبطل بيان ضرورة فأخبر عقيب ذلك انه يقدر على ذلك أيضا في الدنيا ولكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم

قوله تعالى (٩٥) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٦) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٨) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٩) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١٠٠) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ست آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن كثير وعاصم ولنجزين بالنون والباقون بالياء وروى عياش عن ابي عمرو بالنون ايضا

الحجة

حجة الياء وما عند الله باق والنون في المعنى مثل الياء

اللغة

النفاد الفناء ونفد الشيء ينفد نفادا إذا فني وانفد القوم إذا فني زادهم ونافدت الرجل مثل حاكمته ومعناه يرجع إلى ان كل واحد من الخصمين يريد نفاد حجة الآخر ومنه الحديث ان نافدتهم نافدوك ومن الناس من يرويه بالقاف والمعنى ان قلت قالوا لك والباقي هو الموجود المستمر وجوده وقيل الموجود عن وجود من غير فصل وضده الفاني وهو المعدوم بعد الوجود واختلف المتكلمون في الباقي فقال البلخي انه يبقى بمعنى هو بقاء وقال الاكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى والبقاء هو استمرار الوجود والاستعاذة طلب المعاذ استفعال من العوذة والعياذ والله سبحانه معاذ من عاذ به وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمرأة التي قالت له اعوذ

بالله منك لقد عذت بمعاذ فالحقي بأهلك واصل السلطان من التسلط وهو القهر وانما سميت الحجة سلطانا لأن الخصم به يقهر وقيل اشتق من السليط وهو دهن الزيت وسميت الحجة سلطانا لاضاءتها وفي الحديث عن ابن عباس أرأيت عليا وكأن عينيه سراجا سليط

الاعراب

ما عند الله اسم ان وهو فصل وخبر وخبره وما عندكم مبتدأ وينفد خبره وكذلك ما عند الله باق وانما قال ولنجزينهم بلفظ الجمع لأن لفظ من يقع على الواحد والجمع فرد الضمير على المعنى

النزول

قال ابن عباس ان رجلا من حضرموت يقال له عبدان الاشرع قال يا رسول الله ان امرأ القيس الكندي جاورني في ارضي فاقتطع من ارضي فذهب بها مني والقوم يعلمون اني لصادق ولكنه اكرم عليهم مني فسأل رسول الله ﷺ امرأ القيس عنه فقال لا أدري ما يقول فأمره ان يحلف فقال عبدان انه فاجر لا يبالي ان يحلف فقال ان لم يكن لك شهود فخذ بيمينه فلما قام ليحلف انظره فانصرفا فنزل قوله ولا تشتروا بعهد الله الآيتان فلما قرأهما رسول الله ﷺ قال امرؤ القيس اما ما عندي فينفد وهو صادق فيما يقول لقد اقتطعت أرضه ولم أدر كم هي فليأخذ من أرضي ما شاء ومثلها معها بما اكلت من ثمرها فنزل فيه ومن عمل صالحا الآية

المعنى

لما تقدم النهي عن نقض العهد اكد سبحانه فقال (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) اي لا تخالفوا عهد الله بسبب شيء يسير تنالونه من حطام الدنيا فتكونوا قد بعتم عظيم ما عند الله بالشيء الحقير (ان ما عند الله هو خير لكم) معناه ان الذي عند الله من الثواب على الوفاء بالعهود خير لكم واشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على نقضها فإن القليل الذي يبقى خير من الكثير الذي يفنى فكيف بالكثير الذي يبقى في مقابلة القليل الذي يفنى (ان كنتم تعلمون) الفرق بين الخير والشر والتفاوت الذي بين القليل الفاني والكثير الباقي (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) بين سبحانه بهذا ان العلة التي لأجلها كان الثواب خيرا من متاع الدنيا هو ان الثواب الذي عند الله يبقى والذي عندكم من نعيم الدنيا يفنى ثم اخبر سبحانه انه يجزي الصابرين فقال (ولنجزين الذين صبروا) اي لنكافئن الذين ثبتوا على الطاعات وعلى الوفاء بالعهود(اجرهم) وثوابهم(باحسن ما كانوا يعملون) اي بالطاعات من الواجبات والمندوبات فإن افعال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحاً لا يقع الجزاء عليه ولا يُستحق عليه أجر ولا حمد فلذلك قال سبحانه باحسن فإن الطاعة احسن من المباح وهذا يدل على فساد قول من يقول انه لا يكون حسن احسن من حسن (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن) هذا وعد من الله سبحانه اي من عمل عملا صالحا سواء كان ذكراً او انثى وهو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله مقر بصدق انبيائه (فلنحيينه حياة طيبة) قيل فيه اقوال * احدها * ان الحياة الطيبة الرزق الحلال عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا * وثانيها * انها القناعة والرضا بما قسم الله عن الحسن ووهب وروي ذلك عن النبي ﷺ * وثالثها * انها الجنة عن قتادة ومجاهد وابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياة الا في الجنة وقال ابن زيد الا ترى الى قوله يا ليتني قدمت لحياتي * ورابعها * انها رزق يوم بيوم * وخامسها * انها حياة طيبة في القبر (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) مر تفسيره وإنما كرره تأكيدا (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) معناه اذا اردت يا محمد قراءة القرآن فاستعذ بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود

الملعون وهذا كما يقال اذا أكلت فاغسل يديك واذا صليت فكبر ومنه اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والاستعاذة استدفاع الادنى بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل وتأويله استعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل وفي التأويل من الخطل والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارج الصلاة وقد تقدم ذكر اختلاف القراء في لفظ الاستعاذة في اول الفاتحة (انه) يعني الشيطان (ليس له سلطان) اي تسلط وقدرة (على الذين آمنوا) بالله (وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى انه لا يقدر على ان يكرههم على الكفر والمعاصي وقيل معناه ليس له حجة على ما يدعوهم اليه من المعاصي عن قتادة (إنما سلطانه على الذين يتولونه) معناه إنما تسلطه على الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه ويتبعون اغواءه (والذين هم به) اي بسبب طاعته (مشركون) بالله وقيل معناه والذين هم بالله مشركون اي يشركون مع الله سبحانه غيره في العبادة عن مجاهد

النظم

اتصل قوله فإذا قرأت القرآن الآيات بما قدمه سبحانه من الأمر بالطاعات فعقب ذلك بالاستعاذة من الشيطان الآمر بالمعاصي تحذيراً منه وإنما خص بالقرآن لأن القرآن هو العمدة في جميع امور الدين وقيل اتصل بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ثم اعترض ذكر الأوامر والنواهي ثم عاد الكلام الى ذكر القرآن والأمر بالاستعاذة عند قراءته

قوله تعالى (١٠١) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠٢) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٣) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٤) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٥) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ يلحدون بفتح الياء والحاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء وروي في الشواذ عن الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بالالف واللام

— الحجة —

حجة من قرأ يلحدون قوله ومن يرد فيه بإلحاد ومن قرأ يلحدون فلأن لحد لغة في الحد وذلك اذا مال ومنه أخذ اللحد لأنه في جانب القبر ويكون الضم ارجح من حيث لغة التنزيل

= اللغة =

التبديل في اللغة رفع الشيء مع وضع غيره مكانه يقال بدله وابدله واستبدل به بمعنى واللسان العضو المعروف ويقال للغة اللسان وتقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان قال الشاعر

لسان السوء تهديها الينا ... وحنت وما حسبتك ان تحينا

المعنى

ثم قال سبحانه مخبرا عن احوال الكفار (واذا بدلنا آية مكان اية) معناه واذا نسخنا آية وآتينا مكانها آية

اخرى إمانسخ الحكم والتلاوة وإمانسخ الحكم مع بقاء التلاوة (والله اعلم بما ينزل) معناه والله اعلم بمصالح ماينزل فينزل كل وقت ما توجبه المصلحة وقد تختلف المصالح باختلاف الاوقات كما تختلف باختلاف الاجناس والصفات (قالوا انما انت مفتر) اي قال المشركون انما انت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وغدا يأمرهم بأمر وانه لكاذب يأتيهم بما يقول من عند نفسه (بل اكثرهم لا يعلمون) اي لا يعلمون انه من عند الله او لا يعلمون جواز النسخ ولأي سبب ورد النسخ (قل) يامحمد (نزله روح القدس) اي انزل الناسخ جبرائيل (ع) (من ربك بالحق) اي بالأمر الحق الصحيح الثابت (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقا ويقينا ومعنى تثبيته استدعاؤه لهم بالطافه ومعونته الى الثبات على الإيمان والطاعة (وهدى) اي وهو هدى فيكون هدى خبر مبتدأ محذوف (وبشرى للمسلمين) اي بشارة لهم بالجنة والثواب (ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر) يقول سبحانه انا نعلم ان الكفار يقولون ان القرآن ليس من عند الله وإنما يعلم النبي ﷺ بشر قال ابن عباس قالت قريش إنما يعلمه بلعام وكان قينا بمكة روميا نصرانيا وقال الضحاك اراد به سلمان الفارسي (ره) قالوا انه يتعلم القصص منه وقال مجاهد وقتادة ارادوا به عبداً لبني الحضرمي روميا يقال له يعيش او عائش صاحب كتاب اسلم وحسن اسلامه وقال عبد الله بن مسلم كان غلامان في الجاهلية نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الآخر خير كانا صيقلين يقرآن كتابا لهما بلسانهم وكان رسول الله ﷺ ربما مر بهما واستمع لقراءتهما فقالوا إنما يتعلم منهما ثم الزمهم الله تعالى الحجة واكذبهم بأن قال (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي) اي لغة الذي يضيفون اليه التعليم ويميلون اليه القول اعجمية ولم يقل عجمي لأن العجمي هو المنسوب الى العجم وإن كان فصيحا والاعجمي هو الذي لا يفصح وان كان عربيا الا ترى ان سيبويه كان عجميا وان كان لسانه لسان اللغة العربية وقيل يلحدون اليه يرمون اليه ويزعمون انه يعلمك اي لسان هذا البشر الذي يزعمون انه يعلمك اعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في اعلى طبقات البيان (وهذا) القرآن (لسان عربي مبين) اي ظاهر بيّن لا يشكك يعني اذا كانت العرب تعجز عن الاتيان بمثله وهو بلغتهم فكيف يأتي الأعجمي بمثله قال الزجاج وصفه بأنه عربي اي صاحبه يتكلم بالعربية ثم اتبع سبحانه هذه الآية بذكر الوعيد للكفار على ما قالوه فقال (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) اي بحجج الله التي اظهرها والمعجزات التي صدق بها قولك يا محمد (لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم) اي لا يثبتهم الله على الإيمان او لا يهديهم الى طريق الجنة بدلالة انه إنما نفى هدايته من لا يؤمن فالظاهر انه اراد بذلك الهدى الذي يكون ثوابا على الايمان لا الهداية التي في قوله فأما ثمود فهديناهم ثم بيّن سبحانه ان هؤلاء هم المفترون فقال (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) اي إنما يخترع الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن بها لأن الإيمان يحجز عن الكذب (وأولئك هم الكاذبون) لا انت يا محمد فحصر فيهم الكذب بمعنى ان الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت وانت كاذب فيكون قولك انت كاذب زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية زجر عن الكذب حيث اخبر سبحانه انه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن وقد روي مرفوعا انه قيل يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآية

(النظم)

قيل في اتصال قوله وإذا بدلنا آية مكان آية بما تقدم وجهان * احدهما * انه من تمام صفة أولياء الشيطان

المذكورين في قوله على الذين يتولونه وتقديره يتولون الشيطان ويشركون بالآية المنزلة ويقولون عند تبديل الآية مكان الآية الاخرى انما انت مفتر ✻ والآخر ✻ ان الآية منقطعة عما قبلها وهي معطوفة على الآي المتقدمة التي فيها وصف أفعال الكافرين والاول أوجه

قوله تعالى (١٠٦) مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٨) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٩) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١١٠) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

✻ القراءة ✻

قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء والباقون فتنوا بضم الفاء وكسر التاء

✻ الحجة ✻

قال ابو علي حجة من قرأ فتنوا ان الآية في المستضعفين المقيمين الذين كانوا بمكة وهم صهيب وعمار وبلال فتنوا وحملوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من اعطى التقية وعمار منهم فإنه ممن اظهر ذلك تقية ثم هاجر ومن قرأ فتنوا فيكون على معنى فتن نفسه باظهار ما اظهر من التقية فكأنه يحكي الحال التي كانوا عليها من اظهار ما اخذوا به من التقية لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد وهي قوله إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم إلى قوله إلا المستضعفين وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان

—(الاعراب)—

قال الزجاج قوله من كفر بالله في موضع رفع على البدل من الكاذبين وهو تفسير الكاذبين ولا يجوز ان يكون رفعا بالابتداء لأنه لا خبر هاهنا للابتداء فإن قوله من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ليس بكلام تام وقوله فعليهم غضب من الله خبر قوله من شرح بالكفر صدرا وقال الكوفيون من كفر شرط وجوابه يدل عليه جواب من شرح فكأنه قيل من كفر فعليه غضب من الله وهذا كقولهم من يأتنا فمن يحسن نكرمه فجواب الأول محذوف وقوله انهم في الآخرة هم الخاسرون يجوز ان يكون في موضع رفع على ان يكون قوله لا من لا جرم ردا لكلام والمعنى وجب انهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على ان يكون المعنى جرم فعلهم هذا انهم الخاسرون وتكون لا مزيدة ويجوز ان يكون معناه لا بد انهم فيكون على حذف الجار اي لا بد من ذلك ثم ان ربك. خبر ان قوله غفور رحيم وهذا من باب ماجاء في التنزيل ان فيه مكررا وكذلك الآية التي تأتي بعد ثم ان ربك للذين عملوا السوء الآية

✻ النزول ✻

قيل نزل قوله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان في جماعة اكرهوا وهم عمار وياسر ابوه وامه سمية

وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل ابو عمار وامه واعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم اخبر سبحانه بذلك رسول الله ﷺ فقال قوم كفر عمار فقال ﷺ كلا ان عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه وجاء عمار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال ﷺ ماوراءك فقال شر يارسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت الآية عن ابن عباس وقتادة وقيل نزلت في اناس من اهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فأدركهم قريش وفتنوهم فتكلموا بكلمة الكفر كارهين عن مجاهد وقيل ان ياسرا وسمية ابوي عمار اول شهيدين في الإسلام وقوله من كفر بالله ومن شرح بالكفر صدرا وهو عبد الله بن سعد ابن ابي سرح من بني عامر بن لؤي واماقوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية فقيل انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الرضاعة وابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وغيرهم من أهل مكة فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم انهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم

﴿ المعنى ﴾

(من كفر بالله من بعد إيمانه) اختلف في تقديره فقيل ان تقديره وتلخيص معناه من كفر بالله بأن يرتد عن الإسلام وشرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (إلا من اكره) فتكلم بكلمة الكفر على وجه التقية مكرها (وقلبه مطمئن) أي ساكن (بالإيمان) ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك وقيل أنه يتصل بما تقدم فمعناه انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه ثم استثنى من ذلك من اكره على ذلك وكان مطمئن القلب إلى الإيمان في باطنه فإنه بخلافه (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به (فعليهم غضب من الله) وله العذاب في الآخرة ثم اشار سبحانه إلى العذاب العظيم فقال (ذلك بأنهم استحبوا) اي آثروا (الحيوة الدنيا) والتلذذ فيها والركون اليها (على الآخرة) عنى بذلك انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) قدسبق معناه (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) قد سبق معنى الطبع على القلوب والسمع والأبصار في سورة البقرة (وأولئك هم الغافلون) وصفهم بعموم الغفلة مع ان الخواطر تزعجهم لجهلهم عما يؤدي اليه حالهم في الآخرة وقيل اراد انهم بمنزلة الغافلين فيكون تهجينا لهم وذما ثم قال (لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون) هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعني انهم هم المغبونون إذ حرموا الجنة ونعيمها وعذبوا في النار (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) اي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فاعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم (ثم جاهدوا) مع النبي ﷺ (وصبروا) على الدين والجهاد (ان ربك من بعدها) أي من بعد تلك الفتنة أو تلك الفعلة التي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر (لغفور رحيم)

﴿ النظم ﴾

واتصلت هذه الآية الأخيرة بقوله إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان فبين سبحانه حالهم بعدما تخلصوا من المشركين وهاجروا وجاهدوا عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الخاسرين اتبعه سبحانه بذكر من ربحت صفقته وهو من هاجر وجاهد

قوله تعالى (١١١) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ (١١٢) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٤) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً وَٱشْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٥) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

(القراءة)

قرأ عباس بن الفضل عن ابي عمرو والخوف بالنصب والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة الأعرج وابن يعمر وابن اسحاق وعمرو بن نعيم بن ميسرة لما تصف السنتكم الكذب بالجر وقراءة مسلم بن محارب الكُذُب

(الحجة)

من قرأ والخوف بالنصب فإنه حمله على الاذاقة والخوف لا يذاق على الحقيقة فحمله على اللباس اولى وقوله والكذب بالجر يكون على البدل من ما تصف واما الكُذُب فهو وصف الالسنة وهو جمع كاذب أو كذوب

﴿ اللغة ﴾

الأنعم جمع نعمة فهو مثل شدة واشد وقيل ان واحدها نعم فهو كغصن واغصن وقيل واحدها نعماء فيكون كبأساء وأبؤس وقوله أذاقها الله استعارة تقول العرب اركب هذا الفرس وذقه اي اختبره قال الشماخ

فذاق فأعطاه من اللين جانباً　　كفى ولهاً ان يغرق السهم حاجز

يصف قوسا وقال الآخر

وان الله ذاق حلوم قيس　　فلما رآء خفتها قلاها

﴿ الاعراب ﴾

يوم تأتي منصوب على احد شيئين اما على معنى ان ربك لغفور رحيم يوم تأتي واما ان يكون على معنى العظة والتذكير أي اذكر يوم تأتي عن الزجاج

المعنى

(يوم تأتي كل نفس) أراد به يوم القيامة (تجادل عن نفسها) أي تخاصم الملائكة عن نفسها وتحتج بما ليس فيه حجة وتقول والله ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباعهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ويحتمل ان يكون المراد انها تحتج عن نفسها بما تقدر به ازالة العقاب عنها (وتوفى كل نفس ما عملت) أي جزاء ما عملت من خير وشر (وهم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي مثل قرية (كانت آمنة) أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم (مطمئنة) قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف او ضيق (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) أي يحمل اليها الرزق الواسع من كل موضع ومن كل بلد كما قال سبحانه يجبى اليه ثمرات كل شيء (فكفرت بأنعم الله) أي فكفر اهل تلك القرية بأنعم الله ولم

يؤدوا شكرها (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فعالهم وسمى اثر الجوع والخوف لباسا لأن اثر الجوع والهزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس وقيل لأنهم شملهم الجوع والخوف كما يشمل اللباس البدن وقيل ان هذه القرية هي مكة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى اكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ثم يؤكل وهم مع ذلك خائفون وجلون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه يغيرون عليهم قوافلهم وذلك حين دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف وقيل انها قرية كانت قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بعث الله اليهم نبيا فكفروا بذلك النبي وقتلوه فعذبهم الله بعذاب الاستئصال (ولقد جاءهم رسول منهم) يعني أهل مكة بعث الله عليهم رسولا من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم فكذبوه وجحدوا نبوته (فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال كونهم ظالمين وعذابهم ما حل بهم من الجوع والخوف المذكورين في الآية المتقدمة وما نالهم يوم بدر وغيره من القتل ومن قال ان المراد بالقرية غير مكة قال هذه صورة القرية المذكورة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) صيغته صيغة الأمر والمراد به الإباحة أي كلوا مما اعطاكم الله من الغنائم واحلها لكم (واشكروا نعمة الله) فيما خلقه لكم واحله لكم (ان كنتم إياه تعبدون) وهذه الآية مع التي بعدها مفسرة في سورة البقرة

قوله تعالى (١١٦) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أربع آيات

الإعراب

متاع قليل خبر مبتدأ محذوف وتقديره متاعهم بهذا الذي فعلوه متاع قليل وتم الكلام عند قوله لا يفلحون

المعنى

لما تقدم ذكر ما احله الله سبحانه لهم وحرمه عليهم عقبه سبحانه بالنهي عن مخالفة اوامره ونواهيه في التحليل والتحريم فقال (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) وتقديره لوصف السنتكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) اي لا تقولوا لما حللتموه بأنفسكم من مثل الميتة هذا حلال ولما حرمتموه مثل السائبة هذا حرام (لتفتروا على الله الكذب) اي لتكذبوا على الله في اضافة التحريم اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) اي لا ينجون من عذاب الله ولا ينالون خيرا(متاع قليل)معناه الذين هم فيه من الدنيا بشيء قليل ينتفعون به اياما قلائل (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني بذلك ما ذكره في سورة الانعام من قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وعنى بقوله من قبل نزول هذه الآية لأن ما في سورة الانعام نزل قبل هذه الآية (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالعصيان والكفر بنعم الله تعالى والجحود بانبيائه واستحقوا بذلك تحريم هذه الاشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم

ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد والوعيد فقال (ثم ان ربك) الذي خلقك يا محمد (للذين عملوا السوء اي المعصية (بجهالة) اي بداعي الجهل فإنه يدعو الى القبيح كما ان داعي العلم يدعو الى الحسن وقيل بجهالة السيئات او بجهالتهم للعاقبة وقيل بجهالة انها سوء وقيل الجهالة هو ان يعجل بالاقدام عليها ويعد نفسه التوبة عنها (ثم تابوا) عن تلك المعصية (من بعد ذالك واصلحوا) نياتهم وافعالهم (ان ربك من بعدها) اي من بعد التوبة اوالجهالة اوالمعصية (لغفور رحيم) واعاد قوله ان ربك للتأكيد وليعود الضمير في قوله من بعدها الى الفعلة

النظم

انما اتصل قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك بما تقدم ذكره من التحريم والتحليل ليبين ان ما كانوا يحرمونه ويحللونه بزعمهم ليس في التوراة كما انه ليس ذلك في القرآن وقيل ليبين انه اذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بعصيانهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك

قوله تعالى (١٢٠) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢١) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢٢) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٣) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٤) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ خمس آيات

المعنى

(ان ابراهيم كان امة) اختلف في معناه فقيل قدوة ومعلما للخير قال ابن الاعرابي يقال للرجل العالم امة وهو قول اكثر المفسرين وقيل اراد امام هدى عن قتادة وقيل سماه امة لأن قوام الأمة كان به وقيل لأنه قام بعمل امته وقيل لأنه انفرد في دهره بالتوحيد فكان مؤمنا وحده والناس كفارا عن مجاهد (قانتا لله) اي مطيعاً له دائما على عبادته عن ابن مسعود وقيل مصليا عن الحسن (حنيفاً) اي مستقيماً على الطاعة وطريق الحق وهو الاسلام (ولم يك من المشركين) بل كان موحداً (شاكراً لأنعمه) اي لأنعم الله معترفاً بها (اجتباه) الله اي اختاره الله واصفاه (وهداه الى صراط مستقيم) اي دله الى الدين المستقيم وهو الإسلام والتوحيد (وآتيناه) اي اعطيناه (في الدنيا حسنة) اي نعمة سابغة في نفسه وفي اولاده وهو قول هذه الأمة كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وقيل هي النبوة والرسالة عن الحسن وقيل هي انه ليس من اهل دين الاوهو يرضاه ويتولاه عن قتادة وقيل هي تنويه الله بذكره بطاعته لربه ومسارعته الى مرضاته حتى صار اماماً يقتدى به ويهتدى بهداه وقيل هي اجابة الله دعوته حتى اكرم بالنبوة ذريته (وانه في الآخرة لمن الصالحين) ولم يقل لفي اعلى منازل الصالحين مع اقتضاء حاله ذلك ترغيباً في الصلاح فإنه عز اسمه بين انه (ع) من جملة الصالحين مع علو رتبته وشرف منزلته تشريفا لهم وتنويها بذكر من هو منهم وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح وبهذا المدح لإبراهيم (ع) ان يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء اليها بأنه فيها (ثم اوحينا اليك) يا محمد (ان اتبع ملة ابراهيم) اي امرناك باتباع ملة ابراهيم (حنيفاً) اي مستقيم الطريقة في الدعاء الى توحيد الله وخلع الانداد له وفي العمل بسنته (وما كان ابراهيم (من المشركين) ومتى قيل ان نبينا كان أفضل منه فكيف امر الفاضل باتباع المفضول فجوابه ان ابراهيم (ع) سبق إلى اتباع الحق ولا يكون في سبق المفضول إلى متابعة الحق زراية على الفاضل في اتباعه (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) معناه إنما جعل السبت لعنة ومسخاً على الذين اختلفوا فيه فحرموه ثم استحلوه فلعنهم

الله ومسخهم عن الحسن ويجوز ان يكون اختلافهم فيه انهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل فيه السمك يوم السبت واخذوه يوم الأحد وقيل معناه انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا في امر الجمعة وهم اليهود وكانوا قد امروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما امروا به عن مجاهد وابن زيد وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى قال بعضهم السبت اعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء وقال الآخرون بل الأحد اعظم لأنه ابتدأ بخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امور دينهم ويفصل بين المحق والمبطل منهم

النظم

وجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها انه لما امر سبحانه باتباع الحق حذر من الاختلاف فيه بما ذكر من احوال المختلفين في السبت كيف شدد عليهم فرضه وضيق عليهم أمره وقيل انه سبحانه رد على اليهود والنصارى دعوتهم ان ابراهيم كان منهم ثم رد عليهم في هذه الآية ما اوجبوه من تعظيم امر السبت وانه لا يجوز نسخه كما رد عليهم ذلك عن ابي مسلم

قوله تعالى (١٢٥) ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (١٢٦) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ (١٢٧) وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٨) إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ اربع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وحده في ضيق بكسر الضاد وكذلك في النمل والباقون بفتح الضاد

الحجة

قال الزجاج من فتح أراد ضيق فخفف مثل سيد وهين ولين ويجوز ان يكون بمعنى الضيق فيكون مصدراً قال ابو الحسن الضيق والضيق لغتان في المصدر قال ابو علي ينبغي ان يحمل على انه مصدر لأنك إذا حملته على انه مخفف من ضيق فقد اقمت الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة والمعنى لا تكن في ضيق أي لا يضيق صدرك من مكرهم كما قال وضائق به صدرك وليس المراد لاتكن في امر ضيق قال ابو عبيدة الضيق بالكسر في المعاش والمسكن والضيق بالفتح في القلب وقال علي بن عيسى يقال في صدري ضيق من هذا الأمر بالفتح وهو اكثر من الكسر

المعنى

ثم امر سبحانه نبيه بالدعاء إلى الحق فقال (ادع إلى سبيل ربك) أي ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته (بالحكمة) أي بالقرآن وسمي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة اللجام وإنما قيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار وقيل ان الحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد لأن بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال (والموعظة الحسنة) معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل ان الحكمة هي النبوة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن

ما عندك من الحجج وتقديره بالكلمة التي هي احسن والمعنى اقتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل هو ان يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما جاء في الحديث امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم (إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) أي عن دينه (وهو اعلم بالمهتدين) أي القابلين للهدى وهو يأمرك في الفريقين بما فيه الصلاح (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) معناه وان أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافاة فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به ولا تزيدوا عليه وقالوا ان المشركين لما مثلوا بقتلى احد وبحمزة بن عبد المطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجدعوا انفه وأذنه وقطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن امكننا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات فنزلت الآية عن الشعبي وقتادة وعطا بن يسار وقيل ان الآية عامة في كل ظلم كغصب أو نحوه فإنما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد وابن سيرين وابراهيم وقال الحسن نزلت الآية قبل ان يؤمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المشركين على العموم وأمر بقتال من قاتله ونظيره قوله فإن قاتلوكم فاقتلوهم (ولئن صبرتم) أي تركتم المكافاة والقصاص وجرعتم مرارته (لهو خير للصابرين) معناه الصبر خير وانفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب (واصبر) يا محمد فيما تبلغه من الرسالة وفيما تلقاه من الأذى وقيل معناه اصبر على ما يجب الصبر عليه وعما يجب الصبر عنه (وما صبرك إلا بالله) أي وليس صبرك إلا بتوفيق الله واقداره وتيسيره وترغيبه فيه (ولا تحزن عليهم) أي ولا تحزن على المشركين في اعراضهم عنك فإنه يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا عتب عليك في اعراضهم فقد بلغت ما امرت به وقضيت ما عليك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد نقلهم إلى ثوابه وكرامته (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي ولا يكن صدرك في ضيق من مكرهم بك وباصحابك فإن الله سبحانه يرد كيدهم في نحورهم ويحفظكم من شرورهم (ان الله مع الذين اتقوا) الشرك والفواحش والكبائر بالنصرة والحفظ والكلاءة (و) مع (الذين هم محسنون) قال الحسن اتقوا ما حرم عليهم وأحسنوا فيما فرض عليهم

(سورة بني اسرائيل)

هي مكية كلها وقيل مكية إلا خمس آيات ولا تقتلوا النفس الآية ولا تقربوا الزنى الآية أولئك الذين يدعون الآية أقم الصلاة الآية وآت ذا القربى حقه الآية عن الحسن وقيل مكية إلا ثماني آيات وان كادوا ليفتنونك إلى قوله وقل رب ادخلني مدخل صدق الآية عن قتادة والمعدل عن ابن عباس

✱ عدد آيها ✱

مائة واحدي عشرة آية كوفي وعشر آيات في الباقين ✱ اختلافها ✱ آية للاذقان سجداً كوفي

✱ فضلها ✱

أُبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين اعطي في الجنة قنطارين من الاجر والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والاوقية منها خير من الدنيا وما فيها وروى الحسن ابن ابي العلاء عن الصادق (ع) انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم ويكون من اصحابه

تفسيرها

ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبي ﷺ وافتتح سورة بني اسرائيل أيضا بذكره وبيان أسرائه إلى المسجد الاقصى فقال

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ (١) سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً (٣) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو وحده الا يتخذوا بالياء والباقون بالتاء

الحجة

من قرأ بالياء فلأن ما تقدمه على لفظ الغيبة والمعنى هديناهم لأن لا يتخذوا ومن قرأ بالتاء فللانصراف من الغيبة إلى الخطاب كما في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم قال إياك نعبد والضمير في الا تتخذوا وان كان على لفظ الخطاب فإنما يعني به الغيب في المعنى

الاعراب

سبحان منصوب على المصدر على معنى اسبح لله تسبيحاً قال ابو علي من زعم ان الا تتخذوا على اضمار القول فكأنه يراد قال ان لاتتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيماً وذلك لأن القول لايخلو من ان يكون بعده جملة تحكى او معنى جملة يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فموضع الجملة نصب بالقول والآخر نحو ان يقول القائل لا إله إلا الله فتقول قلت حقاً أو يقول الثلج حار فتقول قلت باطلاً فهذا معنى ماقاله وليس نفس المقول وقوله ان لا تتخذوا خارج من هذين الوجهين ألا ترى ان ان لا تتخذوا ليس هو القول كما ان قولك حقاً إذا سمعت كلمة الاخلاص بمعنى القول وليس قوله ان لا تتخذوا الجملة فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق ويجوز ان تكون ان بمعنى اي التي للتفسير وانصرف الكلام في الغيبة إلى الخطاب كما انصرف منها إلى الخطاب في قوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا في الأمر فكذلك انصرف في الغيبة إلى الخطاب في النهي في ان لا تتخذوا وكذلك قوله ان اعبدوا الله ربي وربكم في وقوع الأمر بعد الخطاب ويجوز ان يضمر القول ويحمل يتخذوا على القول المضمر إذا جعلت ان زائدة فيكون التقدير وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقلنا لا تتخذوا فيجوز إذا في قوله ألا تتخذوا ثلاثة أوجه (أحدها) ان تكون ان الناصبة للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى كراهة ان يتخذوا من دوني وكيلا أو لأن لا يتخذوا (والآخر) ان يكون بمعنى أي لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير اي لا تتخذوا (والثالث) ان تكون ان زائدة ويضمر القول فأما قوله ذرية من حملنا فانه يجوز ان يكون مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين وافرد الوكيل وهو في معنى الجمع لأن فعيلا يكون مفرداً للفظ والمعنى على الجمع نحو قوله وحسن أولئك رفيقاً فإذا حمل على هذا كان مفعولا ثانيا في قراءة من قرأ بالتاء والياء ويجوز ان يكون نداء وذلك على قراءة من قرأ بالتاء لأن النداء للخطاب ولو رفع ذرية على البدل من الضمير المرفوع في ان لا تتخذوا كان جائزاً ويكون التقدير الا تتخذ ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلا ولو جعلته مجرداً بدلا من قولك بني اسرائيل جاز وكان التقدير وجعلناه هدى لذرية من حملنا مع نوح

النزول

قيل نزلت الآية في اسرائه وكان ذلك بمكة صلى المغرب في المسجد الحرام ثم اسري به في ليلته ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام فاما الموضع الذي اسري اليه اين كان فإن الاسراء الى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يدفعه مسلم وما قاله بعضهم ان ذلك كان في النوم فظاهر البطلان اذ لا معجز يكون فيه ولا برهان وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج في عروج نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الى السماء ورواها كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وانس وجابر بن عبد الله وحذيفة وعائشة وام هاني وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزاد بعضهم ونقص بعض وتنقسم جملتها الى اربعة اوجه ﴿احدها﴾ ما يقطع على صحته لتواتر الاخبار به واحاطة العلم بصحته ﴿وثانيها﴾ ما ورد في ذلك مما تجوزه العقول ولا تأباه الاصول فنحن نجوزه ثم نقطع على ان ذلك كان في يقظته دون منامه ﴿وثالثها﴾ ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الاصول الا انه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول فالاولى ان نأوله على ما يطابق الحق والدليل ﴿ورابعها﴾ ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله الا على التعسف البعيد فالاولى ان لا نقبله فأما الاول المقطوع به فهو انه اسري به على الجملة واما الثاني فمنه ما روي انه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش والسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك واما الثالث فنحو ما روي انه رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها وقوماً في النار يعذبون فيها فيحمل على انه رأى صفتهم او اسماءهم (واما) الرابع فنحو ماروي انه صلى الله عليه وآله وسلم كلم الله سبحانه جهرة ورآه وقعد معه على سريره ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه والله سبحانه يتقدس عن ذلك وكذلك ما روي انه شق بطنه وغسله لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان طاهرا مطهرا من كل سوء وعيب وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء فمن جملة الاخبار الواردة في قصة المعراج ماروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اتاني جبرائيل (ع) وانا بمكة فقال قم يا محمد فقمت معه وخرجت الى الباب فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل واسرافيل فأتى جبرائيل (ع) بالبراق وكان فوق الحمار ودون البغل خده كخد الإنسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الإبل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فخذيه خطوه منتهى طرفه فقال اركب فركبت ومضيت حتى انتهيت الى بيت المقدس ثم ساق الحديث الى ان قال فلما انتهيت الى بيت المقدس اذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة وصليت في بيت المقدس وفي بعضها بشر لي ابراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم اخذ جبرائيل (ع) بيدي الى الصخرة فاقعدني عليها فإذا معراج الى السماء لم ار مثلها حسنا وجمالا فصعدت الى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها وملائكتها يسلمون علي ثم صعدبي جبرائيل الى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعدبي الى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف ثم صعدبي الى السماء الرابعة فرأيت فيها ادريس ثم صعدبي الى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعد بي الى السماء السادسة فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون ثم صعدبي الى السابعة فابصرت فيها خلقا وملائكة وفي حديث ابي هريرة رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة ابراهيم (ع) قال ثم جاوزناها متصاعدين الى اعلى عليين ووصف ذلك الى ان قال ثم كلمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى ثم رجعت الى مكة فلما اصبحت حدثت به بالناس فكذبني ابو جهل والمشركون وقال مطعم بن عدي اتزعم انك سرت مسيرة شهرين في ساعة اشهد انك كاذب قالوا ثم قالت قريش اخبرنا عما رأيت فقال مررت بعير بني فلان وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كان فسألوهم هل وجدوا الماء في القدح قالوا هذه آية واحدة قال ومررت بعير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت يدها فسألوهم عن ذلك فقالوا هذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن عيرنا

قال مررت بها بالتنعيم وبين لهم اجمالها وهيئاتها وقال تقدمها جمل اورق عليه قرارتان مخيطتان ويطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو التيه وهم يقولون لقد قضي محمد بيننا وبينه قضاء بينا وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل والله ان الشمس قد طلعت وقال آخر والله هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق فبهتوا ولم يؤمنوا وفي تفسير العياشي بالاسناد عن ابي بكر عن ابي عبد الله (ع) قال لما اسري برسول الله ﷺ الى السماء الدنيا لم يمر باحد من الملائكة الا استبشر قال ثم مر بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا الملك فمن هذا فقال هذا مالك خازن جهنم وهكذا جعله الله قال فقال له النبي ﷺ يا جبرائيل اسأله ان يرينيها قال فقال جبرائيل (ع) يا مالك هذا محمد رسول الله ﷺ وقد شكا إلي فقال ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا فاخبرته ان هكذا جعله الله وقد سألني ان اسألك ان تريه جهنم قال فكشف له عن طبق من اطباقها قال فما رئي رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى قبض وعن ابي بصير قال سمعته يقول ان جبرائيل احتمل رسول الله حتى انتهى به الى مكان من السماء ثم تركه وقال له ما وطأ نبي قط مكانك .

المعنى

(سبحان الذي اسرى بعبده) سبحان كلمة تنزيه وابراء لله عز اسمه عما لا يليق به من الصفات وقد يراد به التعجيب يعني سبحان الذي سير عبده محمدا ﷺ وهو عجيب من قدرة الله تعالى وتعجيب ممن لم يقدر الله حق قدره واشرك به غيره وسرى بالليل واسرى بمعنى وقد عدي هنا بالباء والوجه في التأويل انه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجبا فقيل سبح اي عجب (ليلاً) قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة (من المسجد الحرام) وقال اكثر المفسرين اسري برسول الله ﷺ من دار ام هاني اخت علي بن ابي طالب وزوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي وكان ﷺ نائما تلك الليلة في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ومكة والحرم كلها مسجد وقال الحسن وقتادة كان الاسراء من نفس المسجد الحرام (إلى المسجد الاقصى) يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذي باركنا حوله) اي جعلنا البركة فيما حوله من الاشجار والاثمار والنبات والأمن والخصب حتى لا يحتاجوا الى ان يجلب اليهم من موضع آخر وقيل باركنا حوله اي جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الانبياء ومهبط الملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدساً عن الشرك لأنه لما صار متعبداً للأنبياء ودار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك والتقديس التطهير فقد اجتمع فيه بركات الدين والدنيا (لنريه من آياتنا) أي من عجائب حججنا ومنها اسراؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك ومنها ان أراه الأنبياء واحداً بعد واحد وان عرج به إلى السماء وغير ذلك من العجائب التي اخبر بها الناس (انه هو السميع) لأقوال من صدق بذلك أو كذب (البصير) بما فعل من الاسراء والمعراج (وآتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) أي وجعلنا التوراة حجة ودلالة وبيانا وإرشاداً لبني إسرائيل يهتدون به (ألا تتخذوا من دوني وكيلاً) أي امرهم أن لا يتخذوا من دوني معتمداً يرجعون اليه في النوائب وقيل ربا يتوكلون عليه (ذرية من حملنا مع نوح) أي أولاد من حملنا مع نوح في السفينة فأنجيناه من الطوفان وقد ذكرنا وجوه ذلك في الاعراب وعلى هذا يدور المعنى (انه كان عبداً شكوراً) معناه ان نوحاً كان عبداً لله كثير الشكر وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء حمد الله وشكراً له وقال الحمد لله وقيل انه كان يقول في ابتداء الأكل والشرب بسم الله وفي انتهائه الحمد لله وروي عن ابي عبد الله (ع) وابي جعفر (ع) ان نوحاً كان إذا أصبح وامسى قال اللهم إني أشهدك ان ما اصبح أو امسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها عليّ حتى ترضى وبعد الرضى وهذا كان شكره

النظم

وجه اتصال قوله وآتينا موسى الكتاب بما قبله ان المعنى فيه سبحان الذي اسرى بمحمد ﷺ وأراه الآيات كلها كما أرى موسى الآيات والمعجزات الباهرات وقيل ان معناه ان كونك نبياً ليس ببدع فقد آتيناك الكتاب والحجج كما آتينا موسى التوراة فلم اقروا به وانكروا أمرك والطريق فيهما واحد وقيل ان معناه انهم كفروا بموسى كما كفروا بما اخبرتهم به من امرائك

قوله تعالى (٤) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (٥) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٦) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٧) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٨) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً خمس آيات

القراءة

ليسوء بفتح الهمزة شامي كوفي غير حفص إلا ان الكسائي يقرأ بالنون والباقون ليسوؤا بالياء وضم الهمزة على وزن ليسوعوا وفي الشواذ قراءة ابن عباس لتفسدن بضم التاء وفتح السين وعيسى الثقفي لتفسدن بفتح التاء وضم السين وقراءة علي «ع» عبيداً لنا وقراءة ابي السماك فحاسوا بالحاء وقراءة ابي بن كعب ليسوءاً بالتنوين

الحجة

من قرأ ليسوء بالياء ففاعل ليسوء يجوز ان يكون احد شيئين اما اسم الله تعالى لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا لكم وأمددناكم بأموال وبنين واما البعث ودل عليه بعثنا المتقدم كقوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم أي البخل خيراً لهم ومن قرأ لنسوء بالنون كان في المعنى كقول من قدر ان الفاعل ما تقدم من اسم الله تعالى وجاز ان ينسب المساءة إلى الله تعالى وان كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة لأنهم فعلوا المساءة بقوة الله تعالى فجاز ان ينسب اليه واما قوله ليسوؤا فمعناه إذا جاء وعد الآخرة أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين بعثناهم ليسوؤا وجوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم والحجة في ليسوؤا انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله ثم بعثناهم وبعده ليدخلوا المسجد الحرام والمبعوثون في الحقيقة هم الذين يسوؤنهم بقتلهم إياهم واسرهم لهم فهو وفق المعنى وقال وجوهكم على ان الوجوه مفعول به ليسوء وعدي الى الوجوه لأن الوجوه قد يراد به ذو الوجوه كقوله كل شيء هالك إلا وجهه وقوله وجوه يومئذ ناضرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال النابغة

أقارع عوفا لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تخادع

وأما قراءة ابي ليسوءاً فالوجه فيه على قول ابن جني ان يكون على حذف الفاء كما يقال إذا سألتني فلأعطك كأنك تأمر نفسك ومعناه فلأعطينك واللامان بعده للأمر أيضاً وهما وليدخلوا المسجد وليتبروا ويقوي ذلك انه لم يأت لإذا جواب فيما بعد واما من قرأ لتفسدن ولتفسدن فاحدى القراءتين شاهدة للأخرى لأن من افسد

فقد فسد وأما جاسوا فمعناه معنى جاسوا بعينه

﴿ اللغة ﴾

القضاء فصل الأمر على إحكام ومنه سمي القاضي ثم يستعمل بمعنى الخلق والاحداث كما قال فقضاهن سبع سموات وبمعنى الإيجاب كما قال وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبمعنى الاعلام والاخبار بما يكون من الأمر وهو المعني هاهنا وأصله الإحكام والعلو الارتفاع وعلا فلان الشيء إذا أطاقه ويقال علا في المكارم يعلى علا فهو علي وعلا في المكان يعلو علوا فهو عال والجوس التخلل في الديار يقال تركت فلانا يجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم أي يطأهم قال ابو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد حسته وجسته قال حسان

ومنا الذي لاقى بسيف محمد فجاس به الاعداء عرض العساكر

وقيل الجوس طلب الشيء باستقصاء والكرة معناه الرجعة والدولة والنفير العدد من الرجال قال الزجاج ويجوز أن يكون جمع نفر كما قيل العبيد والضئين والمعيز والكليب ونفر الإنسان ونفره ونفيره ونافرته رهطه الذين ينصرونه وينفرون معه والتتبير الإهلاك والتبار والهلاك والدمار واحد و كل ما يكسر من الحديد والذهب تبر والحصير الحبس ويقال للملك حصير لأنه محجوب قال لبيد

وقماقم غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

والحصير البساط المرمول لحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم امره سبحانه لبني اسرائيل عقب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال (وقضينا إلى بني اسرائيل) أي أخبرناهم وأعلمناهم (في الكتاب) أي في التوراة (لتفسدن في الأرض مرتين) أي حقا لا شك فيه أن اخلافكم سيفسدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس وأراد بالفساد الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء وقيل كان فسادهم الأول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد قالوا ثم سلط الله عليهم سابور ذا الاكتاف ملكا من ملوك فارس في قتل زكريا وسلط عليهم في قتل يحيى بخت نصر وهو رجل خرج من بابل وقيل الفساد الأول قتل شعيا والثاني قتل يحيى وان زكريا مات حتف انفه عن محمد بن اسحاق قال وأتاهم في الأول بخت نصر وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الأول جالوت فقتله داود (ع) والثاني بخت نصر عن قتادة وقيل انه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر عن ابي علي الجبائي (ولتعلن علوا كبيراً) أي ولتستكبرن ولتظلمن الناس ظلماً عظيما والعلو نظير العتو هنا وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه (فإذا جاء وعد أولاهما) معناه فإذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما والوعد هنا بمعنى الموعود ووضع المصدر موضع المفعول به أي إذا جاء وقت الموعود لإفسادكم في المرة الأولى (بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) أي سلطنا عليكم عباداً لنا أولي شوكة وقوة ونجدة وخلينا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءاً على كفركم وعتوكم وهو مثل قوله أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً عن الحسن وقيل معناه أمرنا قوما مؤمنين بقتالكم وجهادكم لأن ظاهر قوله تعالى عباداً لنا وقوله بعثنا يقتضي ذلك عن الجبائي وقيل يجوز ان يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء ويجوز ان يكونوا كافرين فتألفهم نبي من الأنبياء

لحرب هؤلاء وسلطهم على نظرائهم من الكفار والفساق عن ابي مسلم (فجاسوا خلال الديار) أي فطافوا وسط الديار يترددون وينظرون هل بقي منهم احد لم يقتلوه عن الزجاج (وكان وعداً مفعولا) أي موعوداً كائنا لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أي رددنا لكم يا بني اسرائيل الدولة واظهرناكم عليهم وعاد ملككم على ما كان عليه (وأمددناكم بأموال وبنين) أي وأكثرنا لكم أموالكم وأولادكم ورددنا لكم العدة والقوة (وجعلناكم أكثر نفيراً) أي اكثر عدداً وأنصاراً من اعدائكم (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) معناه ان أحسنتم في أقوالكم وأفعالكم فنفع احسانكم عائد عليكم وثوابه واصل اليكم تنصرون على اعدائكم في الدنيا وتثابون في العقبى (وإن أسأتم فلها) معناه وان اساتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضا لأن مضرة الاساءة عائدة اليها وإنما قال فلها على وجه التقابل لأنه في مقابلة قوله ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم كما يقال أحسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه ولأن معنى قولك أنت منتهى الإساءة وأنت المختص بالإساءة متقارب فلذلك وضع اللام موضع إلى وقيل ان قوله فلها بمعنى فعليها كقوله تعالى لهم اللعنة أي عليهم اللعنة وقيل معناه فلها الجزاء والعقاب وإذا امكن حمل الكلام على الظاهر فالاولى ان لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني اسرائيل ليكون الكلام جاريا على النسق والنظام ويجوز ان يكون خطاباً لأمة نبينا ﷺ فيكون اعتراضا بين القصة كما يفعل الخطيب والواعظ يحكي شيئا ثم يعظ ثم يعود إلى الحكاية فكأنه لما بين ان بني اسرائيل لما علوا وبغوا في الأرض سلط عليهم قوما ثم لما تابوا قبل توبتهم وأظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع احسانه اليه ومن أساء عاد ضرره اليه ترغيبا وترهيبا (فإذا جاء وعد الآخرة) أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين والمراد به جاء وعد الجزاء على الفساد في الارض في المرة الأخيرة أو جاء وعد فسادكم في الأرض في المرة الأخيرة أي الوقت الذي يكون فيه ما اخبرالله عنكم من الفساد والعدوان على العباد (ليسوءوا وجوهكم) أي غزاكم اعداؤكم وغلبوكم ودخلوا دياركم ليسوءوكم بالقتل والاسر يقال سئته اسوءه مساءة ومسائية وسوائية إذا أحزنته وقيل معناه ليسوءوا كبراءكم ورؤساءكم وفي مساءة الاكابر واهانتهم مساءة الأصاغر (وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس ونواحيه فكنى بالمسجد وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كنى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء (كما دخلوه أول مرة) دل بهذا على ان في المرة الأولى قد دخلوا المسجد أيضا وإن لم يذكر ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة (وليتبروا ما علوا تتبيراً) أي وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً ويجوز ان يكون ما مع الفعل بتأويل المصدر والمضاف محذوف أي ليتبروا مدة علوهم (عسى ربكم) يا بني اسرائيل (ان يرحمكم) بعد انتقامه منكم ان تبتم ورجعتم إلى طاعته (وان عدتم عدنا) معناه وإن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم والتسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال انهم عادوا بعد الأولى والثانية فسلط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أي سجنا ومحبساً عن ابن عباس

﴿ القصة ﴾

أختلف المفسرون في القصة عن هاتين الكرتين اختلافاً شديداً فالأولى ونورد من جملتها ما هو الأهم

على سبيل الايجاز قال لما عتا بنوا اسرائيل في المرة الأولى سلط الله عليهم ملك فارس وقيل بخت نصر وقيل ملكا من ملوك بابل فخرج اليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس وقيل ان بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب وكان من جيش نمرود وكان لزانية لا أب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة والقى الجيف في المسجد وقتل على دم يحيى سبعين الفا وسبى ذراريهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين الفا وذهب بهم إلى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس واولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكا من ملوك فارس عارفا بالله سبحانه وتعالى فردهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم عن حذيفة وقال محمد بن اسحق كان بنو اسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الاحداث والله يتجاوز عنهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان الله تعالى بعث اليهم شعيا قبل مبعث زكريا وشعيا هو الذي بشر بعيسى (ع) وبمحمد ﷺ وكان لبني اسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدده فمرض الملك وجاء سنحاريب إلى باب بيت المقدس بستمائة الف راية فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب ولم ينج منهم إلا خمس نفر منهم سنحاريب فهرب وارسلوا خلفه من اخذه ثم امر سبحانه باطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فاطلقوه وهلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين واستخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشرة سنة وهلك ملك بني اسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضا فقام شعيا فيهم خطيبا ووعظهم بعظات بليغة وأمرهم ونهاهم فهموا بقتله فهرب ودخل شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشار فبعث الله اليهم ارميا من سبط هرون ثم خرج من بينهم لما رأى من أمرهم ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وفعل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبايا بني اسرائيل وكانت هذه الدفعة الأولى وقيل ايضا ان سبب ذلك كان قتل يحيى بن زكريا وذلك ان ملك بني اسرائيل أراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى وبلغ أمها فحقدت عليه وبعثته على قتله فقتله وقيل انه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين الفا أو اثنين وسبعين الفا ثم سكن الدم وذكر الجميع ان يحيى بن زكريا هو المقتول في الفساد الثاني قال مقاتل كان بين فساد الأول والثاني مائتا سنة وعشر سنين وقيل انما غزا بني اسرائيل في المرة الأولى بخت نصر وفي المرة الثانية ملوك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائة الف وثمانين الفا وخرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خرابا حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي إلا خائفا وقيل انما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله اعلم

قوله تعالى (٩) إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (١٠) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١١) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١٢) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا أربع آيات

❋ اللغة ❋

مبصرة أي مضيئة منيرة نيرة قال ابو عمرو أراد تبصر بها كما يقال ليل نائم وسر كاتم وقال الكسائي العرب تقول ابصر النهار إذا أضاء وقيل المبصرة التي أهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أي أهله خبثاء ومضعف أي أهله ضعفاء ولا يكتب الواو في يدعُ في المصحف وهي ثابتة في المعنى

❋ الإعراب ❋

ان لهم أجراً كبيراً فتح ان على تقدير حذف الباء اي يبشرهم بأن لهم الجنة وان الثانية معطوفة عليها ولو كسرت على الاستئناف لجاز وان لم يقرأ به احد وأعتدنا أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاء فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال وكل شيءٌ منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده وهو قوله فصلناه والتقدير وفصلنا كل شيءٌ

❋ المعنى ❋

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) معناه ان هذا القرآن يهدي إلى الديانة والملة والطريقة التي هي أشد استقامة يقال هذه الطريق وللطريق والى الطريق وقيل معناه يرشد إلى الكلمة التي هي اعدل الكلمات وأصوبها وهي كلمة التوحيد وقيل يهدي إلى الحال التي هي اعدل الحالات وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته عن الزجاج (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم) اي بأن لهم (أجرا كبيراً) أي ثوابا عظيما على طاعاتهم (و) يبشرهم أيضا بـ(ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالنشأة الآخرة (اعتدنا لهم) اي هيأنا لهم (عذابا أليما) وهو عذاب النار وإنما سمي العذاب اجرا لأنه يستحق في مقابلة عمل كالأجرة التي تجب في مقابلة عمل يعود نفعه إلى المستأجر والثواب يستحق على الله تعالى وان كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه اوجب ذلك على نفسه في مقابلة عمل العبد فضلا منه وكرما (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) قيل في معناه اقوال ❋ احدها ❋ ان الإنسان ربما يدعو في حال الزجر والغضب على نفسه واهله وماله بما لا يحب ان يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو اجاب الله دعاءه لأهلكه لكنه لا يجيب بفضله ورحمته عن ابن عباس والحسن وقتادة ❋ والآخر ❋ ان معناه ان الإنسان قد يطلب الشر لاستعجالة المنفعة ❋ وثالثها ❋ ان معناه ويدعو في طلب المحظور كدعائه في طلب المباح (وكان الإنسان عجولا) يعجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير عن مجاهد وقيل يريد ضجرا لا صبراً له على ضراء ولا على سراء عن ابن عباس وروي عنه ايضا إنه أراد به آدم (ع) لما انتهت النفخة الى سرته أراد أن ينهض فلم يقدر فشبه الله سبحانه ابن آدم بأبيه في الاستعجال وطلب الشيء قبل وقته (وجعلنا الليل والنهار آيتين) اي دلالتين يدلان على وحدانية خالقهما لما في كل واحد منهما من الفوائد من الكسب بالنهار والاستراحة بالليل والزيادة في اجزاء احدهما بالنقصان من اجزاء الآخر ولأن كل واحد منهما ينقضي لمجيء الآخر وذلك يدل على حدوثهما اذ القديم لا يجوز عليه الانقضاء وعلى ان لهما محدثا قادرا عالما وقد علمنا ضرورة ان أحدا من البشر لم يحدثهما لعجز البشر عن ذلك فدل على انه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذي ليس كمثله شيءٌ ولا يتعذر عليه شيءٌ وقيل ان الآيتين هنا الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) وهي القمر اي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس (وجعلنا آية النهار) يعني الشمس (مبصرة) أي نيرة مضيئة

الابصار يبصر أهل النهار النهار بها وقيل ان معناه جعلنا آية الليل ممحوة والمراد جعلنا الليل مظلما لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يمحى من الكتاب وجعلنا آية النار مبصرة اي جعلنا النهار مضيئا يبصر فيه وتدرك الاشياء فيه وعلى هذا فتكون آية الليل هي الليل نفسه وآية النهار هي النهار نفسه كما يقال نفس الشيء وعين الشيء وهذا من عجيب البلاغة وقيل ان آية الليل ظلمته وآية النهار ضوءه فالمراد محونا ظلمة الليل بضوء النهار ومحونا ضوء النهار بظلمة الليل الا انه ذكر احدهما وحذف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف ثم بين سبحانه الغرض في ذلك وقال (لتبتغوا فضلا من ربكم) اي لتسكنوا بالليل وتطلبوا الرزق بأنواع التصرف في النهار الا انه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره في مواضع اخر (ولتعلموا عدد السنين والحساب)اي لتعلموا بالليل والنهار عدد السنين والشهور وآجال الديون وغير ذلك من المواقيت ولتعلموا حسنات اعمار كم وآجالكم ولولا الليل والنهار لما علم شيء من ذلك (وكل شيء فصلناه تفصيلا) اي ميزناه تميزا ظاهرا بينا لا يلتبس وبيناه تبيانا شافيا لا يخفى

❋ النظم ❋

اتصلت الآية الأولى بقوله عسى ربكم ان يرحمكم والوجه فيه انه لما أمر بني اسرائيل بالرجوع الى الطريق المستقيم من التوبة وقبول الإسلام بين ان ذلك الطريق هذا الكتاب الذي يدل على ما هو احسن الاديان وقيل يتصل بقوله وآتينا موسى الكتاب اي كما آتيناه التوراة آتينا محمد ﷺ القرآن الذي يهدي الى الاحسن الا قوم وقيل اتصل بقوله سبحان الذي اسرى كأنه قال اسرى بعبده وآتاه الكتاب الذي هذه صفته وانما اتصل قوله يدع الانسان بالشر الآية مما تقدم من بشارة الكفار بالعذاب فبين عقيبه انهم يستعجلون العذاب جهلا وعناداً ثم بين انه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بين بالآية الأخرى انه انعم عليهم بوجوه النعم كالليل والنهار ونحو ذلك وان لم يشكروه

قوله تعالى (١٢) وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا

ثلاث آيات

❋ القراءة ❋

قرأ ابو جعفر ويخرج له بضم الياء وفتح الراء وقرأ يعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء والباقون ونخرج بالنون وقرأ ابو جعفر وابن عامر تلقيه بضم التاء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون يلقاه بفتح الياء وسكون اللام

=(الحجة)=

من قرأ ويخرج له فمعناه انه يخرج له عمله او يخرج له طائره يوم القيامة كتابا ويكون كتاباً منصوباً على الحال ومن قرأ ويخرج فتقديره فيخرج له عمله او طائره ويكون كتاباً حالا ايضاً من الضمير في يخرج كما في الأول ومن قرأ ونخرج بالنون فيكون كتاباً مفعولا لنخرج ويجوز ان يكون منصوباً على التميز على معنى ونخرج طائره له كتاباً ويجوز ان يكون نصباً على الحال فيكون بمعنى ذا كتاب اي مثبتا في الكتاب الذي قال فيه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها وقوله منشورا يكون منصوباً على الحال من الهاء في يلقاه على القراآت

جميعاً ومن قرأ يلقاه منشورا فإنه يدل عليه قوله وإذا الصحف نشرت ومن قرأ يُلقّاه فيدل عليه قوله ويلقون فيها تحية وسلاما

﴿ اللغة ﴾

الإنسان يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل وامرأة ومثل ذلك فرس يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان وحجر وفي المهاليج برذون ورمكة وكل بعير يقع على المذكر والمؤنث فإذا فصلت قلت جمل وناقة واشتقاق الإنسان من الإنس او الأنس وهو فعلان عند البصريين وقال الكوفيون هو من النسيان وأصله إنسيان حذفت الياء منه استخفافاً واحتجوا على ذلك بقول العرب في تصغيره انيسيان وهذه الياء عند البصريين زائدة وهو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيشة ومغيربان الشمس ولييلية وأشباه ذلك والطائر هاهنا عمل الإنسان شبه بالطائر الذي يسنح ويتبرك به والطائر الذي يبرح فيتشاءم به والسانح الذي يجعل ميامنه إلى مياسرك والبارح الذي يجعل مياسره إلى ميامنك والأصل في هذا انه إذا كان سانحاً أمكن الرامي وإذا كان بارحاً لم يمكنه قال ابو زيد كل ما يجري من طائر أو ظبي أو غيره فهو عندهم طائر وانشد لكثير

فلست بناسيها ولست بتارك ... إذا اعرض الادم الجواري سؤالها

أأدرك من أم الحكيم غبيطة ... بها خبرتني الطير أم قد اتى لها

في البيت الأخير ان الذي زجره طائر وانشد لزهير في ذلك

فلما ان تفرق آل ليلى ... جرت بيني وبينهم ظباء

جرت سنحا فقلت لهم مروعاً ... نوى مشمولة فمتى اللقاء

قال وقولهم سألت الطير وقلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر ويقوي ما ذكره قول الكميت

ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تعرض ثعلب

وانشد لحسان بن ثابت

ذريني وعلمي بالأمور وشيمتي ... فما طائري فيها عليك بأخيلا

أي ليس رأيي بمشؤوم وأنشد لكثير

أقول إذا ما الطير مرت مخيلة ... لعلك يوماً فانتظر أن تنالها

وإنما قال طائره في عنقه ولم يقل في يده لينبه على لزوم ذلك له وتعلقه به كما يقال طوقتك كذا أي قلدتك كذا والزمته إياك ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قال الأعشى

قلدتك الشعر ياسلامة ذا الإ ... فضال والشعر حيث ما جعلا

وقال الآخر

ان لي حاجة إليك فقالت ... بين أذني وعاتقي ما تريد

والعرب تقيم هذا العضو مقام الذات فتقول أعتقت رقبة وطوقت عنقي أمانة ولذلك قال ابو حنيفة إذا قال الإنسان عنقك أو رقبتك حر عتق لأنه يعبر بذلك عن جميع البدن ولو قال يدك أو شعرك حر لا يعتق لأنه لا يعبر بذلك عن جميع البدن وقال الشافعي هما سواء يعتق في الحالين

—(الاعراب)—

موضع بنفسك رفع لأنه فاعل كفى وحسيباً نصب على التمييز له وقال ابو بكر السراج المعنى كفى الاكتفاء

بنفسك فالفاعل على هذا محذوف والجار والمجرور في موضع النصب على اصله وحسيباً نصب على الحال من كفى

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كيفيته فقال (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) معناه والزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه قالوا طائركم معكم وقوله إنما طائرهم عند الله وقيل طائره يمنه وشؤمه عن الحسن وهو ما يتطير منه وقيل طائره حظه من الخير والشر عن ابي عبيدة والقتيبي وخص العنق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن والغل الذي يشين المسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلنا لكل إنسان دليلا من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكائنة فيكون معناه كل إنسان دليل نفسه وشاهد عليها إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم (ونخرج له يوم القيامة كتابا) وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم (يلقاه) أي يرى ذلك الكتاب (منشوراً) أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه ويعلم مافيه والهاء في له يجوز ان تكون عائدة إلى الإنسان ويجوز ان تكون عائدة إلى العمل (اقرأ كتابك) فهاهنا حذف أي ويقال له اقرأ كتابك قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا وروى جابر بن خالد بن نجيح عن ابي عبد الله(ع) قال يذكر العبد جميع اعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) أي محاسباً وإنما جعله محاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء اعماله مكتوباً بالعدل لم ينقص عن ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء أذعن عندذلك وخضع وتضرع واعترف ولم يتهيأ له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر انه لا يظلم قال الحسن يا ابن آدم لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) أي من اهتدى في الدنيا إلى دين الله وطاعته فمنفعة اهتدائه راجعة اليه (ومن ضل فإنما يضل عليها) أي ومن ضل عن الدين في الدنيا فضرر ضلاله راجع إلى نفسه وعقوبة ضلاله على نفسه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أخرى أي ثقل ذنوب غيرها ولا يعاقب أحد بذنوب غيره وروي عن النبي ﷺ انه قال لا تجن يمينك على شمالك وهذا مثل ضربه (ع) وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول أن أطفال الكفار يعذبون مع آبائهم في النار (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) معناه وما كنا معذبين قوما بعذاب الاستئصال الا بعد الاعذار اليهم والانذار لهم بأبلغ الوجوه وهو ارسال الرسل اليهم مظاهرة في العدل وإن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل معجلا فعلى هذا التأويل تكون الآية عامة في العقليات والشرعيات وقال الأكثرون من المفسرين وهو الأصح ان المراد بالآية انه لا يعذب سبحانه في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البعثة فتكون الآية خاصة فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحجة فيه من جهة العقل وهو الإيمان بالله تعالى فانه يجوز العقاب بتركه وان لم يبعث الرسول عند من قال ان التكليف العقلي ينفك من التكليف السمعي على ان المحققين منهم يقولون انه وان جاز التعذيب عليه قبل بعثة الرسول فانه سبحانه لا يفعل ذلك مبالغة في الكرم والفضل والاحسان والطول فقد حصل من هذا انه سبحانه لا يعاقب احداً حتى ينفذ اليهم الرسل المنبهين إلى الحق الهادين إلى الرشد استظهاراً في الحجة لأنه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع تأكد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد وقد أخبر سبحانه في هذه الآية عن ذلك وهذا لا يدل على انه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه ان يعاقب إذا ارتكب القبائح العقلية إلا ان يفرض في بعثة الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه ان يعاقب أحداً إلا بعد أن يوجه اليه مما هو لطف له فيزاح بذلك علته

قوله تعالى (١٦) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً (١٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (١٨) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً (١٩) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (٢٠) كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (٢١) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢٢) لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً سبع آيات

القراءة

القراءة العامة أمرنا بالتخفيف غير ممدود وقرأ يعقوب آمرنا بالمد وهو قراءة علي بن ابي طالب (ع) والحسن وابي العالية وقتادة وجماعة وقرأ امرنا بالتشديد للميم ابن عباس وابوعثمان النهدي وابو جعفر محمد بن علي بخلاف وقرأ أمِرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر

الحجة

قال ابو عبيدة امرنا اكثرنا من قولهم امر بنو فلان أي كثروا وانشد للبيد

ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوماً يصيروا للهلك والنفد

قال ابو علي لا يخلو قوله امرنا مخففة الهمزة من ان يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم وامرتهم مثل شترت عينه وشترتها ورجع ورجعته وسار وسرته فمن لم ير ان يكون امرنا من امر القوم إذا كثروا كما حكى ذلك يونس عن ابي عمرو فإنه ينبغي ان يكون من الامر الذي هو خلاف النهي ويكون المعنى أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومن قرأ آمرنا فإنه يكون افعلنا من امر القوم إذا كثروا وامرهم الله وكذلك ان ضاعف العين فقال امرنا ويقوي حمل امرنا على النقل من امر وان لا يجعل من الامر الذي هو خلاف النهي ان الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصوراً على المترفين فقد امر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره ويحمل امرنا على انه مثل امرنا ونظير هذا كثر واكثره الله وكثره ولا يحمل امرنا على ان المعنى جعلناهم امراء لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة جماعة امراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال وانما يهلك بكثرة المعاصي في الأرض وعلى هذا جاء الأمر في التنزيل يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فإياي فاعبدون فأمرنا بالخروج من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفة ومما جاء فيه امر بمعنى الكثرة قول زهير

والإثم من شر ما يصال به والبر كالغيث نبته امر

واما امر فقد روى ابن جني باسناده عن ابي حاتم قال قال ابو زيد يقال امر الله ماله وامره ومن قال ان امرنا لا يكون بمعنى اكثرنا قال في قوله خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة إن معنى مأمورة مؤمرة فإنما قال هذه لمكان الازدواج كما قالوا الغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام

(اللغة)

الترفه النعمة قال ابن عرفة المترف المتروك يصنع مايشاء ولا يمنع منه والتدمير والاهلاك والدمار الهلاك ويقال

ذممته وذاميته وذمته فهو مذموم ومذؤوم ومذيم بمعنى ويكون ذامته بمعنى طردته ويقال اصنع ذاك وخلاك ذم أي ولاذم عليك والدحر الإبعاد والمدحور المبعد والمطرود يقال اللهم ادحر عنا الشيطان أي ابعده

❋ الاعراب ❋

كم اهلكنا موضع كم نصب بأهلكنا ودخلت الباء في قولك بربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلا وجاد بثوبك ثوبا وطاب بطعامك طعاماً واكرم به رجلا ويكون في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر

ويخبرني عن غائب المرء هديه   كفى الهدي إماغيب المرء مخبرا

فرفع لما اسقط الباء ويصليها في موضع نصب على الحال لمن نريد بدل من قوله عجلنا له فيها ما نشاء واعاد اللام لما كان البدل في تقدير جملة أخرى كقوله لمن آمن منهم ومذموماً حال من الضمير المستكن في يصليها كلا نمد نصب كلا بنمد وهؤلاء بدل من قوله كلا أي نمد كل واحد من هؤلاء وهؤلاء

❋ المعنى ❋

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) لما لم يجز في العقول تقديم إرادة العذاب على المعصية لأنه عقوبة عليها ويستحقه لأجلها فمتى لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب وإذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته اختلفوا في تأويل الآية وتقديرها على وجوه ❋ أحدها ❋ ان معناه وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل اليهم أمرنا مترفيها أي رؤساءها وساداتها بالطاعة واتباع الرسل أمراً بعد أمر نكرره عليهم وبينة بعد بينة نأتيهم بها اعذاراً للعصاة وانذاراً لهم وتوكيداً للحجة ففسقوا فيها بالمعاصي وأبوا إلا تماديا في العصيان والكفران (فحق عليها القول) أي فوجب حينئذ عليها الوعيد (فدمرناها تدميراً) أي أهلكناها إهلاكا وإنما خص المترفين وهم المتنعمون والرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فيكون الأمر لهم أمراً لاتباعهم وعلى هذا فيكون قوله امرنا مترفيها جواباً لإذا واليه يؤول ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ان معناه أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومثله امرتك فعصيتني ويشهد بصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه إلى قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ❋ وثانيها ❋ ان قوله امرنا مترفيها من صفة القرية وتقديره وإذا أردنا أن نهلك قرية صفتها انا كنا قد أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا يكون لإذا جواب ظاهر في اللفظ للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظيره قوله سبحانه حتى إذا جاؤوها وفتحت ابوابها إلى قوله ونعم أجر العاملين فلم يأت لإذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة ومما يشهد بصحة ذلك قول الهذلي

حتى إذا سلكوهم في قتائدة   شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة ❋ وثالثها ❋ ان الآية محمولة على التقديم والتأخير وتقديرها إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا أردنا اهلاكهم ومما يمكن ان يكون شاهداً لهذا الوجه قوله وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال وكذلك قوله إذا قمتم إلى الصلاه فاغسلوا وجوهكم والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ❋ ورابعها ❋ انه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز والاتساع وإنما عني بها قرب الهلاك والعلم بكونه لا محالة كما يقال إذا أراد العليل ان يموت خلط في مأكله ويسرع إلى ما تتوق نفسه اليه وإذا أراد التاجر ان يفتقر أتاه الخسران من كل وجه ومعلوم ان العليل والتاجر لم يريدا في الحقيقة شيئاً لكن لما كان من المعلوم من حال هذا الهلاك ومن حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه ولكلام العرب اشارات واستعارات ومجازات لاجلها كان كلامهم في الغاية القصوى من الفصاحة والوجه الأول عندي أصح الوجوه وأقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذي هو ضد النهي فأما إذا تأولت الآية على معنى القراءتين

الأخيرتين من أمرنا بالمد وامرنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه وتكون محمولة على احد الأوجه الثلاثة الأخر ثم بين سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال (وكم أهلكنا من القرون) أي من الأمم الكثيرة المكذبة (من بعد نوح) أي من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تفيد التكثير كما ان رب تفيد التقليل والقرن مائة وعشرون سنة عن عبد الله بن ابي أوفى وقيل مائة سنة عن محمد بن القسم المازني وروي ذلك مرفوعاً وقيل ثمانون سنة عن الكلبي وقيل اربعون سنة ورواه بن سيرين مرفوعاً (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً) أي كفى ربك عالما بذنوب خلقه (بصيراً) بها يجازيهم عليها ولا يفوته شيء منها ثم بين سبحانه انه يدبر عباده بحسب ما يراه من المصلحة فقال (من كان يريد العاجلة) أي النعم العاجلة وهي الدنيا فعبر عنها بصفتها (عجلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتقتير وعلق ذلك بمشيئته لا بمشيئة العبد فقد يشاء العبد مالا يشاؤه الله فلا يعطيه لكونه مفسدة (لمن نريد) اي لمن نريد اعطاءه بين بذلك أنه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى وإن اعطي أعطي قليلا (ثم جعلنا له جهنم يصليها) اي يصير بصلاها ويحترق بنارها (مذموما) ملوما (مدحورا) مبعدا من رحمة الله وروي عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة وذلك ان الله سبحانه وتعالى يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه (ومن اراد الآخرة) أي ومن اراد خير الآخرة ونعيم الجنة (وسعى لها سعيها وهو مؤمن) اي فعل الطاعات وتجنب المعاصي وهو مع ذلك مصدق بتوحيد الله تعالى مقر بأنبيائه (فأولئك كان سعيهم مشكوراً) اي تكون طاعتهم مقبولة وقيل شكره انه سبحانه يضاعف حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم عن قتادة والمعنى انا احللنا سعيهم محل ما يشكر عليه في حسن الجزاء وروي عن الحسن انه قال اطلبوا الآخرة فما رأيت طالباً لها إلا نالها وربما نال الدنيا وما رأيت طالب دنيا نال الآخرة وربما لا ينال الدنيا ابضا (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) أي كل واحد من هذين الفريقين ممن يريد الدنيا وممن يريد الآخرة نمدهم أي نزيدهم وقيل كلا نعطي من الدنيا البر والفاجر عن الحسن والمعنى انا نعطي المؤمن والكافر في الدنيا وأما الآخرة فللمتقين خاصة (من عطاء ربك) أي نعمة ربك ورزقه (وما كان عطاء ربك محظوراً) معناه وما كان رزق ربك محبوساً عن الكافر لكفره ولا عن الفاسق لفسقه « سؤال» فإن قيل هل يجوز ان يريد المكلف بعمله العاجل والآجل والجواب نعم إذا جعل العاجل تبعاً للآجل كالمجاهد في سبيل الله يقاتل لاعزاز الدين ويجعل الغنيمة تبعاً (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) بأن جعلنا بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم موالي وبعضهم عبيداً وبعضهم أصحاء وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) أي درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل وهي مستحقة على قدر الأعمال فينبغي أن تكون رغبتهم في الآخرة وسعيهم لها اكثر وقد روي ان ما بين أعلى درجات الجنة وأسفلها ما بين السماء والأرض وفي الآية دلالة على ان الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا وإنما تزيد في درجات الآخرة (لا تجعل مع الله إلهاً آخر) قيل ان الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته وقيل معناه لا تجعل أيها السامع أو أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر في اعتقادك واقرارك ولا في عبادتك ولا في رغبتك ورهبتك (فتقعد مذموماً مخذولاً) معناه فإنك إن فعلت ذلك قعدت وبقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مخذولاً ولا ناصر لك يمنع الله نصرته عنك ويكلك إلى ما أشركت به « وقيل » معنى القعود الذل والخزي والخسران والعجز لا الجلوس كما يقال قعد به الضعف عن القتال أي عجز عنه

النظم

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انها اتصلت بقوله حتى يبعث رسولاً والمعنى انه لا يعذب إلا بعد إرسال

الرسل وتقديم الأمر والنهي وإتمام النعمة في الانذار والاعذار وظهور العصيان من الكفار والفجار وقيل انها تتصل بما تقدم من قصة بني إسرائيل وما فعل بهم في الكرة الأولى والثانية فبين سبحانه ان ما فعله موافق لعادته فيمن يريد إهلاكه فإنما يهلك القرى إذا أمر مترفيها بالطاعة ففسقوا فيكون اهلاكهم بالاستحقاق لا على الابتداء

قوله تعالى (٢٣) وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٤) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٥) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ثلاث آيات

❋ القراءة ❋

يبلغان بالالف وكسر النون كوفي غير عاصم والباقون يبلغن أف بفتح الفاء هاهنا وفي الأنبياء والاحقاف مكي شامي ويعقوب وسهل واف بالكسر والتنوين في الجميع مدني وحفص والباقون اف بالكسر غير منون وفي الشواذ قراءة ابي السماء اف مضمومة غير منونة وقرأ ابن عباس اف خفيفة وجناح الذل بكسر الذال

❋ الحجة ❋

قال ابو علي قوله اما يبلغن يرتفع احدهما به وقوله كلاهما معطوف عليه والذكر الذي عاد من قوله احدهما يغني عن اثبات علامة الضمير في يبلغان فلا وجه لقول من قال ان الوجه اثبات الالف لتقدم ذكر الوالدين عني به الفراء وإنما الوجه في ذلك انه على الشيء الذي يذكر على وجه التوكيد ولو لم يذكر لم يقع بتركه ذكره اخلال نحو قوله أموات غير أحياء فقوله غير احياء توكيد لأن قوله أموات يدل عليه فيكون الالف مجردة لمعنى التثنية ولاحظ للاسمية فيها يرتفع احدهما أو كلاهما بالفعل وقال الزجاج يكون أحدهما أو كلاهما بدلا من الألف في يبلغان قال ابو علي من قرأ أف بالفتح فانه بناه على الفتح كقولهم سرعان ذا اهالة وهو اسم لسرع ومثله وشكان قال

او شكان ما عنبتم وشمتم ... بإخوانكم والعز لم يتجمع

و كذلك اف اسم لأتضجر واتكره ونحو ذلك ومن قرأ اف فإنه بدخول التنوين يدل على التنكير مثله مه وصه ومثله قولهم فداء لك بنوه على الكسر وإن كان في الأصل مصدراً كما كان افه في الأصل مصدراً من قولهم افه وتفه يراد بها نتنا ودفرا ومن قرأ أف ولم ينون جعله معرفة فلم ينون كما ان من قال صه وغاق فلم ينون أراد به المعرفة فإن قلت ما موضع أف في هذه اللغات بعد القول هل يكون موضعه نصباً كما ينتصب المفرد بعده أو يكون كما تكون الجمل فالقول ان موضعه موضع الجمل كما انك لو قلت رويد لكان موضعه الجمل قال الزجاج في اف سبع لغات اف بالضم منونا وغير منون واف بالكسر منونا وغير منون واف وافا وافي ممالة وزاد ابن الانباري اف خفيفة مفتوحة قال أبو الحسن وقول الذين قالوا اف أكثر وأجود ولو قلت اف لك وافا لك لاحتمل وجهين ❋ احدهما ❋ ان يكون الذي صار اسما للفعل لحقه التنوين علامة للتنكير ❋ والآخر ❋ ان يكون نصباً معربا وكذا الضم فإن لم يكن معه لك كان ضعيفاً ألا ترى أنك لا تقول ويل ولو قلته لم يستقم حتى يوصل به لك فيكون في موضع الخبر والذل ضد الصعوبة والذل ضد العز والأول في الدابة والثاني في الإنسان

❋ الإعراب ❋

قوله وبالوالدين احسانا العامل في الباء قضى والتقدير وقضى بالوالدين إحساناً ويجوز ان يكون على تقدير

واوصى بالوالدين إحسانا وحذف لدلالة الكلام عليه قال الشاعر

عجبت من دهماء إذ تشكونا ومن ابي دهماء إذ يوصينا

خيراً بها كأننا خافونا

فاعمل يوصينا في الخير كما ربياني أي كرحمة تربيتهما يعني رحمة تحدث عند التربية كما تقول ضرب التلف وقيل الكاف بمعنى على ارحمهما على ما ربياني عن الأخفش وكذا قال في قوله كما أمرت ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين منكم فحذف ويجوز ان يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المضمر لأنهم الصالحون

«المعنى»

لما تقدم النهي عن الشرك والمعاصي عقب سبحانه بالأمر بالتوحيد والطاعات فقال سبحانه (وقضى ربك) أي أمر ربك أمراً باتا عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الزم واوجب ربك عن الربيع بن أنس وقيل أوصى عن مجاهد (ان لا تعبدوا إلا إياه) معناه أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره فإن قيل ان الأمر لا يكون أمراً بأن لا يكون الشيء لأن الأمر يقتضي ارادة المأمور به والإرادة لا تتعلق بأن لا يكون الشيء وإنما تتعلق بحدوث الشيء فالجواب ان المعنى أراد منكم عبادته على وجه الاخلاص وكره منكم عبادة غيره وعبر عن ذلك بقوله أمر ان لا تعبدوا إلا إياه (وبالوالدين إحسانا) أي وقضى بالوالدين احسانا أو أوصى بالوالدين إحسانا ومعناهما واحد لأن الوصية أمر (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) يعني به الكبر في السن والمعنى إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا أو عاش احدهما حتى يكبر يريد ان بلغا في السن مبلغا يصيران بمنزلة الطفل الذي يحتاج إلى متعهد وخص حال الكبر وإن كان من الواجب طاعة الوالدين على كل حال لأن الحاجة اكثر في تلك الحال إلى التعهد والخدمة وهذا مثل قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا مع ان الناس كلهم يتكلمون في حال الكهولة والوجه فيه انه سبحانه اخبر ان عيسى يكلم الناس في المهد وانه يعيش حتى يكهل ويتكلم بعد الكهولة ونحو ذلك قوله والأمر يومئذ لله وإنما خص ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه احد سواه وقيل ان الكبر في الآية راجع الى المخاطب اي ان بلغت حال الكبر وهو حال التكليف وقد بقي معك أبواك او أحدهما (فلا تقل لهما أف) وروي عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده عن ابي عبد الله (ع) قال لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من اف لأتى به وفي رواية اخرى عنه قال أدنى العقوق اف ولو علم الله شيئاً ايسر منه واهون منه لنهى عنه وفي خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء ان يعمل فلن يدخل الجنة فالمعنى لا تؤذيهما بقليل ولا كثير قال مجاهد معناه ان بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويحدثان فلا تتقذرهما وامط عنهما كما كانا يميطان عنك في حال الصغر والتبرم يكثر قول اف وهي كلمة تدل على الضجر وقيل ان الاف والتف وسخ الاصابع إذا فتلته عن ابي عبيدة وقيل هي كلمة كراهة عن ابن عباس وقيل معناه النتن وجاء في المثل ابر من النسر قالوا لأن النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه كما كان ابواه يزقانه (ولا تنهرهما) اي لا تزجرهما باغلاظ وصياح وقيل معناه لا تمتنع من شيء اراداه منك كما قال واما السائل فلا تنهر (وقل لهما قولا كريما) اي وخاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل بعيد عن اللغو والقبيح يكون فيه كرامة لهما ويدل على كرامة المقول له على القائل وقيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ عن سعيد بن المسيب (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) اي وبالغ في التواضع والخضوع لهما قولا وفعلا براً بهما وشفقة عليهما والمراد بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان من خفض الطائر جناحه إذا ضم فرخه اليه فكأنه سبحانه قال ضم ابويك إلى نفسك كما كانا يفعلان بك وانت صغير واذا وصفت العرب إنساناً بالسهولة وترك الآباء قالوا هو خافض الجناح وقال ابو عبد الله (ع) معناه لا تملأ عينيك من النظر اليهما الا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يديك فوق ايديهما

ولا تتقدم قدامهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) معناه ادع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد مماتهما جزاء لتربيتهما إياك في صباك وهذا إذا كانا مؤمنين وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده الميت مسموع وإلا لم يكن للأمر به معنى وقيل ان الله تعالى اوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم ولم يوص الوالدين بالأبناء لوفور شفقتهم وذكر حال الكبر لأنهما احوج في تلك الحال إلى البر لضعفهما وكونهما كلاً على الولد ففي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال رغم انفه رغم انفه رغم انفه قالوا من يا رسول الله قال من ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كلاهما ولم يدخل الجنة اورده مسلم في الصحيح وروى ابو اسيد الانصاري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما قال قتادة هكذا علمتم وبهذا امرتم فخذوه بتعليم الله وادبه (ربكم اعلم) اي اكثر معلوماً وقيل اثبت علماً فإنه سبحانه اعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم بذلك (بما في نفوسكم) اي بما تضمرون من البر والعقوق فمن ندرت منه نادرة وهو لا يضمر عقوقاً غفر الله له ذلك وقيل معناه انه اعلم بجميع ما في ضمائركم وهذا اوجه (لن تكونوا صالحين) اي طائعين لله (فإنه كان للأوابين غفورا) والأواب التواب المتعبد الراجع عن ذنبه عن مجاهد وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل ان الأولين المطيعون المحسنون عن قتادة وقيل انهم الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب وقيل هم الراجعون الى الله فيما ينوبهم عن ابن عباس وقيل هم المسبحون عن ابن عباس في رواية اخرى ويعضده قوله يا جبال اوبي معه وقيل انهم الذين يصلون بين المغرب والعشاء روي ذلك مرفوعاً وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال صلاة اربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين مرة قل هو الله احد هي صلاة الأولين

قوله تعالى (٢٦) وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٧) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٨) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً (٢٩) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (٣٠) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً خمس آيات

= اللغة =

التبذير التفريق بالاسراف وأصله ان يفرق كما يفرق البذر الا انه يختص بما يكون على سبيل الافساد وما كان على وجه الاصلاح لا يسمى تبذيرا وان كثر قال النابغة

ترائب يستضيئ الحلي فيها ... كجمر النار بذر بالظلام

والاعراض صرف الوجه عن الشيء وقد يكون عن قلى وقد يكون للاشتغال بما هو الاولى وقد يكون للإذلال كما قال واعرض عن الجاهلين وأصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا إذا كشف عنه والحسرة الغم لانحسار ما فات ودابة حسير اذا كلت لشدة السير لانحسار قوتها بالكلال ومنه قوله ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير والمحسور المنقطع به لذهاب ما في يده وانحساره عنه قال الهذلي

ان العسير بها داء مخامرها ... فشطرها نظر العينين محسور

ويقال حسرت الرجل بالمسألة اذا افنيت جميع ما عنده

❊ الإعراب ❊

وأما تعرضن تقديره وان تعرض وما مزيدة وابتغاء مفعول له وقيل هو مصدر وضع موضع الحال اي مبتغياً رحمة من ربك ترجوها اي راجياً إياها وترجوها جملة في موضع الجر بكونها صفة لرحمة ويجوز ان يكون في موضع النصب على الحال من الضمير في تعرضن

❊ المعنى ❊

ثم حث سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على إيتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الانفاق فقال (وآت ذى القربى حقه) معناه واعطي القرابات حقوقهم التي اوجبها الله لهم في أموالكم عن ابن عباس والحسن وقيل ان المراد قرابة الرسول عن السدي قال ان علي بن الحسين (ع) قال لرجل من اهل الشام حين بعث به (ع) عبيد الله بن زياد الى يزيد بن معاوية أقرأت القرآن قال نعم قال أما قرأت وآت ذي القربى حقه قال وانكم ذو القربى الذي أمر الله ان يؤتى حقه قال نعم وهو الذي رواه اصحابنا عن الصادقين (ع) واخبرنا السيد ابو الحمد مهدي ابن نزار الحسيني قراءة قال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا الحاكم الواحد ابو محمد قال حدثنا عبد الله عمر بن احمد بن عثمان ببغداد شفاها قال اخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال حدثنا جعفر بن محمد الاحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا ابو معمر سعيد بن جثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري قال لما نزل قوله وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة فدكا قال عبد الرحمن بن صالح كتب المأمون الى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك فكتب اليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن عطية فرد المأمون فدكا الى ولد فاطمة (ع) (والمسكين وابن السبيل) معناه وآت المسكين حقه الذي جعله الله له من الزكاة وغيرها وآت المجتاز المنقطع عن بلاده حقه ايضا (ولا تبذر تبذيرا) قيل ان المبذر الذي ينفق المال في غير حقه عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد لوانفق مدا في باطل كان مبذرا ولو انفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذرا وروي عن ابي عبد الله (ع) ان امير المؤمنين (ع) قال لعناية كن زاملة للمؤمنين وان خير المطايا امثلها واسلمها ظهرا ولا تكن من المبذرين (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) معناه ان المسرفين اتباع الشياطين سالكون طريقهم وهذا كما يقال لمن لازم السفر هو اخو السفر وقيل معناه انهم قرناء الشياطين في النار (وكان الشيطان لربه كفورا) اي كان الشيطان في قديم مذهبه كثير الكفر مرة بعد اخرى (وإما تعرضن عنهم) اي وان تعرض عن هؤلاء الذين امرتك بإيتاء حقوقهم عند مسألتهم إياك لأنك لا تجد ذلك حياء منهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) اي لتبتغي الفضل من الله والسعة التي يمكنك معها البذل بأمل تلك السعة وذلك الفضل (فقل لهم قولا ميسورا) اي عدهم عدة حسنة وقل لهم قولا سهلا لينا يتيسر عليك وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لما نزلت هذه الآية اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله وإياكم من فضله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) اي لا تكن ممن لا يعطي شيئا ولا يهب فتكون بمنزلة من يده مغلولة الى عنقه لا يقدر على الاعطاء والبذل وهذا مبالغة في النهي عن الشح والامساك (ولا تبسطها كل البسط) اي ولا تعط ايضا جميع ما عندك فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء وهذا كناية عن الاسراف (فتقعد ملوما) تلوم نفسك وتلام (محسورا) منقطعا به وليس عندك شيء عن السدي وابن عباس وقيل عاجزا نادما عن قتادة وقيل محسورا من الثياب والمحسور العريان عن ابي عبد الله (ع) وقيل معناه ان امسكت قعدت ملوما مذموما وان اسرفت بقيت متحسرا مغموما عن الجبائي وقال الكلبي لا تعط ما عندك جميعا فيجيء الآخرون يسألونك فلا تجد ما تعطيهم فيلومونك وروي ان امرأة بعثت ابنها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت قل له ان أمي تستكسيك

درعا فإن قال حتى يأتينا شيء فقل له انها تستكسيك قميصك فأتاه فقال ما قالت له فنزع قميصه فدفعه اليه فنزلت الآية ويقال انه (ع) بقي في البيت اذ لم يجد شيئا يلبسه ولم يمكنه الخروج الى الصلاة فلامه الكفار وقالوا ان محمدا اشتغل بالنوم واللهو عن الصلاة (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع مرة ويضيق مرة بحسب المصلحة مع سعة خزائنه (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) اي عالما بأحوالهم بصيرا بمصالحهم فيبسط على واحد ويضيق على آخر يدبرهم على ما يراه من الصلاح

(النظم)

وإنما اتصلت هذه الآية الأخيرة بما قبلها من حيث ان فيها حثا على الاعطاء اعتمادا على الله تعالى ونهيا عن البخل وحثا على القصد اذ هو سبحانه مع غناه وكمال قدرته يوسع مرة ويضيق مرة اخرى مراعاة للمصلحة فمن هو دونه اولى ان يراعي الصلاح ويسلك طريق القصد

قوله تعالى (٣١) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣٢) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٣) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٤) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا (٣٥) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا خمس آيات

(القراءة)

قرأ ابو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان كان خطأ بفتح الخاء والطاء من غير الف بعدها وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وممدودا والباقون خطأ بكسر الخاء من غير مد وفي الشواذ قراءة الزهري وابي رجاء خطا بكسر الخاء غير ممدود وقراءة الحسن خطاء بالمد وفي رواية اخرى عنه خطأ بفتح الخاء والطاء خفيفة وقرأ اهل الكوفة غير عاصم فلا تسرف بالتاء والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر القسطاس بكسر القاف والباقون بضمها

(الحجة)

الخطأ ما لم يتعمد وكان المأثم فيه موضوعا عن صاحبه قال ابو علي قالوا اخطأ في معنى خطئ كما ان خطئ في معنى اخطأ في مثل قوله

عبادك يخطئون وانت رب كريم لا يليق بك الذموم

فمجرى الكلام انهم خاطئون وفي التنزيل لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا والمؤاخذة عن المخطئ موضوع فهذا يدل على ان اخطأنا في معنى خطئنا وكما جاء اخطأ في معنى خطئ كذلك جاء خطئ في معنى اخطأ في قوله « يا لهف هند اذ خطئن كاهلا » وفي قول الآخر

والناس يلحون الأمير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

فكذلك قراءة ابن عامر خطأ في معنى أخطأ كما جاء خطئ بمعنى اخطأ ويجوز ان يكون الخطأ بمعنى الخطأ ايضا كالمثل والمثل والشبه والشبه والبدل والبدل واما قراءة ابن كثير خطاء فإنه يجوز ايضا ان يكون مصدر خاطأ وان لم يسمع خاطأ ولكن جاء ما يدل عليه وهو قوله « تخاطأت النبل احشاءه » قال وانشدنا محمد ابن السري في وصف كمأة

واشعث ان ناولته حوش (؟) القرى ادرت عليه المدجنات الهواضب

تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب

فتخاطأ يدل على خاطأ لأن تفاعل مطاوع فعل كما أن تفعل مطاوع فعّل ووجه من قرأ خطأ بيّن فإنه يقال خطئ يخطأ خطأ اذا تعمد الشيء والفاعل منه خاطئ وقد جاء الوعيد فيه في قوله تعالى لا يأكله الا الخاطئون واما خطأ فهو اسم بمعنى المصدر من اخطأت كالعطاء من اعطيت وقال ابن جني يقال خطئ يخطأ خطأ خطأة وخطأ في الدين واخطاء الغرض ونحوه وقد يتداخلان واما اخطأ وخطأ فتخفيف خطاء وخطاء قال ابو علي واما قوله فلا يسرف بالياء فإن فاعل يسرف يجوز ان يكون على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون القاتل الاول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل في القتل ويكون مضمرا وان لم يجر له ذكر لأن الحال تدل عليه فإن قلت كيف يكون في القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن الاسراف فيه الذي هو ترك القصد (فالجواب) انه لا يمتنع ان يكون فيه الاسراف كما جاء في اموال اليتامى ولا تأكلوها اسرافا ولم يجز ان يؤكل منه لا على الاقتصاد ولا على غيره لقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية فكذلك لا يمتنع ان يقال للقاتل الاول لا يسرف في القتل لأنه بقتله يكون مسرفا ويكون الضمير على هذا في قوله انه كان منصورا لقوله ومن قتل مظلوما تقديره فلا يسرف القاتل المبتدئ بقتله في القتل لأن من قتل مظلوما كان منصورا بأن يقتص له وليه او السلطان ان لم يكن له ولي غيره فيكون هذا ردعا للقاتل عن القتل كما ان قوله ولكم في القصاص حياة كذلك فالولي اذا اقتص فإنما يقتص للمقتول ومنه انتقل الى الولي بدلالة ان المقتول لو ابرئ من السبب المؤدي الى القتل لم يكن للولي ان يقتص ولو صالح الولي من العمد على مال كان للمقتول ان يؤدي منه دينه ولا يمتنع ان يقال في المقتول منصور لأنه قد جاء ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون في يسرف ضمير الولي اي فلا يسرف الولي في القتل واسرافه فيه ان يقتل غير الذي قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه وكان مشركو العرب يفعلون ذلك والتقدير فلا يسرف الولي في القتل اذ الولي كان منصورا بقتل قاتل وليه والاقتصاص من القاتل ومن قرأ فلا تسرف بالتاء احتمل وجهين ايضا ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المبتدئ القاتل ظلما فقيل له لا تسرف ايها الانسان فتقتل ظلما من ليس لك قتله ان من قتل مظلوما كان منصورا بأخذ القصاص له ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير فلا تسرف ايها الولي في القتل فتتعدى قاتل وليك الى من لم يقتله ان المقتول ظلما كان منصورا وكل واحد من المقتول ظلما ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا واما القسطاس والقسطاس فهما لغتان مثل القرطاس والقرطاس والضم اكثر

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولا تقتلوا اولادكم) اي بناتكم (خشية املاق) اي خوف فقر وعجز عن النفقة عليهن ويحتمل ان يكون قوله ولا تقتلوا منصوبا عطفا على قوله ان لا تعبدوا ويجوز ان يكون على النهي فيكون مجزوما وإنما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يئدون البنات فيدفنونهن احياء (نحن نرزقهم واياكم) اخبر سبحانه انه متكفل برزق اولادهم ورزقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) يعني ان قتلهم في الجاهلية كان إثما عظيما عند الله وهو اليوم كذلك (ولا تقربوا الزنى) وهو وطء المرأة حراما بلا عقد ولا شبهة عقد (انه كان فاحشة) اي معصية كبيرة عظيمة والمراد انه كان عندهم في الجاهلية فاحشة وهو الآن كذلك ومثل هذا في القرآن كثير (وساء سبيلا) اي وبئس الطريق الزنا وفيه اشارة الى ان العقل يقبح الزنى من حيث انه لا يكون للولد نسب اذ ليس بعض الزناة اولى به من بعض فيؤدي الى قطع الانساب وابطال المواريث وابطال صلة الرحم وحقوق الاباء على الاولاد وذلك مستنكر في العقول واخبرني المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي قال حدثنا الشيخ ابو جعفر

الطوسي قال حدثنا ابو عبد الله الحسن بن احمد بن حبيب الفارسي عن ابي بكر محمد بن احمد بن محمد الجرجرائي قال سمعت ابا عمر وعثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا يقول سمعت علي بن ابي طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفنا وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار او الخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وهو ان يجب عليه القتل اما لكفره أورده أو لأنه قتل نفسا بغير حق أو زنى وهو محصن (ومن قتل مظلوما) بغير حق (فقد جعلنا لوليه سلطانا) أي قد اثبتنا لوليه سلطان القود على القاتل أو الدية او العفو عن ابن عباس والضحاك وقيل سلطان القود عن قتادة. (فلا يسرف في القتل انه كان منصورا) مر تفسيره قبل (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده) فسرناه في سورة الانعام (واوفوا بالعهد) في الوصية بمال اليتيم وغيرها وقيل ان كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد وقد يجب الشيء ايضا بالنذر والعهد به وان لم يجب ابتداء وانما يجب عند العقد (ان العهد كان مسؤولا) عنه للجزاء عليه فحذف عنه لأنه مفهوم وقيل ان معناه ان العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل الموؤدة بأي ذنب قتلت (واوفوا الكيل إذا كلتم) أي أتموه ولا تبخسوا منه ومعناه واوفوا الناس حقوقهم اذا كلتم عليهم (وزنوا بالقسطاس) وهو الميزان صغر ام كبر عن الزجاج وقيل هو القبان عن الحسن وقيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون محمولا على موافقة اللغتين و(المستقيم) الذي لا بخس فيه ولا غبن (ذلك خير) أي خير ثوابا عن قتادة وقيل اقرب إلى الله عن عطا وقيل معناه ان ايفاء الكيل والوزن خير لكم في دنياكم فانه يكسب اسم الأمانة في الدنيا (واحسن تأويلا) اي واحسن عاقبة في الآخرة ومرجعا من آل يؤول إذا رجع حث الله سبحانه بهذه الآية على اتمام الوزن والكيل في المعاملات والبياعات وايفاء حقوق العباد

قوله تعالى (٣٦) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا (٣٧) وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا (٣٨) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٩) ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٤٠) أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا خمس آيات

القراءة

قرأ ابن عامر واهل الكوفة كان سيئه بضم الهمزة مضافا إلى الهاء وقرأ الباقون سيئة منصوبا منونا غير مضاف

الحجة

من قرأ سيئه مضافا قال لأنه قد تقدم ذكر أمور منها سيئ ومنها حسن فخص الله سبحانه السيئ منها بأنه مكروه عنده لأنه عز اسمه لا يكره الحسن ويقوي ذلك قوله مكروها ولو كان سيئة غير مضاف لوجب ان تكون مكروهة فإن قيل ان التأنيث غير حقيقي فلا يمتنع ان يذكر قيل ان هاهنا التذكير لا يحسن وان لم يكن حقيقيا لأن المؤنث قد تقدم ذكره فإن قوله «ولا ارض ابقل ابقالها» مستقبح عندهم ولو قال ابقل ارض لم يستقبح وذلك ان المتقدم الذكر ينبغي ان يكون الراجع اليه وفقه كما يكون وفقه في التثنية والجمع واذا لم يتقدم له ذكر لم يلزم ان يراعي ذلك ومن قرأ سيئة فانه يشبه ان يكون لما رأى الكلام اقتطع عند قوله واحسن تأويلا وكان

الذي بعده من قوله ولا تقف ما ليس لك به علم لا امر حسنا فيه قال كل ذلك كان سيئة فأفرد ولم يضف فإن قلت كيف ذكر المؤنث ثم قال مكروها قلت فإنه يجوز ان لا نجعل مكروها صفة لسيئة ولكن نجعله بدلا ولا يلزم ان يكون في البدل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك في الصفة ويجوز ان يكون مكروها حالا من الذكر الذي في قوله عند ربك على ان تجعل عند ربك صفة للنكرة قال النحوي البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذي في الظرف مؤنث كما ان السيئة مؤنث فيلزم منه ما لزم من الأول إذا جعلته صفة للسيئة وان حمله على التأنيث غير الحقيقي يجيء منه ما قال في قوله ولا أرض ابقل ابقالها

✻ اللغة ✻

القفو اتباع الاثر ومنه القيافة فكأنه يتبع قفا المتقدم قال

ومثل الدمى شم العرانين ساكن　　　بهن الحياء لا يشعن التقافيا

اي التقاذف قال ابو عبيدة القفو العضيهة يقال قافه يقوفه وقفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب وجبذ واصل الخرق القطع ورجل خرق يتخرق في السخاء والخرق الفلاة لانقطاع اطرافها بتباعدها قال رؤبة « وقاتم الاعماق خاوي المخترق » اي خاوي المقطع والمرح شدة الفرح

✻ الاعراب ✻

قال كل اولئك لأن اولئك وهؤلاء للجمع القليل من المذكر والمؤنث واذا اريد الكثير يقال كل هذه وتلك قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى　　　والعيش بعد اولئك الايام

فاولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم وقوله كان عنه مسؤولا الهاء تعود الى كل اي يسأل عن استعمال هذه الاشياء وان شئت كان الهاء يعود الى الانسان اي يسأل عن الانسان فيما استعمل هذه الاشياء ويكون في مسؤولا ضمير يعود الى كل وقدره ابو علي ان افعال السمع والبصر والفؤاد كل افعال اولئك . طولا مصدر وضع موضع الحال اما عن الفاعل في لن تبلغ او من الجبال وجوز الأمرين ابو علي فتلقى منصوب باضمار ان لكونه جواب النهي بالفاء . ملوما مدحورا نصب على الحال ومرحا نصب على التمييز ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال كقولهم جاء زيد ركضا وجاء زيد راكضا فركضا او كد في الاستعمال لأن ركضا يدل على توكيد الفعل وتقديره يركض ركضا وعلى هذا يكون معناه ولا تمش في الارض مختالا وقيل ان طولا نصب على التمييز

✻ المعنى ✻

ثم قال سبحانه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومعناه لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه لا تقل في قفا غيرك كلاما اي اذا مر بك فلا تغتبه عن الحسن وقيل هو شهادة الزور عن محمد بن الحنفية والاصل انه عام في كل قول وفعل اوعزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال لا تقل الا ما تعلم انه مما يجوز ان يقال ولا تفعل الا ما تعلم انه مما يجوز ان يفعل ولا تعتقد الا ما تعلم انه مما يجوز ان يعتقد وقد استدل جماعة من اصحابنا بهذا على ان العمل بالقياس وبخبر الواحد غير جائز لأنهما لا يوجبان العلم وقد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) معناه ان السمع يسأل عما سمع والبصر عما رأى والقلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع والبصر والفؤاد والمراد ان اصحابها هم المسؤلون ولذلك قال كل أولئك وقيل بل المعنى كل اولئك الجوارح يسأل عما فعل بها قال الوالبي عن ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوها وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابيه عن الحسن بن محبوب عن

ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال عمرك فيما افنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من اين كسبته واين وضعته وعن حبنا أهل البيت (ولا تمش في الارض مرحا) معناه لا تمش على وجه الاشر والبطر والخيلاء والتكبر قال الزجاج معناه لا تمش في الارض مختالا فخورا وقيل المرح شدة الفرح بالباطل (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) هذا مثل ضربه الله تعالى قال انك ايها الانسان لن تشق الارض من تحت قدمك بكبرك ولن تبلغ الجبال بتطاولك والمعنى انك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك ان تبلغ هذا فما وجه المنابزة على ما هذا سبيله مع ان الحكمة زاجرة عنه وإنما قال ذلك لأن من الناس من يمشي في الارض بطرا يدق قدميه عليها ليري بذلك قدرته وقوته ويرفع رأسه وعنقه فبين سبحانه انه ضعيف مهين لا يقدر ان يخرق الارض بدق قدميه عليها حتى ينتهي الى آخرها وان طوله لا يبلغ طول الجبال وان كان طويلا علم الله سبحانه عباده التواضع والمروءة والوقار (كل ذلك) اشارة الى جميع ما تقدم ذكره مما نهى الله سبحانه عنه في هذه الآيات (كان سيئه) اي معصيته (عند ربك مكروها) له سبحانه يكرهها ولا يريدها ولا يرضاها وعلى القراءة الثانية فيكون ذلك اشارة الى جميع ما امر به من المحسنات ونهى عنه من المقبحات اي كان سيء ماسبق من هذه الاشياء مكروها عند ربك وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة فانه سبحانه صرح بأنه يكره المعاصي والسيئات وإذا كرهها فكيف يريدها فإن من المحال ان يكون الشيء الواحد مرادا مكروها عنده (ذلك) الذي تقدم ذكره من الأوامر والنواهي (مما اوحى اليك ربك) يا محمد (من الحكمة) المؤدية إلى المعرفة بالحسن والقبح والفرق بينهما (ولا تجعل مع الله إلها آخر) في اقرارك وقولك والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به غيره ليكون ابلغ في الزجر كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك (فتلقى) أي فتطرح بمعنى انك إذا فعلت ذلك القيت وطرحت (في جهنم ملوما) يلومك الناس (مدحورا) أي مطرودا مبعدا عن رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا) هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله تعالى ومعناه اخلصكم الله سبحانه بالبنين وخصكم بهم واتخذ لنفسه الإناث وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه واختصكم بالأرفع وجعل لنفسه الأدون تقول اصفيت فلانا بالشيء إذا آثرته به (انكم لتقولون قولا عظيما) اي كبيرا في الاثم واستحقاق العقوبة حيث اضفتم إلى الله سبحانه مالم ترضوا لأنفسكم به وجعلتم الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم أدون خلق الله وهم الاناث

قوله تعالى (٤١) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٣) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٤) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا أربع آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ليذكروا ساكنة الذال خفيفة وفي سورة الفرقان مثله والباقون ليذكروا بفتح الذال والكاف وتشديدها في السورتين وقرأ كما يقولون بالياء يسبح له بالياء أهل المدينة والشام وابو بكر وقرأ أهل البصرة كما تقولون بالتاء عما يقولون بالياء تسبح له بالتاء وقرأ حفص كما يقولون وعما يقولون بالياء تسبح بالتاء وقرأ الجميع بالياء ابن كثير وقرأ الجميع بالتاء حمزة والكسائي وخلف

الحجة

قال ابو علي حجة من قال ليذكروا قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون فالتذكر هنا أشبه من الذكر

لأنه كان يراد به التدبر وليس يراد الذكر الذي هو ضد النسيان ولكنه كما قال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الألباب وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بعقولهم ووجه التخفيف ان التخفيف قد جاء في هذا المعنى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فهذا ليس على معنى لاتنسوه ولكن تدبروه ومن قرأ كما يقولون بالياء فالمعنى كما يقول المشركون من اثبات الآلهة من دونه فهو مثل قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون لأنهم غيب فأما من قرأ سبحانه وتعالى عما يقولون فإنه يحتمل وجهين «أحدهما» ان يعطف على كما يقولون «والآخر» ان يكون نزه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال سبحانه وتعالى عما يقولون ومن قرأ كما تقولون بالتاء وعما يقولون بالياء فإن الأول على ما تقدم والثاني على انه نزه نفسه عن قولهم ويجوز أن تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه وتعالى عما يقولون واما قوله تسبح له السموات فكل واحد من الياء والتاء حسن

﴿ المعنى ﴾

ثم احتج سبحانه على الذين تقدم ذكرهم فقال (ولقد صرفنا) أي كررنا الدلائل وفصلنا المعاني والامثال وغير ذلك مما يوجب الاعتبار به (في هذا القرآن ليذكروا) أي ليتفكروا فيها فيعلموا الحق وحذف ذكر الدلائل والعبر لدلالة الكلام عليه وعلم السامع به (وما يزيدهم إلا نفورا) أي وما يزداد هؤلاء الكفار عند تصريف الأمثال والدلائل لهم إلا تباعدا عن الاعتبار ونفورا عن الحق وأضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند نزوله كقوله فلم يزدهم دعائي إلا فرارا فإن قيل إذا كان المعلوم انهم يزدادون النفور عند انزال القرآن فما المعنى في انزاله وما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه الزام الحجة وقطع المعذرة في اظهار الدلائل التي تحسن التكليف وانه يصلح عند انزاله جماعة ما كانوا يصلحون عند عدم انزاله ولو لم ينزل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الايمان يفسدون بفساد اعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت انزاله لهذه المعاني وإنما ازدادوا نفورا عند مشاهدة الآيات والدلائل لاعتقادهم انها شبه وحيل وقلة تفكرهم فيها (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة كما يقولون) هم أو تقولون أنتم على القراءتين (إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) أي لطلبوا طريقا يقربهم إلى مالك العرش والتمسوا الزلفة عنده لعلمهم بعلوه عليهم وعظمته عن مجاهد وقتادة وقال اكثر المفسرين معناه لطلبوا سبيلا إلى معازة مالك العرش ومغالبته ومنازعته فإن المشتركين في الإلهية يكونان متساويين في صفات الذات ويطلب احدهما مغالبة صاحبه ليصفو له الملك وفي هذا إشارة إلى دليل التمانع ثم نزه سبحانه نفسه من ان يكون له شريك في الإلهية فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) اي عن قولهم (علوا كبيرا) وإنما لم يقل تعاليا كبيرا لأنه وضع مصدر مكان مصدر نحوه قوله تبتل اليه تبتيلا ومعنى تعالى ان صفاته في اعلى المراتب ولا مساوي له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه وعالم لا أحد اعلم منه وخص العرش باضافته اليه تعظيما للعرش ويجوز ان يريد بالعرش الملك (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) معنى التسبيح هاهنا الدلالة على توحيد الله وعدله وانه لا شريك له في الإلهية وجرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة اقوى لأنه يؤدي إلى العلم (وان من شيء إلا يسبح بحمده) أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدعو إلى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وقيل ان معناه وما من شيء من الاحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن وقيل ان كل شيء على العموم من الوحوش والطيور والجمادات يسبح الله تعالى حتى صرير الباب وخرير الماء عن ابراهيم وجماعة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيده (انه كان حليما)

يهلكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفركم (غفورا) لكم إذا تبتم وأنبتم اليه

قوله تعالى (٤٥) وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٦) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٧) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٨) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا أربع آيات

﴿ اللغة ﴾

الوقر بالفتح الثقل في الاذن وبالكسر الحمل والاصل فيه الثقل إلا انه خولف بين البناءين للفرق والنفور جمع نافر وهذا الجمع قياس في كل فاعل اشتق من فعل مصدره على فعول مثل ركوع وسجود وشهود والنجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقر على لفظه

(الاعراب)

قوله ان يفقهوه في موضع نصب بأنه مفعول له على كراهة ان يفقهوه. نفورا نصب على الحال وتقديره ولوا نافرين وقيل انه مصدر ولوا خرج على غير لفظه لأن معنى ولوا نفروا فكأنه قال نفروا نفورا

﴿ النزول ﴾

قيل نزل قوله و إذا قرأت القرآن الآية في قوم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة و كانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه عن الزجاج والجبائي

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن بين سبحانه حالهم عند قراءة القرآن فقال (و إذا قرأت القرآن) يا محمد (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم المشركون (حجابا مستورا) قال الكلبي وهم ابو سفيان والنضر بن الحرث وابو جهل وأم جميل امرأة ابي لهب حجب الله رسوله عن ابصارهم عند قراءة القرآن وكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه وقيل أراد حجابا ساترا عن الأخفش والفاعل قد يكون في لفظ المفعول يقال مشؤوم وميمون إنما هو شائم ويامن وقيل هو على بناء النسب لا على ان المفعول بمعنى الفاعل والفاعل بمعنى المفعول والمعنى حجابا ذا ستر وهذا هو الصحيح وقيل حجابا مستورا عن الأعين لا يبصر إنما هو من قدرة الله تعالى حجب نبيه بحجاب لا يرونه ولا يراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ان المعنى في الآية جعلنا بينك وبينهم حجابا بمعنى باعدنا بينك وبينهم في القرآن فهو لك وللمؤمنين معك شفاء وهدى وهو للمشركين في آذانهم وقر وعليهم عمى فهذا هو الحجاب عن ابي مسلم وهذا بعيد والاول أوجه لأنه الحقيقة (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) مر تفسيره في سورة الأنعام (و إذا ذكرت ربك في القرآن وحده) معناه و إذا ذكرت الله بالتوحيد وأبطلت الشرك (ولوا على أدبارهم نفورا) أي اعرضوا عنك مدبرين نافرين والمعنى بذلك كفار قريش وقيل هم الشياطين عن ابن عباس وقيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا وقيل إذا سمعوا قول لا إله إلا الله (نحن اعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك) معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين وغرضهم في الاستماع اليك وقد علمنا سبب استماعهم وهذا كما يقال فعلت ذلك بحرمتك (و إذ هم نجوى) أي متناجون وقيل هم ذوو نجوى

والمعنى انا نعلمهم في حال ما يصغون إلى سماع قراءتك وفي حال ما يقومون من عندك ويتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم هو كاهن وبعضهم هو شاعر وقيل يعني به ابا جهل وزمعة بن الأسود وعمرو بن هشام وخويطب بن عبد العزى اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبي ﷺ فقال ابو جهل هو مجنون وقال زمعة هو شاعر وقال خويطب هو كاهن ثم أتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر (إذ يقول الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا) قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ انهم يقولون ما يتبعون إلا رجلا قد سحر فاختلط عليه امره وإنما يقولون ذلك للتنفير عنه ﴿وثانيها﴾ ان المراد بالمسحور المخدوع المعلل كما في قول امرئ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر في الطعام وفي الشراب

وقول امية بن ابي الصلت

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

﴿وثالثها﴾ ان المعنى ان تتبعون إلا رجلاً ذا سحر أي رئة خلقه الله بشرا مثلكم ﴿ورابعها﴾ ان المسحور بمعنى الساحر كما قيل في قوله حجابا مستوراً أي ساتراً وقد زيف هذا الوجه والوجوه الثلاثة أوضح وعلى هذا فمعنى الآية البيان عما توجبه حال المعادي للدين الناصب للحق اليقين وان قلبه كأنه في كنان عن تفهمه وكأن في أذنيه وقراً عن استماعه فهو مول نافر عنه يناجي في حال الانحراف عنه جهالا أمثاله قد بعدوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى انه مسحور لما لم يكن لهم إلى مقاومة ما أتى به سبيل ولا على كسره بالمعارضة دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجيب (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي شبهوا لك الاشياء فقالوا مجنون وساحر وشاعر (فضلوا) بهذا القول عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) أي لا يجدون حيلة ولا طريقاً إلى بيان تكذيبك إلا البهت الصريح وقيل لا يجدون سبيلا اي لا يجدون حيلة وطريقاً إلى صد الناس عنك وإلى اثبات ما ادعوا عليك وقيل ضلوا عن الطريق المستقيم وهو الدين والإسلام فلا يجدون اليه طريقاً بعد ما ضلوا عنه

قوله تعالى (٤٩) وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٥٠) قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥١) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥٢) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا

أربع آيات. قد ذكرنا اختلاف القراء في الاستفهامين من قوله أإذا وأءنا في سورة الرعد فلا معنى لإعادته

﴿اللغة﴾

الرفات ما تكسر وبلي من كل شيء ويكثر بناء فعال في كل ما يحطم ويرضض يقال حطام ودقاق وتراب وقال المبرد كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات وقال الفراء لا واحد له من لفظه يقال رفت الشيء رفتا فهو مرفوت إذا صير كالحطام ويقال انغض رأسه ينغضه نغض رأسه ينغضه نغضاً إذا حركه قالوا والنغض تحريك الرأس بارتفاع وانخفاض ومنه قيل للظليم نغض لأنه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض قال العجاج «اصك نغضاً لا يني مستهدجاً» ونغض السن إذا تحركت قال «فنغضت من هرم اسنانها»

--« الاعراب »--

إذا في موضع نصب بفعل يدل عليه قوله أإنا لمبعوثون وتقديره أنبعث في ذلك الوقت ولا يجوز ان يكون ظرفا لقوله مبعوثون لأن ما بعد ان ولام الابتداء لا يجوز ان يعمل فيما قبلها والباء في بحمده باء الحال اي تستجيبون حامدين له ويدعوكم في موضع الجر بإضافة يوم اليه وتستجيبون عطف عليه وتظنون ليس في موضع الجر لأن الواو للحال وتقديره وحالكم إذ ذاك ان تظنوا وقليلا نصب على الظرف وتقديره ان لبثتم إلا زمناً قليلا

— المعنى —

لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في انكاره فقال (وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا) اي غبارا عن ابن عباس وقيل ترابا عن مجاهد (ءانالمبعوثون خلقاجديداً) والمعنى قال المنكرون للبعث انا اذا متنا وانتثرت لحومنا وصرنا عظاما وترابا أنبعث بعد ذلك خلقا جديدا اي متجددا وهو انكار في صورة الاستفهام (قل) يا محمد لهم (كونوا حجارة او حديدا) اي اجهدوا في ان لاتعادوا وكونوا ان استطعتم حجارة في القوة او حديدا في الشدة (او خلقا مما يكبر في صدوركم) اي خلقا هو اعظم من ذلك عندكم واصعب فإنكم لا تفوتون الله تعالى وسيحييكم بعد الموت وينشركم الا ان الكلام خرج مخرج الأمر لأنه ابلغ في الإلزام وقيل يعني بقوله ما يكبر في صدوركم الموت عن ابن عباس وسعيد بن جبير اي لو كنتم الموت لأماتكم الله تعالى وليس شيء اكبر في صدور بني آدم من الموت وقيل يعني به السماوات والارض والجبال عن مجاهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة) معناه فإنك اذا قلت لهم ذلك سيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم اول مرة فإن من قدر على ابتداء الشيء كان على اعادته اقدر ما لم تبطل قدرته ولم يتغير فإن ابتداء الشيء اصعب من اعادته وإنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرون بالنشأة الاولى (فسينغضون اليك رؤوسهم) اي فسيحركون اليك رؤوسهم تحريك المستهزئ المستخف المستبطئ لما تنذرهم به (ويقولون متى هو) اي متى يكون البعث (قل عسى ان يكون قريبا) لأن ما هو آت قريب ومن كلام الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) معناه عسى ان يكون بعثكم قريبا ايها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم الى الموقف على السنة الملائكة وذلك عند النفخة الثانية فيقولون ايتها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كنت فتستجيبون مضطرين بحمده اي حامدين لله على نعمه وانتم موحدون وهذا كما يقول القائل جاء فلان بغضبه اي جاء غضبان وقيل معنى تستجيبون بحمده انكم تستجيبون معترفين بأن الحمد لله على نعمه لا تنكرونه لأن المعارف هناك ضرورية قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانك وبحمدك ولا ينفعهم في ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) اي وتظنون انكم لم تلبثوا في الدنيا الا قليلا لسرعة انقلاب الدنيا الى الآخرة قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة ومن المفسرين من يذهب الى ان هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيبون الله بحمده ويحمدونه على احسانه اليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعمين غير معذبين وايام السرور والرخاء قصار

قوله تعالى (٥٣) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٥) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٦) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ

دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا خمس آيات

اللغة

الوسيلة القربة والواسل الراغب قال لبيد « بلى كل ذي دين الى الله واسل » قال الزجاج الوسيلة والسؤل والطلبة في معنى واحد

الاعراب

يقولوا جواب شرط محذوف تقديره قل لعبادي قولوا التي هي احسن يقولوا وكان ابو عثمان يزعم أنّ يقولوا واقع موقع قولوا وهو مبني لأنه وقع موقع قولوا ووقوع الفعل موقع الفعل المبني لا يوجب له البناء الا ترى ان قوله تؤمنون بالله ورسوله واقع موقع آمنوا وهو معرب وإنما ذلك في الاسماء نحو يا زيد بني لوقوعه موقع يا انت اولئك رفع بالابتداء والذين يدعون صفة لهم ويبتغون خبر الابتداء وقوله ايهم اقرب قال الزجاج ان شئت كان ايهم رفعا بالابتداء والخبر وقوله اقرب ويكون معناه ينظرون ايهم اقرب اليه فيتوسلون به والجملة متعلقة بينظرون المضمرة ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الواو في يبتغون

النزول

كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله ﷺ بمكة فيقولون يا رسول الله إئذن لنا في قتالهم فيقول لهم اني لم اؤمر فيهم بشيء فأنزل الله سبحانه قل لعبادي الآية عن الكلبي

المعنى

ثم امر سبحانه عباده باتباع الأحسن من الأقوال والأفعال فقال (وقل) يا محمد (لعبادي) وهذا اضافة تخصيص وتشريف أراد به المؤمنين وقيل هو عام في جميع المكلفين (يقولوا التي هي أحسن) أي يختاروا من المقالات والمذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات والمذاهب وقيل معناه مرهم يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وهي كلمة الشهادتين وكل ما ندب الله اليه من الأقوال وقيل معناه يأمروا بما امر الله به وينهوا عما نهى الله عنه عن الحسن وقيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمك الله ويغفر الله لك وقيل معناه قل لعبادي إذا سمعوا قولك الحق وقول المشركين يقولوا ما هو أولى ويتبعوا ما هو أحسن عن ابي مسلم وقال نظيره فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد بينهم ويغري بعضهم ببعض ويلقي بينهم العداوة (ان الشيطان كان) في جميع الأوقات (للانسان) أي لآدم وذريته (عدواً مبيناً) مظهراً للعداوة ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال (ربكم أعلم بكم) معناه انه أعلم بأحوالكم فيدبر أموركم على ما يعلمه من المصلحة لكم (ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم) قيل أراد انه سبحانه مالك للرحمة والعذاب فيكون الرجاء اليه والخوف منه عن الجبائي وقيل معناه ان يشأ يرحمكم بالتوبة أو ان يشأ يعذبكم بالإصرار على المعصية عن الحسن وقيل معناه ان يشأ يرحمكم باخراجكم من مكة وتخليصكم من ايذاء المشركين أو ان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وقيل ان يشأ يرحمكم بفضله وان يشأ يعذبكم بعدله وهو الأظهر ثم عاد الى خطاب النبي ﷺ فقال (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي وما أرسلناك موكلا عليهم حفيظاً لأعمالهم يدخل الايمان في قلوبهم شاؤوا أم أبوا ومعناه انك لا تؤاخذ بأعمالهم فإنا أرسلناك داعياً لهم الى الايمان فإن أجابوك والا فلا شيء عليك فإن عتاب ذلك يحل بهم واللائمة تلزمهم (وربك اعلم بمن في السموات والأرض) اي هو اعلم بمن في

السموات من الملائكة وبمن في الأرض من الأنبياء بين سبحانه بهذا انه لم يختر الملائكة والأنبياء للميل اليهم وانما اختارهم لعلمه بباطنهم وقيل معناه انه أعلم بالجميع فجعلهم مختلفين في الصور والرزق والأحوال كما اقتضته المصلحة كما فضل بعض النبيين على بعض (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) والمعنى ان الأنبياء وان كانوا في أعلى مراتب الفضل فإنهم طبقات في ذلك وبعضهم أعلى من بعض بزيادة الدرجة والثواب وبالمعجزات والكتاب ولما كان سبحانه عالماً ببواطن الأمور اختارك للنبوة وفضلك على الأنبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخر لبعضهم النار وألان لبعضهم الحديد وآتى بعضهم الملك وكلم بعضهم وكذلك خصك بخصائص لم يعطها أحداً وختم بك النبوة ثم قال (وآتينا داود زبوراً) قال الحسن كل كتاب زبور الا ان هذا الاسم غلب على كتاب داود (ع) كما غلب اسم الفرقان على القرآن وان كان كل كتاب من كتب الله فرقانا لأنه يفرق بين الحق والباطل وقال الزجاج معنى ذكر داود هنا انه يقول لاتنكروا تفضيل محمد ﷺ واعطاءه القرآن فقد اعطينا داود الزبور ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) انها آلهة عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم او يحولوا تلك الحالة الى حالة اخرى (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) للحالة التي تكرهونها الى حالة تحبونها يعني تحويل حال القحط الى الخصب والفقر الى الغنى والمرض الى الصحة وقيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم الى غيركم بين سبحانه ان من كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للإلهية ولا يستحق العبادة والمراد بالذين من دونهم الملائكة والمسيح وعزير عن ابن عباس والحسن وقيل هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود قال واسلم اولئك النفر من الجن وبقي الكفار على عبادتهم قال الجبائي ثم رجع سبحانه الى ذكر الانبياء في الآية الاولى فقال (اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) ومعناه أولئك الذين يدعون إلى الله تعالى ويطلبون القربة اليه بفعل الطاعات (أيهم أقرب) أي ليظهر أيهم الأفضل والأقرب منزلة منه وتأويله ان الأنبياء مع علو رتبهم وشرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فأنتم أولى ان لاتعبدوا غير الله وإنما ذكر ذلك حثاً على الاقتداء بهم وقيل ان معناه أولئك الذين يدعونهم ويعبدونهم ويعتقدون انهم آلهة من المسيح والملائكة يبتغون الوسيلة والقربة إلى الله تعالى بعبادتهم ويجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمته أو يطلب كل منهم ان يعلم أيهم أقرب إلى رحمته أو إلى الإجابة (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) أي وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته ان اطاعوا ويخافون عذابه ان عصوا ويعملون عمل العبيد (ان عذاب ربك كان محذوراً) أي متقي يجب ان يحذر منه لصعوبته وقد ذكرنا ما جاء في معنى الوسيلة عند قوله وابتغوا اليه الوسيلة

قوله تعالى (٥٨) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٩) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٦٠) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ثلاث آيات

اللغة

المسطور المكتوب قال العجاج

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر   في الصحف الاولى الذي كان سطر

والمنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه وإنما جاز في وصف الله تعالى منعنا للمبالغة في انه لا يقع منه الفعل فكأنه قد منع منه الفعل وان كان لا يجوز إطلاق مثل هذه الصفة عليه سبحانه لأنه قادر لذاته ومقدوراته غير متناهية فلا يصح ان يمانعه شيء

﴿ الاعراب ﴾

وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الأولون ان الاولى نصب وان الثانية رفع والمعنى وما منعنا الارسال إلا تكذيب الأولين ومبصرة نصب على الحال والشجرة الملعونة تقديرها وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس أيضاً والمعنى الشجرة الملعونة أهلها وآكلوها وهم الكفرة والفجرة فلما حذف المضاف استتر الضمير في اسم المفعول فأنث المفعول لما جرى على الشجرة وقوله فما يزيدهم الا طغيانا كبيراً أي فما يزيدهم التخويف فأضمر التخويف لجري ذكر الفعل وانتصب قوله طغيانا على انه مفعول ثان لقوله يزيد

﴿ المعنى ﴾

ثم زاد سبحانه في الموعظة فقال (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) معناه وما من قرية الا نحن مهلكوها بإماتة أهلها (أو معذبوها عذابا شديداً) وهو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت وهلاك الطالحين بالعذاب في الدنيا فإنه يفني الناس ويخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجبائي ومقاتل وقيل ان المراد بذلك قرى الكفر والضلال دون قرى الإيمان والمراد بالإهلاك التدمير عن ابي مسلم (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أخبر ان ذلك كائن لا محالة ولا يكون خلافه ومعناه كان ذلك الحكم في الكتاب الذي كتبه الله تعالى للملائكة وهو اللوح المحفوظ مكتوبا (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) ذكر فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان التقدير ما منعنا ارسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ومعناه انا لم نرسل الآيات التي اقترحتها قريش في قولهم حول لنا الصفا ذهبا وفجر لنا الأرض ينبوعا الى غير ذلك لأنا لو ارسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة كما انا لما اجبنا الاولين من الامم الى آيات اقترحوها فكذبوا بها عذبناهم بعذاب الاستئصال لأن من حكم الآية المقترحة انه اذا كذب بها وجب عذاب الاستئصال ومن حكمنا النافذ في هذه الآيات ان لا نعذبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فيهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن امته باقية وشريعته مؤبدة الى يوم القيامة فلذلك لم نجبهم الى ذلك وانزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات ما تقوم به الحجة وتنقطع به المعذرة ﴿ الثاني ﴾ ان معناه انا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون انزالنا اياها عبثا لا فائدة فيه كما ان من كان قبلهم لم يؤمنوا عند انزال الآيات والمعجزات ضربان ﴿ احدها ﴾ ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لا بد من اظهاره سواء وقع منه الايمان او لم يقع ﴿ والثاني ﴾ ما يكون لطفا في الإيمان فهذا ايضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه ﴿ والثالث ﴾ ان المعنى انا لا نرسل الآيات لأن آباءكم واسلافكم سألوا مثلها ولم يؤمنوا عندها وأنتم على آثار اسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون انتم عن ابي مسلم (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أي بينة أراد آية مبصرة كما قال وجعلنا آية النهار مبصرة ومعناه دلالة واضحة ظاهرة وقيل ذات ابصار وقيل تبصرهم وتبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلالة وهي ناقة صالح المخرجة من الصخرة على الصفة التي اقترحوها (فظلموا بها) أي فكفروا بتلك الآية وجحدوا بأنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بسببها وبعقرها (وما نرسل بالآيات الا تخويفا) أي لا نرسل الآيات التي نظهرها على الانبياء الا عظة للناس وزجراً وتخويفاً لهم من عذاب الله ان لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (واذ قلنا لك) اي واذكر الوقت الذي قلنا لك يا محمد (ان ربك احاط بالناس) اي احاط علما باحوالهم وبما يفعلونه من طاعة او

معصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك بهم فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل إن المراد به انه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم الى ايذائك إذا لم تأتهم ما اقترحوا منك من الآيات وهذا حث للرسول ﷺ على التبليغ ووعد له بالعصمة من اذية قومه وهذا معنى قول الحسن وقيل معناه انه احاط بأهل مكة فيستفتحها لك عن مقاتل وقال الفراء معناه احاط امره بالناس وقيل معناه أنه قادر على ما سألوه من الآيات عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح فامض لما امرت به من التبليغ فإن الله سبحانه إن انزلها فلما يعلم في انزالها من اللطف وإن لم ينزلها فلما يعلم من المصلحة عن الجبائي (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) فيه اقوال * احدها * ان المراد بالرؤيا رؤية العين وهي ما ذكره في اول السورة من اسراء النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس والى السماوات في ليلة واحدة إلا أنه لما رأى ذلك ليلا واخبر بها حين اصبح سماها رؤيا وسماها فتنة لأنه أراد بالفتنة الامتحان وشدة التكليف ليعرض المصدق بذلك لجزيل ثوابه والمكذب لأليم عقابه وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد * وثانيها * ما روي عن ابن عباس في رواية اخرى انها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فقصدها فصده المشركون في الحديبية عن دخولها حتى شك قوم ودخلت عليهم الشبهة فقالوا يارسول الله اليس قد أخبرتنا انا ندخل المسجد الحرام آمنين فقال ﷺ اوقلت لكم انكم تدخلونها العام قالوا لا فقال لندخلنها إن شاء الله ورجع ثم دخل مكة في العام القابل فنزل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وهو قول الجبائي وابي مسلم وانما كان فتنة وامتحانا وابتلاء لما ذكرناه * وثالثها * ان ذلك رؤيا رآها النبي ﷺ في منامه أن قرودا تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتم به روى سهل بن سعيد عن ابيه ان النبي ﷺ رأى ذلك وقال انه ﷺ لم يستجمع بعد ذلك ضاحكا حتى مات وروى سعيد بن يسار ايضا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقالوا على هذا التأويل ان الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو امية اخبره الله سبحانه بتغلبهم على مقامه وقتلهم ذريته روي عن المنهال بن عمرو قال دخلت على علي بن الحسين (ع) فقلت له كيف اصبحت يا ابن رسول الله فقال اصبحنا والله بمنزلة بني اسرائيل من آل فرعون يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم واصبح خير البرية بعد رسول الله ﷺ يلعن على المنابر واصبح من يحبنا منقوصا حقه بحبه ايانا وقيل للحسن يا اباسعيد قتل الحسين بن علي (ع) فبكى حتى اختلج جنباه ثم قال واذلاه لأمة قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها وقيل ان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم عن ابن عباس والحسن وقيل الشجرة الملعونة هي اليهود عن ابي مسلم وتقدير الآية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة الا فتنة للناس قالوا وانما سمي شجرة الزقوم فتنة لأن المشركين قالوا ان النار تحرق الشجرة فكيف تنبت الشجرة في النار وصدق بها المؤمنون وروي ان اباجهل قال ان محمدا يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها الشجرة وقوله في القرآن معناه التي ذكرت في القرآن (ونخوفهم) اي نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية وقيل بما نرسل من الآيات (فما يزيدهم) ذلك (الا طغيانا كبيرا) اي عتوا في الكفر عظيما وتماديا في الغي كبيرا لأنهم لا يرجعون عنه

قوله تعالى (٦١) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٣) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٤) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ

فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً (٦٥) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً خمس آيات

القراءة

قرأ حفص ورجلك بكسر الجيم والباقون بسكونها

(الحجة)

من سكن الجيم فهو جمع راجل مثل راكب وركب وصاحب وصحب وتاجر وتجر وأما قراءة حفص بكسر الجيم فروى ابو علي عن ابي زيد يقال رجل رجل للراجل ويقال جاءنا حافيا رجلا وانشد

اما اقاتل عن ديني على فرسي ... ولا كذا رجلا إلا باصحاب

كأنه قال اما أقاتل فارسا وراجلا وروى ابن جني عن قطرب انه قال الرجل الرجال وعليه قراءة عكرمة وقتادة ورجالك قال زهير في الرجل

هم ضربوا عن فرجها بكتيبة ... كبيضاء حوس في جوانبها الرجل

(اللغة)

الاحتناك الاقتطاع من الأصل يقال احتنك فلان ما عند فلان من مال او علم إذا استقصاه فأخذه كله واحتنك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر

أشكو اليك سنة قد أجحفت ... جهدا إلى جهد بنا وأضعفت

واحتنكت أموالنا وجلفت

وقيل انه من قولهم حنك الدابة يحنكها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلا يقودها به والموفور المكمل يقال وفرته افره وفرا قال زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

والاستفزاز الإزعاج والاستنهاض على خفة واسراع وأصله القطع وتفزز الثوب إذا تخرق وفززته تفزيزا فكأن معنى استفزه استزله بقطعه عن الصواب ورجل فز أي خفيف والاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل ومنه الطوع والطاعة وهو الانقياد للفعل والإجلاب السوق بجلبة من السائق والجلبة شدة الصوت وقال ابن الاعرابي أجلب الرجل على صاحبه إذا توعده بالشر وجمع عليه الجيش

الإعراب

قال الزجاج طينا منصوب على الحال بمعنى انك انشأته في حال كونه من طين ويجوز أن يكون تقديره من طين فحذف من فوصل الفعل ومثله قوله ان تسترضعوا أولادكم أي لأولادكم وقيل انه منصوب على التمييز والكاف في قوله أرأيتك لا موضع لها من الاعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد وموضع هذا نصب بأرأيت والجواب محذوف. المعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي ولم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ما ذكرناه لأن في الكلام دليلا عليه

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة آدم «ع» وإبليس فقال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) قد مر تفسيره في سورة البقرة (قال) إبليس (ءأسجد لمن خلقت طينا) وهو استفهام بمعنى الانكار أي كيف

اسجد له وانا أفضل منه وأصلي اشرف من أصله وفي هذا دلالة على ان إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة ولولا ذلك لما كان لامتناعه من السجود وجه وإنما جاز أن يأمرهم سبحانه بالسجود لآدم«ع» ولم يجز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يترتب في التعظيم حسب ما يراد به وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع لأنه يترتب في التعظيم لجنسه يبين ذلك انه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من افعال الجوارح (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي) أي قال إبليس أرأيت يا رب هذا الذي فضلته علي يعني آدم«ع» (لئن أخرتن إلى يوم القيامة) أي لئن أخرت أجل موتي (لأحتنكن ذريته إلا قليلا) أي لأغوين ذريته واقودنهم معي إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيها حبل تجر به إلا القليل الذين تعصمهم وهم المخلصون عن ابي مسلم وقيل لأحتنكنهم أي لأستولين عليهم عن ابن عباس وقيل لأستأصلنهم بالاغواء من احتناك الجراد الزرع وهو ان يأكله ويستأصله عن الجبائي وإنما طمع الملعون في ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة انه سيجعل في الارض من يفسد فيها فكأن العلم قد سبق له بذلك عن الجبائي وقيل لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزما فقال ان اولاده اضعف منه عن الحسن (قال) الله سبحانه له على وجه الاستهانة والاستصغار (إذهب) يا إبليس (فمن تبعك منهم) أي من ذرية آدم«ع» واقتفى أثرك وقبل منك (فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً) اي موفوراً كاملا لا نقصان فيه عن الاستحقاق (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) أي واستزلل من استطعت منهم أضلهم بدعائك ووسوستك من قولهم صوت فلان بفلان إذا دعاه وهذا تهديد في صورة الأمر عن ابن عباس ويكون كما يقول الانسان لمن يهدده أجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وإنما جاء التهديد في صورة الأمر لأنه بمنزلة ان يؤمر الغير باهانة نفسه وقيل بصوتك أي بالغناء والمزامير والملاهي عن مجاهد وقيل كل صوت يدعى به إلى الفساد فهو من صوت الشياطين (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكايدك وأتباعك وذريتك واعوانك وعلى هذا فيكون الباء مزيدة في بخيلك وكل راكب او ماش في معصية الله من الانس والجن فهو من خيل إبليس ورجله وقيل هو من اجلب القوم وجلبوا أي صاحوا أي صح بخيلك ورجلك واحشرهم عليهم بالاغواء (وشاركهم في الأموال والأولاد) وهو كل مال أصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل ان مشاركتهم في الاموال انه أمرهم ان يجعلوها سائبة وبحيرة وغير ذلك وفي الأولاد انهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم عن قتادة وقيل ان كل مال حرام او فرج حرام فله فيه شرك عن الكلبي وقيل ان المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس وعبد الحرث ونحوهما وقيل هو قتل الموؤدة من اولادهم والقولان مرويان عن ابن عباس (وعدهم) أي ومنهم البقاء وطول الأمل وانهم لا يبعثون وكل هذا زجر وتهديد في صورة الأمر (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) هذا اخبار من الله عز وجل ان مواعيد الشيطان تكون غرورا أي يزين لهم الخطأ انه صواب وهو اعتراض (ان عبادي) يعني الذين يطيعونني اضافهم الى نفسه تشريفا لهم (ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقتادة لأنهم يعلمون ان مواعيدك باطلة فلا يغترون بها وقيل معناه لا سلطان لك على جميع عبادي إلا في الوسوسة والدعاء إلى المعصية فأما في ان تمنعهم عن الطاعة وتحملهم على المعصية جبرا وكرها فلا عن الجبائي (وكفى بربك وكيلا) اي حافظا لعباده من شرك

﴿ النظم ﴾

الوجه في اتصال الآيات بما قبلها على تقدير وما يزيدهم إلا طغيانا كبيراً محققين ظن إبليس فيهم يوم قيل له اسجد فقال كذا وكذا عن علي بن عيسى وقيل اتصلت بقوله ان الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ثم عاد إلى ذكر الشيطان لزيادة الإيضاح والبيان بما أبان عن قصته مع آدم«ع» عن ابي مسلم

قوله تعالى (٦٦) رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٧) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٨) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٩) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا أربع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل عليكم فنغرقكم كله بالنون وقرأ ابو جعفر ويعقوب فتغرقكم بالتاء والباقي بالياء وقرأ الباقون كلها بالياء

الحجة

من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قوله ضل من يدعون إلا إياه فلما نجاكم ومن قرأ بالنون فلأن هذا النحو قد تقطع بعضه من بعض ولأن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب جائز ومن قرأ فتغرقكم بالتاء فإنه رد الضمير المؤنث في فتغرقكم إلى الريح

اللغة

الإزجاء سوق الشيء حالا بعد حال والحاصب من قولهم حصبه بالحجارة يحصبه حصبا إذا رماه بها رميا متتابعاً قال القتيبي الحاصب الريح التي ترمى بالحصباء وهي الحصا الصغار قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن مندوف

والقاصف الكاسر بشدة قصفه يقصفه قصفاً

المعنى

لما تقدم ذكر الشيطان وذكر المشركين وعبدة الأوثان احتج عليهم سبحانه بدلائل التوحيد والإيمان فقال (ربكم) اي خالقكم ومدبركم (الذي يزجي لكم الفلك) اي يجري لكم السفن (في البحر) بما خلق من الرياح وبأن جعل الماء على وجه يمكن جري السفن فيه (لتبتغوا من فضله) اي لتطلبوا من فضل الله تعالى بركوب السفن على وجه الماء فيما فيه صلاح دنياكم من التجارة او صلاح دينكم من الغزو (إنه كان بكم رحيما) حيث أنعم عليكم بهذه النعم (وإذا مسكم الضر) اي الشدة (في البحر) بسكون الرياح واحتباس السفن او باضطراب الأمواج وغير ذلك من أهوال البحر (ضل من تدعون إلا إياه) اي ذهب عنكم ذكر كل معبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاة إلا من عنده فتدعونه ولاتدعون غيره (فلما نجاكم) من البحر (الى البر) وأمنتم الغرق (اعرضتم) عن الإيمان به وعن طاعته كفرانا للنعمة (وكان الانسان كفوراً) اي كثير الكفران (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) معناه ان فعلكم هذا فعل من يتوهم انه إذا صار إلى البر أمن المكاره حتى اعرضتم عن شكر الله وطاعته فهل أمنتم ان يخسف بكم اي يغيبكم ويذهبكم في جانب البر وهو الارض يقال خسف الله به الارض اي غاب به فيها واراد به بعض البر وهو موضع حلولهم فيه فسماه جانبا لأنه يصير بعد الخسف جانبا وقيل انهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر وكانوا فيه آمنين من اهوال البحر

فحذرهم ما امنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر (او يرسل عليكم حاصبا) اي او هل امنتم أن يرسل عليكم حجارة تحصبون بهـا أي ترمون بها والمعنى انه سبحانه قادر على اهلاككم في البر كما انه قادر على اغراقكم في البحر (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي حافظا يحفظكم عن عذاب الله ودافعاً بدفعه عنكم (أم أمنتم) اي ام هل أمنتم (أن يعيدكم فيه تارة أخرى) اي في البحر مرة أخرى بأن يجعل لكم حاجة او يحدث لكم رغبة او رهبة فترجعون إلى البحر مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفاً من الريح) اي فإذا ركبتم البحر ارسل عليكم ريحا شديدة كاسرة للسفينة وقيل الحاصب الريح المهلكة في البر والقاصف المهلكة في البحر (فيغرقكم بما كفرتم) من نعم الله (ثم لا تجدوا لكم علينا بـه تبيعا) أي تابعا يتبع اهلاككم للمطالبة بدمائكم ويقول لمَ فعلت هذا بهم وهذا في معنى قول المفسرين يعني ثائراً ولا ناصراً

قوله تعالى (٧٠) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧١) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٢) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ثلاث آيات

القراءة

قرأ اهل البصرة اعمى الأولى بالامالة واعمى الثانية بالتفخيم وقرأ حمزة والكسائي بالامالة فيهما والباقون بالتفخيم فيهما وقرأ زيد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الحسن يوم يدعوا بضم الياء وفتح العين

الحجة

قال ابو علي من امالها فإنه حسن لأنه ينحو بالألف نحو الياء ليعلم انها ينقلب إلى الياء وإن كانت فاصلة او مشبهة بالفاصلة فالإمالة فيها حسنة لأن الفاصلة موضع وقف والألف تخفى في الوقف فإذا أمالها نحى بها نحو الياء ليكون اظهر لها وأبين ومما يقوي ذلك ان من العرب من يقلب هذه الالفات في الوقف ياءات ليكون أبين لها قالوا أفعى وحبلي ومنهم من يقول افعو وهم كأنهم احرص على البيان من الاولين من حيث كانت الواو اظهر من الياء والياء أخفى منها من حيث كانت اقرب إلى الألف من الواو اليها واما من امال الألف من الكلمة الأولى ولم يمل من الثانية فإنه يجوز أن لا يجعل اعمى الكلمة الثانية عبارة عن المؤوف الجارحة ولكنه جعله افعل من كذا مثل أبلد من فلان فجاز أن يقول فيه افعل من كذا وإن لم يجز أن يقول ذلك في المصاب ببصره فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة لأن آخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الامالة في الاواخر لما تقدم وقد حذف من افعل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله فإنه يعلم السر وأخفى المعنى من السر وكذلك قولهم عام اول اي اول من عـامك وكذلك قوله فهو في الآخرة اعمى أي اعمى منه في الدنيا ومعنى اعمى في الآخرة انه لايهتدي إلى طرق الثواب ويؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله وأضل سبيلا فكما ان هذا لا يكون إلا على افعل فكذلك المعطوف عليه ومعنى أضل سبيلا في الآخرة ان ضلاله في الدنيا قد كان ممكنا من الخروج منه وضلاله في الآخرة لاسبيل له إلى الخروج منه ويجوز ان يكون اعمى فيمن تأوله افعل من كذا على هذا التأويل ايضا قال ابن جني قراءة الحسن يوم يدعو على لغة من ابدل الألف في الوصل واوا نحو افعو وحبلو ذكر ذلك سيبويه واكثر هذا في الوقف

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم قول إبليس هذا الذي كرمت علي ذكر سبحانه بعد ذلك تكرمة لبني آدم بأنواع الاكرام وفنون الانعام فقال (ولقد كرمنا بني آدم) أي فضلناهم عن ابن عباس وأجريت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل إنما عمهم بالتكرمة مع ان فيهم الكافر المهان لأن المعنى اكرمناهم بالنعم الدنيوية كالصور الحسنة وتسخير الأشياء لهم وبعث الرسل اليهم وقيل معناه عاملناهم معاملة المكرم على وجه المبالغة في الصفة واختلف فيما كرموا به فقيل بالقوة والعقل والنطق والتمييز عن ابن عباس والضحاك وقيل انهم يأكلون باليد وكل دابة تأكل بفمها رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس وقيل بتعديل القامة وامتدادها عن عطاء وقيل بالأصابع يعملون بهاما يشاؤون روى ذلك جابر بن عبد الله وقيل بتسليطهم على غيرهم وتسخير سائر الحيوانات لهم عن ابن جرير وقيل بأن جعل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منهم عن محمد بن كعب وقيل بأنهم يعرفون الله ويأتمرون بأمره وقيل بجميع ذلك وغيره من النعم التي خصوا بها وهو الأوجه (وحملناهم في البر والبحر) في البر على الإبل والخيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) أي من الثمار والفواكه والأشياء الطيبة وسائر الملاذ التي خص بها بنو آدم ولم يشركهم شيء من الحيوان فيها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) استدل بعضهم بهذا على ان الملائكة افضل من الأنبياء قال لأن قوله على كثير يدل على ان ههنا من لم يفضلهم عليه وليس إلا الملائكة لأن بني آدم افضل من كل حيوان سوى الملائكة بالاتفاق وهذا باطل من وجوه ﴿ احدها ﴾ ان التفضيل ههنا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداء وانما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فنون النعم التي عددنا بعضها ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع والمعنى انا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير كما يقال بذلت له العريض من جاهي وأبحته المنيع من حريمي ولا يراد بذلك اني بذلت له عريض جاهي ومنعته ما ليس بعريض وأبحته منيع حريمي ولم أبحه ما ليس منيعا بل المقصود اني بذلت له جاهي الذي من صفته انه عريض وفي القرآن ومحاورات العرب من ذلك ما لا يحصى ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن ابي كاهل في شعره

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا ولو أراد ذلك لم يكن مادحا لهم ﴿ وثالثها ﴾ انه إذا سلم ان المراد بالتفضيل زيادة الثواب وان لفظة من في قوله ممن خلقنا يفيد التبعيض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم لأن الفضل في الملائكة عام لجميعهم او اكثرهم والفضل في بني آدم يختص بقليل من كثير وعلى هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء افضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم ومتى قيل إذا كان معنى التكريم والتفضيل واحدا فما معنى التكرار ﴿ فجوابه ﴾ ان قوله كرمنا ينبئ عن الانعام ولا ينبئ عن التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه وقيل ان التكريم يتناول نعم الدنيا والتفضيل يتناول نعم الآخرة وقيل ان التكريم بالنعم التي يصح بها التكليف والتفضيل بالتكليف الذي عرضهم به للمنازل العالية (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه بنبيهم عن مجاهد وقتادة ويكون المعنى على هذا أن ينادى يوم القيامة فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان وهاتوا متبعي رؤساء الضلالة وهذا معنى ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وروي ايضا عن علي «ع» ان الأئمة إمام هدى وإمام ضلالة ورواه الوالبي عنه بأئمتهم في الخير والشر ﴿ وثانيها ﴾ معناه بكتابهم الذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهيه فيقال يا أهل القرآن ويا اهل التوراة عن ابن زيد والضحاك ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه بمن كانوا يأتمون به

من علمائهم وأئمتهم عن الجبائي وابي عبيدة ويجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص والعام عن الرضا علي بن موسى «ع» بالأسانيد الصحيحة انه روى عن آبائه «ع» عن النبي ﷺ انه قال فيه يدعى كل اناس بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم وروي عن الصادق «ع» انه قال ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلى من يتولونه ودعانا إلى رسول الله ﷺ وفزعتم الينا فإلى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثا ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه بكتابهم الذي فيه اعمالهم عن ابن عباس في رواية أخرى والحسن وابي العالية ﴿ وخامسها ﴾ معناه بأمهاتهم عن محمد بن كعب (فمن أوتي كتابه بيمينه) أي فمن اعطي كتاب عمله الذي فيه طاعاته وثواب اعماله بيمينه (فأولئك يقرؤن كتابهم) فرحين مسرورين لا يجنبون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء والثواب (ولا يظلمون فتيلا) أي لا ينقصون ثواب اعمالهم مقدار فتيل وهو المفتول الذي في شق النواة عن قتادة وقيل الفتيل في بطن النواة والنقير في ظهرها والقطمير قشر النواة عن الحسن جعل الله اعطاء الكتاب باليمين علامة الرضا والخلاص واعطاء الكتاب باليسار ومن وراء الظهر علامة السخط والهلاك (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة اعمى) ذكر في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان هذه اشارة إلى ما تقدم ذكره من النعم ومعناه ان من كان في هذه النعم وعن هذه العبر أعمى فهو عما غيب عنه من امر الآخرة اعمى عن ابن عباس ﴿ وثانيها ﴾ ان هذه إشارة إلى الدنيا ومعناه من كان في هذه الدنيا اعمى عن آيات الله ضالا عن الحق ذاهباً عن الدين فهو في الآخرة أشد تحيرا وذهابا عن طريق الجنة او عن الحجة إذا سئل فإن من ضل عن معرفة الله في الدنيا يكون يوم القيامة منقطع الحجة فالأول اسم والثاني فعل من العمى وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿ وثالثها ﴾ ان معناها من كان في الدنيا أعمى القلب فإنه في الآخرة اعمى العين يحشر كذلك عقوبة له على ضلالته في الدنيا عن ابي مسلم قال وهذا كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى وتأول قوله سبحانه فبصرك اليوم حديد بأن معناه الاخبار عن قوة المعرفه والجاهل بالله سبحانه يكون عارفا به في الآخرة وتقول العرب فلان بصير بهذا الأمر وإنما أرادوا بذلك العلم والمعرفة لا الابصار بالعين وعلى هذا فليس يكون قوله فهو في الآخرة أعمى على سبيل المبالغة والتعجب وإن عطف عليه بقوله (وأضل سبيلا) ويكون التقدير وهو أضل سبيلا قال ويجوز أن يكون اعمى عبارة عما يلحقه من الغم المفرط فإنه إذا لم ير إلا ما يسوء فكأنه اعمى كما يقال فلان سخين العين ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه من كان في الدنيا ضالا فهو في الآخرة أضل لأنه لا يقبل توبته عن الحسن واختاره الزجاج على هذا القول وقال تأويله انه إذا عمي في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعمي عن رشده ولم يتب فهو في الآخرة أشد عمي وأضل سبيلا لأنه لا يجد طريقا إلى الهداية

﴿ النظم ﴾

قيل في وجه اتصال قوله يوم ندعو كل اناس بإمامهم بما قبله وجوه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه ذكر تفضيل بني آدم ثم بين أن ذلك التفضيل إنما يكون في ذلك اليوم فيستحق المهتدون الثواب بهدايتهم ﴿ وثانيها ﴾ انها اتصلت بقوله إن عذاب ربك كان محذورا أي فاحذروا يوم يدعى كل أمة بإمامهم ﴿ وثالثها ﴾ انها اتصلت بقوله يعيدكم أي يعيدكم يوم يدعو ﴿ ورابعها ﴾ انه تعالى ذكر فيما تقدم من آمن ومن كفر ثم بين في هاتين الآيتين ما اعد للفريقين من ثواب وعقاب وانه يعطيهم ذلك على ما هو مكتوب في كتبهم عن ابي مسلم

قوله تعالى (٧٣) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٤) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٥) إِذًا

لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ثلاث آيات

❋ الإعراب ❋

لولا ان ثبتناك تقديره لولا تثبيتنا اياك فإن هاهنا في موضع رفع بالابتداء وخبره مضمر وهذا يدل على بطلان مذهب ابي سعيد حيث قال « لولا حددت ولا عدوى لمحدود » واستدل به على ان لولا تدخل على الفعل وخفي عليه اضمار أن في البيت

= النزول =

في سبب نزوله اقوال ❋ احدها ❋ ان قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال ما علي في ان ألم بها والله يعلم إني لكاره لها ويدعوني استلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن جبير ❋ وثانيها ❋ انهم قالوا له كف عن شتم آلهتنا وتسفيه احلامنا واطرد هؤلاء العبيد والسقاط الذين رائحتهم رائحة الصنان حتى نجالسك ونسمع منك فطمع في اسلامهم فنزلت الآية ❋ وثالثها ❋ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج الاصنام من المسجد فطلبت اليه قريش ان يترك صنما كان على المروة فهم بتركه ثم امر بعد بكسره فنزلت الآية رواه العياشي باسناده ❋ ورابعها ❋ انها نزلت في وفد ثقيف قالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال لا ننحني بغنون الصلاة ولا نكسر اصنامنا بأيدينا وتمتعنا باللات سنة فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيها ركوع ولا سجود فأما كسر اصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاعة للات فإني غير ممتعكم بها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ فقال عمر بن الخطاب ما بالكم آذيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يدع الاصنام في ارض العرب فما زالوا به حتى انزل الله هذه الآيات عن ابن عباس ❋ وخامسها ❋ ان وفد ثقيف قالوا اجلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا ذلك كسرناها واسلمنا فهم بتأجيلهم فنزلت الآية عن الكلبي رواه عن عطية عن ابن عباس

—« المعنى »—

ثم حكى الله سبحانه عن الكفار فقال (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك) ان هذه مخففة من الثقيلة والمعنى ان المشركين الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة هموا وقاربوا أن يزلوك ويصرفوك عن القرآن الذي اوحينا اليك اي من حكمه (لتفتري علينا غيره) اي لتخترع علينا غير ما اوحيناه اليك والمعنى لتحل محل المفتري لأنك تخبر انك لا تنطق الا عن وحي فإذا اتبعت اهواءهم او هممت انك تفعله بأمر الله فكنت كالمفتري (واذا لاتخذوك خليلا) معناه وانك لو أجبتهم إلى ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا خلتك اي صداقتك لموافقتك معهم وقيل هو من الخلة التي هي الحاجة اي فقيرا محتاجا اليهم والأول اوجه (ولولا ان ثبتناك) اي ثبتنا قلبك على الحق والرشد بالنبوة والعصمة والمعجزات وقيل بالالطاف الخفية (لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أي ركونا قليلا والمعنى لقد قاربت ان تسكن اليهم بعض السكون وأن تميل اليهم ميلا قليلا فتعطيهم بعض ماسألوك يقال كدت أفعل كذا اي قاربت ان افعله ولم افعله وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله وضع عن أمتي ماحدثت به نفسها ما لم تعمل به او تتكلم به قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم والله اعلم بنبيه ثم توعده سبحانه على ذلك لو فعله فقال (اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) اي لو فعلت ذلك لعذبناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات اي مثلي مانعذب به المشرك في الدنيا ومثلي ما نعذب به المشرك في الآخرة لأن ذنبك يكون اعظم وقيل ان المراد بالضعف العذاب المضاعف الم والمعنى لأذقناك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن ابان بن تغلب وأنشد قول الشاعر

لمقتل مالك إذ بان مني ابيت الليل في ضعف اليم

اسے عذاب قال ابن عباس رسول الله ﷺ معصوم ولكن هذا تخويف لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين الى احد من المشركين في شيء من احكام الله وشرائعه (ثم لا تجدلك علينا نصيرا) اي ناصرا ينصرك وقال انه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابدا عن قتادة

قوله تعالى (٧٦) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٧) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا آيتان

(القراءة)

قرأ أهل الحجاز وابوعمرو وأبو بكر خلفك بغير الف والباقون خلافك بالألف وقرأ رويس عن يعقوب بالوجهين

الحجة

قال ابو علي زعم ابوا الحسن ان خلافك في معنى خلفك ومعناه بعدك فمن قرأ خلفك او خلافك فهو في القراءتين جميعاً على تقدير حذف المضاف اي بعد خروجك فيكون مثل قول ذي الرمة

له واجف بالقلب حتى تقطعت خلاف الثريا من اريك مآربه

والمعنى خلاف طلوع الثريا وكذلك من جعل قوله خلاف رسول الله ﷺ اسما للجهة كان على حذف المضاف كأنه خلاف خروج رسول الله ومن جعله مصدرا جعله مضافا الى مفعول به وعلى اي الأمرين حمل ذلك في سورة التوبة كان بمقعدهم المقعد فيه مصدر لا اسم المكان لأن اسم المكان لا يتعلق به شيء

الاعراب

قال لايلبثون بالرفع لأن إذاً اذا وقعت بعد الواو جاز فيها الالغاء لأنها متوسطة في الكلام كانه لا بد من أن تلغى اذا وقعت حشوا وسنة من قد ارسلنا انتصب بمعنى قوله لا يلبثون لأن تأويله انا سننا هذه السنة فيمن ارسلناهم قبلك والتقدير اهلكناهم إهلاكاً وسنة مثل سنة من قد ارسلنا قبلك

النزول

نزلت في أهل مكة لما هموا باخراج النبي ﷺ من مكة عن مجاهد وقتادة وقيل نزلت في اليهود بالمدينة لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالوا له ان هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وانما أرض الانبياء الشام فأت الشام عن ابن عباس

المعنى

ثم بين سبحانه ان الكفار لما يئسوا من اجابته إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا (وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) معناه وان المشركين ارادوا ان يزعجوك من ارض مكة بالاخراج عن قتادة ومجاهد وقيل عن ارض المدينة يعني اليهود عن ابن عباس وقيل يعني جميع الكفار أرادوا ان يخرجوك من أرض العرب عن الجبائي وقال الحسن ليستفزونك معناه ليقتلونك (واذا لايلبثون خلافك الا قليلا) معناه انهم لو اخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زمانا قليلا ومدة يسيرة قيل وهي المدة بين خروج النبي ﷺ من مكة وقتلهم يوم بدر عن الضحاك وقيل انهم اخرجوه واهلكوا والمراد بقوله الا قليلا الا ناساً قليلا منهم يريد من اقلت منهم يوم بدر وآمنوا بعد ذلك (سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) معناه انهم لو اخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك كسنتنا فيمن قبلك قال سفيان بن عيينة يقول لم نرسل قبلك رسولا فأخرجه قومه الا اهلكوا فقد سننا هذه السنة فيمن ارسلنا قبلك اليهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) اي تبديلا ومعناه ما يتهيأ لأحد ان يقلب سنة الله ويبطلها والسنة هي العادة الجارية والصحيح ان المعنيين في الآية مشركو مكة وانهم لم يخرجوه

من مكة ولكنهم هموا بإخراجه كما في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الى قوله او يخرجوك ثم خرج ﷺ لما امر بالهجرة خوفا منهم وندموا على خروجه ولذلك ضمنوا الاموال في رده فلم يقدروا على ذلك ولو اخرجوه لاستوصلوا بالعذاب ولماتوا طراً

قوله تعالى (٧٨) أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (٧٩) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً (٨٠) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً (٨١) وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً أربع آيات

﴿ اللغة ﴾

الدلوك الزوال وقال المبرد دلوك الشمس من لدن زوالها الى غروبها وقيل هو الغروب واصله من الدلك فسمي الزوال دلوكا لأن الناظر اليها يدلك عينيه لشدة شعاعها وسمي الغروب دلوكا لأن الناظر يدلك عينيه ليتبينها قال ثعلب دلكت الشمس مالت وقال الزجاج يقال دلكت براح و براح اي مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها ان يكسر الشعاع عن بصره براحته قال الراجز

هــذا مقام قدمي رباح للشمس حتى دلكت براح

ورباح اسم ساقي الإبل ومن قال براح بفتح الباء جعلها اسماً للشمس مبنيا على فعال مثل قطام وحذام ومن روى براح بكسر الباء أراد براحته وقال الفراء اي قال بالراحة على العين لينظر هل غابت الشمس بعد وغسق الليل ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة اذا انفجرت فظهر مـا فيها والتهجد التيقظ والسهر بما ينفي النوم والهجود النوم وهو الأصل هجد يهجد نام وقد هجدته إذا نومته قال لبيد

قلت هجدنا وقد طال السرى وقدرنا ان خنا الدهر غفل

وقال آخر

الا طرقتنـا والرفاق هجود فباتت بعلات النـوال تجود

وقال الحطيئة

الا طرقت هند الهنود وصحبتي بحوران حوران الجنود هجود

قال المبرد التهجد السهر للصلاة او لذكر الله وقال علقمة التهجد يكون بعد نومة والنافلة والنفل الغنيمة قالـــ لبيد

ان تقوى ربنـا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل

أي وعجلي وعسى من الله واجبة وقد أنشد لابن مقبل في وجوبها

ظني بهم كعسى وهم بتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال

يريد كيقين والزهوق الهلاك والبطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الهلاك

﴿ الاعراب ﴾

قرآن الفجر منصوب على تقدير وأقم قرآن الفجر وانتصب قوله نافلة لك لأنه في موضع الحال .

المعنى

ثم امر سبحانه بعد اقامة البينات وذكر الوعد والوعيد وباقامة الصلاة فقال مخاطباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد هو وغيره (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) اختلف المفسرون في الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها وهو قول ابن عباس بخلاف وابن عمر وجابر وابي العالية والحسن والشعبي وعطا ومجاهد وقتادة والصلاة المأموز بها على هذا هي صلاة الظهر وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) ومعنى قوله لدلوك الشمس اي عند دلوكها وقال قوم دلوكها غروبها وهو قول النخعي والضحاك والسدي والصلاة المأمور بها على هذا هي المغرب وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس والقول الأول هو الاوجه لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس فصلاتا دلوك الشمس الظهر والعصر وصلاتا غسق الليل هما المغرب والعشاء الآخرة والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر فهذه خمس صلوات وهذا معنى قول الحسن واختاره الواحدي وغسق الليل هو أول بدء الليل عن ابن عباس وقتادة وقيل هو غروب الشمس عن مجاهد وقيل هو سواد الليل وظلمته عن الجبائي وقيل هو انتصاف الليل عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) واستدل قوم من اصحابنا بالآية على ان وقت صلاة الظهر موسع الى آخر النهار لأنه سبحانه أوجب إقامة الصلاة من وقت دلوكها الى غسق الليل وذلك يقتضي ان ما بينهما وقت ولم يرتضه الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال ان الدلوك هو الغروب فلا دلالة فيه عنده بل يقول اوجب سبحانه إقامة المغرب من عند الغروب الى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ومن قال الدلوك هو الزوال امكنه ان يقول ان المراد بالآية بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لابيان وقت صلاة واحدة وأقول انه يمكن الاستدلال بالآية على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال الى غسق الليل وقتا للصلوات الأربع إلا أن الظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال الى الغروب والمغرب والعشاء الآخرة اشتركا في الوقت من الغروب الى الغسق وافرد صلاة الفجر بالذكر في قوله (وقرآن الفجر) ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان اوقاتها ويؤيد ذلك ما رواه العياشي بالاسناد عن عبيد بن زرارة عن ابي عبد الله (ع) في هذه الآية قال ان الله افترض اربع صلوات أول وقتها من زوال الشمس إلى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتها من عند زوال الشمس الى غروبها الا ان هذه قبل هذه ومنها صلاتان أول وقتها من غروب الشمس الى انتصاف الليل إلا ان هذه قبل هذه والى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه في اوقات الصلوات وقال الزجاج ان في قوله وقرآن الفجر فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لاتكون إلا بقراءة لأن قوله أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر قد أمر فيه ان يقيم الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآنا فلا يكون صلاة إلا بقراءة (إن قرآن الفجر كان مشهودا) كلهم قالوا معناه ان صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفضل صلاة الجماعة صلاة احدكم وحده بخمسة وعشرين جزأ ويجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر اورده البخاري في الصحيح (ومن الليل فتهجد به) خطاب النبي صلى الله عليه وآله اي فصل بالقرآن عن ابن عباس ولا يكون التهجد إلا بعد النوم عن مجاهد والاسود وعلقمة واكثر المفسرين وقال بعضهم ما تنفلت به في كل الليل يسمى تهجدا والمتهجد الذي يلقي الهجود عن نفسه كما يقال المتحرج والمتأثم (نافلة لك) اي زيادة لك على الفرائض وذلك ان صلاة الليل كانت فريضة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكتوبة عليه ولم تكتب على غيره وكانت فضيلة لغيره عن ابن عباس وقيل كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية وقيل ان معناه فضيلة لك وكفارة لغيرك فإن كل انسان يخاف ان لا يقبل فرضه فيكون نفله كفارة والنبي لا يحتاج إلى كفارة عن مجاهد وقيل معناه نافلة لك ولغيرك وانما اختصه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير الى الاقتداء به والحث على الاستنان بسنته (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) عسى من الله واجبة والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه اي

يبعثك يوم القيامة بعثا انت محمود فيه ويجوز ان يجعل البعث بمعنى الإقامة كما يقال بعثت بعيري اي اثرته واقمته فيكون معناه يقيمك ربك مقاما محمودا يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع وقد اجمع المفسرون على ان المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس وهو المقام الذي يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون صلى الله عليه وآله وسلم أول شافع وأول مشفع (وقل) يا محمد (رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المدخل والمخرج هنا مصدر الادخال والاخراج فالتقدير ادخلني ادخال صدق واخرجني اخراج صدق وفي معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المعنى ادخلني في جميع ما أرسلتني به ادخال صدق واخرجني منه سالما اخراج صدق اي اعني على الوحي والرسالة عن مجاهد ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه ادخلني المدينة واخرجني منها الى مكة للفتح عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير ﴿ وثالثها ﴾ انه صلى الله عليه وآله وسلم أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر اوخرج من أمر والمراد ادخلني كل أمر مدخل صدق عن ابي مسلم ﴿ ورابعها ﴾ ان المعنى ادخلني القبر عند الموت مدخل صدق واخرجني منه عند البعث مخرج صدق عن عطية عن ابن عباس ومدخل الصدق ما تحمد عاقبته في الدنيا والدين وانما اضاف الادخال والاخراج اليه سبحانه وان كانا من فعل العبد لأنه سأله اللطف المقرب الى خير الدين والدنيا (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) اي اجعل لي عزا امتنع به ممن يحاول صدي عن إقامة فرائضك وقوة تنصرني بها على من عاداني فيك وقيل اجعل لي ملكا عزيزا اقهر به العصاة فنصر بالرعب حتى خافه العدو على مسيرة شهر وقيل حجة بينة أتقوى بها على سائر الاديان الباطلة عن مجاهد قال وسماه نصيرا لأنه تقع به النصرة على الاعداء فهو كالمعين (وقل) يا محمد (جاء الحق) اي ظهر الحق وهو الاسلام والدين (وزهق الباطل) اي وبطل الباطل وهو الشرك عن السدي وقيل الحق التوحيد وعبادة الله والباطل عبادة الأصنام عن مقاتل وقيل الحق القرآن والباطل الشيطان وزهق بطل واضمحل عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اورده البخاري في الصحيح قال الكلبي فجعل الصنم ينكب لوجهه اذ قال ذلك واهل مكة يقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد (إن الباطل كان زهوقا) اي مضمحلا ذاهبا هالكا لا ثبات له

قوله تعالى (٨٢) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٣) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان وناء بجانبه ممدودة مهموزة وفي حم مثله وقرأ حمزة إلا العجلي وابو بكر برواية حماد ويحيى وعياش وابو شعيب السوسي عن اليزيدي ونصير عن الكسائي نئي بفتح النون وكسر الهمزة وقرأ حمزة برواية العجلي وخلف والكسائي نِئي بكسر النون والهمزة وقرأ الباقون نأى بفتح النون والهمزة في وزن نعى

— الحجة —

قال ابو علي ناء مثل فاع وهو على القلب وتقديره فلع ومثله رأى وراء قال

فكل خليل راءني فهو قائل ... من اجلك هذا هامة اليوم اوغد

ومن امال الفتحتين فلأن الألف منقلبة من الياء التي في النأي فإذا أراد أن ينحونحوها امال فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة وقد قالوا رأيت عمادا فأمالوا الألف لإمالة الألف فكذلك امالوا الفتحة لإمالة الفتحة لأنهم يجرون الحركة مجرى الحرف في اشياء ومن فتح النون وكسر الهمزة فإنه لم يمل الفتحة الأولى لإمالة الفتحة الثانية كما لم يميلوا الألف لإمالة الألف في رأيت عمادا

= اللغة =

الشاكلة الطريقة والمذهب يقال هذا طريق ذو شواكل أي ينشعب منه طرق جماعة

❊ المعنى ❊

ثم اخبر سبحانه عن القرآن فقال (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ووجه الشفاء فيه من وجوه « منها » ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك « ومنها » ما فيه من النظم والتأليف والفصاحة البالغة حد الاعجاز الذي يدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو من هذه الجهة شفاء من الجهل والشك والعمى في الدين ويكون شفاء للقلوب « ومنها » انه يتبرك به وبقراءته ويستعان به على دفع العلل والاسقام ويدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار على ما تقتضيه الحكمة « ومنها » ما فيه من أدلة التوحيد والعدل وبيان الشرائع والأمثال والحكم وما في التعبد بتلاوته من الصلاح الذي يدعو إلى امثاله بالمشاركة التي بينه وبينه فهو شفاء للناس في دنياهم وآخرتهم ورحمة للمؤمنين أي نعمة لهم وخصهم بذلك لأنهم المنتفعون به (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) ومعناه انهم لا يزدادون عنده إلا خسارا يخسرون الثواب ويستحقون العقاب لكفرهم به وتركهم التدبر له والتفكر فيه وهذا كقوله فلم يزدهم دعائي إلا فرارا ويحتمل أن يريد ان القرآن يظهر خبث سرائرهم وما يأتمرون به من الكيد والمكر بالنبي صلى الله عليه وآله فيفتضحون بذلك (وإذا أنعمنا على الانسان اعرض) عن ذكرنا أي ولى كأنه لم يقبل علينا بالدعاء والابتهال (ونئا بجانبه) اي بعد بنفسه عن القيام بحقوق انعامنا فلا يشكره كما اعرض عن النعمة بالقرآن وقال مجاهد معناه تباعد منا وعلى هذا فيكون معناه تجبر وتكبر واعجب بنفسه لأن المعجب نافر عن الناس متباعد عنهم (وإذا مسه الشر كان يؤسا) معناه وإذا أصابه المحنة والشدة او الفقر لم يصبر وكان قنوطا من رجاء الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج والروح فيكون المراد بالآية خاصا وإن كان اللفظ عاما وسمى الأمراض والبلايا شرا لكونها شرا عند الكافر من حيث لا يرجو ثوابا ولا عوضا ولأن الطباع تنفر عنها وتكرهها وإلا فهي في الحقيقة صلاح وحكمة وصواب (قل) يا محمد لهم (كل يعمل على شاكلته) اي كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها عن ابن عباس وقيل على طريقته وسنته التي اعتادها عن الفراء والزجاج وقيل على ما هو اشكل بالصواب وأولى بالحق عنده عن الجبائي قال ولهذا قال (فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلا) اي انه يعلم اي الفريقين على الهدى وايهما على الضلالة وقيل معناه انه اعلم بمن هو اصوب دينا واحسن طريقا وقال بعض ارباب اللسان هذه الآية ارجى آية في كتاب الله لأن الأليق بكرمه سبحانه وجوده العفو عن عباده فهو يعمل به

قوله تعالى (٨٥) وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٦) وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٧) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٨) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ

فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الظهير المعين وهو المظاهر وأصله من الظهر كأن كل واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتقوى به والتصريف تصيير الشيء دائرا في الجهات وكذلك تصريف الكلام هو تصييره دائرا في المعاني المختلفة

﴿ الإعراب ﴾

إلا رحمة من ربك الرحمة استثناء من الأول والمعنى ولكن الله تعالى رحمك فأثبت ذلك في قلبك لايأتون مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب ان واللام في لئن موطئة للقسم دالة عليه والتقدير فوالله لا يأتون بمثله ومثله قول كثير

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وامكنني منها إذاً لا اقيلها

— المعنى —

ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ويسئلونك) يا محمد (عن الروح) اختلف في الروح المسؤول عنه على اقوال ﴿احدها﴾ انهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الانسان ما هو ولم يجبهم وسأله عن ذلك قوم من اليهود عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة واختاره الجبائي وعلى هذا فإنما عدل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جوابهم لعلمه بأن ذلك ادعى لهم إلى الصلاح في الدين ولأنهم كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين فلو صدر الجواب لازدادوا عنادا وقد قيل ان اليهود قالت لكفار القريش سلوا محمدا عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فإنا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالعدول عن جوابهم وان يكلهم في معرفة الروح الى ما في عقولهم ليكون ذلك علما على صدقه ودلالة انبوته ﴿وثانيها﴾ انهم سألوا عن الروح أهي مخلوقة محدثة أم ليست كذلك فقال سبحانه (قل الروح من امر ربي) اي من فعله وخلقه وكان هذا جوابا لهم عما سألوه عنه بعينه وعلى هذا فيجوز أن يكون الروح الذي سألوا عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس وغيره أم جبرئيل «ع» على قول الحسن وقتادة ام ملك من الملائكة له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان يسبح الله بجميع ذلك على ما روي عن علي «ع» ام عيسى «ع» فإنه قد سمي بالروح ﴿وثالثها﴾ ان المشركين سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك او كيف صار معجزا وكيف صار نظمه وترتيبه مخالفا لأنواع كلامنا من الخطب والاشعار وقد سمى الله تعالى القرآن روحا في قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا فقال سبحانه قل يا محمد ان الروح الذي هو القرآن من امر ربي أنزله دلالة على دلالة نبوتي وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وعلى هذا فقد وقع الجواب ايضا موقعه واما على القول الأول فيكون معنى قوله الروح من امر ربي هو من الأمر الذي يعلمه ربي ولم يطلع عليه احد واختلف العلماء في ماهية الروح فقيل انه جسم رقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان وهو مذهب اكثر المتكلمين واختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وقيل جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة عن علي بن عيسى قال فلكل حيوان روح وبدن إلا ان منه من الأغلب عليه الروح ومنه من الأغلب عليه البدن وقيل ان الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو الحياة التي يتهيأ به المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار وهو مذهب الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان «ره» والبلخي وجماعة من المعتزلة البغداديين وقيل هو معنى في القلب عن الاسواري وقيل ان الروح الانسان وهو الحي المكلف عن ابن الاخشيد والنظام وقال بعض العلماء ان الله تعالى خلق الروح من ستة اشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو ألا ترى انه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين ويسمع

بالأذنين ويكون طيبا فإذا خرج من الجسد نتن الجسد ويكون باقيا فإذا فارقه الروح بلي وفني ويكون حياً وبخروجه يصير ميتا ويكون عالما فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا ويكون علويا لطيفا توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين واجسامهم قدبليت في التراب وقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قيل هو خطاب للنبي ﷺ وغيره إذا لم يبين له الروح ومعناه وما أوتيتم من العلم المنصوص عليه إلا قليلا أي شيئا يسيرا لأن غير المنصوص عليه اكثر فإن معلومات الله تعالى لا نهاية لها وقيل خطاب لليهود الذين سألوه فقالت له اليهود عند ذلك كيف وقد اعطانا الله التوراة فقال التوراة في علم الله قليل ثم قال سبحانه (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) يعني القرآن ومعناه اني اقدر ان آخذ ما اعطيتك كما منعت غيرك ولكني دبرتك بالرحمة لك فأعطيتك ما تحتاج اليه ومنعتك ما لا تحتاج الى النص عليه وانتوهم قوم انه مما تحتاج اليه فتدبر أنت بتدبير ربك وارض بما اختاره لك (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلا يستوفي ذلك منا وقيل معناه ولو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدرك وصدر أمتك حتى لا يوجد له أثر ثم لا تجد له حفيظا يحفظه عليك ويحفظ ذكره على قلبك عن الحسن وابي مسلم والأصم قالوا وفي هذا دلالة على ان السؤال وقع عن القرآن (إلا رحمة من ربك) معناه لكن رحمة من الله ربك لك اعطاك ما اعطاك من العلوم ومنعك مامنعك منها وأثبت القرآن في قلبك وقلوب المؤمنين (إن فضله كان) فيما مضى وفيما يستقبل (عليك كبيرا) عظيما اذ اختارك للنبوة وخصك بالقرآن فقابله بالشكر وقال ابن عباس يريد حيث جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود ثم احتج سبحانه على المشركين باعجاز القرآن فقال (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متعاضدين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه على الوجوه التي هو عليها من كونه في الطبقة العليا من البلاغة والدرجة القصوى من حسن النظم وجودة المعاني وتهذيب العبارة والخلو من التناقض واللفظ المسخوط والمعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت لعجزوا عن ذلك ولم يأتوا بمثله (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي معينا على ذلك مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه عن ابن عباس وفي هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال ابو مسلم وفي هذا ايضا دلالة على ان السؤال بالروح وقع عن القرآن لأنه من تمام ما أمر الله نبيه ﷺ أن يجيبهم به (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) معناه ولقد بينا لهم في هذا القرآن من كل ما يحتاج اليه من الدلائل والأمثال والعبر والأحكام وما يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم ليتفكروا فيها (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) اي جحودا للحق والمثل قد يكون الشيء بعينه وقد يكون صفة للشيء وقد يكون شبهه

قوله تعالى (٩٠) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩١) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩٢) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٣) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٥) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة ويعقوب حتى تفجر لنا بفتح التاء وضم الجيم والباقون تفجر بضم التاء وتشديد الجيم وقرأ ابو جعفر وابن عامر كسفا بفتح السين هاهنا وفي سائر القرآن كسفا ساكنة السين وقرأ حفص بالفتح في جميع القرآن إلا في الطور وقرأ اهل العراق وابن كثير بالسكون في جميع القرآن إلا في الروم ولم يقرأ في الروم بسكون السين إلا ابو جعفر وابن عامر وابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي والباقون قل على الأمر

—(الحجة)—

من قرأ تفجر بالتشديد فلأنهم ارادوا كثرة الانفجار من الينبوع وهو وإن كان واحدا فلتكثير الانفجار منه حسن ان يقال بتكرير العين كما يقال ضرب زيد إذا كثر منه فعل الضرب ومن قرأ تفجر فلأن الينبوع واحد فلا يكون كقوله فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا لأن فجرت الأنهار مثل غلقت الأبواب فلذلك اتفق الجميع على التثقيل فيه والكسف القطع واحدتها كسفة ومن سكنه جاز ان يريد الجمع مثل سدرة وسدر قال ابو زيد كسفت الثوب اكسفه كسفا إذا قطعته قال ابو علي إذا كان المصدر الكسف فالكسف الشيء المقطوع كالطحن والطحن والسقي والسقي ونحو ذلك فجاز ان يكون قوله او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بمعنى ذات كسف وذلك ان اسقط لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فوجب ان ينتصب كسفا على الحال ذا الحال في المعنى وإذا كان كذلك وجب ان يكون الكسف هو السماء فيصير المعنى او تسقط السماء علينا مقطعة او قطعا ومن قرأ قال سبحان ربي فالوجه فيه ان الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحان ربي ومن قرأ قل فهو على الأمر له بأن يقول ذلك

﴿ اللغة ﴾

التفجير التشقيق عما يجري من ماء او ضياء ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود ومنه الفجور لأنه خروج إلى الفساد يشقق به عمود الحق والينبوع يفعول من نبع الماء ينبع فهو نابع إذا فار والقبيل الكفيل من قبلت به اقبل قبالة أي كفلت وتقبل فلان بالشيء إذا تكفل به قال الزجاج وجائز أن يكون المعنى تأتي بهم حتى نراهم مقابلة اي معاينة وانشد غيره

نصالحكم حتى تبوء بمثلها ... كصرحة حبلي اسلمتها قبيلها

أي قابلتها التي هي مقابلتها والعرب تجريه في هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وأصل الزخرف من الزخرفة وهي الزينة وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته ولا شيء في تحسين بيت وتزيينه وزخرفته كالذهب ويقال في الصعود رقيت ارقى رقيا وفيما تداويه بالرقية رقيت ارقى رقية ورقيا

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس ان جماعة من قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو سفيان بن حرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك فبادر صلى الله عليه وآله وسلم اليهم ظنا منه انهم بدا لهم في أمره وكان حريصا على رشدهم فجلس اليهم فقالوا يا محمد انا دعوناك لنعذر اليك فلا نعلم احدا ادخل على قومه ما ادخلت على قومك شتمت الآلهة وعبت الدين وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالا اعطيناك وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك الأطباء فقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس شيء من ذلك بل بعثني الله اليكم رسولا وأنزل كتابا فإن قبلتم ما جئت به فهو

حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه اصبر حتى يحكم الله بيننا قالوا فإذن ليس احد اضيق بلدا منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا انهارا كأنهار الشام والعراق وأن يبعث لنا من مضى وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنسألهم عما تقول أحق ام باطل فقال ﷺ ما بهذا بعثت قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ويجعل لنا جنات وكنوزا وقصورا من ذهب فقال ﷺ ما بهذا بعثت وقد جئتكم بما بعثني الله به فإن قبلتم و إلا فهو يحكم بيني وبينكم قالوا فاسقط علينا السماء كما زعمت ان ربك إن شاء فعل ذلك قال ذاك الى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فقام النبي ﷺ وقام معه عبد الله بن ابي أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سألوك لأنفسهم أمورا فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل فوالله لا أؤمن بك ابدا حتى تتخذ سلما الى السماء ثم ترقى فيه وانا انظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال ابو جهل انه أبى إلا سب الآلهة وشتم الآباء وانا أعاهد الله لأحملن حجرا فإذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله ﷺ حزينا لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات

— المعنى —

لما بين سبحانه فيما تقدم اعجاز القرآن عقب ذلك البيان بأنهم ابوا الا الكفر والطغيان واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال (وقالوا لن نؤمن لك) اي لن نصدقك فيما تدعي من النبوة (حتى تفجر لنا من الارض) أي تشقق لنا من ارض مكة فإنها قليلة الماء (ينبوعا) اي عينا ينبع منه الماء في وسط مكة (او تكون لك جنة) وهي ما تجنه الاشجار اي تستره (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار) من الماء (خلالها) اي وسطها (تفجيرا) أي تشقيقا حتى يجري الماء تحت الاشجار (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) اي قطعا قد تركب بعضها على بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقوله كما زعمت معناه كما خوفتنا به من انشقاق السماء وانفطارها وقيل معناه كما زعمت انك نبي تأتي بالمعجزات (او تأتي بالله والملائكة قبيلا) اي كفيلا ومعناه تأتي بكل واحد حتى يكون كفيلا ضامنا لنا بما تقول عن ابن عباس والضحاك وقيل هو جمع القبيلة اي تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة عن مجاهد وقيل معناه مقابلين لنا كالشيء يقابل الشيء حتى نشاهدهم قبيلا اي مقابلة نعاينهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق عن الجبائي وقتادة وهذا يدل على ان القوم كانوا مشبهة مع شركهم (او يكون لك بيت من زخرف) اي من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الزخرف النقوش عن الحسن (او ترقى في السماء) اي تصعد (ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) اي ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتابا من الله شاهدا بصحة نبوتك نقرؤه وهو مثل قوله بل يريد كل امرء منهم ان يؤتى صحفا منشرة (قل سبحان ربي) اي تنزيها له من كل قبيح وبراءة له من كل سوء وفي ذلك من الجواب انكم تتخيرون الآيات وهي الى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير الفاعل لما توجبه المصلحة فلا وجه لطلبكم إياها مني وقيل معناه تعظيما له عن ان يحكم عليه عبيده لأن له الطاعة عليهم وقيل انهم لما قالوا تأتي بالله وترقى في السماء الى الله لاعتقادهم ان الله تعالى جسم قال قل سبحان ربي عن كونه بصفة الاجسام حتى تجوز عليه المقابلة والنزول وقيل معناه تنزيها له عن ان يفعل المعجزات تابعا للاقتراحات (هل كنت إلا بشرا رسولا) معناه ان هذه الاشياء ليس في طاقة البشر ان يأتي بها وان يفعلها فلا اقدر بنفسي ان آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل والله تعالى انما يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة وقد فعل فلا تطالبوني بما لا يطالب به البشر (وما منع الناس ان يؤمنوا) اي وما صرف المشركين عن الايمان اي التصديق بالله وبرسوله (إذ جاءهم الهدى) اي حين أتاهم الحجج والبينات (إلا ان قالوا) اي الاقولهم (ابعث الله بشرا رسولا) دخلت عليهم الشبهة في انه لا يجوز ان يبعث الله رسولا الا من

الملائكة كما دخلت عليهم الشبهة في ان عبادتهم لا تصلح لله فوجهوها إلى الأصنام فعظموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم وإنما ذكر سبحانه هنا لفظ المنع مبالغة في وصف الصرف وإلا فالمنع يستحيل معه الفعل فلا يجوز أن يكون مراداً هنا ولكن شبه الصرف بالمنع (قل) يا محمد (لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أي ساكنين قاطنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) منهم عن الحسن وقيل معناه مطمئنين إلى الدنيا ولذاتها غير خائفين ولا متعبدين بشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الجبائي وقيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكة لبعثنا اليهم ملكا ليكونوا إلى الفهم اليه أسرع عن ابي مسلم وقيل ان العرب قالوا كنا ساكنين مطمئنين فجاء محمد فأزعجنا وشوش علينا أمرنا فبين سبحانه انهم لو كانوا ملائكة مطمئنين لأوجبت الحكمة إرسال الرسل اليهم فكذلك كون الناس مطمئنين لا يمنع من إرسال الرسول اليهم إذ هم أحوج اليه من الملائكة فكيف انكروا ارسال الرسول اليهم مع كونهم مطمئنين «سؤال» قالوا إذا جاز ان يكون الرسول إلى النبي ملكا ليس من جنسه فألا جاز ان يكون الرسول إلى الناس أيضاً ملكا ليس من جنسهم وجوابه ان صاحب المعجزة قد اختير للنبوة فصارت حاله مقاربة لحال الملك وليس كذلك غيره من الأمة لأنه يجوز ان يرى الملائكة كما يرى بعضهم بعضاً بخلاف الأمة وأيضاً فإن النبي يحتاج إلى معجزة تعرف بها رسالة نفسه كما احتاجت اليه الأمة فجعل الله المعجزة رؤيته الملك

قوله تعالى (٩٦) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (٩٧) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً (٩٨) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٩٩) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً (١٠٠) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الخبو سكون النار عن الالتهاب يقال خبت النار تخبو قال عدي بن زيد:

وسطه كاليراع او سرج المجدل حينا يخبو وحينا ينير

وقال آخر

وكنا كالحريق اصاب غابا فيخبو ساعة وينير ساعا

والقتر التضييق والقتور فعول منه للمبالغة ويقال قتر يقتر وتقتر واقتر وقتر إذا قدر في النفقة

﴿ الاعراب ﴾

كفى بالله المفعول محذوف وهو الكاف والباء زيادة وشهيداً تمييز والتقدير كفاك الله من جملة الشهداء من يهدي الله ومن يضلل كلاهما شرط ووحد الضمير المتصل بيهدي وبضلل على اللفظ ثم قال فلن تجد لهم أولياء ونحشرهم الخ فجمع الضمير في كل ذلك على المعنى وقوله كلما خبت زدناهم سعيراً الجملة في موضع الحال من جهنم لأن جهنم توضع موضع متلظ ومتسعر ولولا ذلك لم يجز مجيء الحال عنها ويجوز ان تكون الجملة لا محل

لها من الاعراب ويكون في تقدير العاطفة والتقدير وكلما خبت فحذف الواو ·على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره مجرورين على وجوههم وقوله لو انتم تملكون ·أنتم مرفوع بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر الذي هو قوله تملكون لأن لو يقع بها الشيء لوقوع غيره فلا يليها إلا الفعل وإذا وليها اسم عمل فيه فعل مضمر قال

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار إلى بني العوام

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) اني رسول الله اليكم وقد مر معناه في سورة الرعد (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) لا يخفى عليه من احوالهم شيء والمراد به تأكيد الوعيد (ومن يهدي الله فهو المهتد) أي من يحكم الله بهداه فهو المهتد بإخلاصه وطاعته على الحقيقة (ومن يضلل) أي ومن يحكم بضلاله (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي لن تجد لهم أنصارا يقدرون على إزالة اسم الضلال عنهم وقد ذكرنا وجوه الهدى والضلال في سورة البقرة (ونحشرهم) أي نجمعهم (يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون على وجوههم إلى النار وكما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في اهانته وتعذيبه وروى انس بن مالك ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيح (عميا وبكما وصما) قيل المعنى عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بما ينفعهم صما عما يمتعهم عن ابن عباس أي كأنهم عدموا هذه الجوارح وقيل يحشرون على هذه الصفة عميا كما عموا عن الحق في دار الدنيا بكما جزاء على سكوتهم عن كلمة الاخلاص وصما لتركهم سماع الحق واصغائهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل يحشرون كذلك ثم يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون عن الحسن (مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً) أي مستقرهم جهنم كلما سكن التهابها زدناهم اشتعالا فيكون كذلك دائماً ومتى قيل كيف يبقى الحي حياً في تلك الحالة من الاحتراق دائماً قلنا ان الله تعالى قادر على ان يمنع وصول النار إلى مقاتلهم (ذلك) اي ذلك الذي تقدم ذكره من العقاب (جزاؤهم) استحقوه (بأنهم كذبوا) كذا في النسخ والصواب كفروا (بآياتنا) أي تكذيبهم بآيات الله (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتا) مثل التراب مترضضين (أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً) مر معناه في هذه السورة (أولم يروا) أي أولم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والأرض قادر على ان يخلق مثلهم) لأن القادر على الشيء قادر على امثاله إذا كان له مثل اوأمثال في الجنس وإذا كان قادراً على خلق أمثالهم كان قادراً على إعادتهم إذ الإعادة أهون من الإنشاء في الشاهد وقيل أراد قادر على ان يخلقهم ثانياً وأراد بمثلهم إياهم وذلك ان مثل الشيء ومساويه في حالته فجاز ان يعبر به عن الشيء نفسه يقال مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تفعله ونحوه ليس كمثله شيء وتم الكلام ههنا ثم قال سبحانه (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) أي وجعل لإعادتهم وقتا لا شك فيه انه كائن لا محالة وقيل معناه وضرب لهم مدة ليتفكروا ويعلموا فيها ان من قدر على الابتداء قدر على الإعادة وقيل وجعل لهم أجلا يعيشون اليه ويخترمون عنده لا شك فيه (فأبى الظالمون) لنفوسهم الباخسون حقها بفعل المعاصي إلا كفوراً أي جحوداً بآيات الله ونعمه وفي الآية دلالة على ان القادر على الشيء يجب ان يكون قادراً على جنس مثله إذا كان له مثل وعلى انه يجب ان يكون قادراً على ضده لأن منزلته في المقدور منزلة مثله وفيه دلالة أيضاً على انه يقدر على إعادته إذا كان مما يبقى وتصح عليه الإعادة ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي لو ملكتم خزائن أرزاق الله وقيل لو ملكتم مقدورات ربي أي ما يقدر عليه ربي من النعم إذ لا يكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمة ثم يخرج منه كما يكون للعباد ورحمته نعمته (إذا لأمسكتم) شحاً وبخلا (خشية الإنفاق)

أي خشية الفقر والفاقة عن ابن عباس وقتادة وقيل خشية أن تنفقوا فتفتقروا عن السدي والمعنى لأمسكتم عن الانفاق خشية الفقر للانفاق (وكان الإنسان قتوراً) أي بخيلا عن ابن عباس وقتادة وهذا جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ويقال نفقت نفقات القوم إذا نفدت وأنفقها صاحبها أي أنفدها حتى افتقر وظاهر قوله وكان الإنسان قتوراً العموم وقد علمنا ان في الناس الجواد والوجه فيه أحد أمرين وهو أن يكون الأغلب عليهم من ليس بجواد فجاز الاطلاق تغليباً للأكثر وأيضاً فإن ما يعطيه الإنسان وان عد جواداً بخل في جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطي ما يفضل عن حاجته ويمسك ما يحتاج اليه والله سبحانه لا تجوز عليه الحاجة فيفيض من النعم على المطيع والعاصي إفاضة من لا يخاف الحاجة

قوله تعالى (١٠١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً (١٠٢) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (١٠٣) فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (١٠٤) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً (١٠٥) وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً

خمس آيات

القراءة

قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم التاء والباقون بفتحها

الحجة

قال أبو علي حجة من فتح ان فرعون ومن كان يتبعه قد علموا صحة أمر موسى بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ومن قال لقد علمت إذا قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه وعلمه لا يكون حجة على فرعون وإنما يكون علم فرعون بما علم من صحة أمر موسى حجة عليه فالقول انه لما قيل له ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون كان ذلك قدحاً في علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه نفى ذلك فقال لقد علمت صحة ما أتيت به وانه ليس بسحر علما صحيحاً كعلم العقلاء فصيّر العقل حجة عليه من هذا الوجه وزعموا ان هذه القراءة رويت عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع»

اللغة

الثبور الهلاك ثبره الله يثبره ويثبره لغتان ورجل مثبور محبوس عن الخيرات قال

إذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن قال مثله مثبور

وتقول العرب ماثبرك عن هذا الأمر أي ماصرفك عنه وما منعك منه ولفيف مصدر قولك لففت الشيء أي جمعته يقال لففته لفاً ولفيفاً ومن ذلك قولهم لففت الجيوش ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع قال الزجاج اللفيف الجماعات من قبائل شتى

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة موسى «ع» فقال (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي ولقد أعطينا موسى تسع دلالات وحجج واضحات واختلف في هذه الآيات التسع فقيل هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم عن ابن عباس والضحاك وقيل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر

والعصا والطمسة والحجر عن محمد بن كعب وعن ابي علي الجبائي أيضاً إلا انه ذكر بدل الطمسة اليد وعن قتادة ومجاهد وعكرمة وعطا كذلك إلا انهم ذكروا بدل البحر والطمسة والحجر اليد والسنين ونقص من الثمرات والطمسة هي دعاء موسى وتأمين هارون وقال الحسن مثل ذلك إلا انه جعل الأخذ بالسنين ونقص من الثمرات آية واحدة وجعل التاسعة تلقف العصا ما يأفكون وقيل انها تسع آيات في الاحكام روى عبد الله ابن سلمة عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي قال فأتى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فسأله عن هذه الآية فقال هو أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت فقبل يده وقال أشهد انك نبي (فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) هذا أمر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يسأل بني إسرائيل لتكون الحجة عليهم أبلغ وقيل ان المعنى فاسأل أيها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجة إلى الرجوع إلى أهل الكتاب وقيل ان معنى السؤال أن تنظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل عن الحسن وروي عن ابن عباس انه قرأ فسأل بني إسرائيل بمعنى فسأل موسى فرعون بني اسرائيل أن يرسلهم (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً) أي معطي علم السحر فهذه العجائب التي فعلتها من سحرك وقيل معناه إني لأظنك ساحراً فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال مشؤوم وميمون في معنى شائم ويامن وقيل معناه إنك سحرت فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر الذي بك وقيل مسحوراً أي مخدوعاً عن ابن عباس (قال) موسى (لقد علمت) أنت يا فرعون (ما أنزل) هذه الآيات (إلا رب السموات والأرض) الذي خلقهن (بصائر) أي أنزلها حججاً وبراهين للناس يبصرون بها أمور دينهم وقيل أدلة على نبوتي لأنك تعلم انها ليست من السحر وروي ان علياً (ع) قال في علمت والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال لقد علمت (واني لأظنك يا فرعون مثبوراً) معناه وإني لاعلمك يا فرعون هالكاً لكفرك وانكارك عن قتادة والحسن وقيل أعلمك ملعونا عن ابن عباس وقيل مخبولا لا عقل لك عن ابن زيد وقيل بعيداً عن الخير مصروفاً عنه عن الفراء وقيل المراد به الظن على الظاهر لأن الهلاك يكون بشرط الاصرار ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله (فأراد أن يستفزهم من الأرض) معناه فأراد فرعون ان يزعج موسى ومن معه من ارض مصر وفلسطين والاردن بالنفي عنها وقيل بأن يقتلهم (فأغرقناه ومن معه) من جنوده (جميعاً) لم ينج منهم أحد ولم يهلك من بني إسرائيل أحد (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون وقومه (لبني إسرائيل اسكنوا الأرض) أي أرض مصر والشام (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني يوم القيامة عن اكثر المفسرين أي وعد الكرة الآخرة وقيل أراد نزول عيسى عن الكلبي وقتادة (جئنا بكم لفيفاً) معناه جئنا بكم من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء مختلطين التف بعضكم ببعض لا تتعارفون ولا ينحاز أحدمنكم إلى قبيلته وقيل لفيفاً أي جميعاً أولكم وآخركم عن ابن عباس ومجاهد (وبالحق أنزلناه) معناه وبالحق أنزلنا القرآن عليك (وبالحق نزل) القرآن وتأويله أردنا بانزال القرآن الحق والصواب وهو ان يؤمن به ويعمل بما فيه ونزل بالحق لأنه يتضمن الحق ويدعو إلى الحق وقال البلخي يجوز ان يكون المراد أنزلنا موسى فيكون كقوله وأنزلنا الحديد ويجوز ان يكون المراد وانزلنا الآيات اي وأنزلنا ذلك كما قال ابو عبيدة انشدني رؤبة

فيه خطوط من سواد بلق كأنه في العين توليع البهق

فقلت له ان أردت الخطوط فقل كأنها وإن اردت السواد والبياض فقل كأنهما قال فقال لي كان ذلك وتلك (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) مبشراً بالجنة لمن اطاع ومنذراً بالنار لمن عصى

قوله تعالى (١٠٦) وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً (١٠٧) قُلْ

آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً (١٠٨) ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً (١٠٩) ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً (١١٠) قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً (١١١) وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً

ست آيات

القراءة

القراءة المشهورة في فرقناه بالتخفيف وروي عن علي «ع» وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب والشعبي والحسن بخلاف وقتادة وعمرو بن فائد فرقناه بالتشديد

الحجة

معنى فرقناه فصلناه ونزلناه آية آية وسورة سورة ويدل عليه قوله على مكث والمكث والمكث لغتان

الإعراب

قرآناً منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر أي وفرقنا قرآناً فرقناه وجاء بالنصب ولم يأت فيه الرفع لأن صدره فعل وفاعل وهو قوله وبالحق انزلناه. على مكث في موضع نصب على الحال اي متمهلاً متوقفاً غير مستعجل يخرون للأذقان في موضع رفع بكونه خبر ان وسجداً نصب على الحال ان كان وعد ربنا ان هذه مخففة من الثقيلة وهي واللام دخلتا للتأكيد. اياما تدعو تدعو مجزوم بالشرط الذي يتضمنه اي علامة الجزم فيه سقوط النون وما مزيدة مؤكدة للشرط واياً منصوب بتدعو

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وقرآناً فرقناه) اي وانزلنا عليك يا محمد قرآناً فصلناه سوراً وآيات عن ابي مسلم وقيل معناه فرقنا به الحق عن الباطل عن الحسن وقيل معناه جعلنا بعضه خبراً وبعضه امراً وبعضه نهياً وبعضه وعداً وبعضه وعيداً وانزلناه متفرقاً لم تنزله جميعاً إذ كان بين اوله وآخره نيف وعشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) اي على تثبت وتؤدة فترتله ليكون امكن في قلوبهم ويكونوا اقدر على التأمل والتفكر فيه ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لتقرأه عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء (ونزلناه تنزيلاً) على حسب الحاجة ووقوع الحوادث وروي عن ابن عباس انه قال لئن اقرأ سورة البقرة وارتلها احب الي من ان اقرأ القرآن هذا وعن عبد الله بن مسعود انه قال لا تقرأوا القرآن في اقل من ثلاث واقرأوا في سبع (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (آمنوا به) اي بالقرآن (او لا تؤمنوا) فإن ايمانكم ينفعكم ولا ينفع غيركم وترككم الإيمان يضركم ولا يضر غيركم وهذا تهديد لهم وهو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا (إن الذين اوتوا العلم من قبله) اي اعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام وغيره فعلموا صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه عن ابن عباس وقيل انهم اهل العلم من اهل الكتاب وغيرهم وقيل انهم امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن (إذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) اي يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس وقتادة وإنما خص الذقن لأن من سجد كان اقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه والذقن مجمع اللحيين (ويقولون سبحان

ربنا) اي تنزيها لربنا عز اسمه عما يضيف اليه المشركون (إن كان وعد ربنا لمفعولا) إنه كان وعد ربنا مفعولا حقا يقينا ولم يكن وعد ربنا إلا كائناً (ويخرون للاذقان يبكون) اي ويسجدون باكين اشفاقا من التقصير في العبادة وشوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب (ويزيدهم) ما في القرآن من المواعظ (خشوعا) اي تواضعاً لله تعالى واستسلاما لأمر الله وطاعته ثم قال سبحانه (قل) يامحمد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك (ادعوا الله او ادعوا الرحمن) وذكر في سببه اقوال احدها ان النبي ﷺ كان ساجدا ذات ليلة بمكة يدعو يارحمن يارحيم فقال المشركون هذا يزعم ان له إلها واحدا وهو يدعو مثنى مثنى عن ابن عباس وثانيها ان المشركين قالوا اما الرحيم فنعرفه واما الرحمن فلانعرفه عن ميمون بن مهران وثالثها أن اليهود قالوا إن ذكر الرحمن في القرآن قليل وهو في التوراة كثير عن الضحاك (اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) معناه اي اسمائه تدعو وما هاهنا صلة كقوله عماقليل ليصبحن نادمين وقيل هي بمعنى اي شيء كررت مع اي لاختلاف اللفظين توكيدا كما قالوا ما رأيت كالليلة ليلة وتقديره اي شيء من اسمائه تدعونه به كان جائزا فإن معنى اوفي قوله او ادعوا الرحمن الإباحة اي ان دعوتم باحدهما كان جائزا وان دعوتم بهما كان جائزا فله الاسماء الحسنى فإن اسماءه تنبئ عن صفات حسنة وافعال حسنة فأما اسماؤه المنبئة عن صفات ذاته فهو القادر العالم الحي السميع البصير القديم وأما اسماؤه المنبئة عن صفات افعاله الحسنة فنحو الخالق والرازق والعدل والمحسن والمجمل والمنعم والرحمن والرحيم واما ما أنبأ عن المعاني الحسنة فنحو الصمد فإنه يرجع إلى افعال عباده وهو انهم يصمدونه في الحوائج ونحو المعبود والمشكور بين سبحانه في هذه الآية انه شيء واحد وان اختلفت اسماؤه وصفاته وفي الآية دلالة على ان الاسم عين المسمى وعلى ان تقديم اسمائه الحسنى قبل الدعاء والمسألة مندوب اليه مستحب وفيها ايضا دلالة على انه سبحانه لا يفعل القبائح مثل الظلم وغيره لأن اسماءه حينئذ لا تكون حسنة فإن الاسماء قد تكون مشتقة من الافعال فلو فعل الظلم لاشتق منه اسم الظالم كما اشتق من العدل العادل وقوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) اختلف في معناه على اقوال احدها ان معناه لا تجهر باشاعة صلاتك عند من يؤذيك ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك عن الحسن وروي أن النبي ﷺ كان إذا صلى فجهر في صلاته تسمع له المشركون فشتموه وآذوه فأمره سبحانه بترك الجهر وكان ذلك بمكة في اول الأمر وبه قال سعيد بن جبير وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» وثانيها ان معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافت بها ولكن بين ذلك فالمراد بالصلاة الدعاء عن مجاهد وعطا ومكحول ونحوه روي عن ابن عباس وثالثها ان معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها (وابتغ بين ذلك سبيلا) بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار عن ابي مسلم ورابعها لا تجهر جهرا يشغل به من يصلي بقربك ولا تخافت بها حتى لا تسمع نفسك عن الجبائي وقريب منه ما رواه اصحابنا عن ابي عبد الله «ع» انه قال الجهر بها رفع الصوت شديدا والمخافتة مالم تسمع اذنيك واقرأ قراءة وسطا ما بين ذلك وابتغ بين ذلك سبيلا اي بين الجهر والمخافتة ولم يقل بين ذينك لانه اراد به الفعل فهو مثل قوله عوان بين ذلك (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) فيكون مربوبا لا ربا لأن رب الارباب لا يجوز ان يكون له ولد (ولم يكن له شريك في الملك) فيكون عاجزا محتاجا إلى غيره ليعينه ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة (ولم يكن له ولي من الذل) اي لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه لأن ذلك من صفة الضعيف العاجز ولا يجوز ان يكون الإله بهذه الصفة قال مجاهد لم يذل فيحتاج إلى من يتعزز به يعني انه القادر بنفسه وكل ما عبد من دونه فهو ذليل مقهور وقيل معناه ليس له ولي من اهل الذل لأن الكافر والفاسق لا يكون ولياً لله (وكبره تكبيرا) اي عظمه تعظيما لا يساويه تعظيما ولا يقاربه وروي ان النبي ﷺ كان يعلم اهله هذه الآية وما قبلها عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل ان في هذه الآية ردا على اليهود والنصارى حين قالوا اتخذ الله الولد وعلى مشركي العرب حيث قالوا لبيك لا شريك لك

إلا شريكا هو لك وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا لولا اولياء الله لذل الله عن محمد بن كعب القرظي ﴿ سؤال ﴾ قالوا كيف يحمد سبحانه ان لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك والحمد انما يستحق على فعل له صفة التفضل ﴿ والجواب ﴾ انه ليس له الحمد في الآية على انه لم يفعل وإنما الحمد له سبحانه على أفعاله المحمودة وتوجه الحمد إلى من هذه صفته كما يقال أنا أشكر فلاناً الجميل ولا نشكره على جماله بل على أفعاله

(سورة الكهف)

مكية قال ابن عباس إلا آية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فإنها نزلت بالمدينة في قصة عيينة بن حصن الفزاري

﴿ عدد آيها ﴾

مائة واحدى عشرة آية بصري وعشر كوفي وست شامي وخمس حجازي

﴿ اختلافها ﴾

إحدى عشرة آية فزدناهم هدى غير الشامي إلا قليل مدني الاخير إني فاعل ذلك غدا غير الاخير ذرعاً ومن كل شيء سبباً عراقي شامي والاخير هذه أبداً غير شامي والاخير عندها قوماً غير الكوفي والاخير فاتبع سبباً الثلاث عراقي بالأخسرين أعمالاً عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة فإن خرج الدجال في تلك الثمانيه الأيام عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ الآية التي في آخرها قل إنما أنا بشر مثلكم الآية حين يأخذ مضجعه كان له في مضجعه نور يتلألأ إلى الكعبة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فإن كان في مكة فتلاها كان له نوراً يتلألأ إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ • سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظا لم تضره فتنة الدجال ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة وعن النبي ﷺ قال الا أدلكم على سورة شيعها سبعون الف ملك حين نزلت ملأت عظمتها مابين السماء والأرض قالوا بلى قال سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام واعطي نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال وروى الواقدي باسناده عن ابي الدرداء عن النبي ﷺ قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره ومن حفظ خواتيم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة وروى أيضاً بالاسناد عن سعيد بن محمد الجزمي عن ابيه عن جده عن النبي ﷺ قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه وروي العياشي باسناده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن ابيه عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبعثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة بني اسرائيل بالتحميد والتوحيد وذكر النبي ﷺ والقرآن وافتتح سورة الكهف أيضاً بالتحميد والتوحيد وذكر القرآن والنبي ﷺ ليتصل أول هذه بآخر تلك اتصال الجنس بالجنس فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (٢) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (٣) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (٤) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً (٥) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً (٦) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ست آيات

القراءة

قرأ أبو بكر برواية يحيى من لدنه باشمام الدال الضم وكسر الهاء والنون وقرأ الباقون بضم الدال وسكون النون وفي الشواذ كبرت كلمة برفع كلمة قرأه يحيى بن يعمر والحسن وابن المحيصن وابن ابي اسحاق والثقفي والاعرج بخلاف وعمرو بن عبيد

— الحجة —

قال ابو علي في لدن ثلاث لغات لدن مثل سبع ويخفف الدال ويكون على ضربين ﴿أحدهما﴾ ان يحذف الضمة من الدال فيقال لدن ﴿والآخر﴾ أن يحذف الضمة من الدال وينقل إلى اللام فيقال لدن مثل عضد في عضد وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكنان فمن قرأ من لدنه بكسر النون فإن الكسرة فيه ليست كسرة اعراب وإنما هي كسرة لالتقاء الساكنين وذاك ان الدال اسكنت كما اسكنت الباء في سبع والنون ساكنة فالتقى الساكنان فكسر الثاني منهما فأما اشمام الدال الضمة فليعلم ان الأصل كان في الكلمة الضمة ومثل ذلك قولهم أنت تغزين وقولهم قيل اشمت الكسرة فيهما الضمة ليدل على ان الاصل فيهما التحريك بالضم وان كان الاشمام في لدنه ليس في حركة خرجت إلى اللفظة وإنما هو بهيئة العضو لإخراج الضمة وأما الجار في قوله من لدنه فيحتمل ضربين ﴿احدهما﴾ ان يكون صفة متعلقا بشديد ﴿والآخر﴾ ان يكون صفة للنكرة وفيها ذكر للموصوف

اللغة

العوج بالفتح فيما يرى كالقناة والخشبة وبالكسر فيما لا يرى شخصاً قائماً كالدين والكلام والقيم والمستقيم والباخع القاتل المهلك يقال بخع نفسه يبخعها بخعاً وبخوعاً قال ذو الرمة

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر

يريد نحته فخفف والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال أسف الرجل فهو اسف واسيف قال الاعشى

ترى رجلا منهم أسيفاً كأنه يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

قيما نصب على الحال من الكتاب والعامل فيه انزل وقوله ان لهم أجراً تقديره بأن لهم أجراً فحذف الجار وماكثين نصب على الحال في معنى خالدين وقوله كبرت كلمة اختلف في نصب كلمة فقال السراج انتصب على تفسير المضمر على حد قولهم نعم رجلا زيد والتقدير على هذا كبرت الكلمة كلمة ثم حذف الأول لدلالة الثاني عليه ومثله كرم رجلا زيد وقدم صاحبا عمرو ويكون المخصوص بالتكبير هذه المسألة محذوفاً لدلالة صفته عليه والتقدير كلمة تخرج من أفواههم أي كلمة خارجة من افواههم فيكون مرفوعاً على وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون مبتدأ وما قبله الخبر ﴿والآخر﴾ ان يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي كلمة تخرج وقيل انتصب

كلمة على التمييز المنقول عن الفاعل على حد قولك تصببت عرقا وتفقأت شحما والأصل كبرت كلمتهم الخارجة من افواههم قال الشاعر

ولقد علمت اذا الرياح تناوحت هدج الريال تكبهن شمالا

اي تكبهن الرياح شمالا ومن قرأ كبرت كلمة فإنه جعل كلمة فاعل كبرت وجعل قولهم اتخذ الله ولدا كلمة كما قالوا للقصيدة كلمة وعلى هذا فيكون قوله تخرج من افواههم في موضع رفع بكونه صفة لكلمة ولا يجوز أن يكون وصفا لكلمة الظاهرة المنصوبة لأن الوصف يقرب النكرة من المعرفة والتمييز لا يكون معرفة البتة ولا يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من كلمة المنصوبة لوجهين احدهما ان الحال يقوم مقام الوصف والثاني ان الحال لا يكون من نكرة في غالب الأمر واسفا منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال ولو كان في غير القرآن لجاز ان لم يؤمنوا بالفتح كما في قول الشاعر

أتجزع ان بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع

— المعنى —

(الحمد لله ، يقول الله سبحانه لخلقه قولوا كل الحمد والشكر لله (الذي انزل على عبده) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الكتاب) اي القرآن وانتجبه من خلقه وخصه برسالته فبعثه نبيا رسولا (ولم يجعل له عوجا قيما) فيه تقديم وتأخير وتقديره الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وعنى بقوله قيما معتدلا مستقيما مستويا لا تناقض فيه عن ابن عباس وقيل قيما على سائر الكتب المتقدمة يصدقها ويحفظها وينفي البطل عنها وهو ناسخ لشرائعها عن الفراء وقيل قيما لامور الدين يلزم الرجوع اليه فيها فهو كقيم الدار الذي يرجع اليه في امرها عن ابي مسلم وقيل قيما دائما يدوم ويثبت الى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم ولم يجعل له عوجا اي لم يجعله ملتبسا لا يفهم ومعوجا لا يستقيم وهو معنى قول ابن عباس وقيل لم يجعل فيه اختلافا كما قال عز وجل اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا عن الزجاج ومعنى العوج في الكلام ان يخرج من الصحة إلى الفساد ومن الحق إلى الباطل ومما فيه فائدة إلى ما لا فائدة فيه ثم بين سبحانه الغرض في انزاله فقال (لينذر بأسا شديدا من لدنه) ومعناه ليخوف العبد الذي انزل عليه الكتاب الناس عذابا شديدا ونكالا وسطوة من عند الله تعالى ان لم يؤمنوا به (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) معناه وليبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الطاعات بعد الإيمان ان لهم ثوابا حسنا في الآخرة على ايمانهم وطاعاتهم في الدنيا وذلك الثواب هو الجنة (ماكثين فيه ابدا) اي لابثين في ذلك الثواب خالدين مؤبدين لا ينتقلون عنه (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) اي وليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله وهم قريش عن الحسن ومحمد بن اسحاق وقيل هم اليهود والنصارى عن السدي والكلبي فعم جميع الكفار بالانذار في الآية الاولى وخص في هذه الآية القائلين بهذه المقالة منهم لتقليدهم الآباء في ذلك ولإصرارهم على الجهل وقلة التفكر ولصدهم الناس عن الدين (ما لهم به من علم ولا لآبائهم) اي ليس لهؤلاء القائلين بهذا القول الشنيع علم به ولا لاسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم وإنما يقولون ذلك عن جهل وتقليد من غير حجة وقيل معناه ليس لهم بالله من علم ولا لآبائهم (كبرت كلمة تخرج من افواههم) اي عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء الكفار ووصف الكلمة بالخروج من الافواه توسعا ومجازا وإن كانت الكلمة عرضا لا يجوز عليها الدخول والخروج ولا الحركة والسكون ولكن لما كانت الكلمة قد تحفظ وتثبت وتوجد مكتوبة ومقروءة في غير الموضع الذي فعلت فيه وصفها بالخروج وذكر الأفواه تأكيدا والمعنى انهم صرحوا بهذه الكلمة العظيمة في القبح واظهروها (ان يقولون الا كذبا) اي ما يقول هؤلاء الا كذبا وافتراء على الله (فلعلك) يا محمد (باخع

نفسك على آثارهم) اي مهلك وقاتل نفسك على آثار قومك الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تمردا منهم على ربهم (إن لم يؤمنوا) اي ان لم يصدقوا (بهذا الحديث) اي بهذا القرآن الذي انزل عليك (اسفا) اي حزنا وتلهفا ووجدا بإدبارهم عنك واعراضهم عن قبول ما آتيتهم به وقيل على آثارهم اي بعد موتهم لشدة شفقتك عليهم وقيل معناه من بعد توليهم واعراضهم عنك وقيل اسفا اي غيظا وغضبا عن ابن عباس وقتادة وهذه معاتبة من الله سبحانه لرسوله على شدة وجده وكثرة حرصه على إيمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغا يقربه إلى الهلاك

قوله تعالى (٧) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٨) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً آيتان

(اللغة)

الصعيد ظهر الأرض وقال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات به والجرز الأرض التي لا تنبت كأنها تأكل النبت اكلا يقال ارض جرز وارضون اجراز وقال سيبويه يقال جرزت الأرض فهي مجروزة وجرزها الجراز والنعم ويقال للسنة المجدبة الجرز لجدوبها ويبسها وقلة امطارها قال الراجز « قد جرفتهن السنون الأجراز » ويقال اجرز القوم إذا صارت ارضهم جرزا وجرزوهم ارضهم إذا اكلوا نباتها كله

❋ الاعراب ❋

ايهم مرفوع بالابتداء لأن لفظه لفظ الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام اي لنختبر اهذا احسن عملا ام هذا وهو تعليق لما في الخبرة من معنى العلم

❋ المعنى ❋

ثم بين سبحانه انه ابتدأ خلقه بالنعم وان اليه مصير الامم فقال (إنا جعلنا ما على الأرض) من الأنهار والأشجار وانواع المخلوقات من الجماد والحيوان والنبات (زينة) لها اي حلية للأرض ولاهلها (لنبلوهم ايهم احسن عملا) اي لنختبرهم ونمتحنهم والمعنى لنعامل عبادنا معاملة المبتلي وقد سبق ذكر امثاله والأحسن عملا الأعمل بطاعة الله والاطوع له وقيل ان معنى الابتلاء الامر والنهي لأن بهما يظهر المطيع من العاصي وقيل اراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض وقيل اراد الانبياء والعلماء (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) معناه وانا مخربون الارض بعد عمارتها وجاعلون ما عليها مستويا من الأرض يابسا لا نبات عليه وقيل بلاقع عن مجاهد وفي قوله ايهم احسن عملا دلالة على انه سبحانه اراد من الخلق العمل الصالح وعلى ان افعالهم الصادرة منهم حادثة من جهتهم ولولا ذلك لما صح الابتلاء وفي ذلك بطلان قول اهل الجبر

قوله تعالى (٩) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً (١٠) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً (١١) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (١٢) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً أربع آيات

❋ اللغة ❋

الكهف المغارة في الجبل الا انه واسع فإذا صغر فهو غار والرقيم اصله من الرقم وهو الكتابة يقال رقمت

الكتاب ارقمه فهو فعيل بمعنى مفعول كالجريح والقتيل ومنه الرقم في الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه والارقم الحية المنقشة لما فيه من الخطوط وتقول العرب عليك بالرقمة ودع الضفة اي عليك برقمة الوادي حيث الماء ودع الجانب والاوى الرجوع والفتية جمع فتى وفعلة من اسماء الجمع وليس ببناء يقاس عليه يقال صبي وصبية وغلام وغلمة ولا يقال غني وغنية لأنه غير مطرد في بابه والضرب معروف ومعنى ضربنا على آذانهم سلطنا عليهم النوم وهو من الكلام البالغ في الفصاحة يقال ضربه الله بالفالج اذا ابتلاه الله به قال قطرب هو كقول العرب ضرب الامير على يد فلان اذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر وكان ضريرا

ومن الحوادث لا ابالك انني ضربت علي الارض بالاسداد

والحزب الجماعة والامد الغاية قال النابغة

الا لمثلك او من انت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الامد

—(الاعراب)—

سنين نصب على الظرف وعددا منصوب على ضربين ﴿ احدهما ﴾ على المصدر المعنى تعد عددا ويجوز ان يكون نعتا لسنين • المعنى سنين ذات عدد قال الزجاج والفائدة في قولك عدد في الأشياء المعدودات انك تريد توكيد كثرة الشيء لأنه إذا قل فهم مقداره ومقدار عدده فلم يحتج إلى ان يعد فالعدد في قولك أقمت اياما عددا انك تريد بها الكثرة وجائز ان يؤكد بعدد معنى الجماعة في انها قد خرجت من معنى الواحد قال وامدا منصوب على نوعين ﴿ احدهما ﴾ التميز ﴿ والآخر ﴾ على احصى امدا فيكون العامل فيه احصى كأنه قال لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء ويكون منصوبا بلبثوا ويكون احصى متعلقا بلما فيكون المعنى أي الحزبين أحصى للبثهم في الأمد قال أبو علي ان انتصابه على التميز عندي غير مستقيم وذلك لأنه لا يخلو من ان يحمل احصى على ان يكون فعلا ماضيا أو أفعل نحو أحسن واعلم فلا يجوز ان يكون أحصى بمعنى أفعل من كذا وغير مثال الماضي من وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه يقال احصى يحصي وفي التنزيل احصاه الله ونسوه وأفعل يفعل لا يقال فيه هو افعل من كذا وأما قولهم ما أولاه بالخير وما اعطاه الدرهم فمن الشاذ النادر الذي حكمه ان يحفظ ولا يقاس عليه ﴿ والآخر ﴾ ان ما ينتصب على التميز في نحو قولهم هو اكثر مالا واعز علما يكون في المعنى فاعلا ألا ترى ان المال هو الذي كثر والعلم هو الذي عز وليس ما في الآية كذلك ألا ترى ان الأمد ليس هو الذي احصى فهو خارج عن حد هذه الأسماء وإذا كان ماضيا كان المعنى لنعلم اي الحزبين أحصى أمدا للبثهم فيكون الأمد على هذا منتصبا بأنه مفعول به والعامل فيه أحصى

﴿ النزول ﴾

محمد بن اسحق باسناده عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ان النضر بن الحرث بن كلدة وعقبة بن ابي معيط انفذهما قريش إلى احبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وخبراهم بقوله فإنهم اهل الكتاب الأول وعندهم من علم الانبياء ما ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة فسألا احبار اليهود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالا لهم ما قالت قريش فقال لهما احبار اليهود اسألوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو وفي رواية أخرى فإن اخبركم عن الثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفا إلى مكة فقالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وقصا عليهم القصة فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه فقال اخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا

ولا يأتيه جبرائيل حتى ارجف اهل مكة وتكلموا في ذلك فشق على رسول الله ﷺ ما يتكلم به أهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل (ع) عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سألوه عنه عن امر الفتية والرجل الطواف وانزل عليه ويسألونك عن الروح الآية قال ابن اسحق فذكر لي ان رسول الله ﷺ قال لجبرائيل حين جاءه لقد احتبست عني يا جبرائيل فقال له جبرائيل (ع) وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا الآية

—(المعنى)—

(أم حسبت) معناه بل احسبت يا محمد (ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) فلخلق السماوات والأرض اعجب من هذا عن مجاهد وقتادة ويحتمل انه لما استبطأ الجواب حين سألوه عن القصة قيل له أحسبت ان هذا شيء عجيب حرصا على ايمانهم حتى قوي طمعك انك إذا اخبرتهم بهآمنوا والمراد بالكهف كهف الجبل الذي اوى اليه القوم الذين قص الله اخبارهم واختلف في معنى الرقيم فقيل انه اسم الوادي الذي كان فيه الكهف عن ابن عباس والضحاك وقيل الكهف غار في الجبل والرقيم الجبل نفسه عن الحسن وقيل الرقيم القرية التي خرج منها اصحاب الكهف عن كعب والسدي وقيل هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصة اصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف عن سعيد بن جبير واختاره البلخي والجبائي وقيل جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور وقيل الرقيم كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله تعالى عما فيه عن ابن زيد وقيل ان اصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسد عليهم فقالوا ليدعوا الله تعالى كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله ورواه النعمان بن بشير مرفوعا (إذ اوى الفتية إلى الكهف) اي اذكر لقومك اذ التجأ أولئك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هربا بدينهم إلى الله (فقالوا) حين اووا اليه (ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي نعمة ننجو بها من قومنا وفرج عنا ما نزل بنا (وهيئ لنا من أمرنا رشدا) اي هيئ واصلح لنا من امرنا ما نصيب به الرشد وقيل هيئ لنا مخرجا من الغار في سلامة عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على امر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاة بمعنى وقيل يسر لنا من امرنا ما نلتمس به رضاك وهو الرشد وقالوا هؤلاء الفتية قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون الإسلام خوفا من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم افسوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو اليها ويقتل من خالفه وقيل انه كان مجوسيا يدعو إلى دين المجوس والفتية كانوا على دين المسيح لما برح اهل الانجيل وقيل كانوا من خواص الملك وكان يسر كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ثم اتفق أنهم اجتمعوا واظهروا أمرهم فأووا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل انهم كانوا قبل بعث عيسى (ع) (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) معناه أنمناهم سنين ذات عدد وتأويله فأجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات اليها سنين كثيرة لأن النائم انما ينتبه بسماع الصوت ودل سبحانه بذلك على انهم لم يموتوا وكانوا نياما في امن وراحة وجمام نفس وهذا من فصيح لغات القرآن التي لا يمكن ان يترجم بمعنى يوافق اللفظ (ثم بعثناهم) أي ايقظناهم من نومهم (لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا) اي ليظهر معلوما على ما علمناه وذكرنا الوجه في امثاله فيما سبق والمعنى لننظر اي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم اصحاب الكهف عد امد لبثهم وعلم ذلك وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بينهم فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر وقيل يعني بالحزبين اصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا في تعداد لبثهم وذلك قوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الآية

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف الآية بما قبلها من وجوه ﴿ احدها ﴾ انه لما اخبر عن زينة الارض وعن الابتلاء عقبه بذكر الفتية التي تركت زينة الدنيا واختارت طاعة الله وفارقت ديارها واموالها حبا

على الاقتداء بهم ﴿ والآخر ﴾ انه اتصل بقوله فعلك باخع نفسك على آثارهم اي فلا تأسف عليهم لانه لايضرك كفرك والله ناصرك وحافظك من اعدائك كما حفظ اصحاب الكهف ﴿ والثالث ﴾ انه اتصل بقوله ويبشر المؤمنين اي وينصرهم كما نصر اصحاب الكهف

قوله تعالى (١٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٤) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٥) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٦) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر والأعشى والبرجمي عن ابي بكر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والباقون مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج وذكر قطرب وغيره اللغتين جميعا في مرفق الأمر ومرفق اليد ومرفق اليد بالكسر أجود قال أبو الحسن مرفقا أي شيئا يرتفقون به مثل المقطع ونحوه ومرفقا جعله اسما مثل المسجد أو يكون لغة قال ابو علي قوله جعله اسما أي جعل المرفق اسما ولم يجعلوه اسم المكان ولا المصدر من رفق يرفق كما ان المسجد ليس باسم الموضع من سجد يسجد وقوله أو يكون لغة أو يجعله في اسم المصدر كما جاء المطلع ونحوه ولو كان على القياس لفتحت اللام

= اللغة =

الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه واصله مجاوزة الحد في البعد وشطت الجارية تشط شططا وشطاطة إذا جاوزت الحد في الطول واشط في السوم إذا جاوز القدر بالغلو فيه والاعتزال التنحي عن الأمر والتعزل بمعناه قال

يا بيت عاتكة التي اتعزل ... حذر العدى وبه الفؤاد موكل

وسمي عمرو بن عبيد واصحابه معتزلة لما اعتزلوا حلقة الحسن

﴿ الإعراب ﴾

كسر إنهم فتية على الاستئناف . إذ قاموا يتعلق بربطنا أي في الوقت الذي قاموا فيه وشططا منصوب على المصدر . المعنى لقد قلنا قولا شططا وما يعبدون في موضع نصب عطفا على الهاء والميم في اعتزلتموهم والمراد الاصنام التي يعبدونها من دون الله ويجوز ان تكون ما مصدرية أي وعبادتهم الا عبادة الله فحذف المضاف والاستثناء على هذا من الهاء والميم وان جعلت ما موصولة كان الاستثناء من مفعول يعبدون استثناء منقطعا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصة أصحاب الكهف فقال (نحن نقص عليك) أي نتلو عليك يا محمد (نبأهم) أي خبرهم (بالحق) أي بالصدق والصحة (انهم فتية) أي أحداث وشباب (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي بصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه بالألطاف المقوية لدواعيهم إلى الايمان وحكم لهم سبحانه بالفتوة لأن رأس الفتوة الايمان وقيل الفتوة بذل الندى وترك الأذى وترك الشكوى عن مجاهد وقيل هي اجتناب المحارم واستعمال المكارم

(وربطنا على قلوبهم) أي شددنا عليها بالالطاف والخواطر المقوية للايمان حتى وطنوا أنفسهم على اظهار الحق والثبات على الدين والصبر على المشاق ومفارقة الوطن (إذ قاموا) أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذي كان يفتن أهل الايمان عن دينهم (فقالوا) بين يديه (ربنا رب السموات والارض) أي ربنا الذي نعبده خالق السموات والارض (لن ندعو من دونه إلها) أي لن نعبد إلها سواه معه (لقد قلنا إذا شططا) معناه ان دعونا مع الله إلها آخر فلقد قلنا إذا قولا مجاوزا للحق غاية في البطلان (هؤلاء قومنا) أي اهل بلدنا (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعبدونها (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجة ظاهرة وفي هذا ذم وزجر للتقليد واشارة إلى انه لا يجوز ان يقبل دين إلا بحجة واضحة (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم ان له شريكا في العبادة (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) قال ابن عباس وهذا من قول تمليخا وهو رئيس اصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانبا يعني عبدة الأصنام وفارقتم ما يعبدون أي اصنامهم إلا الله فانكم لن تتركوا عبادته وذلك ان اولئك كانوا يشركون بالله ويجوز انه كان فيهم من يعبد الله مع عبادة الأصنام فقال إذا اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته فيكون الاستثناء متصلا ويجوز ان يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الاستثناء منقطعا (فأووا إلى الكهف) أي صيروا اليه واجعلوه مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسط عليكم ربكم من نعمته (ويهيئ لكم من امركم مرفقا) أي ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق واللطف عن ابن عباس وكلما ارتفقت فهو مرفق وقيل معناه ويصلح لكم من امر معاشكم ما ترتفقون به وفي هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة في الدين وعلى قبح المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا باظهار كلمة الكفر وبالله التوفيق

قوله تعالى (١٧) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٨) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا آيتان

القراءة

قرأ ابن عامر ويعقوب تزور بتشديد الزاي وقرأ أهل الكوفة تزاور بالتخفيف والباقون تزاور بتشديد الزاي وقرأ أهل الحجاز لملّئت بالتشديد والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الجحدري تزوَرّ وقراءة الحسن وتقلبهم بفتح التاء والقاف والباء وضم اللام

(الحجة)

من قرأ تزاور فإنه تتزاور فادغم التاء في الزاي ومن قرأ تزاور حذف الثانية وخفف الكلمة بالحذف كما حذف أولئك بالادغام ومن قرأ تزور فقد قال ابو الحسن لا معنى له في هذا الموضع إنما يقال هو مزور عني أي منقبض عني يدل عليه قول عنترة

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

قال ابو علي والذي حسن القراءة به قول جرير

عسفن عن الاداعس من مهيل وفي الاضمان عن طلح ازورار

فظاهر استعمال هذا في الاظعان مثل استعماله في الشمس وتزاور على وزن تفاعل وتزوار على وزن تفعال من الازويرار وقوله لملئت منهم بالتشديد للتكثير قال ابو الحسن الخفيفة أجود لا يكادون يقولون ملأ مني رعبا وانما يقولون ملأتني رعبا قال ابو علي يدل على قول ابي الحسن قول امرئ القيس « فملأ بيتنا اقطاوسمنا » وقول الاعشى « وقد ملئت بكر ومن لف لفها » وانشدوا في التثقيل قول المخبل السعدي « فملأ من كعب بن عوف سلاسله » ومن قرأ وتقلبهم فإنه نصبه بفعل مضمر دل عليه ما قبله فكأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم

﴿ اللغة ﴾

القرض القطع يقال قرضت الموضع إذا قطعته وجاوزته قال الكسائي هو المجازاة يقال قرضني فلان يقرضني وجذاني يجذوني بمعنى قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن اجواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس

ويستعمل القرض في اشياء غير هذا منه القطع للثوب وغيره ومنه المقراض ومنه قرض الفأر قال ابو الدرداء « ان قارضتهم قارضوك وان تركتهم لم يتركوك » يعني ان طعنت فيهم وعبتهم فعلوا بك مثله وان تركتهم من ذلك لم يتركوك والقراض بلغة الحجاز المضاربة والقرض هو قول الشعر القصيدة منه خاصة دون الرجز ومنه قيل للشعر القريض قال الاغلب العجلي « أرجزاً تريد أم قريضا » والفجوة المتسع من الارض وجمعه فجوات وفجاء ممدود وفجوة الدار ساحتها والايقاظ جمع يقظ ويقظان قال الراجز « ووجدوا اخوتهم ايقاظا » والرقود جمع راقد ورقد يرقد رقادا ورقودا والوصيد من اوصدت الباب اي اغلقته وجمعه وصائد ويقال وصيد واصيد واوصدت واصدت مثل ورخت الكتاب وارخته ووكدت الأمر واكدته

﴿ الاعراب ﴾

وترى الشمس إلى قوله وهم في فجوة منه متعلق بالرؤية وقوله إذا طلعت وإذا غربت كلاهما بجوابهما في موضع المفعول الثاني والحال والجملة التي هي وهم في فجوة منه في موضع الحال وكلبهم باسط ذراعيه أعمل اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه وان كان بمعنى الماضي لأنه حكاية حال كما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وهذا يشار به إلى الحاضر ولم يكن المشار اليهما حاضرين حين قص القصة على النبي ﷺ ولكنه على تلك الحال قص القصة . فهو المهتد كتب في المصحف هنا بغير ياء وفي الاعراف بالياء وحذف الياء جائز في الاسماء خاصة ولا يجوز في الافعال لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم وحذف الياء في الأسماء واقع إذا لم يكن الالف واللام نحو مهتد فادخلت الالف واللام وترك الحرف على ما كان عليه ودلت الكسرة على الياء المحذوفة قال الزجاج لو اطلعت بكسر الواو ويجوز الضم والكسر اجود لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة والأصل في التقاء الساكنين الكسر وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو ولكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضم هناك احسن نحو او انقص قرئ بالضم والكسر . فرارا منصوب على المصدر لأن المعنى وليت فررت ورعبا منصوب على التمييز يقال امتلأت فرقا وامتلأ الاناء ماء

— المعنى —

ثم بين سبحانه حالهم في الكهف فقال (وترى الشمس) اي لو رأيتها لرأيت (إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين) اي تميل وقت طلوعها عن كهفهم الى جهة اليمين (وإذا غربت تقرضهم) اي تعدل عنهم وتتركهم (ذات الشمال) إلى جهة الشمال شمال الكهف اي لا تدخل كهفهم وقيل تقرضهم اي تجاوزهم منحرفة عنهم عن ابن عباس (وهم في فجوة منه) اي في متسع من الكهف وقيل في فضاء منه عن قتادة وقيل كان متسعا داخل

الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه وينالهم نسيم الريح ثم اخبر سبحانه عن لطفه بهم وحفظه اياهم في مضجعهم واختياره لهم اصلح المواضع لرقادهم فبوأهم مكانا من الكهف مستقبلا بنات النعش تميل الشمس عنهم طالعة وغاربة كيلا يؤذيهم حرها او تغير ألوانهم او تبلي ثيابهم وهم في متسع ينالهم فيه روح الريح وكان باب الغار مقابل القطب الشمالي (ذلك من آيات الله) اي من ادلته وبرهانه (من يهدي الله فهو المهتد) مثل اصحاب الكهف (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) مثل قوم اصحاب الكهف (وتحسبهم ايقاظا) أي لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين (وهم رقود) اي نائمون في الحقيقة قال الجبائي وجماعة لأنهم مفتحو العيون يتنفسون كأنهم يريدون ان يتكلموا ولا يتكلمون وقيل انهم ينقلبون كما ينقلب اليقظان (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) معناه ونقلبهم تارة عن اليمين إلى الشمال وتارة عن الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم لأنهم لو لم يتقلبوا لاكلتهم الارض ولبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد وقيل كانوا يقلبون كل عام تقلبتين عن ابي هريرة وقيل كان تقلبهم كل عام مرة عن ابن عباس وقوله (وكلبهم) قال ابن عباس واكثر المفسرين انهم هربوا من ملكهم ليلا فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه وقيل انهم مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا خيانة فانا احب اولياء الله فناموا حتى احرسكم عن كعب وقيل كان ذلك كلب صيدهم وقيل كان ذلك الكلب اصفر اللون عن مقاتل وقيل كان انمر واسمه قطمير عن ابن عباس وفي تفسير الحسن ان ذلك الكلب مكث هناك ثلاثمائة وتسع سنين بغير طعام ولا شراب ولا نوم ولا قيام (باسط ذراعيه) هو ان يلقيهما على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع (بالوصيد) اي بفنا الكهف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل بالباب وقيل بباب الفجوة او فناء الفجوة لا باب الكهف لأن الكفار خرجوا إلى باب الكهف في طلبهم ثم انصرفوا ولو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه وكذلك لو كان بالقرب من الباب ولما انصرفوا آيسين عنهم فإنهم سدوا باب الغار بالحجارة فجاء رجل بماشيته إلى باب الغار وأخرج الحجارة واتخذ لماشيته كنّا عند باب الغار وهم كانوا في فجوة من الغار عن الجبائي وقيل الوصيد عتبة الباب عن عطا (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) معناه لو اشرفت عليهم ورأيتهم في كهفهم على حالتهم لفررت عنهم واعرضت عنهم هربا لاستيحاشك الموضع (ولملئت منهم رعبا) اي ولملئ قلبك خوفا وفزعا وذلك ان الله منعهم بالرعب لئلا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم وقيل كانوا في مكان موحش من رآه فزع ولا يمتنع ان الكفار لما أتوا باب الكهف فزعوا من وحشة المكان فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه وجعل سبحانه ذلك لطفا لئلا ينالهم مكروه من سبع وغيره وليكونوا محروسين من كل سوء وقيل انهم كانت اظفارهم قد طالت وكذلك شعورهم ولذلك يأخذ الرعب منهم وهذا لا يصح لقوله تعالى حكاية عنهم لبثنا يوما او بعض يوم وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال غزوت مع معاوية نحو الروم فمروا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقلت له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث رجالا فلما دخلوا الكهف ارسل الله عليهم ريحا اخرجتهم

قوله تعالى (١٩) وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (٢٠) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا آيتان

القراءة

قرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة وخلف بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسر الراء وروي عن ابي عمرو بإدغام الكاف في القاف وفي الشواذ قراءة ابي رجاء بورقكم بكسر الواو والإدغام

(الحجة)

في ورقكم اربع لغات فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل وفتح الواو وسكون الراء وكسر الواو وسكون الراء والإدغام قال ابن جني هذا عند اصحابنا مخفي غير مدغم لكنه اخفى كسرة القاف فظنها القراء مدغمة ومعاذ الله لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم يرد وبرق وللقراء في هذا عادة ان يعبروا عن المخفي بالمدغم للطف ذلك عليهم

الإعراب

كم لبثتم تقديره كم يوما لبثتم فكم منصوبة بلبثتم والمميز محذوف الا ترى ان جوابه لبثنا يوما او بعض يوم فلينظر ايها ازكى طعاما الجملة التي هي ايها ازكى مفعول فلينظر وطعاما تميز.

المعنى

(وكذلك بعثناهم) معناه وكما فعلنا بهم الامور العجيبة وحفظناهم تلك المدة المديدة بعثناهم من تلك الرقدة واحييناهم من تلك النومة التي اشبهت الموت (ليتساءلوا بينهم) اي ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم فيتنبهوا بذلك على معرفة صانعهم ويزدادوا يقينا الى يقينهم (قال قائل منهم كم لبثتم) في نومكم (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم)قال المفسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوما فلما رأوا الشمس قالوا او بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) وهذا القائل هو تمليخا رئيسهم عن ابن عباس رد علم ذلك إلى الله تعالى (فابعثوا احدكم بورقكم هذه)والورق الدراهم وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم عن ابن عباس (إلى المدينة) يعني المدينة التي خرجوا منها (فلينظر ايها ازكى طعاما) اي اطهر واحل ذبيحة عن ابن عباس قال لأن عامتهم كانت مجوسا وفيهم قوم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما عن الكلبي وقيل اكثر طعاما من قولهم زكى المال إذا زاد عن عكرمة وذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه وقيل كان من طعام اهل المدينة ما لا يستحله اصحاب الكهف (فليأتكم برزق منه) اي فليأتكم بما ترزقون اكله (وليتلطف) اي وليدقق النظر ويتحيل حتى لا يطلع عليه وقيل وليتلطف في الشراء فلا يماكس البائع ولا ينازعه (ولا يشعرن بكم احدا) اي لا يخبرن بكم ولا بمكانكم احدا من اهل المدينة (إنهم إن يظهروا عليكم) اي يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم (يرجموكم) اي يقتلوكم بالرجم وهو من اخبث القتل عن الحسن وقيل معناه يؤذوكم ويشتموكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج (او يعيدوكم في ملتهم) أي يردوكم إلى دينهم (ولن تفلحوا إذا ابدا) معناه ومتى فعلتم ذلك لن تفوزوا ابدا بشيء من الخير ومتى قيل منا اكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصح الآية فالجواب يجوز أن يكون اراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الإكراه ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز التقية في اظهار الكفر

قوله تعالى (٢١) وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢٢) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ

إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (٢٣) وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً (٢٤) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً أربع آيات عد المدني الاخير الا قليل آية وترك غدا وعد غير الاخير غد آية وترك إلا قليل

﴿ اللغة ﴾

عثر على الشيء يعثر عثرا إذا اطلع عليه واعثرت عليه غيري والعاثور حفرة تحفر ليضطاد به الاسد يقال للرجل إذا تورط وقع في عاثور واصله من العثار والمراء الجدال ما ريت الرجل اماريه مراء .

﴿ الاعراب ﴾

إذ يتنازعون يجوز أن يكون منصوبا بقوله اعثرنا اي اطلعنا عليهم في وقت المنازعة في امرهم ويجوز ان يكون منصوبا بقوله ليعلموا وإنما دخلت الواو في قوله وثامنهم ولم يدخل في الأولين لأن هاهنا عطف جملة على جملة وهناك وصف النكرة بجملة فإن التقدير هم سبعة وهم ثلاثة فثلاثة مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف ورابعهم كلبهم وصف لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم صفة لخمسة وهذا قول علي بن عيسى قال وفرق ما بينهما ان السبعة اصل للمبالغة في العدد لأن جلائل الامور سبعة سبعة واقول قد وجدت لأبي علي الفارسي في هذا كلاما طويلا سألخصه لك واهذبه فضل تهذيب قال إن الجملتين الملتبسة احداهما بالاخرى وهي ان تكون غير اجنبية منها على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان تعطف بحرف العطف والآخر ان توصل بها بغير حرف العطف فما يوصل بها بماقبلها بغير حرف العطف من الجملة على اربعة اضرب ﴿ احدها ﴾ ان تكون صفة ﴿ والآخر ﴾ ان تكون حالا ﴿ والثالث ﴾ ان تكون تفسيرا ﴿ والرابع ﴾ ان لا تكون على احد هذه الأوجه الثلاثة لكن يكون في الجملة الثانية ذكر مما في الاولى اوممن فيها فالأول نحو مررت برجل ابوه قائم وبغلام يقوم ولا وجه لادخال حرف العطف على هذا لأن الصفة تبين الموصوف وتخصصه فلو عطفت لخرجت بالعطف من ان تكون صفة لان العطف ليس الثاني وهو المعطوف فيه بالأول وإنما يشرك الثاني في اعراب الأول والصفة هو الموصوف في المعنى ﴿ واما ﴾ الثاني وهو ان تكون حالا فلا مدخل لحرف العطف عليه ايضا لأن الحال مثل الصفة في انها تفرق بين هيأتين او هيآت كما ان الصفة تفرق بين موصوفين او موصوفات وهي مثل المفعول في انها تكون بعد كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفة والموصوف ولا بين المفعول وما عمل فيه كذلك لا يدخل بين الحال وذي الحال والجمل الواقعة موقع الحال إما ان تكون من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر نحو رأيت زيدا يضحك وجاء زيد ابوه منطلق قال الشاعر

ولولا جنان الليل ما آب عامر إلى جعفر سرباله لم يمزق

﴿ واما ﴾ الثالث وهي الجملة التي تكون تفسيرا لما قبلها فنحو قوله وعد الله الذين آمنوا ثم قال لهم مغفرة واجر عظيم فالمغفرة تفسير الوعد الذي وعدوا فأما قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم ثم قال تؤمنون بالله فتؤمنون على لفظ الخبر ومعناه الامر بدلالة قوله يغفر لكم وحسن ان يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله من ذكر التجارة وحكم التفسير أن يكون خبرا فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا ﴿ واما ﴾ الرابع الذي لا يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة ويكون في الجملة الثانية ذكر مما في الاولى فإن هذا الوجه يتصل بما قبله على وجهين ﴿ احدهما ﴾ بحرف عطف كما يتبع الأجنبية اياها بحرف عطف وذلك نحو زيد ابوك

واخوه عمرو فهذه قد نزلت منزلة الأجنبية من الاولى في العطف بالواو ونحو قام زيد وخرج عمرو وزيد قائم وبكر خارج والآخر ان يتبع الثانية الأولى بغير حرف عطف كقوله سبحانه انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ويقول في آية اخرى وكانوا يبصرون بالواو وقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم والدليل على هذا نوع آخر خارج عن الانواع الثلاثة ان قوله وثامنهم كلبهم بعد الجملة المحذوف مبتدأها لا يخلو من ان يكون حالا او صفة او تفسيرا اوجملة منقطعة من الاول ولا يجوز ان يكون في موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملا في الحال والحال لا بد لها من عامل فيها ولا يمكن ان يجعل المبتدأ المضمر هذا وما اشبهه من اسماء الاشارة فينتصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بمشار اليهم في وقت الاخبار وانما المراد الإخبار عن عددهم ولو كانوا بحيث يشار اليهم لم يقع الاختلاف في عددهم ولا يجوز أن يكون تفسيرا لأن التفسير هو المفسر في المعنى ولا يجوز أن يكون شيء من جزء الجملة التي هي رابعهم كلبهم شيئاً من جزء الجملة التي هي هم ثلاثة ولا يجوز أيضا أن يكون صفة للنكرة التي قبلها لأنه لا يخلو في الوصف من احد امرين اما ان يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر اسماء الفاعلين الجارية على افعالها فيرتفع ما بعده به واما ان يجعل جملة في موضع وصف ولا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ وخبرا ولا يجوز الاول لأنه في معنى الماضي والماضي لا يقدر فيه الانفصال وانما يقدر في الحاضر والآتي لأنه كما اعرب من الافعال المضارعة ما كان حاضرا وآتيا كذلك لم يعمل الماضي من اسماء الفاعلين ولولا المضي لم يمتنع اعمال قوله رابعهم وسادسهم ولا تكون ايضا الجملة صفة لثلاثة كما توصف النكرات بالجمل لأن هذه جملة مستأنفة وليست على حد الصفة بل على حد ما بعدها من قوله وثامنهم كلبهم فحذفت الواو واستغني عنها اذا كانت انما تذكر لتدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما في الاولى كأنه يستغنى به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على ايصاله وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال ايضا فيستغنى به ويكتفي بذلك منه وهذا فضل جامع في النحو جليل الموقع كثير الفائدة اذا تأمله المتأمل حق التأمل واحكمه اشرف به على كثير من المسائل إن شاء الله وأما من قال ان هذه الواو واو الثمانية واستدل بقوله حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها لأن للجنة ثمانية ابواب فشيء لا يعرفه النحويون

المعنى

(وكذلك اعثرنا عليهم) اي وكما انمناهم وبعثناهم اطلعنا واعثرنا عليهم اهل المدينة وجملة امرهم وحالهم على ما قاله المفسرون انهم لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف امر الملك ان يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف فيموتوا عطشا وجوعا وليكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ ثم ان رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وانسابهم واسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقرض اهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تدليس وقيل بندوسيس عن محمد بن اسحاق وتحزب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع وقال اي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها ان البعث حق وان الساعة حق آتية لا ريب فيها فألقى الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذي فيه الكهف ان يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا احدهم ليطلب لهم طعاماً فاطلع الناس على امرهم وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها

الله في ملكه فلما بلغه الخبر حمد الله وركب معه مدينته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله وكذلك اعثرنا عليهم (ليعلموا ان وعد الله) بالبعث والثواب والعقاب (حق وان الساعة لا ريب فيها) أي ان القيامة لا شك فيها فإن من قدر على ان ينيم جماعة تلك المدة المديدة أحياء ثم يوقظهم قدر أيضاً على ان يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي فعلنا ذلك حين تنازعوا في البعث فمنهم من انكره ومنهم من قال يبعث الأرواح دون الأجسام ومنهم من أثبت البعث فيهما واضاف الأمر اليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتم في أمركم عن عكرمة وقيل ان معناه إذ يتنازعون في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم وفيما يفعل بهم بعد ان اطلعوا عليهم وذلك انه لما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك ان هذا الامر عجيب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم ابنوا عليهم بنيانا كما تبنى المقابر وقال بعضهم اتخذوا مسجداً على باب الكهف وهذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس (فقالوا) اي قال مشركو ذلك الوقت (ابنوا عليهم بنيانا) أي استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان كما يقال بنى عليه جداراً إذا حوطه وجعله وراء الجدار (ربهم أعلم بهم) معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه وقيل انه قال ذلك بعضهم ومعناه ربهم أي خالقهم الذي أنامهم وبعثهم أعلم بحالهم وكيفية أمرهم وقيل معناه ربهم أعلم بهم أأحياء نيام هم أم أموات فقد قيل انهم ماتوا وقيل انهم لا يموتون إلى يوم القيامة (قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني الملك المؤمن واصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الذين استولوا على امرهم عن الجبائي (لنتخذن عليهم مسجداً) اي معبدا وموضعاً للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه ببركاتهم ودل ذلك على ان الغلبة كانت للمؤمنين وقيل مسجدا يصلي فيه اصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسن وقد روي ايضا ان اصحاب الكهف لما دخل صاحبهم اليهم واخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم اليها وحال بين من قصدهم وبين الوصول اليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانوا فيه فلم يهتدوا اليه ثم بين سبحانه تنازعهم في عددهم فقال (سيقولون) أي سيقول قوم من المختلفين في عددهم (ثلاثة) اي هم ثلاثة (رابعهم كلبهم ويقولون) اي ويقول آخرون هم (خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب) اي قذفا بالظن من غير يقين عن قتادة (ويقولون) اي ويقول آخرون هم (سبعة وثامنهم كلبهم) وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم (قل) يا محمد (ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) من الناس عن قتادة وقيل قليل من أهل الكتاب عن عطا وقال ابن عباس انا من ذلك القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم والأظهر ان يكون عرف ذلك من جهة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال هم مكسلمينا وتمليخا ومرطولس ونينونس وساربنونس ودربونس وكشوطبنونس وهو الراعي (فلا تمار فيهم) اي فلا تجادل الخائضين في عددهم وشأنهم (إلا مراء ظاهرا) فيه وجوه * احدها * ان معناه الا تجادلهم إلا بما اظهرنا لك من امرهم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أي لا تجادل إلا بحجة ودلالة واخبار من الله سبحانه وهو المراء الظاهر * وثانيها * ان المراد لا تجادلهم إلا جدالا ظاهرا وهو ان تقول لهم أثبتم عددا وخالفكم غيركم وكلا القولين يحتمل الصدق والكذب فهلموا بحجة تشهد لكم * وثالثها * ان المراد إلا مراء يشهده الناس ويحضرونه فلو اخبرتهم في غير ملأ من الناس لكذبوا عليك ولبّسوا على الضعفة فادعوا انهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم (ولا تستفت فيهم منهم احدا) معناه ولا تستخبر في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب احدا ولا تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره لئلا يرجعوا في ذلك إلى مساءلة اليهود فإنه كان واثقا بخبر

الله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله) قد ذكر في معناه وجوه ﴿احدها﴾ انه نهي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول اني افعل شيئا في الغد إلا ان يقيد ذلك بمشيئة الله تعالى فيقول إن شاء الله قال الاخفش وفيه اضار القول وتقديره إلا ان تقول إن شاء الله ولما حذف تقول نقل إن شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديبا من الله للعباد وتعليما لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب او حنث إذا لم يفعلوا ذلك لمانع وهذا معنى قول ابن عباس ﴿وثانيها﴾ ان قوله ان يشاء الله بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولن اني فاعل شيئا غدا إلا مشية الله عن الفراء وهذا وجه حسن يطابق الظاهر ولا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف ومعناه ولا تقل اني افعل إلا ما يشاء الله ويريده وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل اني افعل إلا الطاعات ولا يطعن على هذا جواز الاخبار عما يفعل من المباحات التي لا يشاؤها الله تعالى لأن هذا النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم بدلالة انه لو لم يقل ذلك لم يأثم بلا خلاف ﴿وثالثها﴾ انه نهي عن ان يقول الانسان سأفعل غدا وهو يجوز الاخترام قبل ان يفعل ما اخبر به فلا يوجد مخبره على ما اخبر به فهو كذب ولا يأمن ايضا أن لا يوجد مخبره بحدوث شيء من فعل الله تعالى نحو المرض والعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال اني صائر غدا الى المسجد ان شاء الله امن من ان يكون خبره هذا كذبا لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه الى المصير الى المسجد غدا حصل المصير اليه منه لا محالة فلا يكون خبره هذا كذبا وان لم يوجد المصير منه الى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى عن الجبائي وقد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم عنه غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه اياما حتى شق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وقوله (واذكر ربك إذا نسيت) فيه وجهان ﴿إحدهما﴾ انه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل إن شاء الله وإن كان بعد يوم او شهر او سنة عن ابن عباس وقد روي ذلك عن أئمتنا (ع) ويمكن ان يكون الوجه فيه أنه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام وفي ابطال الحنث وسقوط الكفارة في اليمين وهو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله وقيل فاذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن ومجاهد وقيل فاذكر الاستثناء إذا تذكرت ما لم ينقطع الكلام وهو الأوجه وقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم ﴿والآخر﴾ انه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه واذكر ربك اذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمة وقيل انه امر بالانقطاع الى الله تعالى ومعناه واذكر ربك اذا نسيت شيئا بك اليه حاجة يذكره لك عن الجبائي وقيل المراد به الصلاة والمعنى اذا نسيت صلاة فصلها إذا ذكرتها عن الضحاك والسدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الإيمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثني الانسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم به حكم وإنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه احد ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص بالطاعات ولهذا جرى قول القائل لأقضين غدا ما علي من الدين او لأصلين غدا إن شاء الله مجرى ان يقول اني فاعل ان لطف

الله تعالى فيه وسهله ومتى قصد الحالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثاً او كاذبا لأنه إذا لم يقع علمنا انه لم يلطف فيه لأنه لا لطف له وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لأنه يختص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو المراد إذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية وقد يدخل في الكلام استثناء المشيئة في الكلام وإن لم يرد به شيء من المتقدم ذكره بل يكون الغرض الانقطاع الى الله تعالى من غير أن يقصد به الى شيء من هذه الوجوه ويكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذبا او صادقا لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا إن وصلت إلى مرادي مع انقطاعي إلى الله تعالى واظهاري الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا يمكن في الآية ومتى تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها من يذهب إلى خلاف العدل من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصي لوجب إذا قال عليه الدين لغيره وطالبه به والله لأعطينك حقك غدا إن شاء الله ان يكون كاذبا او حانثاً إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان كان لم يقع ولكان يجب أن تلزمه به الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثا كما انه لو قال والله لأعطينك حقك غدا ان قام زيد فقام ولم يعطه يكون حانثا وفي التزام الحنث خروج من الاجماع انتهى كلامه رضي الله عنه وقوله (وقل عسى ان يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) معناه قل عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون اقرب من الرشد وأدل من قصة اصحاب الكهف عن الزجاج ثم ان الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب إخبار المرسلين وآثارهم ما هو واضح في الدلالة واقرب إلى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل ان معناه أدع الله أن يذكرك إذا نسيت شيئا وقل ان لم يذكرني الله ذلك الذي نسيت فإنه يذكرني ما هو أنفع لي منه عن الجبائي

قوله تعالى (٢٥) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٦) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٧) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ثلاث آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافا والباقون بالتنوين وقرأ ولا تشرك بالتاء مجزوما ابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل والباقون ولا يشرك بالرفع والياء

— الحجة —

قال ابو الحسن يكون السنين لثلاثمائة قال ولا يحسن اضافة المائة إلى السنين لاتكاد العرب تقول مائة سنين قال وهو جائز في ذا المعنى وقد يقوله بعض العرب قال ابو علي ومما يدل على صحة قول من قال ثلاثمائة سنين ان هذا الضرب من العدد الذي يضاف في اللغة المشهورة إلى الآحاد نحو ثلاثمائة رجل واربعمائة ثوب قد جاء مضافا الى الجمع في قول الشاعر

فما زودوني غير سحق عمامة وخمس مِئٍ منها قسِيٌّ وزايف

وذلك ان قوله مِئٍ لا يخلو من ان يكون في الأصل كأنه فعلة فجمع على فعل مثل سدرة وسدر أو

يكون فعلة فجمع على فعول مثل بدرة وبدور ومائة ومؤن قال «عظيات الكلاكل والمؤون» والأولى حمله على فعول وانه خفف كما يخفف في القوافي كقوله «كنهور كان من اعقاب السمى» ثم كسر فاؤه كما يكسر في نحو حلى وقال غيره ان العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل أن تكون الاضافة الى الجمع قال الشاعر

ثلاثمائين قد مضين كواملا وها أنا ذا قد أبتغي مرّ اربع

فجاء به على الأصل ومن نون ثلاثمائة ففي نصب سنين قولان * احدهما * ان يكون سنين بدلا من ثلاثمائة او عطف بيان * والآخر * ان يكون تمييزا كما تقول عندي عشرة ارطال زيتا قال الربيع بن ضبيع الفزاري

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال الزجاج ويجوز أن يكون سنين من نعت المائة فيكون مجرورا وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال عنترة

فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

فجعل سودا نعتا للحلوبة وهو في المعنى نعت لجملة العدد قال ابو علي لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبة جمعاً وجعل سودا وصفا لها وإذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن يقع تفسيرا لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الآحاد كما يقال عشرون نفراً وثلاثون قبيلا ومن قرأ ولا تشرك بالتاء فإنه على النهي عن الاشراك والقراءة الأخرى أشبه وأولى لتقدم اسماء الغيبة وهو قوله ما لهم من دونه من ولي والمعنى ولا يشرك الله في حكمه أحداً

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن مقدار مدة لبثهم فقال (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين) معناه واقام اصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله واطلع عليهم الخلق ثلاثمائة سنة (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين إلا انه استغنى بما تقدم عن اعادة ذكر تفسير التسع كما يقال عندي مائة درهم وخمسة (قل الله اعلم بما لبثوا) معناه ان حاجك يا محمد أهل الكتاب في ذلك فقل الله اعلم بما لبثوا وذلك ان أهل نجران قالوا اما الثلاثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها وقيل ان معناه الله اعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا وحكي عن قتادة انه قال قوله ولبثوا في كهفهم الآية حكاية عن قول اليهود وقوى ذلك بقوله قل الله اعلم بما لبثوا فذكر انه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره وقد ضعف هذا الوجه بأن اخبار الله لا ينبغي صرفها إلى الحكاية إلا بدليل قاطع ولو كان الأمر على ما قاله لم تكن مدة لبثهم مذكورة ومن المعلوم ان الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيب قدرته وباهر آيته وذلك لا يتم إلا بعد معرفة مدة لبثهم فالمراد بقوله قل الله اعلم بما لبثوا بعد بيان مدة لبثهم ابطال قول أهل الكتاب واختلافهم في مدة لبثهم فتقديره قل يا محمد الله اعلم بمدة لبثهم وقد اخبر بها فخذوا بما اخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب فهو اعلم بذلك منهم (له غيب السماوات والارض) والغيب أن يكون الشيء بحيث لا يقع عليه الادراك أي لا يغيب عن الله سبحانه شيء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب في السماوات والارض عن إدراك العباد (أبصر به وأسمع) هذا لفظ التعجب ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصر الله تعالى لكل مبصر وما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم وروي ان يهوديا سأل علي بن ابي طالب (ع) عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال انا نجد في كتابنا ثلاثمائة فقال (ع) ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر وقوله (ما لهم من دونه من ولي) أي ليس لأهل السموات

والأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم (ولا يشرك) الله (في حكمه أحداً) فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به وقيل معناه انه لا يشرك الله في حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً وعلى القراءة الأخرى معناه ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك) أي واقرأ عليهم ما أوحى الله اليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع القرآن واعمل به (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير لما أخبر الله به فيه وما أمر به وعلى هذا فيكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته (ولن تجد من دونه ملتحداً) معناه ان لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزا عن ابن عباس وقيل موئلاً عن قتادة وقيل معدلا ومحيصاً عن الزجاج وابي مسلم والأقوال متقاربة في المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال اليه

قوله تعالى (٢٨) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٩) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا آيتان

القراءة

قرأ ابن عامر وحده بالغداوة والباقون بالغداة وفي الشواذ قراءة الحسن ولا تعد عينيك وقراءة عمرو بن فائد من اغفلنا قلبه

الحجة

قال أبو علي أما غدوة فهو اسم موضوع للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام كما لا تدخل على سائر الأعلام وإن كانت قد كتبت في المصحف بالواو ولم يدل على ذلك كما انهم كتبوا الصلوة بالواو وهي الف وحجة من ادخل اللام المعرفة عليها انه قد يجوز وان كانت معرفة ان تتنكر كما حكاه أبو زيد من انهم يقولون لقيته فينة والفينة بعد الفينة ففينة مثل غدوة في التعريف بدلالة امتناع الانصراف وقد دخلت عليه لام التعريف وذلك ان يقدر من أمة كلها له مثل هذا الاسم فيدخل التنكير لذلك ويقوي هذا تثنية الأعلام وجمعها وقوله «لاهيثم الليلة للمطي» وقولهم أما النضرة فلا نضرة لك فاجرى مجرى ما يكون شائعا في الجنس وكذلك الغدوة واما قوله ولا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عيناك إذا جاوزتا وهو من قولهم جاء القوم عدا زيدا أي جاوز بعضهم زيدا ثم نقل إلى اعديت عيني عن كذا أي صرفتها عنه قال الشاعر

حتى لحقنا بهم تعدي فوارسنا كأننا رعن قف ترفع الألا

أي تعدي فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول او تعديها من عدا الفرس أي جرى وعلى ان أصلها واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكانا إلى غيره واما من قرأ من اغفلنا قلبه فمعناه ولا تطع من ظننا غافلين عنه وهو من قولهم اغفلت الرجل أي وجدته غافلا قال الاعشى

أثوى وقصر ليله ليزودا ومضى واخلف من قتيلة موعدا

أي صادفة مخلفا

﴿ اللغة ﴾

الفرط التجاوز للحق والخروج عنه من قولهم افرط افراطا إذا اسرف والسرادق الفسطاط المحيط بما فيه ويقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاط قال روءبة

يا حكم بن المنذر بن الجارود … سرادق المجد عليك ممدود

والمهل خثارة الزيت وقيل هو النحاس الذائب والمرتفق المتكأ من المرفق يقال ارتفق إذا اتكأ على مرفقه قال ابو ذؤيب

بات الخلي وبت الليل مرتفقا … كأن عيني فيها الصاب مذبوح

ويقال إنه مأخوذ من الرفق والمنفعة

نزلت الآية الأولى في سلمان وابي ذر وصهيب وعمار وحباب وغيرهم من فقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك ان المؤلفة قلوبهم جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيينة بن الحصين والاقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله ان جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائح صنانهم وكانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن اليك وأخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلتمسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عز وجل فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني ان اصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر مع المؤمنين فقال (واصبر نفسك) يا محمد اي احبس نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي يداومون على الصلاة والدعاء عند الصباح والمساء لا شغل لهم غيره ويستفتحون يومهم بالدعاء ويختمونه بالدعاء (يريدون وجهه) اي رضوانه وقيل يريدون تعظيمه والقربة اليه دون الرياء والسمعة (ولا تعد عيناك عنهم) اي ولا تتجاوز عيناك عنهم بالنظر إلى غيرهم من ابناء الدنيا (تريد زينة الحياة الدنيا) تريد في موضع الحال اي مريدا مجالسة أهل الشرف والغنى وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصا على إيمان العظماء من المشركين طمعا في إيمان اتباعهم ولم يمل إلى الدنيا وزينتها قط ولا إلى أهلها وإنما كان يلين في بعض الأحايين للرؤساء طمعا في ايمانهم فعوتب بهذه الآية وأمر بالاقبال على فقراء المؤمنين وان لا يرفع بصره عنهم مريداً مجالسة الاشراف (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) قيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا بتعريضه للغفلة ولهذا قال واتبع هواه ومثله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴿ وثانيها ﴾ اغفلنا قلبه اي نسبنا قلبه إلى الغفلة كما يقال اكفره إذا نسبه إلى الكفر وسماه كافراً كقول الكميت

وطائفة قد اكفروني بحبكم … وطائفة قالوا مسيء ومذنب

﴿ وثالثها ﴾ اغفلنا قلبه صادفناه غافلا عن ذكرنا كما قالت العرب سألناكم فما افحمناكم وقاتلناكم فما أجبناكم ﴿ ورابعها ﴾ اغفلنا قلبه اي جعلناه غفلا لم نسمه بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمة تقول العرب اغفل فلان ماشيته اذا لم يسمها بسمة تعرف ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه امرنا عن الحسن (واتبع هواه) اي لا تطع من اتبع هواه في شهواته وافعاله (وكان امره فرطا) اي سرفا وافراطا عن مقاتل والجبائي وقيل تجاوزا للحد عن الاخفش وقيل ضياعا وهلاكا عن مجاهد والسدي قال الزجاج ومن قدم العجز في امره اضاعه واهلكه فيكون المعنى في هذا انه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى ثم قال سبحانه (وقل) يا محمد لهؤلاء الذين امروك

بتنحية الفقراء (الحق من ربكم) اي هذا الحق من ربكم يعني القرآن وقيل معناه الذي اتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعني لم آتكم به من قبل نفسي وإنما أتيتكم به من قبل الله وقيل معناه ظهرت الحجة ووضح الحق من ربكم وزالت الشبهة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا وعيد من الله سبحانه وانذار ولذلك عقبه بقوله (انا اعتدنا) وانما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهدد كالمأمور بإهانة نفسه ومعناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم وإنما يرجع النفع والضر اليهم (انا اعتدنا) اي هيأنا واعددنا (للظالمين) اي الكافرين الذين ظلموا انفسهم بعبادة غير الله تعالى (نارا احاط بهم سرادقها) والسرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس وقيل هو دخان النار ولهبها يصل اليهم قبل وصولهم اليها وهو الذي في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب عن قتادة وقيل اراد ان النار احاطت بهم من جميع جوانبهم فشبه ذلك في السرداق عن ابي مسلم (وان يستغيثوا) من شدة العطش وحر النار (يغاثوا بماء كالمهل) وهو كل شيء اذيب كالرصاص والنحاس والصفر عن ابن مسعود وقيل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة رأسه روى ذلك مرفوعا وقيل كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل هو القيح والدم عن مجاهد وقيل هو الذي انتهى حره عن سعيد ابن جبير وقيل انه ماء اسود وان جهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود واهلها سود عن الضحاك (يشوي الوجوه) اي ينضجها عند دنوه منها ويحرقها وانما جعل سبحانه ذلك اغاثة لاقترانه بذكر الإغاثة (بئس الشراب) ذلك المهل (وساءت) النار (مرتفقا) اي متكئا لهم قيل ساءت مجتمعا مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد وقيل منزلا ومستقرا عن ابن عباس وعطا

قوله تعالى (٣٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَائِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً آيتان

❋ اللغة ❋

العدن الإقامة يقال عدن بالمكان يعدن عدنا والاساور جمع أسوار على حذف الزيادة لأن الاصل اساوير عن قطرب وابي عبيدة وقيل جمع اسورة واسورة جمع سوار عن الزجاج وهو سوار اليد بالكسر وقد حكي سوار بالضم والسندس ما رق من الديباج واحده سندسة والاستبرق الغليظ من الديباج وقيل هو الحرير قال قال المرقش

تراهن يلبسن المشاعر مرة ... واستبرق الديباج طوراً لباسها

والأرائك جمع أريكة وهي السرير قال

خدود جفت في السير حتى كأنما ... يباشرن بالمعزاء مس الأرائك

قال الزجاج الأرائك الفرش في الحجال قال الأعشى

بين الرواق وجانب من سيرها ... منها وبين أريكة الأنصار

❋ الإعراب ❋

قيل في خبر ان الذين آمنوا أقوال ❋ احدها ❋ انه قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا وعلى هذا فيكون في الخبر محذوفا كأنه لا نضيع أجر من احسن عملا منهم ❋ والثاني ❋ ان يكون الخبر أولئك لهم جنات عدن ويكون انا لا نضيع الخ اعتراضاً بين الاسم والخبر ❋ والثالث ❋ ان المعنى انا لا نضيع اجرهم لأن من

احسن عملا في المعنى هم الذين آمنوا

=« المعنى »=

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بذكر الوعد فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الطاعات (انا لا نضيع اجر من احسن عملا) اي لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم ونوفيهم اجورهم من غير بخس (اولئك لهم جنات عدن) اي اقامة لهم لأنهم يبقون فيها ببقاء الله دائما ابدا وقيل عدن بطنان الجنة اي وسطها وهي جنة من الجنان عن ابن مسعود وعلى هذا فإنما جمع لسعتها ولأن كل ناحية منها تصلح ان تكون جنة (تجري من تحتهم الأنهار) لأنهم على غرف في الجنة كما قال وهم في الغرفات آمنون وقيل ان انهار الجنة تجري في أخاديد من الأرض فلذلك قال تجري من تحتهم الأنهار (يحلون فيها من اساور من ذهب) اي يجعل لهم فيها حلي من اساور وقيل انه يحلى كل واحد بثلاثة اساور سوار من فضة وسوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وياقوت عن سعيد بن جبير (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق) اي من الديباج الرقيق والغليظ وقيل إن الاستبرق فارسي معرب اصله استبره قيل هو الديباج المنسوج بالذهب (متكئين فيها على الأرائك) اي متنعمين في تلك الجنات على السرر في الحجال وانما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد انهم منعمون في الأمن والراحة فإن الإنسان لا يتكئ الا في حال الأمن والسلامة (نعم الثواب)اي طاب ثوابهم وعظم عن ابن عباس (وحسنت)الأرائك (مرتفقا) اي موضع ارتفاق وقيل منزلا ومجلسا ومجتمعا

قوله تعالى (٣٢) وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٣) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٤) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٥) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٦) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا خمس آيات

=(القراءة)=

قرأ ابو جعفر وعاصم ويعقوب وسهل وكان له ثمر واحيط بثمره في الموضعين بالفتح ووافق رويس في الاول وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم في الموضعين والباقون بضم الثاء والميم في الحرفين وقرأ اهل الحجاز وابن عامر خيرا منهما بزيادة ميم وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ اهل العراق منها بغير ميم

❋ الحجة ❋

قال ابو علي الثمرة ما يجتنى من ذي الثمر وجمعها ثمرات ويجمع على ثمر كبقرة وبقر وعلى ثمار كرقبة ورقاب وعلى هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات وقد يشبه كل واحد منهما بالآخر ويجوز في القياس ان يكسر ثمار على ثمر ككتاب وكتب وقراءة ابي عمرو وكان له ثمر يجوز أن يكون جمع ثمار كما يخفف كتب ويجوز ان يكون ثمر جمع ثمرة كبدنة وبدن وخشبة وخشب ويجوز ان يكون ثمر واحدة كعنق وطنب فعلى اي هذه الوجوه كان جاز اسكان العين منه كذلك في قوله واحيط بثمره وقال بعض اهل اللغة الثمر المال والثمر المأكول وجاء في التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل والشجر ولم يرد به الثمرة والثمر على ما روي عن عدة من السلف بل الأصول التي تحمل الثمرة لا نفس الثمر بدلالة قوله فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها اي في الجنة والنفقة إنما تكون على ذوات الثمرة في اغلب العرف وكانت الآفة التي ارسلت اليها اصطلمت

الاصول واجتاحتها كما جاء في صفة الجنة الاخرى فاصبحت كالصريم اي كالليل في سوادها لاحتراقها وكالنهار في بياضها وما بطل من خضرتها بالآفة النازلة بها وحكي عن ابي عمرو الثمر والثمر انواع المال فاذا اصطلم الثمر فاجتيح دخلت الثمرة فيه ولا يمكن ان يصاب الأصل ولا تصاب الثمرة واذا كان كذلك فمن قرأ بثمره وثمره كان قوله ابين ممن قرأ بالفتح ويجوز القراءة بالفتح كأنه اخبر عن بعض ما اصيب وامسك عن بعض وقوله خيرا منها منقلبا فالافراد لأنه اقرب إلى الجنة المفردة في قوله ودخل جنته والتثنية لتقدم ذكر الجنتين

﴿ اللغة ﴾

حف القوم بالشيء إذا اطافوا به وحفافا الشيء جانباه كأنهما اطافا به قال طرفة

كأن جناحي مضرحي تكنفا ... حفافيه شكا في العسيب بمسرد

والمحاورة مراجعة الكلام في المخاطبة ويقال كلمت فلانا فما رجع إلى حوار ومحورة وحوائر

﴿ الإعراب ﴾

إنما قال اتت على لفظ كلتا فإنه بمنزلة كل في انه مفرد اللفظ ولو قال اتتا على المعنى لجاز قال الشاعر في التوحيد

وكلتاهما قد خط لي في صحيفتي ... فلا العيش اهواه ولا الموت اروح

﴿ المعنى ﴾

ثم ضرب الله لعباده مثلا يستفيئهم به إلى طاعته ويزجرهم عن معصيته وكفران نعمته فقال مخاطبا لنبيه ﷺ (واضرب لهم مثلا رجلين) روي عن ابن عباس أنه قال يريد ابني ملك كان في بني اسرائيل توفي وترك ابنين وترك مالا جزيلا فأخذ احدهما حقه منه وهو المؤمن منهما فتقرب إلى الله تعالى واخذ الآخر حقه فتملك به ضياعا منها هاتان الجنتان وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم انه يريد رجلا كان له بستانان كبيران كثيرا الثمار كما حكى سبحانه وكان له جار فقير فافتخر الغني على الفقير وقال له انا اكثر منك مالا واعز نفرا وهذا اليق بالظاهر (جعلنا لأحدهما جنتين) اي بستانين اجنهما الاشجار (من اعناب وحففناهما بنخل) اي جعلنا النخل مطيفا بهما (وجعلنا بينهما زرعا) اي وجعلنا بين البستانين مزرعة فكملت النعمة بالعنب والتمر والزرع (كلتا الجنتين آتت اكلها) اي كل واحدة من البستانين آتت غلتها وأخرجت ثمرتها وسماه اكلا لأنه مأكول (ولم تظلم منه شيئا) أي لم تنقص منه شيئا بل ادته على التمام والكمال كما قال الشاعر

يظلمني مالي كذا ولوى يدي ... لوى يده الله الذي هو غالبه

اي ينقصني مالي (وفجرنا خلالهما نهرا) اي شققنا وسط الجنتين نهرا يسقيهما حتى يكون الماء قريبا منهما يصل اليهما من غير كد وتعب ويكون ثمرهما وزرعهما بدوام الماء فيهما اوفى وأروى (وكان له ثمر) قيل ان معناه وكان للنخل الذي فيهما ثمر وقيل معناه وكان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما يملك الناس ثمارا لا يملكون اصلها عن ابن عباس وقيل كان لهذا الرجل مع هذين البستانين الذهب والفضة عن مجاهد وقيل كان له معهما جميع الاموال عن قتادة وابن عباس في رواية اخرى (فقال لصاحبه وهو يحاوره) اي فقال الكافر لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ويراجعه في الكلام (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) اي اعز عشيرة ورهطا وسمى العشيرة نفرا لأنهم ينفرون معه في حوائجه وقيل معناه اعز خدما وولدا عن قتادة ومقاتل (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) اي ودخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه (قال ما أظن ان تبيد هذه ابدا) اي ما اقدر ان تفنى هذه الجنة وهذه الثمار ابدا وقيل يريد ما اظن هذه الدنيا تفنى ابدا (وما اظن الساعة قائمة) اي وما احسب القيامة آتية كائنة على ما يقوله الموحدون (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) معناه ولئن كانت القيامة

والبعث حقا كما يقوله الموحدون لأجدن خيرا من هذه الجنة قال الزجاج وهذا يدل على ان صاحبه المؤمن قد اعلمه ان الساعة تقوم وانه يبعث فأجابه بأن قال له ولئن رددت إلى ربي اي كما اعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة افضل منها لكرامتي عليه ظن الجاهل انه اوتي ما اوتي لكرامته على الله تعالى وقيل معناه لأكسبن في الآخرة خيرا من هذه التي اكتسبتها في الدنيا ومن قرأ منهما رد الكناية إلى الجنتين اللتين تقدم ذكرهما وفي هذا دلالة على انه لم يكن قاطعا على نفي المعاد بل كان شاكا فيه

قوله تعالى (٣٧) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٨) لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً (٣٩) وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً (٤٠) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً (٤١) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً (٤٢) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً (٤٣) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً (٤٤) هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ثماني آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وابن فليح والبرجمي ويعقوب لكنا باثبات الالف في الوصل والوقف وقرأ الباقون لكن بحذف الألف في الوصل وقرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل ولا خلاف في اثبات الالف في الوقف إلا قتيبة فإنه قرأ بغير الف في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن لكن انا وقراءة عيسى الثقفي لكن هو الله ربي وقرأ البرجمي عن ابي بكر غورا بضم الغين هاهنا وفي الملك وقرأ ولم يكن له فية بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون ولم تكن بالتاء وقرأ ابو عمرو الولاية بفتح الواو ولله الحق بالرفع وقرأ الكسائي الولاية بكسر الواو والحق بالرفع وقرأ حمزة وخلف الولايـة بكسر الواو والحق بالجر وقرأ الباقون الولاية بفتح الواو والحق بالجر

الحجة

وقرأ عاصم وحمزة وخلف عقبا ساكنة القاف والباقون بضم القاف

قال الزجاج من قرأ لكنا بتشديد النون فهو لكن انا في الأصل فطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح فصارت لكنن بنونين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الاولى في الثانية وحذفت الألف في الوصل لأن الف انا تثبت في الوقف وتحذف في الأصل في اجود اللغات نحو ان قمت بغير الألف ويجوز انا قمت بإثبات الالف وهو ضعيف جدا ومن قرأ لكنا فاثبت الألف في الوصل فإنه على لغة من قال انا قمت فاثبت الألف قال الشاعر

انا شيخ العشيرة فاعرفوني حميداً قد تذريت السناما

إلا ان اثبات الألف في لكنا هو الجيد لأن الهمزة قد حذفت من انا فصار اثبات الألف عوضاً من الهمزة قال ابو علي لا ارى قوله ان اثبات الألف هو الجيد لأنه صار عوضاً من الهمزة كما قال لأن هذه

الألف تلحق للوقف مثل الهاء في ماهيه وحسابيه والهاء في مثل هذا الطرف مثل الف الوصل في ذلك الطرف فكما ان اثبات همزة الوصل في الوصل خطأ كذلك الهاء والألف في الوصل خطأ فلا يلزم ان يثبت عوض من الهمزة المحذوفة ألا ترى ان الهمزة في ويلمه قد حذفت حذفا على غير ما يوجبه قياس التخفيف ولا يعوض منها فأن لا يعوض منها في التخفيف القياسي اجدر لأن الهمزة هنا في تقدير الثبات ولولا ذلك لم يحرك حرف اللين في نحو جيل في جيأل ومونة في موءنة قال وقد تجيء هذه الألف مثبتة في الشعر نحو قول الأعشى

فكيف انا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا

وقول الآخر انا شيخ العشيرة البيت ولا يكون ذلك مختارا في القراءة ومن قرأ لكنا في الوصل فإنه يحتمل امرين احدهما ان يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن فيدغم النون من لكن لسكونها في النون من علامة الضمير فيكون على هذا لكنا باثبات الألف وصلا ووقفا لا غير الا ترى ان احدا لا يحذف الألف من نحو فعلنا وقوله هو من هو الله ربي ضمير الحديث والقصة كما انه في قوله فإذا هي شاخصة وقوله قل هو الله احد كذلك والتقدير الامر الله احد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر فيصير المبتدأ والخبر موضع خبره كما انه في ان وكأن وظننت وما يدخل على المبتدأ والخبر كذلك وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان لكنا هو الله ربنا ودخلت لكن مخففة على الضمير كما دخلت في قوله إنا معكم والوجه الآخر ان سيبويه حكى انه سمع من يقول اعطني ابيضة فشدد والحق الهاء بالتشديد للوقف والهاء مثل الألف في سبسباء والياء في عيهلي واجرى الهاء مجراهما في الاطلاق كما كانت مثلهما في نحو قوله

صفية قومي ولا تجزعي وبكى النساء على حمزة

فهذا الذي حكاه سيبويه في الكلام وليس في شعر وكذلك الآية يكون الألف فيها كالهاء ولا يكون الهاء للوقف الا ترى ان الهاء للوقف لا يبين بها المعرب ولا ما ضارع المعرب فعلى احد هذين الوجهين يكون قول من اثبت الألف في الوصل او عليهما جميعا ولو كانت فاصلة لكانت مثل "فأضلونا السبيلا" (واما) قراءة ابي لكن انا فهي الاصل في قراءة الجماعة لكن على ما تقدم بيانه لأن الف انا محذوف في الوصل قال الشاعر

وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي

أي لكن انا وانا مرفوع بالابتداء وخبره الجملة المركبة من المبتدأ والخبر التي هي هو الله ربي والعائد على المبتدأ من الجملة الياء في ربي ومن قرأ لكن هو الله ربي فاعرابه واضح واما من قرأ غورا فيمكن أن يكون غورا لغة في غور وإنما جاز أن يقع المصدر موقع الصفة للمبالغة كما قال الشاعر

تظل جياده نوحا عليه مقلدة أعنتها صفونا

واما قوله ولم يكن له فية بالياء فإن الياء والتاء هنا حسن وأما قوله هنالك الولاية لله الحق فقد حكى ابو عبيدة عن ابي عمرو ان الولاية هنا لحن لأن الكسر في فعالة يجيء فيما كان صنعة ومعنى متقلدا كالكتابة والامارة والخلافة وما اشبه ذلك وليس هنا معنى تولي امر إنما هو الولاية من الدين وكذلك التي في الأنفال ما لكم من ولايتهم من شيء وقال بعض أهل اللغة الولاية النصر يقال هم أهل ولاية عليك أي متناصرون عليك والولاية ولاية السلطان قال وقد يجوز الفتح في هذه والكسر في تلك كما قالوا الوكالة والوكالة والوصاية والوصاية بمعنى واحد فعلى هذا يجوز الكسر في الولاية في هذا الموضع ومن كسر القاف من الحق فجعله من وصف الله تعالى وصفه بالحق وهو مصدر كما وصفه بالعدل والسلام والمعنى ذو الحق وذو السلام وكذلك الإله معنى ذو العبادة ويدل عليه قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين ومن رفع الحق جعله صفة للولاية ومعنى وصف الولاية

بالحق انه لا يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق واما قوله عقبا فإن ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدم ذكره

﴿ اللغة ﴾

أصل الحسبان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكأن ذلك من رمي الأساورة وأصل الباب الحساب وإنما يقال لما يرمي به حسبان لأنه يكثر كثرة الحساب قال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه والزلق الارض الملساء المستوية لا نبات فيها ولا شيء وأصل الزلق ما تزلق عنه الاقدام فلا يثبت عليه

﴿ الإعراب ﴾

ما شاء الله يحتمل أن يكون ما رفعا وتقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولا والضمير العائد اليه يكون محذوفا لطول الكلام ويجوز ان يكون التقدير ما شاء الله كائن ويحتمل ان يكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء ويكون الجواب محذوفا وتقديره أي شيء شاء الله كان ومثله في حذف الجواب قوله فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض ان ترن انا اقل اقل منصوب بأنه مفعول ثان لترن وأنا إن شئت كان توكيدا او وصفا لياء المتكلم وإن شئت كان فصلا كما تقول كنت انت القائم با هذا قاله الزجاج ويجوز رفع أقل وقد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون انا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع نصب بأن يكون المفعول الثاني لترني وقوله فعسى الفاء جواب قوله ان ترني وثوابا وعقبا منصوبان على التمييز

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال (قال له صاحبه وهو يحاوره) أي يخاطبه ويجيبه مكفرا له بما قاله (أكفرت بالذي خلقك من تراب) يعني أصل الخلقة أي خلق أباك من تراب وهو آدم(ع) وقيل لما كانت النطفة خلقها الله سبحانه بمجرى العادة من الغذاء والغذاء ينبت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) أي نقلك من حال إلى حال حتى جعلك بشرا سويا معتدل الخلقة والقامة وإنما كفره بإنكاره المعاد وفي هذا دلالة على ان الشك في البعث والنشور كفر (لكنا هو الله ربي) تقديره لكن انا أقول هو الله ربي وخالقي ورازقي فإن افتخرت علي بدنياك فإن افتخاري بالتوحيد (ولا اشرك بربي احدا) أي لا اشرك بعبادتي إياه احدا سواه بل أوجهها اليه وحده خالصا وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله) معناه وقال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار والزرع شكرت الله تعالى وقلت ما شاء الله كان وإني و إن تعبت في جمعه وعمارته فليس ذلك إلا بقدرة الله وتيسيره ولو شاء لحال بيني وبين ذلك ولانزع البركة عنه فإنه لا يقوى أحد على ما في يديه من النعمة إلا بالله ولا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال (ان ترن انا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك) معناه إن كنت تراني اليوم فقيرا أقل منك مالا وعشيرة وأولاداً فلعل الله ان يؤتيني بستانا خيرا من بستانك في الآخرة او في الدنيا والآخرة (ويرسل عليها حسبانا من السماء) أي ويرسل على جنتك عذابا او نارا من السماء فيحرقها عن ابن عباس وقتادة وقيل يرسل عليها عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك عن الزجاج وقيل ويرسل عليها مرامي من عذابه اما بردا واما حجارة او غيرهما مما يشاء من انواع العذاب (فتصبح صعيدا زلقا) أي ارضا مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضر ارض من بعد ان كانت أنفع ارض (او يصبح ماؤها غورا) أي غائرا ذاهبا في باطن غامض منقطعا فيكون اعدم ارض للماء بعد ان كانت أوجد ارض للماء (فلن تستطيع له طلبا) أي فلن تقدر على طلبه إذا غار ولا يبقى له أثر تطلبه به فلن تستطيع رده وقيل

معناه فلن تستطيع طلب غير ذلك الماء بدلا عنه إلى هنا انتهى مناظرة صاحبه وانذاره ثم قال سبحانه (وأحيط بثمره) معناه اهلك وأحيط العذاب بأشجاره ونخيله فهلكت عن آخرها تقول أحيط ببني فلان إذا هلكوا عن آخرهم وأصل الاحاطة ادارة الحائط على الشيء وفي الخبر ان الله عز وجل أرسل عليها نارا فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) هذا الكافر (يقلب كفيه) تأسفا وتحسرا (على ما أنفق فيها) من المال وهو أن يضرب يديه واحدة على الأخرى عن ابن عباس وتقليب الكفين يفعله النادم كثيرا فصار عبارة عن الندم (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها وما عرش لكرومها وذلك ان السقف ينهدم اولا ثم ينهدم الحائط على السقف وقيل ان العروش الأبنية ومعناه خالية على بيوتها قد ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها (ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا) ندم على الكفر لفناء ماله لا لوجوب الايمان فلم ينفعه ولو ندم على الكفر فآمن بالله تحقيقا لانتفع به وقيل انه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى وآمن (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) أي لم يكن لهذا الكافر جماعة يدفعون عذاب الله عنه وقيل الفئة الجند قال العجاج «كما يحوز الفئة الكمي» (وما كان منتصرا) أي وما كان ممتنعا عن قتادة قيل معناه وما كان مستردا بدل ما ذهب عنه قال ابن عباس وهذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات في قوله اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين إلى قوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم وروى هشام بن سالم وابان بن عثمان عن الصادق (ع) قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله سبحانه حسبنا الله ونعم الوكيل فإني سمعت الله يقول بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت لمن اغتم كيف لا يفزع إلى قوله لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين فإني سمعت الله سبحانه يقول بعقبها فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن مكر به كيف لا يفزع إلى قوله وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فإني سمعت الله عز وجل يقول بعقبها فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله ما شاء الله لا قوة إلا بالله فإني سمعت الله يقول بعقبها فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك وعسى موجبة وقوله (هنالك الولاية لله الحق) اخبر سبحانه ان في ذلك الموضع وفي ذلك الوقت الذي يتنازع فيه الكافر والمؤمن الولاية بالنصرة والاعزاز لله عز وجل فهو الذي يتولى أمر عباده المؤمنين ويملك النصرة لمن أراد وقيل هنالك اشارة إلى يوم القيامة وتقديره الولاية يوم القيامة لله يريد يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون عن القتيبي وقيل معناه هنالك ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين فالولاية يومئذ خالصة له لا يملكها احد من العباد (هو خير ثوابا) أي هو افضل ثوابا ممن يرجى ثوابا على تقدير لو كان يثيب غيره لكان هو خير ثوابا (وخير عقبا) أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير عقب طاعة ثم حذف المضاف اليه والعقب والعقبى والعاقبة بمعنى

قوله تعالى (٤٥) وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٦) ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٧) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٨) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٩) وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويوم تسير بضم التاء وفتح الياء الجبال رفع والباقون نسير بالنون وكسر الياء والجبال نصب

(الحجة)

قال ابو علي حجة من بنى الفعل للمفعول به قوله وسيرت الجبال وقوله و إذا الجبال سيرت ومن قرأ نسير فلأنه اشبه بما بعده من قوله وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا

اللغة

الهشيم ما يكسر ويحطم من يبس النبات والذر والتذرية تطيير الريح الأشياء الخفيفة في كل جهة يقال ذرته الريح تذروه وذرته وأذرته وأذريت الرجل عن الدابة إذا القيته عنها قال الشاعر

فقلت له صوت ولا تجهدنه   فيذرك من أخرى القطاة فيزلق

والمغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك للوفاء ومنه الغدير لترك الماء فيه والاشفاق الخوف من وقوع مكروه مع تجويز أن لا يقع وأصله الرقة ومنه الشفق الحمرة الرقيقة التي تكون في السماء وشفقة الانسان على ولده رقته عليه

الإعراب

صفا نصب على الحال أي مصفوفين. ان لن نجعل ان هذه مخففة من الثقيلة ولن نجعل لكم موعدا خبره وقال قد كتبت في المصحف اللام مفصولة ولا وجه له . لا يغادر في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يضرب المثل للدنيا تزهيدا فيها وترغيبا في الآخرة فقال (واضرب) يا محمد (لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) اي نبت بذلك الماء نبات التف بعضه ببعض يروق حسنا وغضاضة وهذا مفسر في سورة يونس (ع) (فأصبح هشيما) اي كسيرا مفتتا (تذروه الرياح) فتنقله من موضع إلى موضع فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات (وكان الله على كل شيء مقتدرا) اي قادرا لا يجوز عليه المنع قال الحسن اي كان الله مقتدرا على كل شيء قبل كونه قال الزجاج وتأويله ان ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث وانه كذلك كان لم يزل هذا مذهب سيبويه وقيل انه اخبار عن الماضي ودلالة على المستقبل وهذا المثل إنما هو للمتكبرين الذين اغتروا بأموالهم واستنكفوا عن مجالسة فقراء المؤمنين اخبرهم الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يراد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة له فهو يروق ما خالطه ذلك الماء فإذا انقطع عنه عاد هشيما لا ينتفع به ثم قال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) اي يتفاخر بهما ويتزين بهما في الدنيا ولا ينتفع بهما في الآخرة و إنما سماها زينة لأن في المال جمالا وفي البنين قوة ودفعا فصارا زينة الحياة الدنيا وكلاهما لا يبقى للانسان فينتفع به في الآخرة (والباقيات الصالحات) وهي الطاعات لله تعالى وجميع الحسنات لأن ثوابها يبقى ابدا عن ابن عباس وقتادة (خير عند ربك ثوابا وخير املا) أي افضل ثوابا واصدق املا من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا فإن من الامال كواذب وهذا امل لا يكذب لان من عمل الطاعة وجد ما يأمله عليها من الثواب وقيل ان الباقيات الصالحات هي ما كان يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين وهو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر عن ابن عباس في رواية عطا ومجاهد وعكرمة وروى انس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لجلسائه خذوا جنتكم قالوا احضر عدو قال خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فإنهن المقدمات وهن المجنبات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال والذكر الله اكبر قال ذكر الله

عند ما احل او حرم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فإنهن من الباقيات الصالحات فقولوها وقيل هي الصلوات الخمس عن ابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق والنخعي وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وروي عنه ايضاً أن من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاة الليل وقيل ان الباقيات الصالحات هن البنات الصالحات والاولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات والخيرات وفي كتاب ابن عقدة أن ابا عبد الله (ع) قال للحصين بن عبد الرحمن ياحصين لا تستصغر مودتنا فإنها من الباقيات الصالحات قال يا ابن رسول الله ما استصغرها ولكن احمد الله عليها و إنما سميت الطاعات صالحات لأنها اصلح الأعمال للمكلف من حيث امر بها ووعد الثواب عليها وتوعد بالعقاب على تركها (ويوم نسير الجبال) قيل انه يتعلق بما قبله وتقديره والباقيات الصالحات خير ثوابا في هذا اليوم وقيل انه ابتداء كلام وتقديره واذكر يوم نسير الجبال يعني يوم القيامة وتسيير الجبال قلعها عن اماكنها فإن الله سبحانه يقلعها ويجعلها هباء منثورا وقيل نسيرها على وجه الأرض كما تسير السحاب في السماء ثم يجعلها كثيبا مهيلا كما قال يوم ترجف الأرض والجبال الآية ثم يصيرها كالعهن المنفوش ثم يصيرها هباء منبثا في الهواء كما قال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ثم يصيرها بمنزلة السراب كما قال وسيرت الجبال فكانت سرابا (وترى الارض بارزة) اي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل او بناء او شجر يسترها عن عيون الناظرين وقيل ان معناه وترى باطن الأرض ظاهرا قد برز من كان في بطنها فصاروا على ظهرها عن عطا وتقديره وترى ما في الأرض بارزا فهو مثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترمي الأرض بأفلاذ كبدها (وحشرناهم) اي وبعثناهم من قبورهم وجمعناهم في الموقف (فلم نغادر منهم احدا) اي فلم نترك منهم احدا إلا حشرناه (وعرضوا على ربك) يعني المحشورين يعرضون على الله تعالى يوم القيامة (صفا) اي مصفوفين كل زمرة وامة صفا وقيل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف في الصلاة وقيل يعرضون صفا واحدا لا يحجب بعضهم بعضا ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة) معناه لقد جئتمونا ضعفاء فقراء عاجزين في الموضع الذي لا يملك فيه الحكم غيرنا كما كنتم في ابتداء الخلق لا تملكون شيئا وقيل معناه ليس معكم شيء مما اكتسبتموه في الدنيا من الأموال والأولاد والخدم تنتفعون به كما كنتم في اول الخلق وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة عزلا فقالت عائشة يارسول الله اما يستحي بعضهم من بعض فقال صلى الله عليه وآله وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) اي ويقال لهم ايضا بل زعمتم في دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعدا للبعث والجزاء والحساب يوم القيامة (ووضع الكتاب) اي ووضع الكتب فإن الكتاب اسم جنس والمعنى ووضعت صحائف بني آدم في ايديهم وقيل معناه ووضع الحساب فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على اعمالهم المكتوبة عن الكلبي (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) اي خائفين مما فيه من الأعمال السيئة (ويقولون ياويلتنا) هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع في شدة فيدعو على نفسه بالويل والثبور (ما لهذا الكتاب) أي اي شيء لهذا الكتاب (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها) اي لا يترك صغيرة من الذنوب ولا كبيرة إلا عدها واثبتها وحواها وقد مر تفسير الصغيرة والكبيرة في سورة النساء وانث الصغيرة والكبيرة بمعنى الفعلة والخصلة (ووجدوا ما عملوا حاضرا) اي مكتوبا في الكتاب مثبتا وقيل معناه وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا فجعل وجود الجزاء كوجود الأعمال توسعا (ولا يظلم ربك احدا) معناه ولا ينقص ربك ثواب محسن ولا يزيد في عقاب مسيء وفي هذا دلالة على انه سبحانه لا يعاقب الأطفال لأنه إذا كان لا يزيد في عقوبة المذنب فكيف يعاقب من ليس بمذنب

قوله تعالى (٥٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ

بدلاً (٥١) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً (٥٢) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر ما اشهدناهم بالنون على التعظيم والباقون ما اشهدتهم بالتاء وقرأ حمزة ويوم نقول بالنون والباقون بالياء

الحجة

من قرأ نقول بالنون حمله على ما تقدم في المعنى فكما ان كنت للمتكلم فكذلك نقول ومن قرأ بالياء فحجته ان الكلام قد انقضى فالمعنى ويوم يقول الله نادوا شركائي وهذا يقوي القراءة بالياء لانه لو كانت بالنون لكان الاشبه ان يقول نادوا شركاءنا

اللغة

الفسق الخروج إلى حال تضر يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفسقت الفارة إذا خرجت من جحرها قال روءبة

يهوين في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا

قال ابو عبيدة هذه التسمية لم نسمعها في شيء من اشعار الجاهلية ولا احاديثها وإنما تكلم بها العرب بعد نزول القرآن وقال المبرد الأمر على ما ذكره ابو عبيدة وهي كلمة فصيحة على السنة العرب وقال قطرب فسق عن امر ربه اي عن رد امر ربه كقولهم كسوته عن عرى وأطعمته عن جوع والعضد ما بين المرفق إلى الكتف وفيه خمس لغات عضُد وعضْد وعَضِد وعُضْد وعُضُد وعضدت فلانا اعنته وفلان عضدي استعارة واعتضد به اي استعان . قال تغلب كل شيء حال بين شيئين فهو موبق من وبق يبق وبوقا إذا هلك وحكى الزجاج وبق الرجل يوبق وبقا

الاعراب

بئس للظالمين بدلا اسم بئس مضمر فسر بقوله بدلا وقوله للظالمين فصل بين بئس وبين ما انتصب على التمييز والتقدير بئس البدل للظالمين ذرية ابليس فذرية ابليس هو المخصص بالذم عن ابي علي الفارسي

المعنى

ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة ابليس وما اورثه الكبر فقال (وإذ قلنا) اي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) قد مر تفسيره فيما تقدم وإنما تقرر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج اتصاله به فهو كالمعنى الذي يفيد امرا في مواضع كثيرة للاخبار عنه باخبار مختلفة وقوله (كان من الجن) من قال ان ابليس لم يكن من الملائكة استدل بهذا لأن الجن غير الملائكة كما انهم غير الانس ومن قال انه كان من الملائكة قال ان المعنى كان من الذين يستترون عن الابصار مأخوذ من الجن وهو الستر وقيل كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن كانوا خزان الجنان فأضيفوا اليها كقولك كوفي وبصري وضعف الأولون هذين الوجهين لأن لفظ الجن إذا اطلق فالمفهوم منه هذا الجنس المعروف لا الملائكة (ففسق عن امر ربه) اي خرج عن طاعة ربه ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال (افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو) معناه افتتبعون امر ابليس وامر ذريته وتتخذونهم اولياء تتولونهم

بالطاعة من دوني وهم جميعا اعداءٌ لكم والعاقل حقيق بأن يتّهم عدوه على نفسه وهذا استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ قال مجاهد ذريته الشياطين وقال الحسن الجن من ذريته (بئس للظالمين بدلا) تقديره بئس البدل للظالمين بدلا ومعناه بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم إذ اطاعوا ابليس عن الحسن وقيل بئس البدل طاعة الشيطان عن طاعة الرحمن عن قتادة (ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق انفسهم) اي ما احضرت ابليس وذريته خلق السماوات والأرض ولا خلق انفسهم مستعينا بهم على ذلك ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض وهذا اخبار عن كمال قدرته واستغنائه من الأنصار والاعوان ويدل عليه قوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) اي الشياطين الذين يضلون الناس اعوانا يعضدونني عليه وكثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحّده هنا لوفاق الفواصل وقيل أن معنى الآية انكم اتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وانا ما اطلعتهم على خلق السماوات والأرض ولا على خلق انفسهم ولم اعطهم العلم بانه كيف تخلق الاشياء فمن اين تتبعونهم وقيل معناه ما احضرت مشركي العرب وهؤلاء الكفار خلق السماوات والأرض ولا خلق انفسهم اي وما احضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقتهم فمن اين قالوا ان الملائكة بنات الله ومن اين ادعوا ذلك (ويوم يقول) يريد يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبدة الأصنام (نادوا شركائي الذين زعمتم) في الدنيا انهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب (فدعوهم) يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله (فلم يستجيبوا لهم) اي فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئا (وجعلنا بينهم) اي بين المؤمنين والكافرين (موبقا) وهو اسم واد عميق فرق الله به سبحانه بين اهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد وقتادة وقيل بين المعبودين وعبدتهم موبقا اي حاجزا عن ابن الأعرابي اي فأدخلنا من كانوا يزعمون انهم معبودهم مثل الملائكة والمسيح الجنة وادخلنا الكفار النار وقيل معناه جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقا اي مهلكا لهم في الآخرة عن الفراء وروي ذلك عن قتادة وابن عباس فالبين على هذا القول معناه التواصل والمعنى ان تواصلهم وتوادهم في الكفر صار سبب هلاكهم في الآخرة وقيل موبقا عداوة عن الحسن فكأنه قال عداوة مهلكة وروي عن انس ابن مالك انه قال الموبق واد في جهنم من قيح ودم

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض بما قبله انه يتصل اتصال الحجة التي تكشف حيرة الشبهة لانه بمنزلة ان يقال انكم قد اقبلتم على اتباع ابليس وذريته وتركتم امر الله تعالى مع كثرة الحجج ولو أشهدتهم خلق السماوات والأرض لم تزيدوا على ما فعلتم من اتباعهم وقيل انه سبحانه بين بذلك انه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغي ان تشركوا معه في العبادة غيره او تدعوا غيره إلها

قوله تعالى (٥٣) وَرَأَ ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٤) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا (٥٥) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا (٥٦) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة قبلا بضمتين والباقون قبلا

﴿ الحجة ﴾

قد ذكرنا الوجه في سورة الأنعام

﴿ اللغة ﴾

المواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب واوقع به ايقاعا والتوقع الترقب لوقوع الشيء والمصرف المعدل قال ابو كثير

ازهير هل عن شيبة من مصرف ام لا خلود لباذل متكلف

والتصريف تنقيل المعنى في الجهات المختلفة والادحاض الاذهاب بالشيء إلى الهلاك ومكان دحض اي مزلق مزل لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم قال « وحاد كما حاد البعير عن الدحض »

—(الاعراب)—

أن يؤمنوا في موضع نصب والمعنى ما منع الناس من الايمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون ان يأتيهم في موضع رفع وما انذروا في موضع نصب عطفا على آياتي وهزوا هو المفعول الثاني لا تتخذوا

—(المعنى)—

ثم بين سبحانه حال المجرمين فقال (ورأى المجرمون النار) يعني المشركين رأوا النار وهي تتلظى حنقا عليهم عن ابن عباس وقيل هو عام في اصحاب الكبائر (فظنوا انهم مواقعوها) اي علموا انهم داخلون فيها واقعون في عذابها (ولم يجدوا عنها مصرفا) اي معدلا وموضعا ينصرفون اليه ليتخلصوا منها (ولقد صرفنا) اي بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) وتصريفها ترديدها من نوع واحد وانواع مختلفة ليتفكروا فيها وقد مر تفسيره في بني اسرائيل (وكان الإنسان اكثر شيء جدلا) يريد بالإنسان النضر بن الحارث عن ابن عباس ويريد ابي بن خلف عن الكلبي وقال الزجاج معناه وكان الكافر يدل عليه قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل (وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم) معناه ما منعهم من الإيمان بعد مجيء الدلالة ومن ان يستغفروا ربهم على ماسبق من معاصيهم (إلا ان تأتيهم سنة الأولين) اي الا طلب ان تأتيهم العادة في الأولين من عذاب الاستئصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امتنعوا من قبول الهدى والايمان (او يأتيهم العذاب قبلا) او طلب ان يأتيهم العذاب عيانا مقابلة من حيث يرونه وتأويله انهم بامتناعهم من الإيمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمنوا كرها لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وهذا كما يقول القائل لغيره ما منعك ان تقبل قولي إلا ان تضرب على ان المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم ومن قرأ قبلا فهو في معنى الأول ويجوز أن يكون ايضا جمع قبيل وهو الجماعة أي يأتيهم العذاب ضروبا من كل جهة ثم بين سبحانه انه قد ازاح العلة واظهر الحجة وأوضح المحجة فقال (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) اي لم نرسل الرسل إلى الخلق إلا مبشرين لهم بالجنة إذا أطاعوا او مخوفين لهم بالنار إذا عصوا (ويجادل الذين كفروا بالباطل) اي ويناظر الكفار دفعا عن مذاهبهم بالباطل (ليدحضوا به الحق) اي ليزيلوا الحق عن قراره قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين واتباعهم وجدالهم بالباطل إنهم الزموه أن يأتي بالآيات على اهوائهم على ما كانوا يقترحونه ليبطلوا به ما جاء به محمد ﷺ يقال ادحضت حجته أي ابطلتها (واتخذوا آياتي) يعني القرآن (وما انذروا) اي ما تخوفوا به من البعث والنار (هزوا) مهزوا به استهزؤوا به

قوله تعالى (٥٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ

يداهُ إنا جعلنا على قُلوبِهِم أكنةً أن يفقهوهُ وفي آذانِهِم وقراً وإن تدعُهُم إلى الهُدى فلن يهتدُوا إذاً أبداً (٥٨) وربُّكَ الغفورُ ذو الرحمةِ لو يؤاخذُهُم بما كسبُوا لعجلَ لهُمُ العذابَ بل لهُم موعدٌ لن يجدُوا من دُونِهِ موئلاً (٥٩) وتلكَ القُرى أهلكناهُم لما ظلمُوا وجعلنا لمهلكِهِم موعداً ثلاث آيات

القراءة

قرأ حفص عن عاصم لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النمل وما شهدنا مهلك وقرأ حماد ويحيى عن ابي بكر بفتح الميم واللام وقرأ الأعشى والبرجمي عنه هاهنا بالضم وهناك بالفتح وقرأ الباقون لمهلكهم ومهلك بضم الميم وفتح اللام

الحجة

من قرأ لمهلكهم فإن المهلك يجوز أن يكون مصدرا ويجوز أن يكون وقتا فيكون معناه لاهلاكهم او لوقت اهلاكهم ومن قرأ لمهلكهم فالمراد لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر مثل الهلاك وقد حكي ان تميا يقول هلكني زيد وعلى هذا حمل بعضهم قوله « ومهمه هالك من تعرجا » فقال هو بمعنى مهلك فيكون هالك مضافا الى المفعول به واذا لم يكن بمعنى مهلك يكون هالك مضافا الى الفاعل مثل حسن الوجه وكذلك قوله لمهلكهم على قراءة حفص او لمهلكهم بفتح اللام والميم فإنه مصدر فعلى قول من عدى هلكت يكون مضافا الى المفعول به وعلى قول من لم يعده يكون مضافا الى الفاعل

الإعراب

تلك القرى تلك رفع بالابتداء والقرى صفة لها مبينة لها وأهلكناهم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون موضع تلك القرى نصبا بفعل مضمر يكون اهلكناهم مفسرا لذلك الفعل وتقديره واهلكنا تلك القرى اهلكناهم

المعنى

ثم قال سبحانه (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) معناه ليس احد اظلم لنفسه ممن ذكر اي وعظ بالقرآن وآياته ونبه على ادلة التوحيد فاعرض عنها جانبا (ونسي ما قدمت يداه) اي نسي المعاصي التي استحق بها العقاب وقيل معناه تذكر واشتغل عنه استخفافا به وقلة معرفة بعاقبته لانه نسي ذلك ثم قال سبحانه (إنا جعلنا على قلوبهم اكنة) وهي جمع كنان (ان يفقهوه) اي كراهة ان يفقهوه او لئلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) اي ثقلا وقد تقدم بيان هذا فيما مضى وجملته انه على التمثيل كما قال في موضع آخر وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فالمعنى كأن على قلوبهم أكنة ان يفقه وفي آذانهم وقرا ان يسمع (وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا ابدا) اخبر سبحانه انهم لا يؤمنون ابدا وقد خرج مخبره موافقا لخبره فماتوا على كفرهم (وربك الغفور ذو الرحمة) معناه وربك الساتر على عباده الغافر لذنوب المؤمنين ذو النعمة والافضال على خلقه وقيل الغفور التائب ذو الرحمة للمصر بأن يمهل ولا يعجل وقيل الغفور لا يؤاخذهم عاجلا ذو الرحمة يؤخرهم ليتوبوا (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) وهو يوم القيامة والبعث (لن يجدوا من دونه موئلا) اي ملجأ عن ابن عباس وقتادة وقيل محرزا عن مجاهد وقيل منجا ينجيهم عن ابي عبيد قال يقال لاوالت نفسه اي لا نجت قال الاعشى

وقد اخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم لا يئل

وقال الآخر

لا وألت نفسك خليتها للعامريين ولم تكلم

(وتلك القرى) إشارة إلى قرى عاد وثمود وغيرهم (اهلكناهم لما ظلموا) بتكذيب انبياء الله وجحود آياته (وجعلنا لمهلكهم) اي وجعلنا الوقت إهلاكهم اولوقت هلاكهم (موعدا) معلوما يهلكون فيه لمصلحة اقتضت تأخيره اليه وانما قال سبحانه تلك القرى ثم قال اهلكناهم ولم يقل اهلكناها لأن القرية هي المسكن نحو المدينة والبلدة وهي لا تستحق الهلاك وإنما يستحق الهلاك اهلها ولذلك قال لما ظلموا يعني أهل القرية الذين اهلكناهم

قوله تعالى (٦٠) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦١) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦٢) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٣) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٤) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا خمس آيات

❋ القراءة ❋

قرأ حفص وما انسانيه بضم الهاء وفي الفتح بما عاهد عليه الله بضم الهاء والباقون بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يثبت الياء في الوصل وقد تقدم القول في وجه ذلك

❋ اللغة ❋

لا ابرح اي لا أزال ولو كان معناه لا أزول كان محالا لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع ارضا قال الشاعر

وابرح ما أدام الله قومي رخي البال منتطقا مجيدا

اي لا ازال والحقب الدهر والزمان وجمعه احقاب قال الزجاج والحقب ثمانون سنة والسرب المسلك والمذهب ومعناه في اللغة المحفور في الارض لا نفاذ له ويقال للذاهب في الارض سارب قال الشاعر

اني سربت وكنت غير سروب وتقرب الأحلام غير قريب

والنصب والوصب والتعب نظائر وهو الوهن الذي يكون على الكد

❋ الاعراب ❋

سربا منصوب على وجهين احدهما ان يكون مفعولا ثانيا لاتخذ كما يقال اتخذت طريقي مكان كذا واتخذت طريقي في الدرب والآخر أن يكون مصدرا يدل عليه اتخذ سبيله في البحر فكأنه قال فسرب الحوت سربا وقوله ان اذكره في موضع نصب بدل من الهاء في انسانيه والمعنى وما انساني ان اذكره إلا الشيطان وعجبا منصوب على وجهين ❋ احدهما ❋ ان يكون على قول يوشع اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا والآخر ان يكون قال يوشع واتخذ سبيله في البحر فأجابه موسى (ع) فقال عجبا فكأنه قال اعجب عجبا وقصصا مصدر وضع موضع الحال تقديره يقصان الاثر قصصا والقصص اتباع الأثر وقال احد المحققين عجبا في موضع حال تقديره قال ذلك متعجبا وقصصا مصدر لفعل مضمر يدل عليه قوله فارتدا على آثارهما فإن معناه فاقتصا الاثر

النزول

ذكر علي بن ابراهيم في تفسيره قال لما اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشا بخبر اصحاب الكهف قالوا اخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى (ع) ان يتبعه من هو كيف تبعه وما قصته فانزل الله تعالى

المعنى

(وإذ قال موسى لفتاه) اكثر المفسرين على انه موسى بن عمران وفتاه يوشع بن نون وسماه فتاه لأنه صحبه ولازمه سفرا وحضرا للتعلم منه وقيل لأنه كان يخدمه ولهذا قال له آتنا غداءنا وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب وقال محمد بن اسحاق يقول اهل الكتاب إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى ابن ميشا بن يوسف وكان نبياً في بني اسرائيل قبل موسى بن عمران إلا ان الذي عليه الجمهور انه موسى بن عمران ولان اطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران كما ان اطلاق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينصرف إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قال علي ابن ابراهيم حدثني محمد بن علي بن بلال قال اختلف يونس وهشام بن ابراهيم في العالم الذي أتاه موسى أيهما كان اعلم وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه فكتبوا إلى ابي الحسن الرضا (ع) يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب اتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر فسلم عليه موسى فانكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من انت قال انا موسى بن عمران قال انت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما قال نعم قال فما حاجتك قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا قال اني وكلت بأمر لاتطيقه ووكلت بأمر لا اطيقه الخبر بطوله (لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين) معناه لا ازال امضي وامشي ولا اسلك طريقا آخر حتى ابلغ ملتقى البحرين بحر فارس وبحر الروم ومما يلي المغرب بحر الروم ومما يلي المشرق بحر فارس عن قتادة وقال محمد بن كعب هو طنجة وروي عنه افريقيه وكان وعد ان يلقى عنده الخضر (أو أمضي حقبا) اي دهرا عن ابن عباس وقيل سبعين سنة عن مجاهد وقيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر (فلما بلغا مجمع بينهما) اي فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين (نسيا حوتهما) اي تركاه وقيل انه ضل الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سربا فسمي ضلاله عنهما نسيانا منهما له وقيل انه من النسيان والناسي له كان احدهما وهو يوشع فأضيف النسيان اليهما كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد امرهم وقيل ان النسيان وجد منهما جميعاً فإن يوشع نسي أن يحمل الحوت او ان يذكر موسى ما قد رأى من امره ونسي موسى أن يأمره فيه بشي فصار كل واحد منهما ناسيا لغيره مما نسيه الآخر وقوله (فاتخذ سبيله في البحر سربا) اي فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا يذهب فيه وذلك ان موسى وفتاه تزودا حوتاً مملوحاً عن ابن عباس وقيل حوتاً طرياً عن الحسن ثم انطلقا يمشيان على شاطئ البحر حتى انتهيا إلى صخرة على ساحل البحر فاويا اليها وعنده عين ماء تسمى عين الحياة فجلس يوشع بن نون وتوضأ من تلك العين فانتضح على الحوت شيء من ذلك الماء فعاش ووثب في الماء وجعل يضرب بذنبه الماء فكان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماء جامدا فذلك معنى قوله فاتخذ سبيله في البحر سربا (فلما جاوزا) ذلك المكان قال موسى (لفتاه آتنا غداءنا) قيل انهما انطلقا بقية يومهما وليلتهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتنا غداءنا اي اعطنا ما نتغدى به والغداء طعام الغداة والعشاء طعام العشي والانسان إلى الغداء اشد حاجة منه إلى العشاء (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) اي تعبا وشدة قالوا ان الله تعالى القى على موسى الجوع ليتذكر حديث الحوت (قال) له يوشع عند ذلك (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) ومعناه ان يوشع تذكر قصة الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أرأيت حين رجعنا إلى الصخرة ونزلنا هناك فإني تركت الحوت وفقدته وقيل نسيته ونسيت حديثه وقيل فيه اضمار اي نسيت ان اذكر لك امر الحوت ثم اعتذر فقال (وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره) وذلك انه لو ذكر لموسى (ع)

قصة الحوت عندالصخرة لما جاوزها موسى ولما ناله النصب الذي اشكاه ولم يلق في سفره النصب إلا يومئذ (واتخذ سبيله في البحر عجبا) أي سبيلا عجبا وهو ان الماء انجاب عنه وبقي كالكوة لم يلتئم وقيل ان كلام يوشع قد انقطع عند قوله واتخذ سبيله في البحر فقال موسى عند ذلك عجبا كيف كان ذاك وقيل ان معناه واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا عن ابن عباس والمعنى دخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر (قال ذلك ما كنا نبغ) قال موسى «ع» ذلك ما كنا نطلب من العلامة (فارتدا على آثارهما) أي رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاءا منه يقصان آثارهما (قصصا) أي يتبعانها ويوشع امام موسى «ع» حتى انتهيا إلى مدخل الحوت

❊ القصة ❊

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اخبرني أبي ابن كعب قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله تعالى به فقال فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة الآية قال وكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ الآية قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فوجدا رجلا مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه وانت على علم من علم الله علمك لا أعلمه انا فقال له موسى ستجدني إن شاء الله صابرا ولا اعصي لك أمرا فقال له الخضر فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة وكلوهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت الاولى من موسى «ع» نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقلعه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني إلى قوله يريد أن ينقض كان مائلا فقال (١) الخضر «ع» بيده فأقامه فقال موسى «ع» قوم قد أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير كان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وروى اصحابنا عن ابي عبد الله «ع» ايضا انه كان يقرأ كل سفينة صالحة غصبا وروى ذلك ايضا عن ابي جعفر قال وهي قراءة امير المؤمنين «ع»

(١) كذا ولعله فدفعه

قوله تعالى (٦٥) فَوَجَدَ عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً (٦٦) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٧) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٨) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٩) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (٧٠) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (٧١) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (٧٢) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٣) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (٧٤) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (٧٥) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً احدى عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو ويعقوب رشدا بالفتح والباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين وقرأ فلا تسألني مشددة النون مدني شامي والباقون خفيفة النون ولم يخالفوا في إثبات الياء فيه وصلا ووقفا لانها مثبتة في جميع المصاحف وقرأ ليغرق بفتح الياء والراء اهلها بالرفع كوفي غير عاصم والباقون لتغرق بضم التاء أهلها بالنصب وقرأ زكية بغير الف كوفي وشامي وسهل والباقون زاكية وقرأ نكرا بضمتين مدني غير اسماعيل وابو بكر ويعقوب وسهل وابن ذكوان والباقون نكرا ساكنة الكاف

— الحجة —

قال ابو علي الرشد والرشد لغتان وقد اجرى العرب كل واحد منها مجرى الآخر فقالوا اسد وأسد وخشب وخشب فجمعوا فعَلا على فعُل ثم فعلا ايضا على فعل وذلك قوله والفلك التي تجري في البحر وفي آية أخرى في الفلك المشحون فهذا يدلك على انهم أجروها مجرى واحد ومن قرأ فلا تسألني بالتشديد فإنه لما ادخل النون الثقيلة بني الفعل معها على الفتح قال والقراءة بالتاء في لتغرق اولى ليكون الفعل مسندا إلى المخاطب كما كان المعطوف عليه كذلك وهو اخرقتها وهذا يأتي في معنى الياء ايضا لأنهم إذا اغرقهم غرقوا وقوله نكرا فعل وهو من امثلة الصفات قالوا ناقة أجد ومشية سجح فمن خفف ذلك كما يخفف نحو العنق والطنب والشغل فالتخفيف فيه مستمر

﴿ اللغة ﴾

الأمر الداهية العظيمة قال الشاعر

لقد لقي الأقران مني نكرا داهية دهياء إدا إمرا

وهو مأخوذ من الإمر لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح ومنه رجل امرٌ إذا كان ضعيف الرأي لأنه يحتاج ان يؤمر حتى يقوى رأيه ومنه امر القوم اي كثروا ومعناه احتاجوا إلى من يأمرهم وينهاهم ومنه الأمر من الأمور اي الشيء الذي من شأنه ان يؤمر فيه

﴿ الاعراب ﴾

قوله رشدا يجوز ان ينتصب على انه مفعول له ويكون المعنى هل اتبعك للرشد او لطلب الرشد على ان تعلمني فيكون على ان تعلمني حالا من قوله اتبعك ويجوز ان يكون قوله رشدا مفعولا به وتقديره اتبعك على ان تعلمني رشدا مما

علمته ويكون العلم الذي يتعدى إلى مفعول واحد فيتعدى بتضعيف العين إلى مفعولين والمعنى على ان تعلمني امرا ذا رشد وعلما ذا رشد اوخبرا نصب على المصدر والمعنى لم يخبره خبرا

المعنى

(فوجدا عبدا من عبادنا) اي صادف موسي وفتاه وادركا عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر«ع» واسمه بليا بن ملكان وإنما سمي خضرا لأنه إذا صلى في مكان اخضر ما حوله وروي مرفوعا انه قعد على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء وقيل انه رآه على طنفسة خضراء فسلم عليه فقال وعليك السلام يا نبيّ بني اسرائيل فقال له موسي وما ادراك من انا ومن اخبرك اني نبي قال من دلك عليّ واختلف في هذا العبد فقال بعضهم انه كان ملكا امر الله تعالى موسى ان يأخذ عنه ما حمله إياه من علم بواطن الأشياء وقال الاكثرون انه كان من البشر ثم اختلفوا فقال الجبائي وغيره انه كان نبيا لأنه لا يجوز ان يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغضاضة على النبي وكان ابن الاخشيد يجوز ان لا يكون نبيا ويكون عبداً صالحا أودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره وهذا ليس بالوجه ومتى قيل كيف يكون نبي اعلم من موسى في وقته قلنا يجوز ان يكون الخضر خص بعلم ما لا يتعلق بالاداء فاستعلم موسى من جهته ذلك العلم فقط وإن كان موسي اعلم منه في العلوم التي يؤديهما من قبل الله تعالى (آتيناه رحمة من عندنا) يعني النبوة وقيل طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) اي علما من علم الغيب عن ابن عباس وقال الصادق(ع) كان عنده علم لم يكتب لموسي(ع) في الالواح وكان موسى يظن ان جميع الأشياء التي يحتاج اليها في تابوته وان جميع العلم قد كتب له في الألواح (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا) اي علما ذا رشد قال قتادة لو كان احد مكتفيا من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه قال هل اتبعك الآية عظمه«ع» بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم اليه ورضي باتباعه وخاطبه بمثل هذا الخطاب والرشد العلوم الدينية التي ترشد إلى الحق وقيل هو علوم الالطاف الدينية التي تخفى على الناس (قال) العالم (انك لن تستطيع معي صبرا) أي يثقل عليك الصبر ولا يخف عليك ولم يرد انه لا يقدر على الصبر وإنما قال ذلك لأن موسي«ع» كان يأخذ الأمور على ظواهرها والخضر كان يحكم بما اعلمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك ثم قال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكر وانت لم تعرف باطنه ولم تعلم حقيقته والخبر العلم وفي هذا دلالة على انه لم يرد بقوله لن تستطيع معي صبرا نفي الاستطاعة للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم او لم يعلم (قال) موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا) أي اصبر على ما أرى منك (ولا أعصي لك امرا) تأمرني به ولا أخالفك فيه قال الزجاج وفيما فعله موسى«ع» وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم والرحلة فيه ما يدل على انه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وانه يجب أن يتواضع لمن هو اعلم منه وإنما قيد(ع) صبره بمشيئة الله لأنه اخبر به على ظاهر الحال فجوز ان لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه فقال إن شاء الله ليخرج بذلك من أن يكون كاذبا (قال) الخضر له (فإن اتبعتني) واقتفيت أثري (فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا) اي لا تسألني عن شيء افعله مما تنكره ولا تعلم باطنه حتى اكون اناالذي افسره لك (فانطلقا) يمشيان على شاطئ البحر (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) ومعناه انهما أرادا أن يعبرا في البحر إلى ارض أخرى فاتيا معبرا فعرف صاحب السفينة الخضر(ع) فحملهما فلما ركبا في السفينة خرق الخضر(ع) السفينة أي شقها حتى دخلها الماء وقيل انه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاهما موسى(ع) بثوبه (وقال) منكرا عليه (أخرقتها لتغرق أهلها) ولم يقل لتغرق وإن كان في غرقها غرق جميعهم لأنه اشفق على القوم اكثر من اشفاقه على نفسه جريا على عادة الأنبياء ثم قال بعد انكاره ذلك (لقد جئت شيئا امرا) اي منكرا عظيما يقال امر

الامر امرا إذا كبر والإمر الاسم منه (فقال) له الخضر (ألم اقل) لك (انك لن تستطيع معي صبرا) اي ألم أقل حين رغبت في اتباعي ان نفسك لا تطاوعك على الصبر معي فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم (قال) معتذرا مستقيلا (لا تؤاخذني بما نسيت) اي غفلت من التسليم لك وترك الانكار عليك وهو من النسيان الذي هو ضد الذكر وروي عن ابي بن كعب قال انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام وقيل بما تركت من وصيتك وعهدك عن ابن عباس وعلى هذا فيكون من النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة والسهو (ولا ترهقني من امري عسرا) اي لا تكلفني مشقة تقول ارهقته عسرا إذا كلفته ذاك والمعنى عاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر ولا تضيق على الأمر في صحبتي إياك (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) ومعناه فخرجا من البحر وانطلقا يمشيان في البر يعني موسى والخضر ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى اوكان قد تأخر عنهما وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر(ع) في البحر فلقيا غلاما يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جبير وكان من احسن أولئك الغلمان واصبحهم وقيل صرعه ثم نزع رأسه من جسده وقيل ضربه برجله فقتله وقال الأصم كان شابا بالغا لأن غير البالغ لا يستحق القتل وقد يسمي الرجل غلاما قالت ليلى الاخيلية

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

(قال أقتلت نفسا زكية) أي طاهرة من الذنوب وزكية بريئة من الذنوب وقيل الزاكية التي لم تذنب والزكية التي أذنبت ثم تابت حكي ذلك عن أبي عمرو بن العلا وقيل الزكية أشد مبالغة من الزاكية عن تغلب وقيل الزاكية في البدن والزكية في الدين (بغير نفس) اي بغير قتل نفس يريد القود (لقد جئت شيئا نكرا) أي قطعيا منكرا لا يعرف في شرع والمنكر اشد من الإمر عن قتادة وإنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه حين رأى قتله (قال) العالم (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله اولا مع النهي عن العود بمثل سؤاله

قوله تعالى (٧٦) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (٧٧) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (٧٨) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (٧٩) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (٨٠) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً (٨١) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً (٨٢) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً سبع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب برواية روح وزيد فلا تصحبني والباقون فلا تصاحبني وقرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم من لدني خفيفة النون والباقون لدني بالتشديد وقرأ ابن كثير واهل البصرة لتخذت بكسر الخاء مخففة وابن كثير

يظهر منه الذال والباقون لا اتخذت وعاصم يظهر الذال والآخرون يدغمون وقرأ اهل المدينة وأبو عمرو أن يبدلهما بفتح الباء وتشديد الدال وكذلك في التحريم أن يبدله وفي القلم أن يبدلنا والباقون بسكون الباء وتخفيف الدال وقرأ رحما بضم الحاء ابو جعفر وابن عامر وعاصم وعباس ويعقوب وسهل والباقون بسكون الحاء وفي الشواذ قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم جدارا يريد أن ينقض بضم الياء وقراءة علي بن ابي طالب (ع) وعكرمة ويحيى بن يعمر ينقاص بصاد غير معجمة وبالألف وقراءة عبد الله والأعمش يريد لينقض

❋ الحجة ❋

من قرأ فلا تصحبني فمعناه لا تكونن صاحبي ومن قرأ فلا تصاحبني فمعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وأما قوله من لدني فإن الاجود تشديد النون لأن اصل لدن الاسكان فإذا اضفتها إلى نفسك زدت نونا لتسلم سكون النون الأولى تقول من لدن زيد ومن لدني كما تقول عن زيد وعني ومن قرأ لدني لم يجز له أن يقول عني لأن لدن اسم غير متمكن ومن وعن حرفان جاءا لمعنى ولدن مع ذلك اثقل من من وعن والدليل على ان الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدني في معنى حسبي ويجوز قدي «قال قدني من نصر الخبيبين قدي» فجاء باللغتين وقال ابو زيد اتخذنا مالاً نتخذه اتخاذا وتخذت اتخذ تخذا وقال ابو علي وجه الادغام ان هذه الحروف متقاربة فيدغم بعضها في بعض كما يدغم سائر المتقاربة فالتاء والدال والطاء والظاء والذال والثاء يدغم بعضها في بعض للمقاربة فأما الصاد والسين والزاء فيدغم بعضها في بعض ويدغم فيها الحروف الستة ولا يدغمن في الستة لما يختل من ادغامها في مقاربها من الصفير وأما قوله ان يبدلهما فإن ابدل وبدّل متقاربان في المعنى كما ان انزل ونزل كذلك وأما قوله رُحُما فإن الرحم والرحم هاهنا الرحمة قال رؤبة

يا منزل الرحم على ادريس ومنزل اللعن على ابليس

قال ابن جني قوله يريد ان ينقض معناه قد قارب او شارف ذلك فهو عائد الى معنى يكاد وقد جاء ذلك عنهم وانشد ابو الحسن

كادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

وحسن هنا لفظ الارادة لأنه اقوى في وقوع الفعل وذلك انها داعية الى وقوعه وهي ايضا لا تصح الا مع الحياة ولا يصح الفعل الا لذي الحياة وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياة له نحو ميل الحائط واشراق ضوء الفجر وينقاض اي ينكسر يقال قضه فانقاض قال

فراق كقبص السن فالصبر إنه لكل اناس كسرة وجبور

وقالوا ايضا قضته فانقاض بضاد معجمة يعني هدمته فانهدم قال «كأنها هدم في الجفر منقاض» وقراءة العامة ينقض يحتمل امرين ❋ احدهما ❋ ان يكون ينفعل من القضة وهي الحصى الصغار ❋ والآخر ❋ ان يكون يفعل من نقضت الشيء كقراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يريد ان ينقض فيكون كيزور ويرعوي ونحوهما مما جاء من غير الالوان والعيوب ومن قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائدة فيه واحتججت فيه بقراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان شئت قلت تقديره ارادته لكذا كقولك قيامه لكذا وجلوسه لكذا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما انشد ابو زيد

فقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي أثير

اي اللهو فوضع اللهو موضع مصدره وانشد ايضا

واهلكني لكم في كل يوم تعوجكم علي واستقيم

اي واستقامتي وكاللام هنا اللام في قوله

اريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فيحتمل اللام هنا الوجهين اللذين تقدم ذكرهما

﴿ اللغة ﴾

الانقضاض السقوط بسرعة قال ذو الرمة (فانقض كالكوكب الدري منصلتا) والوراء والخلف واحد وهو نقيض جهة القدام ويستعمل وراء بمعنى القدام ايضا على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة فكان كل واحدة من الجهتين وراء الاخرى قال الشاعر

اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

وقال لبيد

أليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنو عليها الأصابع

وقال الفراء يجوز ذلك في الزمان دون الاجسام قال علي بن عيسى وغيره يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منها وراء الآخر والارهاق ادراك الشيء بما يغشاه ورهقه الفارس اي غشيه وادركه وغلام مراهق إذا قارب ان يغشاه حال البلوغ ويقال ارهقه امرا أي الحقه اياه قال الأزهري الرهق جهل الإنسان وارهقه عسرا كلفه اياه وجاء في الحديث كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل مكة مراهقاً خرج إلى عرفة اي ضاق عليه الوقت

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج قوله هذا فراق بيني وبينك زعم سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد يعني هذا فراق بيننا اي هذا فراق اتصالنا ومثله من الكلام اخزي الله الكاذب مني ومنك وهذا لا يكون إلا بالواو ولا يجوز هذا فراق بيني فبينك لأن معنى الواو الاجتماع ومعنى الفاء ان يأتي الثاني في اثر الأول ومساكين لا ينصرف لأنه جمع ليس له في الآحاد نظير رحمة من ربك منصوب على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان المعنى فعلنا ذلك رحمة اي للرحمة كما تقول انقذتك من الهلكة رحمة لك والآخر أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمهما الله بذلك

﴿ المعنى ﴾

(قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) أي قال له موسى جوابا إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة او بعد هذه النفس وقتلها فلا تتركني اصحبك (قد بلغت من لدني عذرا) اي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقد اخبرتني إني لا أستطيع معك صبرا عن ابن عباس وهذا اقرار من موسى (ع) بأن الخضر قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية فقال استحيى نبي الله موسى ولو صبر لرأى الفا من العجائب (فانطلقا حتى إذا أتيا اهل قرية) وهي انطاكية عن ابن عباس وقيل أيلة عن ابن سيرين ومحمد بن كعب وقيل هي قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى نصارى وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (استطعما اهلها) اي سألاهم الطعام (فأبوا ان يضيفوهما) والتضييف والإضافة بمعنى واحد اي لم يضيفهما احد من اهل القرية وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كانوا اهل قرية لئام وقال ابو عبد الله (ع) لم يضيفوهما ولا يضيفون بعدهما احداً إلى ان تقوم الساعة (فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض)وصف الجدار بالإرادة مجاز ومعناه قرب ان ينقض واشرف على ان ينهدم وذلك على التشبيه بحال من يريد الفعل في الثاني وهذا من فصيح كلام العرب ومثله في اشعارهم كثير قال الراعي يصف الإبل

في مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفؤوس إذا اردن فصولا

وقال الآخر

يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل

وقريب منه قول الآخر

إن دهرا يلف شملي بسعدي لزمان يهم بالإحسان

أي كأنه يهم وقال عنترة يصف فرسه

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا الي بعبرة وتحمحم

(فأقامه) اي سوّاه قيل انه دفع الجدار بيده فاستقام عن سعيد بن جبير (قال لو شئت لتخذت عليه اجرا) معناه إنهم لما بخلوا عليهما بالطعام وأقام الخضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب موسى من ذلك فقال لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسد به جوعتنا (قال هذا فراق بيني وبينك) معناه هذا الكلام والانكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا وقيل معناه هذا وقت فراق اتصالنا وكرر بين تأكيدا عن الزجاج وقيل معناه هذا الذي قلته سبب الفراق بيني وبينك ثم قال له (سأنبئك) اي سأخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال عنها صبرا (أما السفينة فكانت لمساكين) معناه اما السبب في خرق السفينة فهو انها كانت لفقراء لاشيء لهم يكفيهم قد سكنتهم قلة ذات ايديهم (يعملون في البحر) يعملون بها في البحر ويتعيشون بها (فأردت أن أعيبها) اي احدث فيها عيبا (وكان وراءهم) اي وكان قدامهم (ملك يأخذ كل سفينة) صحيحة او غير معيبة (غصبا) عن قتادة وابن عباس قال عباد بن صهيب قدمت الكوفة لاسمع من اسماعيل بن ابي خالد فمررت بشيخ جالس فقلت ياشيخ كيف امر إلى منزل اسماعيل ابن ابي خالد فقال لي وراءك فقلت ارجع فقال اقول وراءك وترجع فقلت أليس ورائي خلفي قال لا ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً قال ولو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه ولكن كان بين ايديهم قال الخضر إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها وقيل يحتمل ان الملك كان خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ولم يعلم به اصحاب السفينة وعلم به الخضر «ع» (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين) وروي عن أبي وابن عباس انهما كانا يقرآن واما الغلام فكان كافرا وابواه مؤمنين وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» ومعناه واما الغلام الذي قتلته فإنما قتلته لأنه كان كافرا (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) أي فعلمنا انه إن بقي يرهق ابويه أي يغشيهما طغيانا وكفرا وهو من كلام الله تعالى وقيل معناه فخفنا ان يحمل ابويه على الطغيان والكفر بأن يباشر ما لا يمكنهما منعه منه فيحملها على الذب عنه والتعصب له فيؤدي ذلك إلى أمور يكون مجاوزة للحد في العصيان والكفر وهو من كلام الخضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الخشية وقيل معناه فكرهنا أن يرهق الغلام ابويه إثما وظلما بطغيانه وكفره (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة) أي ولدا خيرا منه دينا وطهارة وصلاحا (واقرب رحما) أي وأرحم بهما عن قتادة والزكاة الصلاح والزكي الصالح والرحم العطف والرحمة وقيل معناه ابر بوالديه وأوصل للرحم عن ابن عباس وقيل معناه واقرب ان يرحمابه قال قتادة قال مطرف ايم الله انا لنعلم انهما فرحا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتهما فرضي رجل بما قسم الله له فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فاستخر الله وارض بقضائه وروي انهما ابدلا بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبيا عن ابي عبد الله (ع) وقيل انه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا هدي الله على يديه أمة

من الأمم عن الكلبي وفي قتل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب اليه لأن المفهوم من الآية انه تدبير من الله تعالى لم يكن يجوز خلافه وأنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفسد عند شيء يجب عليه في الحكمة ان يذهب ذلك الشيء حتى لا يقع هذا الفساد ومتى قيل انه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل قلنا ان هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء وعند حصول العلم به يحسن ذلك ومتى قيل إن الله كان قادرا على إزالة حياة الغلام بالموت من غير الم فتزول التبقية التي هي المفسدة من غير ادخال ايلام عليه بالقتل فلم أمر بالقتل فالجواب من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان الله تعالى قد علم ان ابويه لا يثبتان على الايمان إلا بقتل هذا الغلام فتعين وجه الوجوب في القتل ﴿ والآخر ﴾ ان تبقية الغلام إذا كانت مفسدة فالله تعالى مخير في إزالتها بالموت من غير ألم وبالقتل لأن القتل وإن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزائه اعواضا كثيرة توازي ذلك الألم ويزيد عليه اضعافا كثيرة فيصير القتل بالمنافع العظيمة التي بإزائه كأنه ليس بألم ويدخل في قبيل النفع والاحسان (وأما الجدار فكان) اي فإنما أقمته لأنه كان (لغلامين يتيمين في المدينة) يعني القرية المذكورة في قوله أتيا أهل قرية (وكان تحته كنز لهما) والكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضة وغير ذلك واختلف في هذا الكنز فقيل كانت صحف علم مدفونة تحته عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس ما كان ذلك الكنز الا علما وقيل كان كنزا من الذهب والفضة عن قتادة وعكرمة واختاره الجبائي ورواه ابو الدرداء عن النبي ﷺ وقيل كان لوحا من ذهب وفيه مكتوب عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن. عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب. عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح. عجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وفي بعض الروايات زيادة ونقصان وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن إن الكنز كان مالا كتب فيه علم فهو مال وعلم (وكان ابوهما صالحا) بين سبحانه انه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحا عن ابن عباس وروي عن ابي عبد الله (ع) انه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء وقال ﷺ ان الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله (فأراد ربك ان يبلغا أشدهما) اي ينتهيا إلى الوقت الذي يعرفان فيه نفع انفسهما وحفظ مالهما وهو ان يكبرا ويعقلا (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) اي نعمة من ربك والمعنى ان كل ما فعلته رحمة من الله تعالى اي رحم الله بذلك المساكين وابوي الغلام واليتيمين رحمة (وما فعلته عن امري) اي وما فعلت ذلك من قبل نفسي وإنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس يريد انكشف لي من الله علم فعملت به ثم قال (ذلك) الذي قلته لك (تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) اي ثقل عليك مشاهدته ورؤيته واستنكرته يقال استطاع يستطيع واسطاع يسطيع قال ابو علي الجبائي لا يجوز ان يكون الخضر حيا إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه ولانه لا نبي بعد نبينا ﷺ وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن تبقيته في مقدور الله تعالى ويجوز ان تنخرق العادة للأنبياء صلوات الله عليهم بالاجماع ولا يمتنع ايضا أن يكون بحيث لا يتعرف إلى احد وان الناس وإن كانوا يشاهدونه لا يعرفونه وقوله انه لا نبي بعد نبينا مسلم ولكن نبوة الخضر (ع) كانت ثابتة قبل نبوة نبينا محمد ﷺ وأما شرعه لو كان له شرع خاص فإنه منسوخ بشريعة نبينا ولو كان داعيا إلى شريعة من تقدمه من الأنبياء فإن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لها فلا يؤدي إلى ما قاله الجبائي

قوله تعالى (٨٣) وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٤) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٥) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٦) حَتَّى إِذَا بَلَغَ

مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٧) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا خمس آيات في الكوفي ست في البصري اربع في المدني عدا الكوفي والبصري من كل شيء سببا فاتبع سببا آيتين ولم يعد الكوفي عندها قوما آية بل جعل آخر الآية حسنا

القراءة

قرأ ابن عامر وأهل الكوفه فاتبع ثم اتبع بهمزة القطع وفتحها وتخفيف التاء وسكونها والباقون فاتبع بهمزة الوصل وتشديد التاء وفتحها وقرأ ابو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة غير حفص حامية والباقون حمئة بغير الف مهموز

الحجة

قال ابو علي تبع فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تعدى إلى مفعولين يدلك على ذلك قوله واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وأما اتبع فإنه افتعل يتعدى إلى مفعول واحد كما يتعدى فعل اليه مثل حفرته واحتفرته وشويته واشتويته ومن قرأ فاتبع سببا تقديره فاتبع سببا سببا او اتبع امره سببا او اتبع ما هو عليه سببا فحذف احد المفعولين كما حذف في قوله لينذر بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون قولا والمعنى لينذر الناس بأساً شديدا ولا يكادون يفقهون احدا قولا ومن قرأ فاتّبع سببا فالمعنى اتجه في كل وجه وجهناه له وأمرناه به السبب الذي ينال به صلاح ما مكن منه وقال ابو عبيدة معناه اتبع طريقا وأثرا ومن قرأ حمئة فعلى فعلة ومن قرأ حامية فهي فاعلة من حميت تحمى فهي حامية وروي عن الحسن انه قال حارة ويجوز فيمن قرأ حامية ان يكون فاعلة من الحماة فخفف الهمزة على قياس قول ابي الحسن فيقلبها ياء محضة وان خففها على قول الخليل كانت بين بين قال سيبويه وهو قول العرب

اللغة

القرن قرن الشاة وغيرها وقرون الشعر الذوائب ومنه قول ابي سفيان ولا الروم ذوات القرون أراد قرون شعورهم لأنهم كانوا يطولونه والذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وهو التفكر وقد يكون باللسان وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب يقال للطريق إلى الشيء سبب وللحبل سبب وللباب سبب والحمأة الطين الأسود يقال حمئت البئر تحمأ فهي حمئة إذا صار فيها الحمأة قال ابو الأسود

تجيء بملئها طوراً وطورا ... تجيء بحمأة وقليل ماء

وحمأت البئر اخرجت منه الحمأة واحمأتها القيت فيها الحمأة

الإعراب

إما ان تعذب وإما ان تتخذ فيهم حسنا ان مع الفعل في موضع نصب بفعل مضمر كما ان قوله فاما منا بعد واما فداء كذلك ويجوز أن يكون ان مع الفعل في موضع المبتدأ والخبر مضمر اي اما العذاب واقع منك فيهم واما اتخاذ امر ذي حسن واقع منك فيهم فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة وهذا اظهر والأول عن احمد بن يحيي

المعنى

ثم بين سبحانه قصة ذي القرنين فقال (ويسألونك) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره وقصته لا عن شخصه واختلف فيه فقيل انه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد وعبد الله بن عمر وقيل انه كان

ملكا عادلا وروي عن علي بن ابي طالب (ع) انه كان عبداً صالحاً احب الله وأحبه الله وناصح الله وناصحه قد امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع اليهم فدعاهم الى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذلك قرناه وفيكم مثله يعني نفسه (ع) وفي سبب تسميته بذي القرنين اقوال أخر ﴿ منها ﴾ انه سمي به لأنه كانت له ضفيرتان عن الحسن ﴿ ومنها ﴾ أنه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العامة عن يعلى بن عبيد ومنها انه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب فسمي بذلك لاستيلائه على قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها عن الزهري واختاره الزجاج ﴿ ومنها ﴾ انه رأى في منامه انه دنى من الشمس حتى اخذ بقرنيها في شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين عن وهب ﴿ ومنها ﴾ انه عاش عيش قرنين فانقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي ﴿ ومنها ﴾ انه كان كريم الطرفين من اهل بيت الشرف من قبل ابيه وامه قال معاذ بن جبل كان من ابناء الروم واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) معناه قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبراً وقصة (انا مكناله في الأرض) اي بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها وروي عن علي (ع) انه قال سخر الله له السحاب فحمله عليها ومدّ له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الأرض وهو انه سهل عليه المسير فيها وذلل له طرقها وحزونها حتى تمكن منها انى شاء (وآتيناه من كل شيء سببا) اي فأعطيناه من كل شيء علما يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل معناه وآتيناه من كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد ومحاربة الاعداء عن الجبائي وقيل معناه وآتيناه من كل شيء سببا كما قال سبحانه لعلّي ابلغ الاسباب اسباب السماوات اي سبلها (فأتبع سببا) معناه فأتبع طريقا واحدا في سلوكه قال الزجاج معناه فأتبع سببا من الاسباب التي اوتيها وذلك انه أوتي من كل شيء سببا فأتبع من تلك الاسباب التي أوتي سببا في المسير إلى المغرب ومن قرأ فأتبع سببا فمعناه لحق كقوله فأتبعه الشيطان والأصل فيه ما مر ذكره في الحجة (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) اي موضع غروبها ومعناه انه انتهى إلى آخر العمارة من جانب المغرب وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس ولم يرد بذلك انه بلغ إلى موضع الغروب لأنه لا يصل اليه أحد (وجدها) تغرب معناه وجدها كأنها (تغرب في عين حمئة) وان كانت تغرب في ورائها عن الجبائي وابن مسلم والبلخي لأن الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل عين الماء ولأنه قال وجد عندها قوماً ولكن لما بلغ ذوالقرنين ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما ان من كان في البحر رآها كأنها تغرب في الماء ومن كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء والعين الحمئة هي ذات الحمأة وهي الطين الاسود المنتن والحامية الحارة وعن كعب قال اجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وقوله (ووجد عندها قوما)معناه ووجد عند العين ناسا (قلنا ياذا القرنين إما ان تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) في هذا دلالة على ان القوم كانوا كفارا والمعنى اما ان تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك وأما ان تأسرهم وتمسكهم بعد الأسر لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى وقيل معناه واما ان تعفو عنهم.واستدل من ذهب الى ان ذا القرنين كان نبيا بهذا قال لأن أمر الله تعالى لا يعلم الا بالوحي والوحي لا يجوز إلا على الانبياء وقال الكلبي ان الله تعالى الهمه ولم يوح اليه وقال ابن الانباري ان كان ذو القرنين نبيا فان الله تعالى قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم اوبوحي وان لم يكن نبيا فإن معنى قلنا الهمنا لأن الالهام ينوب عن الوحي قال سبحانه واوحينا الى أم موسى أي والهمناها قال قتادة فقضي ذو القرنين فيهم بقضاء الله تعالى وكان عالما بالسياسة قال (أما من ظلم) اي اشرك عن ابن عباس (فسوف نعذبه) اي نقتله اذا لم يرجع عن الشرك (ثم يرد الى ربه) بعد قتلي اياه (فيعذبه عذابا نكرا) اي منكرا غير معهود يعني في النار وهو أشد من القتل في الدنيا

قوله تعالى (٨٨) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً (٨٩) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٩٠) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً (٩١) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً (٩٢) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً خمس آيات عراقي

(القراءة)

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب فله جزاء بالنصب والتنوين . والباقون جزاء الحسنى بالرفع والإضافة

الحجة

قال ابو علي من قال فله جزاء الحسنى كان المعنى فله جزاء الخلال الحسنى التي عملها لأن الإيمان والعمل الصالح خلال ومن قال فله جزاء الحسنى فالمعنى له الحسنى جزاء فجزاء مصدر وقع موقع الحال اي فله الحسنى مجزية وقال ابو الحسن وهذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدما الا في الشعر

المعنى

(وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) مر معناه (وسنقول له من أمرنا يسراً) اي سنقول له قولا جميلا وسنأمره بما يتيسر عليه ولا نؤاخذه بما مضى من كفره (ثم اتبع سببا) اي طريقاً آخر من الأرض ليؤديه إلى مطلع الشمس ويوصله إلى المشرق (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) اي بلغ موضع ابتداء العمارة من الجانب الذي تطلع منه الشمس (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) معناه انه لم يكن بها جبل ولا شجر ولا بناء لأن ارضهم لم يكن يثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والاسراب وإذا غربت تصرفوا في أمورهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال لم يعلموا صنعة البيوت وقوله كذلك معناه مثل ذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس في ان حكمهم حكم أولئك وقيل ان معناه انه اتبع سببا إلى مطلع الشمس مثل ما اتبع سببا إلى مغرب الشمس وتم الكلام عند قوله (كذلك) ثم ابتدأ سبحانه فقال (وقد أحطنا بما لديه خبرا) اي علمنا ما كان عند ذي القرنين من الجيوش والعدة وآلات السياسة وقيل معناه احطنا علما بصلاحه واستقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله كما علمناه بعد أن فعله ولم يخف علينا حاله وفي قوله بما لديه إشارة إلى حسن الثناء عليه والرضا بافعاله لامتثاله أمر الله تعالى في كل أحواله ثم اتبع سبباً معناه ثم اتبع مسلكا بالغاً ما يبلغه قطراً من اقطار الارض وهذا يقوي قول من قال إن الارض كروية الشكل لانه لم ياخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه وإنما اخذ في طريق آخر

قوله تعالى (٩٣) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٤) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً (٩٥) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (٩٦) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩٧) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٨) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو بين السدين وسدا بالفتح هنا وفي ياسين بالضم وقرأ اهل الكوفة غير عاصم بين السدين بضم السين وسداحيث كان بالفتح وقرأ حفص الجميع بالفتح وقرأ الباقون الجميع بالضم كل القرآن وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يفقهون بضم الياء و كسر القاف والباقون بفتح الياء والقاف وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمزة ومثله في الانبياء وقرأ الباقون بغير همزة فيهما في السورتين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم خراجا وفي المؤمنين خراجا فخراج ربك كله بالالف والباقون خرجاً بغير الف في الموضعين فخراج ربك بالالف وقرأ ابن كثير ما مكنني بنونين والباقون بنون واحدة مشددة وقرأ يحيى عن ابي بكر ردما اتوني بالوصل وقرأ حمزة ويحيى عن ابي بكر قال ايتوني بالوصل ايضا والباقون آتوني بقطع الالف في الحرفين وقرأ أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر بين الصدفين بفتح الصاد والدال وقرأ الباقون بضم الصاد والدال غير ابي بكر فإنه قرأ بضم الصاد وسكون الدال وقرأ حمزة غير خلاد فما اسطاعوا مشددة الطاء والباقون خفيفة الطاء وقرأ أهل الكوفة دكاء بالمد والهمزة والباقون دكا منونا غير مهموز

﴿ الحجة ﴾

قال ابوعبيدة كل شيء وجدته العرب من فعل الله من الجبال والشعاب فهو سد بالضم وما بناه الادميون فهو سد وقال غيره هما لغتان كالضعف والضعف والفقر والفقر قال ابو علي يجوز ان يكون السد بالفتح مصدرا والسد بالضم المسدود كالاشياء التي يفصل فيها بين المصادر والاسماء نحو السقي والسقي والشرب والشرب فإذا كان كذلك فالاشبه بين السدين لأنه المسدود ويجوز فيمن فتح السدين ان يجعله اسما للمسدود نحو نسج اليمن وضرب الأمير بمعنى المنسوج والمضروب ومن قرأ لا يكادون يفقهون فإن فقهت يتعدى الى مفعول واحد نحو فقهت السنة فإذا نقلته تعدى الى مفعولين فيكون المعنى فيمن ضم لا يكادون يفقهون أحدا قولا فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله فاتبعوهم مشرقين والمعنى فاتبعوهم جندهم مشرقين وقوله فأتبعهم فرعون وجنوده اي فأتبعهم فرعون طلبه إياهم او يتبعه لهم والحذف في هذا النحو كثير قال ابو علي يأجوج ان جعلته عربيا فهو يفعول من أج نحو يربوع ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفا فهو على قوله يفعول ايضا وان كانت الالف في يأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كمن قال ساق ونحو ذلك مما جاء مهموزا ولم يتبع ان يهمز ويكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث والتعريف كأنه اسم القبيلة كمجوس وأما مأجوج فمن همز فمفعول من اج فالكلمتان على هذا من اصل واحد ومن لم يهمز فإنه فاعول من مج فالكلمتان على هذا من أصلين وليسا من اصل واحد ويكون ترك الصرف فيه ايضا للتعريف والتأنيث فإن جعلتهما من العجمية فهذه التمثيلات لا تصح فيهما وإنما امتنعا من الصرف للعجمة والتعريف وقوله هل نجعل لك خرجا اي هل نجعل لك عطية نخرجها اليك من اموالنا و كذلك قوله أم تسألهم خرجا اي مالا يخرجونه اليك فأما المضروب على الارض فالخراج وقد يجوز في غير ضرائب الأرض الخراج بدلالة قول العجاج « يوم خراج يخرج السمرجا » فهذا ليس على الضرائب التي الزمت الارضين لأن ذلك لا يضاف الى وقت من يوم وغيره وانما هو شيء مؤبد لا يتغير وقوله ما مكني باظهار المثلين فلأن الثاني منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكنتك ومكنته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يعتد بها كما ان التاء في اقتتلوا كذلك ومن ادغم لم ينزله منزلة مالا يلزم فأدغم كما ان من قال قتلوا في اقتتلوا كان كذلك قال ابوعلي ومكن مكانه فهو مكين فعل غير متعد فإذا ضعفت العين عديته بذلك وحجة من قرأ ردما ايتوني ايتوني ان اشبه باعينوني بقوة لأنه كلفهم المعونة على عمل السد ولم يقبل الخرج الذي بذلوه له وقوله ايتوني الذي معناه جيؤني إنما هو معونة على ما كلفهم في

قوله فأعينوني بقوة وأما آتوني فمعناه اعطوني فاعطوني يجوز ان يكون على المناولة ويجوز ان يكون على الاتهاب والتوني المقصورة لا يحتمل الاجيئوني فيكون احسن هنا لاختصاصه بالمعونة فقط دون ان يكون سؤال عين والعطية قد تكون هبة قال

ومنا الذي اعطى الرسول عطية اسارى تميم والعيون دوامع

فالعطية تجري مجرى الهبة لهم والانعام عليهم في فك الاسر وقد تكون بمعنى المناولة ووجه قراءة من قرأ اتوني انه لم يرد باتوني العطية والهبة ولكن تكليف المناولة بالانفس كما كان قراءة من قرأ أيتوني لا يصرف الى استدعائه تمليك عين بهبة ولا بغيرها فأما انتصاب زبر الحديد فإنك تقول ائتيك بدرهم قال

اتيت بعبد الله في القيد موثقا فهلا سعيدا ذا الخيانة والغدر

فيصل الفعل إلى المفعول الثاني بحرف جر ثم يجوز ان يحذف الحرف اتساعا فيصل الفعل إلى المفعول الثاني على حد امرتك الخير ونحوه والصدف والصدف والصدف لغات فاشية قال ابو عبيدة الصدفان جنبتا الجبل ومن قرأ ائتوني افرغ عليه قطرا فمعناه جيئوني به كما قلناه في ائتوني زبر الحديد في اتصال الفعل الى المفعول الثاني بحرف الجر الا انه اعمل الفعل الثاني فلو اعمل الفعل الأول لكان ائتوني افرغه عليه قطرا بقطر الا ان يقدر ان الفعل يصل إلى المفعول الثاني بلاحرف كما كان كذلك في قوله ائتوني زبر الحديد وجميع ما مرّبنا في التنزيل من هذا النحو انما هو على اعمال الثاني كما يختاره سيبويه فمن ذلك قوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ومنه قوله هاؤم اقرأوا كتابيه ووجه من قرأ اتوني ان المعنى ناولوني قطرا افرغ عليه قطرا الا انه اعمل الثاني من الفعلين كما اعمل الثاني من قصر ائتوني وقراءة حمزة فما اسطاعوا انما هو على ادغام التاء في الطاء ولم يلق حركتها على السين فيحرك مالا يتحرك ولكن ادغم مع ان الساكن الذي قبل المدغم ليس حرف مد وقد قرأت القراء غير حرف من هذا النحو وقد تقدم ذكر وجه هذا النحو ومما يؤكد ذلك ان سيبويه انشد

كأنه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

والحذف في اسطاعوا والاثبات في استطاعوا كل واحد منهما احسن من الادغام على هذا الوجه الذي هو جمع بين السين الساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة ايضا وأما قوله جعله دكا فإنه يحتمل امرين احدهما انه لما قال جعله دكا كان بمنزلة خلق وعمل فكأنه قال دكه دكا فحمله على الفعل الذي دل عليه قوله جعله والوجه الآخر ان يكون جعله ذادك فحذف المضاف ويمكن ان يكون حالا في هذا الوجه ومن قرأ دكاء فعلى حذف المضاف كأنه جعله مثل دكاء قالوا ناقة دكاء اي لاسنام لها ولا بد من تقدير الحذف لأن الجبل مذكر فلا يوصف بدكاء

اللغة

السد وضع ما ينتفي به الخرق يقال سده يسده ومنه سدد السهم لأنه سد عليه طرق الاضطراب ومنه السداد الصواب والردم السد والحاجز يقال ردم فلان موضع كذا يردمه ردما والثوب المردم الخلق المرقع ومنه قول عنترة

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم

أي هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع والزبرة الجملة المجتمعة من الحديد والصفر ونحوها واصله الاجتماع ومنه الزبور وزبرت الكتاب إذا كتبته لأنك جمعت حروفه قال ابو عبيدة القطر الحديد المذاب وأنشد

حسام كلون الثلج صاف حديده جراز من اقطار الحديد المنعت

وأصله من القطر لأن الرصاص والحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء وفي استطاع ثلاث لغات استطاع يستطيع واسطاع يسطيع واستاع يستيع بحذف الطاء استثقلوا اجتماعهما وهما من مخرج واحد فاما اسطاع يسطيع بقطع الالف وهو أطاع افعل فزادوا السين عوضاً من ذهاب حركة الواو لأن اصل أطاع أطوع ومثله اهراق يهريق زادوا الهاء في أراق يريق وليس هذا العوض بلازم الا ترى ان ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض

المعنى

(حتى إذا بلغ بين السدين) ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد منصرفه عن المشرق انه سلك طريقاً إلى ان بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما وهو الحاجز بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم لأنه لو كان هناك سد لم يكن لطلبهم السد معنى والسد الموضع المسدود لا المنفتح (وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا) أي خصوا بلغة كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس كادوا لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم وإنما قال لا يكادون لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم وإن كان بعد شدة ولذلك حكي الله عنهم انهم (قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) ويجوز ان يكون الله سبحانه فهّم ذا القرنين لسانهم كما فهم سليمان(ع) منطق الطير أوقالوا له بترجمان ان يأجوج ومأجوج مفسدون في أرضهم وفسادهم انهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابهم وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه عن الكلبي وقيل أرادوا انهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم وورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج امة ومأجوج امة كل امة اربعمائة امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى الف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز قلت يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طوال وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية قال وهب ومقاتل انهم من ولد يافث بن نوح ابي الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه وقال قتادة ان ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك وقال كعب هم نادرة في ولد بني آدم وذلك ان آدم(ع) احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد وقوله (فهل نجعل لك خرجاً) أوخراجاً معناه فهل نجعل لك بعضاً من أموالنا (على ان تجعل بيننا وبينهم سداً) أي حائطاً وقيل في الفرق بين الخرج والخراج ان الخراج اسم لما يخرج من الأرض والخرج اسم لما يخرج من المال وقيل الخراج الغلة والخرج الاجرة وقيل الخراج ما يؤخذ عن الأرض والخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله ابو عمرو وقيل الخراج ما يؤخذ في كل سنة والخرج ما يؤخذ دفعة عن تغلب (قال) ذو القرنين (ما مكني فيه ربي خير) أي أعطاني ربي من المال ومكني فيه من الاتساع في الدنيا خير مما عرضتموه علي من الأجر (فأعينوني بقوة) أي برجال فيكون معناه بقوة الأبدان وقيل بعمل تعملونه معي عن الزجاج وقيل بآلة العمل وذلك زبر الحديد والصفر (أجعل بينكم وبينهم ردماً) أي سداً وحاجزاً قال ابن عباس الردم اشد الحجاب وقيل هو السد المتراكب بعضه على بعض (آتوني زبر الحديد) أي اعطوني قطع الحديد أو جيئوا بقطع الحديد على القراءة الأخرى وفي الكلام حذف وهو انهم أتوه بما طلبه منهم من زبر الحديد ليعمل الردم في وجوه يأجوج ومأجوج فبناه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي

سوى بين جانبي الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهري يقال لجانبي الجبل صدفان لتصادفهما أي تحاذيهما وتلاقيهما وقيل هما جبلان كل واحد منهما منعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه وقوله (قال انفخوا) معناه قال ذو القرنين انفخوا النار على الزبر أمرهم ان يؤتى بمنافخ الحدادين فينفخوا في نار الحديد التي اوقدت فيه (حتى إذا جعله ناراً) اي حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحمي واللهب فصار قطعة واحدة لزم بعضها بعضاً (قال آتوني افرغ عليه قطراً) اي اعطوني نحاساً مذابا او صفراً مذابا او حديداً مذاباً اصبه على السدين الجبلين حتى ينسد الثقب الذي فيه ويصير جداراً مصمتا فكانت حجارته الحديد وطينه النحاس الذائب عن ابن عباس ومجاهد والضحاك قال قتادة فهو كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء (فما اسطاعوا ان يظهروه) معناه فلما تم لم يستطع يأجوج ومأجوج ان يعلوه ويصعدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته (وما استطاعوا له نقباً) اي ولم يستطيعوا ان ينقبوا اسفله لكثافته وصلابته ونفي بذلك كل عيب يكون في السد وقيل ان هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط وقيل انه وراء دربند وخزران من ناحية ارمنية واذربيجان وقيل ان مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً (قال) ذو القرنين (هذا رحمة من ربي) اي هذا السد نعمة من الله لعباده انعم بها عليهم في دفع شر يأجوج ومأجوج عنهم (فإذا جاء وعد ربي) يعني إذا جاء وقت اشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدره الله تعالى (جعله دكا) اي جعل السد أرضاً مستوياً مع الأرض مدكوكاً أو ذا دك وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود وجاء في الحديث انهم يدأبون في حفره نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غداً نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه بالامس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيهلكون بها فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتسكر من لحومهم سكرا وفي تفسير الكلبي ان الخضر واليسع يجتمعان كل ليلة على ذلك السد يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج (وكان وعد ربي حقا) اي وكان ما وعد الله بأن يفعله لا بد من كونه فإنه حق اذ لا يجوز ان يخلف وعده

قوله تعالى (٩٩) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً (١٠٠) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً (١٠١) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (١٠٢) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً (١٠٣) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٤) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (١٠٦) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً ثماني آيات

القراءة

قرأ ابو بكر في رواية الاعشى والبرجمي عنه وزيد عن يعقوب أفحسب الذين كفروا برفع الباء وسكون

السين وهو قراءة أمير المؤمنين (ع) وابن يعمر والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن ابي ليلى وهذا من الاحرف التي اختارها ابو بكر وخالف عاصما فيها وذكر انه ادخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين (ع) حتى استخلص قراءته وقرأ الباقون أفحسب بكسر السين وفتح الباء

—(الحجة)—

قال ابن جني معناه أفحسب الكافرين وحظهم ومطلوبهم ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء بل يجب ان يعبدوا انفسهم مثلهم فيكون كلهم عبيدا واولياء لي ونحوه قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني إسرائيل اي اتخذتهم عبيدا لك وهذا ايضا هو المعنى إذا كانت القراءة أفحسب الذين كفروا الا ان حسب ساكنة السين اذهب في الذم لهم وذلك لأنه جعله غاية مرادهم ومجموع مطلوبهم وليست القراءة الأخرى كذلك

❋ اللغة ❋

الترك التخلية والتريكة بيضة النعام كأنها تركت بالعراء والتريكة ايضا الروضة يغفلها الناس فلا يرعونها والترك ضد الأخذ والترك في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى وإنما يجوز على العاذر بعذره الا انه يتوسع فيه فيعبر فيه عن الاخلال بالشيء بالترك والموج اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض والنزل ما يهيئ للنزيل وهو الضيف قال الشاعر

نزيل القوم اعظمهم حقوقا وحق الله في حق النزيل

وطعام ذو نزل ونزل بفتح النون والزاء ايضا ذو فضل

❋ الاعراب ❋

ان يتخذوا في موضع نصب بوقوع حسب عليه ومن قرأ فحسب بالرفع وسكون السين فان يتخذوا في موضع رفع. اعمالا منصوب على التمييز لأنه لما قال بالاخسرين كان مبهما لا يدل على ما خسروه فبين ذلك الخسران في اي نوع وقع والذين يصلح ان يكون في موضع جر على الصفة للأخسرين ويصلح ان يكون في موضع رفع على الاستئناف اي هم الذين ضل سعيهم

❋ المعنى ❋

ثم اخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) اي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ويكون حالهم كحال الماء الذي يتموج باضطراب امواجه وقيل انه أراد سائر الخلق من الجن والإنس اي وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج يختلطون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال (ونفخ في الصور) لأن خروج يأجوج ومأجوج من اشراط الساعة واختلف في الصور فقيل هو قرن ينفخ فيه عن ابن عباس وابن عمر وقيل هو جمع صورة فإن الله سبحانه يصور الخلق في القبور كما صورهم في ارحام الامهات ثم ينفخ فيهم الارواح كما نفخ وهم في ارحام امهاتهم عن الحسن وابي عبيدة وقيل انه ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات فالنفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السماوات والارض بها فيموتون والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم (فجمعناهم جمعا) اي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) اي اظهرنا جهنم وابرزناها لهم حتى شاهدوها ورأوا الوان عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال (الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري) ذكر سبحانه السبب الذي استحقوا بـه النار يعني الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتي الموجب لذكري واعرضوا عن التفكر في آياتي ودلائلي فصاروا بمنزلة من يكون في عينه غطاء يمنعه من الادراك (وكانوا لا يستطيعون سمعا) اي وكان يثقل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى كما يقال فلان

لا يستطيع النظر اليك ولا يستطيع ان يسمع كلامك اي يثقل عليه ذلك وأراد بالعين هنا عين القلب كما يضاف العمى الى القلب (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء) معناه افحسب الذين جحدوا توحيد الله ان يتخذوا من دوني اربابا ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم والمراد بالعباد المسيح والملائكة الذين عبدوهم من دون الله وهم براء منهم ومن كل مشرك بالله تعالى وقيل معناه أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا من دوني آلهة وانا لا اغضب لنفسي عليهم ولا أعاقبهم عن ابن عباس ويدل على هذا المحذوف قوله (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) اي منزلا عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس يريد هي مثواهم ومصيرهم وقيل معناه انا جعلنا جهنم معدة مهيأة للكافرين عندنا كما يهيأ النزل للضيف (قل) يا محمد (هل ننبئكم) اي هل نخبركم (بالاخسرين اعمالا) اي باخسر الناس اعمالا والمعنى بالقوم الذين هم اخسر الناس فيما عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى (الذين ضل سعيهم) اي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) اي يظنون انهم بفعلهم محسنون وان افعالهم طاعة وقربة وروى العياشي باسناده قال قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين(ع) فسأله عن أهل هذه الآية فقال أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم وابتدعوا في دينهم فحبطت اعمالهم وما أهل النهر منهم ببعيد يعني الخوارج (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم) اي جحدوا بحجج الله وبيناته ولقاء جزائه في الآخرة فبطلت وضاعت اعمالهم التي عملوها لأنهم اوقعوها على خلاف الوجه الذي امرهم الله به (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) اي لا قيمة لهم عندنا ولا كرامة ولا نعتد بهم بل نستخف بهم ونعاقبهم تقول العرب مالفلان عندنا وزن اي قدر ومنزلة ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له لخفته بسرعة بطشه وقلة تثبته وروي في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة (ذلك جزاؤهم جهنم) معناه الامر ذلك الذي ذكرت من حبوط اعمالهم وخيبة قدرهم ثم ابتدأ سبحانه فقال جزاؤهم جهنم (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) اي بكفرهم واتخاذهم آياتي اي دلالاتي الدالة على توحيدي يعني القرآن ورسلي هزوا اي مهزوءا به

قوله تعالى (١٠٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٨) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (١٠٩) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً (١١٠) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً أربع آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم ان ينفد بالياء والباقون تنفد بالتاء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وسليمان التيمي ولو جئنا بمثله مدادا

الحجة

قال ابو علي تنفد بالتاء احسن لأن المسند اليه الفعل مؤنث والمذكر حسن ايضا لأن التأنيث ليس بحقيقي ومن قرأ مددا فهو منصوب على الحال كما يقال جئتك بزيد عونا لك ومددا لك ويجوز ان ينتصب على المصدر بفعل مضمر يدل عليه قوله ولو جئنا بمثله فكأنه قال امددنا به امدادا ثم وضع مددا موضع امدادا وقال الزجاج هو منصوب على التمييز ومن قال جئنا بمثله مدادا فإنه ينتصب على التمييز والمعنى بمثله من المداد ويكون مثل

قولك لي مثله عبدا اي من العبيد وعلى التمرة مثلها زبدا اي من الزبد

—(اللغة)—

الفردوس البستان الذي يجتمع فيه التمر والزهر وسائر ما يمتع ويلذ قال الزجاج هو البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قال وقال قوم ان الفردوس الاوديــة التي تنبت ضروبا من النبت وقالوا هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ولم نجده في اشعار العرب الا في بيت حسان

فإن ثواب الله كل موحـد   جنان من الفردوس فيها يخلد

والحول التحول يقال قد حال من مكانه حولا كما قالوا في المصادر صغر صغرا وعظم عظما وعاد في حبها عودا وقيل إن الحول ايضا الحيلة وقيل ان الحول بمعنى التحويل يقال حولوا عنها تحويلا وحولا عن الأزهري وابن الأعرابي والمداد الذي يكتب به والمدد المصدر وهو مجيء شيء بعد شيء والكلمة الواحدة من الكلام وقد يقال للقصيدة كلمة لأنها قطعة واحدة من الكلام (ومما) يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل العدد فكيف جاء بها هاهنا والجواب أن العرب تستغني بالجمع القليل عن الجمع الكثير وبالكثير عن القليل قـال الله تعالى وهم في الغرفات آمنون والغرف في الجنة اكثر من ان تحصى وقال هم درجات عند الله وقال حسان

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى   واسيافنا يقطرن من نجدة دما

وكان ابو علي الفارسي ينكر الحكاية التي تروى عن النابغة وانه قال لحسان قللت جفناتكم واسيافكم فقال لا يصح هذا عن النابغة

﴿ الإعراب ﴾

إن جعلت نزلا بمعنى المنزل فهو خبر كان على ظاهره وان جعلته بمعنى ما يقام للنازل قدرت المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمهما نزلا ويجوز أن يكون نزلا جمع نازل فيكون نصبا على الحال من الضمير في لهم ومعنى كان انه كان في علم الله تعالى قبل ان يخلقوا عن ابن الانباري وقوله فليعمل يجوز كسر اللام واسكانها والاصل الكسر إلا انه يثقل في اللفظ

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر حال الكافرين عقبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) اي كان في حكم الله وعلمه لهم بساتين الفردوس وهو اطيب موضع في الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها عن قتادة وقيل هو الجنة الملتفة الأشجار عن قتادة وقيل هو البستان الذي فيه الأعناب عن كعب وروى عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس (نزلا) اي منزلا ومـأوى وقيل ذات نزول (خالدين فيها) أي دائمين فيها (لا يبغون عنها حولا) اي لا يطلبون عن تلك الجنات تحولا إلى موضع آخر لطيبتها وحصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يا محمد لجميع المكلفين (لو كان البحر) وهو اسم الجنس اي لو كان البحر بمائه (مـدادا لكلمات ربي) اي مدادا ليكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام والحكم وقيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على ان يخلقـه من الاشياء ويأمر به كما قال في عيسى (ع) وكلمته القاها إلى مريم وقيل أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب واوعد لأهل العقاب عن ابي مسلم (لنفد البحر) اي لفنى ماء البحر (قبـل ان تنفد كلمات ربي) وقيل ان كلماته المراد بها مقدوراته وحكمته وعجائبه وقوله (ولو جئنا بمثله مددا) اي ولو جئنا بمثل البحر مددا له اي عونا وزيادة لما نفد ذلك وقيل أراد بكلمات ربي معاني كلمات ربي وفوائدها وهي القرآن وسائر كتبه ولم يرد

بذلك اعيان الكلمات لانــه قد فرغ من كتابتها فيكون تقدير قــل لو كان البحر مدادا لكتابــة معاني كلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كتابة معاني كلمات ربي فحذف لأن المعنى مفهوم والمداد هو الجائي والآتي شيئا بعد شيء قال ابن الانباري سمي المداد مدادا لامداده الكاتب ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مــداد وروى عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا علما كثيرا اوتينا التوراة وفيها علم كثير فأنزل الله هذه الآية ولذلك قال الحسن أراد بالكلمات العلم فإنه لا يدرك ولا يحصى ونظيره ولو ان مافي الأرض من شجرة اقلام الآية ثم قال (قل) يا محمد (انما انا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله نبيه التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره ان يقر على نفسه بأنه ادمي كغيره الا أنه اكرم بالوحي وهو قوله (يوحى إلي انما إلهكم إله واحد) لا شريك له اي لا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة ولا علم لي إلا ما علمنيه الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) اي فمن كان يطمع في لقاء ثواب ربــه ويأمله ويقر بالبعث اليه والوقوف بين يديه وقيل معناه فمن كان يخشى لقاء عقاب ربه وقيل ان الرجاء يشتمل على كلا المعنيين الخوف والأمل وانشد في ذلك قول الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع

(فليعمل عملا صالحا) اي خالصا لله تعالى يتقرب به اليه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) غيره من ملك اوبشر او حجر او شجر عن الحسن وقيل معناه لا يرائي في عبادته احدا عن سعيد بن جبير وقال مجاهد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر ذلك مني واحمد عليه فيسرني ذلك واعجب به فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل شيئا فنزلت الآيــة قال عطاء عن ابن عباس إن الله تعالى قال ولا يشرك بعبادة ربه احدا ولم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويحب ان يحمد عليه قال ولذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كيلا يعظمه من يصله بها وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال قال الله عز وجل انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فأنا منه بريء فهو للذي اشرك اورده مسلم في الصحيح وروي عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من صلى صلاة يرائي بها فقد اشرك ومن صام صوما يرائي به فقد اشرك ثم قرأ هذه الآية وروي ان ابا الحسن الرضا (ع) دخل يوما على المأمون فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحــدا فصرف المأمون الغلام وتولى اتمام وضوئه بنفسه وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال ما من عبد يقرأ قــل انما أنا بشر مثلكم إلى آخره إلا كان له نورا في مضجعه إلى بيت الله الحرام فإن كان من أهل البيت الحرام كان له نورا إلى بيت المقدس وقال ابو عبد الله (ع) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم الا يتيقظ في الساعة التي يريدها

النظم

وجه اتصال الآية الثانية وهي قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي بما قبلها انــه لما تقدم الأمر والنهي والوعد والوعيد وعقب ذلك سبحانه ببيان ان مقدوراته لا تتناهى وانه قادر على ما يشاء في افعاله وأوامره على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف ان يمتثل أمره ونهيه ويثق بوعده ويتقي وعيده



سورة مريم (ع)

وهي مكية بالاجماع

عدد آيها

وهي ثمان وتسعون آية عراقي شامي والمدني الأول وتسع مكي والمدني الأخير

اختلافها

ثلاث آيات كهيعص كوفي الرحمن مدا غير الكوفي في الكتاب ابراهيم مكي والمدني الأخير

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأها اعطي من الاجر بعدد من صدق بزكريا وكذب به ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعى لله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا وقال الصادق (ع) من اد من قراءة سورة مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها مايغنيه في نفسه وماله وولده وكان في الآخرة من اصحاب عيسى بن مريم (ع) واعطي من الأجر في الآخرة ملك سليمان ابن داود في الدنيا

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد والدعاء اليه وافتتح هذه السورة بذكر الانبياء الذين كانوا على تلك الطريقة بعثا على الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم وحثا عليه فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) كهيعص (٢) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٣) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٥) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٦) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ست آيات في الكوفي وخمس في غيرهم

القراءة

قرأ ابو عمرو كهيعص بامالة ها وفتح يا وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وحمزة وخلف بفتحها وامالة يا وقرأ الكسائي بامالة ها ويا وروي ذلك عن اليزيدي عن ابي عمرو عن يحيى عن ابي بكر والباقون بفتحها وقرأ ابو عمرو والكسائي يرثني ويرث بالجزم فيهما والباقون بالرفع فيهما وفي الشواذ قراءة الحسن ذكر رحمة ربك وقراءة عثمان وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وابن يعمر وسعيد بن جبير واني خفت الموالي بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء وقراءة علي بن ابي طالب (ع) وابن عباس وجعفر بن محمد وابن يعمر والحسن والجحدري وقتادة وابي نهيك يرثني وأرث من آل يعقوب

الحجة

قال ابو علي القول في امالة هذه الحروف انها لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي اسماء لهذه الاصوات قال سيبويه قالوا يا مالا تها لأنها اسماء لما يتهجى به فجازت فيها الامالة كما جازت في الاسماء ويدلك على انها اسماء انك إذا اخبرت عنها اعربتها وان كنت لا تعربها قبل ذلك كما ان اسماء العدد إذا اخبرت عنها اعربتها فكما ان اسماء العدد

قبل ان تعربها اسماء فكذلك هذه الحروف وإذا كانت اسماء ساغت الامالة فيها فأما من لم يل فعلى مــذهب أهل الحجاز وكلهم اخفى نون عين الا حفصا فإنــه بين النون وقال ابو عثمان وبيان النون مع حروف الفم لحن إلا ان هذه الحروف تجري على الوقف عليها والقطع لها عما بعدها فحكمها البيان وان لا تخفى فكذلك اسماء العدد حكمها على الوقف وعلى انها منفصلة عما بعدها ومما يبين انها على الوقف انهم قالوا ثلاثة اربعة نقلوا حركة الهمزة الى الهاء لسكونها ولم يقلبوها تاء وان كانت موصولة لما كانت النية بها الوقف فكذلك النون ينبغي ان تبين لأنها في نية الوقف والانفصال مما بعدها ولمن لم يبين ان يستدل بتركهم قطع الهمزة في آلم الله ألا ترى ان الهمزة لم تقطع وان كان ما هي منه في تقدير الانفصال مما قبله فكذلك لم يبين النون من عين لأنها جعلت في حكم الاتصال كما كانت الهمزة فيما ذكرنا كذلك قال ابو الحسن التبيين يعني تبيين النون اجود في العربية لأن حروف الهجاء والعدد ينفصل بعضها من بعض كما قال وعامة القراء على خلاف التبيين ووجه الرفع في قوله يرثني ويرث إنه سأل ربه وليا وارثا وليس المعنى على الجزاء اي ان وهبته يرث ووجه الجزم انه على الجزاء وجواب الدعاء ومن قرأ يرثني وأرث فمعناه التجريد وتقديره فهب لي وليا يرثني منه وأرث من آل يعقوب وهذا الوارث نفسه قال ابن جني قال وهذا ضرب من العربية غريب فكأنه جرد منه وارثا ومثله قوله تعالى لهم فيها دار الخلد وهي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار دارا وعليه قول الاخطل

بنزوة لص بعد ما مر مصعب باشعث لا يفلى ولا هو يقمل

ومصعب نفسه هو الاشعث فكأنه استخلص منه اشعث وأما قراءة الحسن ذكر رحمة ربك فإن فاعل ذكر ضمير ما تقدم اي هذا المتلو من القرآن الذي هذه الحروف اوله وفاتحته بذكر رحمة ربك وعلى هذا ايضا يرتفع قوله ذكر رحمة ربك اي هذا القرآن ذكر رحمة ربك وإن شئت كان التقدير ومما نقص عليك ذكر رحمة ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ وعلى الوجه الثاني يكون مبتدأ ومن قال خفت الموالي فمعناه قل بنو عمي واهلي ومعنى من ورائي اي من اخلفه بعدي فقوله من ورائي حال متوقعة محكية اي متصورا متوقعا كونهم بعدي ومثله مسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي متصورا به صيده به غدا

اللغة

الوهن الضعف ونقصان القوة يقال وهن يهن وهنا والاشتعال انتشار شعاع النار وقوله واشتعل الرأس شيبا من احسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج يقال للشيب إذا كثر جدا قد اشتعل رأس فلان وانشد للبيد

ان ترى رأسي امسى واضحا سلط الشيب عليه فاشتعل

والدعاء طلب الفعل من المدعو وفي مقابلته الاجابــة كما ان في مقابلة الامر الطاعة والمولى اصله من الولي وهو القرب وسمي ابن العم مولى لانه يليه في النسب وقال ابن الانباري في كتاب مشكل القرآن المولى في اللغــة ينقسم على ثمانية اقسام المنعم المعتق والمنعم عليه المعتق والولي والاولى بالشيء وابن العم والجار والصهر والحليف واستشهد على كل قسم من هذه الاقسام بشيء من الشعر ومما استشهد به في انه بمعنى الولي والاولى قول الاخطل

فأصبحت مولاها من الناس بعده وأحرى قريش أن تهاب وتحمدا

وقوله ايضا يخاطب بني أمية

اعطاكم الله جدا تنصرون به لا جد الا صغيرا بعد محتقر
لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

والعاقر المرأة التي لا تلد يقال إمرأة عاقر ورجل عاقر لا يولد له ولد قال الشاعر

لبئس الفتى ان كنت اسود عاقرا جبانا فما عذري لدى كل محضر

والعقر في البدن الجرح ومنه أخذ العاقر لأنه نقص أصل الخلقة أما بالجراحة وأما بامتناع الولادة وعقرت الفرس بالسيف ضربت قوائمه والجعل على اربعة اقسام بمعنى الاحداث كقولهم جعل البناء اي احدثه وبمعنى ان يحدث ما يتغير به كقولهم جعل الطين خزفا وبمعنى ان يحدث فيه حكما كقولهم جعل فلانا فاسقا اي بما احدث فيه من حكمه وتسميته وبمعنى ان يحدث ما يدعوه إلى ان يفعل كقولهم جعله ان يقتل زيدا اي بأن أمره به ودعاه إلى قتله

الاعراب

ذكر مرتفع بالمضمر وتقديره هذا الذي يتلوه عليك ذكر رحمة ربك وهو مصدر مضاف إلى ما هو المفعول في المعنى ورحمة مصدر مضاف إلى الفاعل وعبده مفعول لرحمة وزكريا بدل من عبده او عطف بيان ويقرأ بالقصر والمد وقوله قال رب اني وعن العظم مني بيان وتفسير للنداء الخفي وشيبا منصوب على التميز والتقدير واشتعل الرأس من الشيب بدعائك تقديره بدعائي إياك فالمصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير وبسؤال نعجتك

المعنى

(كهيعص) قد بينا في اول البقرة اختلاف العلماء في الحروف المعجم التي في أوائل السور وشرحنا اقوالهم هناك وحدث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال ان كاف من كريم وها من هاد وياء من حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وفي رواية عطا والكلبي عنه ان معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده وعلى هذا فإن كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله عزوجل وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال في دعائه اسألك يا كهيعص (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أي هذا خبر رحمة ربك زكريا عبده ويعني بالرحمة اجابته اياه حين دعاه وسأله الولد وزكريا اسم نبي من انبياء بني اسرائيل كان من اولاد هارون بن عمران اخي موسى بن عمران وقيل ان معناه ذكر ربك عبده بالرحمة (إذ نادى ربه نداء خفيا) أي حين دعا ربه دعاء خفيا خافيا سرا غير جهر يخفيه في نفسه لا يريد به رياء وفي هذا دلالة على ان المستحب في الدعاء الاخفاء وان ذلك اقرب إلى الاجابة وفي الحديث خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي وقيل انما اخفاه لئلا يهزأ به الناس فيقول انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر (قال رب إني وهن العظم مني) اي ضعف وإنما اضاف الوهن إلى العظم لأن العظم مع صلابته إذا ضعف وتناقص فكيف باللحم والعصب وقيل إنما خص العظم لانه شكا ضعف البطش والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم وغيره (واشتعل الرأس شيبا) معناه ان الشيب قد عم الرأس وهو نذير الموت عن ابي مسلم وقيل معناه تلألأ الشيب في رأسي لكثرته عن ابن الانباري وصف حاله خضوعا وتذللا لا تعريفا (ولم اكن بدعائك رب شقيا) اي ولم اكن بدعائي اياك فيما مضى مخيبا محروما والمعنى انك قد عودتني حسن الإجابة وما خيبتني فيما سألتك ولا حرمتني الاستجابة فيما دعوتك فلا تخيبني فيما اسألك ولا تحرمني اجابتك فيما ادعوك يقال شقي فلان بحاجته إذا تعب بسببها ولم يحصل مطلوبه منها (وإني خفت الموالي) وهم الكلالة عن ابن عباس وقيل العصبة عن مجاهد وقيل لهم العمومة وبنو العم عن ابي جعفر (ع) وقيل بنو العم وكانوا اشرار بني اسرائيل عن الجبائي وقيل هم الورثة عن الكلبي (من ورائي) اي من خلفي (وكانت امرأتي عاقرا) اي عقيما لا تلد (فهب لي من لدنك وليا) اي ولدا يليني فيكون اولى بميراثي (يرثني) ان قرأته بالجزم فالمعنى ان تهبه لي يرثني وان رفعته جعلته صفة لولي والمعنى وليا وارثا لي (ويرث من آل يعقوب) وهو يعقوب بن ماتان وأخوه عمران بن ماتان ابو مريم عن الكلبي ومقاتل وقيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

لأن زكريا كان متزوجا باخت ام مريم بنت عمران ونسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود (ع) وهو من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا من ولد هارون وهو من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي ثم اختلف في معناه فقيل معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة عن ابي صالح وقيل معناه يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب عن الحسن ومجاهد واستدل اصحابنا بالآية على ان الأنبياء يورثون المال وأن المراد بالارث المذكور فيها المال دون العلم والنبوة بأن قالوا إن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على مـا ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة ايضا فإن زكريا (ع) قال في دعائه (واجعله رب رضيا) أي اجعل يارب ذلك الولي الذي يرثني مرضيا عندك ممتثلا لأمرك ومتى حملنا الارث على النبوة لم يكن لذلك معنى وكان لغوا عبثا ألا ترى انه لا يحسن أن يقول احد اللهم ابعث لنا نبيا واجعله عاقلا مرضيا في اخلاقه لأنه إذا كان نبيا فقد دخل الرضا وما هو اعظم من الرضا في النبوة ويقوي ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله وإني خفت الموالي مـن ورائي وإنما يطلب وارثا لأجل خوفه ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم لأنه (ع) كان اعلم بالله تعالى من ان يخاف أن يبعث نبيا من ليس باهل للنبوة وأن يورث علمه وحكمته من ليس لهما باهل ولانه إنما بعث لاذاعة العلم ونشره في الناس فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته فان قيل ان هذا يرجع عليكم في وراثة المال لان في ذلك اضافة الضن والبخل اليه قلنا معاذ الله ان يستوي الأمران فإن المال قد يرزق المؤمن والكافر والصالح والطالح ولا يمتنع ان يأسى على بني عمه إذا كانوا من اهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغي بل في ذلك غاية الحكمة فإن تقوية الفساق واعانتهم على افعالهم المذمومة محظورة في الدين فمن عد ذلك بخلا وضنا فهو غير منصف وقوله خفت الموالي من ورائي يفهم منه ان خوفه إنما كان من اخلاقهم وافعالهم ومعاني فيهم لا من اعيانهم كما ان من خاف الله تعالى فإنما خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الموالي مالي وانفاقهم اياه في معصية الله تعالى

قوله تعالى (٧) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٨) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٩) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (١٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١١) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا خمس آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر اوائلها وحفص كذلك إلا في بكيا فإنه يضم الباء منها والباقون بالضم في الجميع وقرأ حمزة والكسائي خلقناك والباقون خلقتك

الحجة

قال ابو علي اعلم أن ما كان على فعول كان على ضربين احدهما أن يكون جمعا والآخر أن يكون مصدرا وقد جاءت احرف في غير المصادر وهي قليلة والجمع إذا كان على فعول من معتل اللام جاء على ضربين احدهما ان يكون اللام واوا والآخر أن يكون ياء فما كانت اللام منه واوا من هذه الجموع قلبت إلى الياء وذلك نحو حقو وحقي وعصا وعصي وقد جاءت حروف قليلة من ذلك على الاصل فمن ذلك ما حكاه سيبويه من

قولهم انكم لتنظرون في نحو كثيرة وقولهم فتوّ في جمع فتى فما كان كذلك فإن كسر الفاء فيه مطرد وذلك نحو وليّ وحقيّ وعصيّ وإنما جاز ذلك لأنها غيرت تغييرين وهما ان الواو التي هي لام قلبت والواو التي كانت قبلها قلبت ايضا فلما غيرت تغييرين قويا على هذا التغيير من كسر الفاء وأما ما كان لامه ياء نحو ثدي وحلي ونجي فقد كسروا الفاء ايضا منه فقالوا حلي وثدي وإن لم يغير تغييرين فقد اجروا الياء هاهنا مجرى الواو كما اجروا الياء في اتسر واتبس افتعل من اليسر واليبس مجرى الواو وفي اتصل واتهب فأما ما كان من ذلك مصدرا فما كان من الواو فالقياس فيه ان يصح نحو العتو والعلو لأن واوه لم يلزمها الانقلاب كما لزمها الانقلاب في الجمع ولكن لما كانوا قد قلبوا الواو في هذا النحو وإن كان مفردا نحو معدى ومرضى قلبوا ذلك ايضا في نحو عتي ثم اجرى المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر في فائه كما استمر في الجمع وفي المصادر التي من الواو ألا ترى ان المضي في نحو فما استطاعوا مضيا ليس أحد يروي فيه الكسر فيما علمنا وحكى ابو عمرو عن ابي زيد آوى اليه اويا ومما يؤكد الكسر في هذا النحو انهم قد قالوا قسي فألزموها كسر القاف وذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعها قلبت كما تقلب الواو إذا كانت لاما وكسرت الفاء والزمت الكسرة وحجة من قال قد خلقتك ان قبله قال ربك وحجة من قال خلقناك قوله فيما بعد وحنانا من لدنا ولأنه قد جاء بلفظ الجمع بعد لفظ الافراد قال سبحانه سبحان الذي أسرى بعبده ثم قال وآتينا موسى الكتاب

اللغة

الغلام اسم المذكر أول ما يبلغ ومنه اشتق اغتلم الرجل اذا اشتدت شهوته للجماع ثم يستعمل في التلميذ فيقال غلام تغلب • العتي والعسي بمعنى يقال عتا يعتوا عتوا وعتيا وعسى يعسو عسوا وعسيا فهو عات وعاس إذا غير طول الزمان إلى حال اليبس والجفاف وفي حرف ابي وقد بلغت من الكبر عسيا والايحاء القاء المعنى إلى النفس في خفية بسرعة وأصله من قولهم الوحى الوحى اي الاسراع الاسراع

الاعراب

اسمه يحيى جملة اسمية مجرورة الموضع صفة الغلام كذلك في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما قيل لك ولم تك أصله لم تكن حذفت النون منه لكثرته في الكلام فكأنه جزم مرتين وسويا منصوب على الحال ان سبحوا يجوز ان يكون التقدير اي سبحوا ويجوز ان يكون انه سبحوا فخفف واضمر الاسم ولم يعوض من المضمر شيئا كقوله لولا أن من الله علينا كما جاء العوض في قوله ليعلم ان قد ابلغوا وعلم ان سيكون منكم مرضى وحسبوا أن لا تكون فتنة فيمن رفع • وبكرة وعشيا منصوبان على الظرف

(المعنى)

(يا زكريا إنا نبشرك بغلام) هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعاء زكريا واوحى اليه يا زكريا إنا نخبرك على السنة الملائكة بخبر يرى السرور به في وجهك وهو ان يولد لك ابن (اسمه يحيى) وقد تقدم تفسيره في سورة آل عمران (لم نجعل له من قبل سميا) اي لم يسم أحد قبله باسمه عن قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وفي هذا تشريف له من وجهين أحدهما إن الله سبحانه تولى تسميته ولم يكلها إلى الابوين والآخر أنه سماه باسم لم يسبق اليه يدل ذلك الاسم على فضله وقال ابو عبد الله (ع) وكذلك الحسين (ع) لم يكن له من قبل سميا ولم تبك السماء إلا عليهما اربعين صباحا قيل له وما كان بكاؤها قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين (ع) ولد زنا وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين (ع) قال خرجنا مع الحسين (ع) فما نزل منزلا ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوما ومن هوان الدنيا على الله عز وجل ان رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا بني اسرائيل وقيل إن معنى قوله

لم نجعل له من قبل سميا لم تلد العواقر مثله ولدا وهو كقوله هل تعلم له سميا اي مثلا عن ابن عباس ومجاهد (قال رب أنى يكون لي غلام) فسرناه في سورة آل عمران (وكانت امرأتي عاقرا) قال الحسن إنما قال ذلك على جهة الاستخبار اي أتعيدنا شابين أم ترزقنا الولد شيخين (وقد بلغت من الكبر عتيا) معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال اليبس والجفاف ونحول العظم عن قتادة ومجاهد قال قتادة كان له بضع وتسعون سنة (قال كذلك) اي قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر (قال ربك هو علي هين) أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وافتق رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس (وقد خلقتك من قبل) اي من قبل يحيى (ولم تك شيئا) اي انشأتك واوجدتك ولم تك شيئا موجودا فإزالة عقر زوجتك وإزالة ما يمنع قبول الولد ايسر في الاعتبار من ابتداء الانشاء وروى الحكم بن عيينة عن ابي جعفر (ع) قال إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين (قال) زكريا يا (رب اجعل لي آية) اي دلالة وعلامة استدل بها على وقت كونه (قال) الله تعالى (آيتك) اي علامتك على ذلك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) اي وانت سوي صحيح سليم من غير علة قال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام وقال قتادة والسدي اعتقل لسانه من غير بأس ولا خرس فإنه كان يقرأ الزبور ويدعو إلى الله ويسبحه ولا يمكنه ان يكلم الناس وهذا أمر خارج عن العادة (فخرج على قومه من المحراب) اي من مصلاه عن ابن زيد وسمي المحراب محرابا لأن المتوجه اليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته والاصل فيه مجلس الاشراف الذي يحارب دونه ذبا عن أهله قالوا وكان زكريا قد اخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا إجابة دعائه فسروا به (فأوحى اليهم) أي أشار اليهم وأومى بيده وقيل كتب لهم في الارض عن مجاهد (ان سبحوا بكرة وعشيا) اي صلوا بكرة وعشيا عن الحسن وقتادة وتسمى الصلاة سبحة وتسبيحا لما فيها من التسبيح وقيل أراد التسبيح بعينه وقال ابن جريج أشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلي فيها لا يصعد اليها إلا بسلم وكانوا يصلون معه الفجر والعشاء فكان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام فعرفوا عند ذلك انه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء

قوله تعالى (١٢) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٣) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٤) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٥) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا أربع آيات

اللغة

اصل الحنان الرحمة يقال حنانك وحنانيك وقال امرؤ القيس

ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان

وقال آخر

قالت حنان ما أتى بك هاهنا اذو نسب أم أنت بالحي عارف

اي امرنا حنان قال ابو عبيدة واكثر ما يستعمل بلفظ التثنية قال طرفة

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض

وتحنن عليه اي تعطف عليه قال الحطيئة لعمر بن الخطاب

تحنن علي هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

وحننت عليه احن حنينا وحنانا وحنة الرجل امرأته والجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقا وفيه جبرية وجبروت والجبار من النخل ما فات اليد

﴿ الإعراب ﴾

بقوة الباء في موضع الحال اي خذ الكتاب مجدا مجتهدا

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) هاهنا اختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى واعطيناه الفهم والعقل وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التوراة بما قواك الله عليه وايدك به ومعناه وأنت قادر على أخذه قوي على العمل به وقيل معناه بجد وصحة عزيمة على القيام بما فيه (وآتيناه الحكم صبيا) اي آتيناه النبوة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس وروى العياشي بإسناده عن علي بن اسباط قال قدمت المدينة وانا اريد مصر فدخلت على ابي جعفر محمد بن علي الرضا (ع) وهو اذ ذاك خماسي فجعلت اتأمله لأصفه لاصحابنا بمصر فنظر الي فقال لي يا علي ان الله قد اخذ في الامامة كما اخذ في النبوة قال فلما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقال وآتيناه الحكم صبيا فقد يجوز ان يعطى الحكم ابن اربعين سنة ويجوز ان يعطاه الصبي وقيل ان الحكم الفهم وهو انه اعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة عن مجاهد وعن معمر قال ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا لنلعب فقال ما للعب خلقنا فانزل الله فيه وآتيناه الحكم صبيا وروي ذلك عن ابي الحسن الرضا (ع) (وحنانا من لدنا) والحنان العطف والرحمة اي وآتيناه رحمة من عندنا عن ابن عباس وقتادة والحسن وقيل معناه تحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليدعوهم الى طاعة الله تعالى عن الجبائي وقيل معناه محبة منا عن عكرمة واصله الشفقة والرقة ومنه حنين الناقة وهو صوتها اذا اشتاقت الى ولدها وقيل معناه تحنن الله عليه كان اذا قال يا رب قال الله لبيك يا يحيى وهو المروي عن الباقر (ع) وقيل معناه تعطفا منا عن مجاهد فهذه خمسة اقوال (وزكاة) اي وعملا صالحا زاكيا عن قتادة والضحاك وابن جريج وقيل زكاة لمن قبل دينه حتى يكونوا ازكياء عن الحسن وقيل يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص عن ابن عباس وقيل معناه وصدقة تصدق الله به على ابويه عن الكلبي وقيل معناه وزكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود الانسان عن الجبائي فهذه خمسة اقوال (وكان تقيا) اي مخلصا مطيعا متقيا لما نهى الله عنه قالوا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها « سؤال » يقال لم اضاف الله سبحانه كونه زكاة الى نفسه وهو إنما كان مطيعا زكيا بفعله « وجوابه » انه انما صار كذلك بالطاف من الله لاسيما في تلك الحالة من الصغر ولأنه انما اهتدى بهداية الله اياه (وبرا بوالديه) اي بارا بوالديه محسنا اليهما مطيعا لهما لطيفا بهما طالبا مرضاتهما (ولم يكن جبارا) اي متكبرا متطاولا على الخلق وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب عن ابن عباس (عصيا) اي عاصيا لربه فعيل بمعنى فاعل (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) أي سلام عليه منا في هذه الأيام عن عطاء وقيل وسلامة وأمان له منا عن الكلبي ومعناه سلامة وأمن له يوم ولد من عبث الشيطان به واغوائه إياه ويوم يموت من بلاء الدنيا ومن عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول المطلع وعذاب النار وإنما قال حيا تأكيدا لقوله يبعث وقيل يعني انه يبعث مع الشهداء لأنهم وصفوا بأنهم احياء قال سفيان بن عيينة اوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم واحكاما ليس له بها عهد ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فخص الله سبحانه يحيى بالكرامة والسلام والسلامة في المواطن الثلاثة وقيل إن السلام الأول يوم الولادة تفضل والثاني والثالث على وجه الثواب والجزاء

قوله تعالى (١٦) وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

(١٧) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٨) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٩) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (٢٠) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو وورش وقالون برواية الحلواني ويعقوب ليهب بالياء والباقون لأهب بالهمزة

الحجة

قال ابو علي حجة من قال لأهب فأسند الفعل إلى المتكلم والهبة لله تعالى ومنه إن الرسول والوكيل قد يسند هذا النحو إلى نفسه وإن كان الفعل للموكل او المرسل للعلم بأنه مترجم عنه ومن قال ليهب لك فهو على تصحيح اللفظ في المعنى ففي قوله تعالى ليهب ضمير من قوله ربك وهو سبحانه الواهب وزعموا ان في حرفي ابي وابن مسعود ليهب ولو خففت الهمزة من لأهب لكان في قول ابي الحسن ليهب فتقلبها ياء محضة وفي قول الخليل لأهب يجعلها بين الياء والهمزة

اللغة

النبذ اصله الطرح والانتباذ افتعال منه ومنه قوله فنبذوه وراء ظهورهم اي القوه وانتبذ فلان ناحية اي تنحى ناحية وجلس فلان نبذة من الناس ونبذة بفتح النون وضمها اي ناحية وإنما يقال ذلك إذا جلس قريباً منهم حتى لو نبذوا اليه شيئاً لوصل اليه فالانتباذ اتخاذ الشيء بالقاء غيره عنه والمكان الشرقي الذي كان في جهة الشرق قال جرير

هبت جنوب فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة إلى شرقي حورانا

الاعراب

مكانا نصب على الظرف بشرا سويا منصوب على الحال

المعنى

ثم عطف سبحانه قصة مريم وعيسى «ع» على قصة زكريا ويحيى «ع» فقال (واذكر في الكتاب) اي في كتابك هذا وهو القرآن (مريم) أي حديث مريم وولادتها عيسى وصلاحها ليقتدي الناس بها ولتكون معجزة لك (اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) اي انفردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم قال ابن عباس انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لانها انتبذت مكانا شرقيا وقيل اتخذت مكانا تنفرد فيه للعبادة لئلا تشتغل بكلام الناس عن الجبائي وقيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الاصم وابي مسلم وقيل انها تمنت ان تجد خلوة فتفلي رأسها فخرجت من يوم شديد البرد فجلست في مشرقة الشمس عن عطا (فاتخذت من دونهم حجابا) اي فضربت من دون أهلها لئلا يروها ستراً وحاجزاً بينها وبينهم (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبرائيل (ع) عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم وسماه الله روحا لأنه روحاني واضافه الى نفسه تشريفا له (فتمثل لها بشرا سويا) معناه فأتاها جبرائيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه شيء وقال ابو مسلم ان الروح الذي خلق منه المسيح تصور لها انسان والاول هو الوجه لاجماع المفسرين عليه وقال عكرمة كانت مريم اذا حاضت خرجت من المسجد و كانت عند خالتها امرأة زكريا ايام حيضها فإذا طهرت عادت الى بيتها في المسجد فبينا هي في مشرقة لها في ناحية الدار وقد ضربت بينها وبين اهلها ستراً لتغتسل وتمتشط اذ دخل عليها جبرائيل في صورة رجل شاب

امرد سوي الخلق فانكرته فاستعاذت بالله منه (قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) معناه اني اعتصم بالرحمن من شرك فاخرج من عندي ان كنت تقيا «سؤال» يقال كيف شرطت في التعوذ منه ان يكون تقيا والتقي لا يحتاج ان يتعوذ منه وانما يتعوذ من غير التقي «والجواب» ان التقي اذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط الله ففي ذلك تخويف وترهيب له وهذا كما تقول ان كنت مؤمنا فلا تظلمني فالمعنى إن كنت تقيا فاتعظ واخرج وروي عن علي (ع) انه قال علمت إن التقي ينهاه التقي عن المعصية وقيل ان معنى قوله إن كنت تقيا ما كنت تقيا حيث استحللت النظر اليَّ وخلوت بي فلما سمع جبرائيل (ع) منها هذا القول (قال) لها (إنما انا رسول ربك لأهب لك) وقد بينا معنى القرائتين (غلاما زكيا) اي ولدا طاهرا من الادناس وقيل ناميا في افعال الخير وقيل يريد نبيا عن ابن عباس (قالت) مريم (انى يكون لي غلام) اي كيف يكون لي ولد (ولم يمسسني بشر) على وجه الزوجية (ولم اك بغيا) اي ولم اكن زانية وانما قالت ذلك لأن الولد في العادة يكون من احدى هاتين الجهتين والمعنى اني لست بذات زوج وغير ذات الزوج لا تلد الا عن فجور ولست فاجرة وإنما يقال للفاجرة بغي بمعنى انها تبغي الزنا اي تطلبه وفي هذه الآيات دلالة على جواز اظهار المعجزات لغير الانبياء لأن من المعلوم ان مريم ليست بنبية وان رؤية الملك على صورة البشر وبشارة الملك اياها وولادتها من غير وطئ الى غيرها من الآيات التي أتاها الله بها من اكبر المعجزات ومن لم يجوز اظهار المعجزات على غير النبي اختلفت اقوالهم في ذلك قال الجبائي وابنه انها معجزات لزكريا (ع) وقال البلخي انها معجزات لعيسى على سبيل الارهاص والتأسيس لنبوته

قوله تعالى (٢١) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢٢) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٣) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٤) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٥) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٦) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٧) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٨) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٩) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٣٠) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا عشر آيات

القراءة

قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح النون والباقون نسيا بكسر النون وقرأ من تحتها بكسر الميم أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر وسهل فالباقون من تحتها وقرأ حفص عن عاصم تساقط بضم التاء وكسر القاف وقرأ حماد عن عاصم وبصير عن الكسائي ويعقوب وسهل يساقط بالياء وتشديد السين وقراءة حمزة تساقط بفتح التاء وتخفيف السين والباقون تساقط بفتح التاء وتشديد السين وفي الشواذ قراءة مسروق يساقط بضم الياء وتخفيف السين وقرأ طلحة بن سليمان رطبا جنيا بكسر الجيم فإما ترين بسكون الياء والتخفيف

— الحجة —

قال ابو علي قال ابو الحسن النسي هو الشيء الحقير ينسى نحو النعل والسوط وقال غيره النسي اغفل ما من شيء حقير وقال بعضهم ما اذا ذكر لم يطلب وقالوا الكسر اعلى اللغتين قال الشنفرى

كأن لها في الأرض نسيا تقصه ... على امها وان تخاطبك تبلت

وقال في قوله من تحتها انه جبرائيل او عيسى وقال بعض اهل التأويل لا يكون الا عيسى (ع) ولا يكون جبرائيل لأنه لو كان جبرائيل لناداها من فوقها وقد يجوز ان يكون جبرائيل وليس قوله من تحتها يراد به الجهة السفلى وإنما المراد من دونها بدلالة قوله قد جعل ربك تحتك سريا ولم يكن النهر محاذيا لهذه الجهة ولكن المعنى جعله دونك وقد يقال فلان تحتنا اي دوننا في الموضع والاشبه ان يكون المنادي لها عيسى فإنه اشد ازالة لما خامر قلبها من الاغتمام واذا قال من تحتها كان عاما وضع موضع الخاص والمراد به عيسى قال والوجوه كلها كما في تساقط متفقة في المعنى الا قراءة حفص الا ترى ان من قرأ تساقط إنما هي تتساقط فحذف التاء التي يدغمها غيره وكلهم جعل فاعل الفعل الذي هو تساقط او تساقط في رواية حفص النخلة ويجوز ان يكون فاعل تساقط اوتساقط هي جذع النخلة الا انه لما حذف المضاف اسند الفعل الى النخلة في اللفظ فإما تعديتهم تساقط فهو تفاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدي نحو تفعل في نحو تجرعته وتمززته فكذلك عدى تفاعل فمما جاء من ذلك في الشعر قول اوفى بن مطر

تخاطأت النبل احشاءه ... وآخر يومي فلم يعجل

وقول الآخر

تطالعنا خيالات لسلمى ... كما يتطالع الدين الغريم

وقول امرئ القيس

ومثلك بيضاء العوارض طفلة ... لعوب تناساني اذا قمت سربالي

اراد تنسيني ومن قرأ بالياء امكن ان يكون فاعله الهزلان قوله هزي قد دل عليه فإذا كان كذلك جاز ان يضمره كما اضمر الكذب في قوله من كذب كان شرا له ويمكن ان يكون الجذع ويجوز في الفعل اذا اسند الى الجذع وجهان ﴿احدهما﴾ ان الفعل اضيف الى الجذع كما اضيف الى النخلة برمتها لأن الجذع معظمها ﴿والآخر﴾ ان يكون الجذع منفردا عن النخلة يسقط عليها ويكون سقوط الرطب من الجذع آية لعيسى (ع) ويصير سقوط الرطب من الجذع اسكن لنفسها واشد ازالة لاهتمامها وسقوط الرطب من الجذع منفردا من النخل مثل رزقها الذي كان يأتيها المحراب في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى قوله هو من عند الله وقوله رطبا في هذه الوجوه منصوب على انه مفعول به ويجوز في قوله تساقط عليك اي تساقط عليك ثمرة النخلة رطبا فحذف المضاف الذي هو الثمرة ويكون انتصاب رطب على الحال وجاز ان يضمر الثمر وان لم يجر لها ذكر لأن ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء في قوله وهزي اليك بجذع النخلة فيحتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون زيادة كقوله القى بيده والقى يده وقوله

بواد يمان ينبت الشث صدره ... واسفله بالمرخ والشبهان

ونحو ذلك ويجوز ان يكون المعنى وهزي اليك بهز جذع النخلة رطبا كما قال ذو الرمة

وصوح البقل نئاج تجيء به ... هيف يمانية في مرها نكب

اي تجيء بمجيئة هيف يعني اذا جاء النئاج جاء الهيف وكذلك اذا هزت الجذع هزت بهزه رطبا اي فإذا

هزت الرطب سقطوااما قراءة مسروق يساقط فإنه بمعنى يسقط شيئا بعد شيء وانشد ابن جني قول ضابئ البرجمي

يساقط عنه ورقه ضارياتها سقاط حديد القين اخول اخولا

اي يسقط قرن هذا الثور ضاريات كلاب الصيد لطعنه اياها به شيئا بعد شيء واما قراءة طلحة رطباجنيا فإنه اتبع كسرة الجيم كسرة النون قال ابن جني شبه النون وان لم يكن من حروف الحلق بهن في نحو الشخير والنخير والرغيف واما ترين نهي شاذ لكنه جاء في لغة اثبات النون في الجزم وانشد ابو الحسن

لولا فوارس من قيس واسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

﴿ اللغة ﴾

القصي البعيد والقاصي خلاف الداني وقوله فأجاءها اي جاء بها المخاض وهو مما يعدى تارة بالباء وتارة بهمزة النقل قال زهير

وجار سار معتمدا اعلينا اجاءته المخاوف والرجاء

اي جاءت به ويروى جاء قال الكسائي تميم تقول ما اجاءك الى هذا وما امشاك اليه ومن امثالهم شرا جاءك الى مخة عرقوب وتميم تقول امشاك والسري النهر لأنه يسري بجريانه قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها

ويقال قررت به عينا اقر قرورا فهي لغة قريش واهل نجد يقولون قررت به بفتح العين اقر قرار كما يقولون قررت بالمكان بالفتح والجني بمعنى المجني من جنيت الثمرة واجتنيتها اذا قطعتها وقال ابن اخت حذيمه

هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه

وفي معناه قول الكميت يمدح أهل البيت «ع»

خيارها يجتنون فيه اذا جانون في ذي اكفهم اربوا

قال ابو مسلم الفري مأخوذ من فرى الأديم إذا قطعه على وجه الاصلاح ثم يستعمل في الكذب وقال الزجاج يقال فلان يفري الفري إذا كان يعمل عملا يبالغ فيه قال الراجز « قد كنت تفرين به الفريا»

﴿ الاعراب ﴾

عينا منصوب على التمييز فأما ترأين أصله ترايين إلا ان الاستعمال بغير همز والياء فيه ضمير المؤنث وإنما حركت لالتقاء الساكنين وهما الياء والنون الأولى من المشددة كما تقول للمرأة ارضين زيدا وقوله من كان في المهد صبيا كان هنا بمعنى الحدوث والوقوع والتقدير . كيف نكلم من وجد في المهد صبيا نصب على الحال من كان ومثل كان هاهنا قوله وإن كان ذو عسرة ومثله قول الربيع

إذا كان الشتاء فادفؤني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

ويجوز ان يكون كان هنا مزيدة كما في قول الشاعر

جياد بني ابي بكر تسامى على كأن المسومة العراب

فعلى هذا يكون العامل في الحال نكلم قال الزجاج الاجود أن يكون من في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ويكون صبيا حالا كما تقول من كان لايسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه

المعنى

(قال كذلك) اي قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة الامر كذلك اي كما وصفت لك (قال ربك هو علي هين) اي احداث الولد من غير زوج للمرأة سهل متأت لا يشق علي (ولنجعله آية للناس) معناه ولنجعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوته ودلالة على براءة أمه (ورحمة منا)له ولنجعله نعمة منا على الخلق يهتدون بسببه (وكان أمرا مقضيا) اي وكان خلق عيسى من غير ذكر أمرا كائنا مفروغا عنه محتوما قضي الله سبحانه بأن يكون وحكم به(فحملته) اي فحملت مريم بعيسى فحبلت في الحال قيل ان جبرائيل أخذ ردن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حس الحمل وقيل نفخ في كمها فحملت عن ابن جريج وروي عن الباقر (ع) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل الولد في ارحام النساء تسعة اشهر فخرجت من المستحم وهي حامل محج مثقل فنظرت اليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم على وجهها مستحية من خالتها ومن زكريا (فانتبذت به مكانا قصيا) اي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد وقيل معناه انفردت به مكانا بعيدا من قومها حياء من أهلها وخوفا من أن يتهموها بسوء واختلفوا في مدة حملها فقيل ساعة واحدة قال ابن عباس لم يكن بين الانتباذ والحمل إلا ساعة واحدة لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلا لأنه قال فحملته فانتبذت به فأجاءها والفاء للتعقيب وقيل حملت به في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين عن مقاتل وقيل كانت مدة حملها تسع ساعات وهذا مروي عن ابي عبد الله (ع)وقيل ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية وذلك انه لم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره (فأجاءها المخاض) اي الجاها الطلق اي وجع الولادة (إلى جذع النخلة) فالتجأت اليها لتستند اليها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وقيل أجاءها اي جاء بها قال ابن عباس نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة اليها فإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها سعف والجذع ساق النخلة والالف واللام دخلت للعهد لا للجنس اي النخلة المعروفة فلما ولدت (قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) اي شيئا حقيرا متروكا عن ابن عباس وقيل شيئا لا يذكر ولا يعرف عن قتادة وقيل حيضة ملقاة عن عكرمة والضحاك ومجاهد قال ابن عباس فسمع جبرائيل كلامها وعرف جزعها (فناداها من تحتها) وكان اسفل منها تحت اكمة (ألا تحزني) وهو قول السدي وقتادة والضحاك ان المنادي جبرائيل ناداها من سفح الجبل وقيل ناداها عيسى عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبائي وإنما تمنت «ع» الموت كراهية لأن يعصي الله فيها وقيل استحياء من الناس ان يظنوا بها سوءاً عن السدي وروي عن الصادق «ع» لأنها لم تر في قومها رشيدا ذافراسة ينزهها من السوء (قد جعل ربك تحتك سريا) اي ناداها جبرائيل او عيسى ليزول ما عندها من الغم والجزع لا تغتمي قد جعل ربك تحت قدميك نهرا تشربين منه وتتطهرين من النفاس عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قالوا وكان نهرا قد انقطع الماء عنه فارسل الله الماء فيه لمريم واحيى ذلك الجذع حتى اثمر واورق وقيل ضرب جبرائيل(ع) برجله فظهر ماء عذب وقيل بل ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجري وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل السري عيسى (ع) عن الحسن وابن زيد والجبائي والسري هو الشريف الرفيع قال الحسن كان والله عبدا سريا (وهزي اليك بجذع النخلة) معناه اجذبي اليك بجذع النخلة والباء مزيدة وقال الفراء العرب تقول هزه وهز به (تساقط عليك رطبا جنيا) مر معناه وقال الباقر (ع) لم تستشف النفساء بمثل الرطب ان الله اطعمه مريم في نفاسها وقالوا ان الجذع كان يابسا لا ثمر عليه اذ لو كان عليه ثمر لهزته من غير ان تؤمر به وكان في الشتاء فصار معجزة بخروج الرطب في غير اوانه وبخروجه دفعة واحدة فإن العادة ان يكون نورا اولا ثم يصير بلحا ثم بسرا وروي انه لم يكن للجذع رأس فضربته برجلها فاورقت واثمرت وانتثر عليها الرطب جنيا والشجرة التي لا رأس لها لا تثمر في

العادة وقيل ان تلك النخلة كانت برنية وقيل كانت عجوة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (فكلي واشربي) اي كلي يا مريم من هذا الرطب واشربي من هذا الماء (وقري عينا) جاء في التفسير وطيبي نفسا وقيل معناه لتقر عينك سرورا بهذا الولد الذي ترين لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقيل معناه لتسكن عينك سكون سرور برؤيتك ما تحبين (فإما ترين من البشر احدا) فسألك عن ولدك (فقولي اني نذرت للرحمن صوما) اي صمتا عن ابن عباس والمعنى اوجبت على نفسي لله ان لا اتكلم وقيل صوما اي امساكا عن الطعام والشراب والكلام عن قتادة وانما امرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرئ به ساحتها عن ابن مسعود وابن زيد ووهب وقيل كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي يدل على هذا قوله (فلن اكلم اليوم انسيا) اي اني صائم فلن اكلم اليوم احدا وكان قد اذن لها ان تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر عن السدي و قيل كان الله تعالى امرها بان تنذر لله الصمت واذا كلمها احد تومئ بأنها نذرت لله صمتا لأنه لا يجوز ان يأمرها بأن تخبر بانها نذرت ولم تنذر لأن ذلك كذب عن ابي علي الجبائي (فأتت قومها تحمله) اي فأتت مريم بعيسى حاملة له وذلك انها لفته في خرقة وحملته الى قومها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) اي امرا عظيما بديعا اذ لم تلد انثى قبلك من غير رجل عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل امرا قبيحا منكرا من الافتراء وهو الكذب عن الجبائي (يا اخت هارون) قيل فيه اقوال ❊ احدها ❊ ان هارون هذا كان رجلا صالحا في بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي (ص) وقيل انه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون فقولهم يا اخت هارون معناه يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفا فيك ❊ وثانيها ❊ ان هارون كان اخاها لأبيها ليس من امها وكان معروفا بحسن الطريقة عن الكلبي ❊ وثالثها ❊ ان هارون اخو موسى (ع) فنسبت اليه لأنها من ولده كما يقال يا اخا تميم عن السدي و ❊ رابعها ❊ انه كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والفساد فنسبت اليه وقيل لها يا شبيهته في قبح فعله عن سعيد بن جبير (ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) اي كان ابواك صالحين فمن اين جئت بهذا الولد (فاشارت اليه) اي فاومت الى عيسى (ع) بأن كلموه واستشهدوه على براءة ساحتي فتعجبوا من ذلك ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) معناه كيف نكلم صبيا في المهد وقيل صبيا في الحجر رضيعا وكان المهد حجر امه الذي تربيه فيه اذ لم تكن هيأت له مهدا عن قتادة وقيل انهم غضبوا عند اشارتها اليه وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها فلما تكلم عيسى(ع) قالوا ان هذا الأمر عظيم عن السدي (قال) عيسى (ع) (اني عبد الله) قدم اقراره بالعبودية ليبطل به قول من يدعي له الربوبية وكان الله سبحانه انطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ثم قال (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) اي حكم لي باتيان الكتاب والنبوة وقيل ان الله تعالى اكمل عقله في صغره وارسله الى عباده وكان نبيا مبعوثا الى الناس في ذلك الوقت مكلفا عاقلا ولذلك كانت له تلك المعجزة عن الحسن والجبائي وقيل انه كلمهم وهو ابن اربعين يوما عن وهب وقيل يوم ولد عن ابن عباس واكثر المفسرين وهو الظاهر وقيل ان معناه اني عبد الله سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبيا وكان ذلك معجزة لمريم (ع) على براءة ساحتها

قوله تعالى (٣١) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣٢) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٣) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٤) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٥) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ خمس آيات

القراءة

قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول الحق بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابي مجلز وابي نهيك وبرا بوالدتي بكسر الباء

الحجة

قال ابو علي قول الحق الرفع فيه على ان قوله ذلك عيسى بن مريم كلام والمبتدأ المضمر ما دل عليه هذا الكلام اي هذا الكلام قول الحق ويجوز ان يضمر هو ويجعله كناية عن عيسى «ع» اي هو قول الحق لأنه قد قيل فيه روح الله و كلمته والكلمة قول وأما النصب فعلى ان قوله ذلك عيسى بن مريم يدل على احق قول الحق وتقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزلة أحق فكأنك قلت أحق الحق وأحق قول الحق ومن قال وبرا بوالدتي فكأنه قال وألزمني برا بوالدتي ويكون معطوفا على موضع الجار والمجرور من قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وعليه بيت الكتاب « يذهبن في نجد وغورا غائرا » اي ويسلكن غورا وان شئت حملته على حذف المضاف بمعنى وجعلني ذا بر وان شئت جعلته اياه على المبالغة كقول الخنساء « فإنما هي اقبال وادبار »

اللغة

السلام مصدر سلمت والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اسماء الله تعالى وسلام مما يبتدأ به في النكرة لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك والسلام عليك وأسماء الاجناس يكثر الابتداء بها وفائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها تقول لبيك وخير بين يديك وإن شئت قلت والخير بين يديك الا أنه لما جرى ذكر سلام قبل هذا الموضع بغير الف ولام كان الاحسن ان يرد ثانية بالالف واللام

المعنى

ثم بين سبحانه تمام كلام عيسى «ع» فقال (وجعلني مباركا أينما كنت) اي وجعلني معلما للخير عن مجاهد وقيل نفاعا حيث ما توجهت والبركة نماء الخير والمبارك الذي ينتمي الخير به وقيل ثابتا دائما على الايمان والطاعة وأصل البركة الثبوت عن الجبائي (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي بإقامة الصلاة وأداء الزكاة (مادمت) اي مابقيت (حيا) مكلفا (وبرا بوالدتي) اي واجعلني بارا بها اؤدي شكرها فيما قاسته بسببي (ولم يجعلني جبارا) اي متجبرا (شقيا) والمعنى اني بلطفه وتوفيقه كنت محسنا إلى والدتي متواضعا في نفسي حتى لم أكن من الجبابرة الاشقياء (والسلام علي) اي والسلامة علي من الله (يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) اي في هذه الاحوال الثلاث وقد مر تفسيرها قبل في قصة يحيى وفي هذه الآيات دلالة على انه يجوز ان يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الافتخار قيل ولما كلمهم عيسى «ع» بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى «ع» فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى بن مريم) معناه ذلك الذي قال اني عبد الله عيسى بن مريم لا ما يقوله النصارى من انه ابن الله وأنه إله (قول الحق) مر معناه في الحجة (الذي فيه يمترون) اي يشكون يعني اليهود والنصارى فزعمت اليهود انه ساحر كذاب وزعمت النصارى انه ابن الله وثالث ثلاثة وقيل هو امتراء النصارى واختلافهم فبعضهم قالوا هو الله وقال بعضهم ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذبهم الله تعالى فقال (ما كان لله ان يتخذ من ولد) معناه ما كان ينبغي لله ان يتخذ من ولد اي ما يصلح له ولا يستقيم عن ابن الانباري قال فنابت اللام عن الفعل وذلك ان من اتخذ ولدا فإنما يتخذه من جنسه لأن الولد مجانس للوالد والله تعالى ليس كمثله شيء فلا يكون له سبحانه ولد ولا يتخذ ولدا وقوله من ولد من هذه هي التي تدل على نفي الواحد والجماعة فالمعنى أنه لا يجوز ان يتخذ ولدا واحدا ولا أكثر ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال (سبحانه) ثم بين السبب في كون عيسى من غير اب فقال (إذا قضى أمرا

فإنما يقول له كن فيكون)وقد مر تفسيره فيما مضى والمعنى أنه لا يتعذر عليه إيجاد شيء على الوجه الذي أراده

قوله تعالى (٣٦) وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٧) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٨) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٩) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٠) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ خمس آيات

(القراءة)

قرأ أهل الكوفة وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وإن الله بكسر الهمزة والباقون بالفتح

الحجة

قال ابو علي حجة من كسر انه جعله مستأنفا كما ان المعطوف عليه مستأنف وحجة من فتح انه حمله على قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم

الإعراب والمعنى

قوله(وان الله ربي وربكم) من فتح الهمزة ففيه أربعة اوجه احدها ان المعنى وقضى ان الله ربي وربكم عن ابي عمرو بن العلاء والثاني انه معطوف على كلام عيسى اي وأوصاني بأن الله ربي وربكم والثالث ذلك عيسى بن مريم وذلك ان الله ربي وربكم عن الفراء والرابع ان العامل فيه فاعبدوه والتقدير ولأن الله ربي وربكم (فاعبدوه) فحذف الجار ومن كسر الهمزة جاز ان يكون معطوفا على قوله قال اني عبدالله اي وقال إن الله ربي وربكم وجاز ان يكون ابتداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله ان يقول ذاك وقوله (هذا صراط مستقيم) معناه هذا طريق واضح فالزموه وقيل إن المعنى هذا الذي أخبرتكم إن الله أمرني به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه (فاختلف الاحزاب من بينهم) الاختلاف في المذهب ان يعتقد كل قوم خلاف ما يعتقده الآخرون والاحزاب جمع حزب وهو الجمع المنقطع في رأيه عن غيره وتحزبوا اي صاروا احزابا فالمعنى أن الاحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى «ع» فقال قوم منهم هو الله وهم اليعقوبية وقال آخرون هو ابن الله وهم النسطورية وقال آخرون هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية وقال المسلمون هو عبد الله عن قتادة ومجاهد وانما قال من بينهم لأن منهم من ثبت على الحق وقيل ان من زائدة والمعنى اختلفوا بينهم (فويل) اي فشدة عذاب وهي كلمة وعيد (للذين كفروا) بالله بقولهم في المسيح (من مشهد يوم عظيم) المشهد بمعنى الشهود والحضور اي من حضورهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة وسمي عظيما لعظم اهواله وقيل ويل لهم من مجمع يوم اي من الفضيحة على رؤوس الجمع يومئذ (اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) قيل فيه وجهان احدهما ان التقدير صاروا ذوي سمع وبصر والجار والمجرور في موضع رفع لأنه فاعل اسمع والمعنى ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة وان كانوا في الدنيا صما وبكما عن الحق عن الحسن ومعناه الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) يعني ان الكافرين في الدنيا آثروا الهوى على الهدى فهم في ذهاب عن الدين وعدول عن الحق والمراد أنهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة وقال ابو مسلم وهذا يدل على ان قوله سبحانه صم بكم عمي ليس معناه الآفة في الأذن واللسان والعين بل هو انهم لا يتدبرون ما يسمعون ويرون ولا يعتبرون ألا ترى انه

جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين في مقابلته فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله في مقابلة الضلال المبين ﴿و﴾ والثاني ﴿*﴾ ان معناه اسمعهم وابصرهم اي بصرهم وبين لهم انهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنة والثواب عن الجبائي قال ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا اخبارهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة وهذا بعيد وقد استدرك على الجبائي في قوله والأولى والاظهر في الآية الوجه الأول (وانذرهم يوم الحسرة) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة وقيل إنما يتحسر المستحق للعقاب فأما المؤمن فلا يتحسر وروى مسلم في الصحيح بالاسناد عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش املح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال وذلك قوله وأنذرهم يوم الحسرة الآية ورواه اصحابنا عن ابي جعفر «ع» وابي عبد الله «ع» ثم جاء في آخره فيفرح أهل الجنة فرحا لو كان أحد يومئذ ميتا لماتوا فرحا ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتا لماتوا (إذ قضي الأمر) اي فرغ من الأمر وانقطعت الآمال وأدخل قوم النار وقوم الجنة وقيل معناه انقضى أمر الدنيا فلا يرجع اليها الاستدراك الفائت وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضي على أهل الجنة بالخلود وقضي على أهل النار بالخلود (وهم في غفلة) في الدنيا عن ذلك ومعناه إنهم مشغولون اليوم بما لا يعنيهم غافلون عن احوال الآخرة (وهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون بذلك ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي نميت سكانها فنرثها ومن عليها من العقلاء لأنا نميتهم ونهلكهم فلا يبقى فيها مالك ومتصرف (والينا يرجعون) اي إلينا يردون بعد الموت اي إلى حيث لا يملك الأمر والنهي غيرنا

قوله تعالى (٤١) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤٢) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٣) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٥) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٦) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٧) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٨) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٩) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٥٠) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا عشر آيات

القراءة

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في قوله يا أبت والوجه في ذلك في سورة يوسف «ع»

اللغة

الصديق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علما فيه والرغبة عن الشيء نقيض الرغبة فيه والترغيب الدعاء

إلى الرغبة في الشيء والانتهاء الامتناع من الفعل المنهي عنه يقال نهاه عن الأمر فانتهى وأصله النهاية والنهى زجر عن الخروج من النهاية المذكورة والتناهي بلوغ نهاية الحد والرجم الرمي بالحجارة والرجم الشتم وأصله من الرجم والرجام وهو الحجارة والملي الدهر الطويل قال الفراء يقال كنت عندنا مليا وملوة وملوة وملاوة وملاوة و كله من طول المقام والحفي المستقصي في السؤال والحفي اللطيف بعموم النعمة وأصل الباب الاستقصاء تقول تحفيت به اي بالغت في اكرامه وحفوته من كل خير بالغت في منعه واحفيت شاربي بالغت في أخذه حتى استأصلته واحفيت في السؤال بالغت وكل شيء استوصل فقد احتفي وتقول العرب جاءني لسان فلان اي مدحه وذمه قال عامر بن الحرث

إني أتتني لسان لا اسر بها … من علو لاعجب منها ولا سخر

جاءت مرجمة قد كنت احذرها … لو كان ينفعني الاشفاق والحذر

❋ الاعراب ❋

قال الزجاج العرب تقول في النداء يا ابت ويا أمت ولا يقال قال ابتي كذا وقالت امتي كذا وزعم الخليل وسيبويه انها بمنزلة قولهم يا عمة ويا خالة وزعم انه بمنزلة قولهم رجل ربعة وغلام يفعة وان الهاء عوض من ياء الاضافة في يا ابي ويا أمي وقوله مليا منصوب على الظرف و كلا مفعول جعلنا

❋ المعنى ❋

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم (ع) فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) اي القرآن (ابراهيم إنه كان صديقاً) اي كثير التصديق في أمور الدين عن الجبائي وقيل صادقا مبالغا في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن ابي مسلم (نبيا) أي عليا رفيع الشأن برسالة الله تعالي (إذ قال لأبيه) ازر (يا أبت) اي يا ابي ودخلت التاء للمبالغة في تحقيق الإضافة (لم تعبد ما لا يسمع) دعاء من يدعوه (ولا يبصر) من يتقرب اليه ويعبده (ولا يغني عنك شيئا) من أمور الدنيا أي لا يكفيك شيئا فلا ينفعك ولا يضرك (يا أبت إني قد جاءني من العلم) بالله والمعرفة (ما لم يأتك فاتبعني) على ذلك واقتد بي فيه (اهدك صراطا سويا) أي أوضح لك طريقا مستقيما معتدلا غير جائر بك عن الحق إلى الضلال (يا أبت لا تعبد الشيطان) اي لا تطعه فيما يدعوك اليه فتكون بمنزلة من عبده ولا شبهة ان الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئا فقد عبده (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) أي عاصيا (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أي يصيبك عذاب من جهة الله سبحانه لاصرارك على الكفر (فتكون للشيطان وليا) اي فتكون موكولا الى الشيطان وهو لا يغني عنك شيئا عن الجبائي وقيل معناه فتكون لاحقاً بالشيطان باللعن والخذلان واللاحق يسمى التالي والذي يتلو الشيء والذي يليه سواء عن ابي مسلم وقيل فتكون له قرينا في النار وقيل معناه فيكون الشيطان ولي نصرتك ولم يقل فيكون الشيطان وليك لأنه ابلغ في الفضيحة وإنما أراد زجره عن موالاة الشيطان لا تحقيق النصرة يعني إذا لم يكن لك الا نصرته فأنت مخذول لا ناصر لك وقد بينا فيما مضى ان الذي يقوله اصحابنا ان هذا الخطاب من ابراهيم «ع» إنما توجه إلى من سماه الله أبا له لأنه كان جدا لابراهيم «ع» لامه وان أباه الذي ولده كان اسمه تارخ لاجماع الطائفة على ان آباء نبينا ﷺ إلى آدم «ع» كلهم مسلمون موحدون ولما روي عنه ﷺ انه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا والكافر غير موصوف بالطهارة لقوله تعالى إنما المشركون نجس (قال) ازر مجيبا لابراهيم «ع» حين دعاه إلى الإيمان (أراغب أنت عن آلهتي) اي أمعرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الاصنام (يا ابراهيم) وتارك لها وزاهد فيها (لئن لم تنته) اي لئن لم تمتنع عن هذا (لأرجمنك) بالحجارة عن الحسن والجبائي وقيل لأرمينك بالذنب

والعيب واشتمنك عن السدي وابن جريج وقيل معناه لأ قتلنك (واهجرني مليا) اي فارقني دهراً طويلا عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وقيل مليا سويًا سليمًا عن عقوبتي عن ابن عباس وقتادة وعطاء والضحاك من قولهم فلان ملي بهذا الأمر اذا كان كاملا فيه مضطلعا به (قال) ابراهيم (سلام عليك) سلام توديع وهجر على الطف الوجوه وهو سلام متاركة ومباعدة منه عن الجبائي وابي مسلم وقيل هذا سلام اكرام وبر فقابل جفوة ابيه بالبر تأدية لحق الابوة اي هجرتك على وجه جميل من غير عقوق (سأستغفر لك ربي) قيل فيه اقوال ❊ احدها ❊ انه إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن بعد قد استقر قبح الاستغفار للمشركين ❊ وثانيها ❊ انه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح ويجوز من تركك عبادة الاوثان واخلاص العبادة لله تعالى عن الجبائي ❊ وثالثها ❊ ان معناه سادعو الله ان لا يعذبك في الدنيا عن الأصم (انه كان بي حفيا) اي باراً لطيفا رحيما عن ابن عباس ومقاتل وقيل ان الله عودني احسانه وكان لي مكرما وقيل كان عالما بي وبما ابتغيه من مجادلتك لعله يهديك (واعتزلكم وما تدعون من دون الله) اي واتنحى منكم جانبا واعتزل عبادة ما تدعون من دونه من الاصنام (وادعوا) اي واعبد (ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا) كما شقيتم بدعاء الاصنام وانما ذكر عسى على وجه الخضوع وقيل معناه لعله يقبل طاعتي وعبادتي ولا اشقى بالرد فإن المؤمن بين الرجاء والخوف (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) اي فارقهم وهاجرهم الى الارض المقدسة (وهبنا له اسحاق) ولدا (ويعقوب) ولد ولد (وكلا جعلنا نبيا) اي انسنا وحشته من فراقهم باولاد كرام على الله وكلا من هذين جعلناه نبيا يقتدى به في الدين (ووهبنا له من رحمتنا) اي نعمتنا سوى الاولاد والنبوة من نعم الدين والدنيا (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) اي ثناء حسنا في الناس عليا مرتفعا سائرا في الناس وكل اهل الاديان يتولون ابراهيم وذريته ويثنون عليهم ويدعون انهم على دينهم وقيل معناه واعلينا ذكرهم بان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وامته يذكرونهم بالجميل الى قيام القيامة وقيل هو ما يتلى في التشهد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم

قوله تعالى (٥١) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٢) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٣) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٤) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٥) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا خمس آيات

❊ القراءة ❊

قرأ اهل الكوفة مخلصا بفتح اللام والباقون مخلصا بكسرها

❊ الحجة ❊

من كسر اللام فحجته واخلصوا دينهم لله ومن فتحها فحجته انا اخلصناهم

❊ اللغة ❊

يقال ناجاه يناجيه اذا اختصه بكلام القاه اليه واصل النجاة الارتفاع من الارض ومنه النجاة ايضا وهو الارتفاع عن الهلكة والنجاة السرعة لأنه ارتفاع في السير ومنه المناجاة لأنها ارتفاع الحديث الى المحدث والنجي بمعنى المناجي كالجليس والضجيع وقيل نجي مصدر بمعنى ارتفاع لأن معنى قربناه رفعناه ويجوز ان يكون التقدير وقربناه مكانا رفيعًا

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (موسى انه كان مخلصا) اخلص العبادة لله تعالى واخلص نفسه لاداء الرسالة وبفتح اللام يكون معناه اخلصه الله بالنبوة واختاره للرسالة (وكان رسولا) الى فرعون وقومه (نبيا) رفيع الشأن عالي القدر (وناديناه من جانب الطور الأيمن) الطور جبل بالشام ناداه الله تعالى من جانبه اليمين وهي يمين موسى وقيل من جانب اليمين من الطور يريد حيث اقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله يا موسى اني انا الله رب العالمين (وقربناه نجيا) اي مناجيا كليما قال ابن عباس قربه الله وكلمه ومعنى هذا التقريب انه اسمعه كلامه وقيل قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة وقيل قربناه اي ورفعنا منزلته واعلينا محله حتى صار محله منا في الكرامة والمنزلة محل من قربه مولاه في مجلس كرامته فهو تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب مسافة وادناء اذ هو سبحانه لا يوصف بالحلول في مكان فيقرب من بعد او يبعد من قرب او يكون احد اقرب اليه من غيره (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا) اي انعمنا عليه باخيه هارون حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون وجعلناه نبيا اشركناه في امره وشددنا به ازره (واذكر في الكتاب) الذي هو القرآن (اسماعيل) بن ابراهيم ايضا (انه كان صادق الوعد) اذا وعد بشيء وفى به ولم يخلف (وكان) مع ذلك (رسولا نبيا) الى جرهم وقد مضى معناه قال ابن عباس انه واعد رجلا ان ينتظره في مكان ونسي الرجل فانتظره سنة حتى اتاه الرجل وذلك مروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل اقام ينتظره ثلاثة ايام عن مقاتل وقيل ان اسماعيل بن ابراهيم (ع) مات قبل ابيه ابراهيم (ع) وان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض امرهم الى الله تعالى في عفوه وعقابه ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ثم قال في آخره اتاه ملك من ربه يقرئه السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك وقد امرني بطاعتك فمرني بما شئت فقال يكون لي بالحسين (ع) أسوة (وكان يأمر اهله) اي قومه وعترته وعشيرته وقيل امته عن الحسن (بالصلاة والزكاة) وقيل انه كان يأمر اهله بصلاة الليل وصدقة النهار (وكان) مع ذلك (عند ربه مرضيا) قد رضي اعماله لأنها كانها طاعات لم تكن فيها قبائح وقيل مرضيا معناه صالحا زكيا رضيا فحصل له عنده المنزلة العظيمة

قوله تعالى (٥٦) وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٧) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٨) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٩) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَاةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٦٠) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

العلي العظيم العلو والعلي العظيم فيما يقدر به على الامور ومنه يوصف الله تعالى بانه علي والفرق بين العلي والرفيع ان العلي قد يكون بمعنى الاقتدار وبمعنى علو المكان والرفيع من رفع المكان لا غير ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه رفيع واما رفيع الدرجات فانه وصف للدرجات بالرفعة وبكي وزنه فعول وهو جمع باك ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى البكاء. والخلف بفتح اللام يستعمل في الصالح وبسكون اللام في الطالح وقد يستعمل كل واحد

في الآخر قال لبيد

ذهب الذين يعاش في اكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الاجرب

﴿ الاعراب ﴾

سجدا وبكيا نصب على الحال وتقديره خروا ساجدين وباكين قال الزجاج وهي حال مقدرة المعنى خروا مقدرين السجود لأن الانسان في حال خروره لايكون ساجدا . الا من تاب في موضع نصب اي فسوف يلقون العذاب الا التائبين فيكون الاستثناء متصلا ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا من غير الاول ويكون المعنى لكن من تاب وآمن فاولئك يدخلون الجنة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حديث ادريس فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (ادريس) وهو جد اب نوح (ع) واسمه في التوراة اخنوخ وقيل انه سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وهو اول من خط بالقلم وكان خياطا واول من خاط الثياب وقيل ان الله تعالى علمه النجوم والحساب وعلم الهيأة وكان ذلك معجزة له (انه كان صديقا نبيا) مر معناه (ورفعناه مكانا عليا) اي عاليا رفيعا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة عن انس وابي سعيد الخدري وكعب ومجاهد وقيل الى السماء السادسة عن ابن عباس والضحاك قال مجاهد رفع ادريس (ع) كما رفع عيسى (ع) وهو حي لم يمت وقال آخرون انه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وروي ذلك عن ابي جعفر وقيل ان معناه ورفعنا محله ومرتبته بالرسالة كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ولم يرد به رفعة المكان عن الحسن والجبائي وابي مسلم ولما فصل سبحانه ذكر النبيين ووصف كلا منهم بصفة تخصه جمعهم في المدح والثناء فقال (اولئك) تقدم ذكرهم (الذين انعم الله عليهم) بالنبوة وقيل بالثواب وبسائر النعم الدينية والدنيوية (من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل) انما فرق سبحانه ذكر نسبهم مع ان كلهم كانوا من ذرية آدم (ع) لتبيان مراتبهم في شرف النسب فكان لادريس شرف القرب لآدم لأنه جد نوح (ع) وكان ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح وكان اسماعيل واسحاق ويعقوب من ذرية ابراهيم لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف ابراهيم وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل (وممن هدينا واجتبينا) قيل انه تم الكلام عند قوله اسرائيل ثم ابتدأ فقال وممن هدينا واجتبينا من الامم قوم اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابي مسلم وروي عن علي بن الحسين (ع) انه قال نحن عنينا بها وقيل بل المراد به الانبياء الذين تقدم ذكرهم من ذرية آدم وممن هديناهم واجتبيناهم اي هديناهم الى الحق فاهتدوا واخترناهم من بين الخلق ثم وصفهم فقال (اذا تتلى عليهم) اي تقرأ عليهم (آيات الرحمن) وهو القرآن عن ابن عباس (خروا سجدا) اي ساجدين لله (وبكيا) اي باكين متضرعين اليه بين الله سبحانه انهم مع جلالة قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله وهؤلاء العصاة ساهون لاهون مع احاطة السيئات بهم ثم اخبر سبحانه فقال (فخلف من بعدهم خلف) والخلف البدل السيئ معناه من بعد النبيين المذكورين قوم سوء وقيل هم اليهود ومن تبعهم لأنهم من ولد اسرائيل وقيل هم من هذه الامة عند قيام الساعة عن مجاهد وقتادة (اضاعوا الصلاة) تركوها عن محمد بن كعب وقيل اضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير ان تركوها اصلا عن ابن مسعود وابراهيم وعمر بن عبد العزيز والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (واتبعوا الشهوات) اي انفذوا الشهوات فيما حرم الله عليهم فقال وهب فخلف من بعدهم خلف شرابون للقهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون للذات تاركون للجمعات مضيعون للصلوات (فسوف يلقون غيا) اي يلقون مجازاة الغي عن الزجاج وهذا كقوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما اي مجازاة الآثام وقيل يلقون غيا

اي شرا وخيبة عن ابن عباس وابن زيد ومنه قول الشاعر « ومن يغو لا يعدم على الغي لائما » اي يخب وقيل الغي واد في جهنم عن ابن مسعود وعطا وكعب (الا من تاب) اي ندم على ما سلف (وآمن) في مستقبل عمره (وعمل صالحا) من الواجبات والمندوبات (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) ومن قرأ يدخلون بضم الياء وفتح الخاء اراد ان الله سبحانه يدخلهم الجنة بان يأمرهم بدخولها وهذا يطابق قوله ولا يظلمون ومن قرأ يدخلون اراد انهم يدخلونها بأمر الله والمعنيان واحد ولا يبخسون شيئا من ثوابهم بل يوفيه الله اليهم على التمام والكمال وفي هذا دلالة على ان الله لا يمنع احدا ثواب عمله ولا يبطله لأنه سبحانه سمى ذلك ظلما

قوله تعالى (٦١) جَنَّاتُ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمٰنُ عِبَادَهُ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦٢) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٣) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٤) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٥) رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ رويس عن يعقوب نورث بالتشديد والباقون نورث وفي بعض الروايات عن ابي عمرو هل تعلم يدغم اللام في التاء والأكثر الاظهار

﴿ الحجة ﴾

يقال اورثه وورثه بمعنى قال ابو علي يرى سيبويه ان ادغام اللام في التاء والدال والطاء والصاد والزاي والسين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخارجهن وهي حروف طرف اللسان وانشد لمزاحم العقيلي

فذر ذا ولكن هتّعين متيما على ضوء برق آخر الليل ناصب

﴿ الاعراب ﴾

جنات عدن بالنصب على البدل من قوله الجنة وقوله بالغيب في موضع الحال اي كائنة بالغيب وذو الحال جنات عدن وسلاما استثناء منقطع فكأنه قال لايسمعون فيها كلاما يؤلمهم ولكن يسمعون سلاما وما نتنزل الا بأمر ربك تقديره قل ما نتنزل فاضمر القول. له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك قال ابو علي هذه الآية تدل على ان الازمنة ثلاثة ماض وهو قوله ما بين ايدينا ومستقبل وهو قوله وما خلفنا وحال وهو قوله وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السماوات والارض بدل من اسم كان وان شئت كان خبر مبتدأ محذوف وان شئت كان مبتدأ وقوله فاعبده خبره وهذا على قول الاخفش دون سيبويه

﴿ النزول ﴾

قيل ان العاص بن وائل السهمي لم يعط اجرة اجير استعمله وقال لو كان ما يقوله محمد حقا فنحن اولى بالجنة ونعيمها فحينئذ اوفر اجره فنزل تلك الجنة التي نورث الآية وقيل احتبس الوحي اياما لما سئل النبي ﷺ عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فشق ذلك عليه فلما اتاه جبرائيل استبطأه فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الآية عن عكرمة والضحاك وقتادة والكلبي ومقاتل

(المعنى)

ثم وصف سبحانه الجنة فقال (جنات عدن) اي جنات اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ووحد في الآية

المتقدمة وجمع ههنا فكأنه جنة تشتمل على جنات وقيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجمعها الجنة العظمى (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) المراد العباد المؤمنون كما قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل انه يتناول المؤمن والكافر ولكن بشرط رجوع الكافر عن كفره وقال بالغيب لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت ولا اذن سمعت عن ابن عباس والمعنى انه وعدهم امرا لم يكونوا يشاهدونه فصدقوه وهو غائب عنهم (انه كان وعده) اي موعوده (مأتيا) اي آتيا لا محالة والمفعول هنا بمعنى الفاعل لأن ما آتيتــه فقد أتاك وما أتاك فقد أتيتــه يقال أتيت على خمسين سنة وأتت علي خمسون سنة وقيل إن الموعود هو الجنة والجنة مأتية يأتيها المؤمنون (لا يسمعون فيها لغوا) اي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد وهو اللغو وقيل قد يكون اللغو الهزل وما يلغي من الكلام مثل الفحش والاباطيل (إلا سلاما) اي إلا سلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض قال الزجاج السلام إسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامــة اي يسمعون ما يسلمهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال المفسرون ليس في الجنة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشيا والمراد انهم يؤتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء والعشاء وقيل كانت العرب إذا أصاب احدهم الغداء والعشاء اعجبت بــه وكانت تكره الوجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى ان لهم في الجنــة رزقهم بكرة وعشيا على قدر ذلك الوقت وليس ثم ليل وإنما هو ضوء ونور عن قتادة وقيل انهم يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب (تلك الجنة التي) هي مذكورة في قوله فأولئك يدخلون الجنة التي (نورث من عبادنا من كان تقيا) اي إنما نملك تلك الجنة من كان تقيا في دار الدنيا بترك المعاصي وفعل الطاعات وإنما قال نورث مع أنه ليس بتمليك نقل من غيرهم اليهم لأنه شبه بالميراث من جهة انه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا عن الجبائي وقيل إنه تعالى اورثهم من الجنة المساكن والمنازل التي كانت لأهل النار لو اطاعوا الله تعالى وأضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين (وما نتنزل إلا بأمر ربــك) قال ابن عباس إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرائيل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزل وما نتنزل إلا بأمر ربك الآية اي إذا أمرنا نزلنا عليك وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وقيل انه قول أهل الجنة انا لا نتنزل موضعا من الجنة إلا بأمر الله تعالى عن ابي مسلم (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) معناه له ما بين ايدينا من أمر الآخرة وما خلفنا اي ما مضى من أمر الدنيا وما بين ذلك اي ما بين النفختين عن ابن عباس وقتادة والضحاك والربيع قال مقاتل وما بين النفختين اربعون سنة وقيل معناه ابتداء خلقنا ومنتهى آجالنا ومدة حياتنا وقيل ما بين ايدينا ما بقي من امر الدنيا وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك من حياتنا اي هو المدبر لنا في الاوقات الماضية والآتية والذاهبة وقيل ما بين ايدينا اي الأرض عند نزولنا وما خلفنا السماوات إذ نزلنا منهــا وما بين ذلك السماء والأرض (وما كان ربك نسيا) قيل هذا تمام حكاية قول الملائكة وقول أهل الجنة وقيل بل تم الكلام قبله ثم اخبر الله سبحانه عن نفسه ومعناه انه سبحانه ليس ممن ينسى ويخرج عن كونه عالما لأنه عالم لذاته وتقديره وما نسيك يا محمد وان اخر الوحي عنك وقيل ما كان ربك ناسيا لأحد حتى لا يبعثه يوم القيامة عن ابي مسلم (رب السماوات والأرض) اي خالقهما ومدبرهما (وما بينهما) من الخلائق والاشياء (فاعبده) وحده لا شريك له (واصطبر لعبادته) اي اصبر على تحمل مشقة عبادته ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (هل تعلم له سميا) اي مثلا وشبيها عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وسعيد بن جبير وقيل هل تعلم احدا يستحق ان يسمى إلها إلا هو عن الكلبي وقيل هل تعلم احدا يسمى إلها خالقا رازقا محييا مميتا قادرا على الثواب والعقاب سواه حتى تعبده فإذا لم تعلم ذلك فالزم عبادته وهذا استفهام بمعنى النفي اي لا تعلم من يسمى بلفظة الله

قوله تعالى (٦٦) وَيَقُولُ ٱلْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٧) أَوَلَا يَذْكُرُ

ٱلْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٨) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٧٠) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا خمس آيات

القراءة

قرأ نافع وعاصم وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل اولا يذكر خفيفا والباقون اولا يذكر بالتشديد

(الحجة)

قال ابو علي التذكر يراد به التدبر والتفكر وليس تذكرا عن نسيان والثقيلة كأنه في هذا المعنى اكثر فمن ذلك قوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وقال إنما يتذكر أولو الالباب فأضافته إلى اولي الالباب يدل على ان المراد به النظر والتفكر والحقيقة في هذا المعنى دون ذلك في الكثرة وقد قال الله تعالى إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وزعموا انه في حرف ابي اولا يتذكروا اما قوله ولم يك شيئا فمعناه لم يك شيئا موجودا وليس يراد انه قبل الخلق لم يقع عليه اسم شيء وهذا كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقد قال ان زلزلة الساعة شيء عظيم

(اللغة)

الجثي جمع الجاثي وهو الذي برك على ركبتيه واصله جثو فعول من جثى يجثو وقد تقدم القول فيه في أوائل السورة والشيعة الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الامور ومنه تشايع القوم إذا تعاونوا والصلي مصدر صلى يصلي صليا مثل لقى يلقي لقيا وصلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا

الإعراب

العامل في قوله أإذا مامت مضمر دل عليه قوله سوف اخرج حيا والتقدير أإذا مامت بعثت ولا يجوز ان يعمل فيه اخرج لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله كما ان ما بعد ان كذلك وما بعد الاستفهام وحرف النفي وقد ذكرنا ذلك في مواضع والشياطين يحتمل ان يكون منصوبا بأنه مفعول به اي ونحشر الشياطين ويحتمل ان يكون مفعولا معه بمعنى لنحشرنهم مع الشياطين وجثيا منصوب على الحال وعتيا منصوب على التميز وكذلك صليا فأما الرفع في أيهم أشد قال الزجاج فيه ثلاثة اقوال (احدها) قال سيبويه عن يونس ان لننزعن معلقة لم تعمل شيئا فكان قول يونس ثم لننزعن من كل شيعة ثم استأنف فقال أيهم (والثاني) حكى سيبويه عن الخليل انه بمعنى الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ومثله قول الشاعر

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل فأبيت لا حرج ولا محروم

والمعنى فأبيت بمنزلة الذي يقال لا هو حرج ولا محروم (والثالث) قال سيبويه ان ايهم مبنية على الضم لأنها خالفت اخواتها بان استعمل معها حذف الابتداء تقول اضرب ايهم افضل تريد ايهم هو افضل فيحسن الاستعمال كذلك بحذف هو ولا يحسن اضرب من افضل حتى تقول من هو افضل ولا يحسن كل ما اطيب حتى تقول كل ما هو اطيب قال فلما خالفت من وما والذي لا تقول فيه ايضا خذ الذي افضل حتى تقول خذ الذي هو افضل فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الاضافة والنصب حسن وان كنت قد حذفت هو لأن هو قد يجوز حذفها وقد قرئ تماما على الذي احسن على معنى الذي هو احسن قال ابو علي ينبغي ان يكون مراد يونس بقوله ان الفعل معلق انه معمل في موضع من كل شيعة وليس يريد به انه غير معمل في شيء البتة بل يريد انه معمل

في موضع الجار والمجرور لأن لفظ التعليق انما يستعمل فيما يعمل في الموضع دون اللفظ ولو اراد انه لا عمل له في لفظ ولا موضع لقال ملغى ولم يقل معلق كما تقول في زيد ظننت منطلق انه ملغى واذا كان كذلك كان قول الكسائي في الآية مثل قول يونس لأن الكسائي قال ان قوله لننزعن من كل شيعة كقولك اكلت من طعام فإن كان كذلك كان ايهم منقطعا من هذه الجملة و كانت جملة مستأنفة فإن قال قائل لم زعم سيبويه انه اذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم فالجواب ان الصلة تبين الموصول وتوضحه كما ان المضاف اليه يبين المضاف ويخصصه فكما ان المضاف اليه لما حذف بني المضاف فكذلك لما حذف العائد من الصلة الى الموصول هنا بني فإن قال ما ينكر ان لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عوض حذف المضاف اليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة وفي المضاف قد حذف المضاف كله قيل ان حذف العائد هنا نظير حذف المضاف اليه هناك الا ترى ان الذي يبين به الموصول ويتضح انما هو الراجع الذي في الجملة ولولا الراجع لم يبين واذا كان المبين له الراجع من الجملة فالحذف منها كان بمنزلة حذف المضاف اليه من المضاف

❁ النزول ❁

نزل قوله ويقول الانسان الآية في ابي ابن خلف الجمحي وذلك انه اخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويذريه في الريح ويقول زعم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يبعثنا بعد ان نموت ونكون عظاما مثل هذا ان هذا شيء لا يكون ابدا عن الكلبي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة في رواية عطا عن ابن عباس

❁ المعنى ❁

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حكى سبحانه عقيبه قول منكري البعث ورد عليهم باوضح بيان واجلى برهان فقال (ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج حيا) هذا استفهام المراد به الانكار والاستهزاء اي أاذا ما مت اعادني الله حيا فقال سبحانه مجيبا لهذا الكافر (أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل) اي اولا يتذكر هذا الجاحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الاعادة وقيل ان الانسان هنا مفرد في اللفظ مجموع في المعنى يريد جميع منكري البعث (ولم يك شيئا) معناه ولم يك شيئا كائنا او مذكورا « سؤال » قيل كيف تدل النشأة الأولى على النشأة الثانية والواحد منا يقدر على افعاله كالحركات والسكنات والاصوات وغيرها ولا يقدر على اعادتها « والجواب » من وجوه ❁ احدها ❁ انه سبحانه خلق الاجسام والحياة فيها والبقاء جائز عليها فيجب ان يقدر على اعادتها بخلاف افعالنا فانها لا تبقى ولا يصح الاعادة عليها ❁ والثاني ❁ ان الابتداء اصعب من الاعادة فإذا كان قادرا على الابتداء فلأن يكون قادرا على الاعادة اولى ❁ والثالث ❁ انه سبحانه استدل بخلق الاجسام على انه قادر لذاته اذ القادر بقدرة لا يصح منه فعل الاجسام واذا كان قادرا لذاته ويقدر على ايجاد ما يصح وجوده وتبين قدر على اعادته ثم حقق سبحانه امر الاعادة فقال (فوربك) يا محمد (لنحشرنهم والشياطين) اي لنجمعنهم ونبعثنهم من قبورهم مقرنين باوليائهم من الشياطين وقيل لنحشرنهم ولنحشرن الشياطين ايضا (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) اي مستوفزين على الركب عن قتادة والمعنى يجثون حول جهنم متخاصمين ويتبرأ بعضهم من بعض لأن المحاسبة تكون بقرب جهنم وقيل جثيا اي جماعات جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زمرا وهو جمع جثوة وجثوة هي المجموع من التراب والحجارة وقيل معناه قياما على الركب وذلك لضيق المكان بهم لا يمكنهم ان يجلسوا عن السدي (ثم لننزعن من كل شيعة) اي لنستخرجن من كل جماعة (أيهم اشد على الرحمن عتيا) اي الاعتى فالاعتى منهم قال قتادة لننزعن من كل اهل دين قادتهم ورؤوسهم في الشر والعتي هاهنا مصدر كالعتو وهو التمرد في العصيان وقيل يبدأ بالأكثر جرما فالأكثر عن مجاهد وابي الاحوص (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بشدة العذاب واحق بعظيم العقاب واجدر بلزوم النار

قوله تعالى (٧١) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧٢) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٣) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٤) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٥) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا خمس آيات

القراءة

قرأ الكسائي وروح وزيد عن يعقوب ثم ننجي بالتخفيف والباقون ننجي بالتشديد وقرأ ابن كثير مقاما بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ اهل المدينة غير ورش وابن عامر والاعشى والبرجمي عن ابي بكر وريا بغير همز مشددة الياء والباقون ورئيا مهموزة وفي الشواذ قراءة طلحة وريا خفيفة بلا همز وقراءة سعيد بن جبير وزيا بالزاي

الحجة

انجاه ينجيه ونجاه ينجيه بمعنى والمصدر واسم الموضع من باب يفعل يجيء على مفعل فالمقام بفتح الميم يصلح ان يكون مصدرا من قام يقوم ويصلح ان يكون اسم الموضع والمقام المصدر والموضع من اقام يقيم فاما قول زهير

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل

فإنما هو على حذف المضاف اي اهل مقامات ومشاهد وروي عن الاصمعي انه قال المجلس القوم وانشد « واستب بعدك يا كليب المجلس » قال ابو علي المجالس موضع الجلوس فالمعنى على اهل المجلس كما ان المعنى على اهل المقامات قال السكري المقامة المجلس والمقام المنزل وقوله خير مقاما من ضم الميم جعله اسما للمثوى ومن فتح كان كذلك ايضا الا ترى ان الندي والنادي هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى وتأتون في ناديكم المنكر ويدل على ذلك قوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا فإنه لا يراد به الحدث انما يراد به حسن الشارة والهيئة والمنظر وهذا انما يكون في الاماكن واما قوله ورئيا قال ابو علي رؤي فعل من رأيت فكأنه اسم لما ظهر وليس المصدر وانما المصدر الرأي والرؤية يدل على ذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين فالري الفعل والري المرئي كالطحن والطحن والسقي والسقي والرعي والرعي ومن خفف الهمزة من ورئيا لزم ان يبدل منها الياء لانكسار ما قبلها كما يبدل من ذئب وبئر فإذا ابدل منها الياء وقعت ساكنة قبل حرف مثله فلا بد من الادغام وليس يجوز الاظهار في هذا كما جاز اظهار الواو في نحو رؤيا ورؤية يعني إذا خففت الهمزة فيها لأن الياء في ريا قبل مثل وقعت في رؤيا قبل ما يجري مجرى المقارب قال ابن جني من قرأ وريا مشددة فإنه فعل أما من رأيت وأما من رويت واصله وهو من الهمزة ورئيا كرعيا فخففت الهمزة وابدلت ياء وادغمت الياء الثانية ويجوز ان يكون من رويت لأن للريان نضارة وحسنا فيتفق معناه ومعنى وزيا بالزاي وأصله على هذا زوي فأبدلت الواو ياء وادغمت في الياء وأما ريا مخففة فيحتمل ان يكون مقلوبة من فعل إلى فلع فصار في التقدير رئيا ثم حذفت الهمزة والقيت حركتها على الياء قبلها فصارت ريا ويحتمل ان يكون ريا من رويت ثم خففت بحذف احدى الياءين فصارت ريا وأما الزي بالزاي ففعل من زويت اي جمعت ذلك وذلك انه لا يقال لمن له شيء واحد من آلته له زي حتى يكثر آلته المستحسنة وانشد ابن دريد

أهاجتك الظعائن يوم بانوا بذي الزي الجميل من الاثاث

﴿ اللغة ﴾

الحتم القطع بالأمر والحتم والجزم والقطع بمعنى والندي والنادي المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله ومنه دار الندوة وهي دار قصي بمكة وكانوا يجتمعون فيه للتشاور تيمنا به وقد ندوت القوم اندوهم اذا جمعتهم في مجلس وأصل الندى انه مجلس أهل الندى وهو الكرم قال حاتم

ودعيت في اولى الندى ولم ينظر الي باعين خزر

والاثاث المتاع من الفرش والثياب التي تزين بها واحدها اثاثة وقيل لا واحد لها والري ما يراه الرجل من ظاهر احوال القوم وهو اسم للمرئي كالذبح اسم للمذبوح

﴿ الاعراب ﴾

وإن منكم إلا واردها تقديره وما احد ثابت منكم فأحد مبتدأ ومنكم صفة وواردها خبر وجثيا منصوب على الحال. مقاما ونديا منصوبان على التمييز. كم اهلكنا كم نصب باهلكنا والتقدير كم قرنا اهلكنا من جملة القرون فحذف المميز بدلالة الكلام عليه. فليمدد له الرحمن مدا لفظه لفظ الامر ومعناه خبر والتقدير فمد له الرحمن مدا وباب الامر والخبر يتداخلان فكما ان قوله والمطلقات يتربصن تقديره فليتربصن فجعل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذا هاهنا جعل لفظ الأمر بمعنى الخبر وقوله ما يوعدون مفعول رأوا وأما العذاب وأما الساعة بدل من ما يوعدون وقوله من هو شر مكانا تعليق فعلى هذا يكون هو فصلا والفصل بين كلمة الاستفهام وخبره عزيز فالاولى ان يكون من هنا بمعنى الذي وفي موضع نصب بسيعلمون وهو شر مبتدأ وخبر والجملة صلة من

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه احوالهم يوم الحشر فقال (وإن منكم إلا واردها) اي ما منكم احد إلا واردها والهاء في واردها راجعة إلى جهنم واختلف العلماء في معنى الورود على قولين ﴿ احدهما ﴾ ان ورودها هو الوصول اليها والاشراف عليها لا الدخول فيها وهو قول ابن مسعود والحسن وقتادة واختاره ابو مسلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه وبأنك تقول وردت بلد كذا وماء كذا اي اشرفت عليه دخلته او لم تدخله وفي امثال العرب «ان ترد الماء بماء اكيس» وقال زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

أراد فلما بلغن الماء اقمن عليه قال الزجاج والحجة القاطعة في ذلك قوله سبحانه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فهذا يدل على ان أهل الحسنى لا يدخلونها قالوا فمعناه إنهم واردون حول جهنم للمحاسبة ويدل عليه قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم يدخل النار من هو اهلها وقال بعضهم معناه إنهم واردون عرصة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر ﴿ والآخر ﴾ ان ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله تعالى فأوردهم النار وقوله وانتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وهو قول ابن عباس وجابر واكثر المفسرين ويدل عليه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولم يقل وندخل الظالمين وإنما يقال نذر ونترك للشيء الذي قد حصل في مكانه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للمشركين خاصة ويكون قوله وإن منكم المراد به منهم كما قال سبحانه وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء اي لهم وروي في الشواذ عن ابن عباس انه قرأ وإن منهم وقال الاكثرون انه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى بر ولا فاجر الا ويدخلها فيكون بردا وسلاما على المؤمنين وعذابا لازما للكافرين قال السدي سألت مرة الهمداني عن هذه الآية فحدثني ان عبدالله بن مسعود حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يرد الناس النار ثم يصدرون باعمالهم فأولهم

كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه وروى ابو صالح غالب ابن سليمان عن كثير بن زياد عن ابي سمينة قال اختلفا في الورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأومى بإصبعيه إلى أذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجاً من بردها ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروي مرفوعا عن يعلي بن منية عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وروي عن النبي ﷺ انه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المنادي ان خذي اصحابك وذري اصحابي قال ﷺ فوالذي نفسي بيده لهي اعرف بأصحابها من الوالدة بولدها وروي عن الحسن انه رأى رجلا يضحك فقال هل علمت انك وارد النار قال نعم قال وهل علمت انك خارج منها قال لا قال فبم هذا الضحك وكان الحسن لم ير ضاحكا قط حتى مات وقيل ان الفائدة في ذلك ما روي في بعض الاخبار ان الله تعالى لا يدخل احدا الجنة حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكمال لطفه واحسانه اليه فيزداد لذلك فرحا وسرورا بالجنة ونعيمها ولا يدخل أحد النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من انواع النعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة على ما فاته من الجنة ونعيمها وقال مجاهد الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها فعلى هذا من حم من المؤمنين فقد وردها وقد ورد في الخبر ان الحمى من قيح جهنم وروي ان رسول الله ﷺ عاد مريضا فقال ابشر ان الله عز وجل يقول الحمى هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار وقوله (كان على ربك حتما مقضيا) اي كائنا واقعا لا محالة قد قضى بأنه يكون وعلى كلمة وجوب فمعناه أوجب الله ذلك على نفسه وفيه دلالة على انه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافا لما يذهب اليه أهل الجبر (ثم ننجي الذين اتقوا) الشرك وصدقوا عن ابن عباس (ونذر الظالمين) اي ونقر المشركين والكفار على حالهم (فيها) اي في جهنم (جثيا) اي باركين على ركبهم وقيل جماعات على ما مر تفسيره وقيل المراد بالظالمين كل ظالم وعاص ثم قال سبحانه (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) ومعناه وإذا يتلى على الكافرين آياتنا المنزلة في القرآن ظاهرات الحجج والادلة يمكن تفهم معانيها (قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما) أي قال الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا انبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم وغرضهم الانكار اي الفريقين اي أنحن ام انتم خير منزلا ومسكنا اي موضع اقامة (واحسن نديا) اي مجلسا وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يتفكروا في العاقبة ولبسوا على الضعفة بأن من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة ثم نبههم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا) قال ابن عباس الأثاث المتاع وزينة الدنيا والرئي المنظر والهيئة والمعنى ان الله تعالى قد اهلك قبلهم أمما وجماعات كانوا اكثر اموالا واحسن منظرا منهم فأهلك اموالهم وافسد عليهم صورهم ولم تغن عنهم أموالهم ولا جمالهم كذلك لا يغني عن هؤلاء وقيل ان المعني بالآية النضر بن الحارث وذووه وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهيآتهم على اصحاب النبي ﷺ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد (من كان في الضلالة) عن الحق والعدول عن اتباعه (فليمدد له الرحمن مدا) هذا لفظ أمر معناه الخبر وتأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته ان يمد له بأن يتركه فيها كما قال ونذرهم في طغيانهم يعمهون إلا أن لفظ الامر يؤكد معنى الخبر فكأن المتكلم يقول افعل ذلك وأمر نفسي به فالمعنى فليعش ما شاء وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه في الدنيا اي فليعش ما شاء الله من السنين والاعوام فإنه لا ينفعه طول عمره (حتى

إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) اي عذاب الاستئصال عن الاصم وقيل عذاب وقت البأس وقيل عذاب القبر وقيل عذاب السيف (وإما الساعة) اي القيامة وعذاب النار (فسيعلمون) حين يرون العذاب (من هو شر مكانا) اي أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة (وأضعف جنداً) اي ويعلمون اجندهم اضعف أم جند النبي ﷺ والمسلمين وهذا رد لقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا

قوله تعالى (٧٦) وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا هُدًى وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٧) أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٨) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٩) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا (٨٠) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨١) وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨٢) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا سبع آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام في هذه السورة اربعة مواضع وفي الزخرف ان كان للرحمن ولد وفي نوح وولده فهذه سته مواضع وقرأ أهل البصرة وابن كثير وخلف في صورة نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو واللام في جميع القرآن

الحجة

قال الفراء من امثال بني أسد « ولدك من دمى عقبيك » قال وكان معاذ الحرشي يقول لا يكون الولد إلا جمعا وهذا واحد يعني الذي في المثل وانشد

فليت فلانا كان في بطن أمه ... وليت فلانا كان ولد حمار

قال ابو علي يجوز ان يكون جمعا كاسد واسد ويجوز ان يكون واحدا فيكون ولد وولد كحزن وحزن وعرب وعرب فلا يكون كقول معاذ انه لا يكون إلا جمعا وما انشده الفراء من قوله « وليت فلانا كان ولد حمار » يدل على انه واحد ليس بجمع فهو مثل الفلك الذي يكون مرة جمعا ومرة واحدا

الإعراب

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الموصول هو المفعول الأول لرأيت والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله تعالى أطلع الغيب الآية قال الزجاج كلا زجر وردع وتنبيه اي هذا مما يرتدع به وينبه على وجه الضلالة فيه وقال الفراء يكون صلة لما بعدها كقولك كلا رب الكعبة وقال ابو حاتم جاءت في القرآن على وجهين بمعنى لا يكون ذلك وبمعنى الا التي للتنبيه وجاءت في مواضع متوجهة على التأويلين ويدل على ذلك انها قد تكون مبتداة مثل قوله علم الانسان ما لم يعلم ثم ابتدأ كلا إن الانسان ليطغى قال الاعشى

كلا زعمتم بأنا لا تقاتلكم ... انا لامثالكم يا قومنا قتل

وقال ابو العباس لا يوقف على كلا لأنها جواب والفائدة تقع فيما بعدها وقيل يجوز الوقف عليه ومن مشكلات الوقف في القرآن الوقف على كلا وقد قسمه القرآن على اربعة اقسام ﴿ أحدها ﴾ ما يحسن الوقف عليه ويحسن الابتداء به ﴿ والثاني ﴾ يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به ﴿ والثالث ﴾ يحسن الابتداء به

ولا يحسن الوقف عليه ﴿ والرابع ﴾ لايحسن الوقف عليه ولا الابتداء به وهو في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعا وليس في النصف الأول شيء منه فأما القسم الأول وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء به فعشرة مواضع قوله ام اتخذوا عند الرحمن عهداً كلا وقوله ليكونوا لهم عزا كلا وقوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيا تركت كلا وقوله الذين الحقتم به شركاء كلا وقوله ثم ينجيه كلا وقوله ان يدخل جنة نعيم كلا وقوله ان أزيد كلا وقوله صحفا منشرة كلا وقوله ربي اهانن كلا وقوله إن ماله اخلده كلا فمن جعل كلا في هذه المواضع رداً للأول بمعنى لاليس الأمر كذلك وقف عليه ومن جعله بمعنى الا التي للتنبيه او بمعنى حقا ابتدأ بـه وهو يحتمل الوجهين في هذه المواضع ﴿ وأما الثاني ﴾ وهومايحسن الوقف عليه ولايحسن الابتداء به فموضعان قوله فأخاف ان يقتلون قال كلا وقولـه انا لمدركون قال كلا ﴿ وأما الثالث ﴾ وهو ما يحسن الابتداء به ولا يحسن الوقف عليه فتسعة عشر موضعاقوله كلا انها تذكرة كلا والقمر كلا إنه تذكرة كلا لما يقض ما أمره كلا بل تكذبون بالدين كلا إذا بلغت التراقي كلا لا وزر كلا بل يحبون العاجلة كلا سيعلمون كلا بل ران على قلوبهم كلا إن كتاب الفجار كلا ان كتاب الابرار كلا إنهم عن ربهم كلا إذا دكت الارض دكا كلا إن الانسان ليطغى كلا لئن لم ينته كلا لا تطعه كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون • يحسن الابتداء بكلا في هذه المواضع ولا يحسن الوقف عليه لأنه ليس بمعنى الرد للأول وقال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلا في جميع القرآن لأنه بمعنى انتبه إلا في موضع واحدوهو قوله كلاوالقمر لأنه موصول باليمين بمنزلة قوله اي وربي ﴿ وأما الرابع ﴾ فموضعان ثم كلاسيعلمون ثم كلا سوف تعلمون لا يحسن الوقف على ثم لأنه حرف عطف ولا على كلا لأن الفائدة فيما بعد هذين الحرفين

﴿ النزول ﴾

روي في الصحيح عن خباب بن الارت قال كنت رجلا غنيا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته اتقاضاه فقال لي لا اقضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت لن اكفر به حتى تموت وتبعث قال فاني لمبعوث بعد الموت فسوف أقضيك دينك إذا رجعت إلى مال وولد قال فنزلت الآية أفرأيت الذي كفر بآياتنا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) قيل معناه ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ عن مقاتل وقيل يزيدهم هدى بالمعونة على طاعاته والتوفيق لابتغاء مرضاته وهو ما يفتحه لهم من الدلالات وما يفعله بهم من الالطاف المقربة من الحسنات (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) قدمر تفسيره في سورة الكهف وجملته ان الاعمال الصالحة التي تبقى ببقاء ثوابها وتنفع صاحبها في الدنيا والآخرة خير ثوابا من مقامات الكفارات التي يفتخرون بها كل الافتخار (وخير مردا) اي خير عاقبة ومنفعة يقال هذا الشيء ارد عليك اي انفع واعود عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه بفقده له فيرده الله تعالى عليه برد ثوابه اليه حتى يجده في نفسه (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) أفرأيت كلمة تعجيب ومعناه أرأيت هذا الكافر الذي كفر بأدلتنا من القرآن وغيره وهو العاص بن وائل عن ابن عباس ومجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عن الحسن وقيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن ابي مسلم (وقال لأوتين مالا وولدا) استهزاء اي لاعطين مالا وولدا في الجنة عن الكلبي وقيل اعطي في الدنيا اي ان أقمت على دين آبائي وعبادة آلهتي اعطيت مالا وولدا (اطلع الغيب) هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومعناه اعلم الغيب حتى يعلم اهو في الجنة أم لا عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه انظر في اللوح المحفوظ عن الكلبي وتأويله اشرف على علم الغيب حتى علم انه سيؤتيه مالا وولداً وانه ان بعث رزق مالا وولدا (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) اي اتخذ عند الله عهدا

بعمل صالح قدمه عن قتادة وقيل معناه ام عهد الله اليه انه يدخل الجنة عن الكلبي وقيل معناه أم قال لا إله إلا الله فيرحمه الله بها عن ابن عباس (كلا) أي ليس الأمر على ماقال من انه يؤتى المال والولد ويجوز أن يكون المعنى كلا انه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً (سنكتب مايقول) اي سنأمر الحفظة باثباته عليه لنجازيه بـه في الآخرة ونوافقه عليه (ونمد له من العذاب مدا) اي نصل له بعض العذاب بالبعض ونزيده عذابا فوق العذاب فلا ينقطع عذابه ابدا وأكد الفعل بالمصدر كما يؤكد بالتكرير (ونرثه ما يقول) أي ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطالـ ملكه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد (ويأتينا فردا) أي يأتي الآخرة وحيدا بلا مال ولا ولد ولا عدة ولا عدد (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني أن هؤلاء الكفار الذين وصفنهم اتخذوا آلهة أي اصناما عبدوها (ليكونوا لهم عزا) اي ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة عن الفراء وهذا معنى قول ابن عباس ليمنعوهم مني وذلك انهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمراد ليصيروا بهم إلى العز قال الله سبحانه (كلا) اي ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل والعذاب (سيكفرون بعبادتهم) اي سيجحدون بان يكونوا عبدوها ويتبرؤون منها لما يشاهدون من سوء عـاقبة أمرهم ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه ان المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذبونهم فيها كما قال حكاية عنهم تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون عن الجبائي (ويكونون عليهم ضدا) قال الأخفش الضد يكون واحدا وجمعا كالرسول والعدو ومعناه ويكونون عونا عليهم واعداء لهم يخاصمونهم ويكذبونهم وقيل ويكونون قرناء لهم في النار ويلعنونهم ويتبرؤون منهم عن قتادة وقيل ويكونون اعداءهم يوم القيامة وكانوا في الدنيا أولياءهم عن القتيبي

قوله تعالى (٨٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً (٨٤) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً (٨٥) يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْداً (٨٦) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً (٨٧) لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْداً (٨٨) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَداً (٨٩) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً (٩٠) تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدّاً (٩١) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَداً (٩٢) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً عشر آيات

❋ القراءة ❋

في الشواذ رواية قتادة عن الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون قال فقلت انها بالنون يا أبا سعيد قال وهي للمتقين إذاً وقراءة السلمي شيئاً أدا بفتح الهمزة وقرأ ابو جعفر وابن كثير وحفص تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء وفتح الطاء مشددة وفي عسق مثله وقرأ نافع والكسائي يكاد بالياء يتفطرن في السورتين وقرأ ابو عمرو وابو بكر وهبيرة عن حفص ويعقوب تكاد بالتاء ينفطرن بالياء والنون وكسر الطاء في السورتين وقرأ ابن عامر وحمزة وخلف هاهنا تكاد بالتاء ينفطرن بالنون مثل ابي عمرو في عسق تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء ايضا

— الحجة —

حجة من قرأ يحشر ويساق قولـه تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا والأد بالفتح القوة قال « نضوت عني شرة وإدا » فعلى هذا يمكن ان يكون المعنى لقد جئتم شيئا ذا إد اي ذا قوة وإن شئت وصفتـه بالمصدر كقولهم رجل عدل وضيف والانفطار مطاوعة الفطر يقال فطره فانفطر والتفطر مطاوعة التفطير يقال فطرته فتفطر وكأنه اليق بهذا الموضع لما فيه من معنى المبالغة وتكرير الفعـل وذهب ابو الحسن في معنى قوله تكاد

السماوات إلى ان معنى تكاد تريد وكذلك قال في قوله كذلك كدنا ليوسف اي أردناله وأنشد

كادت وكدت وتلك خير إرادة   لو عاد من ذكر الصبابة مامضى

وكذلك قوله في أكاد أخفيها أي اريد اخفيها وعلى هذا فسر غيره قول الافوه

فان تجمع اوتاد واعمدة   وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

اي ارادوا قال المعنى يردن لا انهن ينفطرن ولا يدنون من ذلك ولكن من همهن به اعظاما لقول المشركين ولا يكون على من هم بالشيء ان يدنو منه ألا ترى ان رجلا لو أراد ان ينال السماء لم يدن من ذلك وقد كانت منه ارادة وقد قال بعض المتأولين في قوله تكاد السماوات يتفطرن منه هدا مثل كانت العرب إذا سمعت كذبا اومنكرا تعاظمته وعظمته بالمثل الذي عندها عظيما فقالت كادت الارض تنشق واظلم على مابين السماء والأرض فلما افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الاشياء واعظمها قال ابو علي ومما يقرب من هذا قول الشاعر

ألم تر صدعا في السماء مبينا   على ابن لبين الحرث بن هشام

وقول الآخر

واصبح بطن مكة مقشعرا   كأن الأرض ليس بها هشام

وقال الآخر

لما اتى خبر الزبير تواضعت   سور المدينة والجبال الخشع

﴿ اللغة ﴾

الاز الازعاج الى الأمر يقال ازه يأزه ازا وازيزا إذا هزه بالازعاج إلى امر من الأمور وازت القدر أزيزا إذا غلت ومنه الحديث انه كان يصلي وازيز جوفه كأزيز المرجل من البكاء وازززت الشيء إلى الشيء ضممته اليه والوفد جمع وافد وقد يجمع وفودا ايضا وفد يفد وفدا وأوفد على الشيء أشرف عليه والسوق الحث على السير ساقه يسوقه سوقا ومنه الساق لاستمرار السير بها أو لان القدم يسوقها ومنه السوق لأنه يساق بها البيع والشرى شيئا بعد شيء والورد الجماعة التي ترد الماء يقال ورد الماء يرد وردا والاد الأمر العظيم قال الراجز

قد لقي الأعداء مني نكرا   داهية دهياء إدًّا إمرا

والانفطار الانشقاق والتفطر التشقق والهد الهدم بشدة صوت

﴿ الإعراب ﴾

تؤزهم جملة في موضع الحال ومفعول نعد لهم محذوف والتقدير نعد اعمالهم عدا ويوم نحشر ظرف قوله نعد لهم ويجوز أن ينتصب بقوله لا يملكون الشفاعة أي لا يملكون في ذلك اليوم وفدا منصوب على الحال من المتقين أي وافدين ووردا كذلك اي واردين إلا من اتخذ هو موصول وصلة في موضع رفع لأنه بدل من الواو في يملكون ويجوز ان يكون في محل النصب لأنه استثناء منقطع فإن من اتخذ عند الرحمن عهدا لا يكون من المجرمين وقوله تنشق الأرض جملة معطوفة على الجملة التي قبلها وتقديره وتكاد الأرض تنشق والجبال تخر وهذا منصوب على المصدر في المعنى تقديره تخر خرورا وتهد هدا ويجوز أن يكون في موضع الحال وان دعوا مفعول له والتقدير لان دعوا أي لأجل ذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ألم تر) يا محمد (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خلينا

بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا اليهم ودعوهم إلى الضلال حتى اغووهم ولم نحل بينهم وبينهم بالإلجاء ولا بالمنع وعبر عن ذلك بالارسال على سبيل المجاز والتوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره ارسل كلبه عليه عن الجبائي وقيل معناه سلطناهم عليهم ويكون في معنى التخلية ايضا على ما ذكرناه (تؤزهم أزا) أي تزعجهم ازعاجا من الطاعة إلى المعصية عن ابن عباس وقيل تغريهم اغراء بالشر تقول امض امض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار عن سعيد بن جبير (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) معناه فلتطب نفسك يامحمد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مدة بقائهم قليلة فإنا نعد لهم الأيام والسنين وما دخل تحت العد فكان قد نفد وقيل معناه نعد انفاسهم في الدنيا فهي معدودة إلى الأجل الذي اجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من ابلغ الوعيد وقيل معناه نعد اعمالهم على ما ذكرناه قبل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) اي اذكر لهم يامحمد اليوم الذي نجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أي إلى جنته ودار كرامته وفودا وجماعات عن الأخفش وقيل ركبانا يؤتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا ابواب الجنة عن امير المؤمنين (ع) وابن عباس (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) اي ونحث المجرمين على المسير إلى جهنم عطاشا كالابل التي ترد عطاشا مشاة على ارجلهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وسمى العطاش وردا لأنهم يردون لطلب الماء وقيل الورد النصيب اي هم نصيب جهنم من الفريقين والمؤمنون نصيب الجنة عن ابي مسلم (لا يملكون الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع اهل الإيمان بعضهم لبعض لأن ملك الشفاعة على وجهين * احدهما * ان يشفع للغير * والآخر * ان يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه فبين سبحانه ان هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبحانه فقال (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أي لا يملكون الشفاعة إلا هؤلاء وقيل لا يشفع إلا لهؤلاء والعهد هو الإيمان والاقرار بوحدانية الله تعالى وتصديق انبيائه وقيل هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن يتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن باطلاق الشفاعة كالأنبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين على ما ورد به الأخبار وقال علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن سليمان ابن جعفر (ع) عن ابي عبد الله (ع) عن ابيه عن آبائه (ع) قال قال رسول الله ﷺ من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصا في مروءته قيل يارسول الله وكيف يوصي الميت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس اليه قال اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني اعهد اليك في دار الدنيا اني اشهد أن لا إله إلا انت وحدك لا شريك لك وان محمداً ﷺ عبدك ورسولك وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وأن الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وأن القول كما حدثت وأن القرآن كما انزلت وانك انت الله الحق المبين جزى الله محمدا ﷺ عنا خير الجزاء وحيا الله محمدا وآله بالسلام اللهم ياعدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي إلهي وإله آبائي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فإنك ان تكلني إلى نفسي اقرب من الشر وأبعد من الخير وآنس في القبر وحشتي وأجعل له عهدا يوم القاك منشورا ثم يوصي بحاجته وتصديق هذه الوصية في سورة مريم في قوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فهذا عهد الميت والوصية حق على كل مسلم وحق عليه أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها وقال امير المؤمنين علي (ع) علمنيها رسول الله ﷺ وقال علمنيها جبرائيل (ع) (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) هذا اخبار عن اليهود والنصارى ومشركي العرب فإن اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئاً إدا) هاهنا حذف تقديره قل لهم يامحمد لقد جئتم بشيء منكر عظيم شنيع فظيع فلما حذف الباء وصل الفعل إليه فنصبه (تكاد السماوات يتفطرن منه) أي أرادت السماوات ان تنشق لعظم فريتهم اعظاما لقولهم ومعناه لو انشقت السماوات بشيء عظيم لكانت تنشق من هذا (وتنشق الأرض)

أي وكادت الارض تنشق (وتخر الجبال) أي كادت الجبال تسقط (هدا) اي كسرا شديدا عن ابن عباس وقيل هدماً عن عطا (ان دعوا للرحمن ولدا) اي لان دعوا للرحمن ولدا او من ان دعوا للرحمن ولدا اي بسبب دعوتهم او تسميتهم له ولدا (وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) أي ما يصلح للرحمن ولا يليق به اتخاذ الولد وليس من صفته ذلك لأن اثبات الولد له يقتضي حدوثه وخروجه من صفة الإلهية واتخاذ الولد يدل على الحاجة تعالى عن ذلك وتقدس

قوله تعالى (٩٣) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٤) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٥) وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا

ست آيات

﴿ اللغة ﴾

اللدد شدة الخصومة وفي التنزيل ألد الخصام أي اشد الخصام خصومة وجمع الألد لد قال الشاعر

إن تحت الأشجار حزما وعزما　　　وخصيماً ألد ذا معلاق

اي شديد الخصومة والركز الصوت الخفي واصل الركز الحس ومنه الركاز لانه يحس بهمال من تقدم بالكشف عنه قال ذو الرمة

وقد توجس ركزا من سنابكها　　　أوكان صاحب أرض أو به الموم

الأرض الرعدة والموم البرسام واصل الاحساس الإدراك بالحاسة .

﴿ الاعراب ﴾

كل مبتدأ ومن في موضع خبر والجار والمجرور من صلته واتي الرحمن في موضع رفع خبر كل وهو مضاف إلى المفعول ووحد كلا على اللفظ وعبدا في موضع الحال من الضمير من اتى وهل تحس منهم من احد من الأولى يتعلق بتحس والثانية مزيدة ويجوز أن يكون تقديره هل تحس احدا منهم ويكون منهم في موضع الصفة لاحد فلما قدم على الموصوف انتصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (ان كل من في السماوات والأرض إلا اتي الرحمن عبدا) أي ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والانس والجن إلا ويأتي الله سبحانه عبدا مملوكا خاضعا ذليلا ومثله قوله وكل أتوه داخرين والمعنى ان الخلق عبيده خلقهم ورباهم وجرى عليهم حكمه وان عيسى وعزيرا والملائكة من جملة العبيد وفي هذا دلالة على ان النبوة والعبودية لا يجتمعان وانه إذا ملك الإنسان ابنه عتق عليه (لقد احصاهم وعدهم عدا) اي علم تفاصيلهم واعدادهم فكأنه سبحانه عدهم إذ لا يخفي عليه شيء من احوالهم (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتي المحشر والموضع الذي لا يملك الأمر فيه إلا الله فردا وحيدا مفردا ليس له مال ولا ولد ولا ناصر مشغولا بنفسه لا يهمه هم غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قيل فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ انها خاصة في علي بن ابي طالب (ع) فما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لعلي (ع) عن ابن عباس وفي تفسير ابي حمزة الثمالي حدثني ابوجعفر الباقر (ع) قال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (ع) قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين ودا فقالها علي (ع) فنزلت هذه الآية وروي نحوه عن جابر بن عبد الله الانصاري ﴿ والثاني ﴾ انها عامة في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبة والإلفة والمقة في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان ما اقبل عبد بقلبه إلى الله إلا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقهم مودتهم ورحمتهم ومحبتهم وقال الربيع بن انس إن الله إذا احب مؤمنا قال لجبرائيل إني احببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في السماء إلا ان الله احب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له قبول في اهل الأرض فعلى هذا يكون المعنى يحبهم الله ويحببهم إلى الناس ﴿ والثالث ﴾ ان معناه يجعل الله لهم محبة في قلوب اعدائهم ومخالفيهم ليدخلوا في دينهم ويتعززوا بهم ﴿ الرابع ﴾ يجعل بعضهم يحب بعضاً فيكون كل واحد منهم عضداً لأخيه المؤمن ويكونون يدا واحدة على من خالفهم ﴿ والخامس ﴾ ان معناه سيجعل لهم ودا في الآخرة فيحب بعضهم بعضا كمحبة الوالد لولده في ذلك اعظم السرور وأتم النعمة عن الجبائي ويؤيد القول الأول ما صح عن امير المؤمنين (ع) انه قال لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضى فانقضى على لسان النبي الامي انه قال لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فإنما يسرناه بلسانك) أي يسرنا القرآن بأن انزلناه بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته ولو كان بلسان آخر ما عرفوه عن ابي مسلم وقيل معناه يسرناه قراءة القرآن على لسانك ومكناك من قراءته عن الجبائي (لتبشر به المتقين) اي لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر اي تخبرهم بما تسرهم مما اعده الله لهم (وتنذر به قوما لدا) أي شدادا في الخصومة عن ابن عباس يعني قريشا وقيل قوما ذوي جدل مخاصمين عن قتادة ثم انذرهم سبحانه وخوفهم بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) اي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسل وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى لا يهمنك كفرهم وشقاقهم فإن وبال ذلك راجع اليهم وقد اهلكنا قبلهم من كان مثلهم (هل تحس منهم من احد) اي هل تبصر منهم احدا (او تسمع له ركزا) اي صوتا عن ابن عباس وقتادة وقيل حسا عن ابن زيد والمعنى أنهم ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت وكانوا اكثر اموالا واعظم اجساما واشد خصاما من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما اردنا اهلاكهم فحكم هؤلاء الكفار حكم اولئك في انه لا يبقى منهم عين ولا اثر والحمد لله رب العالمين

تم الجزء السادس من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

فهرس المجلد الثالث من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الخامس والسادس حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سور التوبة ويونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل والإسراء والكهف ومريم

سورة التوبة

صفحة

سورة يونس

الجزء السادس

« سورة الرعد »

« سورة ابراهيم »

﴿سورة الحجر﴾

﴿سورة النحل﴾

صفحة

(سورة بني اسرائيل)

﴿سورة الكهف﴾

ملاحظة : اولا : ان الصفحة ٢١٥ قد ذكر رقمها خطأ ٢٠٥ فلتصحح

ثانياً : ان الصفحة ٢٦١ قد وضعت مكان الصفحة ٢٦٢ كما ان الصفحة ٢٦٢ قد وضعت مكان الصفحة ٢٦١ خطأ فلينتبه إلى ذلك القارىء


Bibliotheca Alexandrina
0410590